

المجلس الأعلى للثقافة  
لجنة الدراسات الأدبية

# الروائع من الأدب العربي

الجزء الأول

العصر الجاهلي

إشراف ومراجعة  
الدكتور يوسف خليل



الهيئة العربية العامة للكتابات

١٩٨٣





اشترك في إعداد هذه المجموعة من «الروائع» :

الأستاذ سعد درويش

الدكتور سيد حنفي حسنين

» طه وادي

» عبد الله التطاوي

» محمد حمدي إبراهيم

» محمد مصطفى هدارة

» نبيل راغب

» يوسف خليف





# بسم الله الرحمن الرحيم

## وبه نستعين

\* \* \*

### مقدمة

هذه المجموعة من النصوص المختارة من الأدب الجاهلي هي المجموعة الأولى من سلسلة « الروائع من الأدب العربي » التي يَسْرِبُ لُحْنُهَا الدِّراسَاتُ الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة أن تقدمها إلى المجتمع الأدبي في الوطن العربي الكبير ، لإسهامها منها في إضاءة مشعل جديد إلى جانب المشاعل الكثيرة التي تضيء أرجاء هذا الوطن الخالد الذي تضرب جذوره الحضارية في الأرض الطيبة التي نعتز جميعا بالانتماء إليها منذ آلاف السنين .

وسلسلة « الروائع » هي أول المشاعل التي تأمل اللجنة أن تُضيئها على طريق النور في مجتمعنا الأدبي . وهي سلسلة وضعت اللجنة في خطتها — منذ تشكيلها الجديد في أكتوبر سنة ١٩٨٠ — أن تصدر في عشرة أجزاء تغطي أدبنا العربي شعرا ونثرا على امتداد رحلته الطويلة التي امتدت أكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان ، منذ أن بدأ هذا الأدب نبثا صحراويا فوق رمال الجزيرة العربية في العصر الجاهلي إلى أن انتشرت حدائقه وجناته في كل أرجاء وطننا العربي في العصر الحديث .

ومع قافلة الأدب العربي التي خرجت من أعماق الجزيرة بعد أن أشرقت أرضها بنور ربها حاملة معها المشاعل العربية إلى آفاق الأرض ، ومضت توأصل

رحلتها على امتداد هذه القرون المتطاولة ، رأت اللجنة أن تسير هذه القافلة على امتداد رحلتها التاريخية الطويلة ، فوضعت في خُطتها أن يكون الجزء الأول للعصر الجاهلي ، والثاني للعصر الإسلامي ، والثالث للعصر الأموي ، والرابع للأدب العربي في الأندلس والمغرب وصقلية ، والخامس والسادس للعصر العباسي ، والسابع للأدب العربي في العصور الوسطى ، والثامن والتاسع للأدب في العصر الحديث ، وأن يُخصَّص الجزء العاشر لمجموعة الفهارس المختلفة لهذه الموسوعة الفهخمة التي تتوقع اللجنة أن تبلغ أكثر من خمسة آلاف صفحة .

ورسمت اللجنة خطة عملها على أساس أن تقدّم لكل مجموعة من هذه السلسلة بدراسة شاملة تغطّي جوانب العصر الذي تقف عنده ، وترسم صورة دقيقة لحركة الأدب فيه ، شعره وثره ، وترصد اتجاهاته ومذاهبه ومدارسه الفنية ، وأعلام الأدباء الذين حرّكوا حياته الأدبية ووجّهوها ، والعوامل المختلفة التي تقف وراء هذه الحركة ، ومظاهر التطور والتجديد فيها ، ثم تبدأ بعد ذلك بمجموعات النصوص المختارة مشروحة ومُعلّقة عليها ، مع تراجم لأصحابها تُعرّف بهم ، وعرض لكل نص من خلال التعريف به وبمناسبتة التي قيل فيها . ورأت اللجنة ألاّ تطيل في هذه التراجم أو في التحليل الفني للنصوص ، على أملٍ تُمثّل على الله أن تحقّقه في إصدار موسوعة أخرى لأعلام الأدب العربي على امتداد عصوره وبيئاته تقدّم فيها دراسات موسّعة لهؤلاء الأعلام ودورهم في الحياة الأدبية ، وإصدار سلسلة من الدراسات النقدية لنصوص مختارة من الأدب العربي تقف منها موقف التحليل والنقد والتقييم .

\* \* \*

ونحن نعرف أن فكرة الاختيارات من الأدب العربي قديمة منذ عصر التدوين في القرن الثاني الهجري ، عندما اختار حماد الراوية المعلقات ، واختار المفضل المفضليات ، واختار الأصمعي الأصمعيات ، واختار أبو زيد القرشي الجمهرة . ثم

تواصلت الخطل على الطريق ، فظهرت الحماسات المتعددة لأبي تمام والبحتري والخالدين وابن الشجري والبصري وغيرهم . حتى إذا ما وصلنا إلى العصر الحديث اشتعلت من جديد حماسة جارية في اتجاهات أخرى من الاختيارات ، فظهرت في مطالع مختارات البارودي ، ثم تكاثرت الاختيارات في كل وطن من الأرض العربية . وهي كلها — قديمها وحديثها — جهود نذكرها ونقدرها لأصحابها ، ونعترفها تعبيراً عن ذلك الاعتزاز الذي يملأ نفس كل عربي بتاريخه وحضارته .

كان هذا كله أماناً ونحن نفكر في اختياراتنا الجديدة . ولسنا ندعى أنها جاءت جديدة في كل جوانبها ، أو أننا أتينا « بما لم تستطع الأوائل » ، فذلك دعوى تبدو ظالمة لكل من شاركوا في هذه الجهود الرائعة على امتداد القرون الطويلة ، ولكننا أيضاً لا نريد أن نظلم أنفسنا ، فاختياراتنا جديدة في بعض جوانبها . فإلى جانب الاختلاف الذي لا بد منه بين النصوص التي اخترناها والنصوص التي اختراروها ، نتيجة طبيعية لاختلاف الذوق الشخصي من ناحية ، وللنشاط الخصب الذي يشهده عصرنا الحديث في تحقيق نصوص التراث وتوثيقها من ناحية أخرى ، مما أتاح لنا فرصة الرجوع إلى أحدث ماتم تحقيقه وتوثيقه من مصادر هذا التراث ونصوصه ، تختلف اختياراتنا في أمرين آخرين : الأول تلك المداخل التي نقدم بها لكل مجموعة منها ، والتي نتبع فيها حركة الأدب في كل عصر ، لرصد اتجاهاته ومذاهبه ومدارسه ، والكشف عن عناصر الأصالة والتجديد فيه . والأمر الآخر ذلك التصنيف الجديد للتراث الأدبي في كل عصر ، وهو تصنيف لا يربط بين حركة الأدب وحركة التاريخ السياسي ، وإنما يقوم على أساس التطور الفني له الذي نستطيع من ورائه أن نتمثل حركة هذا الأدب في كل عصر ، ثم بعد ذلك حركته على امتداد عصوره المتعاقبة . وفي هذه المجموعة

«الأولى نقدم محاولة جديدة في تصنيف الشعر الجاهلي على أساس النظرية الجديدة التي نسجلها في مدخل هذه المجموعة الأولى من « الروائع » .

\* \* \*

هذه محاولة حاولناها تضافرت عليها جهود الزملاء من أعضاء لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة ، عكفوا عليها جادين مخلصين متمثلين الهدف الذي وضعناه نُصَّبَ أعيننا ونحن ندرس هذا المشروع ، ونحدد خطوات العمل فيه ، وفي أعماق كل منهم جذوة تترقد من نار حماسة لا تنطفئ لتحقيق الأمل الكبير الذي عاشت اللجنة عليه الليالي ذوات العدد ، وما زالت تعيش عليه لإنجاز الأجزاء التسعة الباقية التي ستشكل حين تكتمل أكبر وأدق مجموعة من مجموعات الاختيارات عرفها تاريخنا الأدبي ، وفي غير مبالغة على امتداد عصوره أيضا .

وراء جهود هؤلاء الزملاء ، يقف جهد زميلة كريمة لم تأنس وسعا في تهيئة كل ظروف العمل للجنة ، ولم تغض بوقت ولا جهد في سبيل إنجاح عملها ، وهي السيدة عائشة أحمد عبد الرحمن سكرتيرة اللجنة التي نعثر بها ، ونقدم لها الشكر صادقا على جهودها المخلصة الصادقة .

\* \* \*

والله نسأل أن يمدنا بموئنه لتحقيق هذا الأمل الكبير ، وأن يسدد خطانا على طريق هذا العمل الضخم ، حتى نستكمل إضاءة المشاعل الجديدة التي نتمنى إضاءتها في جنبات مجتمعنا الثقافي ، وأن يجنبنا الزلل ، ويباعد بيننا وبين فتنة القول وفتنة العمل ، والآ يجعلنا ممن ينطبق عليهم قول المتنبي العظيم :

وَأَتَعَبُ خَلَقَ اللَّهُ مَنْ زَادَ هَمُّهُ وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَبِيهِ النَّفْسُ وَجَدَهُ

\* \* \*

يوسف خليف

مقرر اللجنة

القاهرة في

٢١ من سبتمبر ١٩٨٢

مدخل إلى الروائع  
الحياة الأدبية في العصر الجاهلي  
للدكتور يوسف غلب



## بسم الله الرحمن الرحيم

( ١ )

ليس من اليسير أن نحدد بداية العصر الجاهلي الأدبي بصورة يقينية ، فليس بين أيدينا وثائق تاريخية أو أدبية تحدد هذه البداية الغامضة . وقد ذهب الجاحظ إلى تحديد هذه البداية بقرن ونصف قرن ، أو — على أبعد تقدير — بقرنين قبل ظهور الإسلام : « أما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطريق إليه ، امرؤ القيس بن حجر ومهلل بن ربيعة . » فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فماتى عام . « ولكن الجاحظ — في الحقيقة — لم يحدد أولية الشعر العربي ، وإنما حدد أولية القصيدة العربية . وهو تحديد جعله يرجع بهذه الأولوية إلى امرئ القيس والمهلل اللذين يمثلان بداية ظهور القصيدة العربية ، ولكنهما لا يمثلان بداية ظهور الشعر العربي . وذلك لأن النصوص التي وصلت إلينا من هذه المرحلة من تاريخ الشعر العربي تمثل بناءً مكتملاً للقصيدة العربية ، وصورة ناضجة من الناحية الفنية نضجا يلفت النظر إلى أنه ليس من اليسير أن تكون هذه البداية الناضجة المكتملة هي البداية الأولى للشعر العربي ، وإنما لابد أن تكون قد سبقتها محاولات وتجارب قام بها رواد أوائل وطلائع مبكرة من شعراء ضلت في الطريق إلينا أسماءهم ، أو — على الأقل —



أسماء كثير منهم ، كما ضلت محاولاتهم وتجاربهم أو — على الأقل — كثير منها .  
أما ما يرويه الرواة عما قبل هذا التاريخ من نصوص وروايات فلا يعدو أن يكون  
مجموعة من الروايات والنصوص يحيط بها الشك والالتام ، وإن كنا نستطيع من  
خلالها أن نمثل صورة — وإن تكن غير واضحة تماما — لما نستطيع أن نطلق عليه  
« عصر ما قبل التاريخ الأدبي » .

وبالبحثون مختلفون حول طبيعة هذه التجارب والمحاولات المبكرة اختلافا  
نستطيع أن نقين من ورائه نظريتين أساسيتين تحاولان تصوّر الخطوة الأولى التي  
بدأ بها الشعر حركته على طريقه الفنى الطويل : نظرية قديمة ذهب إليها النقاد  
العرب القدماء منذ عصر التدوين ، ونظرية حديثة يذهب إليها بعض المستشرقين ،  
ويتابعهم فيها بعض الباحثين المعاصرين من العرب .

أما النظرية القديمة فتذهب إلى أن الشعر العربي بدأ رحلته في صورة  
مقطوعات قصيرة أو أبيات قليلة العدد ، يرتجلها الشاعر في مناسبات طارئة  
ليعبر بها عن انطباعات سريعة مؤقتة ، ثم أخذ الشعراء يطيلون في مقطوعاتهم ،  
ويزيدون من عدد أبياتها ، حتى تكاملت لهم القصيدة في صورتها المعروفة على  
يد المهلهل أيام حرب البسوس . وهى نظرية سجلها ابن سلام في مقدمة كتابه  
« طبقات فحول الشعراء » ، وتابعه فيها ابن قتيبة في مقدمة « الشعر والشعراء » .  
وفى المصادر العربية القديمة إشارات إلى هذه المرحلة المبكرة حين يتحدثون عن  
« قديم الشعر الصحيح » أو عن « أوائل الشعراء » .

وأما النظرية الحديثة فتذهب إلى أن الرجز كان الصورة الأولى التي بدأ بها  
الشعر العربي رحلته . ويؤيد ذلك أن هذا الوزن الشعرى هو الصورة الموسيقية  
الشعبية التي كانت تتردد على ألسنة الشعب العربي القديم فى كل مجالات الحياة

اليومية، وأن التراث الشعبي الذي لاحصر له يرجع إلى عصر ما قبل التاريخ الأدبي المعروف ، عصر ظهور القصيدة . وهي نظرية يطمئن إليها بروكلمان اطمئنانا شديدا ، وفي رأيه أن الرجز ظهر متطورا من السجع الذي يؤكد أنه أقدم القوالب الفنية التي عرفها العرب منذ أقدم عصورهم . وربما كانت هذه النظرية — على الرغم من أن بعض الباحثين لا يطمئنون إليها ويرون أنها مجرد فرض — هي التي نستطيع أن نرى فيها أساسا صالحا لحل المشكلة ، وتتخذ منها قاعدة سليمة لتصور الموقف والاقتراب من الحقيقة الضائعة . وذلك لأن النظرية القديمة لا تقدم حلا للمشكلة ، وإنما تظل المشكلة معها قائمة ، ويظل السؤال واردا : كيف كانت البداية التي مهدت لهذه المرحلة ، وحققت لشعرائها هذا المستوى الفني الذي يتمثل في المقطوعة ؟ وكيف استقامت لهم هذه الصورة الدقيقة من اصطناع الوزن والقافية ؟ أو — بعبارة أخرى — كيف توصلوا إلى فكرة البيت ؟

بدأ الشعر العربي رجزا متطورا — في أغلب الظن — من السجع ، وساعدت سهولة هذا البحر ، وقرب متناوله من الشعراء ، وطواعيته لتشكيلات موسيقية متعددة ، على اتساع مجالاته في المجتمع الجاهلي القديم . ثم أخذت تتولد منه أوزان أخرى ، هي — في أغلب الظن — أوزان البحور الصافية أحادية التفعيلة . وعلى هذه الأوزان أجرى الرواد تجاربهم الأولى التي انتهت بظهور فكرة « البيت » التي مهدت بدورها لظهور المقطوعة وظهور أوزان أخرى . ثم ظهرت بعد ذلك — خضوعا لسنة التطور الطبيعية — القصيدة الطويلة عند المهلهل ومعاصريه من شعراء خرب البسوس .

ومع ذلك فإننا لانملك أن نقول : هذه هي الحقيقة التاريخية التي لاشك فيها ، وإنما كل ما نملكه هو أن نقول : لعلمها الحقيقة . وذلك لأن الحقيقة التاريخية لا تثبت إلا نصوص يقينية أو وثائق ثابتة ، أما الفروض والاحتمالات فلا تكفى — بل لا تصلح — لإثباتها . وقديما قال عمر بن شبة تلميذ محمد بن سلام « للشعر والشعراء أول لا يوقف عليه » ، وحديثا قال بروكلمان « لا تستطيع رواية مأثورة أن تقدم لنا خبرا صحيحا عن أولية الشعر » .

وعلى أساس هذا الفرض نستطيع أن نتصور أن الشعر العربي مر في بداية رحلته بثلاث مراحل : مرحلة الرجز التي تمثل عصر ما قبل التاريخ الأدبي ، ثم مرحلة المقطوعة التي تمثل بداية عصر التاريخ الأدبي على الرغم من كثرة ما يحيط بنصوصها من شك واتهام ، ثم مرحلة القصيدة التي تمثل البداية الثابتة اليقينية لعصر التاريخ الأدبي الصحيح حيث تكاملت الصورة الأولى للشعر العربي ، واستقامت له موسيقاه العروضية ونظام القافية فيه ، واستقرت له أصوله وتقاليده الفنية . وهي المرحلة التي ذهب الملاحظ إلى أنها هي البداية ، ورجع بها إلى قرن ونصف قرن أو — على أبعد تقدير — إلى قرنين قبل ظهور الإسلام . وهو تاريخ يعود بنا إلى حدث ضخم شهدته الجزيرة العربية في هذه المرحلة من تاريخها القديم ، وكان له أثره البعيد في حياتها الاجتماعية والأدبية ، وهو حرب البسوس التي دارت رحاها في أواخر القرن الخامس الميلادي وأوائل السادس بين قبيلتي بكر وتغلب ، والتي استمرت — فيما يقول الرواة — أربعين سنة . فهذه الحرب هي التي أظهرت تلك الطليعة المبدعة من الشعراء المعاصرين لها الذين تطورت المقطوعة على أيديهم إلى قصيدة طويلة ، من أمثال المهلهل والحارث بن عباد والفند الزماني وجليلة البكرية وغيرهم من الرواد الأوائل الذين يتردد ذكركم في أخبار

هذه الحرب ، والذين تلقى عنهم شعراء الجيل التالي لهم : امرؤ القيس وعبيد وطرفة وأمثالهم النماذج الفنية التي خلفوها لهم فراحوا يطوروها حتى استوت لهم القصيدة العربية في صورتها الناضجة المكتملة التقاليد التي نراها في القرن الأخير الذي سبق ظهور الإسلام .

وساعد على اكتمال هذه الصورة ونضجها ظهور لغة أدبية توحدت فيها لهجات القبائل المحلية ، واختفت منها الفروق اللغوية التي تعددت بسببها هذه اللهجات ، وكانت بهذا صالحة لتكون لغة فنية للشعراء من شتى القبائل يصطنعونها في شعرهم متساوين بها على لهجاتهم المحلية . وكان هذا بدوره إيذاناً بظهور « الفصحى » ، وإرهاصاً لغويا لتزول القرآن الكريم بها .

## ( ٢ )

ويختلف المستشرقون حول هذه اللغة الأدبية الموحدة اختلافاً بعيد المدى . وفي محاولة للوصول إلى حقيقتها يطوف نولدكه وجويدى ونالينو وهارتمان وفولرز وبروكلمان وبلاشير خلف القبائل العربية من أقصى الجزيرة إلى أقصاها بحثاً عن هذه اللغة : إلى أى قبيلة تنتمى أو إلى أى مجموعة من القبائل ؟ وهو تطواف انتهى بهم إلى تيه سحيق تشابهت فيه معالم الطريق فتاهت خطاهم فوقه ، وتاهت وراءهم خطى من تابعهم من الباحثين العرب .

وفي ظنى أن اللغويين العرب القدماء كانوا أقرب إلى الحقيقة من هؤلاء المستشرقين ، وكانوا أدق تمثلاً لها ، فقد اتفق هؤلاء اللغويون على أن هذه اللغة هى لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم ، وعلموا لذلك بأنها « أنصح اللغات العربية وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتها » .

ومع ذلك ففي ظني أن هذه النظرية العربية القديمة — على دقتها وقربها من الحقيقة — في حاجة إلى شيء من التعديل حتى تكون أدق تعبيراً عن الواقع اللغوي الذي تمثله نصوص الشعر الجاهلي في هذه المرحلة من تاريخ العربية، وأهم من ذلك الذي تمثله لغة القرآن الكريم . فليست هذه العربية الفصحى — في رأبي — هي لغة قريش خالصة من أي تأثير لهجي آخر، ولكنها لغة قريش بعد أن استوعبت بعض الظواهر اللغوية من لهجات القبائل الأخرى . وأخضعتها لعملية تنقية لغوية ضخمة ذابت فيها الفروق اللهجية الموجودة في لهجات هذه القبائل ، وخضعت جميعها لمقاييس الفصاحة القرشية التي كانت المثل الأعلى للفصاحة العربية في هذا العصر . وهو ما يشير إليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين يتحدث عن فصاحته ويفتخر بأنها ميراث من قريش « أنا أفصح العرب بيّد أني من قريش » . وقد نجد تأكيداً لهذا التعديل في النظرية القديمة فيما يقرره العلماء من أن في القرآن خمسين لغة من لغات القبائل العربية .

ولم تكن هذه العملية اللغوية الضخمة إلا نتيجة طبيعية لمجموعة من الظروف الدينية والسياسية والاقتصادية أتاحت لمكة الفرصة لتقوم بدورها البطولي في تاريخ الجزيرة العربية مما هيا للغة أن تصبح هي هذه اللغة الأدبية الموحدة .

كانت مكة — منذ أن رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل — المركز الديني الأول في الجزيرة العربية ، سواء في عصر الحنيفية التي دعا إليها النبيان الكريمان أو في عصر الوثنية منذ أن حمل إليها عمرو بن لُحَي كاهن خزاعة الأصنام لينصبها في الكعبة ومن حولها . وعلى امتداد هذا التاريخ الطويل ظلت مكة مهوى أفئدة العرب من شتى أرجاء الجزيرة ، وظلت مركز الإشعاع الديني عند كل القبائل العربية الشمالية والجنوبية على السواء . وزاد من ارتفاع هذه المكانة

ما كان من عجز أبرهة قائد الجيش الحبشي عن دخولها في عام الفيل فيما بين سنتي ٥٧٠ ، ٥٧١ في أيام عبد المطلب ، وارتداده دونها مع فلول جيشه بعد أن تعرضت حملته لظروف قاسية بددت جيشه وجعلته - كما يقول القرآن الكريم - « كعصفٍ ما كول » . ومنذ هذا التاريخ أثبت البيت الحرام أن له ربا يحميه ، فارتفع شأن مكة ، وزادت قداستها في نفوس العرب الذين اتخذوا من هذه الغزوة معلما في تاريخهم يؤرخون به ، وأصبحت هي المدينة الأولى في جزيرتهم التي تتركز في أيديها مقاليد الدين والسياسة ، والرمز الخالد لحرية الجزيرة واستقلالها وقدرتها على الوقوف في وجه الغزاة الطامعين فيها .

ونتيجة لوقوع مكة - جغرافيا - في منتصف الطريق التجاري بين الشام واليمن ، وفي نهاية الطريق التجاري القادم من الحيرة ، مما أتاح لها وضعاً اقتصادياً متميزاً تحولت معه إلى المدينة التجارية الأولى في الجزيرة كلها ، ونتيجة لظهور طبقة من كبار التجار من أصحاب الملايين فيها يتحكمون في اقتصاد الجزيرة كلها ، ويمسكون في أيديهم بأزمة الحياة الاقتصادية فيها ، قامت حول مكة مجموعة من الأسواق تلتقي عندها القوافل التجارية ، ويتجمع فيها تجار الجزيرة من شتى القبائل ، وبخاصة في مواسم الحج حيث تفسد القبائل من شتى الأرجاء لأداء الشعائر الدينية لأصنامها المنصوبة في الكعبة أو حولها . وفي هذه الأسواق كانت تتم عملية تبادل لغوى ضخمة ، وبخاصة في سوق عكاظ التي كانت تحول في مواسم الحج إلى مهرجان أدبي كبير يشبه مهرجانات الإغريق في أعياد آلهتهم ، يتبارى فيه شعراء القبائل وخطباؤها ، ويجلس فيه حكام من كبار الشعراء ليحكموا بين المتبارين ويقوموا بإنتاجهم الأدبي ، مما أتاح الفرصة وهيا الظروف للتقريب بين لهجات القبائل وظهور هذه اللغة الأدبية الموحدة .

وزاد من تعلق العرب بمسكة ، وارتباطهم الروحي بها ، ما كانوا يرونه من تغافل المسيحية واليهودية في بعض المناطق من جزيرتهم . وهو تغافل كانت القبائل العربية تنظر إليه في شيء من الريبة لأنه يأتي من قبيل عناصر أجنبية غريبة عنهم ، فارتبطت هاتان الديانتان في أذهانهم بأفكار سياسية ، وكأنما استشعروا وراءهما محاولات للتغلغل السياسي ، ومدّ النفوذ الأجنبي الذي كان يحيط بهم من الشرق حيث النفوذ الفارسي في الحيرة ، ومن الشمال حيث النفوذ البيزنطي في الشام ، ومن الجنوب حيث النفوذ الحبشي في اليمن . ومن هنا كان فزعهم إلى المنطقة الغربية التي ظلت بمنأى عن هذا النفوذ الأجنبي ، حيث مكة حامية الوثنية التي كانوا ينظرون إليها على أنها دياتهم المحمية التي تفتحت عليها هيونهم كما تفتحت عليها من قبل عيون بائهم وأجدادهم الأولين .

وهكذا أتيح لمكة منذ أواخر القرن الخامس أسباب متعددة أتاحت لها أن تحتل مكان الصدارة في المجتمع الجاهلي ؛ وهيأت للغتها أن تصبح اللغة الأدبية الموحدة التي فرضت نفسها على المجتمع الأدبي في الشمال ، ومدت نفوذها إلى مجتمع الجنوب ، فاتخذها الشعراء من شتى القبائل وفي مختلف أرجاء الجزيرة لغة لشعرهم متسامين بها على لهجاتهم المحلية التي ظلوا يتكلمون بها في حياتهم العامة في قبائلهم ، وكأنما عرفت الجزيرة العربية في هذه المرحلة من تاريخها ظاهرة « ازدواج لغوي » ، فالشعراء يتكلمون في مجتمعاتهم القبلية ولهجاتهم المحلية ، ولكنهم يصطنعون في المجتمع الأدبي لغة أخرى ، هي هذه اللغة الأدبية الموحدة ، أو هذه العربية الفصحى التي كان ظهورها إلهاماً لنزول القرآن الكريم بها . ولعل في ذلك ما يجعل نظرية الانتقال في الشعر الجاهلي التي بالغ فيها بعض الباحثين اعتماداً على أنه لا يمثل لهجات القبائل تتراجع إلى وضعها الصحيح .

فالشعر الجاهلي — وبخاصة عند الشعراء الكبار الذين استقطبوا من حولهم الحياة الأدبية — لم تظهر فيه لهجات القبائل لأنه نظم في هذه اللغة الأدبية الموحدة التي اختفت منها هذه اللهجات .

### ( ٣ )

ظهر الشعر العربي أول ما ظهر في صورته الناضجة المكتملة في القرن الخامس الميلادي في عصر البسوس عند تلك الطلائع المبدعة من شعراء هذه الحرب . ومضت القصيدة العربية بعد ذلك في تطورها الفنى ، وشهد القرنان الخامس والسادس حركة تطور وازدهار ضخمة نهض بها كبار الشعراء الذين ظهوروا في فترة ما بين هذه الحرب وحرب داحس والغبراء من أمثال امرئ القيس وعلقمة وعبيد وطرفة والمرقشين الأكبر والأصغر الذين عملوا على إرساء البناء الفنى الثابت للقصيدة العربية ، وتأصيل قواعدها وتقاليدها ومقوماتها الفنية ، وأخذت هذه القصيدة على أيديهم صورتها التقليدية التي استقرت عليها على امتداد العصر الكلاسيكي في تاريخ الشعر العربي ، فهم الذين أعطوها شكلها الفنى كما أعطوها مضمونها الموضوعى : فهي تبدأ عادة بمقدمة أكثر ما تكون طلبية ، يصف فيها الشاعر الأطلال وصاحبة الأطلال ، ويستعيد ذكرياته فيها ، ويصور مشاعر الحب والوفاء التي يحملها لها في قلبه ، ويسجل أحزانه ولوعته التي خلفتها له بعد رحيلها ، ويرسم صورا صادقة لوحشة هذه الأطلال بعد أن كانت عامرة بأهلها . ثم يخرج من ذلك إلى وصف رحلته أو رحلة صاحبه في أعماق الصحراء لتسليه همومه أو لانتقال صاحبه إلى منطقة جديدة تتوافر فيها فرص الحياة ، متخذاً من وصف الناقة جسراً يعبر عليه من شاطئ الحب إلى شاطئ الصحراء ، ثم يقف أمام



الصحراء الفسيحة المترامية إلى ما لانهاية يرسم صورا أخاذة لمناظرها الطبيعية ومياهها الآجنة وحيوانها الشارد في أفاقها البعيدة وما يدور من صراع بينه وبين الصيادين الخارجين في طلبه من أجل العيش والحياة وإطعام الصغار الجائعين الذين خلفهم وراءهم مع أنهم ينتظرون عودته بما يرد عنهم جوعهم ، أو من أجل اللهو والمتعة والتسلية وإطعام الرفاق الخارجين لترجية أوقات الفراغ في الصيد والطرود . حتى إذا ما قضى حقوق الصحراء مضى إلى موضوع قصيدته الأساسية فوفاء حقه من القول ، وبه ينتخم قصيدته ، وفي بعض الأحيان يسترسل في طائفة من الحكم يسجل فيها خلاصة تجاربه في الحياة ، وينتخم بها قصيدته .

هذه هي الصورة العامة التي رسم خطوطها العريضة شعراء هذه المرحلة الكبار والتي استقرت عليها القصيدة العربية على امتداد فترة طويلة من حياتها ، وبخاصة القصائد الطوال التي يفرغ الشاعر لها ويوفر لها جهده الفنى حتى يحقق لها المقومات والتقاليد الأصيلة التي اصطلاح عليها الشعراء في هذا العصر . وبطبيعة الحال لم تكن هذه الصورة منهجا ملتما عند كل الشعراء ، فقد اختلفت مواقفهم منها من حيث التزامها أو التحال منها أو التغيير فيها تبعا لاختلاف شخصياتهم ومواهبهم وموضوعات قصائدهم . كما اختلفت أيضا صور المقدمات التي اصطلاح هؤلاء الشعراء على أن تبدأ القصيدة العربية بها ، فإلى جانب مقدمات الأطلال ظهرت مقدمات غزلية يصف فيها الشاعر صاحبتة ، ويتغنى بها ، ويصور حبه لها وشوقه إليها وحنينه إلى الذكريات السعيدة التي عاشها معها . وظهرت مقدمات الظعن التي يصف الشاعر فيها رحلة صاحبتة في انتقالها مع أهلها إلى موطنهم الجديد ، وما تركته وراءها من أحزان وأشواق للعاشق الذي يرقب القافلة الراحلة من خلال دموعه وحسراته . وظهرت مقدمات تتحدث عن الشيب وتتحسر

على الشباب الضائع . وظهرت مقدمات تصف زيارة طيف الحبيبة لصباحها في أحلامه لتعيده إلى ماضيه البعيد ، وتجدد ذكرياته التي طوتها أيام الفراق . وظهرت مقدمات يتغنى فيها الشاعر بفروسيته ومروءته ومغامراته في الحياة ليقدمها قرايين حب ووفاء لصاحبه التي يعيش لها ويعمل من أجل سعادتها . وظهرت أيضا مقدمات تصف الخمر ومجالسها وساقياتها الجميلات .

### ( ٤ )

نشأ الشعر الجاهلي ونما وازدهر في ظل حياة قبلية قائمة على أساس « عقد اجتماعي » ينظم العلاقات بين أفراد القبيلة الذين كان عليهم أن يلتزموا به التزاما دقيقا . وقد عرف هذا العقد في تاريخ المجتمع العربي القديم بالعصبية التي كان تعنى التضامن التام بين الفرد والجماعة في الحقوق والواجبات ، انطلاقا من إيمان القبيلة بوحدة الدم التي تجمع بين أفرادها جميعا ، فلم تكن القبيلة التي كانت وحدة المجتمع الجاهلي سوى أسرة كبيرة تضم أجيالا متعاقبة تنتهى جميعها إلى أب واحد منه تفرعت بطونها وعشاؤها ، ويجرى في عروقها دم مشترك توارثته أجيالها عن هذا الأب الذي يرجع إليه أصل القبيلة . وفي ظل هذه العصبية تعارفت القبائل على مجموعة من التقاليد تشكل « دستورا » عرفيا ينظم العلاقات بين أفرادها ، أساسه هذا « العقد الاجتماعي » الذي يفرض على كل فرد أن يكون مسئولاً عن قبيلته ، كما يفرض على القبيلة أن تكون مسئولة عن كل فرد من أفرادها . فأنباء القبيلة جميعا متضامنون تضامنا اجتماعيا أمام كل مشكلة تعترض أحدهم ، يعصبونها برأس سيدهم ، ويتركون له حرية التصرف فيها في نطاق هذا الدستور القبلي بما يحفظ وحدتها الاجتماعية . وهو تضامن عبر عنه المثل

العربي القديم « في الحرية تشترك العشيرة » ، كما عبر عنه قولهم « انصر أخاك ظالماً أو مظلوما » ، وصوره في صورة واضحة محددة الشاعر دُرَيْد بن الصَّمَّة في بيته المشهور :

وهل أنا إلا من غَيْرِيَّة ، إن غَوْتُ      غَوَيْتُ ، وإن تَرُشِدْ غَيْرِيَّةُ أُرْشِدِ

ولم يكن الشعراء إلا أفراداً من هذا المجتمع القبلي الذي يؤمن بهذا العقد ، عليهم أن يلتزموا به ، وأن يمارسوا حياتهم وفقاً لتقاليده وأعرافه ، شأنهم في ذلك شأن سائر أفراد مجتمعاتهم ، ولكن عليهم — فوق ذلك — أن يقفوا عليه فهم ، وأن يكونوا دائماً « مجندين تحت السلاح » في خدمته ، يؤدون « ضريبة الدفاع » عن القبيلة إشادة بأجادها ، وإذاعة لمفانحها ، ودفاعاً عن كرامتها وشرفها ، وذوداً عن حماها وحرمتها ، ثم خطاً من شأن أهدافها ، وهجاء لهم ينشر مخازيهم في المحافل وبين القبائل . وكان من نتيجة ذلك أن قام بين الشاعر وقبيلته « عقد فني » يفرض عليه ألا يتحدث عن نفسه في شعره إلا بقدر محدود وفي نطاق ضيق ، ليفرغ لقبيلته ، يتحدث باسمها ، ويجعل من شعره سجلاً لحياتها ، ومن لسانه لساناً لها ، يعبر عن آرائها وآلامها ، ويسجل الخطوط العامة لسياستها ، ويعلن على الملأ أهدافها وغاياتها . وفي مقابل ذلك تمنحه القبيلة لقب « شاعرها » . فتتحمس لشعره ، وتتعصب له ، وتحرص على حفظه وروايته وإذاعته في كل مقام . ومن هنا كانت منزلة الشاعر في قبيلته منزلة رفيعة لا تقل عن منزلة الفارس فيها ، فسكلاهما « جندي عامل » في جيشها ، يشارك في الهجوم والدفاع في ساحات القتال ، « ومجنّد تحت السلاح » في أوقات السلام ، وقديماً قال شاعرهم : « وجرّح اللسان بجرّح اليد » . ولذلك كان من أرفع ألقاب التمجيد ، وأسمى أوسمة الشرف ، التي تمنحها القبيلة لأحد أبنائها أن تجلّع عليه لقب « شاعر

فارس» ، لأنه بهذا يكون قد جمع أهم مهتمين تحتاج إليهما القبيلة من أبنائها . وكانت النتيجة الفنية لهذا « العقد الفنى » أن ظهرت تلك الطائفة من الشعراء الذين أطلق عليهم « شعراء القبائل » ، والذين كانوا يشكلون الغالبية المطلقة من شعراء العصر الجاهلي . وقد طبع هؤلاء الشعراء شعر هذا العصر بطابع قبلى يميزه من الشعر العربى فى سائر عصوره ويختلف بيئاته بعد ذلك ، اختفت منه النزعة الذاتية لتحل محلها النزعة الجماعية ، وذابت منه الشخصية الفردية لتظهر بدلا منها الشخصية القبلية . وظهر ضمير الجماعة « نحن » مكان ضمير الفرد « أنا » ، وأصبحت الألوان التى يرسم بها الشاعر لوحاته الفنية مشنقة من حياة قبيلته لا من حياته الشخصية ، وصارت « صناديق أصباغه » مستعارة من قبيلته وليست صادرة عن نفسه ، وأصبحت « ريشته » التى يلون بها لوحاته ملكا للقبيلة كلها وليست ملكا له وحده . ولعل هذا هو الذى كان يجعل القبيلة — إذا نبغ فيها شاعر — تعيش عيدا من أعيادها أو عرسا من أعراسها ، فتمد الولائم ، وتقدم الأطعمة ، وتقام حفلات الغناء والرقص والموسيقى ، وتجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، ويتبادل أفراد القبيلة التهئة ، وتفد عليهم وفود القبائل تهنئهم وتشاركهم فرحتهم . وقديما قال النقاد العرب إن القبيلة لم تكن تعمها الفرحة إلا فى ثلاث مناسبات : إذا ولد فيها غلام ، أو نُجِجت فيها فرس ، أو نبغ فيها شاعر . وذلك لأن الثلاثة يمثلون « الثالوث المقدس » الذى تقوم عليه حياتها : بطلها المشطر ، وفارسها المنشود ، ووسيلة إعلامها .

عاش « شاعر القبيلة » فى ظلال قبيلته ، يدور فى فلكها ، ويسير فى ركابها ، ويشد فنه إلى عجلتها ، ويربطه بأحداثها : يدافع عنها ويمجسها للقتال إذا ما دعا داعى الحرب ، ويسجل انتصاراتها إذا انتصرت ، ويهون عليها الهزيمة ويهينها

لمعركة النار إذا انهزمت ، ويرثى قتلها ، ويمجد أبطالها ، ويهجو أعداءها ، ويعيرهم الهزيمة إذا هزموا ، ويهددهم ويتوعددهم إذا انتصروا . وهو حين يفتخر بفتخر بها ، وحين يهجو يهجو أعداءها ، وحين يمدح يمدح سادتها أو سادة القبائل التي وقفت معها وانتصرت لها . وهو — في أثناء ذلك — ينسى نفسه ولا يفكر في أن يصدر عنها ، فكل همه أن تكون قبيلته أمامه دائما يصدر عنها ، ويشق معانيه منها ، حتى عندما تقتضيه مجالات القول أن يفرغ لنفسه في شعره ، فإنه يظل دائما دائرا في فلك القبيلة ، لا يكاد يفرد قصيدة خالصة لتصوير عاطفة من عواطفه الشخصية ، أو نزعة من نزعاته الفردية ، ولكنه يذكر ذلك — إذا ذكره — في أثناء حديثه عن قبيلته ، فهو يتغزل في مستهل قصائده القبلية ، ويذكر لهوه بالمرأة وشربه الخمر ومقامرته في أثناء نغره بشجاعته وفروسيته ومروءته التي يضعها كلها في خدمة قبيلته . وهو يصف ناقته أو فرسه أو ما يراه في رحلاته من حيوان الصحراء أو من مشاهداتها الطبيعية في أثناء الحديث عن قبيلته ، وهو إذا ذكر رأيا له في الحياة أو الموت ، أو سجل حكمة أو تجربة استخلصها من مجارب حياته ، ذكر ذلك عرضا أو في نهاية قصيدته بعد أن يفرغ من الوفاء بحقوق القبيلة عليه . ولعل هذا هو الذي جعل النقاد العرب يقولون بحق إن الشعر « ديوان العرب » ، لأنه — في الحقيقة — سجل تأوينهم للسياسي والاجتماعي ، ولذلك يعد مصدرا تاريخيا كبير الأهمية اعتمد عليه المؤرخون العرب في جمع مادتهم التاريخية .

ولعل أشهر مثل لهذه النزعة القبلية معلقة عمرو بن كلثوم شاعر تغلب ، فهو يستهلها بمقدمة ذاتية يختلط فيها الغزل بحديث الخمر ، ولكنه سرعان ما يدير وجهه عن صاحبته ونمراها ليتحدث عن قومه حديثا ينسى فيه نفسه نسيانا تاما ، حتى ليخفى

من أبياتها التي تقترب من المأساة ضمير المتكلم المفرد ، فلا يظهر إلا في شطر واحد من أحد أبياتها ، ليسيطر عليها كلها ضمير الجماعة . وهو في حديثه عن قبيلته يبالغ في تمجيدها مبالغة شديدة تصل به أحيانا إلى حد الإحالة ، حين يجعل الدنيا ومن عليها ملكا لهم ، ويجعل الجبابة العتاة يخرون سجدا لرضيعهم إذا بلغ الفطام ، ويجعل البر والبحر يضيقان برجالهم وسفنهم . ولعل ذلك هو الذي جعل قبيلته تفتن بها فتنة شديدة دفعت شاعرا من خصومها إلى السخرية منها :

أَهْمَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَسْكُومَةٍ      قَصِيدَةً قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْشُومٍ

### ( ٥ )

ولكن هذا الصوت القبلي — على ارتفاعه وضجيجه ودويّه — لم يكن الصوت الوحيد الذي علا في الساحة الفنية ، ولم يكن « العقد الفنى » ملزما — على إطلاقه — لكل الشعراء على طول الطريق الذى سلكوه في حياتهم الفنية ، وإنما كان هناك « صوت ذاتى » يتردد من حين إلى حين فى زحمة هذه الالتزامات القبلية ، يعزفه حتى شعراء القبائل أحيانا على قيثارتهم الخاصة بهم ، يعبرون به عن جوانب حياتهم الخاصة التى لا تشاركهم فيها قبائلهم ، ويتغنون فيه بمشاعرهم وعواطفهم الذاتية التى تنطوى عليها نفوسهم بعيدا عن دنيا القبيلة ، وما تفرضه عليهم من التزامات ، وما تلزمهم به من واجبات ، وما تقضى عليهم من أن يكونوا « وسائل إعلام » لها . وكأنما آمنت هذه الطائفة من « الشعراء الذاتيين » بأن « الفن للفن » لا لخدمة مجتمع القبيلة ، وأن شعراءهم ملك لهم لا تشاركهم فيه قبائلهم ، وأن ريشتهم التى يرسمون بها لوحاتهم خاصة بهم وحدهم ، وليست شركة بينهم وبين القبيلة ، وأن العقد الاجتماعى بينهم وبين قبائلهم يجب

ألا يتعدى حدوده الاجتماعية والسياسية، أما الدائرة الفنية فإنها حى لهم، وليست حى مستباحا للجميع، أو — على الأقل — من حق الشاعر — حتى لو كان شاعرا قريبا — أن يفرغ لنفسه من حين إلى حين ليعبر عن الجانب الذاتى فى حياته .

ولعل أشهر الأمثلة لهذا « الصوت الذاتى » معلقة امرئ القيس ومعلقة طرفة، فكلتا المعلقين تعبير صادق عن الشخصية الفردية بعيدا عن ذلك « العقد الفنى » وما يفرضه من التزامات على شعراء القبائل .

وتمثل معلقة امرئ القيس شخصية شاب أرمستقراطى مترف تتحصر متعته فى الحياة فى شيئين: الحب والصيد . والحب عنده يدفعه إلى المرأة العشيقة أكثر مما يدفعه إلى محبوبة يخلص لها، بل — فى الحقيقة — يدفعه إلى المرأة العاشقة التى تعشقه وتسعى إليه، فأكبر همه فى الحياة أن يكون معشوقا بل مدلا من المرأة. تستجيب له ولا تستعصى عليه، وتهنف باسمه الذى يحلو لها أن تردده فى كل مناسبة تعبيرا عما يملأ نفسها من إعجاب وفطنة وشغف به . وأما الصيد فيدفعه إلى الإعجاب بجواده وسيلة هذه المتعة، وإلى الفتنة بالطبيعة التى يمارس هوايته. هذه فى أحضانها. وهو فى معلقته مقبل على الحياة إقبال المحب لها المطمن إليها، وهو يبدو من خلالها متفائلا شديد التفاؤل، فلا قلق ولا شكوك ولا تشاؤم. ولا يأس من الحياة ولا هموم تنغص عليه إحساسه بها، وأقصى ما يشغله فيها ويدفعه إلى الشكوى منها أن تصد عنه إحدى صاحباته أو تزعج هجره، ولكن هذه الشكوى سرعان ما تختفى خلف حشد من الذكريات الممتعة السعيدة، فان صدت واحدة أو أزعجت هجره أخرى فهناك كثيرات غيرهما فى « قائمة الانتظار » .

وأما معلقة طرفة فإنها تعكس شخصية أخرى مختلفة ، شخصية شاب قلق في حياته ، متشائم منها ، شاك فيها وفي المصير الذي ينتظره بعدها ، يدفعه قلقه وتشاؤمه وشككه لا إلى رفض الحياة والزهد فيها ، ولكن إلى التمسك بها والإقبال عليها ، ليستمتع بكل ما يستطيع أن يستمتع به قبل أن يدركه المصير المحتوم الذي لا يعلم عما وراءه شيئا . إن الحياة تقرأى له فرصه لإثبات ذاته وتحقيق وجوده ، ولكنها فرصة قصيرة محدودة يقف الموت على أبوابها قدرا مقدورا لا يستطيع أحد دفعه ، وإذن فالذي يجعله يترك هذه الفرصة تفلت من بين يديه ، وهو لا يعلم شيئا يقينيا عما ينتظره بعدها ؟ إنه لا يرى إلا حقيقة واحدة ، الموت الذي يأتي على غير انتظار ، وعلى غير موعد ، خبط عشواء لا يفرق بين من يستمتع بحياته ومن لا يستمتع بها ، والكل في النهاية سواء . وفي أعماق هذا القلق وهذا الإحساس بالضياع كان أشد ما يحرص عليه في حياته ثلاث متع لا يبالي بعدها متى يدركه هذا المصير ، ولا إلى أين ينتهي به : الخمر والفتوة والمرأة . وهو — إلى جانب ذلك — معتد بفرديته إلى أبعد حد ، ضيق الصدر بقيلته ، يشكو فقره وعجزه عن مساواتهم في الغنى ، ولكنه — مع ذلك — يملك كبرا لا يفنى من الفتوة والنجدة والمروءة .

ولم يكن هذا الصوت الذاتي وقفا على هؤلاء الشعراء الذين آمنوا بفرديتهم فحسب ، وإنما كان يظهر أيضا عند شعراء القبائل . وأكثر ما يظهر عندهم في مقدمات قصائدهم القبلية على اختلاف صور هذه المقدمات . ففي المقدمات المختلفة التي عرفها الشعر الجاهلي يتردد هذا الصوت الذاتي معلنا عن شخصية صاحبه ، معبرا عن عواطفه ومشاعره وانفعالاته الشخصية ، مسجلا جوانب حياته الخاصة وموقفه منها ، وكأنما كان الشاعر يجسد في هذه المقدمات فرصة



يستطيع أن يفرغ فيها لنفسه متخففا من زحمة الالتزامات القبلية وتبعاتها الثقيلة . ولعل في هذا ما يفسر حرص الشعراء الجاهليين على هذه المقدمات ، حتى أصبحت تقليدا ثابتا في القصيدة الجاهلية ، ولحنا مميزا للقصيدة العربية القديمة على امتداد عصورها الكلاسيكية ، فلم تكن هذه المقدمات — في حقيقة أمرها — إلا الفرصة المتاحة للشاعر الجاهلي ليفرغ فيها لذاته قبل أن تجبره التزامات « المعقد الفني » في تيارات القبلية الصاخبة .

ويظهر هذا الصوت الذاتي أيضا في وصف الرحلة وما يتصل بها من وصف الناقة والصحراء والصيد . وهو قسم في القصيدة الجاهلية يبدو شديد الارتباط بهذه المقدمات ، وكأنه الامتداد الطبيعي لها . ففي هذه الرحلة يجد الشاعر نفسه بعيدا عن القبيلة والتزاماتها ، فينطلق بعيدا عن عالمها الضيق المحدود ليعيش حياته الخاصة التي يمارس فيها هوايته ومتعه في الصيد واللهو والفروسية التي كان قتيان العرب يشغلون بها أوقات فراغهم في حياتهم المتشابهة الرتيبة في الفترات القصيرة التي ترفوف فيها رايات السلام على قبائلهم من بين غبار الأيام الدامية الذي لم يكن ينقشع حتى يثور من جديد ، أو ينطلق بعيدا في أرجاء الصحراء المترامية لينفض فوق رمالها همومه وأحزانه ، وينسى في فضائها اللامتناهى مشكلات حياته بما يراه من مناظرها الطبيعية ، وما يشهده من صراع حول الحياة بين حيوانها الوحشي الشارد في أعماقها والصيادين الفقراء الذين احترقوا الصيد من أجل توفير حاجات الحياة ومطالب العيش لهم ولأولادهم الجياع الذين خلقوهم وراءهم ينتظرون عودتهم .

ولكن الحقيقة أن هذا الصوت الذاتي لم يظهر في الشعر الجاهلي في أقوى صوره إلا عند طائفتين من الشعراء : الشعراء المتيمنين والشعراء الصعاليك ،

وعند الطائفة الثانية ارتفع هذا الصوت إلى أعلى درجاته وأشدّها قوة وإعلاناً عن نفسه .

والمتبحرون طائفة من الشعراء العشاق يمثلون هاتجا عفيفا في حجم يدور في إطار يتشابه إلى حد بعيد بالإطار العام الذي دار فيه العذريون الأمويون . وقد أطلق الرواة عليهم هذا الوصف تمييزاً لهم من سائر الشعراء العشاق الذين يمثلون اتجاهات أخرى في الشعر العربي ، وربطوا بين كل متيم منهم ومحبوبة له عرف بها ، وأخلص لها ، وعاش حياته راها في محرابها ، موحداً بحبها لا يشرك به حبا آخر : المرقش الأكبر وأسماء ، والمرقش الأصغر وفاطمة ، والنخيل وميلاء ، وعبد الله بن العجلان وهند ، ومالك بن النعمان وجنوب ، وقيس بن الحداية ونعم ، وعبد الله بن علقمة وحبيشة ، وعمرو بن كعب وعقيلة ، ثم أبعدهم صيتاً وأشهرهم ذكراً عنتر وعبله .

والصورة العامة لهذا الحب توشك أن تكون هي نفسها الصورة العامة للحب العذري ، لا تكاد تختلف بين عاشقين وعاشقين إلا في التفاصيل : شاب يحب فتاة ، أكثر ما تكون ابنة عم له ، وأحياناً تكون من غير قبيلته ، ثم يطلب يدها من أهلها فتقف عقبة من العقبات في طريقه ، وقد يتحقق أمله فيتزوجها ثم تجد عقبات تفرق بينهما ، فيعيش بقية حياته وقد سيطر عليه خيال محبوبته سيطرة لا يملك معها خلاصاً أو فكاً ، واستبد به وهم لا يقف على أرض من الواقع ، وأمل لا أمل في تحقيقه ، وحنين جارف يملأ قلبه أرجاء قلبه ، وأحزان طاحنة تنوء بها نفسه . ووسط هذا الخضم المتلاطم من أمواج الأمل واليأس يحيا العاشق وكأنه ضائع في هذه الحياة ، أو كأنه في حلم عميق مسيطر على مشاعره لا يريد أن يصحو منه ، وفيا لحبه الضائع ، متشبهاً بحبوبته التي أثبتت الحياة أن تحقق أمله

فيها . ثم تكون النهاية مأساة حزينة في أكثر الأحيان ، نرى العاشق فيها مشردا في الصحراء وقد اضطربت أعصابه واختلط عقله ، أو معتلا مدنفا أضناه الوجد وأسقمه الحنين . وفي بعض الأحيان تكون النهاية تجلدا من العاشق للصدمة التي تلقاها ، وتماسكا لنفسه بعد ضياع الأمل من بين يديه ، وذكريات بعيدة تعيش في أعماقه حيننا وحزنا ولوعة ودموعا وحسرات ، وأيضا وفاء وإخلاصا للماضي الذي ولى إلى غير عودة ، حتى يسدل الأجل الماكثوب ستار الختام على المأساة الحزينة الباكية .

في شعر هؤلاء المتيمين يرتفع الصوت الذاتي إلى درجة عالية . وعلى قلة ما وصل إلينا من شعرهم فإنه يعرض — في صدق وأمانة — أبعاد المأساة التي عاشها أصحابه ، وما تنطوى عليه من صراع بين الواقع والمثال ، أو بين الوهم والحقيقة ، ذلك الصراع الحاد العنيف الذي يقف فيه كل عاشق منهم في دوامة من الحيرة والضيق عاجزا أمام سهام الحب التي تنال عليه من كل جانب وهو لا يملك لها دفعا ولا ردا إلا ما يتفجر على لسانه من شكوى حزينة ، واستسلام يائس ، وذكريات تعيش في أعماقه نابضة بالحياة ، وحنين إليها يملأ عليه أقطار نفسه بالحسرة والأمل ، ويملاء جننيات صدره بالزفرات الحارة التي يتنفسها دموعا وعبرات . وقد استطاع هؤلاء المتيمون أن يسجلوا في شعرهم صورة معبرة عن كل ما تموج به نفوسهم من مشاعر وعواطف وانفعالات في عالمهم الخاص بهم الذي صنعوه لأنفسهم بعيدا عن أرض الواقع التي تمارس عليها قبائلهم حياتها ، والتي كانت تشد إليها شعراءها بخيوط متينة أحكم فتاتها ذلك العقد الفنى القائم بينها وبينهم . ومن هنا اختفى من شعرهم ذلك الصوت القبلي ، واختفت معه صورة القبيلة ، ليظهر فيه صوتهم الذاتي ، وتظهر معه صورتهم الخاصة . ونتيجة لذلك اختفى من كثير من قصائدهم

ذلك التعدد الموضوعي الذي كان سمة مميزة للقصيدة الجاهلية، وبدت طائفة منها كأنما خلصت للحب ولا شيء غير الحب .

على أن أقوى درجة ارتفع إليها هذا الصوت الذاتي إنما ظهرت عند الشعراء الصعاليك . والصعاليك جماعات من فقراء القبائل الأشداء ضاقت بهم سبل العيش في ظلال قبائلهم لاختلال الأوضاع الاقتصادية فيها ، فتمردوا عليها ، وكفروا بها ، ورفضوا تنفيذ العقد الاجتماعي بينهم وبينها ، وانطلقوا إلى الصحراء يشقون طريقهم في الحياة بقوتهم ، يهبون ويسلبون ، ويقطعون الطرق على القوافل التجارية التي تسيل بها شعاب الصحراء ، ويغيرون على الأغنياء المترفين وخاصة البخلاء منهم ، ولا يتورعون عن قتل من يعترض طريقهم ، ثم يوزعون ما يغنمون به بينهم وبين المستضعفين من الفقراء الذين يعجزون عن مشاركتهم حركتهم المتمردة ، لا من أبناء قبائلهم وحدها ، ولكن من شتى القبائل ، خارجين بذلك على قانون « العصبية القبلية » الذي يفرض عليهم العمل من أجل قبائلهم وحدها .

وانضمت إلى هؤلاء الفقراء المتمردين جماعات من خلعاء القبائل وشذاذها الذين خلعتهم قبائلهم وطردتهم من حماها ، ورفعت عنهم حمايتها ، وبسجت منهم « الجفسيّة القبلية » ، وفسخت العقد الاجتماعي بينها وبينهم ، فأصبحت غير مسئولة عنهم ولا سائلة أيضا ، لا تعترف بانتمائهم إليها ، ولا تنتصر لهم ، ولا تتحمل تبعات تصرفاتهم الفردية ، لأنهم شذوا على إجماعها ، ومثلوا انفصالية فردية في مجتمعها المتضامن في حقوقه وواجباته . ومع الفقراء المتمردين انطلقوا في أرجاء الصحراء « خارجين على القانون » ، هاربين من وجه العدالة ، في محاولة عنيفة لفرض أنفسهم وإثبات وجودهم في مجتمع رفضهم وتحسّل عنهم وقطع بما بينه وبينهم .

وإلى هؤلاء وهؤلاء انضمت جماعات أخرى من العبيد السود ومن المهجناء الذين يرجعون إلى آباء من العرب وأمهات من الإماء، أو — كما كان مجتمعهم يطلق عليهم — «الأغربة» الذين سرى إليهم السود من أمهاتهم. وهى جماعات كانت تمثل طبقة مضطهدة من طبقات المجتمع الجاهل تعيش على هامشه حياة ذليلة مهينة سلبت كل حقوقها، وفرضت عليها أكثر مما تطبق من واجبات، تعاني من عنصرية متعالية متعصبة للجنس الأبيض الذى يحرق الدم العربى فى عروقه خالصا من كلا طرفيه : الآباء والأمهات ، تعصبا أهدرت معه كل حقوق الإنسان وما تعرض عليه من قيم إنسانية وعدالة اجتماعية ، فانطلقوا إلى الصحراء فرارا بإنسانيتهم التى أهدرتها الأرستقراطية العربية ، ليجدوا فى آفاقها المثراية التى لا تحدها حدود ، ولا تقيدتها قيود ، مجالا رحبا حرا يحزرون فيه أنفسهم من العبودية التى فرضت عليهم ، ويحطمون من فوق رقابهم ومن حول أيديهم وأرجلهم نيران الرق وأغلاله وقيوده ، ويحاولون أن يحققوا وجودهم الضائع ، ويمارسوا حقهم فى حياة حرة كريمة ، وأيضا ليأخذوا بثأرهم من المجتمع الذى أنكر عليهم هذا الحق الطبعى ، وكأنها حركة مبكرة لتحرير العبيد .

انطلقت هذه الجماعات المتمردة من الفقراء والمخارجين على القانون و «الفهود السود» إلى الصحراء التى لا ترد لاجئا إليها ولا محتما بها ، وقد جمع بينهم الفقر والتشرد والتمرد على النظام القبلى العنصرى ، والكفر بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التى تسيطر على مجتمعاتهم القبلية، ورأوا ما يلاقيه إخوانهم مستضعفون فى الأرض من ذل وضم وهوان ، فآلوا على أنفسهم أن يثأروا لهم — كما يثأرون لأنفسهم — من مجتمع الذى ظلمهم وتنكر لهم ولم يعترف بحقوقهم ، فانثشروا فى أرجاء الصحراء كما تنتشر الذئاب الجائعة ينشرون جوا من

الفرع بين القبائل ، ويثون الرعب في نفوس مترفها ، في محاولة لإيجاد لون من التوازن الاقتصادي ، وصورة من العدالة الاجتماعية ، في مجتمع اختلف موازينه الاقتصادية ، واضطربت مفاهيمه الاجتماعية ، غير مباليين في سبيل ذلك بوسائل تحقيقها : أكانت مشروعة أم غير مشروعة ، فالحق للقوة ، والغاية تبرر الوسيلة . وهي محاولة تحولت عند طائفة منهم كالشَّنْقَرَى وتأبط شرا إلى حركة فوضوية تتحكم فيها نزعة رافضة للمجتمع ، وتوجهها شهوة عارمة للثأر والانتقام ، كما تحولت عند طائفة أخرى على رأسهم عمرو بن الورد أبو الضعاليك - كما كانوا يطلقون عليه - إلى فكرة اشتراكية - من ناحية - تشرك الفقراء في مال الأغنياء ، وتجعل لهم فيه حقا مفروضا يغتصبونه إن لم يؤد إليهم ، كما تحولت - من ناحية أخرى - إلى نزعة إنسانية تحاول تحرير العبيد من اضطهاد العنصرية القبلية التي سلبت كل حقوقهم ، وجردتهم من كل ما يحفظ عليهم إنسانيتهم .

من هؤلاء الضعاليك ظهر جماعة من الشعراء تحلوا من العقد الفني الذي كان شعراء القبائل ملتزمين به ، فاختلف من شعرهم الإحساس بالشخصية القبلية ، فلم يعد تعبيراً عنها ، وإنما أصبح تعبيراً عن شخصياتهم الفردية المبالغ في فرديتها ، المتطرفة في الإحساس بها ، وصحيفة لسوابقهم ، وسجلا لحياتهم المتمردة ، وإعلاناً لمبادئهم الاجتماعية والاقتصادية ، ولساناً معبراً عن حياة مجتمعاتهم الفوضوية الذي صنعوه لأنفسهم بكل ما ينطوي عليه من خير وشر ، وما يدور فيه من صراع رهيب بين الطبقات ، وكفاح مرير في سبيل الحياة ، وما يتردد فيه من دعوة للتخلص من العنصرية والطبقية ، وإعادة للتوازن والعدالة والإنسانية .

ولم ينس هؤلاء الشعراء عمرو بن الورد الداعية الأكبر لمذهبهم ، واللسان الناطق بأرائهم الاجتماعية والاقتصادية ، والمعبر أروع تعبير عن نزعتهم الإنسانية ،

والشَّنْفَرَى شيطانهم الرجيم ، وأقوى من صَبْر عن حياتهم المتمردة العنيفة ، وأدق من صور معركة الشَّار والانتقام المشتعلة بينهم وبين مجتمعهم ، وتأبط شرا الأسطورة الرهيبة التي عاشت في أعماق الصحراء لغزا غامضا كغموضها ، وسرا مجهولا بين أسرارها ، رفيق الوحش الشارد في آفاقها البعيدة ، وصاحب الجن والغيلان الهائمة في دياجيبها المظلمة ، المعرَّبة في لياليها الموحشة . والسُّلَيْك ابن السُّلَكَة عَدَّاهم المشهور ، صاحب الغارات البعيدة ، وواحد من فرسان أربعة معدودين كان أبطال الجاهلية وفرسانها وحماة طعائنها يخشون لقاءهم . وحاجز الأزدى « ثعلب الصحراء » السريع العدو ، الكثير الفرار ، الواسع الحيلة ، المراوغ البعيد الدهاء . وغيرهم كثيرون كعمرو بن بَرَّاقَة ، وقيس ابن الحَدَّادِيَّة ، وأبي الطَّمَحَان القَيْنِي ، ومُرَّة بن خُلَيْف ، وطائفة غير قليلة من شعراء هَذِيل التي أتاحت لها بيئتها الجبلية الوعرة ، وموقعها الجغرافي على مقربة من مكة قلب الاقتصاد الجاهلي النابض بالمال والثراء ، وعلى مشارف طريق القوافل الأساسي بين الشام واليمن حيث تسيل الشعاب بالقوافل التجارية النشطة في رحلتى الشتاء والصيف ، فيسيل لها لعاب الفقراء الأشداء من أبناء جبالها الوعرة العاتية ، وفرة من الصعاليك من أمثال الأعمى وصخر الغي وعمرو ذى الكلب وأبي خراش ، وغيرهم كثير .

وشعر الصعاليك صورة طريفة وفريدة في الشعر الجاهلي ، يختلف عنه اختلافا كبيرا مرجعه الأسامي إلى أنه صورة صادقة لحياة أصحابه ، وتعبير ذاتي عن شخصياتهم ، وانعكاس دقيق لفرديتهم المتطرفة . وهو — ببساطة — يقوم على أساس من عدم الاعتراف بالمقد الفنى القائم بين القبيلة وشعرائها ، فكما تحلل أصحابه في حياتهم من التقاليد الاجتماعية التي كان يخضع لها مجتمعهم ، تحلوا

كذلك في شعرهم من التقاليد الفنية التي كان الشعر الجاهلي يخضع لها ، تحلوا فيه من الشخصية القبلية ، وأحلوا محلها شخصياتهم الفردية ، وأصبح ضمير الفرد « أنا » أداة للتعبير فيه بدلا من ضمير الجماعة « نحن » الذي كان أداة التعبير عند شعراء القبائل ، وإذا ظهر هذا الضمير عندهم فإنه لا يعبر عن مجتمع القبيلة ، وإنما يعبر عن جماعتهم . وتخلصوا أيضا من اضطراب القصيدة بين موضوعات شتى ، وأقاموا قصائدهم على أساس وحدة موضوعية دقيقة . كما تخلصوا من المقدمات الطليية ، واستبدلوا بها مقدمات فروسية محورها « حواء الخالدة » ، ولكنها ليست حواء المحبوبة المتدلة التي نعرفها عند سائر الشعراء ، وإنما هي حواء المحبة الحريصة على فارمها ، التي تدعوه إلى الحرص على حياته إن لم يكن من أجل نفسه هو فن أجلها هي . وظهر الأسلوب القصصي وسيلة أساسية للتعبير ، ومقوما أساسيا من مقومات البناء الفني لقصائدهم ، ولعلمهم بهذا من أوائل الشعراء الذين أصلوا للقصصة الشعرية في الأدب العربي ، ولفتوا أنظار الشعراء إليها .

## ( ٦ )

كانت القبيلة وحدة الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي ، وكانت القبائل تعيش في هذا العصر حياة بدوية غير مستقرة ، أسامها الحركة الدائبة المستمرة بحثا عن موارد الماء ومنايب الكلاء ، أو — بعبارة أخرى — بحثا عن فرص العيش والحياة . ومن هنا كانت الحركة هي القاعدة التي تقوم عليها حياة القبائل البدوية المنتشرة على امتداد الجزيرة العربية المترامية الأطراف . وعلى أساس هذه القاعدة المتحركة أصبحت فكرة « المدينة » أمرا خارجا عن نطاق العقلية



البدوية ، فاختفت هذه الفكرة من تصور البدوى ، وحلت محلها فكرة « الحمى » الذى كان يمثل ما نطلق عليه الآن « الحدود الدولية » التى تحدد لكل قبيلة أرضها ومنازلها ، أو « الوطن » الذى تنزل به ، وتعيش فيه وتنقل على مدار السنة بين أرجائه ، وتتولى أمر حمايته والحفاظ عليه والدفاع عنه . وفيما عدا تلك القرى القليلة المنتثرة حول عيون الماء أو على امتداد السواحل التى تطوق أرض الجزيرة ، وهى قرى استقرت بها الحياة ، وعاشت فيها القبائل حياة على حظ غير قليل من الاستقرار ، سيطرت فكرة « الحمى » على المجتمع البدوى كله ، وأصبح لكل قبيلة أو لكل تجمع قبلى حمى خاص بها تمارس حياتها داخل نطاقه متنقلة فى أرجائه التسيحية المترامية الأطراف ، فى حركة مستمرة على مدار فصول السنة ، خاضعة فى ذلك للظروف الطبيعية المختلفة ، مرتبطة بها ارتباطا مباشرا ، فإذا أجذبت الأرض وحل الجفاف رحلت ، وإذا أخضبت الأرض ونزل المطر استقرت . ومن هنا انحصرت وسائل العيش فى مجتمع البادية فى الرعى والصيد والغزو ، وشئ يسير من التجارة ، والقيام ببعض ما تحتاج إليه القوافل التجارية من أعمال كالحراسة والدلالة وحماية الطريق ، واختفت منه وسائل العيش الأخرى التى لا تظهر إلا فى المجتمعات المستقرة كالزراعة والصناعة والتجارة فى شكلها الاقتصادى المنظم الدقيق .

وأشهر القرى العربية التى استقرت فيها الحياة مدن الحجاز الثلاث المشهورة : مكة ويثرب والطائف ، وأشهرها مكة التى أطلقوا عليها بحق « أم القرى » ، والتى استمدت شهرتها من وجود الكعبة بها ، ومن وقوعها فى منتصف الطريق التجارى الأساسى بين اليمن والشام ، وأيضا من ظهور بئر زمزم الدافقة بالماء الصالح للشرب بها ، والتى لولاها لما دبت الحياة فى هذه المنطقة المقفرة المجردة التى

تحيط بها جبال الخجاز الوعرة العسيرة من كل جانب، ولظلت — كما كانت قبلها — واديا غير ذى زرع، كما وصفها أبو الأنبياء إبراهيم قبل أن تتفجر مياهها العذبة تحت أقدام هاجر وإسماعيل. وقد عمل هذا كله على أن تصبح مكة وطن العرب الروحي، ومركز الوثنية التي كانت القبائل العربية تدين بها، وأيضا مركز الحياة الاقتصادية الذي شهد أكبر نشاط تجارى عرفته الجزيرة العربية، وأكبر تجمع لأرباب المال ورؤوس الأموال عرفه العصر الجاهلي. وبهذا توافرت لمكة مقومات « المدينة »، وقامت بها شبه حكومة نظامية تمثلت في مجلس « الملأ » الذى كان ينعقد كلما دعت الحاجة في « دار الندوة » القريبة من الكعبة، والذى كان يمثل السلطة الحاكمة فيها التى تتولى إدارة شؤونها الدينية والاقتصادية والاجتماعية. وهو وضع متميز لم تشهده مدينة أخرى في الجزيرة العربية، جعل المستشرق « لامنس » يراها « جمهورية تجارية » تشبه في نظامها السياسى وحياتها الاقتصادية مدينة « البندقية » القديمة في إيطاليا. ومع ذلك هاش العرب في هذه المدن الثلاث وفي القرى العربية الأخرى المتناثرة في أرجاء الجزيرة وعلى امتداد سواحلها حياة قبلية لا تختلف عن حياة القبائل البدوية الضاربة في أعماقها إلا في استقرارها.

وإلى جانب هذه المدن والقرى قامت على أطراف الجزيرة العربية إمارتان تمثلان نظاما سياسيا متقدما، وحياة اجتماعية على قدر كبير من الحضارة : إمارة المناذرة التى قامت على الحدود الشمالية الشرقية للجزيرة في الحيرة خاضعة للنفوذ الفارسي، وإمارة الغساسنة التى قامت على الحدود الشمالية الغربية في الشام خاضعة للنفوذ البيزنطى. وغير هاتين الإمارتين قامت إمارة ثالثة في شرقي نجد، وهى إمارة كندة التى كان حُجْر أبو امرئ القيس الشاعر آخر ملوكها.

والطريف أن ملوك هذه الإمارات الثلاث كانوا من اليمنيين الذين هاجروا إلى الشمال في أعقاب انهيار الحضارة اليمنية حاملين معهم أفكارا متقدمة عن « الدولة » و « الملكية » و « نظام الحكم » مما عاشوا في ظلاله قرونا طويلة عبر تاريخ اليمن القديم .

والظاهرة الفنية التي تلفت النظر أن الشعر العربي ظهر وازدهر بين القبائل البدوية ، وبخاصة تلك القبائل التي كانت تنزل في إقليم نجد ، فقد شهد هذا الإقليم أولية هذا الشعر كما شهد تطوره وازدهاره . أما القرى العربية التي استقرت فيها الحياة فلم تشهد إلا نشاطا فنيا محدودا مثلثه قلة من الشعراء ظهوروا فيها من أمثال أمية بن أبي الصلت شاعر الطائف الكبير ، وبعض شعراء من الأوس والخزرج واليهود في يثرب ، بل إن مكة — وهي أشهر مدينة في الجزيرة العربية كلها — لم تشهد طوال العصر الجاهلي نشاطا أدبيا يلفت النظر ، فقد كانت مشغولة بسدانة الكعبة ورعاية وفود الحجيج الذين يقدون إليها في مواسم الحج ، وحماية الوثنية الجاهلية التي كانت مركزها الأسامي في العصر الجاهلي ، كما كانت غارقة إلى أذنيها في النشاط التجاري الذي كانت تمثل أهم مراكزه وأسواقه في هذا العصر . أما الإمارات فقد شهدت حقا حركات أدبية نشطة ، ولكنها كانت — في أكثر جوانبها — حركات وافدة ، إذ أتاحت لها ظروفها السياسية والحضارية أن تصبح مراكز جذب نشطة لشعراء البادية ، على نحو ما نعرف عن « البلاط الحيرى » الذى كان يعوج بشعراء البادية الوافدين عليه من أمثال النابغة الذبياني وحسان بن ثابت ، لانسئفى من ذلك إلا إمارة كندة التي كانت بحكم موقعها الجغرافى فى إقليم نجد مركزا من مراكز النشاط الشعرى فى هذا العصر ، وفيها لمع امرؤ القيس أبو الشعر الجاهلى دون منازع ، ولمع معه عبيد

ابن الأبرص شاعر بني أسد ، وداعية الثورة ضد آخر ملوكها نجسر ، ولمع معهما شعراء آخرون . ومع ذلك لا نستطيع أن نغفل أولئك الشعراء الممتازين الذين ظهوروا في هذه الإمارات ، ووجهوا الحياة الفنية فيها وجهة تختلف في بعض جوانبها اختلافا جوهريا عن الحياة الفنية في البادية ، من أمثال مدى بن زيد العبَّادى والمُنَخَّل الشكرى .

ولعل هذا التوزيع الجغرافى لمراكز النشاط الأدبى فى العصر الجاهلى بين البادية والحاضرة هو الذى لفت نظر ابن سلام ليفرد فى كتابه « طبقات فحول الشعراء » قسميا مستقلا لشعراء القرى فى مقابل شعراء البادية الفحول الذين صنعوا الحياة الفنية فى هذا العصر ، وشكّلوها وفق مقاييسهم وأصولهم الفنية ، ورسوموا لشعراء عصرهم الآخرين النماذج الفنية التى راحوا يحتذونها ويصوغون شعورهم على مثالها .

ومعنى هذا أن الشعر الجاهلى شعر بدوى قبلى ، نشأ فى أحضان البادية فى حِمَى القبائل الضاربة فيها نباتا صحراويا أصيلا غرسته هذه القبائل فى رمالها ، وعكفت عليه الطلائع المبدعة من أبنائها ترعاه ، وتمدله من أسباب الحياة ما أتاح لها طاقاتها ومواهبها الفنية ، ثم تلقته أيدي القمم الشائعة من شعرائها تحقق له هذه النهضة الرائعة التى يلاحظها كل من يتتبع حركته الخصبية التى لم تتوقف على امتداد هذا العصر .

## ( ٧ )

اكتملت القصيدة العربية فى القرن الخامس فى عصر البسوس ، حيث عكف عليها جيل الرواد الأوائل الذين خرجوا بها من عصر ما قبل التاريخ الأدبى

إلى مرحلة البداية الثابتة الیقينية ، وانتقلوا بها من عصر المقطوعة إلى عصر القصيدة . ثم راحت بعد ذلك تأخذ طريقها نحو تطور طبعي ، شأنها في ذلك شأن أى فن من الفنون ، وظهر جيل من الشعراء فرض نفسه على المجتمع الأدبي في الفترة التي تتحصر بين نهاية حرب البسوس وبداية حرب داحس والغبراء ، واستطاع أن يشكل الحياة الأدبية في هذه الفترة وفق مقاييسه الفنية . وهو جيل نستطيع أن نطلق عليه « جيل ما بين الحريين » ويمثله امرؤ القيس وعبيد ابن الأبرص وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد والمرقشان الأكبر والأصغر وطائفة من المعاصرين لهم الذين يشكلون مدرسة فنية متميزة نستطيع أن نطلق عليها « مدرسة الطبع » . وهي مدرسة تمثل مذهباً فنياً يقوم على أساس من العفوية والتلقائية ، يمارس الشاعر من خلالها عمله الفني في غير تكلف أو تصنع ، ويعبر عن نفسه تعبيراً مباشراً لا أثر فيه لمكابدة أو معاناة ، ويسجل انطباعاته كما شعر بها في سهولة طبيعية كما يتدفق النبع بالماء . وهو تدفق وصفه القدماء — وهم يرصدون حركته الفنية — بالارتجال . ولكن المسألة — في حقيقتها — ليست ارتجالاً بقدر ما هي تلقائية وعفوية في غير محاولة لمعاودة النظر في العمل الفني أو مراجعة له من أجل تنقيحه وتجويده وتهذيبه وإضفاء اللسات الفنية الأخيرة عليه .

ونتيجة لذلك ظهرت في شعر هذه المدرسة رواسب من مرحلة الأولية المبكرة التي مر بها الشعر الجاهلي قبل أن يتم نضجه وتكتمل له صورته الثابتة ، ففي بعض نماذجها الفنية نرى صوراً من الاضطراب في إقامة الوزن العروضي وإحكام القافية ، بل إن بعض هذه النماذج تبدو كأنها خرجت تماماً على موسيقاها العروضية ، وفقدت قيمها الموسيقية وضوابطها الصوتية ، وكأنما فقد الشاعر

سيطرته عليها وقدرته على التحكم فيها ، على نحو ما نرى في قصيدة عبيد بن الأبرص التي يضعها بعض الرواة بين المعلقات العشر :

أَفْقَرَ من أهله مَلْحُوبٌ      فَالْقُطَيْبَاتِ فَالذُّنُوبُ

وهي تترأى — في وضعها الدقيق — وثيقة تاريخية بالغة الأهمية تسجل ما كان عليه الشعر العربي في هذه المرحلة المبكرة من تاريخه الفني الطويل ، وكانت قطعة أثرية نادرة وصلت إلينا من أعماق التاريخ محتفظة بغيار الزمن الذي تطاول عليها .

وترجع أهمية هذه المدرسة — في الحقيقة — إلى الدور البالغ الأهمية الذي قام به شعراؤها في إعطاء القصيدة الكلاسيكية شكلها النهائي ، فقد استطاع هؤلاء الشعراء أن يؤصلوا لهذه القصيدة تقاليدها الفنية ، وأن يحددوا لمن جاء بعدهم الخط الثابت الذي يتحركون فيه ، وأن يعطوها بهذا صورتها التقليدية التي استقرت عليها زمنا طويلا من تاريخها على امتداد عصورها الكلاسيكية القديمة .

في أثناء هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الشعر الجاهلي ، وفي الوقت الذي كانت مدرسة الطبع تواصل فيه دورها الفني الرائد في تأصيل تقاليد القصيدة ، بدأت بواكير مدرسة فنية جديدة تظهر على مسرح الحياة الأدبية ، وهي مدرسة تستطيع أن نطلق عليها « مدرسة الصنعة » ، وقديما كان الأصمعي يصف شعراءها بأنهم « عبيد الشعر » ، لما كانوا يتكلفونه من جهد وعناء ومكابدة في صناعة شعرهم ، وما كانوا يشقون به من معاودة النظر فيه لتجويده وتحجيره وإخضاعه لمقاييس صنعتهم الدقيقة . والرأى الشائع بين الباحثين أنها بدأت بشاعر تميم الكبير أوس بن حجر ، وهو رأى أول من قال به الدكتور طه حسين في كتابه

« في الشعر الجاهلي » ، ولكن الحقيقة التي تؤكد الروايات العربية القديمة هي أنها بدأت من قبل ذلك بالطَّفيل الغنويّ شاعر قيس الكبير الذي كان أوس راوية له ، وكانوا يلقبونه « المُحَبَّر » لما لاحظوه على شعره من ضروب التتميق والتجويد والتجوير . ومن بعدهما ظهر راويتهما العبقريّ زهير بن أبي سلمى الذي يمثل بحق القمة الفنية التي وصلت إليها هذه المدرسة ، والتي يقف مع زهير فوقها النابغة الذبيانيّ وعنترة . ووراء هؤلاء شعراء آخرون مثلوا هذا المذهب الفنيّ الجليل الذي بشرت به هذه المدرسة . والظاهرة التي تلفت النظر أن هذا المذهب بلغ ذروة نضجه الفنيّ في أثناء الحرب الكبرى الثانية التي شهدتها الجزيرة العربية في أواخر العصر الجاهليّ ، حرب داحس والغبراء ، وكأنما أراد التاريخ الأدبيّ للجزيرة أن يشهد عصر البسوس ظهور مدرسة الطبع ، وأن يشهد عصر داحس والغبراء ازدهار مدرسة الصنعة ، حتى لنستطيع القول إن هاتين الحربين تمثلان نقطتيّ تحول ضخمتين في تاريخ القصيدة الجاهلية ، أو علامتين مضيئتين على طريق الشعر العربيّ مع بداية تحرّكه في العصر الجاهليّ .

على أيدي شعراء هذه المدرسة تحول العمل الفنيّ إلى صنعة فنية يوفر لها الشاعر كل جهده وطاقته ، ويبذل في سبيل تجويدها كثيرا من الجهد والعناء ، ويخضعها لمقاييس دقيقة حتى يحقق لها كل مقومات مذهبها ، ثم يعود إليها فيعيد النظر فيها ليذهبها وبقومها ويحذف ما لا يرضى ذوقه ، وما لا يستقيم مع مذهبها ، غير مبالٍ بما ينفقه من وقت في هذه الصنعة الدقيقة التي يمكن عليها في أناة شديدة وعناية بالغة . ولعل هذا هو الذي جعل زهيراً يسمى كبار قصائده « الحَوَلِيَّات » . وهي تسمية خيلت لبعض الرواة أنه كان ينفق في صناعة كل قصيدة منها حولا كاملا ، أو — كما يقول الجاحظ — « حَوَلًا كَرِيْتًا » .

ولكن المسألة لم تكن مسألة فترة زمنية محددة ، وإنما هي مسألة تفرغ للعمل الفني ومعاودة النظر فيه زمنا طويلا ، أو مسألة عمل جاد متصل في صناعة القصيدة حتى تتحقق لها مقومات المذهب الجديد مهما طال الزمن بالشاعر في هذا العمل .

ومع تقدم العصر الجاهلي نحو نهايته كانت تقاليد القصيدة الجاهلية التي أصلها لها المبدعون من شعراء المدرستين قد استقرت واتضحت معالمها ، فظهر جيل من الشعراء استوعبوا تقاليد المذهبين عن وعي دقيق وخبرة واسعة بالمقومات الفنية التي أقام شعراؤهما نماذجهم الفنية على أساسها ، واستطاعوا أن يقدموا صورة جديدة للقصيدة الجاهلية تقوم على المزج البارع بين المذهبين والقدرة الفائقة على تقليد نماذجهما الفنية ، مما أتاح لهما فرصة للتقارب الشديد الذي بشر بظهور مدرسة ثالثة نستطيع أن نطلق عليها « مدرسة التقليد » . وهي مدرسة يمثلها أقوى تمثيل الشعراء الكبار الذين ظهر عليهم الإسلام وهم في قمة نضجهم الفني ، سواء منهم من آمن به ومن لم يؤمن : الأعشى ولييد وحسان والخنساء وعبد بن الطبيب ومثمم بن نويرة وسويد بن أبي كاهل اليشكري والمخبل السعدي وأمثالهم من شواخ هذه المرحلة الأخيرة من العصر الجاهلي ، وهي المرحلة التي نستطيع أن نطلق عليها « عصر ذي قار » ، فقد كانت هذه الحرب آخر الحروب التي شهدتها العصر الجاهلي ، وفيها سجل العرب — لأول مرة في تاريخهم — أول نصر لهم على الفرس ، وبعدها طلعت شمس الإسلام ، وأشرق الجزيرة العربية بنور ربها .

## ( ٨ )

الشعر الجاهلي شعر غنائى كله ، يغنى فيه الشاعر عواطفه ومشاعره وانفعالاته ، ولم يعرف العرب في هذا العصر لا الشعر القصصى ولا الشعر المسرحي



ولا الشعر التعليمي مما عرفه الشعر اليوناني القديم . وقد وقفت أسباب كثيرة تتصل بطبيعة الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والعقلية وراء ذلك ، فحددت مجال الشعر العربي القديم في هذه الدائرة الغنائية ، فجاء كله في قصائد غنائية تطول أو تقصر ، ولكنها لا تتجاوز مائة بيت إلا قليلا ، وهو أقصى عدد وصلت إليه القصيدة في العصر الجاهلي . ومن هنا دار هذا الشعر حول الموضوعات التي يصور فيها الشاعر ما يدور في نفسه من عواطف ومشاعر وانفعالات ، ويسجل انطباعاته الشخصية أمام الأحداث التي تمر به في حياته . وبهذا تحددت مجالات هذا الشعر في الغزل والفخر والمدح والهجاء والرثاء والوصف والحكم ، وهي موضوعات تعكس الموقف الشخصي للشاعر من الحياة والمجتمع ، وتصدر صدورا مباشرا عن تجاربه الشخصية المحدودة ، دون محاولة منه للتحول بها نحو التجريد المطلق أو النظرية الفلسفية . ولم يخرج على هذا الاتجاه العام إلا الشعراء الصعاليك الذين اتخذوا من شعرهم مجالا لتسجيل آرائهم الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية ، وهي آراء تحولت عند عروة بن الورد داعيتهم المذهبي إلى ما يشبه أن يكون نظرية مجردة . وأيضا خرج على هذا الاتجاه العام بعض الشعراء الدينيين الذين سجلوا في شعرهم معتقداتهم الدينية وتأملاتهم في أسرار الكون ومخلوقاته ، وخاصة أمية بن أبي الصلت شاعر الطوائف الكبير الذي دار شعره كله في هذا الجو الديني الذي انتمت معلوماته عنه مما قرأه في الكتاب المقدس ، وما استمع إليه من الرهبان والأخبار .

ولعل أهم ما يلاحظ على هذا الشعر من الناحية المعنوية أنه يدور حول معاني وأفكار واضحة بسيطة لا تكلف فيها ولا مغالاة ، ولا إغراق في الخيال ، أو مبالغة تخرج بها عن الواقع الذي تعبر عنه ، ولا تعمق في أغوار النفس الإنسانية .

وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن أصبحت الواقعية والحسية من أهم السمات التي تميز الشعر الجاهلي ، فالشاعر يستمد مادته المعنوية ومادته التصويرية على السواء من الواقع الحسي الذي يعيش فيه ، ومن العالم المادي الذي يتعامل معه . وقد دفعتهم حياتهم التي تقوم على الحركة الدائبة في أرجاء الصحراء ، والتنقل المستمر خلف مواقع الغيث ومناكب الكلاء ، إلى لون من الحركة الفنية ظهر في قصائدهم في صورة انتقال من موضوع إلى موضوع دون وقوف عند موضوع واحد وكأنما انعكست حياتهم الاجتماعية على حياتهم الفنية ، مما أفقد القصيدة الجاهلية الوحدة الموضوعية التي تترابط معها أجزاء القصيدة وتتماك في وحدة محكمة . وهي ظاهرة جعلت بعض المستشرقين يرى في القصيدة العربية القديمة كومة من الموضوعات والأفكار ، يتجمع بعضها إلى جانب بعضها الآخر في غير نظام أو ترابط .

وفي ظل هذه الحركة الفنية أيضا ظهرت في الشعر الجاهلي نزعة قصصية ، يعرض الشاعر موضوعه عن طريقها من خلال سرد قصصى تتناوب فيه الأحداث ، وقد يتردد فيه حوار بين الشخصيات ، ولكن في بساطة ويسر وفي غير تعقيد أو مبالغة . وأكثر ما كانت تظهر هذه النزعة في قصص الصيد والمغامرات الغرامية ومغامرات الصعاليك . ولكن هذا كله لم يخرج بالشعر الجاهلي عن دائرته الغنائية ، ولم يمتد بالقصيدة الجاهلية المحدودة لتشكل ملحمة قصصية طويلة على نحو ما نرى في الملاحم اليونانية القديمة .

ولغة الشعر الجاهلي هي تلك اللغة الأدبية الموحدة التي فرضت نفسها على المجتمع الأدبي في هذا العصر ، وهي لهجة قريش بعد أن استوعبت لهجات القبائل

الأخرى ، وأذابت ما بينها من اختلافات لهجية ، وهى نفسها العربية الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم فى أواخر العصر الجاهلى . ولكنها تختلف عن لغة القرآن بغرابة ألفاظها وبدائيتها وخشونتها . وهى ظواهر تعكس طبيعة المجتمع البدوى الذى ظهر فيه هذا الشعر ، وتمثل خصائص لغته قبل أن يهذبها القرآن ويصفيها ويخلصها منها فى أكبر عملية « تنقية لغوية » شهدتها اللغة العربية على امتداد حياتها الطويلة عبر أكثر من خمسة عشر قرناً من الزمان .

ومن الطبيعى أن هذه اللغة التى نُظِمَ فيها الشعر الجاهلى ، والتى تبدو غريبة علينا اليوم لبُعْد ما بينها وبيننا زمنياً ، ولاختلاف ما بينها وبيننا من حيث البيئة الطبيعية والحياة الاجتماعية والمستوى الحضارى ، كانت مألوفة لدى أصحابها الأصلاء ، وأبنائها الذين كانوا يتكلمونها فطرةً وسليقةً . ولذلك كانت هذه الظواهر فى لغة الشعر الجاهلى أشد ظهوراً عند شعراء البادية ، فى حين خفت حدتها عند شعراء المدن والقرى العربية التى كانت على حظ غير قليل من الحضارة والاستقرار ، بينما كادت تختفى عند شعراء الإمارات العربيتين اللتين قامتتا على حدود الدولتين الفارسية والرومانية : إمارة المناذرة وإمارة الغساسنة ، واللّتين أخذتا يحظ كبر من التقدم الحضارى الأجنبى ، والاستقرار السياسى نتيجة لنظام الحكم الأجنبى الذى كان قائماً فيها ، فامتازت لغتهم بالسهولة واللين والركة التى تعكس طبيعة حياتهم المتحضرة المترفة ، ودخلت فيها طائفة من الألفاظ الفارسية والرومانية ، وطائفة أخرى من الألفاظ المسيحية وبخاصة عند شعراء إمارة الغساسنة التى كانت المسيحية ديارها الرسمية . وهى ظواهر نستطيع أن نتبينها بوضوح إذا وازنّا بين شاعر من شعراء البادية كأوس بن حجر أو زهير بن أبى سلمى ، وشاعر كعدي بن زيد أو المنخل اليشكرى من المقيمين بإمارة الحيرة ،

بل شاعر من الوافدين عليها كالتابغة الذبياني ، أو من الوافدين على إمارة الغساسنة كحسان بن ثابت .

وصندوق الأصباغ الجاهلي صندوق بسيط يستمد مواده الأولية من واقع البيئة الطبيعية ومظاهر الحياة فيها . وهو — من أجل ذلك — يختلف بين شعراء البادية وشعراء الحاضرة ، فعند شعراء البادية نرى الصحراء وجبالها وكثبانها ورمالها ومرابها وآبارها ومياهها الآجنة وحيوانها وطيورها وزواحفها ، وعند شعراء الحاضرة نرى البحار والأنهار والسفن والملاحين والمزارعين والصناع ، وإن لم يمنع هذا من تداخل المواد الأولية بين البيئتين ، وتسرب بعضها من إحداهما إلى الأخرى ، نتيجة طبيعية لما كان بينهما من صلات متبادلة بسبب الجوار ، وما يترتب عليه من علاقات حيوية ومصالح مشتركة .

والتشكيل الأساسي للصورة في الشعر الجاهلي عند شعراء مدرسة الطبع هو التشكيل التشبيهي ، فقد اعتمد شعراء هذه المدرسة في رسم صورهم على التشبيه اعتماداً أساسياً ، واتخذوا منه اللون البارز في لوحاتهم الفنية ينشرونه فيها على مساحات واسعة ، حتى لتراءى بعض قصائدهم صفوفاً متلاحقة من التشبيهات ، على نحو ما نرى عند امرئ القيس الذي يعده النقاد القدماء أحسن شعراء الجاهلية تشبيهاً ، والذي استطاع أن يبرز قيمة هذا اللون الفني في رسم الصورة ، وأن يوجه الشعراء الذين جاءوا بعده إلى أهميته ، وأن يكون بهذا رائد التشبيه في الشعر العربي .

ومع تطور العمل الفني إلى عمل صناعي عند شعراء مدرسة الصنعة ، ظهر التشكيل الاستعاري ليصبح اللون الأساسي الذي يعتمدون عليه في رسم صورهم . وكما احتل التشبيه في لوحات مدرسة الطبع تلك المساحات الواسعة ،

احتلت الاستعارة مساحات مثلها في لوحات مدرسة الصنعة ، على نحو ما نرى عند زهير الذى يمثل القمة الشاخنة التى وصلت إليها هذه المدرسة ، ففي قصائده نقرأ حسم الاستعارات تراحما يدل على أنه كان يتعمدها تعمدا ، ويقصد إليها قصداً ، لأنه حريص على أن يحقق لفنه كل مقومات المذهب الذى اصطنعته مدرسته في صنعتها الفنية ، وأن يجعل من قصائده معرضاً لما بلغته هذه المدرسة من التزام بتقاليدها الفنية وأصولها . وبحق يعد زهير أهم شاعر جاهل عُنى بالصورة الاستعارية ، وارتفع بصناعتها إلى أعلى قمة عرفها الشعراء الجاهلي ، وعدَّ بهذا رائداً عبقرياً من روادها الأوائل .

ومع التشكيل الاستعارى يظهر أيضاً عند شعراء هذه المدرسة التشكيل التمثيل ، وعلى مساحات واسعة أيضاً من لوحاتهم يتراءى هذا اللون الفنى اللون الأساسى في رسمها ، والقاعدة الأولى التى تقوم عليها العملية الفنية فيها . وقد أتاح لهم هذا التشكيل — كما أتاح لهم التشكيل الاستعارى ، بل ربما أكثر مما أتاح — فرصة ذهبية لتحقيق مقومات مذهبهم الفنى في شعرهم ، وبخاصة الحرص على التفاصيل ، والاهتمام بالجزئيات ، والعناية بوضع اللسان الأخيرة عليها ، على نحو ما نرى عند النابغة الذبياني في لوحته الرائعة التى رسمها لفيضان الفرات من خلال مدحه للنعمان وتشبيه كرمه به ، وأيضاً عند عنترة في لوحته الخلابة التى رسمها لروضة غطوة من رياض الصحراء من خلال وصفه لصاحبته الجميلة المعطرة .

ومع ظهور مدرسة التقليد في أواخر العصر الجاهلى ، في عصر ذى قار ، وتقدم الجيل الثالث من شعراء هذا العصر إلى مسرح الحياة الأدبية ، تتداخل هذه التشكيلات الثلاثة الأساسية ، وتتداخل معها تشكيلات أخرى ثانوية ، وتنتج مقومات المدارس الثلاث وتقاليدها الفنية ، وتنتج أصباغ صناديقها المختلفة ،

في عملية فنية بارعة يرتفع معها التقليد والمحاكاة إلى درجة عالية من البراعة والمهارة والحدق والإحكام ، على نحو ما نرى في لوحات ليبد الرائعة التي رسمها في معلقته لحيوان الصحراء الوحشي وما يدور بينه وبين الصيادين المتربصين به من صراع من أجل الحياة . وهي لوحات نستطيع أن نرجع بكثير من ألوانها وتشكيلاتها إلى شعراء سابقين من المدرستين اتخذ من شعرهم نماذج ومثلاً يحتذيها ويقسدها ويحاكيها في براعة تامة ، وقدرة فائقة ، وخبرة دقيقة بمقومات الفن والصناعة عندهم .

وعلى امتداد الطريق الفني الطويل بمراحله الثلاث كانت تتساقط على استحياء ألوان بسيطة من البديع تساقطاً عفويًا في غير عمد أو تكلف أو مبالغة ، وبخاصة الطباق والجناس . وهي ألوان لم تتحول إلى أن تكون تشكيلات أساسية في الصورة الفنية ، أو أن تشكل ألوانا بارزة في رسمها .

### ( ٩ )

وأشهر قصائد الشعر الجاهلي هي تلك المجموعة التي عُرفت « بالمعلقات » . وهي أقدم مجموعة من مجموعات هذا الشعر وصلت إلينا من عصر التدوين في القرن الثاني الهجري ، قام باختيارها وجمعها راوية الكوفة المشهور حماد الراوية (ت ١٥٦ هـ أو ١٦٤) .

ويختلف العلماء حول تفسير هذه التسمية وتعليلها ، ولهم في ذلك محاولات متعددة ، أشهرها محاولتان ، تذهب إحداهما إلى أن السبب في هذه التسمية أنها كانت مكتوبة منذ العصر الجاهلي بماء الذهب في صحف من الكتان المصري كان يصنعها أقباط مصر أو — على حد عبارتهم — « في قَبَاطِيْ مُدْرِجَة » ، وأنها

كانت معلقة بأسرار الكعبة تقديرا لقيمتها الفنية واعترازا من العرب بها . وتذهب الأخرى إلى أنها سميت بهذا الاسم لأنها كانت معلقة في خزان ملك من ملوك العرب لم تحدد الروايات اسمه ، ولعله النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، اختارها من بين قصائد الشعر الجاهلي التي كانت تلقى في سوق عكاظ ، وأمر بتعليقها في خزانته إعجابا بها وحرصا عليها من الضياع .

وفي أغلب الظن أن كلتا الروايتين غير صحيحة ، وأن هذه التسمية ليست جاهلية ، وإنما هي تسمية متأخرة لم تعرف إلا في عصر التدوين ، وأن الذي أطلقها على هذه المجموعة المختارة هو الذي قام باختيارها وجمعها وتدوينها ، وهو حماد الراوية ، تشبها لها بالقلائد والعقود التي تعلقها المرأة على جيدها للزينة ، ولذلك سماها أيضا « السُّمُوط » ، وهي مرادف لغوى لكلمة « المعلقات » ، وكأنما كان حماد يشير بهذين الاسمين إلى أنها أجود ما في الشعر الجاهلي ، وأنها القلائد النفيسة والعقود الثينة في جيد هذا الشعر .

وعدد المعلقات في المجموعة التي رواها حماد سبع معلقات :

( ١ ) معلقة امرئ القيس ( ٨٢ بيتا ) :

فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل      بسقط اللوى بين الدخول فحومل

( ٢ ) ومعلقة طرفة بن العبد ( ١٠٦ بيت ) :

لخولة أطلال ببرقة تهمد      تلوح كباقي الوشم في ظاهير اليد

( ٣ ) ومعلقة زهير بن أبي سلمى ( ٥٩ بيتا ) :

امن أم أوفى دمنة لم تكلم      بحومانة الدراج فالتشم

( ٤ ) ومعلقة ليبيد ( ٨٩ بيتا ) :

عَقَتِ الدِّيارَ مَحَلُّها فُقَماهُما      بِمَسِيٍّ تَأْبُدُ عَوَلُها فِرِجامُها

( ٥ ) ومعلقة عنتره ( ٨٠ بيتا ) :

هَلْ غادرَ الشَّعراءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ      أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ

( ٦ ) ومعلقة عمرو بن كلثوم ( ٩٦ بيتا ) :

أَلَا هُبِّي بِصَحنِكَ فَاصبَحينا      وَلَا تُبَسِّقِي نَحْمورَ الأَندَرينا

( ٧ ) ومعلقة الحارث بن حلزة ( ٨٥ بيتا ) :

أَذَنَتِنا بَينَها أُمَماءُ      رُبَّ نَارٍ يُمَلُّ مِنْهُ الشَّواءُ

ثم أضيفت إليهما بعد ذلك عند بعض الرواة ثلاث قصائد أخرى ، فاكتمات بهذا عشرا ، وهي — على حسب رواية التبريزي لها في شرحه عليها — :

( ٨ ) معلقة الأعشى ( ٦٣ بيتا ) :

وَدَّعْ هَريرةً إِنْ الرِّكَبَ مَرَّحَلُ      وَهَلْ تَطْبِقُ وَداعا أَيْها الرِّجُلُ

( ٩ ) ومعلقة النابغة الذبياني ( ٥٠ بيتا ) :

يادارَ مَيَّةَ بالِعالِيا فَالسَّندِ      أَقوْتُ وَطالَ عَلِيا سالفُ الأَيدِ

( ١٠ ) ومعلقة عبيد بن الأبرص ( ٤٨ بيتا ) :

أَفقرَ مِنْ أَهلِهِ مَلحوبُ      فَالْقَطِيباتُ فَالذُّنُوبُ

وبين الرواة اختلاف حول طائفة منها ، فهي في رواية المفضل الضبي سبع معلقات ، ولكنه يُسقط منها معلقتي الحارث وعنتره ، ويثبت مكانهما معلقتي الأعشى والنابغة السابقين ، ولكن أبا زيد القرشي في « جمهرة أشعار العرب » يضع بدلا منهما قصيدتين أخرتين لهما ، فيضع للأعشى لاميته :



ما بكاء الكبير بالأطلال      وسؤالى وما تردّ سؤالى  
ويضع للنابغة رأيتته :

عوجوا خفيوا لنعيم دمنة الدار      ماذا تحيون من نُؤي وأحجار

وبعض الرواة يسقط معلقة عبيد ولا يعترف بها بين المعلقات ، على نحو ما فعل أبو زيد القرشي في « الجمهرة » وأبو جعفر بن النحاس في شرحه على المعلقات ، وهي تسع عنده . وهناك أيضا اختلاف آخر بين الرواة في عدد أبياتها وترتيبها ، وفي رواية ألفاظها ، وهو اختلاف مألوف في نصوص الشعر الجاهلي كلها ، وهو أيضا طبيعي نظرا لوصولها إلى عصر التدوين عن طريق الرواية الشفوية على السنة أكثر من وار . والعدد الذي أخذنا به هنا هو ما أخذ به التبريزي في شرحه عليها .

والأمر الذي لا شك فيه أن هذه المعلقات من أجود نصوص الشعر الجاهلي ، ومن أطول قصائده . وهي — إلى جانب ذلك — لمجموعة من أكبر شعرائه من قبائل مختلفة ، ومن مراحل زمنية مختلفة ، وأيضا من مذاهب فنية مختلفة ، فهي بهذا تغطي مساحة واسعة من الجزيرة العربية ، وتستعرض مراحل العصر الجاهلي الأدبي من بدايته حتى نهايته ، من امرئ القيس وعبيد وهما من أقدم شعراء هذا العصر ، إلى الأعشى وهو من آخر شعرائه ، إلى ليبيد الذي امتد به الأجل حتى أدرك الإسلام . وهي أيضا تمثل مدارس الشعر الجاهلي الثلاث : مدرسة الطبع التي يمثلها امرئ القيس وعبيد وطرفة وعمرو بن كلثوم والحارث ابن حلزة ، ومدرسة الصنعة التي يمثلها زهير والنابغة وعنترة ، ومدرسة التقليد التي يمثلها الأعشى وليبيد ، فهي — من هذه الناحية — تعرض صورة واضحة دقيقة للتطور الفني الذي مر به الشعر على امتداد العصر الجاهلي .

وإلى جانب « المعلقات » تقف مجموعة أخرى من مجموعات الشعر الجاهلي لا تقل عنها أهمية ، وهي « المفضليات » . وهي مجموعة من القصائد الطويلة والمقطوعات القصيرة اختارها راوية الكوفة المشهور المفضل الضبي (ت حوالى ١٧٠ هـ) . ويختلف عدد قصائدها ومقطوعاتها وترتيبها بين رواياتها المختلفة التي أخذها عن المفضل تلاميذه ، وأخذها عنهم رواتها . ويذكر ابن النديم في « الفهرست » أن أصح رواياتها رواية ابن الأعرابي تلميذ المفضل الأول ، وهي عنده مائة وثمان وعشرون قصيدة ومقطوعة . وكانت البداية ثمانين قصيدة ومقطوعة اختارها المفضل بأمر من الخليفة العباسي المنصور لتكون موضوعا لدراسة ابنه المهدي ، ثم أضاف إليها بعد ذلك القصائد الثمانى والأربعين التى اكتمل بها عددها المعروف . وهي تضم مختارات من الشعر الجاهلي والشعر الإسلامى لسبعة وستين شاعرا ، منهم سبعة وأربعون جاهليا ، والعشرون الآخرون إسلاميون .

وتأتى أهمية المفضليات من أنها تروى القصائد والمقطوعات كاملة دون تصرف فيها أو انتحاب منها ، فهى — من هذه الناحية — تتيح للباحثين فرصة الاتصال بالنص الجاهلي كاملا . وهى — من ناحية أخرى — تقدم نصا جاهليا موثقا بعيدا عن شبهات الوضع واتهامات الانتحال ، يقدمه راوية ثقة غير متهم من رواة الشعر الجاهلي الكبار . ثم هى — بعد ذلك — تعرض علينا صورة دقيقة للحياة الجاهلية بكل جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، من ناحية ، وصورة أخرى لحركة الشعر الجاهلي بين مجموعة كبيرة من شعراء القبائل والشعراء الذاتيين ، من ناحية ثانية ، كما تقدم لنا — من ناحية ثالثة — مادة لغوية طيبة تضع أيدينا على المعجم اللغوى للشعر الجاهلي ، ومن بينها مجموعة من الألفاظ اللغوية

على قدر كبير من الأهمية ، لأنها مما أهمله اللغويون ولم يشبهوه في معاجمهم ، ولعله سقط من بين أيديهم سهوا ، أو لعله لم يصل إلى أيديهم وهم يقومون بعملهم الضخم في جمع اللغة وحصر موادها ومفرداتها .

وإلى جانب هاتين المجموعتين تقف مجموعة ثالثة ، وهي « الأصمعيات » التي جمعها راوية البصرة الكبير الأصمعي ( ت ٢١٥ ، أو ٢١٦ أو ٢١٧ ) . ويبلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها اثنتين وتسعين لواحد وسبعين شاعرا جاهليا وإسلاميا ، منهم نحو أربعين جاهليا ، والباقيون إسلاميون . وهي تعد امتدادا للفضليات ، وإنكنا تختلف عنها اختلافا أساسيا ، فبعض قصائدها لم ترو كاملة ، وإنما اكتفى الأصمعي بمختارات منها . ومن هنا تبدو أقل أهمية من الفضليات . وربما يرجع السبب إلى أن المفضل — بحكم ريادته — سبق إلى اختيار أجمل ما في الشعر الجاهلي ، فلم يترك للأصمعي فرصة واسعة للاختيار .

وراء هذه المجموعات مجموعات أخرى من الاختيارات ، بكلمة أبي زيد القرشي والحماسات المختلفة التي تشكل قائمة كبيرة من مختارات الشعر العربي القديم ، ومجموعات أخرى من دواوين الشعراء ودواوين القبائل ، وأشهر ما وصل إلينا منها «ديوان هذيل» الذي قام بصنعه وشرحه الراوية البصري أبو سعيد السكري . رواية عن الأصمعي . وإن كان مما يؤسف له أن كثيرا من هذه الدواوين — دواوين الشعراء ودواوين القبائل — ضاع مع رحلة القرون الطويلة تحت ظروف مختلفة فلم يصل إلينا ... خسارة كبيرة يحاول الباحثون والمحققون المحدثون تعويضها بما يقومون به من نشر ما لا يزال مخطوطا في خزائن دور الكتب ، وجمع ما تناثر من نصوصها في المصادر الأدبية والتاريخية .

## ( ١٠ )

إلى جانب هذا النشاط الشعري المواجه بالحياة الذي شهدته الجزيرة العربية في هذا العصر ، كان هناك نشاط نثرى أيضا لا يقل حيوية عن هذا النشاط ، ولكن النماذج الفنية التي وصلت إلينا منه أقل ، نتيجة أساسية لصعوبة احتفاظ الذاكرة بالنصوص النثرية بسبب افتقادها ضوابط الوزن والقافية التي تعين على الاحتفاظ بالنصوص الشعرية . وهذه هي المشكلة التي دفعت طائفة من الباحثين إلى إنكار ما وصل إلينا من النثر الجاهلي جملة وتفصيلا ، وجعلت شبهات الوضع والانتحال تحيط به من كل ناحية . ولكن ليس معنى هذا أن المجتمع الجاهلي الأدبي لم يعرف النثر الفني ، وليس معناه أيضا أن يكون النثر الجاهلي كله قد طوته ومال الصحرَاء وأخفت معالمه إلى الأبد . فقد اكتسبت الذاكرة العربية التي اعتمد عليها العرب اعتمادا أساسيا في حفظ تراثهم الأدبي على امتداد عصر الرواية الشفوية قدرة غير مادية على الاحتفاظ بما يستقر فيها من معلومات ، مما أتاح للرواة أن يحتفظوا بنصوص من هذا التراث ، إن لم تكن صورة طبق الأصل منه فإنها — بدون إثارة مفتعلة لقضية الانتحال — صورة قريبة منه ، نستطيع من خلالها أن نحدد اتجاهاته الموضوعية وخصائصه الفنية . ومن الحق أن فرصة الاحتفاظ بالتراث الشعري أوسع ، ولكن هذا لا يعني — بأي حال من الأحوال — ضياع كل التراث النثري جملة وتفصيلا ، وإنما يعني فقط ضياع أكثره ، واحتفاظ القليل الذي وصل إلينا منه بما يتيح لنا أن نرسم الخطوط العريضة له التي تحدد مجالاته واتجاهاته وطبيعته الفنية . وإلا فقيم ألف الجاحظ كتابه الضخم « البيان والتبيين » الذي يحاول أن يرصد فيه حركة النثر في العصر الجاهلي ، ويثبت أن العرب الجاهليين كما تفوقوا في الشعر تفوقوا في النثر أيضا ؟

والحقيقة التي لا يختلف عليها الباحثون اليوم أن العرب الجاهليين كانوا يعرفون الكتابة ، وبخاصة في مجتمعات المدن التي كانت على حظ غير قليل من الحضارة والاستقرار ، لحاجتها إليها في حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فبين أيدينا نصوص ووثائق وروايات ثابتة تؤكد هذه الحقيقة . ولكن الأمر الذي يتفق عليه أكثر الباحثين أن هذه المجتمعات لم تستخدم الكتابة في أى مجال أدبي ، ولم تعتمد عليها في تسجيل نشاطها الأدبي ، وإنما كانت تستخدمها في المجالات الحيوية التي أشرنا إليها ، تسجل بها العقود والديون والصفقات التجارية ، وتدوّن بها العهود والمواثيق والأحلاف ، وتعتمد عليها في المكاتبات الاجتماعية بين طبقات المجتمع المختلفة ، وفي الرسائل التي كانت تتبادلها مع ملوك الإمارات والدول المجاورة لها في اتصالاتها السياسية والاقتصادية المتعددة ، ونحو ذلك من المجالات المختلفة التي تتصل بقاعدة الحياة العامة التي تقوم عليها هذه المجتمعات . وفي القرآن الكريم دعوة إلى الوفاء بالعقود ، وأمر صريح بكتابة الديون ، وحديث عن إيلاف قريش الذي عقدته بينها وبين القبائل التي تمر بها قوافلها التجارية في رحلتى الشتاء والصيف بين اليمن والشام . وفي الحديث النبوي تتردد الدعوة إلى توثيق المعاملات بين أفراد المجتمع بكتابتها وتسجيلها . وفي الشعر الجاهلي إشارات كثيرة إلى العهود والمواثيق التي كانت القبائل تعتمد على تسجيلها في صحف عرفت عندهم بالمهّارق . وفي الروايات والأخبار أحاديث كثيرة عن المكاتبات التي كانت تتم بين طبقة السادة وطبقة العبيد ، وسيلة من وسائل عتقهم وتحريرهم . ولكن لا توجد — حقيقةً — أى إشارة في أى من هذه المصادر إلى أن العرب الجاهليين استخدموا الكتابة في المجال الأدبي ، لا في مجال الخلق والإبداع ، ولا في مجال التدوين والتسجيل .

ومعنى هذا أن النثر الجاهلي كان كله نثرا شفويا ، ولا نستطيع أن ندعى — بأي حال من الأحوال — أن المجتمع الجاهلي عرف أى صورة من صور النثر الأدبي المكتوب . حتى الرسائل التي تتردد الإشارة إليها في المصادر ، وتروى نصوص منها على ألسنة الرواة ، كانت كلها رسائل سياسية أو اجتماعية ، تبادلها سادة القبائل فيما بينهم أو بينهم وبين ملوك الإمارات التي تحيط بهم أو تجاورهم على مناطق الحدود .

\* \* \*

في ضوء النصوص التي وصلت إلينا ، والتي تحدد المجالات الأساسية للنثر الجاهلي ، نستطيع أن نلاحظ أن أول هذه المجالات وأهمها وأوسعها انتشارا في المجتمع الجاهلي الخطابة . فقد كان لكل قبيلة خطباؤها الرسميون المتحدثون باسمها في المحافل والأندية أمام الملوك والأمراء وسادة القبائل في وفادتها عليهم ، وكان هؤلاء الخطباء يمثلون الألسنة الناطقة باسم قبائلهم إلى جانب الشعراء ، بل إن بعض الرواة القدماء لاحظوا أن الخطابة في أواخر العصر الجاهلي تفوقت على الشعر ، واحتلت مكانة أرفع من مكانته ، وأصبح الخطباء أعظم قدرا في مجتمعات قبائلهم من الشعراء . وهي ملاحظة نقلها الجاحظ في « البيان والتبيين » عن رواية البصرة الكبير أبي عمرو بن العلاء : « كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجاتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم ، ويفخّم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ، ويهاجم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم . فلبا كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا إلى السوق ، وتمرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر » . وتحفظ المصادر الأدبية والتاريخية بصور رائعة لهذا

الدور الكبير الذي كان يقوم به خطباء القبائل في مجالات الوفادة فيما ترويه من  
خطب أشرف القبائل في وفودهم على كسرى وغيره من ملوك العرب وأمرائهم .  
وفي السيرة النبوية صورة معبرة عن هذا الدور فيما ترويه من خطب وفود القبائل  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة يعلنون إسلام قبائلهم . وفي كل وفد  
خطيب أو خطباء يقومون بين يدي الرسول فيلقون خطبهم ، حتى إذا ما فرغوا  
منها وقف خطيب الرسول أو خطباؤه يردون عليهم .

وراء خطباء القبائل أو هؤلاء « المتحدثين الرسميين » باسم قبائلهم خطباء  
لا حصر لهم يخطبون في المناسبات العامة والخاصة : في الدعوة إلى الحرب  
أو في الدعوة إلى السلام ، وفي حفلات الخطبة والزواج ، وفي مآتم العزاء ومجالات  
الثناء ، وفي الأسواق وبخاصة سوق عكاظ حيث كانت تتاح الفرصة لكل  
خطيب أن يقول ما يشاء ، وأن يعلن رأيه في أي أمر كما يشاء . وتحفظ السيرة  
النبوية بخطبة أبي طالب في خطبته للسيدة خديجة للنبي عليه السلام ، كما تحفظ  
المصادر الأدبية بخطبة قُصَّ بن ساعدة المشهورة التي ألقاها في سوق عكاظ ، وسميها  
النبي عليه السلام وتحدث بها . وقد وقف الجاحظ طويلا في « البيان والتبيين »  
أمام هؤلاء الخطباء ، ومضى يستعرضهم في شتى القبائل ، ويروي كثيرا من  
خطبهم ، ويسجل تقاليد الخطابة العربية وأصولها وطقوسها ، حتى ليخيل للراء  
أن الجزيرة العربية في العصر الجاهلي كانت تموج في كل مكان بنشاط خطابي  
لا حدود له ، وكأنما تحول كل عربي فيها إلى خطيب ، أو كأنما كان كل عربي  
فيها خطيبا . وفي كثير من نصوص الشعر الجاهلي مدح لسادة القبائل بالبرامة  
في الخطابة والقدرة على البيان في مجالات القول المختلفة .

ومن بين هؤلاء الخطباء الذين يصعب حصرهم تلمع أسماء طائفة تتفق المصادر الأدبية على أنهم من أخطب خطباء هذا العصر، من أمثال عمرو ابن كلثوم خطيب تغلب وشاعرها، وهانيء بن قيسمة الشيباني خطيب يوم ذي قار، وقيس بن خازجة الغطفاني خطيب داحس والغبراء الذي ظل يخطب فيها يوما كاملا حتى أدركه الليل، وحاجب بن زُرارة خطيب تميم، وعمرو ابن الأهتم المنقري الذي يذكر الجاحظ أنه لم يكن في بادية العرب في زمانه من هو أخطب منه، والذي قال النبي عليه السلام تعليقا على خطبة له: «إن من البيان لسحرا»، وقيس بن عاصم المنقري الذي قال عنه النبي «هذا سيد أهل الوبر»، والذي رأى عبدة بن الطبيب الشاعر في وفاته «بنيان قوم تهديما»، وعتبة ابن ربيعة خطيب قريش يوم بدر، ومهيل بن عمرو خطيب مكة الذي انتدبت قريش لمفاوضة النبي في الحديبية.

\* \* \*

وإلى جانب الخطابة تقف «المنافرات» . وهي صورة من صور الخطابة تشبه المناظرات، حيث يقف سيدان يتفاخران، كل منهما بفضائله ومآثره وأجاده، وبنسبه وحسبه ومنزلته في قومه، أمام حاكم من أشراف العرب أو من كهانهم، يحتكان إليه ليفصل بينهما . وكانت هذه المنافرات أكثر ما تكون حين يتنازعان على رئاسة القبيلة، وكأنها صورة مبكرة لما نراه الآن من مناظرات بين المتنافسين على الرئاسة في النظام الجمهوري . وكانت القبائل تحتفل بهذه المنافرات احتفالا كبيرا، تحدد له موعدا، وتعلن عنه منذ وقت مبكر، وتدعو إلى شهوده سادة القبائل الأخرى، وتقيم من أجله الولائم وتحر الذبائح، وتقدم الأطعمة، وتخصص للحكم نصيبا من الإبل يتفق عليه المتنافران، يدفعه إليه



المغلوب منهما ، ويهنون من أجل الوفاء به رهنا من أبنائهم عند سيد منهم كانوا يسمونه « الضَّمين » . وأحيانا كان المتنافران هما اللذين يتوجهان إلى حكم يرتضيانه ليتنافرا أمامه في حضور سادة القبائل وأشرفها ، وأحيانا كانا يترددان على أكثر من حَكَم إذا لم يقيلا حُكْم واحدٍ منهما ، أو إذا رفض أحد الحكام الحكم بينهما تخرجاً من حساسية الموقف ، أو حرصاً على وحدة القبيلة من أن يفرق بينها الحكم لواحدٍ منهما ، أو يوقع بين أحيائها فتنة أو شراً .

وتحتفظ المصادر الأدبية بطائفة من هذه المناقرات ، وما كان يحيط بها من ضروب الاستعداد لها ، وما كان يدور فيها من مراسم وتقاليد ، وما كان يصاحبها من تحرك وتخطيط لنصرة أحد المتنافرين على الآخر ، أو تهدئة الموقف بينهما ، وامتصاص روح الفتنة منه بالتسوية بينهما ، أو بتأجيل المناقرة إلى موعد آخر يتيح الفرصة لتسوية الموقف ، على نحو ما نرى في المناقرة المشهورة بين طليعة بن علانة وعامر بن الطفيل حول رئاسة بني عامر ، بعد أن بلغ سيدها عامر بن مالك السن التي يعجز عندها عن سياسة القبيلة ، ويحسن به أن يتنازل فيها عن الرئاسة . وهي مناقرة شغلت الناس أياماً طويلة ، وتردد المتنافران من أجلها على أكثر من حَكَم ، حتى انتهى إلى سيد فزارة هيرم بن سنان السيامي الحكيم الذي استطاع أن يضع حداً لحرب داحس والغبراء بعد أن فرقت بين عبس وذبيان دهماً طويلاً ، واستطاع هيرم أن يتزع فتيل الفتنة بين أحياء عامر ، وأن يمتص روح التحدى من أعماق السبيدين المتنافرين ، فسوى بينهما ولم يفضل أحدهما على الآخر : « فيجلب بذلك مداوة ، ويوقع بين الحين شراً » — على حد عبارة الرواة القدماء الذين رووا هذه المناقرة .

وواضح أن هذا كله يدل على ازدهار الخطابة في العصر الجاهلي ، وأنها سجلت نهضة قوية لا يمكن أن نسقطها من حسابنا تحت ضغط شبهات الوضع والاتصال . وفي ظل هذا الازدهار وهذه النهضة استقرت للخطابة الجاهلية مجموعة من التقاليد تعارف عليها خطباء هذا العصر ، واستقرت لها مجموعة من الخصائص الفنية تمثل مذهباً فنياً كان الخطباء يحرصون عليه ويلتزمون به في خطاباتهم . فكان الخطباء يخطبون في المحافل العامة على رواحلهم أو على مرتفع من الأرض ، وكانوا يُلَوِّثُونَ العائم على رؤوسهم ، ويمسكون في أثناء خطاباتهم بالعصى والمخاضير والقضبان والقنا والقسي ، وهي مما أخذته الشعوبية على العرب مما اضطر الجاحظ إلى الدفاع عنه في أول كتابه « البيان والتبيين » ، حيث عقد كتاباً عن العصا ، وعد حملها في أثناء الخطابة مزية خاصة بالعرب دون غيرهم من الأمم .

ويفتات أسلوب الخطابة الجاهلية بين الأسلوب المرسل والأسلوب المسجوع ، وإن يكن السجع السمة الغالبة عليها ، والطابع العام لها . ويلاحظ الجاحظ ملاحظة دقيقة بارعة حين يذكر أن أكثر ما كانوا يستخدمون السجع في المنافرات ، وأما الأسلوب المرسل فأكثر ما كانوا يستخدمونه في خطابة المحافل والمناسبات العامة ، كما يسجل أن عنايتهم بخطاباتهم ، والحرص على تجويدها وتقويمها وتنقيحها وتصفيها ، لم تكن أقل من عنايتهم بشعرهم ، وبخاصة في طوال خطبهم كما كان الأمر في طوال قصائدهم ، وأن هذه الخطب الطوال كانت تمر قبل ارتجالها بمرحلة تفكير فيها وإدارة لها في الصدور . ولعل هذا هو الذي جعل شعراءهم يشبهون خطبهم بالوشى والديباج والشباب المنقوشة المصورة .

وإلى جانب الخطابة والمنافرات عرف المجتمع الجاهلي صورة أخرى من صور هذا النشاط الثرى الواسع النطاق ، وهى « سجع الكهان » . والكهان طائفة من المتنبيين بالغيب ، كان أكثرهم من سَدَنَةِ بيوت الأصنام والأوثان ، عرفهم المجتمع الجاهلي كما عرف المجتمع الفرعونى فى مصر القديمة كهنة المعابد الدينية . وكان لكل منهم تابع من الجن أو « رَئِيَّ » يصعد فى السماء ، وليسترق السمع إلى ما تحطه أفلام الملائكة من مصائر البشر ، ثم يعود إلى صاحبه فيوحى إليه بما تساقط إلى سمعه ، وعلى أساس منه يبنى الكاهن نبوءاته عن الغيب المجهول الذى يسأل عنه من يقصده من البشر الباحثين عن حلول لما يعترض حياتهم من مشكلات غامضة لا تملك عقولهم وسيلة لحلها ، أو لما يُقَدِّمون عليه من أعمال خطيرة لا يعرفون نتائجها . وفى سورة الجن حديث طويل عن رجال من الإنس كانوا يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ، وأنهم كانوا يقعدون من السماء مقاعد للسمع ليسرقوا أخبارها من الملائكة ، وأنهم بعد بعثة النبي حيل بينهم وبينها ، إذ وجدوها ملئت حرما شديدا وشهبا ، فمن يستمع الآن منهم يجد له شهابا رصدا يحرقه قبل أن يصل إلى أبواب السماء . وهو حديث يتردد أيضا فى سورة الصافات .

وكان هؤلاء الكهان يعيشون حياة كهنوتية غامضة ، تكتنفها أسرار مجهولة تحولت فى أذهان الناس إلى أساطير خيالية ، جعلت العرب يعتقدون فيهم قدرات خارقة يعجز عنها البشر ، ويحيطونهم بهالات من التقديس يشوبه كثير من الرهبة والخوف والحذر . وتتردد فى المصادر الأدبية والتاريخية أسماء كثير منهم ، من أمثال سواد بن قارب والمأمور الحارثي وخنافر الحميري وعزرى مسلمة . وربما كان أشهرهم ذكرا ، وأبعدهم صيتا ، وأشدهم غموضا وأسطورية شق الذى

يصفونه بأنه كان نصف إنسان ، له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة ،  
وسطيح الذي يصفونه بأن جسمه لم تكن به عظمة واحدة إلا جمجمته ، وأن  
وجهه كان في صدره ، ولم يكن له عنق . ومع هؤلاء الكهان كانت هناك  
كاهنات من أشهرهن الشعثاء والزرقاء والكاهنة السعدية وكاهنة ذى الخُلصة  
والغَيْطَلَة القرشية وزَبْرَاء كاهنة بني رِثَام .

كان العرب يلجئون إلى هؤلاء الكهنة والكاهنات يستشيرونهم فيما يعرض  
لهم من مشكلات لا يجدون لها حلاً ، أو فيما يعترمون القيام به مما لا يعرفون  
نتائجه ، لعلهم يجدون عندهم النصيح أو التوجيه ، وكانوا يقدمون لهم نبوءاتهم  
في أسلوب متميز خاص بهم ، له خصائصه التي ينفرد بها من بين أساليب النثر والشعر  
التي عرفها المجتمع الجاهلي . وهو أسلوب يعد انعكاساً لحياتهم الكهنوتية  
الغامضة التي تغلفها أجواء أسطورية تموج بها أسرار مجهولة مبهمه كأنها وسوسات  
الشياطين الذين يوحون إليهم نبوءاتهم . أسلوب غريب يحيط به جنو غامض  
مبهم تحوم حوله أسرار الغيب المجهول ، يعتمد أساساً على الرمز الذي يحقق له  
هذا الغموض وهذه الكهنوتية ، ويتخذ من السجع القصير الفواصل وبسيلة  
للتعبير عما يحوم حوله من أسرار ، ويصطنع لغة مغمضة في الإغراب كأنها لغة  
الشياطين ، ليزيد من هذا الغموض ، ويحسم من هذه الأسرار ، ويبالغ من هذا  
الرمز ، وليترك الباب بعد ذلك مفتوحاً لشتى الاحتمالات والتأويلات . ويستعين  
على تأكيد هذا كله بأقسام غريبة غير مألوفة عند العرب بمظاهر الطبيعة المختلفة :  
الأرض وما فيها من جبال وأشجار وبحار ومياه وحيوان ونبات وطير ، والسماء  
وما فيها من كواكب ونجوم وبروج وشمس وقمر ، وما يتحرك بين السماء والأرض

من رياح وأنواء ، وسحاب وأمطار ، ونور وظلام ، وليل وصباح ، وشروق وغروب . وهو أسلوب استقرت معالمه وسماته المميزة له في نفوس العرب الجاهليين ، حتى خُيِّل لهم — وهم يستمعون إلى آيات القرآن الأولى التي نزلت في بداية المرحلة المكية — أنها أقوال كاهن من كهانهم ، فاتهموا النبي — من بين ما اتهموه به — بأنه كاهن أو ساحر . وقد وصف النبي عليه السلام رجلاً من هذيل اصطنع هذا الأسلوب في خصومة بين امرأتين من قومه بأنه « من إخوان الكهان » ، وأنكر عليه أن يسجع كسجع الجاهلية . وهذا كله يزيد من تأكيد الصورة الأسلوبية التي وصل إلينا فيها سجع الكهان ، ويرد على من يطلقون الحكم بوضعه وانتحاله إلى حد إنكاره كله .

\* \* \*

وراء هذه الألوان الثلاثة من النثر الجاهلي كانت هناك مجموعات من الوصايا والحكم ، وحشود لا حصر لها من الأمثال ، جرت على ألسنة طوائف من المعمرين والحكماء الذين عرفهم هذا العصر ، واحتفظت بأسمائهم ونصوصهم مصادره المختلفة ، أمثال أكتثم بن صيفي التيمي ، وعامر بن الظرب العدواني ، وذى الإصبع العدواني ، وطائفة أخرى من النساء من أمثال صخر بنت لقمان ، وهند بنت الحُص ، وجمعة بنت حابس ، وأمامة بنت الحارث .

وتدور هذه الوصايا والحكم والأمثال حول تجارب هؤلاء الحكماء والمعمرين في الحياة ، وما انتهوا إليه من آراء في مجال العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين الناس . وهي — من أجل ذلك — تمتاز بالتركيز البالغ والإيجاز الشديد للذين يحققان لها ما تهدف إليه من تقديم خلاصة التجربة في عبارة مختصرة ، تنفذ إلى سامعها من أقرب طريق ، في غير عوج أو دوران ، لتستقر في أعماقه واضحة

معدة خالصة من التفصيل والجزئيات، يمجدها كلما طلبها كما استقرت فيها كأنما نُقِشت فيها نقشا . ولعل هذا هو الذي أتاح لكثير منها أن يصل إلينا كما نطق به أصحابه دون تغيير أو تحريف ، ولعلها بهذا تصبح أصح نصوص من النثر الجاهلي . وصلت إلينا وأوثقها وأشدّها قربا إلى أصولها الأولى .

ومن أجل ذلك نرى في طائفة منها خروجا على النظام اللغوي ، وشذوذا على القياس النحوي ، كأنما كانت هذه آثارا لاحتفاظها برواسب من لهجات القبائل المحلية التي لم يحرص على تسجيلها علماء اللغة والنحو ، أو نتيجة لتحويلها على ألسنة الشعب العربي في شتى مجالات حياته إلى تراث شعبي لا يخضع لمقاييس التراث الرسمي الفصيح . ولعل في ذلك ما يفسر أن أكثر هذه الحكم والأمثال تُنسب إلى مجهولين لا نعرف عنهم شيئا ، بل حتى لا نعرف أسماءهم .

\* \* \*

يوسف خليف



القسم الأول

كتاب الشعر





عصر البسوس



## المُهَلِّل

في أواخر القرن الخامس الميلادي اشتعلت ومال الجزيرة العربية نيران حرب عاتية استمرت — فيما يذكر الرواة — أربعين سنة ، وهي حرب البسوس التي دارت رحاها بين قبيلتي بكر وتغلب بعد مصرع كليب سيد ربيعة التغلبي على يد جَسَّاس البكرى الذى غضب لإهانة لحقت خالته البسوس حين رمى كليب ناقة لها بسهم أصابها فقتلها ، فثار ثائرة جساس وانطلق إليه فقتله . وخرج المهلهل أخوه يطالب بثأره ، وكانت هذه هي الشرارة التي أشعلت نيران هذه الحرب الضارية .

والمهلهل بطل هذه الحرب هو عدي بن ربيعة ، يرجع نسبه إلى قبيلة تغلب ، وأكثر الرواة على أنه لُقِّبَ بالمهلهل لأنه أول من هلهل القصيدة العربية ، أى أطالها وخرج بها من مرحلة المقطوعة ، وهي المرحلة التي سبقت حرب البسوس . نشأ المهلهل في قبيلته كما ينشأ فتیان قومه وكان أبوه سيد ربيعة وقائدها في معارك التحرير ضد القبائل اليمنية التي غزت أرضها واحتلتها . وكان أخوه كليب سيدها بعد أبيه ، وقائدها في هذه المعارك حتى تم لها النصر فيها وطرد اليمنيين الغزاة . وشارك المهلهل في معارك التحرير تحت قيادة أبيه وأخيه ، حتى إذا ما استقرت الأمور ، وتولى كليب زعامة مضر ، انصرف المهلهل إلى حياة لاهية فارغة ، واتجه إلى متعه وملذاته : الخمر والمرأة والميسر والصيد .

ثم كانت نقطة التحول الضخمة في حياته حين بلغه مصرع أخيه ، فخلف وراءه دنيا للهو التي كان غارقا فيها حتى أذنيه ، ونقض يديه منها ، وحمل على كتفيه تبعه النار لأخيه ، وأقسم ألا يقرب النساء ، ولا يشرب الخمر ، ولا يشم الطيب حتى يثار له . وخاض المهلهل سلسلة من الوقائع الرهيبة ضد قبيلة بكر قتلة أخيه ومن تحالف معها من القبائل ، وتعددت انتصاراته . ثم بدأ ميزان الحرب يتحول حين دخل الحارث بن عباد سيد قبائل بكر كلها الحرب بعد أن كان قد اعترلها منذ بدايتها ، فقد توالى انتصارات بكر بقيادته ، وبدأت تُذَرُّ الهزيمة تلوح لتغلب في الأفق . وكأنما أدرك المهلهل أن أيام النصر قد ولت إلى غير رجعة ، فقرر أن يغادر ميدان الصراع ، ويرتحل بعيدا بأهله ، لعل ذلك يساعده على انطفاء نار الحرب وعودة الحياة إلى طبيعتها .

وتضطرب الحياة بعد ذلك بالمهلهل ، وتشهده صحراء نجد مرة مع قومه في طريقهم إلى العراق فرارا من البكرين الذين ظلوا يتعقبونهم من مكان إلى مكان ، وتشهده مرة أخرى مع أهله وحدهم فارين إلى اليمن بعد أن خلف قبيلته في طريقها نحو العراق ، ثم تشهده للسرّة الأخيرة وهو يغادر اليمن بعد أن ضاقت به الحياة هناك ليعود إلى قومه بالعراق . ولكن القدر يأبى عليه أن تتم رحلته ، فيقع في أسر البكرين ، ولكن أخوالا له يتدخلون ليأخذوه عندهم . ويسلمه البكريون لهم إجلالا لسنه واحتراما لشيخوخته ، ويقضى المهلهل ما بقي له من أيام حياته عند أخواله .

ثم تكون نهاية المسألة ، فيودع البطل الحياة في ظروف يختلف الرواة حولها . فمن قائل إنه مات ، ومن قائل إنه قتل ، ولكن النهاية — على الحالين — واحدة . إنه المعصير المحتوم الذي لا مفتر منه أدركه بعيدا عن قومه ،

غريباً عن ديارهم . ويختلف الباحثون في محاولاتهم تحديد سنة وفاته بين سنوات ٥٠٠ ، ٥٣٠ للميلاد . وهى محاولات لا نملك معها ترجيحاً لأى سنة منها . وإنما كل ما نملكه أن نقول إنه توفى فى أوائل القرن السادس الميلادى .

والمهلل أهم شاعر ظهر فى حرب البسوس ، وألمح شعراء عصره ، وهو الرائد الأول للشعر العربى الذى كان ظهوره البداية الحقيقية للشعر الجاهلى ، فهو — بإجماع الرواة — أول من أطل القصيدة العربية بعد أن كان الشعر قبله أبياتاً مفردة أو مقطوعات قصيرة ، وعلى يديه انتقل هذا الشعر من عصر المقطوعة إلى عصر القصيدة .

ويدور شعره الذى وصل إلينا حول حرب البسوس ، ويعد — بحق — وثيقة تاريخية لهذه الحرب ، وسجلاً كاملاً لأحداثها منذ أن لقي كليب مصرعه فاشعل نيرانها إلى أن انسحب هو من ميدان الصراع فانطفأت هذه النيران . ونستطيع أن نقسمه إلى مجموعتين أساسيتين : مجموعة تدور حول مصرع كليب وراثته والتفجع عليه ، وتهديد قبيلة بكر التى لقي مصرعه على يد أحد أبنائها ، ومجموعة تدور حول تصوير الحرب ، وتسجيل أحداثها ، وما أظهره هو فى ساحاتها من بطولات ، وما أحرزته قبيلته من انتصارات ، وما ألحقته بأعدائها من هزائم . وهو فى كلتا المجموعتين ينجس إلى شئ غير قليل من المبالغة والتحويل وتضخيم المواقف ، مما يعد انعكاساً نفسياً للغرور الذى كان يملأ نفسه ، والزهو الذى كان يداخلها ، كما يعد انعكاساً آخر لهول الفاجعة التى أودت بأخيه الذى ضرب به العرب المثل فى العزة ، وعمق إحساسه بها .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## بُكَائِيَّة

\* \* \*

تدور هذه القصيدة حول محور أساسي يدور حوله أكثر شعر المهمل ، وهو بكاء كليب الذي يتراءى أمام الشاعر بطلا أسطوريا ، فقدت الدنيا لمصرفه كل بهجتها ، بل كل قيمتها ، ومادت الأرض بمن عليها وما عليها حين بلغها نعيه . وإنه ليتمنى لو وقعت السماء على الأرض ، وانثقت الأرض فابتلعت كل شيء فوقها ، تعبيرا عن فجيعته فيه ، وتخفيفا من نار الانتقام التي تنأجج في أعماقه . وهو بكاء ينتهي بالشاعر إلى تعداد مآثر البطل الذي جمع كل صفات البطولة ، وتحققت فيه صورة مثالية لها . وهو — لذلك — يرفض كل صلح بينه وبين قتلة أخيه ، ويتوعدهم بأن الحرب بينه وبينهم مستمرة لن تتوقف ما دام الفلك الدوار مستمرا في حركته الأبدية التي لا تتوقف .

\* \* \*

- ١ كليب ، لا خير في الدنيا ومن فيها إذ أنت خلّيتها فيمن يخليها
- ٢ كليب ، أي فتى عزٍّ ومكرمة تحت السقائف إذ يعلوك سافيا

---

(١) يبدأ الشاعر قصيدته بموضوعها مباشرة ، وهو هذا يرعى التقليد الفني الذي سار عليه الشعراء من بعده من أن قصائد الرثاء لا تبدأ بالمقدمات التقليدية التي تبدأ بها الموضوعات الأخرى .

(٢) السقائف : حجارة القبر . والسافى : التراب .

- ٣ نعى النعاة كليياً لى فقلت لهم : مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها  
 ٤ أضحيت منازلُ بالسَّلاَنِ قد درست تبكى كليياً ولم تَفْزَعْ أقاصيها  
 ٥ الحزم والعزم كانا من صنيعته ما كلُّ آلائه ياقوم أحصيتها  
 ٦ القائد الخليل تردى في أعنتها زهوا إذا الخليل لَحَّتْ في تعاديتها  
 ٧ من خيل تغلب ما تلقى أسنتها إلا وقد خَضَّبَتْها من أماديتها  
 ٨ تكون أولها في حين كرتها وأنت بالكر يوم الكر حاميتها  
 ٩ حتى تَكْسِرَ شَزْرًا في نحورهم زُرْقُ الأَسْنَةِ إذ تَرَوَى صواديتها  
 ١٠ أمست وقد أوحشت جرداً ببلقعة للوحش منها مَقِيلٌ في مراعيها

(٣) الرواسى : الجبال .

(٤) السلان : موضع في ديار تظ . درست : عفت وتغيرت . وقوله « لم تَفْزَعْ أقاصيها » يريد به أنها لم تخرج النار . يستحث تغلب على الخروج لمركة النار .  
 (٥) الصنيعة : الإحسان . والآلاء : النعم .

(٦) تردى : ترجم الأرض بحوافرها ، كناية من الشدة والعنف . والزهو : الكبر والتهو والفخر . ولبت : تبادت . والتعاضد : التسابق في العدو . يقول إنه قائد الخليل التي تجاذب أعنتها وهي ترجم الأرض بحوافرها في تيه وخيلاء لتسبق الخليل التي تسابقها في العدو .

(٧) « ما تلقى أسنتها » كناية من انتهاء القتال وعودة الفرسان من المعركة . يقول إن هذه الخليل من خيل تغلب المشهورة التي لا تضع أسلحتها بعد القتال إلا وقد خضبت فرسانها من دماء الأعداء .  
 (٨) الخطاب في البيت لكليب . يقول إنه يكون دائماً في طليعة المهاجمين ، وإنه يتخذ من الهجوم نقطة لحماية فرسانه .

(٩) تكسر أى تنكسر ، حذف إحدى التاءين تخفيفاً . والشزرونا الطعن . وتروى : تشرب حتى تطفئ ظمأها ، والصوادى : العطاش . يقول إن هذه الأسنة الزرق المجلوة تنكسر في نحور الأعداء وتروى ظمأها من دماهم .

(١٠) البلعة : الأرض الخالية من مظاهر الحياة ، يريد ساحة المعركة بعد انتهاء القتال . والمقبل : مكان القبلولة وهي فترة الراحة في وقت الظهيرة . يصف ساحة القتال بعد انتهاء المعركة بأنها أمست موحشة مقفرة خالية إلا من الوحش التي اتخذت منها مقبلاً لها .



- ١١ يَنْقُرْنَ عَنْ أُمَّ هَامَاتِ الرِّجَالِ بِهَا      والحرب يفتقر من الأقران صاليتها  
 ١٢ يَهْزِ هِزُونَ مِنَ الْخَطِيِّ مُدْجَجَةً      كُنْتُ أَنَا يَيْبِهَا ، زُرْقًا عَوَالِيهَا  
 ١٣ تَرَى الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا ، فَنُورِدُهَا      يَيْبُضًا ، وَنُصِدرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا  
 ١٤ لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ      وَانْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَاِنْجَابَتْ بَيْنَ فِيهَا  
 ١٥ لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يَصَالِحُكُمْ      مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى مَجَارِيهَا

\* \* \*

- (١١) الضمير في « ينقرن » يعود على الوحش . والحامة : الرأس ، وأم الحامة : وسطها .  
 والأقران : الأبطال . وصالها : من يصلى نارها . يصف ساحة القتال بعد انتهاء المعركة وقد تجملت  
 فيها الوحش تنقر رؤوس القتلى وتنش أشلاءهم بعد أن افتقرم الأبطال بعضهم بعضا .  
 (١٢) يهزون : يهزون . والخطى : الرماح ، نسبة إلى مدينة الخط بإقليم البحرين ، وكانت  
 مشهورة بصناعتها . والمدججة : الحكمة الصنع . والكمت : الحمر . والأنايب : أهواد الرماح .  
 والعوالى : أسننها . يصف أنايب الرماح بالحجارة لكثرة استعمالها وتعرضها للشمس ، ويصف  
 أسننها بالزرقاء كناية من حدتها وصلتها ولعانها .  
 (١٣) نوردها : أى نفضى بها للقتال ، من ورد الإبل وهو خروجهما للماء . ونصلوها : أى  
 نعدوها ، من الصدر وهو صرودة الإبل من الماء . يريد أنهم يخرجون بها للقتال وهى بيض نقية ،  
 ويرجعون بها بعده وقد خضبتها دماء الأعداء بلونها الأحمر .  
 (١٤) انجابت : انقطعت وانخرقت . يئس : فى غمرات حزنه وغيفه — أن تقع السماء على  
 الأرض ، وأن تنشق الأرض فتبتلع من عليها ، فتكون نهاية الكون ونهاية كل شئ . فيه .  
 (١٥) يئسها صريحة لئى بكرتلة أخيه أنه لا صلاح بينه وبينهم مدى الحياة ، وإنما هى الحرب  
 ما دام الكون مستمرا فى حركته الأبدية .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٢ )

## الذاهية

\* \* \*

تدور هذه القصيدة التي ستمتها العرب « الذاهية » حول ثلاثة محاور :  
المحور الأول : التنديد بالحرمة المروعة التي ارتكبتها جساس حين قتل رجلا  
لا كسائر الرجال ، فجنى على قومه جناية لا يعرف أحد مداها ، ولا يملك أحد  
تقدير عواقبها الوخيمة .

والمحور الثاني : تسجيل أهم عمل قام به كليب لقومه ، وهو انتزاع النصر  
لهم من بين أنياب اليمنيين حين قاد جموعهم في يوم نزار ، فأجل الغزاة المحتلين  
عن أرضهم ، وطردهم من ديارهم التي اغتصبوها ، وهو نصر اعترف به قومه له ،  
وقدروا دوره فيه ، فنصبوه ملكا عليهم .

والمحور الثالث : تهديد بني بكر قتلة كليب بمعركة ضارية يخوضها فتیان  
تغلب الأشداء وفرسانها المضاوير حتى يدركوا نار مسيدهم ، وإلا فلأنهم  
لا يستحقون الحياة .

حول هذه المحاور الثلاثة تدور هذه القصيدة التي تبلغ أكثر من ثلاثين بيتا ،  
والتي تمكس تصميما صارما على معركة النار التي يتوعدهم بها الشاعر . وهو تصميم  
جعل صوت البكاء والعويل والانفعالات الصارخة المشبوبة التي رأيناها في  
« البكائية » السابقة يبدو خافئا إلى درجة كبيرة ، فاخفت منها آهات التفجع  
وولولات الأمل ، لتخلي مكانها لصرخات النار وصيحات الانتقام التي تمكس

أصداؤها تفعيلات البحر السريع « مستفعلن مستفعلن فاعلن » التي تتوالى عنيفة قوية كأنها دقات طبول الحرب تبعث العزم والتصميم في نفوس الخارجين إلى ساحاتها، كما تمكسها تلك القافية المقيدة التي يتوقف الصوت عندها فلا يترك مجالا لتلك المد المتراخي الذي تمثله القوافي المطلقة ، وهي قافية اختار الشاعر رويًا لها حرف القاف الشديد الجهر العميق المخرج ، وكأن كل وقفة عنده دوى دقة من دقات هذه الطبول .

\* \* \*

- ١ جارت بنو بكر ولم يعدلوا والمرء قد يعرف قصده الطريق
- ٢ حلت ركاب البغي في وائل في رهط جساسين يقال الوسوق
- ٣ يا أيها الجاني على قومه جناية ليس لها بالمطيق
- ٤ جناية لم يدركها ماكنها جان ، ولم يصحح لها بالخليق
- ٥ كقاذف يوما بأجرامه في هوة ليس لها من طريق

(١) قصد الطريق : الطريق المستقيمة التي تمضي في غير هوج أو انحراف . يقول إن بنو بكر جاروا علينا ، ولم يسلكوا سبيل العدل معنا ، وقد كان في وسعهم أن يسرفوا طريق الصواب فينبهوا طريق الخطأ والضلال .

(٢) وائل : أصل قبيلتي بكر وتطلب الذي يجمع بينهما . والوسوق : الأحمال توضع على ظهور الإبل يقول إن مطايا البغي والظلم المحملة بأحمالها الثقيلة نزلت في قبيلة وائل في رهط جساس .

(٣) الخطاب في البيت لجساس . وقوله « ليس لها بالمطيق » أي أنه ليس قادرا على تحمل نتائجها .

(٤) قوله « لم يصح لها بالخليق » تكرر لمعنى البيت السابق ، يعنى أنها جناية أكبر منه ،

وهو أصغر من أن يتحملها . ومن هو إلى جانب كليب ؟!

(٥) الأجرام : جمع جرم وهو الجسد . يقول إن جساسا بارتكابه هذه الجريمة كان كفى يرى نفسه في هوة سحيقة طريقها مسدود ، فلا سبيل للنجاة منها ، ولا من هلاكه فيها .

- ٦ مَنْ شَاءَ وَلَّى النَّفْسَ فِي مَهْمِهِ ضَعْفِكَ ، وَلَكِنْ مِنْ لَهُ بِالْمَضِيقِ  
٧ إِنْ رَكُوبَ الْبَحْرِ مَا لَمْ يَكُنْ ذَا مَصْدَرٍ مِنْ تَهْلُكَاتِ الْغَرِيقِ  
٨ لَيْسَ أَمْرُهُ لَمْ يَعْدُ فِي بَغِيهِ صِدَايَةٌ تَخْرِيقَ رِيحٍ خَرِيقِ  
٩ كَيْفَ تَعْدَى بَغِيَهُ قَوْمَهُ طَارَ إِلَى رَبِّ اللَّوَاءِ الْخَفُوقِ  
١٠ إِلَى رَئِيسِ النَّاسِ ، وَالْمُرْتَجَى لِعَقْدَةِ الشَّدِّ وَرَتَقِ الْفَتُوقِ  
١١ مَنْ عَرَفَتْ يَوْمَ خَزَازٍ لَهُ عَلِيًّا مَعَدَّ عِنْدَ أَخْذِ الْحَقُوقِ  
١٢ إِذَا أَقْبَلْتَ خَيْرٌ فِي جَمْعِهَا وَمَذْجٌ كَالْعَارِضِ الْمُسْتَحِقِّ

(٦) المهمة : الصحراء ، والضنك : الضيقة التي لا أمل في النجاة منها . يقول إن الإنسان يستطيع إن شاء أن يزوج نفسه في المواقف الضيقة ، ولكن من له بالنجاة منها ؟

(٧) المصدر : الخروج . يقول إن ركوب البحر يعد خطرا على حياة راكبه ، وسببا من أسباب خرقه ، ما لم يعرف منذ البداية كيف يخرج منه .

(٨) لم يعد في بغيه : أي لم يتجاوز بغيه . والريح الخريق : الباردة الشديدة الميؤب . وتخريقها هبوبها .

(٩) الخفوق : التفاق . والشاعر في البيتين يوازن بين من لم يعد بغيه موضعه كمصفة الريح تهب ثم تبدد في الآفاق ، ومن يتسع نطاق بغيه كما فعل جساس حين قتل سيد العرب وقائدهم ورائع لوأثم في عتات السماء .

(١٠) « المرتجى لعقدة الشد ورتق الفتوق » يعنى الذى يرتجيه الناس لإحكام الأمور وضبطها وإصلاح الفساد والخلل ، وإزالة أسباب الخلاف والشقاق ، أو — على حد تعبيرنا الحديث — للضبط والربط .

(١١) يوم خزاز : يوم بين اليمن ومعد ، انتصرت فيه معد بقيادة كليب فبايعوه ملكا عليهم .

(١٢) حير ومذبح : من القبائل اليمنية التي خاضت الحرب يوم خزاز . والعارض : السحاب يعترض في الأفق لاتساعه وانتشاره . والمستحق : المحيط بهم من كل جانب . يصف جموع اليمنيين بالكثرة والانتشار .

- ١٣ وَجَمْعُ مَمْدَانَ لَهُ بَلْبِيَّةٌ      وَرَايَةُ تَهْوِي هَوِيَّ الْأَنْوَقِ  
١٤ تَلَمَحَ لَمَحَ الطَّيْرِ رَايَاتُهُ      عَلَى أَوَادِي بَلَجَ بِحَرِّ عَمِيقٍ  
١٥ فَاحْتَلَّ أَوْرَارُهُمْ أَرْزُهُ      بِرَأْيِ مَحْمُودٍ عَلَيْهِمْ شَفِيقٍ  
١٦ وَقَدْ عَلَنَهُمْ لِلْقَاهِبِيَّةِ      ذَاتُ هِبَالٍ كَلْهَيْبِ الْحَرِيقِ  
١٧ فَانْفَرَجَتْ عَنْ وَجْهِهِ مُسْفِرًا      مِنْبِلَجًا مِثْلَ انْبِلَاجِ الشَّرِيقِ  
١٨ فَقُلِّدَ الْأَمَرَ بَنُو هَاجِرٍ      مِنْهُمْ رَثِيسًا كَالْحَسَامِ الْبَرِيقِ  
١٩ مُضْطَلِمًا بِالْأَمْرِ يَسْمُو لَهُ      فِي يَوْمٍ لَا يَنْسَاغُ حَلَقُ بَرِيقِ  
٢٠ فَذَلِكَ لَا يُوفِّي بِهِ غَيْرُهُ      وَلَيْسَ يُنْقَى مِثْلُهُ فِي فَرِيقِ

\* \* \*

(١٣) ممدان : قبيلة يمنية أيضا . والحبية : والجلبة . والأنوق : العقاب أو النسر . وتهوي : تنقض ، والهووي : مصدره .

(١٤) الأواذي : الأمواج ، جمع آذى . يشبه رايات الجيش وهي تتحقق فوقه بتحقيق طيور البحر فوق أمواجه الكثيفة المظلمة . وهي من الصور النادرة في الشعر الجاهلي .

(١٥) الأورار : الأتقال . والأزور : القوة ، ومن معانيها الظاهر ، وهو المراد هنا . يقول إنه احتمل أورارهم على ظهره ، وحل مشكلاتهم برأى سيد محمود بينهم ، شديد المعطف عليهم .

(١٦) القاه : اللقاء وهو هنا الحرب . والهبوة : الغبار . يقول إن غبار المعركة كان يتصاعد فائرا فوق المقاتلين كأنه طيب النار .

(١٧) مسفرا : مضيئا مشرقا ، من أسفر الصبح إذا أضاء ، وكذلك انبلاج . يقول إن المعركة انقربت عن وجهه ، وإشراقة النصر تأتلق فوق وجهه كإشراقة الصباح بعد الليل .

(١٨) بنو هاجر : هم العرب أبناء اسماعيل من هاجر المصرية . والحسام البريق : السيف الذي يبرق لشدة لماعته وصلته . يقول إن العرب نصبوا كليباً بعد هذا النصر رئيساً عليهم .

(١٩) قوله « في يوم لا ينساغ حلق بریق » يريد به يوم الحرب حين تحب حلق المقاتلين لشدة القتال وأحواله . وفي القرآن الكريم « وإذا زأغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر » (الأزباب ١٠) .  
(٢٠) لا يوفى به غيره : أي لا يعده له غيره . والفريق : الطائفة الكبيرة من الناس . يريد أنه لا يوجد مثيل له في أي قبيلة من قبائل العرب سواء اليمنية أو العدنانية .

- ٢١ قل لبني ذهل يردونه أو يصيروا للصيلم الخنفقيق  
 ٢٢ فقد ترووا من دم محريم واتهكوا حرمة من عقوق  
 ٢٣ واستسعروا من حربنا ماتما أثابهم نيران حرب عقوق  
 ٢٤ لا يرقا الدهر لها ماتك إلا على أنفاس تجللا تفوق  
 ٢٥ إن امرا ضرجتم ثوبه بعاتك من دمه كالحلوق  
 ٢٦ سيد سادات إذا ضمهم معظم أمر يوم يؤس وضيق  
 ٢٧ لم يك كالسيد في قومه بل ملك دين له بالحقوق

(٢١) ذهل بن شيان : قبيلة جساس قاتل كليب . والصيلم : الداهية . الخنفقيق : المريعة . جدا . يتوعدهم بحرب خاطفة إن لم يردوا كليباً للحياة .

(٢٢) الدم المحرم : الذي له حرمة . يقول إنهم ارتووا من دم له حرمة ، واتهكوا هذه الحرمة . بمقوقهم وتذكهم لحقوق القرابة .

(٢٣) استسعروا : استوقدوا . وأثابهم : جازاهم . والحرب العقوق : التي تجحد حقوق القرابة وصلات الرحم . يقول إنهم بحرهم لنا كانوا كمن يقيمون ماتما لهم ، وليس هذا المأثم إلا جزاء . وفاقا على ما أشعلوه من نيران هذه الحرب التي قطعت وشائج القرى بيننا وبينهم .

(٢٤) يرقا : يجف . والماتك : الخالص من الألوان ، يريد الدم . والنجلاد : الواسعة ، يريد الطعنة . وتفوق : يتجمع الدم فيها . يقول إن هذه الحرب لا تحيف دماؤها مدى الدهر إلا بمقدار ما يتجمع في مواضع الطعنات .

(٢٥) الخلق : الطيب . وتكلمة المعنى في البيت التالي .

(٢٦) معظم الأمر : أى أشده . يقول إن هذا القاتل الكريم الذي ضرجتم ثيابه بدمائه الطاهرة . التي تفوح كالسك سيد سادات يلجأون إليه كلما ألم بهم أمر عظيم في الأيام الصعبة الضيقة ، أيام المحن والشدايد .

(٢٧) دين له بالحقوق : أى له عليكم حقوق تدينون له بها . يقول إن هذا الذي قتلتموه لم يكن مجرد سيد في قومه ، ولكنه كان ملكا على العرب له عليهم حقوق الملك .

- ٢٨ تنفـرج الظلماء عن وجهـه كالليل ولـى عن صـديـع أنـيق  
 ٢٩ إن نحن لم نـثـأر به فاشـكـدوا شـفـاركم منـا لـحـز الحـلـوق  
 ٣٠ ذبحا كذبيـع الشاة لا تـشـق ذابـحـها إلا يشـعـب العـروـق  
 ٣١ أصـبـح ما بين بنى وائل منقـطـع الحـيـل بـعـيد الصـديـق  
 ٣٢ غـدا نـسـاقى — فاعلموا — بـيـننا رماحنا من قايى كالرحيق  
 ٣٣ بـكل مـغـوار الضحى فاعلم بـكل شـمـزدل من فـوق طـرـف عـتيـق

- (٢٨) الصديق : الصبح ، من الصدح وهو الشق ، كأنما انشقت السماء عن النور عند مطلعهِ .  
 (٢٩) الشفار : جمع شفرة وهى السكين . وشحذا : سنها وأحدها . والحز : القطع والتذيق .  
 يقول إن لم نثار لكليب فإننا لا نمنح الحياة ، وإذن فلتعدوا شفاركم الحادة المسنونة لقطع حلوقنا .  
 والبيت يعكس ثقة المهلهل المطلقة فى قدرته على الأخذ بثأر أخيه .  
 (٣٠) شخب العروق : تفجرها بالدم عند قطعها . يقول إن لم نثار لكليب فنقدموا لذبحنا كما  
 تلذج الشاة الضعيفة المغلوبة على أمرها التى لا تملك ما تشق به ذابحها إلا بتفجر الدم من عروقها .  
 والبيت استمرار فى تصوير هذه الثقة .  
 (٣١) بنو وائل هم بكر وتقلب اللذان اشتملت بينهما الحرب . يقول إن ما بيننا وبينكم — ونحن  
 أبناء قبيلة واحدة — قد قطعت أسبابه ، وتباعدت الصداقة التى كانت تقرب بيننا .  
 (٣٢) نساقى : تبادل الشراب ، فيسقى كل منا الآخر . والقايى : الشديد الحمرة ، يريد الدم .  
 والرحيق : الخمر . يقول سوف نلتقى فى معارك رهبة تبادل فيها أنخاب الدماء الحارة القانية التى  
 تصبغ رماحنا بلون الخمر .  
 (٣٣) الشمزدل : الفتى الرائع الجميل . والطرف : الجواد الكريم . والعتيق : الأصيل .  
 ونسب الفرسان للضحى لأنه وقت الغارات عند العرب . والشاعر هنا يتوعد أعداءه بفرسان قومه  
 الأشداء فوق جيادهم الكريمة الأصيلة .

٣٤ ليس أخوكم تاركاً وثره      وليس عن تطلائكم بالمفريق

\* \* \*

(٣٤) الوتر : الثأر . والمفريق : الذي يطلب الراحة بين عملين ، من الإفاقة وهي الراحة تأخذها الذاقة بين الحلبتين . يتوعد أعداءه بأنه لن يترك المطالبة بثأره ، ولن يهدأ عنه ، ولن ينجح إلى الراحة بين معركة ومعركة ، فإنما هي حرب متصلة لا تتوقف ، ولا تهدأ ، ولا يستريح المقاتلون فيها .

\* \* \*

يوسف خليف



( ٣ )

## صور من التهديد

\* \* \*

تدور هذه المجموعة من النصوص المختارة من قصائد المهلهل ومقطوعاته حول تهديده لقبيلة بكر ، وهو فيها يعرض صورا مختلفة منه وما ينتظرها على يديه من ألوان الانتقام التي يصل بعضها — كما هي طبيعة المهلهل في شعره — إلى درجة كبيرة من المبالغة والتهويل . وهي صور نراها تتردد كثيرا في شعره ، فهو لا يفتأ يرددها ، ولا يمل تكرارها والإلحاح عليها ، وكأنما سيطرت على تفكيره ، واستبدت بمشاعره ، واستقرت في أعماقه ، تعبيرا عن إحساسه بوقع الفجيعة المروعة التي هنزته هنا عنيقا ، وانعكاسا لما تفيض به نفسه من مشاعر الحقد والغضب والرغبة المجنونة في الانتقام .

\* \* \*

### الصورة الأولى

- ١ لما نعى الناعى كليبا أظلمت شمس النهار فما تريد طلوعا
- ٢ قتلوا كليبا ثم قالوا : أرتعوا كذبوا لقد منعوا الجياد رتوما
- ٣ كلا ، وأنصاب لنا عادية معبودة قد قُطعت تقطيعا

(٢) أرتعوا : أى ارتكبا خطيئكم ترتع في مراعيها . يقول لإتهم قتلوا كليبا وظنوا أن الحياة ستضى كما كانت من قبل ، وهم بهذا يخادعون أنفسهم ، لأنهم هم السبب فيا أصاب الحياة من توقف .

(٣) الأنصاب : الأوثان . والعادية : القديمة ، يريد أنها معبودة من قديم الزمان . وقوله « قطعت تقطيعا » يريد أنها شكلت تشكيلا لتكون صالحة للعبادة وتقديم القرابين إليها .

٤. حتى أُيَسِدَ قَيْسِلَةً وَقَيْسِلَةً وَقَيْسِلَةً وَقَيْسِلَتَيْنِ جَمِيعاً  
٥. وَتَذَوَّقَ حَتَّى أَلَّ بِكِرِ كُلِّهَا وَنَهَّدَ مِنْهَا سَمَكَهَا الْمَرْفُوعَا  
٦. حَتَّى نَرَى أَوْصَالَهُمْ وَجَمَاجِمَهُمْ مِنْهُمْ عَلَيْهِمُ الْخَائِدَاتُ وَقُوعَا  
٧. وَنَرَى سِبَاعَ الطَّيْرِ تَنْقُرُ أَعْيُنَا وَتَجَرُّ أَعْضَاءَ لُحْمٍ وَضُلُوعَا

\* \* \*

### الصورة الثانية

١. قَتَلُوا كُلِّيَا ثُمَّ قَالُوا : ارْتَعُوا كَذَبُوا وَرَبَّ الْحِلِّ وَالْإِحْرَامِ  
٢. حَتَّى يُيَسِدَ قَيْسِلَةً وَقَيْسِلَةً وَيَعَضُّ كُلُّ مَثْقِفٍ بِالْهَامِ  
٣. حَتَّى يَعَضُّ الشَّيْخُ بَعْدَ حَمِيمِهِ مِمَّا يَرَى نَدَمًا عَلَى الْإِبْهَامِ

(٥) الحنف : الموت . والسك : البناء .

(٦) الأوصال : المفاصل ، لأنها تحصل أعضاء اللحم بعضها ببعض . والخائدات : الضباع ، تنجح في سيرها ، أى تمشى كأن بها حرجاً .

(٧) سباع الطير : جوارحه . يقولون نهداً حتى يئسد جوعهم ، ونهدم بليانهم ، ونرى الضباع فوق جثث قتلاهم تنهش أوصالهم وجماجمهم ، وجوارح الطير تنقُر أعينهم ، وتجَرُّ أعضاءهم وضلوعهم .

\* \* \*

(٢) المثقف : الرخ . والهام : جمع هامة وهى الرأس . يقولون : نهداً حتى يئسد قباثلهم ، ونضع رماحتنا في هاماتهم تهنئها همتاً .

(٣) اللحم : القريب الذى تهتم لأمره . يقولون : نهداً حتى نرى الشيوخ الكبار يتخلون عن ذنابهم وفوارهم ويعضون أصابعهم ندماً على من لقوا مصارعهم من أقرانهم في ساحات القتال .

٤ وتقوم ربات الخدور حواميرا يمسحن عُرْضَ ذوائب الأيتام

\* \* \*

### الصورة الثالثة

١ قتلوا ربهم كلييا سفاها ثم قالوا : ما إن نخاف عويلا

٢ كذبوا والحرام والحلل حتى نسلب الخدر بيضه المحجولا

٣ ويموت الحنين في عاطف الرحيم ، ونزوى رباحنا والخيولا

\* \* \*

### الصورة الرابعة

١ فالأوردن الخيل بطن أراكية ولأقضيئ بفعل ذاك ديوني

٢ ولأقتلن بجاحجا من بكر كم ولأبيكين بها جفون عيون

٣ حتى تظل الحاملات مخافة من وقعنا يقذفن كل جنين

\* \* \*

(٤) حواسر : أى كاشفات الوجوه . ومرض النوى : ناحيته من أى وبه بئته . يقول : لن نهذا حتى نترك ربات الخدور المعجيات وقد كشفن عن وجوههن حزنا على أزواجهن الذين لقوا مصرعهم في الحرب ، وأخذن يمسحن ذوائب صغارهن الذين قتلنا آباءهم وأدقنهم اليم بعد أن أذقنا أمهاتهن الترميل .

\* \* \*

(١) يقول إنهم قتلوا سيدهم ، وكانت جريمتهم سفها منهم لم يقدروا هواقبه ، وقالوا إنما لا نخشى من بكائكم عليه ظنا منهم أننا لن نفعل شيئا .

(٢) البيض هنا : النساء ، وتشبيه النساء بالبيض كثير في الشعر الجاهلي ، وفي القرآن الكريم في وصف حور الجنة « كأنهن بيض مكنون » (الصفافات ٤٩) . والمحجول : المكنون في الجبال .

(٣) الرحم (بالكسر) : لغة في الرحم ، وعاطف الرحم : أى الرحم التى تعطف على جنينها . ونزوى رباحنا والخيولا : أى شقها من دماء الأعداء .

\* \* \*

(١) بطن أراكية : أمم راد هارت فيه يعض أيام هذه الحرب .

(٢) الجاحج : السادة الكرام ، مفردا بجاح .

(٣) الحاملات : يريد النساء الحوامل .

\* \* \*

يوسف خليف

## جَلِيلَةُ الْبَكْرِیَّةِ

\* \* \*

هی جلیلة بنت مُرَّة بن دُهل بن شیيان البکرية ، زوجة کلب سيد ربيعة ، وأخت جساس قاتله . وكانت شاعرة فصیحة ، ولكن ما وصل إلینا من شعرها قليل . وهو امر طبعی ، فشعر النساء قليل في تاريخ الشعر العربی ، وأكثره كان یجری علی ألسنتهن في مناسبات عارضة ، ولم یعرف تاریخ هذا الشعر إلا عددا قليلا من الشاعرات المحترفات . هذا إلى جانب أن جلیلة من أقدم الشاعرات اللاتی عرفهن الشعر العربی ، فهي من عصر البسوس الذی شهد البداية المبكرة للشعر الجاهلی ، وهي معاصرة للهلل الذی تنسب إليه أولیة هذا الشعر . وأكثر شعرها یدور حول بكاء زوجها ، وتصویر مأساتها الی عاشتها بعد مصره .

عاشت جلیلة زوجةً لكلیب ، حتی إذا ما لقی مصرمه علی ید أخيها ، لم تجد بدا — بعد فترة من التردد والتفكير — من أن ترحل إلى قومها . وقضت ما بقی لها من أيام عند أخيها جساس حتی قُتل ، فضمت تنقل مع قبیلتها شیيان علی امتداد ساحات القتال ، واختلاف میادینہ ، حتی ماتت . وربما كان ذلك — علی ما یظن بعض الباحثین — حوالی سنة ٤٠٥ لیلاد .

\* \* \*

یوسف خلیف

## بين شقيّ الرّحى

\* \* \*

ترسم جلييلة فى هذه القصيدة صورة نفسية دقيقة لمأساتها بعد مصرع زوجها على يد أخيها . لقد قُتل كليب بسهم جساس ، وروّعت المنطقة كلها لمصرعه ، وأسرع المهلهل من دنياه الالهية ليحمل على عاتقه عبء معركة النار الضارية التى بدأت تُذرها فى الأفق القريب . واستعدت القبيلة للصراع الرهيب الذى ينتظرها . ووقعت جلييلة الحزينة بين شقى الرّحى تعاني صراعا نفسيا عنيقا . لقد قُتل أخوها زوجها ، واستعد أخوه لقتال قومها ، فلم تدر ما تفعل ، ولم تستطع — فى غمرة الصدمة وهول الفاجعة — أن تحدد موقفها : أتبقى مع قوم زوجها وفاءً لذكراه وحفاظا على عهده ، أم تلحق بقومها نجاةً بنفسها من الموقف الصعب الذى وضعها أخوها فيه ؟ وفى ما تمّ كليب اجتمعت نسوة من الحى ، وطلبن إليها أن ترحل عنه ، وأظفن لها القول ، وقلن لأخت كليب : رحلى جلييلة عن ما تمك ، فإن قيامها فيه شمانة ومار علينا عند العرب . وقضت جلييلة فترة من الزمن تعاني صراعا نفسيا طاحنا بين البقاء والرحيل ، ثم حسمت أمرها وقررت أن ترحل إلى قومها حتى تنجو من العاصفة العاتية التى أوشكت أن تعصف بالقبيلة . ورحلت جلييلة فى حالة نفسية سيئة ، وقالت لها أخت كليب : رحلة المعتدى وفراق الشامت ، ويلّ غداً لآل مرة ، من الكرة بعد الكرة ! فقالت جلييلة : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ؟ أسعد الله جدّ أختى ، أفلا قالت : نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ؟ .

وعلى مشارف الحى لقيها أبوها ، فقال لها : ما وراءك يا جليمة ؟ فقالت :  
 تُشكّل العَدَد ، وحزن الأبد ، وفقد حليل ، وقتل أخٍ عن قليل ، وبين ذَيْن غَرْسٍ  
 الأحقاد ، وتفتّت الأكبَاد . فقال لها : أَوَيْكَفْ ذلك كرم الصفع وإغلاء  
 الديّات ؟ فقالت : أمنيّة مخدوع وربّ الكعبة ، أبا بُدْنٍ تدعُ لك تغلب دم  
 ربها ؟ . ثم فزعت إلى شعرها تصور فيه مأساتها الحزينة ، ومشكلتها التى لا تجد  
 لها حلا ، فكانت هذه الأبيات .

وهى أبيات تترأى كأنها قطعة أثرية نادرة ، يرجع تاريخها إلى أقدم عصور  
 الشعر العربى ؛ إلى المرحلة المبكرة التى شهدت أولية هذا الشعر وميلاد القصيدة  
 العربية . وترجع أهميتها إلى أنها من أقدم النصوص التى وصلت إلينا من الشعر  
 الجاهلى ، ولعلها أقدم نص نسائى لشاعرة عربية وصل إلينا . وقد استطاعت  
 الشاعرة أن تعكس فيه طبيعتها الأنثوية فى صدق وإخلاص ، وأن ترسم صورة  
 معبرة عن مشاعر زوجة فقدت زوجها فى ظروف بالغة الحساسية ، وأن تقدم  
 جوانب المأساة الحزينة التى تعيشها تتجاذبها انفعالات متضاربة ، ثم تلتق بها  
 فى النهاية بين شقّ الرحى .

\* \* \*

- ١ يا ابنة الأقوام إن لمّت فلا      تعجل باللوم حتى تسألى
- ٢ فإذا أنتِ تلبّستِ الذى      يُوجب اللوم فلومي واعذلى
- ٣ إن تكن أخت امرئٍ ليمت على      جزع منها عليه فافعللى

(١) انخطاب فى البيت — فى ضوء ما ذكره الرواة عن مناسبة القصيدة — لأخت كليب .

(٢) تقول لما : إن كان جزع أخت على أخيها أمرا تلام عليه ، فلومينى على جزمى على أخى

الذى ينتظره مصرعه فى معركة النار القادمة .

- ٤ جَلَّ عِنْدِي فِعْلُ جَسَّاسٍ فَيَا حَسْرَتِي عَمَّا انْجَلَى أَوْ يَنْجَلِ  
 ٥ فِعْلُ جَسَّاسٍ عَلَى وَجْدِي بِهِ قَاطِعٌ ظَهْرِي وَمُدْنٌ أَجَلِ  
 ٦ لَوْ بَعِينٌ فُقِئْتُ عَيْنِي سَوَى اخْتِيهَا فَاتَّقَاتِ لَمْ أَحْفَلِ  
 ٧ تَحْمِلُ الْعَيْنُ قَذَى الْعَيْنِ كَمَا تَحْمِلُ الْأُمُّ أَدَى مَا تَقْتَلِي  
 ٨ أَيْتَمَ الْمَجْدَ كَلِيبَ وَحَدَّهُ وَاسْتَوَى الْعَالِيَّ مَعَا بِالْأَسْفَلِ  
 ٩ مَنَ لِحْكَمِ النَّاسِ فِي حَيْرَتِهِمْ وَقِرَى الْأَضْيَافِ يَوْمَ الْبَزْلِ  
 ١٠ وَلِلْإِصْلَاحِ وَإِفْسَادٍ مَعَا فِي صَدَى الرِّيحِ وَرَى الْمُنْصَلِ

\* \* \*

- (٤) جَلَّ : عظم . والضمير في انجلى وينجل يعود على فعل جساس . تنحصر على النتائج التي انجملت عنها جريمة جساس ، وعلى العواقب التي ينتظر أن تنجل عنها .  
 (٥) على وجدى به : أى مع وجدى به ، وعلى هنا للمصاحبة بمعنى مع ، وفي القرآن الكريم « وآتى المال على حبه » أى مع حبه ، وفيه أيضا « وإن ربك ذو مغفرة للناس على ظلمهم » أى مع ظلمهم . والوجد : الحزن .  
 (٦) تقول : لو فقيئت عيني بعين غريبة لم أبال ولم أهتم . تصور بهكذا مأساتها التي وضعتها بين شقي الرعي ، فالذي قتل زوجها ليس غريبا عنها ، لأنه أخوها ، ومن هنا تأتي مشكلتها .  
 (٧) قذى العين : ما يصيبها من أجسام غريبة تسقط فيها . وتقتل : تربي . تقول إنها تحمّل مأساتها مرعبة عليها ، وتحملها حجرة عليها ، لأنها وضعت في أحقادها على غير إرادة منها .  
 (٨) تقول : لقد ترك كليب المجديتي ، وتهدم كل شيء . بعده .  
 (٩) القرى : إكرام الضيف . والبزل : جمع بازل ، وهي الناقة التي بزل نابها أى ظهر ونبت ، ويكون ذلك عادة في السنة التاسعة من عمرها . ويريد بقوله « يوم البزل » يوم نصرها للضيوف . تصف كلها بالسيادة والكرم .  
 (١٠) الصدى : العطش . والرى : الارتواء . والمنصل : السيف . تقول إنه قائد خير بفنون القتال ، يضع كل شيء في موضعه ، ويعرف متى يضع الرمح الظامى ، لدماء الأعداء ، ومتى يرفع السيف بعد أن يرتوى منها .

- ١١ يا قتيلا قَوْضِ الدهرُ بهِ      سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعًا مِنْ حِلِ  
١٢ هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ      وَاثْنَى فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ  
١٣ وَرَمَانِي قَتْلُهُ مِنْ كَذِبٍ      رَمِيَةِ الْمُصْنَعِي بِهِ الْمُسْتَاصِلِ

\* \* \*

- ١٤ يَا نِسَائِي دُونَكُنَّ الْيَوْمَ قَدْ      خَصَّنِي الدَّهْرُ بِرُزْءٍ مُغْضِلِ  
١٥ خَصَّنِي قَتْلُ كَلْبٍ يَلْظِي      مِنْ وَرَائِي ، وَلَظَى مُسْتَقْبِلِي  
١٦ لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ      لَمَّا يَبْكِي لِيَوْمٍ يَتَجَبَّلِي  
١٧ يَسْتَفِي الْمُدْرِكُ بِالنَّارِ ، وَفِي      دَرَكِي نَارِي تُكَلِّ الْمَشْكِلِ

(١١) قَوْض : هدم . وتريد بقولها « بيتي » بيت زوجها وبيت أخيها .

(١٢) البيت الذي استحدثته هو بيت الزوجية ، وبيتها الأول هو بيت أمومتها .

(١٣) مَنْ كَذَبَ : مَنْ قَرَّبَ . وَالْمُصْنَعِي : الْقَاتِلُ فَسُورًا ، مَنْ أَصَمَّى الْعَيْدَ إِذَا رَمَاهُ فَقَتَلَهُ فِي مَكَانِهِ ، يَقُولُ إِنَّ قَتْلَ كَلْبٍ كَانَ سَهْمًا قَاتِلًا صَوَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَرَبٍ ، فَقَتَلَهَا فِي الْحَالِ ، وَاسْتَاصَلَ كُلَّ شَيْءٍ فِي حَيَاتِهَا مِنْ جَذْوَرِهِ .

(١٤) الرُّزْءُ : الْمَصَابِ . وَالْمُغْضِلُ : الْمَشْكَلُ الَّذِي لَاحِلٌ لَهُ . وَدُونَكُنَّ : اِسْمُ فِعْلٍ يَفِيدُ الْإِغْرَاءَ ، كَأَنَّهَا تَدْعُوهُنَّ إِلَى الْوَقُوفِ مَعَهَا فِي مَصَابِهَا الَّذِي لَا تَجِدُ لَهُ حِلًّا ، أَوْ إِلَى مَشَارَكَتِهَا فِي الْوُصُولِ إِلَى حُلِّهِ .

(١٥) الْظَلَى الَّذِي خَلَفْتَهُ وَرَاءَهَا هُوَ مَا أَحْصَاهَا مِنْ مَقْتَلِ زَوْجِهَا ، وَالْظَلَى الَّذِي يَسْتَقْبِلُهَا هُوَ مَا تَنْتَظَرُهُ بَعْدَ قَتْلِ أَخِيهَا . وَهَذِهِ هِيَ بَدَايَةُ حَدِيثِهَا عَنْ مَشْكَلِهَا الَّتِي سَتَفْصِلُ الْقَوْلَ فِيهَا فِي الْأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ .

(١٦) الْيَوْمَانِ الَّذَانِ يَبْكِي مِنْهُمَا هُمَا يَوْمُ مَقْتَلِ زَوْجِهَا الَّذِي مَضَى وَانْكَشَفَ أَمْرُهُ ، وَيَوْمُ مَقْتَلِ أَخِيهَا الَّذِي تَنْتَظَرُهُ فِي قَلْقٍ وَخَوْفٍ .

(١٧) هَذِهِ هِيَ ذُرَّةُ الْمَأْسَاءَةِ الَّتِي تَعِيشُهَا . إِنْ مِنْ يَدْرِكِ نَارُهُ تَهْدَأُ نَفْسُهُ وَيَسْتَفِي مِنَ الْأَحْزَانِ الَّتِي تَمْتَصِرُهَا ، أَمَّا هِيَ فَفِي إِدْرَاكِهَا نَارَهَا تُكَلِّ جَدِيدَ لَهَا ، لِأَنَّ نَارَهَا هُوَ أَخُوهَا .



١٨ ليتسه كان دمي فاحتلبوا بدلا منه دما من أخلي

١٩ لاني قاتلة مقتولة ولعل الله أن يرتاح لي

\* \* \*

(١٨) الأكحل : عرق في النزاع ، يصفه العرب بأنه عرق الحياة ، ولذلك يسمونه نهر البدن .  
تمنى — إنقاذاً لنفسها من ذلك الصراع النفسى — أن يكون الدم الذى يطالبون به لتأوهم دمه ،  
وإذن لبذله لهم فى غير تردد .

(١٩) فى هذا البيت — ختام القصيدة — تركّز مشكلتها التى لاحل لها إلا عند الله ، فهو وحده  
القادر على حلها . إنها قاتلة ومقتولة ، إن تصرف أخيا الطائش وضمتها فى هذا الموقف الذى لا تحسد  
عليه ، إنها فى نظر الناس قاتلة ، ولكنها فى حقيقة الأمر مقتولة ، وإنها لتتمنى أن يريحها الله من  
هذا الصراع النفسى الرهيب .

\* \* \*

يوسف خليف

## امرؤ القيس

هو آخر أمراء أسرة كندة اليمنية التي كانت تحكم منطقة نجد منذ منتصف القرن الخامس الميلادي حتى حوالى منتصف القرن السادس . وأبوه حجر ابن الحارث آخر ملوك هذه الأسرة الذي أسدل مصرمه ستار الختام على حكمها لهذه المنطقة . وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب سيد قبائل ربيعة، المهلهل بطل حرب البسوس .

ولد في بلاد بني أسد بنجد في أوائل القرن السادس ، ونشأ نشأة أرستقراطية في ظل أبيه الملك . وليس بين أيدينا شيء كثير عن نشأته والمرحلة الأولى من حياته ، فكل ما بين أيدينا عنها أنه قضى شبابا متهتكا يطارد النساء ، ويشرب الخمر ، ويخرج للصيد ، ويأوى إلى بطانة سوء من فتيان وقيان ، وينشد في ذلك شعرا يصور به حياته وما تنطوى عليه من خلاعة ومجون ، حتى اضطرب أبوه إلى خلعه وطرده ، فانطلق ينتقل بين أحياء العرب ومن حوله أخلاط من خلعاء القبائل وشذآذها يمارسون حياة خليعة ماجنة ، يشربون الخمر ، ويخرجون للصيد ، وتغنهم القيان . وهى نفس الحياة التي كان يحياها من قبل مع اندفاع طائش خلفها ، زاد منه بُعدُه عن أبيه ، وتخلصه من رقابته ، وإحساسه بالحرية المطلقة التي لا تحدّها حدود ، ولا تقيدّها قيود .

في هذه المرحلة قتل أبوه في ثورة أشعلها ضده بنو أسد . ويقال إنه كان في ذلك الوقت في بلاد اليمن ، وإن نعى أبيه بلغه وهو في مجلس شراب ، فقال :

« ضيعني صغيرا، وحلني دمه كبيرا . لا يحو اليوم ، ولا سُكَّرَ غدا . اليوم نجر ، وغدا أمر » ، ثم أنشد :

خليلٌ لا في اليوم مصحّي لشاربٍ      ولا في غدٍ إذ ذاك ما كان يشربُ  
ثم آلى على نفسه ألا يهدأ ولا يعود إلى سابق سيرته حتى يأخذ بثأر أبيه . لكن هذا الخبر — في رأى بعض الباحثين — غير صحيح ، ففى شعر عبيد بن الأبرص شاعر بنى أسد ، وداعية الثورة ، الذى كان معاصرا لأحداثها وشاهد عيان لها منذ بدايتها حتى نهايتها ، ما يدل على أنه كان موجودا مع أبيه عند مقتله ، وأنه شهد المعركة التى دارت بين كندة وبنى أسد ، وأنه فر منها بعد هزيمة كندة ، يقول عبيد :

وركضك لولاه لقيت الذى لقوا      فذاك الذى أنجأك مما هنا  
وأيا ما كانت الحقيقة فقد خرج امرؤ القيس مطالبا بثأر أبيه ، محاولا أن يسترد الملك الذى ضاع من بين يديه . وتكثر الأخبار عن هذه المرحلة من حياته ، فيذكر الرواة أنه استنصر بطائفة من القبائل لتعينه على الأخذ بثأره ، فمنهم من أعانوه ومنهم من رفض . ويذكرون أنه استعان بصعاليك العرب وشذاذ القبائل فى هذه المحاولة ، وألف منهم جيشا من المرتزقة نرج به فى معركة النار ، ويذكرون أنه سجل بعض الانتصارات على بنى أسد حتى اضطروهم إلى الفرار أمامه ، ولكنه جدّ فى طلبهم طمعا فى القضاء عليهم ، فبدأت بعض القبائل التى نصرته تنفض من حوله . ويذكرون أن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة استغل هذه الظروف ، فخذ فى طلبه ، بسبب مداوة قديمة كانت بينه وبين الحارث بن عسروجه . وجت امرؤ القيس فى الحرب ، وأرسل المنذر بالجيش من خلفه ، ولجأ امرؤ القيس إلى بعض القبائل واستجار بهم ، ولم يكف المنذر عن مطاردته ،

حتى انتهى به المطاف إلى السؤال بتيأ فليجأ إليه ، وطلب إليه أن يكتب إلى الحارث بن جبلة ملك الغساسنة بالشام ليوصله إلى قيصر الروم « جستنيان » بالقسطنطينية . واستودع امرؤ القيس أهله وأمواله وسلاحه عند السؤال ، وشد رحاله إلى قيصر الذي أكرمه وأمدّه بجيش كثيف . وأخذ امرؤ القيس طريق العودة إلى وطنه ، ولكن رجلا من بني أسد ، اسمه الطمّاح ، وشى به عند قيصر ، واتهمه بأنه كان على علاقة بابنته ، فغضب قيصر وبعث إليه بحلة مسمومة منسوجة بالذهب ، فلما لبسها أسرع فيه السم ، وتساقط جلده ، ومات . ومن هنا جاء لقبه « ذوالقروح » . وفي سفح جبل بمدينة أنقرة يقال له عسيب كان مثواه الأخير .

ولكن يبدو أن طائفة من هذه التفاصيل فيها شيء من الكذب والتلفيق والانتحال ، فصدرها الأسامي راوية منهم مشكوك فيه هو ابن الكلبي . ومع ذلك فمن الممكن أن يكون لها أصل ثابت ، فمن المؤكد أن امرؤ القيس حاول التآمر لأبيه ، وأنه خرج في سبيل هذا التآمر ، ولكنه لم يوفق في ذلك . ثم لم يلبث أن مات . ويظن الدكتور شوقي ضيف في كتابه « العصر الجاهلي » أن قصة زيارته لقيصر وما أحاط بها من أخبار وتفصيلات غير صحيحة ، كما يظن الدكتور طه حسين في كتابه « في الأدب الجاهلي » — في مبالغة غير مقبولة — أن كل ما رواه الرواة من أخباره لا أساس له من الصحة . وفي ظني أن رحلة قيصر صحيحة ، ففي شعر امرؤ القيس الثابت الصحيح الذي يرويهِ الأصمعي الراوية الثقة ما يؤكدُها ، على نحو ما نرى في قصيدته الرائية :

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا      وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَعَرَّعَرَا

ففيها حديث صريح عن هذه الرحلة . ولكن — في أغلب الظن — أن امرأ القيس توفي وهو في طريقه إلى قيصر ، فليس في القصيدة ما يشير إلى أنه وصل إليه . وعلى هذا فكل التفاصيل التي يذكرها الرواة بعد ذلك غير صحيحة . وليس في أحاديث الرواة عنه ما يحدد تاريخ وفاته ، وإن يكن من المحتمل أنها كانت فيما بين سنتي ٥٣٠ ، ٥٤٠ للميلاد .

وامرؤ القيس — بدون منازع — أشهر شعراء العصر الجاهلي ، وهو — عند الباحثين — أبو الشعر الجاهلي . ومن اليسير أن نلاحظ أن شعره ينقسم إلى قسمين : قسم نظمته قبل مقتل أبيه ، وقسم نظمته بعد مقتله . ومن اليسير أيضا أن نلاحظ أن القسم الأول يدور حول تصوير شبابه وما انطوى عليه من مغامرات غرامية ، ومن خروج للصيد ، ومن كل تلك المتع التي كان غارقا فيها إلى أذنيه . وليس من شك من أن معلقته المشهورة من نتاج هذه المرحلة . وأما القسم الثاني فيدور حول تصوير المرحلة المضطربة من حياته ، ووصف محاولاته اليائسة للأخذ بشأره ، وهو يفيض بالشكوى من الظروف التي أحاطت به ، والآمال التي يراها تتساقط من بين يديه ، والضياع الذي أخذ يحس أنه يعيش فيه . وفي هذا القسم مجموعة من المقطوعات القصيرة نظمها في مدح سادة القبائل الذين استنجد بهم ونصروه . وفيه أيضا قصائد طويلة يتذكر فيها شبابه البعيد ، ويستعيد ذكريات ماضيه السعيد الذي ذهب إلى غير رجعة . ولا شك أن قصيدته المشهورة :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي      وهل يعمن من كان في العصر الخالي

من نتائج هذه المرحلة، فمع أنها صورة توشك أن تكون طبق الأصل من المعلقة، فإن فيها ما يشير إلى أنها نظمت في هذه المرحلة الثانية، وأنها تصوير لذكريات شبابه التي عادت تلح عليه وتحمله على أجنحتها السحرية إلى عالم بعيد قضى فيه أجمل سنوات عمره .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## من المعلقة

المقدمة الطلية :

- ١ قفا نبيك من ذكرى حبيب ومزلي بسقط اللوى بين الدخول وخوملي
- ٢ فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجت من جنوب وشمال
- ٣ ترى بمر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فأنفل
- ٤ كاني غداة البين يوم تمملوا لدى ثمرات الحى ناقف حنظل
- ٥ وقوفا بها صهي على مطيمهم يقولون : لا تهلك أمي وتجمل

(١) سقط اللوى والدخول وخوملي : أسماء مواضع يحدد بها مكان الطلل الذى يقف به ويطلب إلى صاحبه الوقوف معه فيه .

(٢) توضح والمقراة : موضعان يستكمل بهما تحديد مكان الطلل . ولم يعف رسمها : لم تتغير آثارها . والجنوب والشمال : ربحان تبادلان الهبوب على الطلل .

(٣) الآرام : جمع رثم وهو الثني الخالص البياض . والعرصات : الساحات . القيمان : جمع قاع . وهو مستنقع الماء . يقول إن الطلل تحول إلى مسرح للظياء بعد أن كان أهلا بأحبابه . يصور حسرة .

(٤) البين : الفراق . وتمملوا : رحلوا . والسمرات : أشجار شوكية من أشجار البادية ، جمع سمرة . والحنظل : ثمرة صلبة تضم رحيقا حارا تدمع العينان منه . وناقف الحنظل : الذى يكسر ثمرته ليستخرج رحيقها . يتذكر موقفه يوم الوداع .

(٥) وقوفا : حال أمر مفعول مطلق . وعلى : أى من أجل . يقول إن أصحابه وقفوا مطالعهم بالطلل استجابة لرغبته التى أبدأها . والتجمل : التمسك بالصبر . والأمى : الحزن .

- ٦ ولأت شِفائِي عَبْرَةَ مُهْرَاقَةٍ      فهل عِنْدَ رِسمِ دَارِيسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ ؟  
 ٧ كَدَأَيْكَ مِنْ أُمِّ الحَوِيرِثِ قَبْلَهَا      وجَارَتِهَا أُمُّ الرِّبَابِ يَمَاسِّلُ  
 ٨ إِذَا قَامَتَا تَضَمُّوعَ المِسْكِ مِنْهُمَا      نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا القَرَنفُلِ  
 ٩ ففَاضَتْ دُمُوعُ العَيْنِ مِثْلَ صِبَابَةٍ      عَلَى النَجْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي يَحْتَمِلُ  
 مغامرات غرامية :

- ١٠ أَلَا رَبِّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ      وَلَا سَمِيًّا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلُجُلِ  
 ١١ وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطْبِقِي      فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمِّلِ  
 ١٢ فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا      وَشَحِيمَ كَهْدَابِ الدَّمَقِيسِ الْمَقْتُلِ

\* \* \*

- (٦) العبارة : الدمة . والمهراقة : المرافقة ، لغة يمنية . والرسم : الأثر . والدارس : الذي ذهب بعضه وبقى بعضه . والمعول : اسم مكان بمعنى موضع العويل ، أو هو مصدر بمعنى العويل .  
 (٧) كدأبك : كعادتك . وأم الحويرث وأم الرباب : صاحبتان من صاحبات الكهديات .  
 وماسل : اسم موضع .  
 (٨) تضمّع : فاح وانتشر . والصبا : ريح طيبة تهب من الشرق من ناحية نجد تفتي بها الشعراء العرب كثيرا في شعرهم . ورياء القرنفل : رائحته وعطره .  
 (٩) المحمل : السير الذي يحمل به السيف . وهنا تنهى مقدمة الأطلسال لبدأ الشاعر بعدها أحاديث مغامراته الغرامية .  
 (١٠) دارة جلجل : اسم مكان كانت لامرئ القيس فيه مغامرة من مغامراته الغرامية الكثيرة ، وما يرويه الرواة القدماء من حديث هذا اليوم يقال إنه موضح نسجه شيالك انفرزق الشاعر الأدي .  
 (١١) هذا يوم آخر من أيام امرئ القيس « الصالحة » — كما يسميها ، أو هي مغامرة أخرى من مغامراته اللاهية . والمتحمل : الذي وُضع على إبل صاحباته بعد أن نحر لحن ناقته .  
 (١٢) يرتمين بلحمها : أى يتقاذفن به . والكهتاب : أطراف الذئب التي تركت دون نسج ، مفردها هدابة . والدقمس : الحرير الأبيض . والمقتول : الميت . والبيت يرسم صورة لجو المرح الذي كان يسيطر على امرئ القيس وصاحباته .



- ١٣ ويوم دخلت الحدر خدر عذرة فقالت : لك الولايات إنك مريجلي  
 ١٤ تقول وقد مال الغيط بنا معاً : عقرت بعيري يا امرأ القيس فأنزل  
 ١٥ فقلت لها : سيري ، وأرني زمامه ولا تبعيني من جنانك المعلن  
 ١٦ أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجلى  
 ١٧ وإن تك قد ساءتني مني خليفة فسلني ثيابي من ثيابك تسلي  
 ١٨ أعرك مني أن حبك قاتلي وأنت مهما تأمرني القلب يفعل  
 ١٩ وما ذرفت عينك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

\* \* \*

- (١٣) الحدر : المروج . وعذرة : إحدى صاحباته . وقوله « إنك مريجلي » يريد أني أخاف أن تعقر بعيري فأضطر إلى الترحيل . والبيت يعكس جو اللال الذي كانت تعطنه صاحباته .  
 (١٤) الغيط : المروج . والبيت يعكس جو العبث والخلاعة الذي كانت تعيش فيه . امرؤ القيس وصاحباته .  
 (١٥) الجنى : الثمر ، ويريد به هنا ما كان يناله من صاحباته من قبلات . والمعلن (بالكسر) : ما يتعل به من قبلات صاحباته ، وبالفتح : الذي تلل بالطيب مرة بعد مرة ، أي ضيق به .  
 (١٦) أفاطم : نداء على الترخيم ، وفاطمة صاحبة أخرى له . أزمعت : هزمت . صرعى : هجري . أجلى : أحمى ، أي ليكن هجرى جليلاً لإساءة فيه إلى .  
 (١٧) الخليفة : الخلق . سل : اخلنى . تسلي : تسقط وتفصل ، والمراد هنا خلعي قلبي من حبك وأبعديه عن قلبك .

- (١٩) ذرفت : دمعت . ويريد بالسهمين عينيها . والأعشار : المقسم عشرة أقسام جمع عشر . والصورة مأخوذة من تقاليد الميسر عند العرب عندما يقسمون الناقة التي يطيرون عليها عشرة أقسام ، ثم يدرون عليها القداح وهي السهام ليربح كل منهم نصيبه الذي يخرج له .

- ٢٠ وببيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لوى بها غير معجل  
٢١ تجاوزت أحراسا إليها ومعثرا على حراسا لو يسرون مقتل  
٢٢ إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أنشاء الوشاح المفصل  
٢٣ فجئت وقد نصت لنوم ثيابها لدى السرير لا لبسة المتفضل  
٢٤ فقالت : يمين الله ، مالك حيلة وما إن أرى عنك القوابة تتجلى  
٢٥ نرجت بها أمشى تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل  
٢٦ فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبيث ذى قفاف عتقل

(٢٠) بيضة خدر : يريد امرأة منعة بحجة . لا يرام خباؤها : لا يجروا أحد على الاقتراب من خباياها لأنها عزيزة مكنونة . تمتعت من لوى بها : وصلت إلى خباياها وتمتعت بالهوى بها . غير معجل : غير متعجل .

(٢١) تجاوزت : تخطيت وعبرت . أحراسا : جمع حرس . يسرون : يكتنون أو يظهرون لأن الكلمة من الأضداد . والمعنى هنا أنهم يهدمون بقتل ولكنهم يكتنون ذلك خوفا من مكائى فى قومى .  
(٢٢) الثريا : كواكب تظهر بعد انصاف الليل ويعلن تعرضها عن اقتراب الفجر . وتعرضت : صارت مستعرضة قبل أفولها . الوشاح : « الشال » تطرحه المرأة على كتفها . المفصل : الذى فصل بأنواع مختلفة من الجواهر . أثناء الوشاح : ثنأياه ونواحيه .

(٢٣) نصت : خلعت وألقت عنها . المتفضل : الذى يبق فى ثوب واحد استعدادا للنوم .  
(٢٤) يمين الله : بالنصب على نزع الخافض ، وبالرفع على الابتداء ، وغيره محذوف تقديره قسمى . ما إن أرى : تؤكد للنفى . القوابة : الثنى . تتجلى : تنكشف .

(٢٥) المرط : إزار من الحرير . والمرحل : المنقوش بصور الرجال . هى تجر وراءها ذيل إزارها الطويل لتفى أثرها فوق الرمال حتى لا يعرف موضعها .

(٢٦) أجزنا : تجاوزنا . وانتحى : اتجه بنا ناحيته . والخبيث : المنخفض الغامض من الأرض . والقفاف : المرتفعات الخيطية ، جمع قف . والعتقل : التداخل بعضه فى بعض .

- ٢٧ هَصَرْتُ بِقُودَى رَأْسِهَا فَمَا لَيْتَ عَلَى هَضِيمِ الْكَشْحِ رِيًّا الْمُخْلَجِلَ  
 ٢٨ مَهْفُفَةً بَيْضَاءُ غَيْرُ مَقَاضِيَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْفُولَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ  
 ٢٩ تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ ، وَتَتَّقِي بِنَازِرَةٍ مِنْ وَحِشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفِلِ  
 ٣٠ وَجِيدٍ بِكَيْدِ الرِّثْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّصَتْهُ وَلَا بِمُعْطَلِ  
 ٣١ وَفَرِجٍ يَزِينُ الْمُتَنِّ أَمْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٍ كَقِفْنِيهِ النَّخْلَةِ الْمُتَشَعِّكِلِ  
 ٣٢ غَدَائِرُهُ مُسْتَشِيرَاتٌ إِلَى الْعُصْلَا تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مِثْقَلٍ وَمُرْسَلِ  
 ٣٣ وَكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالْجَدِيدِ مُخَصَّرِ وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُدَّالِ

(٢٧) هصرت : جذبت . والقودان : جانباً الرأس . والكشح : الخصر . والهضيم : الضامر النعيل . روياء : منقطة ، مؤنث ريان . والمخلجل : موضع الخلخال ، يريد ساقها . يصف خصرها بالضمور وساقها بالامتلاء .

(٢٨) مهفوفة : رشيقة . وغير مقاضية : غير مترهلة . والترائب : عظام الصدر ، والسجنجل : كلمة رومية . ولذلك اختلاف الشراح في تفسيرها ، فقالوا إنها المرأة ، وقالوا إنها سبيكة الفضة .

(٢٩) أسيل : خفيف اللحم ، صفة تلدها . والوحش هنا يريد به البقرة الوحشية وهي مشهورة عند العرب بجمال عينها . ومطفل : ذات أطفال . وجررة : اسم مكان . يشبه عينها بعيني بقررة وحشية تراعى صفارها في حنو وحسب ووداعة .

(٣٠) الرثم : الظبي الخالص البياض ، والفاحش : المفرط الطول . ونصصته : رقعته . والمعطل : الخالي من الحلي .

(٣١) الفرع : الشعر . والمتن : الظهر . والأثيث : الغزير . وقنول النخلة : علقها الذي يحمل البليح . والمتشاكل : المتداخل بعضه في بعض . يصف شعرها بالطول والسواد والغزارة .

(٣٢) الغدائر : الضفائر . ومستشيرات إلى العصلا : أي مرفوعات إلى أعلى . والعقاص : شخص الشعر الملوية . والمتنى : الشعر الذي نثى بعضه على بعض . والمرسل : الذي تركته مفرحاً غير مضفر . يصف تصفيفة شعرها .

(٣٣) الكشح : الخصر . والجديد : الحزام المقنول . والمخصر : الرشيقي الرقيق . والسقي المدال : يريد نباتاً ماثياً ينمو في ماء ذلال له فهو دائماً غض ريان .

٣٤. وَتُضِجِي فَتَيْتُ الْمِسْكُ فَوْقُ فَرَاشِهَا      نَوُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَقِ عَنْ تَفَضُّلِ  
٣٥. وَتَعْطُو بِرَخِصٍ غَيْرِ شَتْنٍ كَأَنَّهُ      أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْجِلِ  
٣٦. تَضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَُا      مَنَارَةٌ تُنَمِّي رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ  
٣٧. إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الْحَلِيمُ صَبَابَةً      إِذَا مَا اسْبَكَّتْ بَيْنَ دَرَجٍ وَبَحْوَلِ  
٣٨. كَسِكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ      فَذَاهَا تَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَطَّلِ

حديث مع الليل :

٣٩. وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرْسِخٍ سُدُولُهُ      عَلَى بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَبْتَلِ  
٤٠. فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمُطِّي بِصُلْبِهِ      وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلْكَلِ :

(٣٤) لم تنتق عن تفضل : يريد أنها لا تعمل في بيتها فلا تلبس النطاق لتشد به ثيابها ، وإنما تلبس أرق ثيابها . والبيت تصور يرلنرف صاحبه ومطبقها الأرستقراطية .

(٣٥) تعطو : تمد يدها . والرخص : اللين ، صفة لأصابعها . والشتن : الغليظ الكر . والأساريع : ديدان تكون في الرمال بيضاء الظهور حمراء الأطراف . وظي : امم مكان . والإسجل : شجر له أضعان ناعمة تتخذ منها المساويك .

(٣٦) المنارة : السراج . نمنى راهب : مساء راهب . المتبتل : المنفرد المنقطع عن الناس . لعبادة الله ؛ والراهب لا يطفىء مراحه لكونه طول الليل في عبادة .

(٣٧) يرنو : يديم النظر . اسبكت : امتدت . الدرع : قبض المرأة الكبيرة . المحبول : قبض المرأة الصغيرة ؛ والمراد هنا أنها ليست كبيرة ولا صغيرة .

(٣٨) البكر هنا : أول بيضة للنعام . المقاناة : المخالطة . تميز الماء : الذي يروى عند ارتشافه لو حتى يكن عذبا . غير المحلل : أى الصافي الذي لم يكدوره شيء .

(٣٩) كموج البحر : أى يشبه موج البحر في كثافته وظلته . السدول : السنور . يتلى : يختبر .

(٤٠) تمطى : تمدد . الصلب : الوسط . أردف أعجازا : رجع من جديد بظهره . ناء بكلكل : أى تها لينهض ، والكلكل : الصدر . والصورة بدوية تستمد هنا صرها من حركة الناقة عند نهوضها .

- ٤١ ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجلي بصبح، وما الإصباح منك بأمثل  
 ٤٢ فبالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يبدل  
 ٤٣ كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كنان إلى صم جندل

## رحلة صيد :

- ٤٤ وقد أغتدى والطيرو في وكناتها بمنجريد قيد الأوايد هبكل  
 ٤٥ مكر مفر مقيل مدبر معا بجلود صخر حطه السيل من عل  
 ٤٦ كمت يزل اللبد عن حال متنيه كما زلت الصفواء بالمتنزل

(٤١) يريد أن الصبح لا يفضل الليل فكلأه له همومه .

(٤٢) مغار الفتل : محكم الفتل ، يعنى أنه قوى متين . يبدل : أهم جعل في بلاد نجد . يعرف طول الليل فكان النجوم ثابتة لا تتحرك .

(٤٣) المصام : الأفلاك التي تدور فيها النجوم . الأمراس : الحبال . صم جندل : للصخر الأسم أو الخجارة العلية . والبيت استمرار في وصف الليل بالطول والتوقف .

(٤٤) أغتدى : من الغدو أى الانطلاق في البكور . الوكنات : أوكار الطير . المنجريد : قصير الشعر ، يصف فرسه . قيد الأوايد : يريد أنه يلحق بالأوايد فيصير لها بمنزلة القيد ، والأوايد : الوحوش البعيدة في الصحراء . الهيكل : الضخم .

(٤٥) مكر : يصلح للكر . مفر : يصلح للفر . مقبل : حسن الإقبال . مدبر : حسن الإدبار . معا : أى يملك الصقنين معا . جلود صخر : حفرة ضخمة مائتة . حطه السيل : أى دمه السيل فأنحدر بسرعة وعنف . من عل : من أعلى الجبل .

(٤٦) كمت : أحرمان للذكة . اللبد : ما يوضع تحت المروج من صوف ونحوه . حال متنه : وسط ظهره ، والحال : موضع اللبد . الصفواء : الصخرة المساء التي لا يثبت فوقها شيء . المتنزل : السيل أو المطر .

- ٤٧ على الذبل جياش كأن اهتزامه إذا جاش فيه حميه غلى مرجل  
 ٤٨ مسح إذا ما السابحات على الوقى أثرن الغبار بالكديد المركل  
 ٤٩ يزل الغلام الخلف عن صهواته ويلوى بأثواب العنيف المثقل  
 ٥٠ درير تكدروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل  
 ٥١ له أيتلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل  
 ٥٢ كأن مرآته لدى البيت قائما مذاك عروس أو صلاية حنظل  
 ٥٣ كأن دماء الهاديات ينحيره عصارة حناء شيب مرجل

- (٤٧) الذبل : الضمور . جياش : يحيش في عدوه كما يحيش الماء في القدر عند غليانه . الاهتزام : الصوت . حميه : غلبه . وعلى الذبل أى على الرغم من ضوره .  
 (٤٨) مسح : يصب الجرى صبا . السابحات : الخيل التي تروى عدوهن سباحة . الوقى : الفتور . الكديد : الموضع الغليظ . المركل : الذي تركله أو جعل الخيل .  
 (٤٩) يزل : ينزلق . الخلف : الخفيف . يلوى بأثواب العنيف : أى يرمى بثيابه بعيدا عنه . المثقل : الثقل الثابت فوق ظهر جواده .  
 (٥٠) درير : مستدر في عدوه كأنه يصب العدو صبا ، والمعنى أنه مريع العدو . الخلدروف : عصاة مثقوبة تقين يحمل الصبية فيها خيطا ثم يدبرونها فتكون مريضة الدوران . أمره : أحكم فتل . تتابع كفيه : متابعة الكفين للحصاة والخيط بقصد زيادة السرعة . ووصف الخيط بأنه موصل للدلالة على كثرة استعماله .  
 (٥١) الأيتلا : الكشح وهو ما بين آخر الضلوع إلى الفخذ ، وأيتلا الظبي ضامر . وساقا النعامة قصيرتان صلبتان . الإرخاء : عدوليس بالشديد . السرحان : الذئب . التقريب : رفع اليدين معا ثم وضعهما معا عند الجرى . التفل : ولد الغلب .  
 (٥٢) السراة : الظهر . والمذاك : الجسر الذي يسحق به الطيب . والصلاية : ما يسحق فيه الحنظل ونحوه . يصف ملاسة ظهر جواده .  
 (٥٣) الهاديات : المتقدّمات ، وهى تمنى هنا أوائل الوحوش والفرائس . عصارة حناء : ما بقى من أثرها بعد الصبغة . مرجل : مسرج وممشط .

٥٤. فَمَنْ لَنَا سِرْبٌ كَانَ نِعَاجُهُ      هَذَارَى دَوَارٍ فِي مُسَلَاةٍ مُدَبِّلٍ  
 ٥٥. فَأَدْبَرْنَ كَالْجَزَعِ الْمَفْصِلِ بَيْنَهُ      بِحَيْسِدٍ مُعِيمٍ فِي الْعَشِيرَةِ مَخْوِلٍ  
 ٥٦. فَالْحَقَّهُ بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ      جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيلِ  
 ٥٧. فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ      دِرَاكَا ، وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغَسِّلِ  
 ٥٨. فَظَلَّ طُهَاءَ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضَجٍ      صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَمِّلِ  
 ٥٩. وَرَحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ      مَتَى مَا تَرَقَّى الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهِّلِ  
 ٦٠. فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرَجُهُ وَبَلَامُهُ      وَبَاتَ يَعْنِي قَائِمًا فَيَرُ مَرْسَلِ

\* \* \*

- (٥٤) عن : اعتراض . مرب : قطيع من البقر . دوار : صنم من طقوس عبادته أن يدوروا حوله . ملاء : جمع ملاءة ، مدبل : له ذيل أو أهداب سود سائفة .  
 (٥٥) الجزع : خروفيه سواد و بياض . معم مخول : صبي كريم الأعمام والأحوال .  
 (٥٦) جواهرها : التي تختلف منها من القطيع . ألحقه : أى أن القوس جعل صاحب يدرك القرائن . الصرة : الشدة ، وفست أيضا بأنها الصيعة أو الغبار . لم تزيل : لم تنفرك .  
 (٥٧) عادى : وإلى الجرى بين اثنين ، والنسبة هنا البقرة الوحشية . دراکا : مداركة وملاحقة . لم ينضح بماء : لم يهرق .  
 (٥٨) الصفييف : الشواء الذى صف على الحجر ، والقدير : ما طهي في القدور .  
 (٥٩) الطرف : النظر أو العين . يقصر دونه : بهجز عن النظر إليه . متى ما ترقى العين فيه تسهل : أى متى ما نظر إلى أهله نظر إلى أسفله ، وذلك كى يتم النظر إلى جميع جسمه إعجابا به .  
 (٦٠) بات يعنى : ظل بحيث أراه . غير مرسل : أى غير مهمل .

\* \* \*

محمد حمدى إبراهيم

## صورة مثالية لجواد الصيد

يصف امرؤ القيس في هذه القصيدة حصانه ورحلة صيد خلف البقر الوحشى . وكل ما تصوره هذه القصيدة قريب مما جاء في المعلقة ، بل إن هناك أبياتا تتكرر كاملة مع تغيير كلمة واحدة ، كما أن هناك معانى مشتركة كثيرة في مجالات الغزل والصيد ووصف الحصان تجعلنا نتساءل عن سر هذا التشابه : أسببه أن امرؤ القيس كان يكرر نفسه في بعض قصائده أم أن هذه القصيدة تحملها الرواة على منوال المعلقة ؟ أيا ما كان الأمر فالذى لا شك فيه أن القصيدة تصور عالم امرؤ القيس الإنسانى والصحراوى الذى يطالعنا كثيرا في شعره . والصورة التى نخرج بها دائما من شعر امرؤ القيس هى أن شعره يوحى بأنه يعانى قدرا من الاغتراب ، ولذلك نجد في شعره يتعامل فقط مع المرأة أو مع عناصر الصحراء ، فالبشر دائما مغيبون عنه . ومن هنا أرى أن شعره يمثل حالة متقدمة من الاغتراب مما أبلأه إلى حياة وجودية أقرب إلى العيش واللامبالاة . فهل كان هذا سببا نلجأ إليه له أم نتيجة ؟

وأخيرا فإن النص سواء أكان صحيحا أم متحلا يصور عالم امرؤ القيس قبل مقتل أبيه ، وهو يعبر فيه عن حياته الالهية العابثة في الحب والصيد ، وعلاقته بالحكمة بحصانه .



- ١ خليلي مُراي على أم جندب      نُقِصَّ لُباناتِ الفؤادِ المعدبِ  
٢ فلانكا انت تنظرائي ساعة      من الدهر ينفعني لدى أم جندب  
٣ ألم تريايني كلما جئت طارقا      وجدت بها طيبا وإن لم تطيب  
٤ عقيقة أتراب لها ، لا دميعة      ولا ذات خلق إن تأملت جانب  
٥ ألا ليت شعري كيف حادث وصلها      وكيف تراعى وحيلة المتغيب ؟  
٦ أدامت على ما بيننا من مودة      أم صارت لقول المخيب ؟  
٧ فإن تنأ عنها حقة لا تلاقها      فإنك مما أحدثت بالمجرب  
٨ وقالت متى يبخل عليك ويعتزل      يسؤك وإن يكشف غرامك تدرب

\* \* \*

- ٩ تبصر خليلي هل ترى من طلعائن      سواك نقبا بين حزمي شعيب

(١) أم جندب ، زوجة الشاعر ، لبانات : جمع لبانة وهي الخاجة .

(٢) تنظرائي : تنظرائي .

(٣) طارقا : آتيا بالليل . وجدت بها طيبا : أى وجدت بها طيبة الرائحة فى الليل الذى تكثره روائح الناس فيه .

(٤) عقيقة أتراب : يريد أنها أكرم وأفضل من مثيلاتها . ولا ذات خلق : أى أن خلقها فعزيرج لها الدين . بجانب : خليفة صغيرة .

(٥) حادث وصلها : حالة حبها أى أحوالها هل أهدأ أم قد تذبذب ؟ والشعر الثانى معناه : هل حفظت عهد الحب فى غياب أم ضيعته ؟ والوصلة : الروصل .

(٦) صارت لقول المخيب : ألامحت قول المفسد المسكر .

(٧) حقة : فترة ، تنأ : تبعد . أحدثت : فعلت . والمجرب : الذى مررت به بمجرية معها .

(٨) يبخل عليك أى بالوصال واللقاء . يعتزل : يأتى بالأسباب والعلل . تدوب : يتمود .

(٩) الطلعائن : النساء فى المسودج . سواك : سالكات . النقب : للطريق فى الليل .

الحزم : ما غلظ من الأرض . شعيب : آدم ماء .

١٠. علون بانطاكية فوق عقمية بكرمة نخيل أوبكنة يثرب  
 ١١. فليله عينا من رأى من تفرق أشت وأناى من فراق المحصب  
 ١٢. فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد ككب  
 ١٣. فميناك غربا جدول في مفاضة كمر الخليج في صفيح مصوب  
 ١٤. ولانك لم يقخر طيسك كفانح ضعيف، ولم يغلبك مثل مغلب  
 ١٥. ولانك لم تقطع لبانة عاشق بمثل غدو أو رواج مؤوب  
 ١٦. بأدماء حرجوج كأن قنودها على أبلق الكشجين ليس بمغرب

(١٠) علون بانطاكية : أى ركن الأبل بتياب صنعت فى أنطاكية من بلاد الشام . عقمية : ضرب من التطريز . الجرمية : البلح . الجنة : الحديقة .

(١١) أشت وأناى : أكثر بعدا وفرقة . المحصب : موضع رى الجماربنى ، أى أن فراق الحبيبة مثل فراق الحاج للأماكن المقدسة .

(١٢) جازع : نازل . قاطع : طالع . ككب : جبل . يقول تفرق الأحباب بين نازل إلى أسفل وطالع إلى أعلى .

(١٣) معنى الشطر الأول أن عيني الشاعر تسيلان بالدموع حزنا لفراق الأحباب كما تسيل دلوان نرجنا من جدول ماء فى مفاضة أى فى أرض واسعة . والشطر الثانى معناه أن الدموع تسيل مثل غلج ماء مريع الجريان بين صفيح مصوب أى حجارة منحدر .

(١٤) المحبوبة مغلوبة وعاجزة ولكنها أعجزت وغلبت الحبيب القوى .

(١٥) مؤوب : عائد . والمعنى ليس هناك ما يقطع حالة الوصل مثل السفر الذى يرجع بالذهاب أو الإياب .

(١٦) أدماء : نافذة بيضاء . حرجوج : طويلة العنق . قنود : رجل . أبلق : حار وحشى .

المغرب : أبيض الوجه والأشقر ، وهو عيب فى الجبر الوحشية . يشبه النافذة بجمار الوحش فى مرعته وقوته .

- ١٧ يغرد بالأنحار في كل مُدْفَةٍ      تغرد مياح الندى المطرب  
١٨ أقب رباع من حمير عماية      يمجج لعماع البقل في كل مشرب  
١٩ بمجنبة قد آزر الضال نبتها      بجور جيوش غانمين وخيب  
٢٠ وقد أعتدى والطير في وكناتها      وماء الندى يجري على كل مذنب  
٢١ بمنجود قيد الأوابد لآحه      طراد الهوادي كل شأو مغرب  
٢٢ على الأين جياش كان سراته      على الضمر والتعداء مريحة مرقب  
٢٣ يباري الخنوف المستقل زماعه      ترى شخصه كأنه عود مشجب

(١٧) يغرد : يفتى ، يصف صوت الحمار . المدفة : الغسق أو الظلمة . مياح : يترنشاطا  
أرشوة . هذا الجمار لنشاطه يصبح في الليل كأنه شارب يفتى ويطرب الندماء .  
(١٨) أقب : ضامر . عماية : اسم جبل في نجد يقال إن حمرة أشد عدوا من غيرها . يمجج لعماع  
البقل : يريد أنه إذا شرب تساقط من فيه ما أكله من العشب . يشير إلى أنه في مكان شديد الخصب .  
(١٩) مجنبة : المكان الذي ينحني فيه الوادي وهو أخصب مكان فيه . آزر : بلغ وسأوى  
في الطول . الضال : شجر . جيوش : أى أن هذه المجنبة في موضع ترفيه الجيوش عائدة بالنعيم  
أو الخيبة ، فلا ينزلها أحد خوفا منها ، ولذلك احتفظت بخصبها .  
(٢٠) أعتدى : أبكر في الخروج للصيد . وكناتها : أعشاشها . مذنب : مسيل الماء . الندى :  
المطر . يبدأ الشاعر وصف الرحلة مبكرا وماء المطر ينزل من كل اتجاه .  
(٢١) المنجود : حصانه القصير الشعر . قيد الأوابد : سريع ، يقيد الوحوش لأنه أسرع منها .  
الهوادي : الوحوش المتقدمة .  
(٢٢) الأين : التعب . جياش : سريع . سراته : ظهره . التمداء : كثرة العدو . المريحة :  
الشجرة الطويلة . المرقب : كل ما أشرف من الأرض . يشبه علو الفرس وارتفاعه — على الرغم  
من ضوره وكثرة عدوه — بالشجرة العظيمة في أعلى الأماكن .  
(٢٣) الخنوف : صفة من صفات حمار الوحش حيث يرى برجليه المتقدمتين في السير . الزماع :  
الشعر فوق الظلف ، ويجعلها مستقلة لأن ذلك أدعى إلى الإسراع . وتنبه به سود المشجب للدلالة على  
صلابته وملابسته وضهوره .

- ٢٤ له أَيْطَلَا ظَبِيٍّ وَسَاقَا نَعَامِيَّةٍ وَصَهْوَةٍ عَيْرٍ قَائِمٍ فَوْقَ مَرَقِبٍ  
 ٢٥ وَيَخْطُو عَلَى صُمٍّ صِلَابٍ كَأَنَّهَا حِجَارَةٌ غَيْلٍ وَارِسَاتٍ بِطُحْلِبٍ  
 ٢٦ لَهُ كَفَلٌ كَالِدَعِصِ لِبَدَةِ النَّدَى إِلَى حَارِكٍ مِثْلَ الْقَبِيضِ الْمُدَّابِ  
 ٢٧ وَعَيْنٌ كَمِرَاةِ الصَّنَاعِ تَدِيرُهَا لِمَحْجَرِهَا مِنَ النَّصِيفِ الْمُنْقَبِ  
 ٢٨ لَهُ أُذُنَانِ تَعْرِفُ الْعِتَقَ فِيهِمَا كَسَامَعَتَيَّ مَذْهُورَةٍ وَسَطَ رَبْرَبٍ  
 ٢٩ وَمُسْتَفْلِكٌ الذَّفَرَى كَانَ عِنَانَهُ وَمِثْنَاتُهُ فِي رَأْسٍ يَجْذَعُ مُشْدَبٍ  
 ٣٠ وَأَسْحَمٌ رِيَانُ الْعَسِيبِ كَأَنَّهُ عِثَاكِيلُ قَنُومٍ مِنْ سَمِيعَةٍ مُرْطَبٍ

(٢٤) أَيْطَلَا الظبي : خاضعته . الصهوة : الظهر . العير : الجمار الوحشي . ويلاحظ أن بعض

هذه الأوصاف وردت في معلقته .

(٢٥) صم : صفة للخوافر . الغيل : الماء الجباري . وارسات : مصفرات ، والورس : صيغ

أصفر . شبه حوافر الفرس بحجاجة ماء . هلاها . الطحلب فاصفرت وصلبت .

(٢٦) كفَل : مؤنثه . الدعص : الكتيب العسيري من الرمل . القبيط : قنب الخودج .

المدَّاب : الموسع . وإلى في البيت بمعنى مع .

(٢٧) الصنَّاع : الحاذقة في العمل . النصيف : النجار . المنقب : الذي اتخذته نقابا لها .

الحجر : العين . يقول إنها تنقب ببحارها فأدارت مرآتها إليها لتنظر فيها .

(٢٨) العتق : مراقة الأصل . كسامعتي مذكورة : كأذن بقرة خائفة . ربرب : قطع .

(٢٩) مستفلك : مستدير مثل الفلكة . الذفرى : عظم قاع خاف الأذن . مثناته : الحبل

المشدود في رأسه من الناحيتين . المشذب : الذي نزع شوكة وسعفه ، يريد أنه قصير الشعر ... كان

لحام الفرس في رأس جذع نخلة لطول عنقه .

(٣٠) أسحم : ذيل أسود . الريان : الناعم المتسلي . العسيب : عظم الذئب . العثاكيل :

الشماريخ وهي فروع النخلة . القنو : عذق النخلة وهو مرجون البلح . سمبعة : اسم بشر . يقول إن ذيل

الفرس مثل شماريخ نخل يرتوى بماء هذه البئر .

- ٤٧ وأوتاده ما ذية وعماده  
٤٨ وأطنا به أشتان خوص نجائب  
٤٩ فلما دخلناه أضفنا ظهورنا  
٥٠ كأن عيون الوحش حول خبائنا  
٥١ نَمَشْ بأعراف الجياد أكفنا  
٥٢ ورحنا كأننا من جؤاثى عيشة  
٥٣ وراح كتييس الربل بنقض رأسه  
٥٤ كأن دماء الهاديات بنحره  
٥٥ وأنت إذا استدبرته سد فرجه
- ردينية فيها أسنة قعضب  
وصهوته من أنجمي مشرع  
إلى كل حاري جديد مشطب  
وأرحلنا الجزع الذي لم يشقب  
إذا نحن قمنا عن شواء مضيب  
نعالى النعاج بين عدل ومحقب  
أذا به من صائك متحلب  
عصارة حناء بشيب مخضب  
بضاف فويق الأرض ليس بأصيب

\* \* \*

- (٤٧) الماذية : الدروع . الردينية : الرماح . قعضب : أمم رجل مشهور بصنع الزماح...  
يذكر الشاعر أنهم بعد أن فرغوا من صيدهم أقاموا بيوتا من أسلحتهم .  
(٤٨) أطنا به أشتان خوص : أركان البيت من حبال الإبل النجيبة . صهوته : أملاه .  
الأنجمي : نوع من الثياب كانت تتجه اليمن . مشرع : متنوع الأصناف .  
(٤٩) حاري : مصنوع في الحيرة . والمشطب : المختلط .  
(٥٠) الجزع : الخرز الأسود الممزج بالبياض . يشبه عيون البقر به .  
(٥١) نَمَشْ : تمسح . مضيب : غير ناضج .  
(٥٢) جؤاثى : أمم قرية بالبحرين مشهورة بالتمسج الجيد . نعالى النعاج بين عدل ومحقب : بعد  
انتهاء الرحلة وضعوا ما تبقى من اللحم في حقائب بين معتدلة وغير معتدلة .  
(٥٣) الربل : نبات . كتييس : ذكر الظباء . الصائك : العرق الثقيل ... الوصف هنا للحصان ،  
والعرق دلالة على القوة والنشاط .  
(٥٤) الهاديات : المتقدّمات في سرب الصيد . مخضب : ملون بالحناء .  
(٥٥) ضاف : طريل . أصهب : أحمر أو أشقر ، يصف ذيل جواده بأنه أسود .

\* \* \*

طه وادى

## مَتَّعَ مَا بَعْدَ الصَّبَا

تعكس هذه القصيدة مثاليات امرئ القيس — شابا — في حب الحياة واللهم والمجون . وما يتناه في حياته هنا قريب مما صورته في معلقته ، وما صورته طرفه في معلقته أيضا ، مما يؤكد وحدة المزاج عند الشعراء الشبان في العصر الجاهلي .

- |   |   |  |
|---|---|--|
| ١ | بَجَزَتْ وَلَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْبَيْنِ يَجْزَمَا | وَعَزَّيْتُ قَلْبًا بِالْكَوَاعِبِ مُوَلَّعَا  |
| ٢ | وَأَصْبَحْتُ وَدَعْتُ الصَّبَا غَيْرَ أُنَى       | أَرَأَيْتُ خَلَّاتٍ مِنَ الْعَيْشِ أَرْبَعَا   |
| ٣ | فَمَنْ قَسَوِي لِلنَّدَامَى تَرَفَّعُوا           | يُدَاجُونَ تَشَاجُمًا مِنَ الْخَمْرِ مُتَرَعَا |
| ٤ | وَمَنْ رَكُضُ الْخَلِيلِ تَرْجُمُ بِالْقَنَا      | يُبَادِرُونَ سِرًّا بِأَمْنٍ أَنْ يُقَسَزَمَا  |
| ٥ | وَمَنْ نَعْسُ الْعَيْسِ وَاللَّيْلِ شَامِلٌ       | تُتِمُّ مَجْهُولًا مِنَ الْأَرْضِ بَلَقَمَا    |
| ٦ | خَوَارِجَ مِنْ بَرِّيَّةٍ نَحْوَ قَرْيَةٍ         | يُجِدُّونَ وَصَالًا أَوْ يُقَرِّبْنَ مَطْمَعَا |
| ٧ | وَمَنْ سَوَفِي الْخُلُودِ قَدْ بَلَّهَا النَّدَى  | تُرَاقِبُ مَنْظُومَ التَّمَائِمِ مَرَضَعَا     |

(١) البين : الفراق . الكواعب : جمع كاعب وهي الفتاة الناهد .

(٢) خلَّات : صفات ونصال .

(٣) يداجون : يرففون ويمالجون استمدادا لفنعه . التشاج : الزق . مترعا : مليئا .

(٤) ركض : جرى . وترجم : تضرب الأرض بحوافرها . والقنا : الرماح .

(٥) نعس العيس : تسييرى للإبل . تيمم : تقصد . بلق : نراب .

(٦) سوفي : شبي ، من ساف بمعنى شم . الخلود : المرأة الحية . منظوم التأميم : كناية عن الوليد الذي يملأ الأجابة .

- ٨ يَعْزُّزُ عَلَيْهَا رِيَّتِي وَيُسَوِّدُهَا  
بُكَاهُ فَتَنِّي الْجَيْدَ أَنْ يَتَضَوَّعَا  
٩ بَعَثْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ طَوَالِعُ  
حِذَارًا عَلَيْهَا أَنْ تَقُومَ قُتُسَمَاعَا  
١٠ بَقَاءَتِ قَطُوفُ الْمَشْيِ هَيَابَةَ السَّرَى  
يُدَافِعُ رَكْنَاهَا كَوَاعِبَ أَرْبَعَا  
١١ يُزَجِّجُنَا مَشْيَ الزَّرِيفِ وَقَدْ جَرَى  
صُبَابُ الْكَرَى فِي مُخِّهِ فَتَقَطَّعَا  
١٢ تَقُولُ وَقَدْ جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا  
كَمَا رُغِتَ مَكْحُولُ الْمَدَامِيعِ أَتَلَعَا :  
١٣ أَجِدُّكَ لَوْ شِئْتُ أَنَا نَا رَسُولُهُ  
سَوَاكَ ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا  
١٤ فَبِتَنَّا تَصُدُّ الْوَحْشُ عَنَا كَأَنَّا  
قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَضْرَعَا  
١٥ تَجَانِي مِنَ الْمَأْثُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
وَأَدْنَى عَلَيْهَا السَّابِرَى الْمُضْلَعَا  
١٦ إِذَا أَخَذْتُهَا هِرَّةُ الرُّوعِ أَمْسَكَتْ  
بِمَنْكِبٍ مَقْدَامٍ عَلَى الْهَوْلِ أَرْوَهَا

(٨) يَضُوع : يشتد بكاءه بصوت مرتفع . وأن هنا بمعنى ألا .

(١٠) قطوف المشي : مقارنة الخلق . هيابة : فزعة خائفة . الكواعب : جمع كاعب وهي التي كعب تهندها .

(١١) الزريف : السكران . صباب الكرى : بقية النوم .

(١٢) مكحول المدامع : يريد به ولد الغريبة . أطلع : طویل العنق .

(١٣) شئ : هنا بمعنى أحد . يقول : لو أحد أنا نانا رسول له لما أجبتاه ، ولكننا لم نملك ردك .

(١٤) تصد : أى تصرف أنفسها هنا .

(١٥) تجاني : تباعد . والمأثور : السيف . والسابري : نوع من الثياب .

(١٦) هرة : رعشة . الروح : الخوف . والأروع : الذى يروعك بحاله .

\* \* \*

طه وادى

( ٤ )

## ذكرياتٌ بعيدة

تدور هذه القصيدة التي رجحنا أنها من نتاج المرحلة الثانية من حياة امرئ القيس حول تصوير ذكريات شبابه التي خلفها وراءه على أرض بنى أسد منذ أن خرج مطالباً بثأر أبيه . وهي تبدأ بمقدمة طلبية يخرج منها إلى حديث الذكريات التي مرت بين الحب والصيد ، ثم يختتمها بالإشارة إلى الهدف الطموح الذي خرج من أجله ، وهو استرداد عرش أسرته الضائع . وهي من رواية الأصمعي الثقة في أربعة وخمسين بيتاً .

\* \* \*

- ١ أَلَا حِمٌّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي      وهل يَعِينُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي ؟
- ٢ وهل يَعِينُ إِلَّا سَعِيدٌ مَخْلَدٌ      قَلِيلُ الْهَمُومِ مَا يَبِيْتُ بِأَوْجَالِ ؟
- ٣ وهل يَعِينُ مَنْ كَانَ أَحَدْتُ عَهْدِهِ      ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال ؟

---

(١) عم صباحاً : أصلها انعم صباحاً ، تحية الصباح عند العرب الجاهليين يوجهها إلى أطلال صاحبتهم . ويعين : أصلها ينعم حذف نونها ثم ألحقت بها نون التوكيد الخفيفة . ويريد بالشر الثاني أنه يعيش في الماضي البعيد فكيف يشعر بالنعم أو السعادة ؟

(٢) يريد بالسعيد المخلد الذي اكتملت سعادته ودامت له مدى الحياة . والأوجال : المخاوف .

(٣) الأحوال : الأحوال ، جمع حول . يريد كيف يشعر بالنعم من بعد عهده به ؟



- ٤ ديار لِسَامَى عافياتٌ بذى خالٍ      ألحَّ عليها كلُّ أُنْحَمَ هَطَالٍ  
٥ وتحسب سامى لا تزال تُرى طَلًا      من الوحش أو بيضاء بميثاء محلالٍ  
٦ وتحسب سامى لا تزال كعهدينا      بوادى الخُزَامَى أو على رَسٍّ أو مالٍ  
٧ ليالى سامى إذ تريكَ مُنْصَبًا      وجيدًا بكيد الرِّثَمِ ليس بمُعْطَالٍ

\* \* \*

- ٨ ألا زعمت بسباسة اليوم أنى      كبرتُ وأن لا يُحسِنُ اللهوا مثالى  
٩ كذبت، لقد أصبى على المرء عرسه      وأمنع عرسى أن يُزَنَّ بها الخالى  
١٠ ويأرب يوم قد هُوتُ ولسلة      بآنسة كأنها خَطٌّ تمثالٍ

(٤) ذو خال : اسم مكان . وعافيات : باليات . الأُنْحَم : الأسود ، يريد السحاب .  
والهطال : المنهر ، يريد المطر .

(٥) الطلا : ولد الظبية أو البقرة الوحشية . والميثاء : الأرض اللينة الندية . والمحلال : التى  
ينزل بها الناس . والبيض هنا يريد به بيض النعام . ومعنى البيت أنه لا يزال يتخيل صاحبه — كما  
كانت أيام شبابه — جميلة وديعة كالظبية الصغيرة ، منعة بعيدة المال كبيضة النعام .

(٦) وادى الخُزَامَى ورس الأرومال : موضعان . والرس : البئر .

(٧) المنصب : الثغر المستوى المنسق الأسنان ، والرثم : الظبي الخائن البياض . والمعطال : الذى  
خلا من الحلى ، يريد أن يجيدها تريته الحلى .

(٨) بسباسة : اسم صاحبة له .

(٩) أصبى على المرء عرسه : يريد أنه يفتن على الرجل زوجته ويستميلها إليه . وزن : يتهم .  
والخالى : الذى لا زوجة له . يريد أنه قادر على أن يفتن المرأة المتزوجة ، وقادر فى الوقت نفسه على  
أن يحصى زوجته من الفتنة .

(١٠) الآنسة : المرأة التى تؤنس صاحبها . وخط تمثال : يريد تمثالاً اكتملت له خطوطه ،  
وتأتى صاحبه فى إبداعه وإتقانه .

- ١١ يَضِيءُ الْفِرَاشَ وَجْهَهَا لِضَجِيعِهَا كَمَصْبَاحٍ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلٍ ذُبَالٍ  
 ١٢ كَانَتْ عَلَى لَبَاتِهَا جَمْرٌ مُصْطَلٍ أَصَابَ غَضِيَّ جَزَلًا وَكُفٌّ بِأَجْذَالٍ  
 ١٣ وَهَبَتْ لَهُ رِيحٌ بِمُخْتَلِفِ الصَّوَى صَبَاً وَشِمَالٌ فِي مَنَازِلٍ قُفَّالٍ  
 ١٤ وَمِثْلِكَ بَيْضَاءُ الْعَوَارِضِ طَفْلَةٌ لَعُوبٌ تُنَسِّيْنِي إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِي  
 ١٥ كِحْقِيفِ النَّقَا يَمْشِي الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ بِمَا احْتَسَبَا مِنْ لَيْنٍ مَسٍّ وَتَسْهَالٍ  
 ١٦ لَطِيفَةٌ طَى الْكَشْحِ غَيْرُ مُفَاضَةٍ إِذَا انْفَتَلَتْ مَرْتَجَّةٌ غَيْرُ مِتْفَالٍ

(١١) القناديل : جمع قنديل ، وهو زجاجة المصباح . والذبال : الذين يصنعون فتائل المصابيح . يشبه وجه صاحبه الذي يضيء الفراش بمصباح في زجاجة ركب صانع الفتائل ذباله جديدة له ، وسكب عليها الزيت ، فاشتد توجّهه وتألقه .

(١٢) القبات : عظام الصدر حيث تعلق القلائد . والمصطلي : الذي يستدفئ بالنار ، فهو لا يزال يقلب جمرها حتى لا تخبث . والغضى : نبات شوكة جاف ، يفضلته العرب لسارهم لأنه أشد احتفاظاً بها . والجزل : الكثير . والأجذال ، أصول الشجر . وكف بأجذال يريد أن هذا المصطلي أحاط جمره بأصول الشجر حتى تظل تمده بمزيد من الغضى كلما نفذ جمره وتحول إلى رماد .

(١٣) الصوى : المرتفعات الصغيرة . والقفال : المائدون من السفر ، ويكونون عادة أشد احتياجاً إلى النار عند نزولهم . يصف هذا الجمر بأنه أوقد فوق مرتفع من الأرض حتى يكون أشد تعرضاً لاختلاف الرياح عليه ، فتشتد ناره ، وأن الذين أوقدوه جماعة من المسافرين عادوا من سفرهم فزلوا يصطلون التماساً للراحة والدفء بعد سفر مرهق في ليالي الصحراء الباردة .

(١٤) العوارض : جمع عارضة وهي صفحة الخلد . والطفلة : الناعمة اللينة اليدين . والمربال : القميص .

(١٥) حقف النقا : كثيب الرمل المستدير . واحتسبا : اكتفيا . يشبه جسد صاحبه الممتلئ . اللين يكثيب من الرمال الناعمة أغرت نعومتها صبيين صغيرين على اللعب فوقه .

(١٦) الكشج : الخصر . والمفاضة : المترهلة البطن . انفتلت : تحركت . والمتفبال : الكريمة الرائحة التي تهمل عطرها ، يريد أنها رشوة الخصر ، ممتلئة الأرداف . حريصة على عطرها ، طيبة الرائحة .

١٧. إذا ما الضجيجُ ابتَرَّها مِن ثيابها تَميلُ عليه هَوْنَةٌ غيرَ مجبالٍ  
 ١٨. تَنورُتها مِن أذرعائِ ، وأهلها يثربُ ، أدنى دارِها نَظَرُ عالِي  
 ١٩. نظرتُ إليها ، والنجومُ كأنها مصابيحُ رهبانٍ تُشبُّ لِقُقال  
 ٢٠. تَموتُ إليها بعد ما نام أهلها تُموتُ حبابُ الماءِ حالاً على حالٍ  
 ٢١. فقالت : سبائكُ الله إنكُ فاضِحِي أَلستَ ترى السَّمارَ والنَّاسَ أحوالِي ؟  
 ٢٢. فقلتُ : يمينُ الله أبرحُ قاعدا ولو قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وأوصالي !  
 ٢٣. حلفتُ لها بالله حلفَةَ فاجرٍ لَنَامُوا فَمَا إِن مِن حَدِيثٍ وَلَا صَالِي  
 ٢٤. فلما تنازعنا الحديثَ وأُسمِحتُ هَصَرْتُ بغصنِ ذِي شِمارِيجٍ مِئَالٍ

(١٧) الهوة : السهلة اللطيفة . والمجبال : النقبلة الجافية . يقول إنها تميل على صاحبها في لين . ولطف رقيقة خفيفة لا جافية ولا ثقيلة .

(١٨) تنورتها أى تخليت فارها . وأذرعائ : بلد بالشام . ويريد بقوله « أدنى دارها » نظر عال « أنها بعيدة » .

(١٩) الضمير في « إليها » يعود على صاحبته ، لاعلى النار كما توهم الشراح القدماء . ويريد بنظرت إليها أنه انتظر موعداً مناسباً لزيارتها .

(٢٠) حباب الماء : ما يعلو سطحه من فقاعات الهواء . ويريد بقوله « حالاً على حال » أى شيئاً بعد شيء ، يصور كنه الحذرة نحوها .

(٢١) سبائك الله : سينة دعاء لا تؤدي معناها الحقيقية ، وإنما هى تعبير عن دلال المرأة . ومما بثتها لصاحبها .

(٢٢) أبرح قاعدا : أى لا أبرح قاعدا ، يقسم لها إنه لن يبرح مكانه ولو قطعوا رأسه وأوصاله .

(٢٣) لناموا : يريد أن السمار والناس من حولها قد ناموا فلم يجد هناك ما تخشى منه . والصالى : الذى يصلى بالنار . ويريد بحلفه فاجر أنه أقدم لما كاذباً .

(٢٤) تنازعنا الحديث أى تجاذبنا أطرافه . وأُسمِحت : انقادت ولانت بعد امتناعها . هصرت :

جذبت . والشماريج : فروع النخلة ، يشبه بها شعرها الغزير الذى تداعخت خصله وضفاظه بعضها فى بعض .

- ٢٥ وصرتنا إلى الحسنَى ورقّ كلامنا ورُضْتُ فذلّت صعبةً أى إذلالٍ  
 ٢٦ فأصبحتُ معشوقاً، وأصبح بعلها عليه القتّامُ سيّ الظنِّ والبالي  
 ٢٧ يَغْطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شَدْ خِناقَهْ لِيقتلني ، والمرءُ ليس بقتالٍ  
 ٢٨ أَيْقتلني والمشرقيُّ مُضْاجِبي ومسنونةٌ زُرُقُ كَأَيَّابِ أَغْوَالٍ ؟  
 ٢٩ وليس بذى رخٍ فَيَطْعَنِي به وليس بذى سيفٍ وليس بنبالٍ ؟  
 ٣٠ أَيْقتلني وقد شَغَفَتْ فؤادها كما شَغَفَ المهنوءُ الرجلُ الطَّالِي ؟  
 ٣١ وقد صليتُ ساسي، وإن كان بعلها بأنّ الفتى يَهْدِي وليس بفعّال

(٢٥) يريد بقوله « رُضْتُ فذلّت صعبةً أى إذلال » أنه استطاع ترويض امتناعها فلاقت له وأطاعته . « وأى إذلال » أى أنها استجابت له استجابةً كاملة .

(٢٦) القتّام : الغبار . يهزأ بزوجه الذى ينام إلى جوارها ، وهو لا يشعر بما يدور حوله بين زوجته ومعشوقها .

(٢٧) البكر : البعير الصغير ، يكون صعباً في أول أمره ، فيشدون حبله في خنقه لترويضه ، فيسبح له غطيط .

(٢٨) المشرقي : السيف ، نسبة إلى قرى بالشام يقال لها المشارف . والمسنونة . يريد بها السهام الحادة ، ويريد من وصفها بالزرقه أنها صافية لامعة ، وشبهها بأنياب الغيلان ليزيد من بشاعتها .  
 (٢٩) النبال : الذى يستخدم النبال في الرمي .

(٣٠) شغفت فؤادها : بلغ حبها شفاف قلبه أى أعماقه . والمهنوء : الناقة تطلق بالقطران لملاجه ، ويذكر البدو أنها تحس لذة له حين ينقذ من مسام جلدها . يقول ان حبها نقست إلى شفاف قلبه كما نقذ القطران إلى أعماق الناقة . . صورة بدوية خالصة البداوة !

(٣١) مرة أخرى يهزأ بزوجه ويسخر منه ، ويعلن — في ثقة بنفسه — أنها تعرف زوجها على حقيقته ، فهى لهذا — وهو أيضاً — لا يعبأ بوعيده وتهديده ، فإنما هو كلام مجرد كلام ولا شيء وراءه .

٣٢ وماذا عليه أن ذكرت أوانساً كغزلان رمل في محاريب أقيال

\* \* \*

٣٣ وبيت عذارى يوم دجن وبلخته يطفن بجاء المرافق مكسال

٣٤ مسباط البنان والعرائن والقنا لطاف الخصور في تمام وإكمال

٣٥ نوايم يتبعن الهوى سبل الردى يقن لأهل الحليم : ضلاً بتضلال !

٣٦ صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقيل الحلال ولا قالي

٣٧ كأنى لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

٣٨ ولم أسبأ الزق الروى ، ولم أقل نخلي : كرى كرة بعد إجحاف

(٣٢) يرى العرب أن غزلان الرمل هي أجمل أنواع الغزلان لأنها تكون خالصة البياض . والمحاريب هنا : المقاصير . والأقيال : ملوك اليمن ، وكانوا يربون الغزلان في قصورهم . يصف صاحباته بأنهن جميلات مترفات يعشن في نعمة وترف .

(٣٣) يوم دجن : يريد يوماً من أيام الشتاء تغطي الغيوم السماء . وجاء المرافق : بمناسبة الذراعين . وبيت العذارى اصطلاح أطلقه الجاهليون على بيوت اللهب المحرم .

(٣٤) سباط البنان : فاعمات الأصابع . والعرائن : جمع عرين وهو الأنف . والقنا : يريد بها القمامات . ويريد بقوله « في تمام وإكمال » أن هؤلاء العذارى تم حسنهن واكتمل جمالهن .

(٣٥) « يتبعن الهوى سبل الردى » أى أنهم سبب في هلاك من يقع في حبهم . وقوله « ضلاً بتضلال » يريد أنهم سبب من أسباب الضلال الشديد أن يقع في غرامهم .

(٣٦) القل : الكره . يقول إنه صرف حبه عنهن لاعت كرهته أرمنهن ، وإنما يخوفهن حين وعوفته على نفسه .

(٣٧) يتذكر في هذا البيت والبيتين التاليين منع شبابها التي عاش لها : الصيد والحب والخمر والفروسة . وهو في هذا البيت يفتخر بخروجه للصيد ، وطوه بالمرأة في أيام شبابها الذي مضى .

(٣٨) الزق : قرية الخمر . والروى : المثل . وسبأ : اشتراء . والإجحاف : الإمبراع فراراً . يفتخر في هذا البيت بشربه الخمر وفروسيته .

- ٣٩ ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحي على هيكل نهد الجزيرة جَوَال  
 ٤٠ سليم الشظى عبل الشوى شنيج النسا له حجابات مُشْرِفَاتٌ على الفال  
 ٤١ وصم صلاب ما يقين من الوجى كأن مكان الردف منه على رال

\* \* \*

- ٤٢ وقد أغتدى والطير في وُكُنَاتِهَا لغيث من الوسمى رائده خال  
 ٤٣ تحاماه أطراف الرماح تحاميا وجاد عليه كل أستم هطال  
 ٤٤ يعجزلة قد أترز الجرى لحمها كبيت كأنها هراوة منوال

(٣٩) الهيكل : الضخم ، صفة للفرس الذى يصفه فى الآيات التالية . نهد الجزيرة : خنقم القوائم والجَوَال : الشيط السريع . يتذكر هنا فروسيته وشجاعته أيام شبابه الماضية .

(٤٠) الشظى : عظم صغير فى يد الفرس . والشوى : القوائم . والنسا : هرق يتد فى الظهر . وشنيج النسا : يصفه بالصلابة . والحجابات : رؤوس الأوراك . والفال : هوالقالل ، وهو عرق يمتد على عيين عظم الذيل ويساره . يريد أنه مشرف الكفيل ، جباة مشرفة لاتصلها بالكفيل .

(٤١) يريد بالصم الصلاب حوافره . وقوله « ما يقين من الوجى » أى لا يخفى المشى خشية الحفى لصلابتين . والزال : هو الرال ، وهو ولد النعام ، وهو مشرف الكفيل ، شبه فرسه به .

(٤٢) الوسمى : أول المطر . ويريد بالغيث النبات الذى ينبت المطر . وقوله « رائده خال » أى أن هذه المنطقة الخصبة خالية من الناس إلا من هذا الرائد الذى يرتادها ، فهى لذلك محتفظة بخصبها .

(٤٣) « تحاماه أطراف الرماح » أى تحاماه يريد أنها منطقة منيعة لا يجزأ أحد على الاقتراب منها ، ولكنه مع ذلك دخلها للصيد . والأستم : الأسود يريد به السحاب الحمل بالمطر . وجاد عليه أى تابع عليه مطر غزير .

(٤٤) العجزلة : الصلبة اللحم ، يريد فرسا . أترز : أيس ، يريد أنها ضامرة شديدة . والهراوة : العصا . والمنوال : الذى يفزل الصوف على النول . والهراوة لاتنخذ إلا من أصلب العود وأشدّه .

- ٤٥ دَعَرْتُ بِهَا سِرْبًا نَقِيًّا جُلُودُهُ وَأَكْرَعُهُ وَشَيْءُ الْبُرُودِ مِنَ الْخِصَالِ  
 ٤٦ كَأَنَّ الصُّوَارَ إِذْ تَجْهَدُ عَدُوَّهُ عَلَى جَمَزَى خَيْلٌ تَجُولُ بِالْجَلَالِ  
 ٤٧ بِخَالِ الصُّوَارِ وَاتَّقِيْنَ بِقَرْهَبٍ طَوِيلِ الْقَرَا وَالرُّوقِ أَخْنَسَ ذِيَالِ  
 ٤٨ فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعِجَةٍ وَكَانَ عِدَاءُ الْوَحْشِ مِنِّي عَلَى بَالِ  
 ٤٩ كَأَنِّي بَفَتْخَاءِ الْجَنَاحِينَ لِقُتُوَةٍ صَيُودٍ مِنَ الْعِقْبَانِ طَاطَأَتْ شِمَالِ  
 ٥٠ تَخْطُفُ نِزْرَانَ الشَّرْبَةِ بِالضَّحَى وَقَدْ حَجَّرْتُ مِنْهَا ثَعَالِبَ أَوْرَالِ

(٤٥) أي أبيض الجلد خالص البياض . والأكرع : القوائم . والوشى : النقش .  
 والخال : ضرب من البرود اليمنية . يصف قوائم هذا السرب من البقر الوحشي بأن فيها سوادا وبياضا ،  
 كنفوش هذه الثياب اليمنية .

(٤٦) الصوار : قطع البقر الوحشي . وتجهده عدوه : أجهده العدو . وجمزى : اسم موضع .  
 والأجلال : جمع جل وهو ما يوضع على ظهر الفرس تحت السرج . يشبه قطع البقر الوحشي وقد أجهده  
 العدو بخيل تجول ، عليها هذه الأجلال البيض .

(٤٧) القرهب : الثور المسن . والقرا : الظهر . والروق : القرن . والأخنس : القصير الأنف .  
 والذيال : السايغ الذيل . يقول إن هذا السرب من البقرات الإناث راح يحتشى بهذا الثور الفحل لعله  
 يدفع عنه هجمات الصيادين ومطاردتهم .

(٤٨) العدا هو العدو . «وعادى عدا بين ثور ونعجة» أي انطلق الفرس يواصل العدو بينهما  
 حتى صادهما الواحد بعد الآخر ، والنعجة : البقرة . وقوله «على بال» أي على اهتمام مني ، يريد أنه  
 كان مشغولا بهذه المطاردة .

(٤٩) الفتخاء : اللينة الجناحين . والقوة : العقاب السريعة . والشمال : الخفيفة المنطلقة .  
 وطاطأت : أصرعت . يصف إصراعه بفرسه بهذه العقاب المدربة على الصيد . وفي رواية أخرى  
 «طاطأت شمالى» أي طاطأت شمالي وأنا مندفع في المطاردة .

(٥٠) النزان : ذكور الأرناب ، مفردا خنز . والشربة : موضع . وتخطف أي تشطف ،  
 والضمير يعود على العقاب . وحجرت : اخضت . وأورال : موضع . يقول إن ثعالب هذا الموضع  
 اخضت خروفا من هذه العقاب .

٥١ كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَأْسًا      لدى وكرها العُنبُ والحَشَفُ البالى

\* \* \*

٥٢ فلو أَنَّ مَا أَسَى لَأَدْنَى مَعِيشَةٍ      كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

٥٣ وَلَكِنَّمَا أَسَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ      وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي

٥٤ وَمَا الْمَرْءُ مَا دَامَتْ حُشَاشَةٌ نَفْسِهِ      بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ الْخَطُوبِ وَلَا آلِي

\* \* \*

(٥١) وكرها : يريد وكر العقاب . والحشف : النمر الجاف القديم . يشبه قلوب الطير التي صادتها العقاب وقد تناثرت في وكرها ، فالجلد منها يشبه العنب في نضارته ولونه الأحمر ، والقديم منها يشبه النمر البالى في جفافه وذبوله .

(٥٢) يصور في هذا البيت طموح المهدف الذي يسعى إليه في هذه المرحلة الثانية من حياته . إنه لا يسعى نحو هدف قريب سهل المئال ، إنه لا يطلب مجرد العيش وإلا فإن قليلا من المال يكفيه دون طلب منه أوسعى وراءه .

(٥٣) المؤتل : الأصل العريق الثابت الذي له أصل قديم . يحدد هنا المهدف البعيد الذي يسعى إليه ، إنه استرداد عرش أسرته الضائع .

(٥٤) الحشاشة : البقية . والخطوب : الأمور المهمة الخطيرة . وأطرافها : نهايتها وغايتها التي تنتهي إليها . وآل : مقصر . يصور هنا الأمل الذي يعيش له بقية حياته ، وموقف القدر منه . إنه يعيش على هذا الأمل ، ويعمل له غير مقصر في سبيل تحقيقه ، ولكن القدر الذي يمترض طريقه يحطم هذا الأمل على صخرة الواقع ، ولكنه مع ذلك لا يكف عن السعى ، ولا يصل إلى حافة اليأس . إنه صراع الحياة بين أمل يعيش له ويسعى لتحقيقه ، وقدر يقف في طريقه ليسد عليه مسالك الوصول إلى هدفه الذي لا يكف عن السعى إليه . إنه صراع الإنسان مع القدر في حياة لا يعرف ما الذي تخبئه له فيها . صراع غير متكافئ ، ولكنه مع ذلك لا يتراجع ولا يتوقف ، وكأنه يقول : لاهياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة .

\* \* \*

يوسف خليف



## الرحلة إلى قيصر

يصور امرؤ القيس في هذه القصيدة رحلته إلى قيصر في محاولته الأخيرة لاسترداد عرش أسرته الضائع . وهو يبدؤها بمقدمة من مقدمات الطعن ، يصف فيها رحلة صاحبه في طريقها إلى منازل القبيلة الجديدة في ديار الفساسة ببلاد الشام . ثم ينتقل إلى الحديث عن رحلته هو إلى المنطقة نفسها لينطلق منها إلى بلاد الروم ، ويصف ناقته التي حملته ، ويصور مشاعره رفيقه في هذه الرحلة ، ويتحدث عن آماله التي يعلقها عليها ، ويصف فرسه الذي يحلم بأنه سيحمله مع جيش الخلاص في رحلة العودة . ثم يسجل بعض نظراته في الحياة والأحياء ، ويختمها بفخر سريع بفروسيته وشربه الخمر ، والقصيدة من شعره الثابت الصحيح من رواية الأصمعي الثقة ، وهي في أربعة وخمسين بيتاً اختارنا منها هذه الأبيات :

\* \* \*

- ١ سمالك شوق بعد ما كان أقصرًا      وحلّت سليحي بطن قو فعرعرًا  
٢ كنانية بانت وفي الصدر ودها      مجاورة غسان والحي يعمرًا

- (١) سمالك شوق : أي اشتد بك وارتفع إلى درجة عالية ، يخاطب نفسه على أسلوب التجريد .  
بعد ما كان أقصرًا : أي بعد أن كان قد بدأ وتراجع . وقو وعمر : موضعان .  
(٢) كنانية : أي أنها من بني كنانة ، يريد صاحبه التي رحلت . وبانت : رحلت وهدت .  
مجاورة غسان : لعله يريد أنها رحلت إلى أرض الفساسة في بلاد الشام ، وكأنه يريد أن يربط بين رحلتها ورحلته . وبعض الشراح يذهبون إلى أن غسان اسم ماء . ويعمر : فرع من كنانة ، ولعله يريد أنها رحلت مع قومها كنانة في رحلة من رحلات القبائل التي لا تهدأ على مداو فصول السنة . وفي الصدر ودها : يقول إنه لا يزال على حبه لها مختلفًا به في قلبه على الرغم من بعدها عنه .

- ٣ يَمِينِي ظُنُّنُ الْحَيِّ لِمَا تَحْمَلُوا      لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا  
٤ فَشَبَّهْتُمْ فِي الْآلِ لِمَا تَكْمَشُوا      حَدَائِقَ دَوِّمٍ أَوْ سَفِينًا مُقَسِّرًا  
٥ أَوْ الْمُكَرَّمَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِينَ      دَوَيْنَ الصِّفَا اللَّائِي يَلِينُ الْمُشَقَّرَا  
٦ سَوَامِقَ جَبَّارٍ أَثِيثٍ فَرَوْعُهُ      وَعَالَيْنَ قِنَوَاتًا مِنَ الْبُسْرِ أَحْمَرَا  
٧ تَحْتَهُ بَنُو الرِّبْدَاءِ مِنْ آلِ يَامِينَ      بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى أَقْرَ وَأَوْقَرَا  
٨ وَأَرْضِي بَنِي الرِّبْدَاءِ وَاعْتَمَّ زَهْوُهُ      وَأَكَامُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَهَيَّصَرَا

(٣) الظنن : المسافرين على الإبل . وقوله « يميني » يريد أنه تتبعهم بنظراته يؤدبهم وهم خارجون في رحلتهم البعيدة . وتحملوا : شدوا الأحمال على إبلهم ورحلوا . والأفلاج : جمع فليج وهو الماء الجارى من العين ، أو هي جداول الماء . وتيمر : موضع .

(٤) الآل : السراب . وتكشوا : أسرعوا في السير . والدوم : الشجر المعروف ، وهو يشبه النخل في طوله . والمقير : الذى على القار . يشبه قافلة الطعائن المتدفعة في أعماق الصحراء — والسراب يرفها ويخففها في حركته الخداسة — بجداول الدوم المرتفعة في الباء ، ويشبهها مرة أخرى بالسفن التي تم إمدادها للبحر ، فاندفعت فيه تتحملها أمواجه تارة وتخففها تارة أخرى .

(٥) المكرمات : النخل التي غرست في الماء ، فهو يسقيها دائما ، وهي لهذا تتو وتطول . وآل يامين : قوم من هجر على ساحل الخليج ، وهجر أكثر مناطق الجزيرة العربية تحلا ، وفي المثل العربي « تكامل التمر إلى هجر » . والصفا والمشقر : قصران باليمامة . يشبه القافلة مرة أخرى بنخل هجر .

(٦) السوامق : المرتفعة ، صفة النخل . والجبار : الطويل الذي ذات الأيدي . والأثيث : الملتف . والقنوان : عذوق النخل . والبسر : ما احترق من البلح . وقوله « عالين قنواتا » يريد أن هذه النخيل السامية تعلوها مذوق احترق فيها البلح . يستمر الشاهر في تشبيهه فيشبه الهوادج التي توشها قطع الصوف الملونة بهذه النخيل العالية المثمرة .

(٧) بنو الربداء : هم الذين يقومون على حراسة هذا النخل ، ويقول الرواة إنهم من الحبشة ، ويقولون أيضا إنهم من البحرين . وقوله « حتى أقر وأوقرا » أى حتى استقر على حاله من النضج واكتمل له ما يحمله من بلح . والبيت استقرار في وصف هذا النخل الذي يشبه به هودج الطعائن .

(٨) اعتم : تم واكتمل . والزهو : البسر الأحمر والأصفر . والأكام : أغلفة البسر عند خروجه من قلب النخلة . وتهصر : تفتى وتدل لكثرة . والبيت استقرار لصورة النخل الذي يشبه به القافلة .

- ٩ أطاف به جيلان عند قطاعه  
 ١٠ كأت دمي سقيف على ظهر مزمير  
 ١١ غرائثي كن وصون ونعمة  
 ١٢ وريح سنا في حقة حميرية  
 ١٣ وبانا وألويأ من الهنيد ذا كيا  
 تردد فيه العين حتى تحيرا  
 كسا مزيد الساجوم وشيا مصورا  
 يحلين ياقوتا وشذرا مفقرا  
 نخص بمفروك من المسك أذفرا  
 ورندا ولبنى والكباء المقترا

(٩) جيلان : قوم كان كسرى يرسلهم عمالا له على هذه المنطقة ليتولوا جنى هذا النخل ، وربما جباية مفروضة على القبائل النازلة فيها ، وربما كان هذا النخل ملكا لكسرى كما يذكر بعض الرواة .  
 والقطاع : جنى النخل . ومعنى الشطر الثاني أن هذا النخل يشد الناظر إليه إعجابا به فيظل بصره يتردد فيه حتى يتعير لكثرة ما يراه من ألوان الجمال فيه . والبيت بجواب الشرط المذكور في البيت السابق .

(١٠) يمسود الشاعر في هذا البيت إلى وصف الطلعان المسافرات . سقيف : دير بالشام .  
 والساجوم : اسم نهر . والمزبد : الذي يعلو الزبد أمواجه المتلاطمة . يشبه صاحباته المسافرات بتماثيل هذا الدير ، ويشبه السراب الذي يخترقن بحاره الوهمية بهذا الزبد الذي يترأى له مرمرات ينثرفوق أمواج النهر المتلاطمة نقوشا مصورة متعددة الأشكال .

(١١) الغرائث : جمع غريزة ، وهي الصغيرة التي لم تكتسب تجربة الحياة . والكن : الحفظ .  
 والشذر : قطع الذهب . والمفقر : الذي صيغ على هيئة فقرات الظهر . يصف صاحباته بأنهن أرمقراطيات مصونات منعمات ، يتعلمن بهنود من الذهب والياقوت .

(١٢) السنا : نوع من الطيب . وحقة حميرية : يريد علة من علب الطيب الخاصة بملوك اليمن .  
 والمفروك : المسك الذي سحق فانتشرت رائحته . والأذفر : القسوى الرائحة النفاذ العطر . يصف صاحباته بأنهن معطرات بأطيب أنواع العطور وأغلاها .

(١٣) البان والزند : أشجار طيبة الرائحة يستخدمها العرب في بخورهم . والألوي : العود الهندي الذي يستخدم في البخور أيضا . واللبنى : نوع من الطيب يستخدم فيه أيضا . والكباء : البخور .  
 والمقتر : الذي انتشر دخانه عند مباشرة النار له . والبيت استمرار في وصف ما ينتشر من صاحباته من عطر نفاذ كأنه رائحة بخور يضم هذه الأعواد المختلفة الطيبة الرائحة .

- ١٤ غَلَقْنَ برهنٍ من حبيبٍ به أدعت سليبي فأمسى جبلها قد تبترًا  
 ١٥ وكان لها في سالف الدهر حُلَّةٌ يسارق بالطرف الخباء المسترًا  
 ١٦ إذا نال منها نظرة ريع قلبه كما دَعَرَت كَأْسُ الصُّبُوحِ المخمَّرًا  
 ١٧ تَزَيَّفُ إذا قامت لوجه تمايلت تراشِي الفؤاد الرِّخَصَ ألا تخترًا  
 ١٨ أأسماءُ أمسى ودُّها قد تغيَّرًا سُبُيْلُ إن أبدلت بالودِّ آخَرًا  
 ١٩ تذكَرْتُ أهلي الصالحين وقد أنت على تحلى خوصُ الركابِ وأوجرًا

(١٤) غلقن برهن من حبيب : أى استوائن على قلبه ، كأنما كان قلبه رهنا عندهن ففجز عن فكها . وقوله « به ادعت سليبي » يريد أنها كانت تدعى في أيامها الماضية أنها صاحبة ، ولكنها خانت العهد وتقطعت بحبال المودة بينها وبينه .

(١٥) الحلة : الخليل . يؤكده المعنى الذى أشار إليه فى البيت السابق . يقول : كنت صديقا لها فى أيامنا الماضية ، وكنت أسارق النظر إلى خباياها الذى أرمى عليه الستر ليحجبها عن عيون المتطالعين إليها .

(١٦) الصبوح : الخمر تشرب فى الصباح . والخمر : الذى أسكرته الخمر . يصف تأثيرها فى قلبه فيقول إن جمالها كان يروعه كلما نال نظرة منها كما تؤثر الخمر فى شاربيها .

(١٧) التزييف : التشوان الذى ذهب الخمر بمقله . وقوله « إذا قامت لوجه » يعنى إذا قامت متوجهة لأمر من الأمور . وتراشى الفؤاد : أى تداريه ، مأخوذ من الرشوة ، كأنها ترشو قلبها حتى لا يفضحها ويكشف أمرها ، والرخص : اللين الرقيق . وألا تخترًا : أى ألا تفتن وتكسل . يقول : إنها إذا قامت لحاجة لها تمايلت وتثبت كأنها سكرى ، فتحاول أن تتجامل على نفسها وتتكايف القوة حتى لا تفتن وتضعف فى مشيتها . يريد أنها بطيئة الحركة ، وهى سمة من سمات الأنوثة عند العرب .

(١٨) يقول إن كان ود أسماء قد تفسر ، وتذكرت للحب القديم الذى كان يجمع بينهما ، فسوف استبدل بحبها حبا آخر ، وأبدأ بعدها عهدا جديدا .

(١٩) تحلى وأوجر : موضحان ببلاد الشام وصلت إليهما رحلته وهو فى طريقه إلى قيصر . والخص : الإبل التى غارت عيونها لشدة ما لقيت من إجهاد الرحلة .

- ٢٠ فلما بدت حوران في الآل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرنا  
 ٢١ تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا  
 ٢٢ بسير يضيح العود منه يمينه أخو الجهد لا يلوى على من تعذرا  
 ٣٣ ولم ينسني ما قد لقيت طعائنا ونحلاً لها كالقريوما مخدرا  
 ٢٤ كائيل من الأعراض من دون يشة ودون الغمير عامدات لغضورا

\* \* \*

- ٢٥ فدع ذا ، وعدّ لهم عنك بحسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا

- (٢٠) حوران : مدينة بالشام . والغمير في « دونها » يعود على أسماء . ومعنى الشطر الثاني أنه نظر فلم يرمظرا يسره أو يعجبه . يصف شعوره وهو يستقبل رحلته نحو المجهول وقد باعدت البلاد بينه وبين أحبائه وأهله ، فتوارت عن عينيه كل مباحج الحياة التي خلفها وراءه في وطنه البعيد .  
 (٢١) حماة وشيزر : مدينتان بالشام . واللبانة : الحاجة يتمنى الإنسان تحقيقها . يقول لم نكد نجاوز هاتين المدينتين حتى أحسست أن كل أحلامي وأمانى قد تقطع ما بيني وبينها من أسباب .  
 (٢٢) العود : المسن من الإبل . ويمته : يجهده ويهقه ويضعفه . أخو الجهد : أى الذى يكلف رحلته فوق طاقتها . وقوله « لا يلوى على من تعذرا » يريد أنه ماض فى طريقه لا ينتظر من تخلف من رفاقه لأى عذر من الأعذار .  
 (٢٣) النخل : مفرد الأنحال وهى أهداب الثياب . والقر : الهودج . ونخدر : أى جعل على هيئة الحسدر ، صفة للنخل أو حال من القر . ويوما : متعلق بقوله « لم ينسني » . يقول إن أهوال الرحلة ومشقات السفر لم تنسى فى أى يوم من الأيام صاحباتى المسافرات وهوادجهن المزيينة بقطع من الثياب الفاخرة تبدل أهدابها من حولها .  
 (٢٤) الأثل : شجر طويل مرتفع . والأعراض : الوديان . ويشة والغمير : موضعان بالجزيرة العربية يكثر فيهما الماء والشجر . وغضور : اسم الموضع الذى تقصده القافلة . وعامدات : فاصدات يشبه القافلة وهى تضى فى رحلتها نحو غصور بأشجار الأثل العالية التى تنمو فى وديان يشة والغمير .  
 (٢٥) الحسرة : الناقة النشطة الجريئة على الأهوال . والذمول : السريمة . وصام النهار : استقر وقت الظهيرة . وهجر : انتصف ، يشير إلى اشتداد الحر فى وقت الهجرة . يبدأ الشاعر من هذا البيت وصف ناقته التى تتحمله فى رحلته إلى قيصر ، وبعده خمسة أبيات رأينا أن نسقطها .

- ٢٦ عليها فتى لم تحمِل الأرض مثله  
 ٢٧ هو المُتَزَلُّ الأَلَاِف مِن جَوَّ نَاعِطٍ  
 ٢٨ ولوشاء كان الغزو مِن أرضِ جَمِيرٍ  
 ٢٩ بكي صاحبي لما رأى الدَّرَبَ دَوْنَهُ  
 ٣٠ فقلتُ له : لا تَبِكْ عَيْنُكَ ، إِنَّمَا  
 ٣١ وإني زعيمٌ إِن رَجَعْتُ مُمْلِكًا  
 ٣٢ على لَاحِبٍ لا يُهْتَدَى بِنَوارِهِ  
 أبرِّ بِمِشَاقِي وَأَوْفَى وَأَصْبَرًا  
 بنى أسدَ حَرَّتًا مِنَ الأرضِ أَوْعَرًا  
 ولكنه عَمَدًا إِلَى الرومِ أَفْقَرًا  
 وأيقن أَنَّا لَاحِقَانِ بِقِصْرًا  
 نحاولُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذَرًا  
 بِسَيْرٍ تَرى مِنْهُ الْفُرَاقُ أَزُورًا  
 إِذَا مَافَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرَحَرًا

(٢٦) يتحدث هنا عن نفسه . ومن هذا البيت يبدأ حديث الرحلة .

(٢٧) جو : أرض باليمامة . وناعط : جبل في أرض همدان باليمن . والحزن : الأرض الغليظة الوعرة . يفتخر بأنه أنزل بنى أسد من هذا الجبل الحصين إلى منطقة وعرة خشنة فرارا أمامه وهربا منه .

(٢٨) أقفر : أى أقفر أصحابه للغزو . يقول : لو شئت لغزوتهم من أرض اليمن ، فأنا قادر على ذلك ، ولكنى تعمدت أن أتجه إلى قبصر الروم مبالغة في الثأر منهم ، أو لإعلانا عن مكاتبي عنده .

(٢٩) يذكر الرواة أن صاحبه الذى صحبه في هذه الرحلة هو عمرو بن قتيبة الشاعر . والدرب هنا يريد به الممر الموصل إلى بلاد الروم .

(٣٠) أو هنا بمعنى حتى أو بمعنى إلا أن . يحاول هنا أن يرفع من روح صاحبه المعنوية ، ويشد من عزيمته ، ويضعه معه في أعماق التجربة التى تخرج من أجلها .

(٣١) زعيم : كفيل وضامن . والفراق : الدليل ، وهى كلمة دسعية ولعلها رومية . والأزور الذى يميل إلى أحد جانبيه من شدة السير . يقول : أنا كفيل إن رجعت من هذه الرحلة ملكا على غوى ، واستعدت مرش أمرقى الضبايع ، أن أسير في طريق عودتى سعيًا شديدًا يجعل الدليل يميل إلى أحد جانبيه من شدته . يبعث الأمل في نفس صاحبه بأن عودتهما منتصرتين إلى أرض الوطن ستكون منزلة ، وأنهما سيقطعان الطريق في غير مبالاة بأى جهد أو مشقة .

(٣٢) اللاحب : الطريق . والمنار : ما يوضع على الطريق من علامة تهتدى المسافرون فيه . يريد أنه طريق غير مسلوكة . مبالغة في تصوير جراته على اقتحام الصحراء . والعود : المسنن من الإبل . وصافه : شمه . وجرحه : دغا وضح بصوته . والنباطى : الضخم ، منسوب إلى النبط ، ويذكر الرواة أن الإبل النبطية أشد الإبل وأصبرها على السير .

- ٣٣ على كلِّ مقصودٍ الذَّنْبِيَّ مُعَاوِدَ      بَرِيدَ السُّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرِّبَرَا  
 ٣٤ لَقَدْ أَنْكَرْتَنِي بَعْلَبَكُ وَأَهْلُهَا      وَلَابُنْ جُرَيْجٍ فِي قُوَى حِصَصِ أَنْكَرَا  
 ٣٥ نَشِيمُ بَرُوقِ الْمُزْنِ أَيْنَ مَصَابُهُ      وَلَا شَيْءَ يَتَسَفَّى مِنْكَ يَا بَنَةَ عَفْزَرَا  
 ٣٦ مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطُّرُفِ لَوَدَّبَ مُحَوِّلُ      مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الْإِتْبِ مِنْهَا لَأَثَرَا  
 ٣٧ لَهُ الْوَيْلُ إِنْ أَمَسَى وَلَا أُمُّ هَاشِمٍ      قَرِيبٌ، وَلَا الْبَسْبَاسَةُ ابْنَةُ يَشْكُرَا

\* \* \*

(٣٣) الذَّنْبِيَّ : الذنب ، ومقصود الذَّنْبِيَّ : صفة للفارس ، ويذكر الرواة أن خيلاً البريد تكون مقصودة الأذناب . ومعاود بريد السرى : يريد أنه قد استعمل في سير البريد مرة بعد مرة . وبربر : قبيلة ، ويذكر الرواة أن خيلها كانت أصلب الخيل وأصبرها عند العرب ، ولذلك استخدموها في البريد . من هنا يبدأ وصفه للفارس ، وبعده ثلاثة أبيات وأينما أن تسقطها .

(٣٤) بعليك : هي المدينة المعروفة بالشام ، وكذلك حصص . وابن جريج : رمز لسكان الشام من الزرم ، وجريج تعريب للامم الأجنبية « جورج » . يصف غربته في بلاد الشام التي وصل إليها في طريقه إلى بلاد الزرم .

(٣٥) شام البرق : نظر إليه ليعلم أين يقع مطره . والمزن : السحب . ومصاب المزن : مواقع سقوط مطره . رابنة حفز : إحدى صاحباته . يصور حنينه إلى حبه القديم ، ويخلع هذا الحنين على الطبيعة ، فيتمنى لو سقط المطر في ديار حبيبته ، رمزاً لما يمتناه لها من خير ، وما يحمله في قلبه من حبه لها .

(٣٦) القاصرات الطرف : المخلصات لأصحابهن اللاتي يقصرن نظرهن عليهم ، ولا تعامح أعينهن إلى غيرهم . والمحول : الذي يبلغ ستة من عمره . والذر : النمل . والإتب : قبص رقيق لا أكمام له تلبسه المرأة . يصف رقة بشرتها ونعومة جلدها . وقد أنكر عليه بعض الشراح وصفه الذر بأنه محول ، وقالوا الأحسن أن يكون الصغير منه ، ولكن امرأ القيس من مدرسة الطبع التي تمتاز بالواقعية والبعد عن التكلف والمبالغة .

(٣٧) له الويل : يريد نفسه ، على أسلوب الالتفات . وأم هاشم وبسباسة صاحبتان له . يصور أحزانه لبعدهما عنه .

- ٣٨ أرى أم عمرو دمعها قد تحسّداً بكاءً على عمرو وما كان أضبراً  
 ٣٩ إذا نحن سرنا نحسّ عشرة ليلة وراء الحساء من مدافع قيصرا  
 ٤٠ إذا قلت هذا صاحب قد رضىته وقرت به العينان بدأت آخرا  
 ٤١ كذلك جدى ، ما أصاحب صاحباً من الناس إلا خانني وتغيّرا

\* \* \*

- (٣٨) أم عمرو هي أم عمرو بن قينة رفيقه في رحلته . يتخيل حزنها على بعد ابنها عنها ، ويدكر  
 لم يكن أشد صبراً منها ولا أكثر تماسكا . يشير الى مكانه « لما رأى الدرب دونه » .  
 (٣٩) الحساء : جمع حسي وهو الماء بفور تحت الرمل الى أرض ملبة قريبة من الأرض فيستقر  
 فوقها . ومدافع قيصر : مناطق الحدود التي يدافع عنها .  
 (٤٠) يصف تقاب الدهر به ، وتغير الزمن عليه ، ويشكو قلة وفاء الأصدقاء له ، فكما ارتضى  
 صديقاله ، واطمأنت نفسه إليه ، وقرت عينه به ، تنكر له وتبدل ، وخان العهد ، وأدار ظهره للصداقة  
 التي كانت تربطه به .  
 (٤١) الجلد : الحفظ . إنه حفظه في الحياة ، وقدره في الدنيا ، خيانة الأصدقاء ، وتغير القلوب ،  
 وجحود الود والحب والإخلاص . إنها شكوى تعكس مرارة هذه المرحلة التي يمر بها الشاعر في حياته ،  
 وما يلقاه فيها من أصدقائه في وقت كان أشد ما يكون فيه حاجة إليهم ، ووقوفاً منهم إلى جانبيه  
 في أيام محنته .

\* \* \*

يوسف خليف



(٦)

## نهاية المطاف

هذه القصيدة من شعر امرئ القيس الثابت الصحيح ، فهي من رواية الأصمعي . وهي من نتاج المرحلة الثانية من حياة الشاعر ، ولعلها من أواخر نتاج هذه المرحلة ، فحديث الموت والمصير الذي يسيطر عليها يعكس ما كان يلازم نفس الشاعر في أواخر هذه المرحلة من اليأس المظلم ، والتشاؤم القاتم ، والتفكير الحزين في مصير الإنسان في الحياة ، والنهاية التي تصل إليها رحلته فيها ، والتي لا يعرف عنها شيئاً إلا أن الموت يقف على بابها ، يستقبل من تصل به رحلته إليها ، لتدفع به بعد ذلك إلى غيب مجهول . ومع ذلك فرحلة الحياة متواصلة الخطى لا تتوقف ، وكأنما تسحرنا الحياة بحاجاتها ومطالبها التي لا تنتهى ، وتلقى على أعيننا ستارا صفيقا يحجب عنا رؤية المصير المحتوم الذي ينتظر الجميع . والقصيدة قصيرة تقع في ثلاثة عشر بيتاً .

\* \* \*

١ أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ      وَنُسَحِّرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ

٢ عَصَافِيرُ وَذِبَابٌ      وَدُودٌ وَأَجْرَاءُ مِنْ مَجْلَحَةِ الذَّنَابِ

(١) موضعين : أى مسرعين . ونسحر بالطعام وبالشراب : أى نخدع ونغفل ، كأننا سحرت . أعيننا فلم تعد ترى الأمور على حقيقتها . يقول إننا في هذه الحياة مدفوعون دفعا سريعا إلى غيب مجهول لا نعرفه ، ولكنه محتوم علينا لا مفر منه ، ومع ذلك فإننا نتمشى فيها إلى حيث نتمشى بنا ، غافلين عن هذا المصير المحتوم ، كأننا سحرتنا حاجتنا الحيوية عن أن نراها على حقيقتها .

(٢) الذباب : الذباب . والمجلعة : المصممة التي لا ترجع عما تريد . يصور تناقص السلوك الإنسانى في الحياة ، فنحن ضعاف فيها أقوياء عليها ، ضعاف فيها كهذه المخلوقات الضعيفة التي يذكرها في صدر بيته ، ولكننا أقوياء عليها كذلك الذباب الجريئة المندفعة التي يذكرها في شطره الثانى .

- ٣ وكل مكارم الأخلاق صارت إليه هيتي وبه اكتسابي  
٤ فبعض اللوم ، عاذلتني ، فلاني ستكفيني التجاربُ وانتسابي  
٥ إلى عريق الثرى وشجّت عروقي وهذا الموتُ يسلبني شبابي  
٦ ونفسي سوف يسلبها وجرمي فيلحقني وشيكا بالتراب  
٧ ألم أنيض الميطي بكلّ نحيق أمتق الطويل لَمَاج السراب  
٨ وأركبُ في اللُهامِ المجرِ حتى أنالَ ما كلّ القُحَمِ الرّباب

(٣) يقول انه عاش حياته متمسكا بمبادئ لم يفقد إيمانه بها . لقد عاش حياته يسعى نحو اكتساب كل ما يحرص على اكتسابه من مكارم الأخلاق .

(٤) « وانتسابي » يريد انتسابه الى آباء وأجداد كلهم الآن رهن التراب ، أدركهم المصير المحتوم الذي رآهم اتوا إليه ، أما ما بعده فغيب مجهول لا يعرف عنه شيئا .

(٥) وشجت عروقي : اشتبكت واتصلت . يقول ان عروقه متصلة بعروق التراب الذي جاء منه ويهود إليه ، والموت في انتظاره ليسلبه حياته وهو لا يزال في مرحلة شبابه . فتشاور أثاره في نفسه ظروفه التي يعيش فيها في هذه المرحلة من حياته .

(٦) الجرم : الجسد . ورشيكا : سريعا . البيت استمرار لحديث التشاوم الذي بدأه في البيت السابق . إنه يحس أن نهايته قريبة ، وأن الموت الذي يتربص بشبابه يتربص أيضا بنفسه وجسده ، وسينتهي به في وقت قريب الى التراب .

(٧) أنضى المطية : أهزلها وأضناها لمتفه بها في رحلته المتصلة وأسفاره البعيدة في أعماق الصحراء . والنحيق : الفلاة تراهي كأن لا نهاية لها . والأمتق : الطويل ، وأمتق الطول : مبالغة في وصف طولها وامتدادها اللانهائي . يتحسر على أيامه الماضية ، أيام فتوته وجرأته على اختراق الصحراء ، حسرة أثارها في نفسه صورة الموت المائلة أمامه .

(٨) اللُهام : الجيش الكثيف الذي يخفى كل شيء وراءه كأنه قد التهمة . والمجر : الكثير العدد . والمآكل : الفنائم . والقحَم : المواقف الصعبة الشديدة ، جمع قحمة ، يريد الحروب والغارات . والرفاب : الهيدة الغايات ، استمرار في تحسره على أيامه الماضية ، أيام الغارات والغنائم والانتصارات .

- ٩ وقد طَوَّفْتُ بِالْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ  
 ١٠ أَبَعَدَ الْحَارِثُ الْمَلِكُ ابْنَ عَمْرٍو وَبَعْدَ الْخَيْرِ تُجْمَرُ ذِي الْقَبَابِ  
 ١١ أُرَجِّي مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ لِيْنَا وَلَمْ تَغْفُلْ عَنِ الصَّمِّ الْهَضَابِ ؟  
 ١٢ وَأَعْلَمُ أَنِّي عَمَّا قَلِيلٍ سَأَنْشَبُ فِي شَبَابٍ طُفُفٍ وَنَابِ  
 ١٣ كَمَا لَاقَى أَبِي تُجْمَرٌ وَجَدَّتْ وَلَا أَنْسَى قَتِيلًا بِالْكَلَابِ

\* \* \*

(٩) هذه هي نهاية المطاف . لقد قضى أيامه في تطواف لا يتهى في آفاق الأرض الواسعة ، ثم كانت الغنيمة التي عاد بها لا شيء إلا العودة إلى حيث بدأ ، وإياه لا يملك إلا أن يرضى بها ، فما الذي يستطيع أن يفعله بعد كل ما فعل ؟ إنها رحلة الضياع ، وعودة الإخفاق واليأس .

(١٠) الحارث بن عمرو : جده . وهجر بن الحارث أبوه . والقباب لم تكن ترفع في العصر الجاهلي إلا للملوك ، وكانت عادة من الجلد تميزا لها من خيام الشعب التي تكون من الوبر .

(١١) صرور الدهر : أحواله المتقلبة . الصم : الصلبة التي تبدو كأنها صبت صبا . والهضاب : الصخور الراسية الضخمة . والبيت متصل بالبيت السابق ، و بينهما ما يسمى عند العربيين بالتضمين ، وهو تعلق البيتين أحدهما بالآخر . يقول : أبعد هؤلاء الملوك ذوى القباب الفاشرة الذين بادروا وأقرضوا أنظر عيشا يطيب لي أو حياة ليثة مطعنة ، والدهر متقلب لا يستقر على حال ، والفناء يتربص بكل ما في الحياة حتى تلك الجبال الصلبة الراسية ؟

(١٢) سأنشب : أى سأتعلق . والشباب : الحد . يقول : كيف أطمئن إلى الحياة وأنا أعلم . علم اليقين أن الموت سوف ينشب في وقت قريب أظفاره الحادة وأنيابه القاطعة التي لا يستطيع الفكك منها ولا الخلاص من قبضتها ؟

(١٣) قتيل الكلاب هو عمه شرحبيل بن عمرو قُتِلَ في يوم الكلاب . إنه المصير المحتوم الذي سيدركه في يوم من الأيام كما أدرك أباه وعمه وجده من قبل .

\* \* \*

يوسف خليف

## عَمْرُو بْنُ قَيْئَةَ

شاعر جاهلي قديم ، كان معاصرا لمُحَرَّبِ أَبِي امْرِئِ الْقَيْسِ ، فلما خرج امرؤ القيس إلى قيصر بعد مقتل أبيه صحبه عمرو في رحلته ، وهو الذي يتحدث عنه في رائيته التي نظمها في هذه الرحلة « سِما لك شوق بعد ما كان أقصرا » . ينتهي نسبه إلى قيس بن ثعلبة أحد بطون بكر بن وائل ، وكانت منازلهم باليمامة في الجنوب الشرق من نجد .

وليس بين أيدينا إلا أخبار قليلة عنه لا تكاد ترسم صورة واضحة من حياته . وتحدثنا الروايات أنه كان في شبابه شابا جميلا حسن الوجه مديد القامة ، ولعل ذلك هو الذي جعله من أهم الشعراء الذين بكوا شباههم في شعرهم ، بل يذكر بعض الرواة أنه أول من بكى الشباب في الشعر الجاهلي ، وإن كنا لا نطمئن إلى أمثال هذه الأوليات في الأعمال الفنية. وتحدثنا الروايات أيضا أن أباه مات وخلفه صبغيا فكفله عمه مَرثِدُ بْنُ سَعْدٍ ، ثم حدثت جفوة بينه وبين عمه يَرْدُ الرواة سببها إلى زوجة عمه ، ففارقه واتجه إلى الحيرة ، واتصل بملوكها ، ثم عاد إلى أرض بني أسد ، واتصل بِمُحَرَّبِ أَبِي امْرِئِ الْقَيْسِ ، حتى إذا ما قُتِلَ حجر ، وخرج ابنه للتأرله ، وشدَّ رحاله إلى قيصر ، خرج معه . وتذكر الروايات أنه مات في هذه الرحلة ، فسمَّاه قومه « عَمْرًا الضائع » « لموته في غربة في غير أَرَبٍ وَلَا مَطْلَبٍ » — على حد عبارة الأغاني .

وعمره وأحد المعمرين، عُمر تسعين سنة في بعض الروايات، وأُرْبِيَ على المائة في روايات أخرى . وليس من اليسير تحديد تاريخ مولده أو وفاته ، وقد حاول بعض الباحثين المحدثين ذلك، فقَدَّر جرونيباوم في كتابه « دراسات في الأدب العربي » أن تكون ولادته في حوالى سنة ٤٨٠ للميلاد ، وقدرها لويس شيخو في « شعراء النصرانية » بسنة ٤٦٩ ، وجعلتها الموسوعة العربية الميسرة سنة ٤٤٨ وقدَّرت وفاته بسنة ٥٤٠ ، وهى التى قدَّرها الزركلى في « الأعلام » . وهى كلها محاولات لا يصل شىء منها إلى درجة اليقين ، ولكننا نستطيع أن نقول — ونحن مطمئنون — إنه ولد حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى ، وتوفى حوالى منتصف السادس .

ويعده الأصمعى في كتابه « خولة الشعراء » من الفحول ، ويضعه ابن سلام في كتابه « طبقات فحول الشعراء » على رأس الطبقة الثامنة منهم . وشعره الذى وصل إلينا قليل . وقد وصلت إلينا نسخة مخطوطة من ديوانه قام بتحقيقها وطبعها الأستاذ حسن كامل الصيرفى بالقاهرة ، والأستاذ خليل إبراهيم العطية ببغداد ، وكان قد نشرها من قبل الأستاذ لايل في لندن سنة ١٩١٩ .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## يوم الرحيل ورحلة الوداع

يبدأ الشاعر هذه القصيدة التي تتألف من ثمانية وعشرين بيتاً بمقدمة يتحدث فيها عن طيف محبوبته الذي زاره في نومه ، ثم يتذكر يوم رحيلها ، وما ذرفه من دموع خلفها ، ويصف قافلة الطعائن المنطلقة في أعماق الصحراء نحو منازل القبيلة الجديدة . ويقف طويلاً أمام محبوبته يصف جمالها ، ويتغنى بحسنها ومفاتنها ، ثم ينتقل إلى الفخر بنفسه ، فيفتخر بالمجد والشجاعة والإباء والخطابة والجرأة على اقتحام الصحراء في أيام القيظ المتلهبة وفي ليالي الظلام الموحشة الرهيبة .

\* \* \*

- ١ نَأْتِكَ أَمَامَةً إِلَّا سُؤَالَ      وَإِلَّا خَيْالًا يُوَافِي خَيْالًا
- ٢ يُوَافِي مَعَ اللَّيْلِ مِيعَادَهَا      وَيَأْتِي مَعَ الصَّبْحِ إِلَّا زِيَالًا
- ٣ وَقَدْ رِيعَ قَلْبِي إِذْ أَعْلَنُوا      وَقِيلَ : أَجَدَّ الْخَلِيطُ أَحْتِمَالًا

(١) نَأْتِكَ : بعدت عنك . والخيال الأول هو طيف صاحبه . والخيال الثاني هو الشاعر الذي حوله الحب إلى خيال .

(٢) الزِيَال : الفراق . كأنه يأسف على مفارقة طيفها له عندما يشرق الصباح ، وكأنه يتنقّل لوظل الدهر ليلاً متصلاً لاصباح له .

(٣) الْخَلِيط : جماعة القبيلة التي أجمعت أمرها على الرحيل . والاحتمال : الرحيل . وأجد : اعترم . يقول إن قلبه روع حين أعلنوا أنهم قرروا الرحيل .

- ٤ وَحَثَّ بِهَا الْحَادِيانِ النَّجَاءَ      مع الصبح لما استناروا الجمالا  
٥ بَوَازِلَ تُحْدَى بِأَحْدَاجِهَا      ويُحَذِّنُ بَعْدَ نِعَالٍ نِعَالًا  
٦ فَلَمَّا نَأَوْا سَبَقَتْ عِبرِي      وَأَذْرَتْ لَهَا بَعْدَ سَجَلٍ سَجَالًا  
٧ تَرَاهَا إِذَا احْتَنَّتْهَا الْحَادِيَا      نِ بِالْحَبِيبِ يُرْقِنُ سِيرًا عِجَالًا  
٨ فَبِالظَّلِّ بُدَّنَ بَعْدَ الْهَجِيرِ      وَبَعْدَ الْحِجَالِ أَلْفَنَ الرَّحَالًا  
٩ وَفِيهِنَّ خَوْلَةٌ زَيْنُ النِّسَاءِ      زَادَتْ عَلَى النَّاسِ طُرًّا جَمَالًا  
١٠ لَهَا عَيْنٌ حَوْرَاءٌ فِي رَوْضِيَّةٍ      وَتَقْرُو مَعَ النَّهْيِ أَرْطَى طُؤَالًا

(٤) النجاء : الإسراع . يصف بداية الرحلة . لقد أثاروا جماعهم من مباركتها ، وبدأ الحاديان يحثانها على الإسراع مع إشارة الصباح قبل أن ترتفع الشمس ، ويشد الحر ، وتلتهب الرمال .  
(٥) بوازل : جمع بازل ، وهي الناقة إذا استكملت سنتها الثامنة وظهرت أنيابها . والأحداج : جمع حدج وهو الهودج الخاص بالنساء . وقوله « ويحذِّن بعد نعال نعالا » يريد به أن هذه الأبل لبست في أخفافها رمال الصحراء بعد أن شدت عليها أحذيتها قبل الرحلة .  
(٦) السجل : دلو الماء . يصف انهماك دموعه الغزيرة عندما تحركت بهم القافلة ومضت بعيدا في رحلتها .

(٧) الخيت : الأرض المطمئنة الواسعة . ويرقن : يسرع .  
(٨) الهجير : شدة الحر في وقت المساء عند انتصاف النهار . والحجال : الأماكن المخصصة للنساء داخل الخيام . يقول إن هؤلاء المسافرات استبدلن بالظل الذي كن ينعمن فيه هجير الصحراء ، وبالحجال الناعمة المريحة رسال القافلة الثقيلة الخشنة .

(٩) خولة : صاحبة ، وهي نفسها أمانة التي تحدث عنها في مطلع القصيدة . وظاهرة تعدد الأسماء المحبوبة الواحدة ظاهرة مألوقة في الشعر القديم . وطرا : أى جيمعا .  
(١٠) الحوراء : صفة لظبية أو للبقرة الوحشية التي يشبه بها عيون صاحبه ، والحور : شدة بياض العين مع شدة سوادها ، وقد تغنى به الشعراء العرب كثيرا في شعرهم . وتقرؤ : تقصد وتتبع . والأوطى : شجر من أشجار الصحراء يتردد ذكره كثيرا في الشعر القديم . والطوال : الطويل المفرط الطول . يشبه عيني صاحبه بمعنى ظبية أو مهابة تتبع أشجار الأوطى ترعى أوراقها الخضراء .

- ١١ وَتَجْرِي السَّوَاكُ عَلَى بَارِدٍ      يُخَالِ السَّيَالُ وَلَيْسَ السَّيَالَا  
١٢ كَانَ الْمُدَامُ بَعِيدَ الْمَنَامِ      عَلَيْهَا ، وَتَسْقِيكَ مَذْبَا زُلَالَا  
١٣ كَانَتْ الذَّوَابُ فِي فَرْعِهَا      جِبَالُ تُوصَلُ فِيهَا جِبَالَا  
١٤ وَوَجْهَهُ يَحَارُ لَهُ النَّظَرُونَ      يَخَالُونَهُمْ قَدْ أَهْلُوا هِلَالَا  
١٥ إِلَى كَفَلٍ مِثْلَ دِعْصِ النَّقَا      وَكَفَّ ثَقْلُ بِيضَا طِفَالَا  
١٦ فَبَانَتْ وَمَانَتْ مِنْ وَدَّهَا      قِبَالَا وَلَا مَا يُسَاوِي قِبَالَا  
١٧ وَكَيْفَ تَبْتُتِينَ حَبْلَ الصَّفَا      مِنْ مَا جِدَ لَا يَرِيدُ اعْتِرَالَا  
١٨ أَرَادَ النَّوَالُ فَمُنِيَّتِهِ      وَأَضْحَى الَّذِي قَلَتْ فِيهِ ضَلَالَا  
١٩ فَتَى يَبْتَنِي الْمَجْدَ مِثْلَ الْحَسَا      مَ أَخْلَصَهُ الْقَيْنُ يَوْمَا صِقَالَا

- (١١) السَّيَالُ : شجر من فصيلة الصفصاف ناعم الأغصان يظهر عليه شوك أبيض صغير إذا نزع نرجع منه مثل اللبن ، يشبه به العرب الأسنان في صفرها وبياضها ، يقولون « نعر كشوك السَّيَال » .  
(١٢) المَدَامُ : الخمر . يشبه رضاب نعرها حتى بعد نودها بالخمر ، ويذكر أنها تسقى صاحبها منه مَذْبَا زُلَالَا لذيق الطعم .  
(١٣) الذَّوَابُ : الضفائر . والفرع : الشعر .  
(١٤) أَهْلُوا هِلَالَا : أى استقبلوا الهلال . يصف وجهها بأن من ينظر إليه يحار في جماله ويخجل إليه أنه يرى فيه الهلال .  
(١٥) الكَفَلُ : الأرداف . والدِعْصُ : الكثيب . والنَقَا : الرسل . والطفال : الأصابع الرخصة الناعمة ، جمع طفل وطفلة .  
(١٦) بَانَتْ : رحلت . والقَبَالُ : الشيء القليل اليسير ، وأصله من قبال الفعل وهو زمام بين الإصبع الوسطى والى تليها . يقول إنها رحلت ولم يتل من حبها شيئا .  
(١٧) بَتِ الْحَبْلُ : قطعه ، كناية عن هجرها له . والمُاجِدُ هنا يريد به نفسه .  
(١٨) معنى الشطر الثانى أن مامته به صاحبته من نوال تحول كله إلى ضلال لا يعرف وجه الهداية معه في تيه الهجر والقطيعة .  
(١٩) القَيْنُ : الحداد . يفخر بأنه قاطع مثل الحسام الذى أتهن القَيْن صقله .



٢٠. يقود الكفاة ليلقى الكفاة ينال ما انت أرادوا النزالا  
 ٢١. ويأبى لى الضيم ما قد مضى وعند الخصام فنعلو جدالا  
 ٢٢. بقول ينل له الرانيضون ويقضلهم إن أرادوا فضلا  
 ٢٣. وهاجرة كأوار العجيم ققطت إذا الجندب الجون قالا  
 ٢٤. وليل تعسفت ديجوره يخاف به المدبلون الخبالا

\* \* \*

(٢٠) الكفاة : الأبطال . يفخر بشجاعته فى ساحات القتال وميادنه لأبطال قومه ينال بهم أبطال أعدائهم .

(٢١) يفخر بإبائه الضيم ورفضه الحوان ، وبارتفاع الصوت والاستعلاء على خصومه فى مواقف الخصام والجدال . يريد أنه يفوق الخطباء بفصاحته .

(٢٢) البيت استمرار لفخره بفصاحته وتفوقه على من يقف منه موقف المنافسة عن ألقوا مواقف الخطابة وروضوا أنفسهم عليها .

(٢٣) الهاجرة : الصحراء فى وقت الهجير ، والأوار : الذهب . والجندب : ذكر الجراد . والجون : هنا : الأسود . وفالك : من القيلولة ، وهى نومة منتصف النهار عندما يشتد الحر . يفخر بصبره على اختراق الصحراء فى ساعات الحر المظلمة .

(٢٤) تعسفت : سرت على غير هداية ، والديجور : الظلام الحالك . والمدبلون : الذين يواصلون السير طول الليل . والخبال : الهلاك . يفخر بجراته على اختراق الصحراء فى الليالى الموحشة الحالكه الظلام .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٢ )

## يائية نادرة

### مجلس شراب ، ورحلة صيد

تدور هذه القصيدة التي تبلغ اثنين وثلاثين بيتا حول محورين أساسيين :  
وصف لمجلس شراب ، ووصف لمنظر صيد . وهي تبدأ بمقدمة طليقة قصيرة ،  
يخرج منها الشاعر إلى وصف مجلس الشراب ، ثم ينتقل منه على ظهر ناقته التي  
يشبهها بحمار وحشي إلى وصف منظر الصيد الذي يدور بين صياد فقير وقطيع من  
الأتن الوحشية يسوقها هذا الحمار ، وينتهي بنجاة القطيع وعودة الصياد غمقفا  
إلى زوجته وأولاده الجياع المنتظرين عودته بطعامهم . وقافية القصيدة التي  
تتخذ من حرف الياء المشددة الممدودة رويًا لها من القوافي النادرة في الشعر الجاهلي .

\* \* \*

١ خَشِيتُ مَنَازِلًا مِنْ آلِ هَنْدٍ      قِفَارًا بَدَلْتُ بِعِدَى عُقْبَا  
٢ تَبِينُ رَمَادَهَا وَخَطَّ نَوِي      وَأَشَعْتُ مَاثِلًا فِيهَا نَوِيًا

- (١) عقبا : أي عافية دارسة . وبدلت بعدي : تغيرت عن سابق عهدي بها .  
(٢) تبين : أي تستبين ، والفاعل « أنت » يريد الشاعر نفسه . وخطَّ نوي : أي مخطوط  
النوى الباقية من الرمال ، والنوى : خندق يحفر حول الخيمة ليحميها من الماء أن يتسرب إليها ومن  
هوام الصحراء أن تزحف إلى داخلها . والأشعت : الورد الذي تشد إليه حبال الخيمة . وماثلا :  
قائما . ونويا : ثابتا في موضعه . يصف أطلال صاحبه وما بقي من آثارها : الرباد والنوى والأوتاد .

- ٣ فكادت من معارِنها دموعي      تَهْمُ الشَّانَ ثم ذَكَرْتُ حَيًّا  
٤ وكان الجَهْلُ لو أبْكَاكَ رَسْمٌ      وَلَسْتُ أَحِبُّ أَنْ أُدْعَى سَفِيًّا

\* \* \*

- ٥ وتَدْمَانِ كَرِيمِ الْجَدِّ سَمَحَ      صَبَحْتُ بِسُحْرَةٍ كَأَمَّا سَيِّئًا  
٦ يَحْاذِرُ أَنْ تُبَاكِرَ عَاذِلَاتُ      فُتِيًّا أَنَّهُ أَضْحَى غَيُوبًا  
٧ فَقَالَ لَنَا : أَلَا هَلْ مِنْ شِوَاءٍ ؟      بِتَعْرِيطِ ، وَمَا يَكْبِيهِ عِيَا  
٨ فَأَرْسَلْتُ الْغَلَامَ وَلَمْ أُلَبِّثْ      إِلَى خَيْرِ الْبَوَائِكِ تَوَهْرِيًّا  
٩ فَنَامَتْ لِلْقِيَامِ لِغَيْرِ سَوِيٍّ      وَاتَّبَعَهَا جُرَازًا مَشْرِيفًا

(٣) الشَّانُ : مجرى الدموع إلى العين . وَتَهْمُ الشَّانُ : أى تدفع الدموع إلى الانهمار . وقوله « ثم ذكرت حيا » يريد أنه رجع إلى نفسه وتماسك من أن ينهار .

(٤) السُّفَى : الطائش الخفيف ، من السفا وهو الخفة والطيش . يقول إنه رجس من بكائه وتماسك بعد أن أوشك على الانهيار حتى لا يتهم بالجهل والطيش والزق ، وهى صفات لا يرضاها لنفسه .  
(٥) صَبَحْتُ : سقيته نحر الصباح . والسحرة : وقت السحر . والسبي : صفة للغمر ، وهى التى حلت من بلدة أخرى فكأنها قد سبيت . يصف نديعه على الشراب بأنه كريم الأصل مباح الخلق ، ويذكر أنه سقاء فى وقت السحر نحرًا طيبة مستوردة .

(٦) يذكر أنه اختار وقت السحر قبل أن تصحو العاذلات فيلجئه على غوايته .  
(٧) وما يكبى : أى لم يكتمه فى نفسه . يريد أنه هرّض بطلب شواء يستمتعان به على الشراب ، ولم يصرح به ، لاعتنى منه ولكن بسبب فعل الخمر به وعقدها لسانه .  
(٨) الْغَلَامُ هنا : الخادم . ولم ألبث : لم أؤخره . والبوائك : جمع بائك وهى النافاة الفتيحة الصغيرة السن ، والتوهري : السنام الطويل .

(٩) نَامَتْ للقِيَامِ : يريد أنها نافاة صميّة تنوء بسمتها عند القيام . وقوله « لغير سوي » يريد أنها لم تقم ليسوقها الغلام وإنما لينحرها . والجراز : السيف القاطع . والمشرقي : الجلد الصنع ، نسبة إلى الماشارق ، وهى قرى بالشام كانت مشهورة بصناعة السيوف فى العصر الجاهل .

١٠ فضل بنعمة يُسعى عليه وراح بها كريما أجفلياً

\* \* \*

١١ وكنت إذا الموم تضيّفتني قرئت لهم أهوج دوسرياً

١٢ بوزل عاميه مردي قذاف على التأويب لا يشكو الويتا

١٣ يشيح على الفلاة فيعتليها وأذرع ما صدعت به المطيا

١٤ كاني حين أزجره بصوتى زحرت به مديلاً أخدرياً

١٥ تمهل عانة قدذب عنها يكون مهابه منها قصياً

(١٠) يصف قيام السلام على طعام نديمه وإكرامه والعناية به ، ويذكر أن نديمه كريم أيضاً . والأجلى : الكريم الواسع الكرم ، نسبة إلى الجفلى والأجفلة وهى الجماعة ، وبه قول طرفة :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا يشقر

يريد أن الدعوة عامة للنامس جميعاً لا يستثنون منهم أحداً .

(١١) تضيّفتنى : نزلت ضيوفاً على . وقرئت لهم : قدّمت له القرى وهو طعام الضيافة . والأهوج : المتدفع في جراحة لا يبال شيئاً ، صفة للجمل الذى يرحل عليه . والدوسرى : الضخم الشديد . يقول إن الموم إذا نزلت ضيوفاً عليه فقدم لها حقوق ضيافتها رحلة على هذا الجمل القوى الجسرى ، ينطلق فيها إلى أعماق الصحراء .

(١٢) البريزل : تصغير البازل وهو الجمل المسن الذى ظهرت أنيابه . المردى : الحجرى به . والقذاف : القذف . ومردي قذاف : كناية عن صبره على مشقات السفر وأحوال الرحلة . يصف جملة . والتأويب : مواصلة السير طول النهار . والويتا : الثعب .

(١٣) يشيح على الفلاة : يجدها عليها . وأذرع : أسبق . وصدعت به : يريد قطعت به الصحراء . والمعنى أنه يسبق الإبل الأخرى التى ترافقه في الرحلة .

(١٤) المدل : الائق من نفسه . والأخدرى : الحمار الوحشى ، يشبه جملة به . وتشبيه الناقة أو الجمل بالحمار الوحشى كثير في الشعر الجاهلى ، ووجه التشبه القوة والصبر والتحمل .

(١٥) تمهل : ساقها أمامه متمهلاً . والعانة : قطيع الأتن الوحشية . ذب عنها : دافع عنها . والمصام : المقام . والقصى : البعيد . يصف قطيع الأتن الوحشية بأن ذكرها يسوقها متمهلاً ، ويدافع عنها ، ويخذ موقفه بعيداً عنها ، ليراقبها ويراقب القضاء من حولها ، حتى لا يفاجئها خطر من أى ناحية .

- ١٦ أطال الشَّدَّ والتقريبَ حتى ذكرتُ به مُمرًّا أنْدَرِيَا  
 ١٧ بها في روضةٍ شهري ربيع فساف لها أديا أدليصيا  
 ١٨ مُشيعا هل يرى شبحا قريبا ويوفي دونها العَلَمَ العَلِيَا  
 ١٩ إذا لاقى بظاهرةٍ دَحِيقا أمرَّ عليهما يوما قَسِيَا  
 ٢٠ فلما قَلَّصَتْ عنه البقايا وأعوزَ من مراتِعِهِ اللَّوِيَا  
 ٢١ أرنَّ فصكَّها صخبٌ دَوولٌ يعبُّ على مناكبها الصَّيبَا

(١٦) الشَّدَّ : المدر . والتقريب : الإجماع برفع اليدين معا ووضعهما معا . والممر : الحبل الشديد القتل ، من أمر الحبل إذا أحكم فتله . والأندرى : المنسوب إلى أندرين وهي قرية من قرى الشام ، وهي التي تحدث عنها عمرو بن كلثوم في مطلع معلقته ، يشبه به الحمار الوحشي في ضوره وإحكام خلقه وتوثيق بنيانه .

(١٧) ساف : شم . والأديم : الجلد ، يريد به ظهر الأرض . والأدليص : الذي تظهر نباته الجديد ، وأصله صفة للحمار إذا ثبت له شعر جديد . والضمير في «بها» يعود على قطع الأذن الوحشية . يقول إن هذا الحمار أصرع بلانائه إلى روضة خصبة أخذ يتشمم أرضها التي أخذ تباتها ينوء ، ليعلمن إلى جودة مرعاها .

(١٨) مشيعا : أي أنه يدبر بصره في الفضاء المحيط به . والشبح : الشخص . والعلم : المكان المرتفع . والعلى : العالى . ويوفي دونها : أي يصل قبالتها ، والضمير فيها يعود على الأذن .

(١٩) الظاهرة : ما ارتفع وظهر على الأرض . والدحيق : الحمار المطرود المبعد عن الأذن . والقسى : الشديد القاسى . يريد أن يوما شديدا من الصراع قد بدأ بين الذكرين لأظفر بهذه الإناث . (٢٠) البقايا : يريد بها بقايا الماء . وقلصت عنه يريد أن بقايا الماء أخذت في الجفاف . والوئى : النبات أخذ في الجفاف وإن بقيت فيه بقية من الماء . وأعوزه الوئى : أى احتاج إليه ، والضمير فيه يعود على الحمار الوحشى . يصف بداية جفاف المارعى الذى نزل به هذا القطيع تمهيدا لرحلته عنه بحثا عن مرعى جديد .

(٢١) أرنَّ : صاح ومد صوته . وصكَّها : ضربها ضربا شديدا . والدَوول : الشديد النشاط . والعصى هنا : طرف اللجين وهما منابت الشعر على الخدين والذقن . ويعب على مناكبها الصبىا : أى يجعل أطراف لحية على ظهورها . يقول إن هذا الحمار أخذ يسوق إنائه سوقا عنيفا ، قد صوته صائحا بوا ، وراح يضربها ضربا شديدا ، ويمزها في مناكبها بأطراف لحية .

- ٢٢ فأوردها على طَمَلٍ يَمَانٍ يَهْلٍ إِذَا رَأَى لِحْمًا طَرِيًّا  
 ٢٣ لَهُ شِرْيَانَةٌ شَخَلَتْ يَدَيْهِ وَكَانَ عَلَى تَقَلُّدِهَا قَوِيًّا  
 ٢٤ وَزُرُقٌ قَدْ تَخَلَّهَا لِقُضْبٌ يَشُدُّ عَلَى مَنَاصِبِهَا النَّضِيًّا  
 ٢٥ تَرْدَى بُرَاءَةً لِمَا بَنَاهَا تَبَيَّرَ مَقْعَدًا مِنْهَا خَفِيًّا  
 ٢٦ فَلَمَّا لَمْ يَرَيْنِ كَثِيرَ ذُعِيرٍ وَرَدْنَ صَوَادِيًّا وَرَدًّا يَكْبَى  
 ٢٧ فَأَرْسَلَ وَالْمَقَاتِلُ مَعُورَاتٌ لِمَا لَاقَتْ ذُعَافًا يَثْرِبُ  
 ٢٨ فَخَرَّ النَّصْلُ مُنْقَعِصًا رَثِيًّا وَطَارَ الْقِدْحُ أَشْتَاتًا شَظِيًّا  
 ٢٩ وَعَضَّ عَلَى أَنَامِلِهِ لَهَيْفًا وَلاَقَى يَوْمَهُ أَسْفًا وَغِيًّا

(٢٢) الطمل : الفقير . رهيل : يهلل فرحا . يصور الصياد المتربص بها ، ويقول إنه صياد فقير من أهل اليمن ، ينتظر في لفة صيدا ممينا ، وتمتلئ نفسه بالفرحة كلما رآه .

(٢٣) الشريانة : القوس تلخذ من الشريان وهو شجر تمنع منه القسي .

(٢٤) الزرق : النصال المجلوة المصقولة . وتنخلها : تخيرها . والقضب : القداح التي تركيب فيها النصال . ومناصبها : أهاليها . والنضى : السهم . يصف في البيتين هذا الصياد وما أعده من قوس ومهام خرج بها ليضمن ظفره بالصيد الذي خرج وراءه .

(٢٥) البراءة : الحفرة التي يعمدها الصياد ليختبئ فيها . وترداها : دخل فيها واختبئ في داخلها .

(٢٦) صواديا : عطاشا . وكيا : خفيا . يقول إن هذه الأثني حين اطمأنت ولم تجد ما يخفيها مضت إلى ماء بعيد خفي في جوف الصحراء لتطفى ظمأها .

(٢٧) فأرسل : يريد أن الصياد أرسل مهمما نحو القطيع . ومعورات : مكشوفات . والذعاف : السم الفاتل ، يريد السهم . واليرثى : نسبة إلى يثرب ، ولعله يريد أنها من صناعة يسود يثرب ، وكانوا في العصر الجاهلي يحترفون صناعة الأسلحة . وذعافا مفعول به لأرسل ، والجملة بينهما اعتراضية .

(٢٨) منقعصا : ملنويا . ورثيا : نخضبا بالدماء . وشظيا : منكسرا .

(٢٩) وعض على أنامله : كناية عن الندم . يريد أن الصياد أخفق في إصابة القطيع .

- ٣٠ وراح بِحِزَّةٍ لِفَقاً مُصَابَا      يُنْبِي عِرْسَهُ أَمْرًا جَلِيَا  
 ٣١ وَلَوْ لَطَمَتْ هُنَاكَ بَذَاتِ نَحْسٍ      لَكَانَا عِنْدَهَا حَتَّيْنِ سِيَا  
 ٣٢ وَكَانُوا وَائِقِينَ إِذَا أَتَاهُمْ      بِلَحْمٍ إِنْ صَبَّاحًا أَوْ مُسِيَا

\* \* \*

(٣٠) الحرة : شدة العطش ، يريد بها الغيظ الذي ملا نفسه حين رأى سهامه تطيش . وعرسه : زوجته . يصور عودة العياد خائباً إلى زوجته .

(٣١) الحَتَّان : المثلان . وسيا : أي سواء . وذات النخس هي الكدف . والضمير في « كانا » يعود على الأئمة وعلى خيبة زوجها . يقول إن عودته خائباً إلى زوجته كانت بمثابة لعنة على وجهها .

(٣٢) الضمير في « كانوا » يعود على أولاده . يصور ضياع أمهم في عودة أبيهم بلحم العبد الذي خرج من أجله ، والذي كانوا على ثقة من عودته به في أي وقت من الليل أو النهار .

\* \* \*

يوسف خليل

( ٣ )

### طعنةٌ غير طائشة

من بواكير قصائد المدح في الشعر الجاهلي هذه اللامية لعمر بن قيس ، وهو يستلها بعرض موقف غزلي طريف يتعلق في جانب منه بتجربة الشيب وآلامها ، وفي جانب آخر بمشهد الظعينة وما تركه في نفسه من آلام الهوى وحسرة الفراق معاً .

وعلى عادة شعراء العصر راح عمرو يدعو لصاحبه ويدعو لديارها ، مسجلاً من خلال ذلك الدماء المزدوج حنينه إليها وحبها وإخلاصه في تجربته .

ويطيل الشاعر في عرض هذا المشهد الذاتي الذي وزعه بين حديث الغزل والشيب والظعن ، وبعدها يؤثر الإيجاز في حديث المدح ، فيركز حديثه على الملاحم الكبرى التي رآها مميزة لمدوحه دون سواء ، فرآه فريداً في شجاعته لا يكاد يُبَارَى فيها أو يُنَازَع ، وشغله من تلك الشجاعة في الدلالة عليها ضربته النافذة التي لا تخطيء عدوه والتي كانت دافعاً لإعجاب الشاعر حيث راح يتغنى بها في هذه اللامية .

\* \* \*

١ هل لا يهيج شوقك الطليل أم لا يفرط شيخك القزل

٢ أم ذا قطين صاب مقتله منه وخانوه إذ احتملوا

(٢) القطين : أهل الدار . ويقطن المكان يقيم فيه ، والقطين : الحشم والإماء والأنباع .



- ٣ ورأيت ظعنهم مقفية تعلو المخارم سيرها رمل  
 ٤ قنأ العهون على حواملها وعلى الرهاويات والكلل  
 ٥ وكان غزلان الصريم بها تحت الخدور يظللها الظلل  
 ٦ تامت فؤادك يوم بينهم عند التفرق طيبة عطل  
 ٧ شئت إلى رشا تربيته ولها بذات الحاذ معتزل  
 ٨ ظل إذا صحيت ومرقب كيلا يكون لليلها دغل  
 ٩ فسقى منازلها وحلتها قرد الرباب لصوته زجل  
 ١٠ أبدى محاسنه لناظريه ذات العشاء مهلب خضل  
 ١١ متحلب تهوى الجنوب به فتكاد تعدله وتتجفل  
 ١٢ وضعت لدى الأصناع ضاحية فوهى السيوب وحطت العجل

(٣) المخرم : منقطع أنف الجبل . الرمل : ضرب من سير الإبل وهو السير السريع .

(٤) القنأ : الحرة الشديدة . المهن : الصوف الأحمر القاني الداكن . الرهاويات : أكسية منسوبة إلى الرها لثبوتها بها .

(٥) الصريم : رمال تنقطع من معظم الرمل .

(٦) تامت : ضللت . العطل : انخالية من الحلى ، دلالة على شدة جحالها دون حاجة إلى الحلى .

(٧) الشنف : النظر بمؤخر العين ، أو هي نظرة تثنى بالاعتراض . تربيته : تربيته وتحرص عليه . الحاذ : نبات ، ومنى به موضع بنجد .

(٨) صحيت : برزت .

(٩) الحقة : مجتمع القوم ، أو مكان معيشتهم . الرباب : نوع من السحب يطلق خاصة على السحاب الأبيض . القرد من السحاب : المتلبد بفضه على بعض .

(١٠) ذات العشاء : وقت العشاء . مهلب : كأن له هلباً من هيد به ، والهيدب : الذي يتدلى ويدنو مثل هذب القطيفة . الخضل : الرطب . واغضال الشجر كثرت أغصانه وأوراقه .

(١١) متحلب : يتحلب بالمطر . ينجل : ينقلع . وجفل الطين يرفه وجفل الشيء قشره .

(١٢) الأصناع : اسم موضع . ضاحية : ظاهرة بارزة . السيوب : مجارى المياه فى الأودية . العجل : جمع عجلة وهى الزادة . والعجلة بالكسر أيضاً السقاء والدرباب .

- ١٣ فسقى امرأ القيس بن عَمْرَةَ إِنَّ (م) الأكرمين لذكهم تَبَلُّ  
 ١٤ كم طعنة لك غير طائشة ما إن يكونُ لجرحها خَلَل  
 ١٥ فطعنُها وضربتُ ثانيةً أخرى وتزل إن هم تزلوا  
 ١٦ يهبُ الخَاضُ على غواربها زَبَدُ الفحول مَعَانُهَا بِقِلُ  
 ١٧ وعِشَارُها بعد الخاض وقد صافت وعم رباعها النَّفْلُ  
 ١٨ وإذا المجزئ حان مشربه عند المصيف وسره التَّهْلُ  
 ١٩ رشفُ الذَّنابِ على جماجمها ما إن يكون لحوضها مَمَلُ

- (١٦) زبد الفحول على غواربها : أى يقرعها فيبقى زبده على غواربها . معانها : الموضع الذى ترى به . بقل : فيه بقل .  
 (١٧) صاف القوم بمكان كذا : أقاموا فيه فى فصل الصيف . الرباع : جمع ربيع . وهو الموضع يرتبون فيه الربيع . النفل : الغنمة والهبة .  
 (١٨) المجزئ : الذى كان يجزأ إبله بالرطب إذا اشتد عليها الحر .  
 (١٩) الذَّناب : جمع الذنوب وهى الدلو العظيمة . الصملة : بقية الماء فى الحوض . وهو الماء القليل مائة .

\* \* \*

عبد الله البطاوى

( ٤ )

## المصير المحتوم

تدور هذه القصيدة حول فكرة المصير المحتوم الذى ينتهى إليه كل كائن حى فى هذه الحياة : الإنسان مهما يَطْلُبْ به الأجل ، والحيوان فى البر والبحر : التماسيح المتخفية فى بلج الأنهار ، والوعول المعتصمة فى قسم الجبال ، والثيران الوحشية المتأبدة فى أعماق الصحراء .

وهى تبدأ بمقدمة غزلية يصف فيها رحلة صاحبه مع قومها إلى أرضهم الجديدة ، ثم يتحدث عن كبره الذى أنكرته صاحبه طيبه ، ويخرج من هذا الحديث إلى حديث المصير الذى تدور حوله القصيدة . والقصيدة قصيرة تقع فى ثلاثة عشر بيتاً .

\* \* \*

- ١ إنا قلبى عن نكتم غير سالى تيمتنى وما أرادت وصالى
- ٢ هل ترى غيرها تجيز سراعاً كالعُدُولي رانحاً من أوالى

(١) نكتم : امس صاحبه ، وهو من الأسماء النادرة فى الشعر العربى . والبيت يوحى بما يعتزم الشاعر إثارة فى قصيدته من حديث الشيب والمصير . لقد تيمنت صاحبه ولكنها لا تريد وصاله . إنه حب من طرف واحد .

(٢) العُدُولي : سفن منسوبة إلى قرية بالبحرين اسمها عدولى . وكانت البحرين فى العصر الجاهل مركزاً لصناعة السفن ، بحكم موقعها على الخليج واحراف أهلها الملاحة . وأوال : جزيرة من جزر البحرين . يشبه ظعائن صاحبه وهى تتخترق الصحراء بهذه السفن البحرانية وهى تشق أمواج الخليج خارجة من هذه الجزيرة .

- ٣ نزلوا من سويقة الماء ظهرا ثم راحوا للنعيف نعيف مطال  
 ٤ ثم اضمحوا على الدثينة لا يا لون أن يرفعوا صدور الجبال  
 ٥ ثم كان الحساء منهم مصيفا ضاربات الخدود تحت الهدال  
 ٦ فزعت تكتم وقالت : عجيبا أن رأيتي تغير اليوم حالي  
 ٧ يا ابنة الخير إنما نحن رهن لصروف الأيام بمد الليالي  
 ٨ جالج الدهر وانتحي لي ، وقدا كان ينجي القسوى على أمثالي  
 ٩ أفصدتني سهامه إذ رميتني وتولت عنه ، سليمي ، نبالي

(٣) سويقة الماء : موضع باليمامة . ونعيف مطال : ماء ، والنعيف : المكان المرتفع . يصف رحلة الفلماني ، ويتبع مراحل سيره ، ويذكر المواضع التي يجتازها ، وسهولاته تنبه لمن في البيت التاليين .

(٤) الدثينة : موضع . وقوله « لا يألون أن يرفعوا صدور الجبال » يريد أنهم لا يقصرون في حث إبلهم على مواصلة السير . ورفع صدور الجبال كناية عن اندفاعها في السير .

(٥) الحساء : موضع في ديار بني أسد يكثر فيه الماء . الخدود : جمع خدر وهو جانب الخباء المخصص للنساء يفصل بينه وبين سائر الخباء يستر . والهدال : ما تهدل من أغصان الشجر . يتحدث عن نهاية الرحلة ، لقد وصلت القافلة إلى هذه المنطقة لتقضي فيها الضيف ، وضربت خيامها فيها في ظلال الشجر الوردية تحت أغصانها المتهدلة .

(٦) يصف موقف صاحبه منه بعد أن رأته تقدم السن به ، وتغير حاله بعد أن بدأ زحف للسنتين عليه .

(٧) يرد على تعجبها وإنكارها لتفسير حاله بأن الإنسان في الحياة رهن لتقلب الأيام والليالي به .

(٨) جلع الدهر : يريد أن الدهر رعى شبابه ونزع عنه نضارته ، وأصله من جامحت الإبل الشجر إذا رعت أعاليه وقشرته ، ومن هنا يحتل التعمير أيضا معنى انحصار الشعر عن جانبي الرأس . وقوله « وانتحي لي » يريد أن الدهر اتجه إليه وقصده بعد أن كان في ماضى أيامه يتجه إليه بالقوة والشباب .

(٩) أفصدتني سهامه : أي رميتني فلم تخطئ . وتولت عنه نبالي : أي أخطأته وابتعدت عنه . وصايي : نداء لصاحبه ، وهي نفسها تكتم التي ذكرها من قبل ، والتي يدور الحوار بينها وبينه ، يقول إن مهام الدهر أصابتني ولم تخطئ ، وأما نبالي التي أوجهها إليه فقد أخطأته ولم تصبه .

- ١٠ لا عَجِبُ فيما رأيت ، ولكن عَجَبٌ مِنْ تَقْصُرِ الآجَالِ  
 ١١ تُدْرِكُ التَّمَسَّحَ الْمَوْلَعِ فِي النَّجَّةِ ، وَالْعَصَمَ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ  
 ١٢ وَالْفَرِيدَ الْمُسْفَعَ الْوَجْهَ ذَا الْجُدِّ عِةٍ يَخْتَارُ آمَنَاتِ الرِّمَالِ  
 ١٣ وَتَصْدَى لِتَصْرَعِ الْبَطْلَ الْأَرْوَاحَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَالسَّرِيالِ

\* \* \*

(١٠) تقصر الآجال : تأخرها . يقول لصاحبه : ليس عجيبا أن يتقدم العرب بالإنسان و يقترب من نهايته ، فهذه سنة الحياة ، ولكن العجيب أن يتأخر الأجل عما يفترض أنه موعده .

(١١) الضمير في « تدرك » يعود على الآجال . والتمسح لغة في التمساح ، ولعلها أول مرة أو المرة الوحيدة التي ترد فيها في الشعر الجاهلي . والمولع : الذي به تعلق تخالف سائر لونه . والعصم : الوعول ، مفردا أعصم ، لأنها تعصم في قم الجبال .

(١٢) للفريد : يريد به الثور الوحشي ، وأكثر ما يظهر في الصحراء منفردا وحده ، وهذه هي صورته التي تتردد دائما في الشعر القديم . والمسفع : الذي في وجهه سفعة وهي السواد والشحوب . كلون الرماد .

(١٣) تصدى : أى تصدى ، حذفت إحدى تاءيه تخفيفا . والأروع : الشجاع الذي يرومك بشجاعته . والعلماء : ثوبان يتدف فيهما وبر الإبل يلبسهما المقاتل تحت الدرع . والسريال : القميص ، يريد به هنا الدرع ، وفي القرآن الكريم أطلقت السراويل على الدروع : « وسراويل تقيسكم بأسمكم » (النحل ٨١) .

\* \* \*

يوسف خليف

## عبيد بن الأبرص

\* \* \*

يرجع نسبه إلى قبيلة سعد بن ثعلبة إحدى قبائل بني أسد التي كانت تنزل في شمالي نجد، والتي تحكمها أسرة كندة اليمنية التي ينتمى إليها امرؤ القيس الشاعر . وكان عبيد معاصرا لمُجتر أبي امرئ القيس وآخر ملوك هذه الأسرة، وكان من بين الذين اشتركوا في ثورة قبيلته عليه وقتله والقضاء على حكم أسرته ببلادهم . وقد تحول مع الأحداث التي شهدتها المنطقة في هذه المرحلة من تاريخها إلى « شاعر الثورة » الذي يسجل أحداثها ، ويتغنى بدور قبيلته فيها . ويهاجم الأسرة اليمنية الحاكمة ، ويستخر من آخر أمراءها امرئ القيس في محاولاته الضائعة للنار لأبيه ، واسترداد عرش أسرته . وفي شعره ما يدل على أنه شارك في المعركة الأخيرة التي قُتل فيها مُجتر ، وفروا منها امرؤ القيس هاربا بعد مصرع أبيه وهزيمة جيشه .

وليست بين أيدينا أخبار كثيرة عن حياة عبيد ، فالروايات العربية القديمة لا تذكر شيئا له قيمته التاريخية عن حياته ، وكثير مما تذكره يبدو عليه طابع الأساطير والأفانصيص الشعبية التي تتناقلها الشعوب دون تأكيد من صحتها أو توثيق لها . وربما كانت أصح هذه الأخبار مشاركته في ثورة قبيلته على أسرة كندة التي انتهت بمصرع آخر ملوكها ، ففي الروايات التاريخية التي تحدثت بها الإخباريون ما يؤكدها ، وكذلك في قصائده ومقطوعاته التي وثقها الباحثون .

وقد لقي عبيد مصرعه على يد المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة في « يوم يؤسه » الذي تحدثنا عنه هذه الروايات . فقد كان لهذا الملك الطاغية الذي كان وراء

إخفاق امرئ القيس في محاولاته استرداد عرش أميرته الضائع يومان في السنة معروفان بيوم البؤس ويوم النعيم ، وكان قَدْرُ أول ما يصادفه في يوم بؤسه أن يقتله ، وحظُّ أول من يلقاه في يوم نعيمه أن يحسن إليه ويجزل له العطاء . وشاء قَدْرُ عبيد أن يخرج إليه في أحد أيام بؤسه ، فكانت نهايته الحزينة وهو ينشد ناعيا نفسه :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَيْدُ      فالْيَوْمَ لَا يُبْدَى وَلَا يُعِيدُ

وكما هو الشأن مع كل الشعراء الجاهليين ليس من اليسير تحديد سنة وفاته بالضبط ، ولكن إذا وضعنا في تقديرنا هذه الرواية التي تتحدث عن مصرعه على يد المنذر ، فإننا نستطيع أن نقرب من الحقيقة . فقد قُتِلَ المنذر في بعض حروبه مع الحارث الغساني ملك الغساسنة — كما يحدثنا المؤرخون البيزنطيون — في سنة ٥٥٤ للميلاد . ومعنى هذا أن عبيدا لا بد أن يكون قد قُتِلَ قبل هذا التاريخ ، وإن يكن من الصعب بعد ذلك أن نحدّد السنة التي قتل فيها .

وعبيد أحد الشعراء الكبار الذين عرفهم الشعر الجاهلي في المرحلة الأولى الثابتة من تاريخه ، مرحلة عصر البسوس . وقد وضعه محمد بن سلام في الطبقة الرابعة من فحول العصر الجاهلي مع طَرْفَةِ بن العبد وطلّعة بن عبدة وعدى بن زيد وذكر أنهم أربعة فحول « موضعهم مع الأوائل وإنما أخلّ بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة » . ويضعه بعض الرواة بين شعراء المعلقات ، ويعملون قصيدته « أقفر من أهله ملحوب » إحدى المعلقات العشر ، وإن يكن ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » يجعلها من المعلقات السبع .

ويدور شعر عبيد الذي وصل إلينا حول موضوعات قبلية أكثرها نفرا بها ، وبصفة خاصة في الصراع الذي دار بينها وبين بني أسد ، والذي انتهى بمصرع

الملك . ويتردد في حديث هذا الصراع تهديد لامرئ القيس يشوبه غير قليل من السخرية منه ومن قدرته على استرداد عرش أسرته الذى ضاع إلى الأبد . كما تتردد في شعره أحاديث كثيرة عن مرحلة شبابه الذى ولى ، وماشهدته من بطولات ، وما مرَّ به فيها من تجارب ومغامرات . وأيضا يتردد فيه وصف للطبيعة الصحراوية ، وبصفة خاصة المطر . من حين إلى حين تتردد أبيات متناثرة من الحكم يسجل فيها خلاصة تجربته في حياته الطويلة .

وقد لاحظ المستشرق الإنجليزى ليال « Lyall » في مقدمته الدقيقة التى صدر بها ديوانه الذى حققه ونشره فى سنة ١٩١٣ أن معظم قصائده يبدو عليها أنه نظمها وهو متقدم فى السن ، حيث يترأى فيها شيئا كبيرا ينظر إلى شباب يعده أجمل مراحل حياته ، كما لاحظ أن لغة قصائده تكشف عن شخصية ذاتية بارزة ، وأنه فى كثير من قصائده يلتزم منهجا ثابتا يتناول من خلاله موضوعات واحدة ، وأن هناك تشابها موضوعيا واضحاً بينه وبين معاصره امرئ القيس ، وأن الشعارين يستمدان من ذخيرة شعرية واحدة فى العبارات والموضوعات ، أو بعالجان موضوعاتهما معالجة واحدة . و انتهى من ذلك إلى توثيق أكثر شعره واستبعاد فكرة انتحاله .

\* \* \*

يوسف خليل



( ١ )

## من المعلقة تجارب الحياة

عبيد بن الأبرص من أقدم الشعراء الجاهليين وقد عاصر سُجْجَرا أمير كندة  
ووالد امرئ القيس الشاعر الجاهلي المعروف . وينتمى عبيد إلى سعد بن ثعلبة  
من قبيلة أسد الذين كانوا يسكنون في شمالي الجزيرة العربية .

وأخبار عبيد قليلة في المصادر المختلفة وكذلك أشعاره وإن وضعه معظم  
العلماء في مرتبة الشعراء الفحول المقدمين . وأبرز ما في شعره الوصف وخاصة  
وصف الرياح والأمطار ، وكذلك الحكمة التي يودع فيها تجارب حياته ،  
والأحداث التي تعرضت لها قبيلته في عهده . ومنها مقتل حجر ونزاع القبيلة مع  
إمارة الغساسنة وملوكها الحارث الأعرج .

وهذه الأبيات التي اخترناها من قصيدة له يُعَدُّها بعض العلماء الأقدمين من  
المعلقات تعبر عن تجربة ذاتية عميقة في الحياة الإنسانية . ويبدوها الشاعر يلوم  
نفسه على العشق والسعى وراء اللذة بعد أن شاب وعلت سنه ، وكان في أبيات  
سابقة من القصيدة قد صور عشقه وسعيه وراء النساء ، وقد ازداد شوقا بعد أن  
رحلت المحبوبة عن دارها ، ولهذا يصوغ هذا الرحيل في حكمة خالدة حين

يقول في البيت الثاني : إن كانت الحبيبة قد رحلت مع أهلها ، فهم ليسوا أول من يرحلون ، وليس هنا غرابة ولا عجب في هذا الرحيل ، وإذا كانوا قد تركوا أرضهم خلاء منهم وخلاء من مظاهر الحياة فانتابها الجذب والقحط ، فهكذا حال الدنيا ، كُلُّ مَنْ بيده نعمة سوف يفقدها ، وكلُّ مَنْ آمَلَ في شيء سيأتيه يوم لا يتحقق فيه هذا الأمل ، وكل إنسان في يده ثروة أو امتعتها عن طريق السلب والغنيمة ، سيأتي يوم يضطره للتخلي عن ذلك لغيره حين تنتهي أيام الحياة المحدودة ويمثل الموت . وكل مغترب عن داره وأهله إن كانت ساعته لم تحن بعد سيعود ، ولكن من لا يعود أبدا هو الذي استأثر به الموت . وعلى العاقل أن يفرق بين الغث والسمين فلا يعدل بين المرأة العاقرة والولود أو بين المنتصر في ساحة القتال والمنهزم ، وإن كان حظ الإنسان ليس خاضعا لمراهبه فقد ينجح العاجز في حياته وقد يفشل الذكي الأريب ، والدهر وحده هو الذي يكسب الناس التجربة الصادقة التي تنفعهم ، أما أن يعظهم الناس ، فهذا مالا ينفعهم لأن الإنسان بطبيعته يستكبر على الوعظ ، والعقل على أية حال لا يكتسب اكتسابا وإنما هو طبيعة مركوزة في الإنسان .

وعواطف الإنسان متغيرة ، فمن تبغضه اليوم قد تحبه غدا ، ومن تحبه اليوم قد تبغضه غدا ، وإذا كنت مقيا في أرض غير أرضك فلا بد أن تعين أهلها على أمورهم ، وتشاركهم في حياتهم ولا تنعزل عنهم بدعوى أنك غريب . وقد يكون الغريب عنك تسبا ودارا صديقا مخلصا لك مواصلا لمودتك ، بينما ينقطع عنك الغريب في النسب والموطن . وعلى العاقل ألا يتعرض لسؤال الناس فهم كثيرا ما يحرمونه ولا ينسالونه ما يشتهى ، ولكن الله وحده يعطي من يشاء ، وهو بلا شريك يعلم ما تخفى النفوس ، ويظل المرء في حياته نهب القلق لا يتأكد من

شيء لتلون الحياة واضطرابها ، فلماذا يؤمل الإنسان طول العمر وفي هذا الطول  
تعذيب دائم له ؟

\* \* \*

- ١ تَصَبُّوْا أَنَّى لَكَ التَّصَابِي ؟ أَنَّى وَقَسِدَ رَاعَكَ الْمِشْيَبُ ؟
- ٢ إِنْ يَكُ حُؤْلَ مِنْهَا أَهْلُهَا فَلَا بَدِيَّ وَلَا عَجِيبُ
- ٣ أَوْ يَكُ أَفْقَرَ مِنْهَا جَوْهَا وَمَادَهَا الْمُحَلُّ وَالْجُدُوبُ
- ٤ فَكُلُّ ذِي نِعْمَةٍ تَخْلُوسُهَا وَكُلُّ ذِي أَمَلٍ مَكْذُوبُ
- ٥ وَكُلُّ ذِي إِبِلٍ مَوْرُوثُهَا وَكُلُّ ذِي سَلَبٍ مَسْلُوبُ
- ٦ وَكُلُّ ذِي قَيْسَةٍ يُؤُوبُ وَضَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُؤُوبُ
- ٧ أَعَاقِرُ مِثْلُ ذَاتِ رَحِيمٍ أَوْ غَانِمٌ مِثْلُ مَنْ يَنْجِيبُ
- ٨ أَفْلَحَ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُدْرِكُ بِالْضَعِيفِ وَقَدْ يُخْذَعُ الْأَرِيبُ

(١) تصبو : تميل وتمشق ، أنى : كيف لك بهذا ، راعك : فاجأك وآذأك .

(٢) حوّل منها أهلها : رحلوا عنها ، البدي : الأول ، أى ليست أول أرض تركها أهلها فلا  
خرابة .

(٣) جوها : وسطها ، مادها : أمانيها ، المحل والحدوب : القنط .

(٤) تخلصها : أى سوف تفقدها ، مكذوب : لن يتحقق .

(٥) موروثها : أى سيرتها غيره ، وكل من سلب شيئاً سوف يسلب منه ، فالمرت يأتى على كل  
شيء .

(٦) يؤوب : يرجع .

(٧) العاقرة : التى لا تلد ، ذات الرحم : والولود ، غانم : يغير فيغنم .

(٨) أفلح : عس ، الأريب : العاقل الذكى .

- ٩ لا يَعِظُ النَّاسُ مَنْ لَا يَعِظُ يَعِظُ الْإِلَهَ مَدْهَرٌ وَلَا يَنْفَعُ التَّلْيِيبُ  
 ١٠ لَا يَنْفَعُ اللَّبُّ مَنْ تَعَلَّمَ إِلَّا السَّجِيَّاتُ وَالْقُلُوبُ  
 ١١ فَقَدْ يَعُودُنْ حَبِيبًا شَانِيءٌ وَيَرْجَعُنْ شَانِيءًا حَبِيبٌ  
 ١٢ سَاعِدٌ بِأَرْضٍ إِذَا كُنْتَ بِهَا وَلَا تُقِلُّ لِمَنْ غَرِيبٌ  
 ١٣ قَدْ يُوصَلُ النَّازِحُ النَّائِي وَقَدْ يُقَطَّعُ ذُو السَّهْمَةِ الْقَرِيبُ  
 ١٤ مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَحِبُّ  
 ١٥ بِاللَّهِ يُدْرِكُ كُلَّ خَيْرٍ وَالْقَوْلُ فِي بَعْضِهِ تَلْغِيْبٌ  
 ١٦ وَاللَّهُ لَا يَسْأَلُ لَهْ شَرِيكَ عَلَامٌ مَا أَخْفَى الْقُلُوبُ  
 ١٧ وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبٍ طَوَّلَ الْحَيَاةَ لَهُ تَعْذِيبُ

(٩) التلييب : تكلف الالب .

(١٠) السجيات : الطبايع .

(١١) الشانيء : المبهض .

(١٢) إذا كنت في أرض فأعن أهلها على أمورهم .

(١٣) النازح : البعيد النسب والدار ، السهمه : القرابة .

(١٥) تلغيب : ضعف .

\* \* \*

محمد مصطفى هدارة

( ٢ )

## إنذار إلى امرئ القيس

\* \* \*

تدور هذه القصيدة في جو الصراع الذي اشتعلت نيرانه بين أسد وكندة بعد مصرع حُجْر الملك وخروج ابنه امرئ القيس لمعركة النار . وفيها يستخر الشاعر من تهديد امرئ القيس لقومه ، وينكر عليه ما يدعيه من أنه سيحل نصرا عليهم ، ويفتخر بقومه وشجاعتهم وثباتهم في الحروب وحرصهم على كرامتهم والذود عنها ، ويذكره بأيام دارت بينهم وانتصروا فيها عليهم . ثم يعود في النهاية فيسجل منزلة قومه بين القبائل العربية عامة ، وما بلغوه من مجد وشرف وبطولة . والقصيدة تدور كلها حول هذا المحور في وحدة موضوعية متماسكة ، فلا مقدمة ، ولا تمهيد في الموضوعات ، ولا خروج من موضوع إلى موضوع ، وإنما ترابط وتلاحم وتسلسل بين الأبيات حتى آخر بيت منها .

\* \* \*

- ١ يا إذا الخَوَفْنَا بَقَتْ لِي أُمِّيهِ إِذْ لَأَلَّ وَحِينًا
- ٢ أَرْعَمْتَ أَنْكَ قَبْدَ قَتَلْتِ سَرَائِنَا كَذِبًا وَمِينَا ؟
- ٣ لَوْ مَا عَلَى حُجْرِ ابْنِ أُمِّ (م) قَطَامٍ تَبْكِي لَاعِينَا

- 
- (١) يخاطب امرأ القيس الذي يهددهم بمعركة النار لأبيه . والحين : الحلاك .
  - (٢) السراة : جمع سري ، وهو السيد الشريف . والمين : الكذب .
  - (٣) لوما : بمعنى هلا ، من أدوات التخصيص ، وبها روى البيت في رواية أخرى . وحجر ابن أم قطام هو حجر أبو امرئ القيس ، ينسبه إلى أمه استزاء به ، وتهوينا لشأنه .

- ٤ إِنَّا إِذَا عَصَ الثَّقَا فُ برأس صعدتنا لوينا  
 ٥ نحى حقيقتنا ، وبنا . صُ القوم يسقط بين بينا  
 ٦ هَلَّا سَأَلْتَ بِمُجْمُوعِ كِنْدَ مَدَّة إِذْ تَوَلَّوْا : أَيْنَ أَيْنَا ؟  
 ٧ أَيَّامَ نَضْرِبُ هَامُهُمْ بِبَوَاتِرٍ حَتَّى انْحَنَيْنَا  
 ٨ وَجُمُوعَ غَسَّانِ الْمَلِكِ لَكَ أَتَيْنَهُمْ وَقَدْ انْطَوَيْنَا  
 ٩ لِحُقُوقِ أَيَّاطِلُهُنَّ قَدْ عَاجَلْنَ أَسْفَاراً وَأَيْنَا  
 ١٠ وَلَقَدْ صَلَقْنَ هَوَازِنَا بَنَوَاهِلٍ حَتَّى ارْتَوَيْنَا  
 ١١ نُعَلِيهِمْ تَحْتَ الضَّبَا ب الْمَشْرِقِ إِذَا اعْتَرَيْنَا

(٤) الثقاف : آلة يستعملها العرب في تنقيف رماحهم أى تسويتها . والصاعدة : قناة الرمح .  
 ولوينا : معناها هنا أبينا ورفضنا . والبيت تصور لعزيمهم ومنعهم ، ولأبائهم الضيم ، ورفضهم الذل .  
 (٥) الحقيقة هنا معناها ما يجب على الرجل أن يحمله ويدافع عنه . ويسقط بين بين أى يسقط  
 وسطا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، يريد أنه لا قيمة له .

(٦) أين أين : أى أين تولوا فرارا من المعركة التى هزموا فيها ، كرو الاستفهام للتوكيد .  
 (٧) الهام : جمع هامة وهى الرأس . والبواتر : السيوف الحادة . والضهير فى « انحنى » يعود  
 عليها .

(٨) غسان الملك عم الغساسنة ، يفتخر بانتصارات قومه عليهم . والضهير فى « أين » يعود  
 على الخيل المفهومة من السياق ، وكذلك فى « انطوين » ؛ ويريد بها أنها ضمرت .  
 (٩) الأياطل : جمع أيطل وهو شخص الجسود . والأين : التعب والإعياء . وقوله « لحقنا  
 أيا طلهن » تصور لاضمحور الخيل ، يريد أن نصوصها لحقت بعظام ظهورها .  
 (١٠) الصلق : الصوت الشديد العالى ، يصور شدة صهيل الخيل فى المعركة . والنواهل : يريد  
 بها الرياح التى تقبل من دماء الأعداء حتى تروى .

(١١) فعليهم : أى نضع فوق رؤوسهم . والضباب : يريد به هنا غبار المعركة . والمشرقى :  
 السيف ، نسبة إلى مشارف الشام ، وهى قرى بها كانت مشهورة بصناعة السيوف . واعترينا : أى  
 اتسبنا إلى آبائنا فى أثناء القتال اعتراضا بأصولنا العريقة .

- ١٢ نحن الألى فاجمعُ جمو عَكَ ثم وجههم إلينا  
 ١٣ واعلمْ بأنَّ جِعادنا آلَيْنَ لا يقضين ديننا  
 ١٤ ولقد أبجنا ما حميَ ستَ، ولا مبيعَ لما حمينا  
 ١٥ هذا ولو قد رثَ عليكَ رماحُ قومي ما انتهينا  
 ١٦ حتى تنوشكَ نَوْشَةً عاداتهنَّ إذا اتسوينَا  
 ١٧ نُغلي السَّباءَ بكلِّ ما ثِقَلِ شُمُول ما صَحَّونا  
 ١٨ ونُهينُ في لذاتها عَظَمَ التَّلادِ إذا انتَشينا  
 ١٩ لا يبلُغُ الباني - ولو رَفَعَ الدعائمَ - ما بَنينا  
 ٢٠ كم مِن رئيسٍ قد قتلَ سِناه ، وَضَمَّ قَدَّ أَيْدِنا

(١٢) الألى : اسم موصول بمعنى « الذين » لم تذكر صلتها لئلا يكون مجال الفخر متسما لكل الاحتمالات ، معنى نحن الذين يدسرف الجميع من نكون . والبيت تصور يرمدى ثقتهم بأنفسهم وبأنهم قادرون على انتزاع النصر من أعدائهم مهما تكن جودهم التي يجمعونها لهم ويوجهونها إليهم .  
 (١٣) آلين : أقسم . وقوله « لا يقضين ديننا » يريد به لا يترك لأحد فرصة لقضاء ديونه وأخذ ثارته منهم .

(١٥) ما انتهينا متعلقة بالبيت الثاني والضمير فيها يعود على الرماح . وفي البيت تضمين وهو تعلق نهايته بصدر البيت الذي يليه .

(١٦) تنوشك : تتناولك باللعن . وقوله « عاداتهن » أى كماداتهن .  
 (١٧) السباء : شراء الخمر . ونغلي السباء : أى ندفع في شرائها ثمننا غالبا . والعاتقة : الخمر الممتعة أو العذراء التي لم يفض ختامها أحد . والشمول : الخمر الباردة أو القوية الرائحة . يفنخر كمادة بلجاهلين يشرب الخمر مظهرا من مظاهر الفتوة والكرم عندهم .

(١٨) التلاد : المال الموروث . وعظم التلاد : معظمه . وانتشينا : سكرنا من نشوة الشراب .  
 (١٩) الباني : يريد به هنا باني الهجد والشرف . يفنخر بأن أحدا من العرب لا يبلغ مبلغهم من الهجد والشرف .

- ٢١ وَلَرُبَّ مُّسِيْدٍ مَّعْشِيْرٍ      ضَخِيْمِ الدِّسِيْعَةِ قَدْ رَمِيْنَا  
 ٢٢ عِقْبَانُهُ بِظُلَالٍ عِقْدٍ      سِبَانٍ تُيَمِّمُ مِنْ نَوِيْنَا  
 ٢٣ حَتَّى تَرْكَنَا شِلْوَهُ      جَزَرَ السَّبَاعِ وَقَدْ مَضَيْنَا  
 ٢٤ وَأَوَانِسٍ مِثْلِ الدَّمَى      حُورِ الْعِيُونِ قَدْ اسْتَيْنَا  
 ٢٥ إِنَّا لَعَمْرُكَ لَا يُضَا      مُ حَلِيْفِنَا أَبَدًا لَدَيْنَا

\* \* \*

(٢١) الدسيعة : الجفنة الضخمة والمائدة الكريمة ، وضخم الدسيعة كناية عن الكرم . والفعل « رمينا » متعلق بصدر البيت التالى . وفي البيت يظهر التضمين مرة أخرى .

(٢٢) العقبان : جمع عقاب ، وهو الجراح المعروف . وعقبان الأولى يريد بها رايات الجيش ، جيش الأعداء . وعقبان الثانية يريد بها هذه الطيور الجارحة . وتيمم : تقصد . يشير إلى ظهور جوارح الطير في سماء المعركة لتنفذ على أشلاء القتلى . وهى صورة تتردد كثيرا في الشعر العربى القديم .

(٢٣) الشلو : مفرد الأشلاء . وجزر السباع : أى فريسة للوحوش تنهش أشلاءه بعد أن لقي حصره ومضينا عن ساحة المعركة متصربين .

(٢٤) الأوانس : جمع آنسة وهى التى تؤنسك بحديثها العذب . والدنى : التمايل . وحور العيون : جميلات العيون ، من الحور وهو شدة بياض العين مع شدة سوادها ، وقد تغنى العرب به كثيرا . واستيننا : سبينا وأمرنا .

\* \* \*

يوسف خليف



( ٣ )

## إنذارٌ إلى زوجته

\* \* \*

المحور الأساسي الذي تدور حوله هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ في بعض رواياتها تسعة وثلاثين بيتا هو خلاف بين الشاعر وزوجته التي تريد فراقه لكبر سنه وقلة ماله ، وهو ينكر عليها هذا التصرف الذي لا يليق بها ، ويردّه ليرثها منه إلى أقارب وسوس بها لئلا يها من يكرهون استقرار حياتهما الزوجية . ثم ينطلق من هذا الموقف الثقيل على نفسه إلى ذكريات شبابه يستعيدّها ويتغنى بها ، وكأنه يذكرّها بها لعلها تراجع نفسها وترجع عن موقفها . والقصيدة — خضوعا للتقليد الفني القديم — تبدأ بمقدمة طالية يصف فيها أطلال صاحبته التي تحولت بعد رحيلها إلى مسارح للنعام والغناء ، ثم ينتقل منها انتقالا مفاجئا إلى هذا الموضوع الطريف الذي اتخذ منه المحور الأساسي الذي تدور حوله القصيدة ، والذي تحققت معه لها وحدة موضوعية دقيقة . وهي وحدة لا نراها فقط في هذه القصيدة ، وإنما نراها في كثير من قصائد هذا الشاعر . ثم يكون ختام القصيدة أبياتا من الحكمة تتصل بموضوعها وكأنه يلخص فيها تجربته .

\* \* \*

- ١ ليس رسمٌ على الدفينِ ببالي فليوى ذروةً بجَنِي أُنالِ
- ٢ فالمروراة فالصفحة ، قفرٌ كلُّ وادٍ وروضةٍ يخللِ
- ٣ دارُحَى أصابهم سالفُ الدهـ سيرٌ فأنحَتْ ديارهم كالخللِ
- ٤ مقفِراتٍ إلّا رَماداً عَفِيّاً وبقياً من دِمنية الأطلالِ
- ٥ وأوارى قد عفونَ وأويا ورُسوما عُرِين مُذْ أحوالِ
- ٦ بدلتُ منهم الديارُ نعاماً خاضباتٍ يُزجِن خيطَ الرئالِ
- ٧ وظباءٌ كأنَّ أباريـ قُ الجُحَيْنِ تَحْنُو على الأطفالِ

\* \* \*

(١) الرسم : ما بقي من آثار الديار الدارسة . البالي : القديم المنقر . والدفين : اسم موضع ، وكذلك سائر الأسماء في البيت .

(٢) المروراة والصفحة : موضعان أيضاً يستكمل بهما — كالتقليد الفني في الشعر الجاهلي — التعميد الجغرافي للأطلال التي يقف بها . والمخلل : الآهلة بأصحابها الذين يحلون بها . يقول إنه كل وديان هذه المواضع ورياضها التي كانت آهلة بأصحابها تحولت قفراً وحشا .

(٣) التخلل : جمع خلة ( بالكسر ) ، وهي البطانة التي تبطن جفن السيف ، وهي تتأكل مع القدم وكثرة استخدام السيف . يشبه بها الأطلال .

(٤) غفياً : دارساً بالياً متغيراً ، من عفا الأثر إذا درس وبلى وتغير .

(٥) الأوارى : مرابط الدواب ، جمع آرى . والنوى : غندق يحفرونه حول الخيام لينع منها السيل . والأحوال : السنين ، جمع حول .

(٦) الخاضبات : التي اغضرت سيقانها لرصيا النبات الأخضر في الربيع . والرئال : أفراخ النعام ، جمع رأل . والخيط هنا : القطيع .

(٧) الجحِين : الغضة . يشبه الظباء بأباريق الغضة ، وهي من الصور الطريفة النادرة في الشعر الجاهلي التي تمكس حياة اجتماعية على حظ غير قليل من الحضارة . وبهذا البيت تنتهي المقدمة الطللية مع لبيد الشاعر بعدها موضوع قصيدته الأسامي ، وهو هذا الخلاف بينه وبين زوجته .

- ٨ تلك عِرْسِي غَضَبِي تَرِيدُ زِيَالِي      أَلْبَيْنِ تَرِيدُ أُمَ لِدِلَالِ ؟  
 ٩ إِنْ يَكُنْ طِبُّكَ الْفِرَاقُ فَلَا أَحَدَ      يَقُلْ أَنْ تَعْطِنِي صَدُورَ الْجَمَالِ  
 ١٠ أَوْ يَكُنْ طِبُّكَ الدَّلَالُ فَلَوْ فِي      سَالَفِ الدَّهْرِ وَلِلْيَالِي الْخَوَالِي  
 ١١ ذَاكَ إِذْ أَنْتِ كَالْمُهَامَةِ ، وَإِذَا      تَيْكَ نَشْوَانٌ مُرْخِيًا أَذْيَالِي  
 ١٢ قَدَعِي مَطًّا حَاجِبِيكَ ، وَعَيْشِي      مَعْنَا بِالرَّجَاءِ وَالتَّامَالِ  
 ١٣ زَعَمْتُ أَنِّي كَثِيرْتُ ، وَانِي      قَلَّ مَالِي ، وَضَنَّ عَنِّي الْمَوَالِي  
 ١٤ وَصَحًّا بَاطِلِي ، وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا      لَا يُؤَاتِي أَمْثَالَهَا أَمْشَالِي

- (٨) العرس : الزوجة . والزيال : الفراق . يبدأ الشاعر موضوع قصيدته الأسامي ، وهو هذا الخلاف بينه وبين زوجته . وقد حرص على التصريح في أول أبياته كأنه يبدأ قصيدة جديدة ، مما جعل بعض العلماء يذهبون إلى أن هذا البيت هو أول القصيدة (السيوطي في شرح شواهد المعنى) .  
 (٩) الطلب هنا : الرغبة والإرادة . وقوله « أن تعطيني صدور الجمال » يريد به إن تميل بصدور إليك بعيدا عن بيت الزوجية ، وتستجيب لها إلى حيث تريدن . يقول لها إن كانت رغبتي هي الفراق لأنك سببت الحياة معي فأنا لا أبالي بك ولا أهم بفراقك .  
 (١٠) الخيال الخوالي : الليالي التي مضت . وفعل الشرط وجوابه في جملة « لو » هنا محذوفان يدل عليهما سياق الأبيات ، وتقديرهما لو كان ذلك في سالف الدهر والليالي الخوالي لكان مقبولا منك . والبيت من شواهد النعاة على حذف فعل الشرط وجوابه .  
 (١١) المهامة : البقرة الوحشية ، ويتردد كثيرا في الشعر الجاهلي تشبيه المرأة الجيلة بها في بياضها وصفاء عينيها . والنشوان : السكران ، ولكن ليس من الضروري أن يكون المراد هنا نشوة الخمر ، وإنما المراد — في ظني — نشوة الشباب ونخيلاه وزهوه ، ويؤكد ذلك قوله « مرخيا أذيالي » فهو كناية عن الخيلاء والزهر والإعجاب بالنفس .  
 (١٢) مط الحاجبين : كناية عن التعجب والإنكار . وهي من الصور النادرة البالغة العطفة والحموية في الشعر القديم . والتامال : الأمل .  
 (١٣) الموالى هنا : الأصدقاء أو الأقارب ، وهذه الكلمة من الكلمات التي تحتل دلالات كثيرة مختلفة .  
 (١٤) لا يواتي : أي لا يوافق ولا يلائم .

- ١٥ أن رَأَيْتِي تَغَيَّرَ اللَّوْنُ مِنِّي وَعَدَا الشَّيْبُ مَقَرَّقِي وَقَدَالِي  
 ١٦ فَارْتَضَى الْعَادِلِينَ ، وَاقْنَى حَيَاءً لَا يَكُونُوا عَلَيْكَ حَظٌّ مِثَالِي  
 ١٧ وَيَحْظُّ مِمَّا نَعِيشُ ، فَلَا تَذْ هَبْ بِكَ التَّرَهَاتُ فِي الْأَهْوَالِ

\* \* \*

- ١٨ دَرَّ دَرَّ الشَّبَابِ وَالشَّعَرِ الْأَسَدِ مَوْدٍ وَالرَّائِكَاتِ تَحْتَ الرِّحَالِ  
 ١٩ وَالْعَنَاجِيحِ كَالْقِدَاحِ مِنَ الشَّوِّ حِطِّ يَتَحَلَّنُ شِكَّةَ الْأَبْطَالِ  
 ٢٠ وَلَقَدْ أَذْعَسَ السَّرُوبَ بِطَرْفٍ مِثْلِ شَاةِ الْإِرَانِ غَيْرِ مُدَالِ  
 ٢١ غَيْرِ أَقْنَى وَلَا أَصَكَّ ، وَلَكِنْ مِرْجَمٌ ذُو كَرِيمَةٍ وَنَقَالِ

(١٥) المفروق : وسط الرأس حيث يفرق الشعر . والقسائل : الشعر في مؤنر الرأس ما بين الأذنين .

(١٦) اقْنَى حياءً : أى توارى نجلا . « ولا يكونوا عليك حظ مثالي » أى لا يكونوا عليك سوء حظ لشخص مثلى .

(١٧) « ويحظُّ مما نعيش » أى اقْنَى بما قسم لنا من حظ في حياتنا . والترهات : الأباطيل ، وأصل معناها الطرق الصغيرة الفرعية المنشعبة من الطريق الأساسى . يقول لها : لا تذهب بك أروهاك الباطلة في طريق مخوف بالأخطار والأهوال ، يريد طريق الجشع والطمع وعدم الفتاة بحفظها في الحياة .

(١٨) من هنا يبدأ حديث الشاعر من ذكريات شبابه يذكر بها زوجته المتمردة على شيخوخته وقرره لئلا ترجع عن الاندفاع في طريق الأخطار والأهوال . در در الشباب : دعاء للشباب بالخير ، والدر في أصل معناه اللوى اللين . والرائكات : المسرعات ، صفة للإبل ، من وتكت في سيرها إذا أمرهت .

(١٩) العناجيج : الخيل الطوال الأعناق . والقداح : السهام ، يشبه الخيل بها في ضررها . والشوْحط : شجر من أشجار البادية تتخذ منه القسي والمهام . والشكة : السلاح وعدة الحرب .

(٢٠) المروب : جمع مرب ، يريد أرباب الحيوان الوحشى الذى يخرج لصيده . والطرف : الجواد الأصيل الذى يجمع الأصالة من كلا طرفيها : الأب والأم . والشاة هنا : الثور الوحشى . والإران : موضع في الجزيرة العربية مشهور بقره الوحشى . والمذال : المهان ، من أذاله بمعنى أهانه . وغير مزال نعت لطرف ، يصف جواده بأنه يكرمه ولا يهينه .

(٢١) الأقْنَى : المقوس الأنف ، وهو من عيوب الخيل . والأصك : المضطرب الركبتين . والعرويين ، وهو أيضا من عيوب الخيل . والمرجم : القوى الذى يربجم الأرض بحوافره . وذو كريمة : يريد أنه صبور شديد التحمل . وذو نقال : مريع في قتل قوائمه في أثناء السير والعدو .

- ٢٢ يَسْبِقُ الْأَلْفَ بِالْمَدَجِّ ذِي الْقَوِّ نَسَ حَتَّى يَثُوبَ كَالْمُنْثَالِ  
 ٢٣ فَهُوَ كَالْمُنْتَرَجِ الْمَرِيشِ مِنَ الشَّوِّ حِطَّ مَالَتْ بِهِ يَمِينُ الْمُغَالِي  
 ٢٤ يَغْفِرُ الظُّبَى وَالظَّلِيمَ ، وَيُتْلَوِي بِلَبُوبِ الْمِعْزَابَةِ الْمِعْزَالِ  
 ٢٥ وَلَقَدْ أَدْخَلَ الْجَبَاءَ عَلَى مَهْ. مَضُومَةُ الْكَشْحِ طَفْلَةٌ كَالْفَزَالِ  
 ٢٦ فَتَعَاطَيْتُ جِيدَهَا ثُمَّ مَالَتْ مَيْلَانَ الْكَثِيبِ بَيْنَ الرَّمَالِ  
 ٢٧ ثُمَّ قَالَتْ : فِدَى لِنَفْسِكَ نَفْسِي وَفِدَاءٌ لِمَالِ أَهْلِكَ مَالِي  
 ٢٨ وَلَقَدْ أَقْدَمْتُ الْخَمِيسَ عَلَى الْجَرَى دَاءِ ذَاتِ الْحِرَاءِ وَالتَّنْقَالِ  
 ٢٩ فَتَقَيَّنِي بَنَفَرَهَا ، وَأَقِيهَا بِقَضِيْبٍ مِنَ الْقَنَازِيرِ بَالِي

(٢٢) المدجج : المسلح ، صفة للفارس . والقنوس : الخوذة يضعها الفارس على رأسه في أثناء القتال . حتى يثوب كالمنثال : أى في كامل حسنه لم تغيره شدة القتال . يصف جواده في أثناء القتال . وهو يتدفع بفارسه المدجج بسلاحه فيسبق خيل العدو الكثيرة العدد ، ثم يخرج من المعركة كما دخلها لم تغيره شدتها .

(٢٣) المنزع : السهم ، وكذلك المريش ، يريد السهم الذي أعده للانطلاق . والمغالي : الذي يرفع يديه بالسهم إلى أعصاهما ليقدف به . وفي رواية أخرى « شمال المغالي » ، والمعنى على الرايتين واحد ، وهو وصف سرعة الجواد وشدة اندفاعه .

(٢٤) يغفر الظبي والظليم : أى يلقي بهما في التراب خوفا منه وذمرا وفزارا أمامه . واللبون : الناقة أو الشاة ذات اللبن . والمعزابة والمعزال بمعنى واحد وهو الراعى الذى يتمدد بإبله أو غنمه إلى مكان منعزل لينجوها من خطر يهددها . ويلوى بها : أى ينفرها . والبيت استمرار فى وصف جواده . بالسرعة والاندفاع ، ووصف نفسه بالفروسية .

(٢٥) المعضومة الكشح : الضامرة الخصر الرشيق . والطفلة : الناعمة اللينة . ينقل هنا إلى الحديث عن مغامراته الغرامية التى استمتع بها فى شبابه .

(٢٦) تعاطيت : تناولت . يصف لوهدها على طريقة معاشره امرئ القيس .

(٢٧) البيت استمرار فى تقليد أسلوب امرئ القيس فى حكاية مغامراته الغرامية .

(٢٨) أقدم : أقدم وأتصدر . والخميس : الخيش . والجرداء : القصيرة الشعر ، صفة للفارس . والجراء : الجرى . والتنقل : سرعة نقل القوائم عند السير والعدو .

(٢٩) القنا : الرماح : جمع قناة . وغير بالى : يريد أنه لم يبل ابتقاد المهديده ، صفة للقضيبي وهو الرمح .

٣٠. ولقد أَقْطَعَ السِّبَاسِبَ وَالشَّهْبَ      سَبَّ عَلَى الصَّيْعِرِيَّةِ الشَّمْلَالِ  
 ٣١. عَتَرَيْسٍ كَأَنَّهَا ذُو وُشُومٍ      أَخْرَجَتْهُ بِالْجَوِّ لِأَحَدَى اللَّيَالِ  
 ٣٣. ثُمَّ أَبْرَى نَحَاضَهَا فَتَرَاهَا      ضَامِرًا بَعْدَ بُدْنِهَا كَالْهَلَالِ  
 ٣٣. ذَاكَ عَيْشٌ رَضِيئَتُهُ وَتَوَلَّى      كُلُّ عَيْشٍ مَصِيرُهُ لَزَوَالِ  
 ٣٤. صَبَرْتُ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُسَلِّمٍ      إِنِّي فِي الصَّبْرِ حِيلَةٌ مُحْتِمَالِ  
 ٣٥. لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ قَدْ تُكْ      شَفُّ غَمَّائِهَا بِغَيْرِ احْتِمَالِ  
 ٣٦. رُبَّمَا تَجَزَعُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمِّ      رِيْلُهُ فُرْجَةٌ تَكَلُّ الْعِقَالِ

(٣٠) السِّبَاسِبُ : جمع سباسب وهو الصحراء المستوية البعيدة . والشَّهْبُ : جمع شهباء وهي الأرض البيضاء الجرداء لا نبات فيها ولا ماء . والصَّيْعِرِيَّةُ : الناقة النجيبة الموصوفة في عنقها . والشَّمْلَالُ : السريعة (٣١) العتريس : الناقة الصلبة . والوشوم : نقط بيض وسود ، وذو الوشوم هو الثور الوحشي . وأخرجته : أبلغته إلى الحرج وهو المكان الكثير الشجر . والجو : الأرض الغضاء . ويريد بإحدى الليالي إحدى الليالي الباردة . وفي وصف الصيد في الشعر القديم يترأى الثور الوحشي دائماً في جو بارد مطروق قد التجأ إلى شجرة يحمى بها .

(٣٢) النعاض : اللحم . وأبرى نحاضها أى أهرزله وأنضيه لكثرة السفر وطول الرحلة . والبدن : السن . وتتردد صورة الناقة في الشعر القديم بعد الرحلة وقد أهرزلتها الرحلة كأنما أفنت لحمها وشحمها ولم تبق منها إلا الجلد والعظم . وتشبيهها بالهلال في ضهورها ونحوها ، وفي القرآن الكريم تشبيه القمر في الليالي الأخيرة من الشهر بالمرجون القديم في نحوه وانحنائه « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » (يس ٢٩) .

(٣٣) في رواية أخرى « لهاب » بدلا من « لزوال » ، والهاب : الهلاك ، ومنه « هبلك أمه » و « لأم المخطئ - الهبل » .

(٣٤) الملم : ما يزل بالإنسان من حوادث ونوازل . ومن هنا تبدأ الحكم التي يحتم بها الشاعر قصيدته .

(٣٥) النماء : الأمر الشديد . بغير احتيال : أى بدون أن يحتمل لها صاحبها أو يقصد إلى حلها

(٣٦) له فرجة : أى له منفذ ومخرج من ضيقه وشدة . والعيال : الحبل يعقد لنعقل فيه الدابة وتشد به .

\* \* \*

يوسف خليف

## عَلَقَمَةُ بْنُ عَبْدِ

هو علقمة بن عبد - بفتح الباء - بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن ربيعة الجوع بن مالك بن زيد مائة بن تميم . شاعر جاهلي مجيد ، يعد من صدور الجاهلية وفحولها . قال ابن سلام : له ثلاث روائع جياذ لا يفوقهن شعر . ويقصد القصيدة المختارة ، والقصيدة التي أولها :

ذَهَبَتْ مِنَ الْمَجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ      وَلَمْ يَكُ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ  
والثالثة أولها :

طَعَابِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبٌ      بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَيْشِبُ

ولذلك أطلق عليه « علقمة الفحل » أو لأنه - كما تقول الروايات - نازع امرأ القيس الشعر - وكان صديقا له - ورضيا حكم أم جندب امرأة امرئ القيس ، فحكمت لعلقمة ، فغضب منها امرؤ القيس وطلقها تخلف عليها علقمة .

وقد تحدث في القصيدة المختارة عن نأى الحبيبة ، وبكى لفراقها ، ووصف الظعن ، ونعت صاحبه ، ثم وصف دمه وشبهه بما يفيض من الدلو العظيمة ، ونعت الناقة في استطراد جيد ، ثم عاد إلى وصف الحبيبة ، وتمنى أن تلحقه بها ناقة جعل لها وصفا مسهبا . ويفخر بحضوره مجلس الشراب ويصف الخمر والإبريق ، ويفخر بغليته الأقوان ، واشترأك في الميسر ، واختراقه المغاوز ، وصبره على ردىء الطعام والشراب ، وبسيره في الهواجر ، وبأنه يقود فرسه أمام الحى ، ثم يصف هذه الفرس والإبل التي تسقى الجياذ من ألبانها .

## المِيجِيَّةُ الْمُخْتَارَةُ

- ١ هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبأها إذا نأتك اليوم مصروم  
 ٢ أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثر الأحبة يوم البين مشكوم  
 ٣ لم أذر بالبين حتى أزمعوا ظعننا كل الجمال قبيل الصبح مزوم  
 ٤ رد الإماء جمال الحى فاحتملوا فكأها بالتريديات معكوم  
 ٥ عقلا ورقما تطل الطير تحطفه كأنه من دم الأجواف مدموم  
 ٦ يحمان أترجة نضخ العير بها كأن تطايبها في الأنف مشوم  
 ٧ كأن فارة مسك في مفارقها للباسط المتعاطى وهو مزوم

(١) حبأها : وصلها . مصروم : مقطوع .

(٢) لم يقض عبرته : لم يشف من البكاء . مشكوم : مثاب ، مكافأ .

(٣) أزمعوا : عزموا . الظعن : الارتحال . مزوم : شد بالزام .

(٤) رددن الجمال من الرعى والارتحال ، ونخص الجمال دون النوق ، لأن الظعائن يحملن على

الذكور لأنها أشد وأذل نفسا . التريديات : ثياب منسوبة إلى تريد بن حيدان بن عمران بن الحاف

ابن فضالة . المعكوم ، المشلود بثوب .

(٥) العقل والرقم : ضربان من الوشى فيهما حرة جللوا بهما هوا دجهم ، فالطير تضربها تحسبها

من حررتها لها . مدموم : مطلى .

(٦) الأترجة : فاكهة طيبة الرائحة ، شبه بها المرأة . النضخ : ما كان رشا . العير : خلط

الطيب بجمع بالزعفران . التطايب : فعمال من الطيب . المشوم : المسك ، أى كأن ريحها لا يفارق

الأنف فهو أبدا مشوم .

(٧) فارة المسك : دابة صغيرة أشبه بالخشف يؤخذ منها المسك . الباسط : الذى يسطر يده

إليها وكذلك معنى لفظ « المتعاطى » .



- ٨ فالعين منى كان غرب تحط به . دماء حاركها بالقتب محزوم  
 ٩ قد عريت زمتنا حتى استطف لها . كثر كفاية كير القين مدموم  
 ١٠ قد أدبر العر عنها وهى شاملها . من ناصب القطران الصريف تدسيم  
 ١١ تسقى مذائب قد زالت عصيفتها . حدورها من آتى الماء مطموم  
 ١٢ من ذكري سألنى وما ذكري الأوان بها . إلا السفاه ، وظن الغيب ترجيم  
 ١٣ صفر الوشاحين ملء الدرع نرعبة . كأنها رشأ فى البيت ملزوم  
 ١٤ هل تباحقنى بأخرى الحى إذ شخطوا . جلذية كأتان الضحل ملوكوم

- (٨) الغرب : جلد ثور يخلط دلو . تحط به : تعتمد فى جذبها إياه . على أحد شقيها . دماء : ناقة ، وإنما جعلها دماء لأن الدهم أقوى الأبل . الحارك : مائتى الكتفين . القتب : الخشبة توضع على سنام البعير . يقول : كأن عوى من كثرة دمرعهما لسيلائها غرب هذه حاله .  
 (٩) عريت : أى من رحلها فلم تتركب فترة من الزمن فهو أقوى لها . استطف : ارتفع . الكثر : يفتح الكاف وكسرهما : السنام . كير القين : موقد فار الحداد ، الميوم : المجمع .  
 (١٠) العر : الحرب . الناصب : الخالص من كل شئ . التدسيم : الأثر . يقول : ذهب عنها الحرب وبقى أثر ملأته يشملها .  
 (١١) تسقى : يعنى هذه الناقة . المذائب : مدافع الماء إلى الرياض . العصيفة : ورق الزرع . زوال عصيفتها ، تفرقها وافتتاحها من الرى . حدورها : ما يحدر منها واطمأن . الآتى : السهل . مطموم : مملوء .  
 (١٢) الأوان : الآن . بها : أراد لها . السفاه : الطيش والخفة فى العقل . يقول : ذكرى إياها الآن وقد فاوت سفه منى ، وظنى بها أنها قدوم على العهد أمر لا أحقه .  
 (١٣) صفر الوشاحين : موضع وشاحها يحميها لا يملأ درعها لضمور بطنها . ملء الدرع : تملأ قيصها لمظم بجريزتها وأدراكها . الخرعة : الناعمة . الرشأ : الظبي الصغير . ملزوم : مربى فى البيوت وهو أحسن له .  
 (١٤) أخرى الحى : الفرقة التى هى آخرهم ، شخطوا : بعدوا . الجلذية : الشديدة القوة الصلبة . الضحل : الماء القليل . أتان الضحل : الصخرة يحجرها السيل فتبقى فى الماء . شبه الناقة بها لصلابتها لأن الصخرة إذا كانت فى الماء أملاست وصلبت . الملكوم : الفليضة .

- ١٥ كَانَتْ غَسَلَةً خِطْمِيٍّ يَمْسَحُ بِهَا فِي الْخَدِّ مِنْهَا فِي اللَّحْيَيْنِ تَلْغِيمٌ  
١٦ يَمْلِكُهَا تُقَطَّعُ الْمُوَامَةُ عَنْ عُرْضٍ إِذَا تَبَغَّسَ فِي ظِلْمَانِهِ الْبُومُ  
١٧ تُلَاحِظُ السُّوْطَ شَرْزَاوَهُ ضَامِرَةٌ كَمَا تَوْجَسَ طَاوِي الْكَشْحِ مَوْشُومٌ  
١٨ كَانَتْهَا خَاضِبٌ زُعْرٌ قَوَادِمُهُ أَجْنَى لَهُ بِاللَّوِيِّ شَرَى وَتَنُومٌ  
١٩ يَظَلُّ فِي الْحَنْظَلِ الْخُطْبَانِ يَنْقُفُهُ وَمَا اسْتَطَفَّ مِنَ التَّنُومِ تَحْدُومٌ  
٢٠ فُوهُ كَشِيقِ الْعَصَا لَا يَأْتِي تَبِينُهُ أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومٌ  
٢١ حَتَّى تَذْكُرَ بَيْفَعَاتٍ وَهَيْجَهُ يَوْمٌ وَذَاذٍ عَلَيْهِ الرِّيحُ مَغِيومٌ

(١٥) الغسلة : ما غسل به الرأس . الخيطمي : نبات يغسل به . التلغيم : تفعليل من اللغام وهو زبد تحاطه خضرة مزارعت .

(١٦) الموامة : الفسلة . عن عرض : أى يعرضها ، أى يعرضها ويسير فيها على غير قصد . تبغيم : صوت صوتا يخلسه .

(١٧) الشرز : النظار يؤخر العين من حديثها . الضامرة : التى لا ترعى من شجره . توجس : تسمع . طاووى الكشح : ضامر الخاضعين . موشوم : فى قوائمه نقط سود . يقول : تقاب آذانها إلى السوط نوازير كما يتوجس هذا الثور .

(١٨) الخاضب : الظليم قد أخرج جلده وساقاه . الظليم : ذكر النعام ، وشبهه الناقة به لنعته فلان الخليل لا تطالبه . القوادم : ريشات فى مقدم الجناح . أجنى النبات : أدرك أن يجنى . اللوى : ما انقطع من الرمل . الشرى : شجر الحنظل والظليم يأكله . التنوم : شجر ورقه يشبه ورق الآس ينحت ورقه فى القيقظ ويرب فى الشتاء .

(١٩) الحنظل : الحنظل فيه خطوط تضرب إلى السواد وهو أشد ما يكون مرارة . ينقفه : يستخرج حبه . استطف : ارتفع ، تحذوم : مقطوع .

(٢٠) لايا : بطينا . تبينه : تبينه . أى فوه لاصق ليس بمفتوح ، لاستينته إلا بعد بطة . أسك : أصم ، أرسعير الأذن لاصق بالرأس . المصلوم : المقطوع الأذنين .

(٢١) يقول : هذا الظليم يرعى الخطبان والتنوم ، ثم تذكر بيضه وقد هيجه المطر الخفيف فراح إلى بيضه قبل أن يران الرواح . مغيوم : فيه غيم .

- ٢٢ فلا تَزِيدُهُ في مَشْيِهِ تَفِيقٌ ولا الزَّيْفُ دُونِ الشَّدِّ مَسْؤُومٌ  
 ٢٣ يكاد مَنَسَمُهُ يَحْتَمِلُ مَقْلَتَهُ كَأَنَّهُ حَاذِرٌ لِلنَّخِيسِ مَشْهُومٌ  
 ٢٤ وَضَاعَةٌ كَعِصَى الشَّرْعِ جَوْجُوهٌ كَأَنَّهُ يَنْتَاهِي الرُّوضِ عُلْجُومٌ  
 ٢٥ يَأْوِي إِلَى حِسْكِلٍ زُغَيْرٍ حَوَاصِلُهُ كَأَنَّهُ إِذَا بَرَكْنَ جَرْنُومٌ  
 ٢٦ فطاف طَوَافِينَ بِالْأَدْحَى يَقْفَرُهُ كَأَنَّهُ حَاذِرٌ لِلنَّخِيسِ مَشْهُومٌ  
 ٢٧ حتى تَلَاقَى وَقَرْنُ الشَّمْسِ مَرْتَقِعٌ أَدْحَى عَرَسِينَ فِيهِ الْبَيْضُ مَرَكُومٌ  
 ٢٨ يُوحِي إِلَيْهَا بِانْقِاضٍ وَتَفْتَقَةِ كَمَا تَرَاطَنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ  
 ٢٩ مَبْعَلٌ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهٌ بِلَتْ أَطَافَتْ بِهِ نَحْرَاءُ مَهْجُومٌ

(٢٢) التَّزِيدُ : السَّيرُ السَّرِيعُ . التَّفِيقُ يَكْسِرُ الْفَاءَ : السَّرِيعُ الذَّهَابُ . الزَّيْفُ : دُونَ الشَّدِّ قَلِيلًا . مَسْؤُومٌ : مِنَ السَّامِ ، يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَسَامُ الزَّيْفُ .

(٢٣) مَنَسَمُهُ : ظَنَفُهُ . يَقُولُ : يَنْجُ رِجْلِيهِ زَجًا شَدِيدًا وَيَخْفِضُ عُنُقَهُ فَيَكَادُ مَنَسَمُهُ يَشْكُ عَيْنَهُ . الْمَشْهُومُ : الْفَرْخُ الْمَرُوحُ . وَالشُّطْرَانِثَانِ هُوَ نَفْسُهُ الْمَكْرَرُ فِي الْبَيْتِ ٢٦ حَسَبَ رَوَايَةِ الْمُفَضَّلِيَّاتِ . .  
 (٢٤) الْوَضْعُ : عُدُوٌّ مَرِيعٌ مِنْ عُدُوِّ الْأَبْلِ . وَالتَّاءُ فِي « فِي وَضَاعَةٍ » لِلْبَالِغَةِ كَعَلَابَةٍ وَنِسَابَةٍ . وَصَفَ بِهِ الظَّالِمَ ، الْجَوْجُوهُ : الصَّدْرُ . الشَّرْعُ : الْأُرْتَارُ ، وَاحِدُهَا شَرْعَةٌ . وَعَصِيهَا : الْبَرِيطُ أَيْ عَوْدُ الْغَنَاءِ . شَبَّهِ صَدْرَ الظَّالِمِ بِالْبَرِيطِ فِي تَقْوُسِهِ . النَّتَاهُ : جَمْعُ تَهْبِئَةٍ . وَهِيَ الْأَمَاكِنُ الْمُطْلَعَةُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا الْمَاءُ . الْعَالِجُومُ : الْبَعِيرُ الطَّوِيلُ الْمَطْلَى بِالْقَطْرَانِ .

(٢٥) الْحِسْكِلُ : الْفَرَاخُ . جَرْنُومٌ : جَمْعُ جَرْنُومَةٍ وَهِيَ أَسْوَلُ الشَّجَرِ .

(٢٦) الْأَدْحَى : مَبِيعُ النِّعَامِ . يَقْفَرُهُ : يَنْظُرُ إِلَيْهِ هَلْ يَرَى بِهِ أَثَرًا .

(٢٧) تَلَاقَى : تَدَارَكَ . عَرَسِينَ : أَيْ هُوَ وَتَمَامَتُهُ .

(٢٨) يُوحِي إِلَيْهَا : يَصُورُهَا فَتَفْهَمُ عَنْهُ . الْإِنْقَاضُ التَّصْوِيبُ . التَّفْتَقَةُ : صَوْتُ الظَّالِمِ . الْأَفْدَانُ : الْقُصُورُ جَمْعُ فِدْنٍ .

(٢٩) الصَّلُ : الْخَفِيفُ الرَّأْسُ وَالْعُنُقُ . يَقُولُ : يَرْفَعُ جَنَاحِيهِ فِي عُدُوِّهِ وَيَحِطُّهُمَا فَكَأَنَّهُ يَبْتَ شَعْرَ

أَرْصُوفِ تَرْقَمَةِ امْرَأَةٍ نَحْرَاءَ غَيْرِ صَنَاعٍ فَتَى تَرْقَمُهُ يَسْقُطُ . مَهْجُومٌ : مَأْخُوفٌ . صَفَةُ الْبَيْتِ .

٣٠. تحفه هقلة سطماء خاضعة  
 ٣١. بل كل قوم وإن عزوا وإن كثروا  
 ٣٢. والحمد لا يشتري إلا له ممن  
 ٣٣. والجود نافية للمال مهلكة  
 ٣٤. والمال صوف قرار يلعبون به  
 ٣٥. ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه  
 ٣٦. والجهل ذو عرض لا يستراد له  
 ٣٧. ومن تعرض للغربان يزجرها  
 ٣٨. وكل حنم وإن طالت سلامته  
 ٣٩. قد أشهد الشرب فيهم من هزيم
- تجيه زمار فيه ترسيم  
 عريفهم إنا في الشر مرجوم  
 مما يضمن به الأقوام معلوم  
 والبخل باقي لأهليه ومندوم  
 على نقادته وآف ومجلوم  
 أنى توجه ، والمحروم محروم  
 والحلم آونة في الناس معدوم  
 على سلامته لا بد مشدوم  
 على دعائمه لا بد مهشوم  
 والقوم تصرعهم صبياء خرطوم

(٣٠) تحفه : تحف الظلم ، الهقلة : النعامة . السطماء : الطويلة العنق . الخاضعة : التي تميل رامها للرمي . الزمار : صوت أنثى النعام ، والمراد صوت الذكر .

(٣١) عريفهم : رئيسهم . الأثافي : الحجارة التي تنصب عليها القدر ، جعلها مثلا للرأي ، يقول : كل قوم وإن كانت لهم منعة تعييبهم نوابه الدهر .

(٣٤) القرار : غنم صفار الأجسام لطاف الآذان ، الواحدة قراراة . يلعبون به : يتداولونه ويعبثون فيه . على نقادته : على صغر أجسامه . الوافى : التام الكثير . المجلوم : المحزوز . يعنى أنه الناس مختلفون ، منهم الغنى الكثير ومنهم الفقير الذى لا مال عنده ، كالقرار على صغر أجسامه ، منه ما هو وافى الصوف ومنه ما لا صوف عليه .

(٣٥) يقول : الذى جعل الغنم له طعمة فسيطعمه فى يوم الغنم أينما توجه ، ومن حربه فليس يناله .

(٣٦) لا يستراد له : لا يراد ولا يطلب ، أى يمرض لك وأنت لا تريد .

(٣٧) يقول : من يزجر الطير وإن سلم فلا بد أن يصيبه شوم .

(٣٩) الشرب : جمع شارب . المزهر : العود . رنم : مترنم . الصبياء : نعر من عصير عنب أبيض . الخرطوم : أول من ينزل منها صافية .

- ٤٠ كَأْسٌ عَزِيزٌ مِنَ الْأَعْنَابِ عَتَقَهَا      لبعض أحيائها حانيةٌ حومٌ  
٤١ تشفى الصَّدَاعَ وَلَا يُؤْذِيكَ صَالِبُهَا      وَلَا يُخَالِطُهَا فِي الرَّأْسِ تَدْوِيمٌ  
٤٢ عَانِيَةٌ قَرَفَتْ لَمْ تَطْلُعْ سَنَةً      يُجْنِهَا مُدَجَّجٌ بِالطَّيْنِ مَخْتومٌ  
٤٣ ظَلَّتْ تَرَقُّقٌ فِي النَّاجُودِ يَصِفُفُهَا      وَلَيْسَ أَعْجَمَ بِالْكَتَّانِ مَقْدُومٌ  
٤٤ كَانَ إِبْرَيْقُهُمْ ظَلِيٌّ عَلَى شَرَفٍ      مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَرْنُومٌ  
٤٥ أَيْبَضُ أَبْرَزُهُ لِلضَّحِّ رَاقِبُهُ      مَقْلَدٌ قُضِبَ الرِّيحَانِ مَغْنُومٌ  
٤٦ وَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى قِرْنِي يُشِيعُنِي      مَاضٍ أَخُوثِقَةٌ بِالْخَيْرِ مَوْسُومٌ  
٤٧ وَقَدْ يَسَرْتُ إِذَا مَا الْجُوعُ كَلَّفَهُ      مُعَقَّبٌ مِنْ قِسْدَاجِ النَّبْعِ مَقْرُومٌ

(٤٠) العزير: الملك. لبعض أحيائها: يقول أَعْدَهَا لِفَصْحِ أَوْ عِيدٍ. حانية: فوم حمارون نسبوا إلى الحانة، الواحد حاني. الحوم بضم الحاء: الكثير.

(٤١) الصالب: وجع في الرأس يدور منه. التدويم: الدوار.

(٤٢) عانية: منسوبة إلى عانة، قرية من قرى الجزيرة. القرفق: التي تأخذ شاربها منها رعدة. لم تطلع سنة: مكثت سنة في دنها لم ينظر إليها. يجنّها: يسترها. مدجج: مدي الدن أدمج بالطين. مخنوم: معمل عليه.

(٤٣) ترقوق: تذهب وتجي. الناجود الباطية العظيمة أو الراوق. يصفقها: يمزجها. وليد أعجم: بريد خادم سيد أعجمي. مقدوم: من القدام، وهو الخرقعة يشدها الغلام على فيه إذا أراد أن يسبق القوم، وهذا من زى القرم وذلك لكي لا يخرج من فيه شيء فيصل إلى القدح.

(٤٤) شبه انتصاب الإبريق وبراءته بظلي على مكان مرتفع. مقدم: وصف للإبريق. بسبا الكتان: أراد «بسبايب الكتان» غذف باقي الكلمة. والسبايب: جمع سبيبة وهي الشقة. المرنوم: الذي قد وثم أنه أي كسر.

(٤٥) أبرزه: أنبرجه لتصبه الريح. الضح: الشمس. راقبه: حافظه وحارسه. مغنوم: كأنه مسدود بكثرة ريح العليب. يقال فغمتني ريح طيبة إذا دخلت في أنفك فسدت خياشيمك.

(٤٦) يشيعني: يجعلني جريئاً. الماضى: الفاطم، أراد سيفه.

(٤٧) معقب: معنى قد حاق قد شد بالعقب علامة له. والعقب العصب. النبع: شجر تتخذ منه القسي والقداح. مقنوم: معروض ليكون علامة له. يقول: قد أخذت في الميسر في الوقت الذي يكلف دفع الجوع فيه القداح، ليس معول على لبن أو طعام غير الضرب بها.

- ٤٨ لوييسرون يجيل قد يسرت بها وكل ما يسر الأقوام مغروم  
 ٤٩ وقد أصاحب فينا طعامهم خضر المزد لحم فيه تنسيم  
 ٥٠ وقد علوت فتود الرجل يسفني يوم تجيء به الجوزاء مسموم  
 ٥١ حام كان أوار النار شامله دون الثياب ورأس المرء معموم  
 ٥٢ وقد أقود أمام الحى سلهبة يهذى بها تسب فى الحى معلوم  
 ٥٣ لافى شظاها ولا أرساغها عتب ولا السنايك أفاهن تقليم  
 ٥٤ سلاءة كمصا النهدي قل لها ذو فيئة من نوى قران معجوم

- (٤٨) يقول : إنما يكون الميسر بالإبل وإنما يأخذ فى الميسر كبارهم ، فلصاروا إلى أن يسروا بالخليل ليسرت بها . مغروم : إذا خرج عليه شيء فرمه .  
 (٤٩) يقول : طال سفرهم فاخضر مزادهم وصار عليه شبهه بالطلح . التنسيم : بده تغير اللحم ، وأراد بالطعام الطعام والشراب فاكتفى بأحدهما .  
 (٥٠) فتود الرجل : عيدانه . يسفني : يهينى حرمه . الجوزاء : من بروج السماء . مسموم : هبت فيه ريح السموم .  
 (٥١) أوار النار : لها . دون الثياب : أى يصل الحر من شدته دون الثياب والعمامة ، أى يجاوز ذلك إلى البدن .  
 (٥٢) السلهبة : الطويلة من الخيل ، يهذى بها : يقدمها . أى يقودها نسب لا ينقطع لأنها ذات عرق كريم .  
 (٥٣) الشظا : عظم لاصق بالركبة . العتب : العيب . السنايك : مقادير الخوافر . يقول : هى وافية السنبك لم تأكله الأرض .  
 (٥٤) السلاءة : شوكة النخل . شبه فرسه بها لإرهاق صدرها وتمايم بجزمها . النهدي : أراد شيخا من نهد قد كبر وطال عمره واملاست عصاه . غل : أدخل . ذرفية : ذورجوع . يريد أن النوى علقته الخيل ثم بعثته فهو أصاب . قران : قرية باليمامة لبني حنيفة كثيرة النخل نوى تمرها صلب . معجوم : معضوض ، يريد أنه أدخل جوف فرسه هذا النوى حتى اشتد لهما ، وأنها خلقت لها فى بطن حوافرها نسور صلاب كأنها النوى ذر الفية .

- ٥٥ يَدْبَعُ جُونًا إِذَا مَا هِيجَتْ زَيْجَلَتْ      كَانَ دُقًا عَلَى الْعِلْيَاءِ مَهْزُومٌ  
 ٥٦ إِذَا تَرَعَّمْ مِنْ حَافَاتِهَا رُبْعٌ      حَنَّتْ شَغَامِيمُ فِي حَافَاتِهَا كُومٌ  
 ٥٧ يَهْدِي بِهَا أَكْلُفُ الْخَلْدِينَ مَخْتَبِرٌ      مِنَ الْحَيَّانِ كَثِيرُ اللَّحْمِ عَيْشُومٌ

\* \* \*

(٥٥) الجون : الإبل السود . أى تتبع هذه الفرس الإبل لتسقى من ألبانها . الزجل : ارتفاع الصوت . مهزوم : مشقوق فهو أبحج للصوت . يعنى إذا هيجت الإبل للورد سمعت لها صوتا عاليا لكثرتها كأنه صوت دف مشقوق على مكان مرتفع .

(٥٦) ترعّم : حن حنينا خفيا ، أى ترعّم لأمه اترضعه . حافاتا . نواحيها . الربع : ما نتج في الربيع . الشغاميم : جمع شغوم وهى الناقة الطويلة . كوم : عظام الأسنة .

(٥٧) يهدى بها : يتقدمها . أكلف الخلدین : يعنى خلها . والكلفة : حمرة فيها سواد . المختبر بكسر الهمزة : المجرب ، وفتحها : المشهور بالنجابة . العيشوم : الضخم .

\* \* \*

سيد حنفي

## السَّمَوِيُّ بن عَادِيَاء

### مَوَاطِنُ الْفَخْرِ

السَّمَوِيُّ بن عُرَيْض بن عَادِيَاء شاعر جاهلي مجيد من بني هَذَل وهم ليسوا من بني قُرَيْظَةَ وَلَا النَّضِيرَ ، وهذا الاسم عبراني أصله شمويل فأعربته العرب وهو الذي يعرف الآن باسم صمويل أو صموئيل . ويضرب المثل بالسَّمَوِيُّ في الوفاء عند العرب ، فيقال ( أوفى من السَّمَوِيُّ ) ويرجع سببها إلى أن أمراً القيس أودعه ماله وأدراعه في سفره إلى قيصر ، بخفاء الحارث بن ظالم المصري وأسرا ابنه وكان خارج الحصن الذي يمتلكه ويشتهر به واسمه الأبلق الفرد ، وكان على رابية مشرفاً على تيماء ، وهي بلد بين الشام والنجاز ، فخيره بين قتل ابنه وخيانة أمانته بتسليمه أموال امرئ القيس وأدراعه ، فاختر الوفاء وأسلم ابنه للقتل . وفي ذلك يقول الأستاذ محمود محمد شاكر : خالف السَّمَوِيُّ خدر أهل دينه ، ووفى بعربيته . وهو في هذه الأبيات التي اخترناها له يفخر بالقيم العربية الأصيلة فيقول إن الإنسان يعظم بابتعاده عن اللؤم ، واللؤم اسم جامع لصفات الخسة ودناءة النفس . وكذلك يشرف المرء ويكتسب حمد الناس حين يستخدم علمه ويكظم غيظه ويصبر على المشقات ويعذب النفس في سبيل الحق والمجد . والأعجاب لا تقاس بعدد أفراد كل قبيلة ، بل بعدد من فيها من الكرام وهم قلة ، فليس من سبيل إذن لتعير الشاعر بقلة عددهم ، فهم رجال يتسابقون إلى المحامد والمفاخر شبانهم وكهولهم ، وكيف يكون هؤلاء قليل العدد وهم قادرون على



حماية من يحبرونه وإبقائه عزيزا مكرما ، بينما تجدد قبائل أخرى كثيرة العدد غير قادرة على حماية جيرانها فيلحق بهم الذل والعار .

ويفخر الشاعر بمجد قومه الراشح رسوخ الجبل المتبع الشاخ الذي لا تستطيع الأبصار أن تدركه لسموqe وارتفاعه كأنه النجم في السماء . ومن مفخر قومه أنهم لا يرون في قتلهم في أرض المعركة عارا يلحق بهم كما يظن أعداؤهم من قبلي عامر وسلول ، بل يجدون فيه سببا للفخر حتى إنهم يتنونه ، فنقص أعمارهم بسبب حبهم للوت في المعارك ، بينما تطول أعمار أعدائهم لعدم استبسالهم وجبنهم وزارهم وكرهم للوت . ولا تجد بطلا من أبطالهم يموت موتا هينا على فراشه ، لأن موت الأبطال يكون في ساحة الحرب والنضال ، وهم في الوقت ذاته لا يسكتون على ثأرهم ، فلا يذهب دم قتلاهم هدرا وهم يختارون لأنفسهم أشرف الموت وهو القتل بالسيف في أثناء الصراع والمجالد في الحرب وليس القتل بالعصى والحجارة شأن العبيد ، أو شأن الخبثاء الذين ينالهم أعداؤهم من بعيد لنكوصهم من أرض المعركة .

ويفخر الشاعر بطيب أصولهم من حيث الآباء والأمهات ، فهم من سلالة عريقة شريفة لم تختلط بدنس في النسب ، بل هي صافية من كل شائبة تنزل بقدرهم ، صفاء ماء السحاب ، فمن أين يأتيهم إذن اللؤم بما فيه من جبن وبخل وضعف ، وهي صفات أبعد ما تكون من العربي الأصيل الشريف ؟

وقد بلغ من قوتهم واعتدادهم بأنفسهم ومعرفة الناس قدرهم أنهم أصبحوا سادة رؤساء يغيرون ما يشارون ويثبتون ما يشاءون ، لا معقب على فعلهم ، ولا راد لقولهم ، وهم سلالة كريمة شريفة بعضها من بعض ، فإذا قضى بطل منهم نجيبة مقاتلا كدأبهم خلفه بطل آخر يصدق فعله قوله فلا يتلون ولا يتغير .

وهم قوم كرماء يوقدون النار ليقبل عليهم الضيوف فينالوا من برهم وكرمهم ما يلهج ألسنتهم بالشكر ، ولم يحدث قط أن عابهم ضيف لأنهم حريصون على القرى يقدمون لضيوفهم كل ما يرضيهم من طعام وماوى .

ويعود الشاعر للفخر بحروب قومه واستبسالهم فى القتال حتى صارت وقائهم معالم بارزة معروفة مأثورة تشهد على شجاعتهم وقوتهم واقتدارهم على أعدائهم . وقد ظهرت آثار المعارك المتصلة فى سيوفهم إذ تلمست من كثرة ما قارعوا بها الأبطال فى حروبهم . وهى قد عودت إذا سُلّت ألا تغمد حتى تؤدى مهمتها وتنتصر على أعدائها . وهذه المفاخر جميعا لا ينكرها غير الجاهل الذى فى قلبه مرض . ويعان الشاعر فى ختام أبياته أن قومه هم السادة الذين يلجأ إليهم فى المهمات ويستشارون فى الملهمات .

\* \* \*

- |   |                                 |                           |
|---|---------------------------------|---------------------------|
| ١ | إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه | فكل رداء يرتديه جميل      |
| ٢ | وإن هو لم يحمل على النفس ضيبتها | فليس إلى حُسن التناء سبيل |
| ٣ | تُغيرنا أنا قليل حديدنا         | فقلت لها إن الكرام قليل   |
| ٤ | وما قل من كانت بقاياها مثلنا    | شباب تسامى للعلا وكهول    |
| ٥ | وما ضرنا أنا قليل وجارنا        | عزيز وجار الأكثرين ذليل   |

(١) العرض : كل ما يدافع عنه الإنسان ، واللؤم كلمة جامعة لخصال السوء .

(٢) الضيم : الظلم والحرمان ، والمقصود إهانة النفس طلبا للثق واكتسابا للجد .

(٣) العديده : العدد ، وعبر : عد مارا .

(٤) شباب مصدر فى الأصل وصف به ، تسامى : أصلها تسامى فحذف إحدى النامى للتخفيف والكهول : جمع كهول وهو الذى ونطه الشيب .

(٥) ما ضرنا : يجوز أن يكون ما حرف نفى والمعنى لم يضرنا ، ويجوز أن تكون اسماء مستفهما به على طريق التقرير ، والمعنى أى شئ يضرنا ؟

- ٦ لنا جبل يحتله من يحيره  
٧ رسا أصله تحت الثرى وسما به  
٨ وإنا لقوم ما نرى القتل سبة  
٩ يقرب حب الموت آجالنا لنا  
١٠ وما مات منا سيد حتف أنفه  
١١ تسيل على حد الطبات نفوسنا  
١٢ صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا  
١٣ علونا إلى خير الظهور وحطنا  
١٤ فنحن كجاء المزن مافي نهائنا  
١٥ وننكر إن شئنا على الناس قولهم  
١٦ اذا سيد منا خلا قام سيد
- منيع يرد الطرف وهو كليل  
إلى النجم فرع لا ينال طويل  
إذا ما رآته عامر وسلول  
وتكرهه آجالهم فتطول  
ولا طل منا حيث كان قتيل  
وليس على غير الطبات تسيل  
إننا أطابت حملنا وخول  
لوقت إلى خير البطون زول  
كهام ولا فينا يعد بخيل  
ولا ينكرون القول حين نقول  
قؤول لما قال الكرام فعول

(٦) جبل : عز ومجد ، يحتله : يدخل فيه ، الطرف : النظر ، كليل : عاجز ضعيف .

(٧) أصله : يعني أساس الجبل وهو العز والمجد ، وفرعه يعني أعلاه .

(٨) السبة : ما يسب به الإنسان ، وعامرهم بنو عامر بن صعصعة ، وسلول هم بنو مرة بن

صعصعة .

(١٠) مات حتف أنفه : أى على فراشه ، وأصله حتفه بأنفه ، أى بالأنفاس التي خرجت من

أنفه عند خروج الروح ، وليس دفعة واحدة كما يحدث عند القتل . وطل دمه : أى ذهب هدوا دون  
أن يثار له .

(١١) الطبات جمع ظبة وهي حد السيف .

(١٢) السر : النكاح ، والمقصود بالإناث الأمهات ، والفحول الآباء .

(١٣) يعني بالظهور الآباء ، وبالبطون الأمهات ، والوقت الذي يشير إليه وقت الأظهار .

(١٤) المزن : السحاب ، والكهام : الكليل الحد الضعيف .

(١٦) خلا : أى مضى وانقضى أمره ، قؤول : صيغة مبالغة من قائل ، وفعول : صيغة مبالغة

من فاعل .

- ١٧ وما أُحْمِدَتْ نَارُنَا دُونَ طَارِقٍ      وَلَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ تَزِيلُ  
١٨ وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا      لَهَا غُرْرٌ مَعْلُومَةٌ وَجُجُولُ  
١٩ وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِيقٍ      بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارَعِينَ فُلُولُ  
٢٠ مَعُودَةٌ إِلَّا تُسَلَّ نِصَالُهَا      فَتُغَمَّدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَيْبِلُ  
٢١ سَلَى إِنْ جَهِلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْكُمْ      وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالَمٌ وَجْهٌ هُولُ  
٢٢ فَإِنْ بَنَى الدِّيَّانُ قُطْبَ لِقَوْمِهِمْ      تَدُورُ رِحَالُهُمْ حَوْلَهُمْ وَتُجْجُولُ

(١٧) النار التي يعنها نار الضيافة : والطارق : زائر الليل • والتزيل : الرقيق والجليس •

(١٨) الأيام : الوقائع والحروب ، الفرر : جمع غرة وهو البياض الذي يكون في جهة الفرس ،  
والججول : بياض في مواضع الجبل من الفرس وهو القيد والخلخال •

(١٩) قراع : نزال وحرب ، الدارعين : الذين يلبسون الدروع خوفا من الطعنات ، والفلوك :  
ما يكون في السيف من تنليم بسبب كثرة الاستخدام وشدة الضرب •

(٢٠) تغمد : ترد في أغمارها ، قيبيل : قبائل •

(٢٢) القطب : الحديدة في الطبقة الأسفل من الرمح يدور عليها الطبقة الأعلى ، ومنه جاء القطب

يعني السيد والزعيم •

\* \* \*

محمد مصطفى هدارة

## أَبُو دُوَادِ الْإِيَادِيَّ رَحْلَةُ صَيْدٍ

أبو دُوَادِ الْإِيَادِيَّ اسمه جارية بن الحجاج بن خدامة وقيل حنظلة بن الشرقى ، من أشهر وصافى الخيل فى الجاهلية ، وكان فى عصر كعب بن مامة الْإِيَادِيَّ الذى أثر بنصيبه من الماء رفيقه النمرى فمات عطشا فضرب به المشل فى الجود . وهو فى هذه الأبيات التى اخترناها له يصف منزلا من منازل البادية ، قد أهل بالوحش وقد اعتزم الصيد وأمد فرسه لذلك فانتطاه غلام له فى أول النهار وانطلق به فأصاب صيدا كثيرا ، وأفاض الشاعر فى وصف فرسه .

\* \* \*

- ١ ودارٍ يقول لها الرائدو نَ وَيَلَّ آمَ دار الحُذَّاقِ دارا
- ٢ فلما وَضَعْنَا بها يَتَنَّا نَجَنَّا حُوارا وصَدْنَا حِجارا
- ٣ وبات الظَّلِيمُ مكانَ المِجَنِّ (م) تَسْمَعُ بالليلِ منه عِرارا
- ٤ وراح علينا رِعاءُ لنا فقالوا : رأينا بهجِلَ صِوارا
- ٥ فَيَتَنَّا عِراءَ لَدَى مُهْرِنَا نُنَزِّعُ مِنْ شَفْتَيْهِ الصُّفَّارا

(١) الحذاق : يعنى نفسه نسبة إلى قبيلة حذافة وهى فرع من إباد ، والزهدون : الذين يرودون المكان لاستكشافه .

(٢) نَجَنَّا : ولدنا ، الحوار : ولد الناقة .

(٣) الظالم : ذكر النعام ، المِجَن : الترس ، العرار : صوت ذكر النعام .

(٤) الهجل : المكان المظلم بين الجبال ، الصوار : القطيع من البقر .

(٥) عِراءَ : يعنى مقيمين ، الصفار : نبت له شوك .

- ٦ وَبَتْنَا نُقَرَّتْهُ بِاللِّجَامِ نريد به قَنَصًا أو غَوَارًا  
 ٧ فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا سُدُفَةٌ ولاح من الصُّبْحِ خَيْطٌ أَنَارَا  
 ٨ غَدَوْنَا بِهِ كِسَوَارِ الْحَسُوِّ لِكَ مُضْطَمِّرًا حَالِبَاهِ اضْطِمَارَا  
 ٩ مَرُوحًا يُجَاذِبُنَا فِي الْقِيَادِ نَحَالُ مِنَ الْقُوْدِ فِيهِ اقْوَارَا  
 ١٠ ضَرُوحَ الْحِمَاتَيْنِ سَامَى التَّلِيلِ وَتَوْبًا إِذَا مَا انْتَحَاهُ الْخَبَارَا  
 ١١ فَلَمَّا عَلَا مَشْنَقِيهِ الْغُلَامُ وَسَكَنَ مِنْ آلِهِ أَنْ يُطَارَا  
 ١٢ وَمُسِيرِجَ كَالْأَجْدَلِ الْفَارِسِيِّ (م) فِي لَاحِثِ سَرِيٍّ أَجَدَّ النَّفَارَا  
 ١٣ فَصَادَ لَنَا أَكْثَلُ الْمُقْلَتِيهِ مِنْ خَلَا وَأُخْرَى مَهَاةَ نَوَادَا  
 ١٤ وَعَادَى ثَلَاثًا فَخَزَّ السَّنَا نُنَّ إِمَّا نُصُولَا وَإِمَّا انْكَسَارَا  
 ١٥ أَكَلْتُ امْرِئِي تَحْسِبِينَ امْرَأًا وَنَارِي تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا؟

(٦) نُقَرَّتْهُ : نَجَّوْهُ ، الْقَنَصُ : الصَّيْدُ ، الْغَوَارُ : الْغَارَةُ .

(٧) سُدُفَةٌ : ضَوْءٌ ، وَهِيَ مِنَ الْأَضْدَادِ .

(٨) الْحَسُوُّ : الْمَرْأَةُ الْقَاجِرَةُ الْمُتَهَلِّكَةُ عَلَى الرِّجَالِ ، مُضْطَمِّرًا : ضَامِرًا ، الْحَالِبَانِ : عِرْقَانِ مِنَ السَّرَّةِ إِلَى الْبَطْنِ .

(٩) مَرُوحًا : شَدِيدُ الْمَرْحِ أَوْ الْخَلْفَةِ وَالنَّشَاطِ ، الْقِيَادِ : الْحَبْلِ الَّذِي يَقَادُ بِهِ ، الْقُوْدُ : مَعْدَرُ قَادٍ ، الْاقْوَارُ : تَشْنِجُ الْجِلْدِ .

(١٠) الضَّرُوحُ : الْفَرْسُ الَّذِي يُضْرَبُ بِرِجْلِهِ ، الْحِمَاتَانِ : لَحْمَتَانِ فِي عَرْضِ السَّاقِ ، سَامَى التَّلِيلِ : مَرْتَفِعَ الْعُنُقِ ، انْتَحَاهُ : قَصَدَهُ ، الْخَبَارُ : اللَّيْنُ مِنَ الْأَرْضِ .

(١١) الْمُتَنَتَانِ : مِثْلَانِ الظَّهْرِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، آلِهِ : شَخْصِهِ .

(١٢) الْأَجْدَلُ : الصَّقْرُ ، وَالْفَارُ : الْحَرْبُ .

(١٤) عَادَى ثَلَاثًا : وَالَى بَيْنَهَا قِتْلًا ، النُّصُولُ : خُرُوجُ النُّصُلِ مِنَ الرِّيحِ .

\* \* \*

محمد مصطفى هدارة

## لَقِيطُ بْنُ يَغْمُرَ الْإِيَادِيّ

هو لقيط بن يغمُر بن خارجة بن عوثبَن الإيادي ، شاعر جاهلي قديم ،  
أخباره قليلة ، يشير بعضها إلى أنه كان كاتب كسرى وترجمانه سريا من  
سادات قومه ، فاطلع على أسرار دولة الفرس التي عاش في بلاط ملكها ،  
ويقال إنه حبس في سجن كسرى فأطلقه وأمره أن يكتب إلى قومه ليجتمعوا  
فيغير عليهم فيقتلهم ، وإن كان أبو هلال العسكري عارض هذا حين ذكر أنه  
كان « رهينة عند إياد لئلا يعيشوا » . ومهما كان الأمر فإن لقيطا قد حذر قومه  
يوم أحس رغبة كسرى في قتال إياد ، ولما لم يأبهوا بإنذاره السريع أرسل  
إليهم قصيدته العيلية التي حضهم فيها على قتال الفرس ، ودعاهم للتهيؤ للملاقاة  
بجيشهم اللجب ، فلما وقع كتابه بين يدي كسرى قطع لسانه وقتله ، فذهب شهيد  
وفاته لقومه وحربه عليهم .

وصلت قصيدته العيلية عند بعض القدماء من القصائد المفردات الجاهليات  
التي لا يعرف في مثل معناها وجودتها وجزالة ألفاظها . وموضوعها تحريض  
قومه ضد أعدائهم ، وعلى الرغم من أن كثيرا من القصائد قد قيلت في هذا  
الموضوع إلا أن النقاد سجلوا إعجابا خاصا بهذه القصيدة فذهب ابن الأثير إلى أنها  
من أجود ما قيل في صفة الحرب . وقد كانت إياد — قبيلة الشاعر — تنزل  
سنداد وهو نهر فيما بين الحيرة والأبلة ، وكان عليه قصر تحج إليه العرب ، وكانت  
إياد أكثر نزار عددا ، وكانت ترفض دفع الإتاوة لأحد من الملوك . وبلغ من  
جرأتهم أنهم توجهوا إلى امرأة كسرى أنو شروان فأخذوها وأخذوا معها أموالها ،

بفهز إليهم كسرى جندا من عنده مرتين وكانت إباد تنتصر عليهم . ثم ارتحلوا حتى نزلوا الجزيرة فوجه إليهم كسرى بعد ذلك ستين ألفا في سلاحهم ، وكان لقيط بن يعمر الإبادي يتزل الحيرة فبلغه الخبر فكتب إلى إباد وهم بالجزيرة :

سلامٌ في الصحيفة من لقيط      إلى من بالجزيرة من إباد  
بأن الليث كسرى قد أتاكم      فلا يشغلنكم سوقُ النقاد  
أتاكم منهم ستون ألفا      يزجون الكتائب كالجراد  
على حنق أئبنكم فهذا      أو أن هلاككم كهلاك عاد

فلما وردت الخيل كتب لقيط إلى إباد هذه القصيدة التي اخترناها يحذرهم ويحرضهم على الاستعداد للحرب ويعنف لهم الخيل .

ويبدو أن القصيدة قد أدت وظيفتها كما أرادها لها صاحبها ، فقد روي أن إبادا حين بلغها كتاب لقيط هذا استعدوا لمحاربة الجنود التي بعث بها كسرى فالتقوا ، واقتتلوا قتالا شديدا حتى رجعت الخيل من الفريقين جميعا . ثم لأنهم اختلفوا فيما بينهم وتفرقت جماعتهم فلحققت طائفة بالشام وأقام الباقون بالجزيرة .

\* \* \*

( تراجع ترجمة الشاعر وأخباره في مقدمة الديوان الذي حققه وعلق عليه وقدم له خليل إبراهيم العطية ضمن سلسلة كتب التراث سنة ١٩٧٠ العراق ) .

\* \* \*

عبد الله النطاوي



## إنذار ونصح

- ١ يادار عمرة من مُحْتَلِّها الجَرَمَا      هاجت لى الهم والأحزان والوجعا
- ٢ تَامَتْ فَوَادى بِذَاتِ الجَزَعِ خَرَجَةً      مرّت تريد بذات العذبة البيعا
- ٣ جرت لِمَا بَيْنَنَا جِبلُ الشَّمُوسِ فَلَما      يأساً مَبِينَا نرى منها ولا طمعا
- ٤ فَمَا أَزَالُ عَلَى شَحْطٍ يُورِقُنِي      طَيْفٌ تَعَمَّدَ رَحلى حَيْثُ مَا وَضَعَا
- ٥ أَتَى بَعِيسُنِي مَا أَمَتْ حُمُولُهُمْ      بطنَ السَّلَوطِ لا يَنْظُرُونَ مِنْ تَبَعَا
- ٦ طَوْرًا أَرَاهُمْ وَطَوْرًا لَا أَيْدُهُمْ      إِذَا تَوَاضَعَ خَذَرُ سَاعَةٍ لَمَعَا
- ٧ بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزِجِي عَلَى عَجَلٍ      نَحْوِ الْجَزِيرَةِ مَرْتَادًا وَمُنْتَجِمًا

- (١) أجمع وجرعاً : ما استوى من الرمل ، والجربة الرملة الطيبة المنبت لا وعوة فيها .
- (٢) البيع : كنائس النصارى مقردها بيعة ( بكسر الباء ) . تامت فوادي : ضلته وذهبت به ، والمثيم الذى ضل فواده من شدة الهوى . الجزع : منثنى الوادى . الخرجة : المرأة صغيرة السن .
- (٣) الشموس : الدابة الممتعة التى لا تمكن الفارس من إمراجها أو إلحامها . يريد بها صاحبه .
- (٤) الشحط : البعد ، وأشخطه أبعد .
- (٥) أمت : قصصت واتجهت . لا ينظرون : لا يرقبن أو يحددن النظر . السلوطج : موضع بالجزيرة .
- (٦) يبينهم : يستبينهم ويستوضحهم . تواضع : تباعد وتراخى . لمعان الآل : بريق السراب .
- (٧) المزيجى : السائق . المرتاد : الذى يرتاد أرضاً جديدة لأول مرة . ينتجع الأرض : يطلب الكلاء فيها ويرعى نباتها .

٨. أبلغ إباداً وخلّ في سراتهم  
 ٩. بالهف نفسي إن كانت أموركم  
 ١٠. ألا تخافون قوماً لا أبا لكم  
 ١١. أبناء قوم تأوؤكم على حنق  
 ١٢. أحرار فارس أبناء المملوك لهم  
 ١٣. فهم سراع إليكم بين ملتقط  
 ١٤. لو أن جمعهم راموا بهتته  
 ١٥. في كل يوم يستنون الحراب لكم  
 ١٦. خزرآ عيونهم كأن لحظهم  
 ١٧. لا الحرث يشغلهم بل لا يرون لهم  
 ١٨. وأتم تحرثون الأرض عن سفيه
- إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعاً  
 شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعاً  
 أمسوا إليكم كما مثال الدبا سرماً  
 لا يشعرون أضر الله أم نفعاً  
 من الجموع جموع تزدعي القلما  
 شوكا وأخر يحنى الصاب والسلا  
 شم الشماريح من ثهلان لا نصدها  
 لا يهجعون إذا ما غافل هجعا  
 حريق نار ترى منه السنّا قطعاً  
 من دون بيضتكم رياً ولا شبعاً  
 في كل معتمل تبغون مزرعاً

(٨) يخلل : يخلص ، وتخللهم دخل بينهم ، والشئ نقد ، والمطرخص ولم يكن عاماً .

(١٠) الدبا : صغار الجراد .

(١١) تأوؤكم : أورا إليكم . لا يشعرون : لا يعلمون .

(١٢) تزدعي : تستخف . القلع : للصخور العظام .

(١٣) الشوك : يقصد به السلاح الجديد . الصاب : لبن العشرو هو سم . السلج : نبات بالجهاز

خبيث الطعم لا ترعاه الحيوانات . يحنى الصاب : يعد لكم الشر ليقتضى عليكم .

(١٤) راموا : حارلوا . ثهلان : جبل . الشماريح : رؤوس تلتأ من الجبال .

(١٥) يستنون : يحددون . لا يهجعون : لا ينامون إذا نام الغافل .

(١٦) الأنزر : الذي ينظر بمؤخر عينه . السنّا : الضوء .

(١٧) الحرث : الزرع ، وهو أيضاً الكسب وجمع المال . البيضة هنا الأصل .

(١٨) عن سفيه : أى عن غفلة منكم عن أمركم .

- ١٩ وتَلْقَحُونَ حِيَالَ الشُّوْلِ آوَنَةً      وتَتَجَوْنَ بدار القلعة الرُّبْعَا  
٢٠ وتلبسون ثياب الأمن ضاحيةً      لا تجمعون وهذا الليث قد جمعا  
٢١ أنتم فريقان : هذا لا يقوم له      هَضُرُ اللَّيْثِ وهذا هَالِكٌ صُفْعَا  
٢٢ وقد أظلمكم من شطر تغركم      هولٌ له ظلمٌ تغشاكم قطعاً  
٢٣ مالى أراكم نيساماً فى بُلْهَنِيَّةٍ      وقد تروَنَ شهاب الحرب قد سَطَعَا  
٢٤ فاشفوا غلبلى برأى منكم حسن      يَضْحَى فؤادى له رِيَّانٌ قد نَقَعَا  
٢٥ ولا تكونوا كمن بات مكتنماً      إذا يقال له : افرج غمّة كنمّا  
٢٦ صونوا جيادكم واجلّوا سيوفكم      وجدّدوا للقمى النبل والشرها  
٢٧ اشروا تلادكم فى حِرْزِ أنفسكم      وحِرْزِ نسوتكم لا تهاكوا هَلَعَا  
٢٨ ولا بدع بعضكم بعضاً لنائية      كما تركتم بأعلى يَبْشَةَ النخعا  
٢٩ اذكوا العيون وراء السرح واحترسوا      حتى ترى الخيل من تعدّاها رجعا

(١٩) الشول : إناث الإبل التى شالت ألبانها أى جفت . حياها : ماحال منها فلم يحمل .

(٢٠) الليث هنا يقصد به كمرى .

(٢١) هضر الليث : كسرهما وشدة بعاشها . الصقع : الفزع وذهاب العقل من شدة الخوف .

(٢٢) أظلمكم : كأنه واقع بكم . شطر : نحو . الثغر : الناحية من الأرض .

(٢٣) البلهنية : الرضاء والرفاهية والنعمة فى العيش والانشغال بالترف .

(٢٤) الغليل : حرارة الجوف يجدها الإنسان مع شدة حرته وهمه .

(٢٥) المكتنع : الذليل الخاضع . والفخمة : الغنى . كنع : خضع وانقبض .

(٢٦) الشرح : الأوتار الدقاق .

(٢٧) اشروا : يبعوا أو يطيخوا عنها أنفسها وتحولوا عنها .

(٢٨) لا بدع : لا يسلم بعضكم بعضاً لنائية . والثابتة المصيبة . أعلى يشة : موضع باليمن .

(٢٩) رجعا : جمع رجع وهو الضامر الذى ضعف فقيل له رجع سقر . السرح : إبل القوم .

والسرح المسال السائم .

- ٣٠ فإن غلبتكم على ضيقٍ بداركم  
 ٣١ لا تلهكم إبلٌ ليست لكم إبلٌ  
 ٣٢ هيات لا مال من زرع ولا إبل  
 ٣٣ لا تثيروا المسال للأعداء لأنهم  
 ٣٤ والله ما انفكت الأموال منذ أبد  
 ٣٥ يا قوم إن لكم من عز أولكم  
 ٣٦ وما يرد عليكم عز أولكم  
 ٣٧ فلا تفرنكم دُنيا ولا طمع  
 ٣٨ يا قوم بيضتكم لا تفجعن بها  
 ٣٩ يا قوم لا تأمنوا إن كنتم فرياً  
 ٤٠ هو الجلاء الذي يجتث أصلكم  
 ٤١ قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم  
 ٤٢ فقلدوا أمركم لله دركم  
 ٤٣ لا تترفا إن رخاء العيش ساعده
- فقد لقيتم بأمرٍ حازمٍ فزعاً  
 إن العدو يعظم منكم قسماً  
 يرجي لغايركم إن أنفكم جُدعاً  
 إن يظفروا يحتوكم والتلاد معا  
 لأهلها إن أصيبوا مرة تبعاً  
 إرتاقيد اشفت أن يودي قينقطعاً  
 إن ضاع آخره أو ذل فأنضعا  
 لن تنعشوا بزجاج ذلك الطمعا  
 إني أخاف عليها الأزل الجذعا  
 على نسائكم كسرى وما جمعاً  
 فمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعاً  
 ثم أفرعوا قد ينال الأمن من فزعاً  
 رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعاً  
 ولا إذا عَضَّ مكروه به خشعاً

(٣٣) لا تثيروا : لا تكثرُوا . التلاد : القديمة . والطريف المستحدث .

(٣٤) ما انفكت : ما زالت .

(٣٥) يودي : يهلك .

(٣٧) تنعشوا : تجبروا وتحبوا نمشه وأنشد جبره . الزجاج : التبرق للحرب .

(٣٨) بيضتكم : أى أصلكم . الأزل الجذع : الدمر لأنه لا يهرم أبداً .

(٤٠) الجلاء : الحشر والطرد . يجتث : يقطع .

(٤٢) مضطلعاً : محتلاً . لله دركم : أى خيركم « صيغة دعائية » . رحب الذراع : واسمها :

دلالة على مكانته بين قومه .

- ٤٤ مُسَهَّدُ النَّوْمِ تَعْنِيهِ تُغَوِّرُكُمْ  
يُرْوَمُ مِنْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطْلَعًا  
٤٥ مَا أَنْفَكَ يَحْلِبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطَرَهُ  
يَكُونُ مَتَّبِعًا طَوْرًا وَمَتَّبِعًا  
٤٦ وَلَيْسَ يَشْغَلُهُ مَالٌ يَثْرُهُ  
عَنْكُمْ وَلَا وَلَدٌ يَبْنِي لَهُ الرَّفْعَا  
٤٧ حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْرٍ مَرِيرَتُهُ  
مُسْتَحْكَمِ السِّنِّ لَاقِحًا وَلَا ضَرَعَا  
٤٨ كَمَاكَ بَن قَتَانَ أَوْ كَصَاحِبِهِ  
زَيْدِ الْقَنَاءِ يَوْمَ لَاقَى الْحَارِثِينَ مَعَا  
٤٩ إِذْ عَابَهُ عَائِبٌ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ :  
دَمْتُ بِلَجْنِكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجِعًا  
٥٠ فَسَاوَرُوهُ فَالْفَوَّهُ أَخَا عِلِيلٍ  
فِي الْحَرْبِ يَحْتَبِلُ الرِّثْبَالَ وَالسُّبْعَا  
٥١ عِبَلُ الدَّرَاعِ أَيُّهَاذَا مِرَابِنَةٌ  
فِي الْحَرْبِ لَا عَاجِزًا نِكَسًا وَلَا وَرَعَا  
٥٢ مُسْتَنْجِدًا يَتَحَدَّى النَّاسَ كُلَّهُمْ  
لَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قَرَعَا  
٥٣ هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ  
لِمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا  
٥٤ لَقَدْ بَدَّلْتُ لَكُمْ نَصِيحِي بِمَا دَخَلَ  
فَاسْتَقِظُوا إِنَّ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَا

(٤٧) الشَّرْرُ : الذي لا يقتل على وجهه ، أى يقتل مقلوبا . استمرت مريرته : أى قتل قتلا شديدا .

(٤٩) دَمْتُ بِلَجْنِكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجِعًا : أى تهبأ للأمر قبل وقوعه واستعد له .

(٥٠) أَخَا عِلِيلٍ فِي الْحَرْبِ : أى يلقى الحرب مرة بعد أخرى . يَحْتَبِلُ : يصيد . الرِّثْبَالُ : الأسد .

(٥١) عِبَلُ الدَّرَاعِ ، غَلِظُ الدَّرَاعِ ، ذَا مِرَابِنَةٍ : ذَا مِدْفَعَةٍ . النِّكَسُ : الضعيف من الرجال .  
الْوَرَعُ : الجبان .

(٥٢) يَتَحَدَّى النَّاسَ : يبارزهم ويدعوهم للنازلة .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## المُرْقَش الأكبر

هو عوف بن سعد بن مالك بن ضَبِيعَة بن قيس بن ثَعْلَبَة . . . والمُرْقَش لقب  
لُقِّبَ به ، وهو واحد من مَتَيْمَى العرب وفرسانهم ، عرفت شجاعته حين اشترك في  
حروب بكر بن وائل مع بني تغلب . وكان عوف وعمرو ابنا مالك بن ضبيعة عما  
المُرْقَش الأكبر من فرسان بكر ، وعمرو بن مالك هو الذي أسر مهلهلا في بعض  
الغارات بين بكر وتغلب .

كان المُرْقَش يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن علي بن مالك بن ضبيعة ،  
وكان له ولابن أخيه المُرْقَش الأصغر موقع في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ،  
كما كان لهما بأس وشجاعة برزا في تقدمهما في العدو وحسن أثرهما في معاركه .  
من أهم أخباره التي أوردها صاحب الأغاني والمفضل الضبي عشقه ابنة  
عمه أسماء ، وقد خطبها إلى أبيها ، ولكن أباهما زوجهما في بني مراد في غيبته ،  
ثم أخبره أهله بموت أسماء ، وأتوا به في موضع قبر مزعوم لها ، فنظر إليه وراح  
بعد ذلك يعتاده ويزوره . ثم ساعدته الظروف على معرفة خبر زواج أسماء من  
المرادي فركب مطيته ورحل في طلبه . ومريض في الطريق وتركه الغُفْل رفيقه  
في رحلته ، وعاد الغُفْل وزوجته فزعا أنه مات ، ولكن حرملة تنبه أنه مازال حيا  
من خلال قراءة ما كتبه المُرْقَش على الرجل ، فدعا الغُفْل وزوجته وخوفاهما بأن  
يصدقا ففعلا فقتلهما ، وقد كانا وصفا له الموضع ، فركب في طلب المُرْقَش  
حتى أتى الميكان ، فسأل عن خبره ، فعرف أن مرقشا كان في الكهف ولم

يزل فيه . وتنتهى الرواية إلى خروجه بعد ذلك لقتل أسماء فردّه أخواه وعذلاه وقال شعرا ، ويقال أنه مات عند أسماء ودفن في أرض مراد .

وفي قصيدته السينية التي اخترناها له يقف على أطلال صاحبتة « أسماء » ينعى الطلل وصاحبتة ، وتثير أشجانها وحشة المكان ، ثم يصور رحلته في الصحراء الموحشة ، وقد قطعها على ناقته التي أضناها السرى ، وتتعدد المشاهد بدلالاتها المخيفة على رهبة الليل ، فيظهر مشهد الإبل في الظلمة ، وموقد النار الذي خلفه حيث نزل للراحة ، وأصوات البوم التي كثر ترددها فكانت أشبه ما تكون بصوت النواقيس ، ثم يستعرض صورة من كرمه في مشهد قدر الطعام التي وضعها على النار والتف الضيوف من حولها ، وهو يقف ضاحك الوجه يؤنسهم بحديثه حتى ينضج ما بها من طعام ، ثم يصور ذئبا بألسا أقبل مهتديا بضوء ناره يلتمس القيرى ، فأكرمه كما يكرم ضيفه تماما ، حتى إذا شبع عاد مسرورا كأنه مقاتل ظفر بغنيمة أعدائه . ومن هذا المشهد يعود الشاعر إلى الصحراء فيصور مشاهد الجبال وقد غطاها السراب ، فراها كأنها ضارقة في بحر ممتد فوق رمالها ، وتكاد الصحراء تذكره بناقته ، فيعود إلى وصفها ، ويمضى فيه حتى يتداخل مشهد الصحراء مع صورة الناقة في ختام القصيدة .

وتتميز القصيدة بانتشار بعض ظواهر حياة البادية الجاهلية فيها خاصة ظاهرة التطير التي ترددت في أكثر من صورة ، وكذلك ظاهرة الاستطراد في حديث الناقة بما لهذا الاستطراد من دلالات فنية ونفسية على طبيعة حياة الشاعر وعلاقته بالناقة ، وقد يلتفت النظر في القصيدة أيضا انشغال صاحبها ببعض ( تراجع ترجمته وأخباره في الجزء السادس من الأغانى ص ١٢٧ وما بعدها ) .

الألوان البديعية التي حرص على الإفادة منها في الصورة الشعرية فظهر حسن التقسيم والتضمين والجناس وغيرها . وقد سيطر التشبيه بأطرافه الحسية المعروفة على معظم صور القصيدة شأنه في ذلك شأن شعراء عصره وأبناء بيئته .

( تراجع القصيدة في ديوان المفضليات بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد شاكر ) .

\* \* \*

عبد الله التطاوى



## صُورَةٌ مِنَ الصَّحَرَاءِ

\* \* \*

- |   |   |   |
|---|---|---|
| ١ | أَمِنْ آلِ أَسْمَاءَ الطَّلُولُ الدَّوَارِسُ  | يُخَطِّطُ فِيهَا الطَّيْرُ قَفْرًا بِسَابِسُ        |
| ٢ | ذَكَرْتُ بِهَا أَسْمَاءَ لَوْ أَنَّ وَلِيَهَا | قَرِيبٌ وَلَكِنْ حَبَسْتَنِي الْحَوَابِسُ           |
| ٣ | وَمَتَرِلِ ضَمْنِكَ لَا أُرِيدُ مَبِيتَهُ     | كَأَنِّي بِهِ مِنْ شِدَّةِ الرُّوعِ آئِسُ           |
| ٤ | لَتُبْصِرَ عَيْنِي إِنْ رَأَيْتُ مَكَانَهَا   | وَفِي النَّفْسِ إِنْ خُلِيَ الطَّرِيقُ الْكَوَادِسُ |
| ٥ | وَجِيفٌ وَإِسْأَسٌ وَتَقَرٌّ وَهَزَّةٌ        | إِلَى أَنْ تَكِلَّ الْعَيْسُ وَالْمَرْءُ حَادِسُ    |
| ٦ | وَدَوِيَّةٌ فَبَرَاءَ قَدْ طَالَ عَهْدُهَا    | تَهَالَكَ فِيهَا الْوَرْدُ وَالْمَرْءُ نَاعِسُ      |
| ٧ | قَطَعْتُ إِلَى مَعْرُوفِهَا مُنْكَرَاتِهَا    | بَعِيْهَا مَةً تَنْسَلُّ وَاللَّيْلُ دَائِسُ        |
| ٨ | تَرَكْتُ بِهَا لَيْلًا طَوِيلًا وَمَسْتَرِلًا | وَمَوْقَدَ نَارٍ لَمْ تَرْمَهُ الْقَوَابِسُ         |

- (١) الأطلال أو الطلول ما بقي من آثار الديار . الرسوم : ما كان منها منخفضا .  
 يخطط فيها الطير : يطير فيها . البصابس : القفر المجدية . حيث لا حياة فيها .  
 (٢) ولها : حيث تولت وذهبت واتجهت .  
 (٣) الضنك : الشدة والضيق ، ويريد بالمنزل الضنك منطقة موحشة وعرة نزل بها في الصحراء .  
 (٤) الكوادر : ما يثير التطير مثل الفأل والمطاس وهي عادة جاهلية .  
 (٥) الوجيف : ضرب من السير السريع . الإيساس : نوع من السير دون الوجيف .  
 التقر والهزة : ضروب من السير فوق الوجيف . حادس : يسير على غير هدى ويكتفى بمجرد الظن .  
 (٦) الدوية : الصحراء المقفرة . تهالك : أسرع السير . الورد : الإبل .  
 (٧) العبامة : الناقة القوية الصلبة التي تتحمل مشقات الطريق .  
 الدامس : شديد الظلمة والسواد .  
 (٨) لم ترمه القوابس : لم يكن فيه أحد يقتبس نارا لأنه كان وحده .  
 والقابس : الذي يطالب النار . ويبحث عنها .

- ٩ وتسمع ترقاء من اليوم حولنا  
 ١٠ فيصبح ملق رحلها حيث عرست  
 ١١ وتصبح كالوداة ناط زمامها  
 ١٢ وقدر ترى شمت الرجال عيالها  
 ١٣ ضحوك إذا ما الصبح لم يحتواله  
 ١٤ ولما أضأنا النار عند شوائنا  
 ١٥ نبذت إليه حزة من شوائنا  
 ١٦ فآض بها جذلان ينفض رأسه  
 ١٧ وأعرض أعلام كان رؤوسها
- كما ضربت بعد الهدوء النواقيس  
 من الأرض قد دبَّت عليه الرواميس  
 إلى شعب فيها الجوارى العوانيس  
 لها قيم مثل الخليفة آيس  
 ولا هو مضى أب على الزاد عايس  
 عرانا عليها أطلس اللون بائس  
 حياء، وما خشي على من أجالس  
 كما آب بالنهب الكمي المحالس  
 رؤوس جبال في خليج تنغامس

(٩) النواقيس أو النواقيس جمع ناقوس .

(١٠) ملق الرجل : مكان إلقائه . ترقاء اليوم : صباحه . الرواميس : الرياح التي تغطي الآثار وتزيل معالمها .

(١١) الوداة : الأرحوة . ناط زمامها : علق زمامها .

العوانيس : الجوارى اللاتي لم يتزوجن .

(١٢) شمت الرجال : كبر والسن منهم إذا ما خالط وأتهم الشيب .

القيم : القائم على شؤونها . الأنسة : الطيبة النفس .

(١٣) الاجتواء : الكره . المضباب : الذي يمنع أصحابه الزاد من شدة بخله .

(١٤) عرانا : أنانا طالبا معروفنا وقرانا .

أطلس اللون : يقصد الذهب ويصوره أغبر أقرب إلى السواد .

(١٥) الحزة : القطعة .

(١٦) آض : بمعنى عاد أو رجع . جذلان : فرح نشيط . النهب : الغنيمة .

الكمي : الشجاع . الذي يحتفظ بشجاعته ثم يظهرها في وقت القتال .

المحالس : القوي الذي لا يتخلى عن مكانه في الحرب .

(١٧) أعرض : ظهر وبدا . الأعلام : يقصد الخيال . فهي أعلام في الصحراء .

الخليج هنا السراب ، شبه بالماء . تنغامس : تنغمس . الأكل : المراب .

- ١٨ إذا عَلمَ خَلْفَتُهُ يَهْدِي بِهِ      بدا عَلمٌ في الآلِ أَغْبَرُ طَامِسُ  
١٩ تعالَّتْهَا وليس طَبِيٌّ بِدَرِّهَا      وكيف التماسُ الدَّرِّ والضَّرْعُ يائِسُ  
٢٠ بأَمْرٍ عارٍ صدرُهُ من جَلَّازِهِ      وسائرُهُ من العِلاقَةِ نائِسُ

(١٨) طامس : دارس . قد جاء عليه الانحاء .

(١٩) تعالَّتْهَا : مرت بها مرة بعد مرة ، يريد أنه يرقى بناقته تارة وتارة بمجهودها .

العلب : العلب . الدر : اللبن .

(٢٠) الأَمْر : يريد السوط . العِلاقَةُ : السير الذي يعلق به السوط .

نائس : متدل . الجَلَّاز : القتل .

\* \* \*

عبد الله التطاوي

## المرقش الأصغر

لُقِّبَ بالمرقش واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة ، تربطه  
صلة النسب بالمرقش الأكبر فهو ابن أخيه على أرجح الروايات ، وهو أصغر  
منه ولكنه كان أشعر وأطول عمرا . صار واحدا من عشاق العرب المشهورين  
وفرسانهم ، عرف بعشقه فاطمة بنت المنذر ، وكانت لها وليدة يقال لها هند بنت  
عجلان ، وكان لها قصر « بكازمة » وطيح حرم ، وكان الحرس يمررون الثياب  
حوله كل ليلة فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان . وكان مرقش راعيا لا يفارق إبله ،  
فأقام بالماء وترك إبله ظمأى ، وكان من أجمل الناس وجها وأحسنهم شعرا ،  
وكان فاطمة بنت المنذر تقعد فوق القصر فتتنظر إلى الناس بخفاء المرقش وبات  
عند ابنة عجلان ، فعلمت ذلك فاطمة وتعلقت به ، فاحتالت على جاريتها حتى  
أوصلته إليها ، ونظم فيها بعضا من شعره .

وهو يصور في هذه القصيدة وفاءه لصاحبه ويبين ما أصاب قلبه يوم الفراق  
ليستكمل المشهد بعد ذلك بصورة غزلية يقف فيها عند معالم جمالها المختلفة ،  
ثم يصف ما عاوده من ذكرياتها ، ويستعيد مشهد الرحيل لينطلق منه إلى وصف  
الظعائن ورحلتهم ، ويتغنى بجمالهن وزيتنهن ، ليعود من ذلك كله مرة ثانية إلى  
صاحبه مصورا بجمالها ومبين مدى حبه لها ووفائه لعهدا ، ثم ليقدم بعد ذلك  
مجموعة من الحكم يديرها حول فكرة الصداقة ، وبعدها حديث حول حلف عمرو  
ابن جَنَاب تتأكد من خلاله فكرة الصداقة التي استعرضها من خلال رغبته في ركوب

الأهوال وما يراوده دائماً من أحلام اليقظة التي راحت تسيطر على ذهنه وتشغله فيبدو من خلالها حاملاً دائماً .

(تراجع القصيدة في المفضليات بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد شاكر ، وتراجع ترجمة الشاعر وأخباره من الجزء السادس من الأغاني ص ١٣٦ وما بعدها ) .

عبد الله التطاوي

## إِلَى فَاطِمَةَ

\* \* \*

- ١ أَلَا يَا أَسْمَى لَا صَرَمَ لِي الْيَوْمَ فَاطِمَا وَلَا أَبَدًا مَا دَامَ وَصْلُكَ دَائِمًا
- ٢ رَمَتْكَ ابْنَةُ الْبِكْرَى عَنْ قَرْعِ ضَالَةٍ وَهَنْ بَنَّا خُوصٌ يُحْلِنَ نَعَائِمًا
- ٣ تَرَامَتْ لَنَا يَوْمَ الرَّحِيلِ بَوَارِدٍ وَعَذِبِ الثَّنَائِيَا لَمْ يَكُنْ مُتْرَاكِمَا
- ٤ سَقَاهُ حَيُّ الْمُزْنِ فِي مُتَهَلِّلٍ مِنَ الشَّمْسِ رَوَاهُ رَبَابًا سَوَاجِمَا
- ٥ أَرْتَكَ بِذَاتِ الضَّالِّ مِنْهَا مَعَاصِمَا وَخَدًّا أَسِيلًا كَالْوَذِيلَةِ نَاعِمًا
- ٦ صَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا عَلَى أَنْ ذِكْرَةَ إِذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ قَائِمًا
- ٧ تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظُعَائِنِ نَخْرَجْنَ سِرَاحًا وَاقْتَعَدْنَ الْمَفَاقِمَا
- ٨ تَحْمِلْنَ مِنْ جَوِّ الْوَرِيْعَةِ بَعْدَمَا تَعَالَى النَّهَارُ وَاجْتَرَعْنَ الصَّرَايِمَا

(١) الصرم : القطع والهجر . لا أبدا : صيغة ينفي بها الصرم نهائيا .

(٢) الضال من الصدر : ما لم يشرب الماء . وقَرْع الضالة : القوس كأنها رمته عنه .

الخصوص : الإبل المرهقة وقد غارت عيونها من شدة متاعب الرحلة ومشقاتها .  
النعائم : النعام .

(٣) الوارد من الشعر : الطويل منه . القم المتراكم : المتراكب الذي ركب بعض أسنانه بعضا .

(٤) حي المزن : السحاب القريب . يقصده بالمتهلل الروض . الرباب : السحاب . السواجم التي تسكب الماء .

(٥) الوذيلة : سبيكة الفضة .

(٧) اقتعدن : ركين . المفائم : الإبل المعظام أو المراكب الواسعة .

(٨) تحملن : رحلن . الوريعة : مكاتب . اجترعن : قطعن . الصرايم : قطع الرمل ومفردها صريمة .

- ٩ تَحْلِينَ ياقوتاً وشذراً وصبيغةً      وجزماً ظفارياً ودرّاً تَوَائِمَا  
١٠ سَلَكْنَ القُرَى والجزع تُحْدِي جِوَاهِرَهُمْ      ووركنَ قَوَا واجترعنَ المخَارِمَا  
١١ أَلَا حَبْدًا وَجَهَ تَرِينَا بَيَاضَهُ      ومنسدلاتٍ كالمثاني فَوَاحِمَا  
١٢ وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةً جَائِعَا      تَحِيصَا وَأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةً طَائِعَا  
١٣ وَلِإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ وَالْحَرَقُ بَيْنَنَا      مخافةً أَنْ تَلْقَى أَخَا لِي صَارِمَا  
١٤ وَإِنِّي وَإِنْ كَلَّتْ قُلُوبِي لَرَأَيْتُكُمْ      بها وبنفسي، يَا فُطَيْمَةُ المَرَامَا  
١٥ أَفَاطَمَ إِنْ الْحَبِّ يُغْنِي عَنِ الْقَلِي      وَيَحْيِيكُمْ ذَا الْعَرِضِ الْكَرِيمِ الْمَجَاشِمَا  
١٦ أَلَا يَا أَسْلَى بِالْكُوكَبِ الطَّلِقِ فَاطِمَا      وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَرَفُ النُّوَى مُتَلَامَا  
١٧ أَلَا يَا أَسْلَى ثُمَّ أَسْلَى أَنْ حَاجَتِي      إِلَيْكَ فَرُدِّي مِنْ نَوَالِكَ فَاطِمَا  
١٨ أَفَاطَمَ لَوْ أَنَّ النِّسَاءَ بِلَدَّةٍ      وَأَنْتِ بِأُخْرَى لَا تَتَّبِعُكِ هَائِمَا  
١٩ مَتَى مَا يَشَأْ ذُو الْوَدِّ يَصِيرُ خَلِيلُهُ      وَيَعْبُدُ عَلَيْهِ لَا عَمَالَةَ ظَالِمَا

(٩) تحلين : لبس الحل . الشذر : اللؤلؤ الصغير . الجزع : الخرز . ظفار : بلد باليمن ينسب إليها الجزع .

(١٠) الجزع : منعطف الوادي . قو : موضع . وركنه : عدلن عنه وتركته المخارم : طرق في الجبال أو رمل مستطيل .

(١١) المنسدلات : الدواب المسترخية من الشعر . المثاني : الحبال شبه بها الشعر الطويل . الفواحش : الشديدة السواد .

(١٢) التحيص : الذي اشتد ضموه من الجوع .

(١٣) انطرق : ما اتسع من الأرض .

(١٤) الرجم : الرمي .

(١٥) القلي : البغض والكراهة . يحشمه : يحمله على أن يركب الصعب أو المكروه .

(١٦) الطلق : الذي لا حرفه ولا برد يمكن أن يسبب الأذى . متلاحم : موصول .

(١٩) يعبد : يشعب .

- ٢٠ وآل جناب حلقه فاطمته  
 ٢١ كان عليه تاج آل محرق  
 ٢٢ فمن يلق خيرا يحمي الناس امره  
 ٢٣ ألم تر أن المرء يخذل كفه  
 ٢٤ أين حلم أصبحت تنكت واجما  
 فنفسك ولّ اللوم إن كنت لا بما  
 بأن ضرّ مولاه وأصبح ماليا  
 ومن يقول لا يعلم على الغي لا بما  
 ويحشم من لوم الصديق المجاشما  
 وقد تعزى الأحلام من كان واجما

(٢٠) آل : حلف وأقسم .

جناب : يقصد عمرو بن جناب وقد سماه باسم أبيه .

(٢٣) يخذل : يقطع . يحشم : يتحمل .

(٢٤) ينكت في الأرض ، يخطط فيها يعود وهو إشارة إلى ما يفعله المهموم حين يشند به الفكر .

الواجم : الحزين المهموم . تعزية : تأتية .

\* \* \*

عبد الله التطاوى



## ثَعْلَبَةُ بْنُ صُعَيْرٍ

شاعر جاهلي قديم يرجع نسبه إلى قبيلة تميم ، قال عنه الأصمعي « ثعلبة أكبر من جدّ لبيد » .

كان ثعلبة فارسا من فرسان قومه المعدودين ، ميالا للهو ومعاقرة الخمر . وفي شعره نجد إيجازا للفانحر التي يعتز بها العربي في الجاهلية من فروسية ونجدة وكرم . وجاءت هذه المفانحر في صياغة بارعة وصور رائعة ، حتى قيل إن ثعلبة بن صعير سبق غيره من الشعراء إلى ابتكار المعاني وإجادة التصوير .

ويبدو أنه كان شاعرا مقسلا ، ولعل ذلك هو الذي دفع الأصمعي إلى أن يقول « لو كان قال مثل قصيدته الرائية نحسا لكان فخا » .

وفي هذه القصيدة يتحدث عن صاحبه « عَمْرَةَ » ، ويشكو من أنها خانت عهده وأخلفته مواعيدها ، فراح يتسلى عن همه برحلة على ناقة راح يصفها في براعة وإجادة ، ثم انتقل إلى حديث الخمر ، فوصف مجلس شرايه مع فتية من رفاقه تغنيهم القيان ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الفخر بشجاعته وقوة بأسه .

\* \* \*

( ١ )

## الرأية

\*\*\*

- |   |                              |                           |
|---|------------------------------|---------------------------|
| ١ | هل عند عمرة من بتات مسافر    | ذى حاجة متروج أو باركي    |
| ٢ | سم الإقامة بعد طول ثوائه     | وقضى لبائته فليس يناظر    |
| ٣ | لعدات ذى إرب ولا لموايد      | خلف ولو حلفت باسم مائر    |
| ٤ | وعدتك ثمت أخلفت موعودها      | ولعل ما منعك ليس بضائر    |
| ٥ | وأرى الغواني لا يدوم وصالحها | أبدأ على حشير ولا لمياسر  |
| ٦ | وإذا خليك لم يدم لك وصله     | فاقطع لبائته بحرف ضامر    |
| ٧ | وجنأ مجفرة الضلوع رجيلة      | ولقي المواير ذات خلق حادر |
| ٨ | تضيحي إذا دق المطى كأنها     | فدن ابن حبة شاده بالآجر   |

(١) البتات : المتاع .

(٢) الثواء : البقاء . اللبانة : الحاجة . الناظر : المنتظر .

(٣) الإرب : القصد والدهاء . والبصر بالأمور . والإرب : البغل أيضا . خلف : لا يفي بالوعد . اسحم : أسود . مائر : ينصب مريعا .

(٥) المياسر : النوى .

(٦) الحرف : الناقة الماضية . الضامر : يعنى للجناية لا الهزال .

(٧) الوجنأ : الصلبة المجفرة : العظيمة الوسط وهو مستحب من خلقها .

الرجيلة : القوية على السير خاصة . اللقي : السريعة .

قال ولقي المواير لأن سير المهاجرة أشد السير . الحادر : الممتلئ والبطى .

(٨) دق المطى : ضمير لظول المفرد . تضيحي : تسير ليلتها فلم يتبعها السير . الفدن : القصر .

- ٩ وَكَانَ عَيْنَتَهَا وَفَضَلَ فِتَانِهَا      فَنَّتَانٍ مِنْ كَفَى ظَلِيمٍ نَافِرٍ  
 ١٠ يَبْرِي لِرَأْحَةٍ يُسَاقِطُ رِيشَهَا      مَرَّ النَّجَاءِ سَقَاطَ لَيْفِ الْآبِرِ  
 ١١ فَتَذَكَّرَتْ قَعْلًا رَيْدًا بَعْدَمَا      أَلْقَتْ ذُكَاءَ يَمِينِهَا فِي كَافِرٍ  
 ١٢ طَرَفَتْ مَرَاوِدَهَا وَغَرَّدَ مَقْبُهَا      بِالْآءِ وَالْحَدَجِ الرَّوَاءِ الْحَادِرِ  
 ١٣ فَتَرَوَّحًا أَصْلًا يَشِيدُ مُهْذِبٍ      ثَرَّةَ كَشُوبِوبِ الْعِشِيِّ الْمَاطِرِ  
 ١٤ قَبِذَتْ عَلَيْهِ مَعَ الظَّلَامِ خِيَاءَهَا      كَالْأَحْمَسِيَّةِ فِي النِّصْفِ الْحَاسِرِ

\* \* \*

- ١٥ أَسْمَى مَا يُدْرِيكَ أَنَّ رَبَّ فِتْنِيَّةٍ      بِيضُ الْوُجُوهِ ذَوِي نَدَى وَمَا ثِرٍ  
 ١٦ حَسَنَى الْفُكَاةِ لَا تُدَمُّ لِحَامُهُمْ      سَيَطِي الْأَكُفِّ فِي الْحُرُوبِ مَسَاعِرِ

- (٩) العينة : وماء من جلد يكون فيه المتاع . الفتان : غشاء للرجل من جلد . فنتان : فصنان .  
 كفا الظلم : جناحه . الظليم : ذكر النعام .  
 (١٠) يبرى : يعارض وإذا عارضها الظليم كان أشد لعدوها . الرائحة : النعامة تروح إلى بيضها .  
 النجاء : السرعة . الأبر : صلح النخلة للتقيح فإذا صعد لها رمى بالليف عنها فشبه الريش إذا سقط من  
 النعامة بهذا الليف .  
 (١١) الثقل : أراد به البيض . الرئيد : المنزود . ذكاء : اسم الشمس . الكافر : الخيل .  
 نهى قد نهيات للقيب .  
 (١٢) المارود : المواضع التي تروى فيها . طرقت : تباعدت . السقب : ولد الناقة وأراد ولد  
 النعامة . الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . الحدج : الحنظل . الحادر : الفليظ .  
 (١٣) الأسل : العشى مقردها الأصيل . شد مهذب : برى سريع . ثر : شديد . الشوبوب :  
 الدهنة من المطر .  
 (١٤) عليه : على البيض وقد بدت عليه فشبه جناحيها بالثبَاء . الأحسية : المرأة من الجنس  
 وهم قرينى نزاعة ويؤخرهم وكثانة . النصف : القناع . الحاسر : التي تكشف رأسها ووجهها  
 إدلالا بحسنها .  
 (١٥) المآثر : مكارم الأخلاق . الندى : السقاء .  
 (١٦) النعام : جمع لحم ، لا تدم لسنخاتهم . المساعر : جمع مسعر وهو الذي يوقد الحرب .

- ١٧ باكرتهم يساء جزون ذارع  
١٨ ققصرت يومهم برنة شارف  
١٩ حتى تولى يومهم وتروحو  
٢٠ ومغيرة سوم الجراد وزعتها  
٢١ تتيق بكمود القذاف ونثرة  
٢٢ ولرب واضحة الجبين غميرة  
٢٣ قد يت العيبا واقصرهما  
٢٤ ولرب خضم جاهدين ذوى شدا  
٢٥ لد ظارتهم على ما ساءهم  
٢٦ بمقالة من حازم ذى مرة
- قبل الصباح وقيل لغو الطائر  
وسماع مذجنة وجدوى جازر  
لا ينتنون الى مقال الزاجر  
قبل الصباح يشيتان ضامر  
ثقف وعراض المهزة طائر  
مثل المهاة تروق مين الناظر  
حتى بدا وضخ الصباح الجاشير  
تقذى صدورهم بهتر هاتر  
وخسات باطلهم بحق ظاهير  
يبدأ العدو زئيره للزائر

(١٧) الساء : شراء الخمر . الجزون : الأسود يريد الرق . الذارع : الكثير المقام من الماء ونحوه لغو الطائر : صوته فى الغلس .

(١٨) رنة شارف : صوت الناقة المسنة عند النعرة قد شبه صوت العود رنة شارف . سماع مذجنة : سماع قينة تنغى فى يوم الدجن وهو تكاتف النجم . الجدوى ، العلية وأراد يجدوى الجازر ما يتخفهم به من الطعام . (١٩) تولى يومهم : انقضى نهارهم وتروحو وهم ثمالى .

(٢٠) المغيرة : القوم يغيرون ، سوم الجراد : سير الجراد وكثافته . وزمتها : كلفتها . الشيتان : الشديد النظر ، أراد به الفرس .

(٢١) التيق : المتلى ، من الذشاط . جلود القذاف : الصخرة تطيق حملها يذك وتنفذها . النثرة : الدرع . ثقف : لا تعلق بها السهام . العراض : الكثير الاضطراب يعنى وبها . العائر : الصلب الشديد (٢٢) الغريرة : القابلة القطنة . المهاة : البقرة الوحشية . (٢٣) الجاشرة : تابشير الصباح . (٢٤) تقذى : تقلف . الهتر : الكلام القبيح . الشدا : الأذى .

(٢٥) لد : شديدوا الخضومة . ظارتهم : عطفهم . خسات : زجرت ودفعت .

(٢٦) المرة : القوة . يبدأ العدو : يدعه وهو لافه تمج .

\* \* \*

سميد حنقى

( ٢ )

## عَتَادُ الْحَرْبِ

\* \* \*

يدير ثعلبة قصيدته الفائية حول محور واحد أساسه الفخر الفردي بذاته ، وهو نخر تقليدى يطرح فيه صورا مختلفة من شجاعته وإن كان قد بلورها حول عرض أدوات القتال التى يعتمد عليها فى مواقفه الحربية ، وهى الأدوات التى يثق فيها ويعتمد عليها فى انتصاراته .

وتوزع القصيدة فنيا بين مستويين : أولهما تلك المقدمة النمطية التى افتتح بها حوارها من خلال مشهد الطلل ، وكيف جازت عليه عوادي الزمن ، فاتته به إلى صورته المرئية التى انتشرت فيها كتابة العفاء والائتماء ، وهو مشهد لا يكاد يكتمل إلا من خلال حركة الرحيل التى ينتقل فيها الشاعر من جمود المقدمة ليقترب درجة من موضوعه ، لتكون واسطة الانتقال عنده ناقتة السريعة التى عرفت بقدرتها على اجتياز الصحراء وقطع طرقها المفزعة خاصة فى مواقف الإغاثة وإنقاذ الصريح . ويكاد حديث الناقة يكون مقدمة أخرى ، ولكنها مقدمة أكثر ما تكون تفاعلا مع موضوع الفخر ، أوهى — بمعنى أدق — تمهيد له ، فهى تمثل الملمح الأول من ملامح شجاعته وبطولته ، فهى أدائه فى رحيله ، يتخذها مدخلا لعرض أدواته القتالية التى يعتز بها فيصف منها السيوف والرماح كأسلحة هجومية يتقدم بها فى صفوف خصومه ، أو الدروع يرتديها سلاحا واقيا يتلقى بواسطته الضربات والطعنات فيثقيها .

ومن العتاد يتخذ الشاعر مقدمة نالمة يصل من خلالها إلى النتيجة التي أرادها من قصيدته ، حيث انتهى إلى عرض لوحة شجاعته في الحرب العوان على حد تصويره ، وإصراره على مواجهة الموت لإيمانه المطلق بمحتميته .

\* \* \*

- |   |   |  |
|---|---|--|
| ١ | لَيْنَ دِمْنٍ كَانَهُنَّ صَحَائِفُ              | قِفَارٌ خَلَا مِنْهَا الْكُثِيبُ فَوَاحِفُ   |
| ٢ | فَمَا أَحْدَثَتْ مِنْهَا الْعُهُودُ كَأَمَّا    | تَلَعَّبُ فِيهَا بِالسَّمَاءِ الزَّخَارِفُ   |
| ٣ | أَكْبَّ طَيْبًا كَاتِبٌ بِدَوَانِهِ             | يَغْنِمُ يَدِيهِ بَارَةٌ وَيَخَالِفُ         |
| ٤ | رَجَا صَنْعَهُ مَا كَانَ مِنْهُ مَسَاجِيَا      | وَيَرْفَعُ عَيْنِيهِ عَنِ الصُّنْعِ طَارِفُ  |
| ٥ | وَشَوْهَاءَ لَمْ تُوشَمْ يَدَاهَا وَلَمْ تُذَلْ | فَقَاطَزَتْ وَفِيهَا بِالْوَلِيدِ تَقَاذِفُ  |
| ٦ | وَتَعْطِيكَ قَبْلَ السُّوْطِ مَلَاءَ عَنَانِهَا | وَلِإِحْضَارِ ظُلْمِي أَخْطَاةُ الْمُجَادِفِ |
| ٧ | بَلَّاتُهَا يَوْمَ الصَّرَاحِ وَبَعْضُهُمْ      | يُحِبُّ بِهِ فِي الْحَى أَوْرَقُ شَارِفِ     |

(١) الدمن : الآثار . الصعائف : الكتب . الكثيب : قرية بالبحرين لبني محارب بن عبد القيس . واحف : موضع أيضا .

(٢) العهود : الأمطار . الزخارف : الأسياغ .

(٤) مساجيا : ساكتا . الطارف : من طرف بعينه إذا حرك جفניה .

(٥) الشوواء : الحسنة الخلق أو المرتفعة وهي فرس ثعلبية . لم توشم يداها : يصف نقاءها وخلوها من العيوب . قاطزت : أتى عليها القبط . التقاذف : التدافع . الوليد : العبد .

(٦) ملء عنانها : تعطيك عددا كثيرا ومرىما دون سوط يهددها ويدفعها إلى السير .

الإحضار : العدو . المجادف : ما يجدف به الإنسان من رمي وغيره .

(٧) بلات بها : ملكتها . الصراخ : الاستغاثة . الأورق : البعير لونه كالون الرماد . شارف : هرم

كبير .

- ٨ بيضاء مثل النهى ريج وقدّه  
 ٩ ومطرّد يرضيك عند ذواقه  
 ١٠ وصفراء من نبع سلاح أعضها  
 ١١ عتاد امرئ في الحرب لا وهن القوى  
 ١٢ به أشمّد الحرب العوان إذا بدت  
 ١٣ قتال امرئ قد أيقن الدهر أنه  
 ١٤ ولو كنت في غمدان يحرس بابه  
 ١٥ إذا لا تثنى حيث كنت متيتي  
 ١٦ أمّن حذر آتي المهالك سادراً  
 شأبب غيث يحفش الأكم صائف  
 ويمضي ولا ينأد فيما يصادف  
 وأبيض قصال الغريسة جانف  
 ولا هو عما يقدر الله صارف  
 فواجدها واتحرّ منها الطوائف  
 من الموت لا يتجو ولا الموت جانف  
 أراجيل أحبوش وأسود ألف  
 يحب بها هاد لإثري قائف  
 وأية أرض ليس فيها متائف

(٨) البيضاء : الذرع . النهى : الفدير . ريج : أصابته الرمح فالفدير أمفي وأنى . الأكم : المرتفعات .

(٩) يرضيك عنه ذواقه : يعجبك وأنت تقلبه . ينأد : يرجع ويضعف . والمطود : الرمح .  
 (١٠) الصفراء : القوس . النبع : شجرة تنفذ منه القسي والسهام . الأبيض : البهيف . اتصال : قلاع . جانف : يبلغ الجوف .

(١١) العتاد : حدة المحارب أو أسلحته .

(١٢) العوان : القوية . الطوائف : النواص .

(١٣) جانف : مائل .

(١٤) غمدان : حض منيع في اليمن . الأراجيل جمع أرجال وهي جمع راجل . الأحبوش : الحبش . الأسود : الحية السوداء . الألف : الأنس بالمكان .

(١٥) يحب : يسرع . قائف : يتوقف الآثار ويثبتهما .

(١٦) السادر : اللاهي الذي لا يأبه بشئ . متائف : مهالك .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## المسيب بن علس

\* \* \*

هو زهير بن علس بن مالك بن عمرو بن قمامة بن زيد بن ثعلبة ... شاعر جاهلي قديم لم يدرك الإسلام ، يُعدّ واحدا من أشهر المقّنين في الجاهلية ، وهم ثلاثة : المنّاس والمسيب بن علس وحُصَيْن بن الحُمام المُرّى .

كان الأعشى راويته وأخذ منه بعض أشعاره وأفاد منها في بعض قصائده .  
والقصيدة في المدح ، وتعد واحدة من أقدم القصائد العربية في هذا الموضوع ، أنشدها المسيب في مدح القَعْقَاع بن زُرَّارة ، وكان سيدا مشهورا في قومه ، ويبدو أن شهرته بالكرم قد غلبت على بقية الصفات عنده حتى قيل له « تيار الفرات » إشارة إلى شدة إمرافه في الكرم .

وتبدأ القصيدة بحوار نسبي يصور فيه الشاعر يأسه لفراق صاحبه ، ويسرد — كمعادة الشعراء — تجربة غزلية فاشلة يخوض من خلالها في مجموعة من الذكريات الغزلية الحسية السريعة التي سرعان ما يتجاوزها إلى تصوير ناقته متخذا منها وسيلة للانتقال إلى موضوعه ، حيث يمهّد له بمدخل طريف يفتخر فيه بالقصيدة ، ويشير إلى إعجابه بها من خلال تصويره مكاتها بين القصائد الأخرى ، حتى إذا وقع على بيت القصيد راح يصور ممدوحه بما فيه من ملاح بارزة في دائرة الفضيلة العربية الأصيلة ، وهي فضيلة قوامها الشجاعة والجلود والوفاء والعنف في محاربة الأعداء وقتالهم ، وكأن الشاعر بهذا كان يضع القواعد والأصول الثابتة لقصيدة المدح العربية في شكلها ومحتواها ، حتى اتخذت من بعده نمطا



ثابتاً ، قد يشوبه التجول في بعض الأحيان ولكنه — غالباً — ما يكون تحولا محدودا تحكمه القدرات الخاصة لكل شاعر خاض في هذا الفن .

ولعل فلسفة اختيار هذه القصيدة تستند — إلى جانب كونها واحدة مشهورة من روائع شعر المدح العربي — إلى رؤيتها من منظور القِدَم ، والإغراق في عرض مجموعة صفات أصبحت تمثل معجماً شعرياً يستمد منه الشعراء كثيراً من الصور بعد المسيب .

ومن أهم الملامح الفنية التي تسجلها القصيدة ما لجأ إليه صاحبها من اعتماد واضح على الصيغ التقريرية المباشرة وقلة التصوير ، بل بساطة الصورة حين يأتي بها على قلة الأمر الذي يمكن رده إلى محدودية خيال شعراء البيئة عموماً ، وهو ما يكتمل تصوره إذا أضفنا إليه تلك الرؤى الفكرية التي يغلب عليها طابع البساطة والسهولة والسرعة في عرض الصفات على ما فيها من إطلاق وتعميم تسنده المقارنة بين هذا الممدوح وبين غيره من البشر . كما تزداد حاجة الشاعر إلى هذا الوضوح حين يعود في ختام القصيدة ليُجَمِّل في البيت الأخير ما سبق أن فصَّله في أبيات المدح ، بل يزداد حرصه حين يلجأ إلى تحليل ما هو يعده من عرض تلك الصفات .

فشكل القصيدة نمطاً أصبح بدايةً وأصلاً للتقليدية في هذا الفن ، وقد ظل محتواها — كما هو واضح — نموذجاً يُحتذى ، ولكنه أكثر قابلية للتجديد والإضافة والابتكار بعيداً عن تلك البساطة التي تطلبت من الشاعر قلة التصوير وضرورة الاستعانة بالشرط في عرض كل صفة على حدة ، أوحى كثرة عقد المقارنات بين ممدوحه وبين غيره من الممدوحين حتى تسهل له مهمة الاستمرار في التنظيم .

عبد الله التطاوي

## تِيَارُ الْفُرَاتِ

\* \* \*

- ١ أَرَحَلْتُ مِنْ سَلَمَى بَغِيرِ مَتَاعٍ قَبْلَ الْعُطَاسِ وَرُعْتَهَا بَوْدَاجٍ
- ٢ مِنْ غَيْرِ مَقْلِيَةٍ وَإِنْ حَبَالَهَا لَيْسَتْ بِأَرْمَامٍ وَلَا أَقْطَاعٍ
- ٣ إِذْ تَسْتَبِيكَ بِأَصْلَتِي نَاعِمٍ قَامَتْ لَتَفْتِنَهُ بَغِيرِ قِنَاعٍ
- ٤ وَمَهَا يَرِفُ كَأَنَّهُ إِذْ ذُقْتَهُ حَانِيَّةٌ تُجْبِتُ بِمَاءِ يَرَاعٍ
- ٥ أَوْ صَوْبُ غَادِيَةٍ أَدْرَتْهُ الصَّبَا بِيَزِيلٍ أَزْهَرَ مُدَحِّجٍ بِسَيَاحٍ
- ٦ فَرَأَيْتُ أَنَّ الْحَكَمَ مَجْتَنِبُ الصَّبَا وَصَحَّوْتُ بَعْدَ تَشْوِيقٍ وَرُوعٍ

\* \* \*

- ٧ قَتَصَلْ حَاجَتَهَا إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ بِخَمِيصَةٍ مُرْجِ الْيَدَيْنِ وَسَاحٍ
- ٨ مَكَاةً ذَمْلِيَّةٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهَا حَرَجٌ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهَا هِلَوَاعٍ

(١) المتاع : ما يحمله المسافر من زاد . العطاس : الصبح .

(٢) المقلية : البنض . الحبل الأقطاع : يشير به إلى المجرى والقطعية .

(٣) تستبيك : تأسرك وتوقعك في حبها . الأصل : الخلد الناعم .

(٤) المها : البلور بما فيه من صفاء ونقاء . يرف : يزلزالاً ويلعب . حانية : يقصد بها الخمر نسبة إلى عانة بالعراق . الشج : المزج . اليراع : القصب .

(٥) صوب غادية : ماء صحابة . أدرفته : استخرجت ماءه . السباح : الطين . الأزهر : الإبريق .

(٦) الحكم : الحكمة . الصبا : الصبوة .

(٧) تسل حاجتها : يطالب نفسه بالسوعتها والانصراف عن ذكرها إذا هي أعرضت عنه أو هجرته أو نوت قطعه . الخميصة : الضامرة إشارة إلى شدة هزالها وضهور بطنها . مرج اليدين : إشارة إلى سرعتها في السير . وساح : واسعة في سيرها .

(٨) ذملبة : مريضة . حرج : ضخمة تمتد طولها على وجه الأرض . مكاة : تقارب ركبتها حتى يصل بعضها بعضاً ، وهي من صفات النعامة استعارها للنافاة . هلواع : مستخفة تكاد تنزع من شدة نشاطها . والمطلع : الخلفة والسرعة في الجرى .

- ٩ وَكَأَنَّ قَنْطَرَةَ بِمَوْضِعِ كُورِهَا      مَلَسَاءَ بَيْنَ غَوَامِضِ الْأَنْسَاعِ  
 ١٠ وَإِذَا تَعَاوَرَتِ الْحَصَى أَخْفَأُهَا      دَوَى نَوَادِيهِ بِظَهْرِ الْقَاعِ  
 ١١ وَكَانَ غَارِبَهَا رِبَاوَةٌ تَحْرِمُ      وَتَمُدُّ نَحْيَ جَدِيلِهَا بِشِرَاعِ  
 ١٢ وَإِذَا أَطَقَتْ بِهَا أَطَقَتْ بِكُلِّكِلِ      نَبِيضُ الْفَرَائِصِ يُجْفِرُ الْأَضْلَاعِ  
 ١٣ مَرِيحَتْ يَدَاهَا لِلتَّجَاءِ كَأَنَّمَا      تَكْرُو بِكَفِّي لَاعِبٍ فِي صَاعِ  
 ١٤ فِعْلُ السَّرِيعةِ بَادَرَتْ جُدَادَهَا      قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهْمٌ بِالْإِسْرَاعِ  
 ١٥ فَلَاهِدَيْنِ مَعَ الرِّيحِ قَصَصِيدَةٌ      مَنَى مُغْلَقَةً إِلَى الْقَعْمَقِ  
 ١٦ تَرْدُ الْمِيَاهِ فَا تَزَالُ غَرِيبَةً      فِي الْقَوْمِ بَيْنَ تَمَثُّلٍ وَتَمَاعِ  
 ١٧ وَإِذَا الْمُلُوكُ تَدَافَعَتْ أَرْكَانُهَا      أَفْضَلَتْ فَوْقَ أَكْفِهِمْ يَدْرَاعِ

(٩) الكور: كور الرجل شحبه وأداته • الأنساع: سيور جلدية يشد بها الرجل •

غوضه: دخوله في جلدها • يصور ناقته ملساء الظهر •

(١٠) تماورت: تبادلت • دوى: صوت • نوادي الحصى: ما تقدم منه •

القاع: ما استوى من الأرض • الغارب: ما بين العنق والسانم •

(١١) الربابة: ما يمتد من الأرض الغليظة • المقوم: منقطع في الجبل • الجدبل: الزمام •

نحي الجدبل: ما اتفنى منه بالهد • الكلكل: الصدر •

(١٢) الفرائص: اللحم في مرجع الكتف • نبضها: شدة حركتها • مجفر الأضلاع: واسع الأضلاع •

(١٣) التجاء: السرعة • تكرو: تلمب بالكرة إشارة إلى سرعتها • الصاع: منخفض من الأرض •

(١٤) الجداد: ما بقي من غيوط الثوب • استمار لثاقة صورة المرأة التي تحوك ثوبا وتريد إتمامه بسرعة إشارة إلى سرعة يديها •

(١٥) مغلقة: يستعين بها الناس فيسلكون بها ما هو غامض •

(١٦) غريبة: يشير إلى سعة انتشارها وغرائبها على كل قوم تصل إليهم ويعجزون عن نظم مثلها •

(١٧) تدافعت أركانها: اشتد تراجعها عند المفارقة • أفضلت: زدت عليهم، وارتفعت عنهم •

- ١٨ وإذا تهبج الريح من صُرَادِهَا  
 ١٩ أَحَلَّتْ بَيْتَكَ بِالْجَمِيعِ وَبَعْضُهُمْ  
 ٢٠ وَلَآئَتْ أَجُودَ مِنْ خَلِيجٍ مُفْعَمٍ  
 ٢١ وَكَأَنَّ بُلُقَ الْخَلِيلِ فِي حَافَاتِهِ  
 ٢٢ وَلَآئَتْ أَشْجَعُ فِي الْأَعَادَى كُلِّهَا  
 ٢٣ يَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ الْكَثِيرِ سِلَاحُهُمْ  
 ٢٤ أَنْتَ الْوَفِيُّ فَمَا تُدْمُ وَبَعْضُهُمْ  
 ٢٥ وَإِذَا رَمَاهُ الْكَاشِشُونَ رَمَاهُمْ  
 ٢٦ وَلِذَاكُمْ زَعَمْتُ تَسِيْمٌ أَنَّهُ
- نَلَجَا يُنْبِخُ النَّيْبُ بِالْجَمْعِ  
 مُتَفَرِّقٌ لِيَحُلَّ بِالْأَوْزَاعِ  
 مَتْرَاكِمْ الْآذَى ذِي دُقَاعِ  
 يَرْمِي يَهْرَبُ دَوَالِي الزَّرْعِ  
 مِنْ مُخْدِرِ لَيْثٍ مُعِيدِ وَقَاعِ  
 فَيَبِيْتُ مِنْهُ الْقَوْمُ فِي وَعَوَاعِ  
 تُورِي بِدِمْنِهِ عُقَابُ مُلَاعِ  
 بِمَعَابِلِ مَذْرُوبَةٍ وَقِطَاعِ  
 أَهْلُ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى وَالْبَاعِ

\* \* \*

- (١٨) الصرَاد: رياح باردة ممطرة . النيب: إناث الإبل المسنة . الجمعاع: موضع بروك البعير .  
 يصور الإبل وقد عجزت مسانها عن مناهرة مباركها لشدة البرد وقسوته .  
 (١٩) الأوزاع: المتفرقون .  
 (٢٠) الآذَى: الموج أو السيل . ذى دقاع: يدفع الماء بمضه بعضا لكثرة .  
 (٢١) الدوالي: ج دالية آلة للسقى . يصور الخليج وهو يرمى بموجة دوالي الزراع .  
 (٢٢) المخدر: الأسد اتخذ الأجمة خدرا له . المعيد: الذى يعيد فعل الشيء . الوقاع: ج وقعة .  
 كوقعة الحرب إشارة إلى كثرة اقتراسه .  
 (٢٣) الوعواع: الجلبة والصياخ .  
 (٢٤) ملاع: اسم مكان ينسب إليه العقبان . يصور وفاءه بعهده وذمته وعفته عن الطمع في  
 جاره كما يفعل غيره ممن يهدرون حق الجوار .  
 (٢٥) الكاشح: المنفض . المعابل: النصال . المذروبة: المحدودة . القطاع: نصال مريضة قصية .  
 (٢٦) الباع: يشير بها إلى شدة إسرافه في الندى أو الكرم .  
 « ترا جع القصيدة في ديوان المفضليات بتحقيق الأستاذين أحمد شاكر  
 وعبد السلام هارون » .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ

\* \* \*

ينتهي نسبه إلى قبيلة قيس بن ثعلبة إحدى فروع قبائل بكر بن وائل الضخمة التي كانت تنزل في إقليم البحرين بالمنطقة الشرقية من الجزيرة العربية على سواحل الخليج ، وهي المنطقة التي هاجرت إليها مع أختها تغلب في أعقاب حرب البسوس .

ولد طرفة في البحرين في أسرة كريمة الأصل وافرة الثراء ، وتوفى أبوه وخلفه صغيراً في رعاية أمه « وردة » ، وعانى في صغره من ظلم أعمامه له ولها ، فقد غلبوها على حقهما في الميراث وأكلوه ظلماً . وهو ظلم تتردد أصداؤه في شعره ، تارة في شكوى صريحة منهم ، وتارة في شكوى عامة من « ظلم ذوى القربى » .  
والأخبار التي بين أيدينا عن حياة طرفة قليلة ، وربما ساعد على قلة قصص عمره ، فقد قُتل وهو ابن عشرين سنة ، أو — على أبعد تقدير — وهو ابن ست وعشرين ، وهو ما تذكره أخته « الحرق » في بعض شعرها :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ حِجَّةً      فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا  
يُخَمِّنَا بِهِ لِمَا رَجَّوْنَا لِيَابَهُ      عَلَى خَيْرِ خَالٍ لَا وَلِيدًا وَلَا قَمًّا

وكان مقتل طرفة في مأساة تتردد أمثالها في الروايات العربية القديمة التي تتحدث عن العلاقة بين الشعراء الجاهليين وملوك البلاط الحيرى ، فقد كان طرفة وخاله المُتَمَسِّس الشاعر نديمين للملك عمرو بن هند وأخيه قابُوس الذي كان يرشحه للملك من بعده . ولأسباب تختلف الروايات حولها تطاول طرفة عليهما فهجاهما في

بعض شعره ، فكتب عمرو بن هند إلى عامله على البحرين كتابين يأمره فيهما بقتل الشاعرين ، وسلمهما لهما بعد أن أوهمهما أنه يأمره فيهما بجائزتين لهما .  
 وشك المتأخر في كتاب الملك ، فدفع به إلى من قرأه له ، فلم يعرف ما فيه  
 قذف به في نهر الحيرة وفرّ ناجيا بحياته إلى ملك الغاسنة بالشام . وأما طرفه فقد  
 رفض نصيحة خاله بفحص كتابه لمعرفة ما فيه ، ومضى في طريقه إلى عامل  
 البحرين الذي نفذ فيه أمر الملك فقتله .

وليس من اليسير — كما هو الشأن مع كل الشعراء الجاهليين — أن نحدد  
 تاريخ مقتله ، ولكن إذا كان حكم الملك عمرو بن هند قد انتهى في سنة ٥٦٨  
 أو ٥٦٩ ليلاد ، فإن مقتل طرفه لابد أن يكون قبل هذا التاريخ ، ولكن يظل  
 من العسير بعد ذلك أن نحدد السنة التي قُتل فيها تحديدا قاطعا ، وإن يكن بعض  
 الباحثين المحدثين يرجحون سنة ٥٦٤ تاريخا لمقتله . فإذا أخذنا بما ذكرته أخته من  
 أنه عاش ستا وعشرين سنة فإن مولده يكون حوالى سنة ٥٣٨ .

وشعر طرفه كأخباره قليل أيضا ، فالصحيح الثابت منه قليل . وأشهر قصائده  
 من هذا الثابت الصحيح معلقته « لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ يَبْرُقَةُ نَهْمِدٍ » ثم رائيته « اصْحَوْتَ  
 الْيَوْمَ أَمْ شَاقَّتْكَ هِرٌّ » .

وطرفة — على قصر حياته وقلة شعره — من كبار شعراء العصر الجاهلي ،  
 ويضعه ابن سلام في الطبقة الرابعة من خول هذا العصر مع طلقمة بن عبدة وعبيد  
 ابن الأبرص وعدى بن زيد ، ويقول إن موضعهم مع الأوائل لولا قلة شعرهم  
 بأيدي الرواة .

ويتراءى طرفه في شعره شابا ثائرا متمردا على الحياة ، شديد الإحساس بالمصير  
 المحتوم الذي حدده القدر للإنسان فيها ، وكأنه يرفض الاستسلام لما وله ، فلا يجد

أمامه إلا الاستمتاع بها إلى آخر قطرة فيها قبل أن يدركه هذا المصير . وفي غير قليل من شعره يتراءى كأنَّ يذنبه وبينها سبّاقا يريد أن يصل إلى غايته قبل أن يحول المصير يذنبه وبينها .

وأسلوب طرفه أسلوب بدوى في لغته وصوره . وفي بعض قصائده ترتفع هذه البداوة إلى أقصى درجاتها ، وكأننا لم نؤثر فيه حياته في المنطقة الشرقية القريبة من مراكز الحضارة المتقدمة في عصره ، وإن كنا — مع ذلك — لا نفتقد بعض الصور الحضارية في شعره التي تسربت إليه من اتصاله بهذه المراكز الحضارية وما يراه فيها من مظاهر حياة لا يراها في مجتمعه البدوى . ولكن الحقيقة التي تكشف عنها هذه الصور تؤكد أن اتصال طرفه بهذه المراكز كان اتصال الشاب البدوى الذي لم تنفذ هذه الحضارة إلى أعماقه ، فظل — على الرغم من كل شيء — بدويا في لغته وصوره وأسلوبه .

\* \* \*

يوسف خليل

## من المعلقة

\* \* \*

تُعَدُّ معلقة طرفة أطول المعلقات العشر ، فهي تبلغ — في رواية التبريزي —  
 لها — مائة وخمسة من الأبيات . وهي تبدأ بمقدمة طلبية يقف فيها الشاعر  
 بأطلال صاحبه « خولة » ، ويطلب إلى أصحابه — كما طلب امرؤ القيس من  
 قبل — أن يقفوا مطيهم بها . ثم ينتقل إلى الحديث عن رحلة الطعان ، فيصف  
 القافلة المسافرة ، ويصف جمال صاحبه ، ثم يمضي إلى وصف ناقته ، فيطيل  
 فيه إطالة ملحوظة تشغل من المعلقة ثلاثة وثلاثين بيتا ، وكأنما شغلته ناقته عن  
 كل شيء ، ويقف أمامها وقفة المثال البارع يسوئ لها تمثالا رائع الجمال ، بالغ  
 الدقة ، غنياً بالتفاصيل الدقيقة والجزئيات الصغيرة ، يحرص فيه على أن يوقى كل  
 جزء منه حقّه ، وكأنه يريد أن يقدم تمثالا نابضا بالحياة « للناقة المثال » التي  
 نستحق أن يقف أمامها وقفة العاشق المفتون ، يتغنى بها هذا الغناء الطويل ،  
 ويعزف لها هذه المعزوفة الضخمة المتنوعة الأنغام والألحان . ثم يمضي الشاعر  
 بعد ذلك في حديث ذاتي يتغنى فيه بفتوته وجرأته وكرمه ولطوه وجمره ونسائه ،  
 وإنفاقه كل شيء في سبيل لذته ، حتى انتهى به الأمر إلى تخلّي قبيلته عنه وخلعها  
 له . ثم ينتقل إلى تسجيل فلسفته في الحياة والموت ، فالحياة فانية ، والمصير  
 محتوم ، والموت قدر مقدور ، والنهاية للجميع واحدة . وإذن فقيم إضاعة



الإنسان لحياته دون اغتنام كل فرصة لإثبات وجوده فيها ؟ وفيما تبديد أيام عمره المعدودة دون اقتناص كل لحظة فيها للاستمتاع بكل ما تتيحه له من مُتَعٍ مِنْ قَبْلِ أن يضع الغيب المجهول نهايتها المحتومة التي لا يعرف ما وراءها ؟ ثم ينتقل بعد ذلك إلى الشكوى من ظلم أقاربه له ، ويشكو من موقف ابن عم له قطع ما بينهما من جبال القربى وأواصرها . ثم يعود مرة أخرى — قبل أن يصل إلى نهاية القصيدة — إلى الفخر بنفسه ، والتغنى بشجاعته وجرأته وكرمه ونجدته ومروءته . ثم تأتي النهاية طائفة قليلة من الحكم تدور حول المحور الأساسي الذي دارت حوله القصيدة : الحياة والموت والمصير والغيب المجهول .

وتأتي أهمية معلقة طرفة من أنها قصيدة ذاتية خالصة ، قرَّعَ فيها لنفسه دون أن تزجَّه حقوق القبيلة عليه ، واستطاع أن يرسم فيها صورة معبرة عن نفسه وشخصيته ، صادقة بكل الصدق في نقل مشاعره ، صريحة كل الصراحة في رصد ما يدور في أعماقه من قلق وشك وحيرة . ولا تكاد تعدلها في هذا الموقف من بين المعلقات الأخرى إلا معلقة امرئ القيس ، ولكن إذا كانت معلقة امرئ القيس تعكس شخصية الشاب السعيد المتفائل المحظوظ المدلل الذي لا يشغله في حياته سوى صاحباته وأصحابه : صاحبات حبه ولطوه ، وأصحاب صيده وقنصه ، فإن معلقة طرفة تعكس شخصية أخرى مختلفة تماما عن هذه الشخصية . إنها تعكس شخصية شاب قلق في حياته ، متشائم منها ، شاكٍّ فيها ، يدفعه قلقه وتشاؤمه وشكه إلى الإقبال على الحياة ليستمتع بها من قبل أن يدركه مصيره المحتوم الذي لا يدري ما وراءه إلا أنه غيب مجهول محجب ، وربما لم يكن وراءه شيء ، وربما كان الموت هو النهاية التي يتساوى عندها الجميع : مَنْ أسرفوا على أنفسهم في الحياة ،

وَمَنْ ضَمَّنَا بِهَا عَلَيْهَا ، فَكَلَا الْفَرِيقَيْنِ فِي حَفْرَتَيْنِ مُتَشَابِهَتَيْنِ « عَلَيْهِمَا صَفَاخٌ صُمٌّ  
مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدٍ » .

\* \* \*

- ١ لِيَحْوِلَةَ أَطْلَالٌ بُبْرَقَةٍ تَهْمِدُ      تُلُوحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
- ٢ وَفَوْقًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مِطْيَاسِهِمْ      يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكِ أُمِّي وَتَجَلَّدِ
- ٣ كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُودٌ      خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدٍ
- ٤ عَدُولِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِينَ      يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي

(١) حولة : اسم صاحبه التي يقف بأطلالها . وبقرة تهمد : اسم مكان ، والبرقة كل رابية  
يختلط فيها رمل وطين أو حجارة وطين . يشبه الأطلال آثار الوهم التي مازالت باقية في ظاهر اليد ،  
واختار ظاهر اليد للدلالة على أن هذه الآثار ظاهرة للعين يراها كل من يمر بالأطلال .

(٢) التجلّد : التماسك والصبر عند الشدائد . والبيت تكرار لبيت امرئ القيس في مقدمة معلقته  
لم يغير فيه سوى القافية :

وفوقاً بها صحبي على مطيئسم      يقولون : لا تهلك أُمِّي وَتَجَلَّدِ

(٣) الحدودج : جمع حدج (بكسر الحاء) وهو الحدودج . والمالكية : هي صاحبة حولة .  
والخلايا : السفن الكبيرة ، جمع خلية . والنواصف : المناطق الرحبة الواسعة في الوديان . ودَد :  
اسم مكان . يشبه هودج الظمائن وهي تمضي في رحاب هذه المنطقة بالسفن الضخمة وهي تمضي في  
أرجاء البحر الفسيحة .

(٤) عدولية : منسوبة إلى عدول ، وهي مدينة على سواحل البحرين مشهورة بصناعة السفن .  
وابن يامين : ملاح من أهل هجر ، وهي مدينة على سواحل البحرين أيضا ، ويدّوا أنه كان ملاحا  
مشهورا في هذه المنطقة . يجور : يميل بها ويخرف عن الطريق الصحيح . والبيت وصف للسفن التي  
أشار إليها في البيت السابق ، والتي يشبه بها قافلة الظمائن . والبيتان يمسكان تأثر الشاعر ببينة البحر التي  
كانت قبيلة تنزل بها .

- ٥ يَسْقُ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِهَا      كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ  
٦ وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ      مَظَاهِرُ سِمَطَى لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجِدِ  
٧ خَذُولُ تُرَاعِي رَبَّابًا بِخَيْلَةٍ      تَسَاوُلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِي  
٨ وَتَقِيمُ عَنِ الْمَيِّ كَأَنَّ مُنَوَّرًا      تَحُلُّ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصُ لَهُ نَدَى

(٥) حباب الماء : أمواجه أو الزبد الذي يعلو سطحه . والحيزوم : الصدر ، يريد به مقدمة السفينة . والضفير في « بها » يعود على السفن . والمفايل : الذي يشترك في لعبة الفبال أو المغايلة ، وهي لعبة لصبيان العرب يكتومون رأيا أو رملا ، ثم يجثون فيه شيئا ، ثم يثقل المفايل هذه الكومة بيده فيقسمها قسمين ، ثم يقول للاعبين : في أي الجانبين شبات ؟ فن أصاب ظفر ، ومن أخطأ خسر . والنسمة مأخوذة من قولهم للناسر : فال رأيك ، أي خاب وأخطأ وانحرف عن المسواب . والبيت يمسك استزاج صور البحر والصحراء في أعماق الناهر .

(٦) الأحوى : الظلي له خطتان من سواد وبياض ، يشبه به صاحبه . والمرد : ثمر الأراك الناضج . وينفضه : أي يهزه بقرنيه فيتساقط عليه . والشادن : الظلي الصغير الذي اقترب من الاستغناء عن أمه . والمظاهر هنا : التي يلبس عقدين أحدهما فوق الآخر . والسمة : العقد من الجواهر الكريمة . يشير بهذا إلى أن صاحبه مترفة غنية حريصة على زينتها وحليها .

(٧) الخذول : الظبية التي خللت القطيع وانفردت عنه لتراعي صغيرها ، يشبه بها صاحبه بعد تشبيه لها بالظلي الصغير في البيت السابق . والربرب هنا هو قطع الظباء . وتراعيه : تنظر إليه وتراقبه وتمد جيدها نحوه فيبدو طولها وجمالها واعتدالها . والتجيلة : الأرض المبللة المائية الخصب التي يكثر فيها الشجر . والبرير : ثمر الأراك الذي لم يتفج . وتساوُل أي تتناول حذف إحدى التاءين تخفيفا . وترتدي : يريد أن أغصان الأراك تهدل عليها حين تمد عنقها إليها لتتناول ثمرها فتكسوها . والعورة مرسومة بدقة بأدعة ، وهي من أجل ما رسم شاعر جاهلي من صور الظباء .

(٨) الأملى : الأسمر الثلاث ، يريد نعمرها ، وسمة اللثة من علامات الجمال عند العرب . والمنورة : يريد به الأتوان الذي ظهر نوره ، والعرب يشبهون الأسنان به . وتخلل حر الرمل : أي نبت في وسطه ، وحر الرمل : أكرمه وأصفاه وأحسنه ألوانا . والدعص : الكشيح من الرمل . والضفير في « له » يعود على المنور . والندى : الذي أحاط به الماء ، فهو لذلك أكثر نضارة .

- ٩ سَقَّتْهُ إِيَّاهُ الشمسُ إِلَّا لِسَانَهُ أَسِفٌ ، وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ ، بِإِثْمِدِ  
١٠ وَوَجْهَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَقْتَرِدَاءَهَا عَلَيْهِ نَقَى اللَوْنِ لَمْ يَتَّخِذْ

\* \* \*

- ١١ وَإِنِّي لَأَمِضِي أَلْهَمَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بَعُوجَاءَ مِرْقَالِ تَرُوحُ وَتَفْتَدِي  
١٢ أُمُونٍ كَأَلْوَجِ الْإِرَانِ نَسَائُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرُ بُرْجِدِ  
١٣ تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ ، وَأَتَّبَعْتُ وَطِيفًا وَطِيفًا فَوْقَ مَوَرِّ مُعْبِدِ

(٩) إِيَّاهُ الشمسُ : ضوءها وشعاعها . وَالْهَاءُ فِي « سَقَّتْهُ » تَعُودُ عَلَى النَّفْرِ . وَمَعْنَى سَقَّتْهُ : أَكْبَتَتْهُ بِيَاضًا وَأَشْرَبَتْهُ حَسَنًا . يَرِيدُ أَنْ تَفْرَحَ أَبْيَضَ وَلِثَانَهَا سَمَرًا . وَأَسِفٌ بِإِثْمِدِ : أَيِ ذَرَعِيهِ الْإِثْمِدِ وَهُوَ الْكَعْلُ ، وَالتَّعْبِيرُ عَلَى التَّشْبِيهِ ، يَقُولُ كَانَ تَفْرَحُ ذَرَّ عَلَيْهِ كَعْلٍ فَصَيَفَهُ بِصِبْغَةِ سَمَرٍ ، وَسَمَرَةُ الشَّفَاءِ مِنْ عِلَامَاتِ الْجَمَالِ عِنْدَ الْعَرَبِ . وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ : أَيِ لَمْ تَعْمَضْ عَلَيْهِ شَيْئًا صَليًا فَيُؤْثِرَ فِي اسْتِوَاءِ أَسْنَانِهَا .  
(١٠) كَانَ الشَّمْسُ أَقْتَرِدَاءَهَا عَلَيْهِ : تَصَوُّيرٌ لَجَمَالِهِ وَصِفَائِهِ وَإِشْرَاقِهِ ، يُوَكِّدُهُ وَصْفُهُ لَهُ بِأَنَّهُ « نَقَى اللَوْنِ » . وَلَمْ يَتَّخِذْ : لَمْ يَضْطَرْبْ جِلْدَهُ وَلَمْ يَتْرَهَّلْ لِحْمَهُ ، أَيِ لَمْ تَعْبِهِ غَضُوضٌ أَوْ تَجَاعِيدُهُ بِصَبْغِهِ بِالشَّبَابِ وَالْحَيَوِيَّةِ وَالنَّضَارَةِ . وَالْعُصُورُ فِي هَذِهِ الْأَبْهَاتِ مِنْ أَجْلِ مَا عَرَفَهُ الشَّعْرُ بِالْجَاهِلِيَّةِ . وَإِلَى هُنَا تَنْتَهِي الْمَقَدِّمَةُ الْعَالِيَّةُ .

(١١) مِنْ هُنَا يَبْدَأُ الشَّاعِرُ وَصْفَ نَاقَتِهِ الَّتِي يَنْطَلِقُ فَوْقَهَا إِلَى الصَّحْرَاءِ لِتَمْنِي مَشَاطِلَهَا فِي فُضَائِهَا الْإِلَهَاتِيَّةِ ، وَلِيَنْفِضَ هُمُودَهُ فَوْقَ رِمَالِهَا الْمَتْرَامِيَّةِ إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ . الدَّوَجَاءُ : النَّاقَةُ الضَّاحِرَةُ . وَالْمِرْقَالُ : السَّرِيمَةُ . وَقَوْلُهُ « تَرُوحُ وَتَفْتَدِي » يَرِيدُ بِهِ أَنَّهَا تَعْلُ الرُّوْحَ بِالْقُدْرِ ، أَيِ تَعْلُ آخِرَ النَّهَارِ بِأَوَّلِهِ فِي سَبِيلِهَا دُونَ تَوَقُّفٍ ، وَمِنْ هُنَا كَانَ وَصْفُهَا بِالْعُوجَاءِ وَالْمِرْقَالِ .

(١٢) الْأُمُونُ : الَّتِي يُؤْمِنُ عِثَارُهَا لِقُوَّةِ بَنِيَانِهَا وَتَمَامِهَا . وَالْإِرَانُ : تَابُوتٌ يَحْمِلُونَ فِيهِ الْمَوْتِ مِنْ سَادَتِهِمْ وَكِبَرَاءَتِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ . وَنَسَائُهَا : ضَرْبَتُهَا بِالْمَنْسَأَةِ وَهِيَ الْعَصَا ، وَيُرْوَى « نَسَائُهَا » ، وَهِيَ بِمَعْنَى وَاحِدَةٍ . وَاللَّاحِبُ : الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ آثَارُ الْمَشْيِ . وَالْبُرْجِدُ : كَسَاءٌ يَخْطُطُ مِنْ أَكْسِيَةِ الْأَهْرَابِ ، شَبَّهَ آثَارَ الْمَشْيِ الَّتِي فِي الطَّرِيقِ بِخَطْوَلِهِ .

(١٣) الْعِتَاقُ : الْكَرِيمَةُ الْأَصْلُ . وَالنَّاجِيَاتُ : السَّرِيمَةُ ، يَرِيدُ أَنَّهَا تَسْبِقُ غَيْرَهَا مِنَ النَّوْقِ الْأَصْلَةِ السَّرِيمَةِ . وَالْوَطِيفُ : عَظْمُ السَّاقِ ، وَقَوْلُهُ « وَأَتَّبَعْتُ وَطِيفًا وَطِيفًا » يَرِيدُ بِهَا أَنَّهَا تَضَعُ وَطِيفَ رِجْلِهَا مَوْضِعَ وَطِيفِ يَدِهَا ، وَهُوَ مِمَّا يَسْتَحِبُّ فِي سَبْرِ الْإِبِلِ ، وَلِذَلِكَ يَجْتَدِحُونَ النَّاقَةَ بِأَنَّهَا « خَرَقَاءُ الْيَدِ » صَنَاعُ الرَّجُلِ « يَرِيدُونَ أَنَّهَا تَبْدَعُ بِسَدِّهَا بِدُونِ تَقْدِيرِ مَوْضِعِهَا ، وَلَكِنَّهَا تَقْدِرُ مَوْضِعَ رِجْلِهَا حَيْثُ رَضَعَتْ يَدَهَا . وَالْمَوَرُّ : الطَّرِيقُ . وَالْمُعْبِدُ : الْمَذَلُّ الَّذِي يَهْدِي بِالسَّبِيلِ فِيهِ ، وَظَاهَرَتْ فِيهِ آثَارُ الْمَشْيِ .

- ١٤ تَرَبَّعتُ القُفَّينِ في الشَّوْلِ تَرَبَّعِي حَدائقَ مَوَلِيَّ الأيسرَةِ أغْيَدِ  
 ١٥ كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبِّهَا لَتُكْتَنَفَنَ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمِدِ  
 ١٦ على مِثْلِها أَمْضَى إِذا قال صاحبي : أَلَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْها وَأَفْتِيدي  
 ١٧ وَجاشتُ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوْفاً، وَخَالَهُ مُصَابِبا وَلو أَمَسَى على غَيْرِ مَرَصِدِ  
 ١٨ إِذا القَوْمُ قالوا: مَنْ قَتَى؟ خِلْتُ أَنِّي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

(١٤) القف : ما ارتفع من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً ، والفقان هنا موضع معين . وتربته : أى رعت الربيع فيه . والشول : جمع شائلة ، وهى الناقة التى مضى عليها بسد وضعها سبعة أشهر ، تخف لبنها وشال ضرعها . و « فى » هنا بمعنى « مع » . والمولى : الذى أصابه الولي ، وهو المطر الثانى من أمطار السنة ، أما المطر الأول فيسمى « الرومى » . والأمره : بطون الأردنية ، وفيها يجتمع ماء المطر أكثر من المرتفعات . والأغيد : الناهم اللين من النعمة ، صفة « لمولى الأمره » . يصف قائده فى مرعاها ، ويخبرها بفصل الربيع لخصبه ووفرة نباته ، ويجعلها مع صواحبتها من النوق الشوائل ليكون أدهى لرعاها ، وأشد إغراء لها عليه .

(١٥) ربه : صاحبها ، والضمير يعود على القنطرة . وتكتنف : تحاط من أكتافها أى نواحيها ، والنون فيه نون التوكيد الخفيفة ، واللام لام القسم . وتشاد : ترفع . والقرمذ : الأجر وهو الطوب الذى يبنى به ، وهى كلمة فارسية معربة . يشبه ناقسه فى ضجاعتها وشدة بياضها بقنطرة تبغى لرجل رومى أقسم ألا يفرق الباقون عنها حتى يحكوا بناءها من كل جانب ، ويرفعوه بالأجر الصلب الشديد .

(١٦) الضمير فى « مثلاً » يعود على الناقة ، وفى « منها » يعود على الصحراء المفهومة من السياق . والحديث هنا يدور بين الشاعر وصاحبه وهما منطلقان فى رحلة فى أعماق الصحراء البعيدة الرهبة ، وصاحبه يعلن خوفه من الهلاك فيها ، ويشتمى لصاحبه ولنفسه النجاة منها ، وكأن طرفه يقتصر بجزأته على اختراقها ، وصبره على مشقتها .

(١٧) الضمير « إليه » يعود على صاحبه ، وخاله : أى خال نفسه . ومصابا : أى هالكا . ولو أَمَسَى على غير مرصد : أى ولو أَمَسَى فى موضع لا يرصده فيه عدو . والبيت استمرار فى وصف رهبة الصحراء التى يقتصر الشاعر بجزأته وصبره على اختراقها وشقتها .

(١٨) من قى ؟ : أى من قى لهذه الصحراء ؟ هكذا يقول الشراح القدماء فى تفسير البيت ، ويربطون بينه وبين البيتين التاليين . وفى رأى أن موضعه يجب أن يكون بعدهما ، ولا صلة له بهما ، وأن حديث طرفه عن قوته ليس وفقاً على اختراق الصحراء ، ولكنه حديث عام يبدأ به قطعة الفخر من معلقته ، فهو أشد ارتباطاً بحديث الفخر منه بحديث الناقة .

١٩ أَحَلَّتْ عَلَيْهَا بِالْقَطِيعِ فَأَجْذَمَتْ      وَقَدْ خَبَّ آلُ الْأَمْعَزِ الْمَتَوَقِّدِ

٢٠ وَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلِيدَةُ مَجَالِسِ      تُرَى رَبِّهَا أَذْيَالٌ سَخِلَ مُمَدَّدِ

\* \* \*

٢١ وَلَسْتُ بِحَلَالِ التَّلَاعِ خُفَافَةً      وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْقِدِ الْقَوْمُ أَرْقِدِ

٢٢ فَإِنْ تَبَيَّنِي فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ تَلَقَّنِي      وَإِنْ تَقْتَنَصْنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

٢٣ مَتَى تَأْتِنِي أَصْبَحُكَ كَأَسَا رَوِيَّةً      وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا غَانِيًا فَاغْنِ وَازِدِ

(١٩) القطيع : السوط ، وأحال عليها به أى أقبل عليها ضربا فى إثر ضرب . وأجذمت : أسمرت . والآل : السراب . وخب : جرى واضطرب . والأمعر : الموضع الغليظ الكثير الحصى . والمتوقد : الذى يتوقد بالحر .

(٢٠) ذالت : ماست وتبعثرت فى مشيتها ، وأصله من جرد الذيل اختيالا . والوليدة هنا : الجارية وربها : سيدها . والسعل : الثوب الأبيض . والممدد : الذى أرسلته فى الأرض وراحت تجرده وراءها . يشبه ناقته فى سيرها بهذه الجارية التى تختال فى ثيابها السابغة لمرض مفاتها على سيدها . وإلى هنا ينتهى الشاعر من وصف ناقته الذى اخترنا من أبياته الثلاثة والثلاثين هذه الأبيات العشرة ، ليعبدا بعد ذلك حديثه عن نفسه وشخصيته وآرائه فى الموت والحياة .

(٢١) التلاع : مجارى الماء التى تصب من المرتفعات إلى الوديان المنخفضة . وقوله « خفافة » يريد خفافة أن يراه ضيف فيقصده ، يفنخر بالكرم . والرفد : العطاء والمعونة . يقول إننى لا أتوازى فى الأماكن العالية عنى يطلب عطاى ومعونتى ، وإنما أنزل فى الأرض الفضاء المكشوفة لأعطى من يقصدهنى وأعين من يحتاج إلى .

(٢٢) حلقة القسوم يريد بها مجالس سادتهم التى يجتمعون فيها لإدارة الراى فى أمورهم . والحوانيت : بيوت الخمارين ، وهى ترادف كلمة « الحانات » . يفنخر بمشاركته فى جانبى الحياة الجاد واللاهى ، فهو إذا جد الجسد شارك سادة قبيله فى إداره أمورها وتحمل تبعاتها ، وهو فى ساعات اللهو يشارك أمثاله من فتيانها مجالس شراهم ولهوهم .

(٢٣) أصبحك : من الصبح وهو شرب أول التهاو . والكأس الروية : المثلثة بالتمر . وغانما : أى مستغنيا . يقول إن طلبت منادىتى وجدت عندى ما تطلبه من تمر ، وإن كنت مستغنيا عنها فأنت وشأنك تفعل ما تشاء .

- ٢٤ وإن يلتقي الحمى الجميع تلاقيني إلى ذروة البيت الرفيع المصمّد  
 ٢٥ ندامى يبيض كالنجوم ، وقينة تروح علينا بين برد ومجسد  
 ٢٦ رحيب قطاب الجيب منها ، رفيقة بجس الندامى ، بضّة المتجرّد  
 ٢٧ إذا نحن قلنا : أتميعنا ، انبرت لنا على رسلها مطروفة لم تشدد  
 ٢٨ وما زال تشربى الخجور ولذتي ويبى وإنفاقى طرينى ومثليدى

(٢٤) الجميع : المجتمعون للفاترة . والمصمّد : الذى يقصده الناس فى الأمور الجلية ، من المصمّد وهو القصد . يفتخر بمنزله فى قومه وشرفه بينهم .

(٢٥) يشبه ندامى على الشراب بالنجوم فى الحسن والوضاءة . والقينة : الجارية ، وهى هنا المغتية . بدلالة جواريات بعد ذلك . والبرد : الثوب الموشى المنقوش . والمجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران . يصف مجلس شراب حيث اتهم والاهو والغناء : ندامى صباح الوجوه ، وقينة تجيد فنون الإغراء ، ونحر تدور كؤومها بينهم وبينها ، ثم لم وخلاعة سيوكدهما الشاعر فى البيت التالى .

(٢٦) الجيب : الفتحة فى أعلى الثوب التى يلبس منها ، وقطابه : مجتمعه حيث قطب أى جمع . والرحيب : الواسع . « وقطاب » فاعل للصفة المشبهة « رحيب » . ويروى بالإضافة إلى رحيب . « ومنها » متعلق بقطاب الجيب . يصف قينة الحانة بأنها توسع قطاب جيبها لتكشف عن صدرها ، وسيلة من وسائل الإغراء . « رفيقة بجس الندامى » يريد أنها لاترد أيديهم عندما يجسونها بها . وكانت القيان فى العصر الجاهلى يفتقن فى أكامهن فتقاً إلى أعلى الذراع حتى الإبط حتى يثنى لرواد الحانات فرصة مد أيديهم للمهن ، والبضة : البيضاء الناعمة الرخصة اللينة ، والمتجرّد : جسدها المتجرّد من ثيابها .

(٢٧) على رسلها : أى على مهل ورفق . والمطروفة : الفاترة الطرف . ولم تشدد : أى لم تشدد ، غفّ إحدى النامى تخففاً ، يصفها بأنها تغنى فى غير جهد أو عناء غناء مهلاً لنا ، متعلّقا فى غير تكاف له أو تصنع فيه .

(٢٨) التشرب : الشرب الكثير . والطريف : الحديث . والمثلد : القديم . يريد ماله المكتسب وماله الموروث .

- ٢٩ إلى أن تحامتنى العيشيرة كلها وأفردت أفراد البعير المعبّد  
٣٠ رأيت بنى غبراء لا ينكرونى ولا أهل هذالك الطّراف الممدّد  
٣١ ألا أيهَذَا اللّائى أَحْضَرَ الوغى وأنّ أشهد اللّذات هل أنت مُخلدي ؟  
٣٢ فلان كنت لا تستطيع دفع منبّى قدغنى أبادرها بما ملكت يدي  
٣٣ ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودى

(٢٩) تحامتنى : تمنّيتنى وتباعدت عني . والبعير المعبّد : هو البعير الذى أصابه الجرب فطلى بالقطران لعلاجّه ، وأبعد من الإبل السليمة حتى لا يعبث بها .

(٣٠) بنو غبراء هم الفقراء ، والغبراء : الأرض ، كأنهم لا يملكون إلا ترابها ، أو كأنهم لاصقون بها . والطّراف : القبة تتخذ من الجلد يمزاجها من سائر الخيام ، ولا تكون إلا للأغنياء . والممدّد : الفسيح الرحب الذى مد بالأطناب . يريد أنه شخصية معروفة في مجتمعه ، يعرفه الفقراء المحتاجون لأنهم يعطيهم ، ويعرفه الأغنياء المعروفون في مجتمعتهم لأنه واحد منهم . وكأنه بهذا يريد اعتباره أمام عشيرته التى تحامته وتكرت له . وهو ما صرح به في البيت السابق .

(٣١) في رواية أخرى « الزاجرى » بدلا من « اللائى » . و « أحضر » تروى بالنصب على إضمار « أن » ، وتروى بالرفع على إسقاطها . والوغى : الحرب . يصرح هنا بجانب من رأيه في الحياة وموقفه منها ، أو — إذا استمرنا عبارات المحدثين — « فلسفته الوجودية » : إذا كانت الحياة قانية لا خلود لها ، وإذا كان الموت هو المصير المحتوم ، فلم لا تثبت وجودنا أمام هذا الفناء المقدّر علينا ؟

(٣٢) تستطيع : أى تستطيع ، حذفت تأوّه تخفيفا . البيت استمرار في هذه الفلسفة الوجودية : إن كنت — يا من تلومنى على مذهبي في الحياة — لا تملك أن ترد عنى الموت أو أن تضمن لى الخلود ، فلا تقف في طريقى ، ودعنى أستمتع بحياتى بكل ما أملك من قوة ، بل دعنى أبادد بالاستمتاع بها من قبل أن يدركنى المصير المحتوم الذى لا مفر منه .

(٣٣) « هن من عيشة الفتى » يريد أنهن مما يستحق الإنسان أن يحرص على حياته من أجله . وجدك : أى وحياتك ، قسم يتردد كثيرا في الشعر العربى القديم . العود : جمع عائد وهو من يزوره في سره . وقيام العود كناية عن الموت . يقول : لولا ثلاث منع في الحياة تستحق أن يعيش الإنسان من أجلها لم أكن أبالى متى يأتى يومى الذى أفارق فيه هذه الحياة . وهى المنع الثلاث التى سيفصل الحديث عنها في الآيات التالية .



- ٣٤ فَنَهْنَسَبِقُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرِيَّةٍ      كَمَيْتٍ مَتَى مَا تُعَلِّ بِالمَاءِ تُزِيدُ  
 ٣٥ وَكَرَى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُجَنَّبًا      كَسِيدَ الْغَضَى نَهَسَهُ الْمُتَوَرِّدُ  
 ٣٦ وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالِدَجْنُ مُعْجَبٌ      بِيَهْكَنَةٍ تَحْتَ الْخَبَاءِ الْمُعَمِّدُ  
 ٣٧ كَأَنَّ الْبُرَيْنَ وَالْدَّمَالِيجَ عُلِقَتْ      عَلَى عُشْرِ أَوْ خُرُوجٍ لَمْ يُخْضِدِ  
 ٣٨ فَذَرْنِي أُرَوِّ هَامَتِي فِي حَيَاتِهَا      خُفَافَةً شَرِبَ فِي الْحَيَاةِ مُصَرِّدُ

(٣٤) الكميت : انجر الحراء القانية . وتزيد : يريد أن الزيد يملوها عندما تخرج بالماء الذي يصيب فوقها . هذه أولى المنع التي يحرص على الحياة من أجلها . . انجر .

(٣٥) المضاف : الذي وقع في مأزق ضيق ، أو الذي أحبط به فلا يعرف له مخرجاً . والمجنَّب (بالجيم) ، ويروي الحنَّب (بالحاء) ، وهما الفرص في يديه أو رجله اختفاء ، وهو مما تمدح به الخيل لأنه علامة على شدتها . والسيد : الذئب . والغضى : شجر من أشجار البادية ، وذئاب الغضى عند العرب أخطب الذئاب ، لأنها تستخفى فيه وتهاجم الإنسان على غرة منه وغفلة . والمتورد : الذي يطلب ورد الماء ، أى الذى يلجئ نحوه ليرده ، صفة للذئب . ونهسته هيخته ، فى محل نصب حال من الذئب . يشبه فرسه فى هفقه وشدته بذئب الغضى الذى هيخته وأثرته وهو يسعى نحو الماء وقد استبد به العطش ، فيكون شديده الضراوة . وهذه هى المتعة الثانية . . الفروسية .

(٣٦) الدجن : الغيم الذى يغطي السماء فيصبحها ، أو هو المطار الغزير . ومعجب أى يعجب من رآه . وتقصير يوم الدجن رمز للهو والمرور . والبهكنة : المرأة المليحة الحلوة التى اكتمل جمالها . والخباء المعمد : الذى ارتفعت عمده . وهذه هى المتعة الثالثة . . المرأة .

(٣٧) البرين : الخلائيل ، واحدتها برة . والدماليج : الأساور ، واحدتها دملج ودملوج . والعشر : شجر من أشجار البادية أبيض ناعم لين العود . والخروج : كل نبات ناعم . ولم يخضد : لم يثن ، من خضد العود إذا ثناه لكسره . يشبه الشاعر ذراعى صاحبه وساقها بالعشر والخروج فى نومتها وليتها وملامتها .

(٣٨) الهامة : طائر فى أساطير الجاهليين يخرج من جسد الميت بعد موته ويظل يحوم حول قبره فترة ثم يختفى ، ولعله تمثل أسطورة الروح . والمصدر : القليل الذى يقطع عن الظمان قبل ريه . يطلب إلى من يلومه أن يتركه يطفى ظمأ روحه إلى الشراب من قبل أن يدرك الموت ولم ينل منه فى حياته إلا القليل الذى يحال يده ويذته قبل أن يرتوى منه .

- ٣٩ كريمٌ يروى نفسه في حياته  
٤٠ أرى قبرَ نَحَامٍ بخيلٍ بماله  
٤١ ترى جُثَتَيْنِ مِن تَرَابٍ ، عليهما  
٤٢ أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ، ويصطفى  
٤٣ أرى الدهرَ كثرًا ناقصًا كلَّ ليلةٍ  
٤٤ لعنكَ إن الموتَ ما أخطأ الفتي
- ستعلمُ إن متنا خدا أينما الصدى  
كقبرِ غَيَوَى في البطالة مُفسِدِ  
صفائحُ صُمٍّ من صفيحٍ منضدِ  
عَقِيلَةٌ مالِ الفاحشِ المتشددِ  
وما تنقُصُ الأيامُ والدهرُ ينقُصُ  
لَكَالطَوَلِ المُرْتَحَى وثِيابُهُ باليدِ

\* \* \*

(٣٩) الصدى : الغايء العلشان . وفي رواية أخرى « إن متنا صدى » (على المعنوية) أى إن متنا عطشا ، وفي رواية غيرهما « إن متنا صدى أينما » (على الإضافة) والصدى هنا هو ذلك الطائر الأسطوري . يطلب الى من يلومنه على إسرافه في الشراب أن يتركه يطفئ ظمأ روحه الى الشراب في حياته ، لأنه ليس على يقين بما بعد الموت ، وكأنه يخشى لائمته الذى حرم نفسه من متع الحياة بأنه لن يجد بعد الحياة شيئا من هذه المتع .

(٤٠) النحام : البخيل الذى يتنحج ويترج إذا سئل ، وكأنه يعامل ويستوف في الإجابة . والغوى : الذى يتبع هواءه وبنساق وراء لذاته ، من التلى والغواية بمعنى الضلال . يقول إن الموت يسوى بين البخيل الذى عاش حياته حرصا على ماله بخيلا به ، وبين الكريم المرف الذى يفسد كل ماله في لذاته وغواياته .

(٤١) الجثوة : الكومة من التراب ، يريد بها هنا القبر . والصفائح : جمع صفيحة وهى الحجارة العريضة التى يغطى بها القبر . والصم : الصلبة . والمنضد : الذى تضد فوق القبر أى وضع بعضه فوق بعض . هذه هى النهاية التى ينتهى إليها البخيل والكريم : كومتان من تراب عليهما صفائح من تجارة .

(٤٢) يعتام : يختار ويتقى ، وكذلك معنى يصطفى . والعقيلة : الشئ النفيس الذى يقع عليه الاختيار . والفاحش : الميئس الخلق . والمتشدد : الحريص على ماله ، البخيل به . والبيت تكرر وتأكيد لمعنى البيتين السابقين .

(٤٣) فى رواية أخرى « أرى العيش » ، وفى رواية غيرهما « أرى العمر » . والبيت — على جميع رواياته — استمرار لحديث طرفة عن قضية الموت والحياة التى وقف عند كثير من جوانبها فى الأبيات السابقة .

(٤٤) « ما » فى قوله « ما أخطأ الفتي » مصدرية على تقدير « فى إخطائه الفتي » . والطول : الحبل تربط به الدابة فيطال لها فى المرعى إذا شاء صاحبها ، ويقصر لها إذا شاء . وثيابه : طرفاه لأنهما يشبهان على اليد . والبيت استمرار لحديث الموت والحياة . يقول إن الإنسان فى يد القدر يتصرف فيه كيف يشاء ، إن شاء أمهله وإن شاء تعجل به ، ولكنته — على الحالين — لا يملك من أمر نفسه شيئا ، فهو كالدابة شدها صاحبها فى حبل طرفاه فى يده ، فهو يرتضى لها الحبل إذا أرخاه ، ولكنته لا يتركها تغلت منه ، حتى إذا شاء جذبها دون أن يكون لها رأى أو إرادة .

- ٤٥ فإِني أَرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكَا      متى أَدُنُّ مِنْهُ يَنَأُ عَنِّي وَيَبْعِدُ  
٤٦ يَلُومُ ، وَمَا أَدْرِي عَلَامَ يَلُومُنِي ،      كما لَا مَنِي فِي الْحَيِّ قُرْطُبُ بْنُ أَعْبِدُ  
٤٧ وَأَيَّاسُنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ      كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ عَلَى رَمْسٍ مُلْحَدُ  
٤٨ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قُلْتُهُ غَيْرَ أَنِّي      نَشَدْتُ فَلَمْ أَغْفِلْ حُمُولَةَ مَعْبِدُ  
٤٩ وَقَرَّبْتُ بِالْقُرْبَى ، وَجَدَّكَ إِنِّي      متى يَكُ أَمْرٌ لِلنَّكِيَّةِ أَتْمَعِدُ  
٥٠ وَإِنْ أَدْعَ لِيُجَلِّيَ أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا      وَإِنْ يَأْتِكَ الْأَعْدَاءُ بِالْجَهْدِ أَجْهَدُ  
٥١ وَإِنْ يَقْذِفُوا بِالْقَذَعِ عِرْضَكَ أَتَسْقِيهِمْ      بِكَأْسِ حَيَاضِ الْمَوْتِ قَبْلَ التَّهْدِيدِ

- (٤٥) من هنا ينتقل طرفه إلى الشكوى من أفاعله الذين يمثلون جانباً آخر من مشكلات حياته ، بعد أن فرغ من الحديث عن مشكلته الكبرى فيها .
- (٤٦) إن طرفه حائر مع أفاعله وموقفهم منه حيرته مع حياته وموقفها منه . إن الموقنين فامضان أمامه ، لا يعرف حقيقتيهما ، ولا يدرك سرهما .
- (٤٧) الرمس : القبر . والملحد : الميت الذي دفن فيه . و « على » هنا بمعنى « في » . يقول لأنه ينس من كل خير عنده كأنه قدماء وهيل عليه التراب .
- (٤٨) نشدت : طلبت . والحمولة : الإبل المملة بالأحمال أو هي الأجمال نفسها . ومعبد : أخو طرفة ، وكانت لها إبل اغتصبها قوم منها ، فاستعاقا ابن عمهما مالكاً على ردها ، فتخلى عنها ، وهو ما يشكوه في الأبيات السابقة .
- (٤٩) قربت بالقرى : أى أدلت عليه بالقرابة ، يريد ابن عمه مالك . النكيبة : أقصى الهجود . يعتب على ابن عمه تخليه عنه ، وتكره لصلة القرابة بينهما التي تقرب إليه بها ، مع أنه لو وقع في شدة تحتاج إلى بذل أقصى جهده لما تخلى عنه ، ولأسرع إلى الوقوف معه فيها .
- (٥٠) الجلى : الأمر الجليل العظيم ، مؤثث الأجل ، كالعظمى والأدهم . والجهد : المشقة والشدة : والبيت تغرب نفسه ، واستمرار في عتاب ابن عمه .
- (٥١) القذع : اللفظ القبيح يشتم به . والحياض : جمع حوض . وقوله « قول التهديد » يريد به أنه لا ينظر حتى يهددهم وينذرهم ، وإنما يسارع إلى قتالهم فوراً . والبيت استمرار في عتاب ابن عمه .

- ٥٢ فلو كان مولاي امرءاً هو غيره لفرج كربى أولاً فنظرنى فدى  
٥٣ ولكن مولاي امرؤ هو خاني على الشكر والتسأل أو أنا مفتدى  
٥٤ وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند  
\* \* \*  
٥٥ أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه خشاش كراس الحية المتوقد  
٥٦ فآليت لا ينفك كشحي بطانة لعضب رقيبى الشفرتين مهند  
٥٧ حسام إذا ما قت متصراً به كفى العود منه البدء ليس بمعصية

(٥٢) المولى هنا فى البيت التالى بمعنى ابن العم . وقوله « أنظرنى غدى » أى تأتى على وأهلى ولم يتعجل باتخاذ موقف منى . يقول : لو كان ابن عمى شخصاً آخر غير مالك أوفى إلى جانبى بفرج كربى ، ويتأنى فى اتخاذ موقف منى .

(٥٣) قوله « هو خاني على الشكر والتسأل » يريد به أن ابن عمه يفرض عليه أن يتعرض لسؤال الناس وطلب معروفهم وشكرهم عليه ، وكأنه يخفقه بذلك ، أو — كما يقال — يضيق عليه الخناق ، وقد كان فى استطاعته أن يعفيه من ذلك ويحفظ عليه كرامته . وقوله « أو أنا مفتدى » يريد به أنه يفرض على ذلك أو يتركى وحده لأجل مشكلتى بنفسى .

(٥٤) المضاضة : وجع المصيبة . والبيت تركيز لموقف طرقة من موقف ابن عمه منه ، وارتفاع به من موقف فردى خاص إلى موقف إنسانى عام .

(٥٥) من هنا تبدأ قطعة الفخر فى المعلقة . الضرب : الخفيف . والخشاش : النافذ فى الأمور ذكاه ومضاه وتصميا . والمتوقد : الكثير الحركة .

(٥٦) آليت : أقسمت . والكشحي : الخاصرة . والعضب : السيف . يقول إنه أقسم ألا يفارق السيف جنبه . يفخر بشجاعته وبأنه دائماً على استعداد لقتال من يفكر فى ظلمه ، وأيضاً لنجدة من يستنجد به .

(٥٧) البيت استقرار فى وصف سيفه . والحسام : القاطع . وقوله « متصراً به » أى متصراً من أى ظلم يزل به . والمعصية : الردى . من السيوف الذى يستخدم فى قطع الشجر . وقوله « كفى العود منه البدء » يريد أن الضربة الأولى به تكفى عن إعادة الضرب به مرة ثانية .

- ٥٨ أنى ثقة لا يثنى عن ضريبة إذا قيل مهلاً قال لحاجه قد  
 ٥٩ إذا ابتدر القوم السلاح وجداني منيعاً إذا بليت بقائه يدي  
 ٦٠ وبرك هجود قد أنارت مخافى نواديها أمشى بعضب مجرد  
 ٦١ فمرت كهأة ذات خيف جلالة عقيلة شيخ كالويسيل يلسد  
 ٦٢ يقول وقد تر الوظيف وساقها : ألس ترى أن قد آيت بمؤيد ؟

(٥٨) البيت أيضا استمرار في وصف السيف . « أنى ثقة » يريد أنه سيف يوثق به ويعلمان إلى مضائه وقطعه . والضريبة : المضروبة . وقوله « لا يثنى عن ضريبة » أى لا يرجع عنها ولا يرتد حتى يجهز عليها . وحاجه : حده . وقوله « قد » أى قد فرغت وانتهيت من مهمتى . يفنخر بأن سيفه مريع القطع ، إذا قيل له مهلاً قال لقد انتهيت من أداء مهمتى .

(٥٩) « إذا ابتدر القوم السلاح » : أى إذا أمرعوا إليه عند الفزع أو النجدة أو إذا نزل بهم أمر مفاجئ . وقوله « بليت بقائه يدي » أى ظفرت به وتمكنت منه ، وقائمه : مقبضه ، والضمير يعود على السلاح . والسلاح يذكرو يؤنث .

(٦٠) من هنا ينتقل الشاعر من الفخر بالشجاعة إلى الفخر بالكرم . البرك : الجماعة من الإبل الراقدة في مباركها . والهجود : النيام . وقوله « مخافى » أى خوفها منى . والنوادي : مائدتها خوفاً منى ، ويروى « نواديها » أى أوائلها المتقدمة . والمجرد : الذى أخرج من غنده . يصف فزع الإبل حين دخل عليها بسيفه المسلول لينتقى من بينها ناقة ينحرها لضيغه أو لرفاقه .

(٦١) الكهأة : الضخمة المسنة ، والخيف : جلد الضرع ، يريد أنها ناقة ممثلة الضرع لأنها مرضع . والجلالة : الضخمة . وقوله « عقيلة شيخ » يريد أنها خير ماله وأكرمه ، ولعله يريد بالشيخ هنا أحد أعمامه الذين تولوا تربيته بعد موت أبيه . والويسيل : العصا الثقيلة الشديدة ، يشبه هذا الشيخ بها . واليلندد : الشديد الخصومة ، صفة الشيخ .

(٦٢) تر الوظيف : انقطع ، والوظيف : عظم الساق والذراع . يزيد أنه نحر هذه الناقة إكراما لضيغه . والمؤيد : الأمر العظيم ، من « الأيد » وهى القوة والشدة . يقول إن همه ينكر عليه نحر هذه الناقة الغالية .

- ٦٣ وقال : أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغِيَهُ مُتَعَمِّدٌ ؟  
 ٦٤ وقال : ذَرُّوهُ إِنَّمَا نَفْعُهَا لَهُ وَإِلَّا تَرُدُّوْا قَاصِيَ الْبَرْكِ يَزِدُّ  
 ٦٥ فَظُلَّ الْإِمَاءُ يَمْتَلِئْنَ حُوَارَهَا وَيُسْعَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمُسْرَهْدِ  
 ٦٦ فَإِنْ مِتُّ فَأَنْعِنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشُقِّي عَلَى الْجَيْبِ يَا ابْنَةَ مَعْبِدِ  
 ٦٧ وَلَا تَجْعَلِينِي كَامْرَأٍ لَيْسَ مَمِّهِ كَهَمِّي وَلَا يُغْنِي غَنَائِي وَمَشْهَدِي  
 ٦٨ بَطِيءٌ عَنِ الْجُلِيِّ سَرِيعٌ إِلَى الْخَنَاءِ ذَلِيلٌ بِأَجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلْهَدٌ

(٦٣) الضمير في « قال » يعود على الشيخ ، وحديثه عن طرفة ، والخطاب موجه — في أغلب الظن — إلى أهله ، وكأنه ينكر عليه سلوكه الاجتماعي وتصرفاته الطائشة ، فهو قبيح حنيف شديد الظلم لأهله ، صاحب شراب يردد فيه ما لهم ، وكأنه مستمع على نصحه الذي وجهه إليه في البيت السابق . و « بغيه » فاعل لقوله « شديد » و « متعمد » صفة لشديد .

(٦٤) الضمير في « قال » يعود على الشيخ أيضا ، والخطاب فيه موجه لأهله . يقول إن عمه ينس من نصحه ، ولم يجد أمامه إلا أن يترك له هذه المرة ، فهو يطلب إلى أهله أن يتركوا له هذه الناقة ، وأن يدركوا بقية الإبل النافرة قبل أن يقضى عليها بأن دفاعه وتورده وسفهوه .

(٦٥) الإمام : الجوارى . ويمتلان : يشوين على الجمر ، من « المسلة » وهي الرماد الحار . والحوار : ولد الناقة ساعة تضعه أو قبل أن تقطعه . والسديف : شرائح السنام . والمسرهدي : الناهم اللذيذ الطعم . لقد نحر طرفة الناقة وصنيرها ، ومضى الإمام يشوين لجهما وشحمها ، ويدرن على الرفاق أو على الضيوف بما لذ وطاب منهما .

(٦٦) ابنة معبد هي بنت عمه الذي أشار إليه في أكثر من موضع من هذه القصيدة . والبيت تأكيد لإحساسه بذاته ، وحسرتة على موقف قومه منه .

(٦٧) الهم هنا بمعنى الهمّة والطموح ، أو بمعنى ما يهم به من الأمور الجليلية . وقوله « لا يغني غنائى ومشهدى » أى لا يستطيع أن يكون مثلى في تقع القبيلة أو أن يقوم مقامى في مجالها .

(٦٨) الجلى : الأمر الجليل ، مؤنث أجبل . والخنا : الفحش في القول ، والأجماع : جمع جمع (بضم الجيم) وهو أن يقبض الرجل أصابع كفه ويشدها للذكر بها خصمه ويلكمه . والملهد : الذي أصابته اللكة أو اللكة .

- ٦٩ فلو كنتُ وغلاً في الرجال لَضَرَنِي عداوةُ ذِي الْأَصْحَابِ وَالْمُتَوَحِّدِ  
 ٧٠ وَلَكِنْ تَقَى عَنِ الْأَعَادَى بُجْرَاتِي عَلَيْهِمْ وَإِقْدَامِي وَصِدْقِي وَمُحْتَدِي  
 ٧١ لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَى يَغْمَةِ نَهَارِي ، وَلَا لَيْلِي عَلَى بَسْمِدِ  
 ٧٢ وَيَوْمَ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهِ حِفَافًا عَلَى عَوْرَاتِهِ وَالتَّهْدِيدِ  
 ٧٣ عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الْفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِكَ فِيهِ الْفَرَائِصُ تُرِيدِ

\* \* \*

(٦٩) الرغل : الضعيف الخامل الذكر . والمتوحد : المنفرد الذي ليس معه أحد . والبيت يَكْسُ نَفْتَهُ بنفسه وإحساسه بذاته . إنه مطمئن إلى قوته ، فهو لهذا لا يخشى أحدا ، ولا يبالي بعداوة أحد ، سواء أكان منفردا وحده أم مؤيدا بجماعة تقف معه وتناصر له .

(٧٠) المحتد : الأصل . والبيت استمرار في التعبير عن نفته بنفسه وإحساسه بذاته ، وفيه أيضا إشارة إلى اعتزازه بكرم أصله ومرافقة نفسه .

(٧١) الغمة : الأمر الغامض الذي لا يمتدى إلى وجه الحق فيه . والمرمد : الدائم الطويل الذي لا نهاية له . يفتخر بأنه حامي في نصراته ، لا يقف حائرا أمام أي مشكلة تعرضه ، ولا يقضى ليله مؤرقا مفكرا فيها ، وإنما يحسمها ويقطع بال رأي فيها دون تردد .

(٧٢) حبست النفس أي صيرتها . والعراك : ازدحام القوم عند القتال . والعورات : الأفعال التي تسمى إلى سمعة الإنسان . والتهدد : يريد به تهديد الأعداء له . يفتخر هنا بشجاعته ، وبلائه في القتال ، وصبره في الحرب ، وحفاظه على حسن السمعة وطيب الأحداثة .

(٧٣) « على موطن » متعلق بالفعل « حبست » في البيت السابق . والموطن هنا يريد به ساحة القتال وميدان المعركة . وتترك : تشتبك في القتال . والفرائص : جمع فريضة وهي العضلة التي يلتقي عندها الصدر بالكتف ، وهي أول ما يرتعش من الإنسان والحيوان عند الخوف والفرح . يؤكد هنا شجاعته ، فيفتخر بقوة قلبه وثبات أعصابه في مواطن الخوف والفرح في ساحات القتال .

- ٧٤ أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً ، ما أقرب اليوم من غد !  
 ٧٥ سُبْدِي لَكَ أَيَّامٌ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ  
 ٧٦ وَيَأْتِيكَ بِالْأَنْبَاءِ مَنْ لَمْ تَبْعْ لَهُ بَنَاتًا ، وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ

\* \* \*

(٧٤) الأعداد : جمع عدد ( بالكسر ) وهو الماء الجاري الذي لا يتقطع . من هنا يبدأ الشاعر مجموعة من الحكم تعكس إحساسه بالحياة يحتم بها قصيدته . إن الموت مورد لا بد أن ترده كل نفس ، وهو مورد لا يتقطع وورود الأحياء له ، فمن لم يرده اليوم فسوف يرده غداً ، وما أقرب اليوم من غد !  
 (٧٥) « من لم تزود » : أى من لم تبعث به فى طلبها .  
 (٧٦) البنات : الزاد . وباع هنا بمعنى اشترى .

\* \* \*

يوسف خليف



( ٢ )

## رَأْيَةُ « هِر »

### الْعَوْدَةُ

\* \* \*

تعد هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ أربعة وسبعين بيتا رائعة طرفة الثانية بعد المعلقة ، وهى من شعره الموثق الذى صححه الرواة ، فلا يحيط بها شك فى صحة نسبتها إليه .

والقصيدة — كما يبدو من نهايتها — نُظِمَتْ بعد أن صفا الجوبين طرفة وقومه ، وزالت الجفوة التى كانت بينهما ، وانتهت القطيعة التى أفسدت علاقة القربى بينهما ، وانقضت الغشاوة التى يعترف طرفة بأنها كانت تُغشى عليه ، فتحجب الرؤية الصحيحة عنه ، وتردُّ بصره عن إدراكها على حقيقتها . لقد كان طرفة متمردا على قومه ، فاضيا منهم ، مُقَاعِطاً لهم ، ربما بسبب موقف أعمامه منه ومن أمه بسبب طمعهم فى ميراث أبيه . وهو فى ختام هذه القصيدة يُعلن تصحيح الموقف بينه وبينهم ، ويصرح بأن الأمور قد عادت إلى نصابها ، أو — على حد تعبيره الذى أصبح مثلاً — « قَدْ صَابَتْ يَقْر » .

ومن اليسير أن نقسم القصيدة إلى موضوعين أساسيين :

الموضوع الأول غزل طويل بصاحبة له اسمها « هِر » ، يقف فى بدايته بأطلال ديارها التى رحلت عنها مع قومها ، ويصف زيارة طيفها له فى أحلامه

وهو يُشَقَّ طريقه في رحلة طويلة شاقة في أعماق الصحراء ، ثم يتغنَّى بجمالها وحسنها ، ويرسم لوحة رائعة لها . وهو موضوع يُشغَل من القصيدة ثمانية وعشرين بيتا ، مما يدفعنا إلى رفض أن يكون هذا القسم منها مقدمة تقليدية لها ، فهو — في الحقيقة — موضوع أساسي فيها .

والموضوع الثاني نخر عريض بقومه ، يتغنَّى فيه بأمجادهم ومفاجرهم ، ويسجِّل شجاعتهم في ساحات الحرب ، وحكمتهم في أوقات السلم . ويقف طويلا — في أثناء هذا الفخر — أمام خيلهم ، فيصفها وصفا على قَدْر كبير من الغرابة اللغوية والحرص على التفاصيل يُدْكرنا بوصفه المشهور لناقته في معلقته . حتى إذا ما انتهى من هذا الفخر العريض أخذ يمهّد لنهاية قصيدته بحديث يأتخص فيه الموقف بينه وبين قومه : كيف كان ؟ وكيف أصبح ؟ وينتهي منه وقد اعترف بما وقع منه في حقهم ، مستجلا فرحته وارتياحه لعودة العلاقات بينهم كما كانت ، وعودة المياه التي كدّرتها القطيعة إلى مجاريها الصافية العذبة .

والقصيدة تعدّ من أجمل قصائد الشعر الجاهلي في تعبيرها عن تجربة إنسانية فريدة مرّ بها طرفة في حياته القصصية التي مرّت كسحابة من سحب الصيف العابرة ، وأيضا في تعبيرها عن تلك العلاقة الجاهلية التي تربط بين الفرد والقبيلة ، وما كانت تثيره في بعض الأحيان من مشكلات اجتماعية .

وأهم ما يميّزها هذا الأسلوب الصافي الذي ينساب في مهولة ويسر على امتداد أبياتها ، وهذه الموسيقى العذبة الرقيقة التي تترقّق من خلالها ، وهي موسيقى أتاحها بحر « الرّمل » الذي اختاره لها . وهو بحر يمتاز بموسيقاه الانسيابية المهدئة التي تعكس الإحساس بغدير رقيق ينساب في رقة ووداعة بين ضفائر شجيرات من الصّفصاف متهدّلة فوق مياهه الصافية .

وتمتاز القصيدة أيضا بهذا الحرص الواضح على رسم صورها الفنية ، وهذه العناية البالغة باستكمال ألوانها وخطوطها وزيناتها الصغيرة ، ووضع اللغات الفنية الأخيرة عليها .

وهي — إلى جانب هذا كله — تعكس مشاعر شابٍ مرهق حاد الإحساس بالمرأة والطبيعة والحياة ، تتراءى من خلالها اندفاعاته الجريئة ، وحسنيته التي تكشف عن نفسها من حين إلى حين ، وإيمانه بذاته وشخصيته ووجوده . ولكنها — مع ذلك — تعكس من طرفٍ خفيٍّ إحساسه بالضيق والحيرة والقلق في مجتمع الحق فيه للقوة ، « وَمَنْ عَزَّ فِيهِ بَزٌّ » — كما كانوا يقولون . وما الذي يملكه طرفه — وهو الشاب الصغير الذي لم تصره تجربة الحياة — أمام قومه الذين ينكرون عليه حقه في الحياة إلا هذه الحيرة التي تدفعه مرة إلى رفضهم والبعد عنهم ، ومرة أخرى إلى الاعتراف بهم والعودة إليهم ؟ إنه في النهاية لا يملك إلا « العودة » إليهم بعد أن قرروا هم « العودة » إليه ... وعفا الله عما سلف !

\* \* \*

١ أصحوت اليوم أم شأقتك هراً ؟      وَمِنْ الْحُبِّ جَنُونَ مُسْتَعِزُّ

٢ لَا يَكُنْ حُبِّكَ دَاءً قَاتِلًا      لَيْسَ هَذَا مِنْكَ ، مَاوِيَّ ، يَحْزَنُ

(١) يبدأ الشاعر قصيدته بمقدمة تتداخل فيها صورتان من صور المقدمات التقليدية : المقدمة الغزلية ومقدمة الطيف . ويريد بالصعورة هنا الرجوع عن نوازع الحب والصبا . وهو : أمم صاحبه . والمستعر : الملتب المشتعل .

(٢) ماوي : منادى مرغم لماوية وهو اسم صاحبه ، وهي نغمها هرا التي ذكرها في البيت السابق . وظاهرة تعدد أسماء المحبوبة في القصيدة الواحدة ظاهرة مألوفة في الشعر الجاهلي . وقوله « ليس هذا منك ماوي بحر » يريد أنه ليس تصرفاً كريماً منها .

- ٣ كيف أرجو حُبها من بعدما علق القلب بنصب مُستَسر ؟  
 ٤ أرق العين خيال لم يقر طاف والركب بصحراء يمر  
 ٥ جازت اليد إلى أرحلنا آخر الليل بعمقور خدر  
 ٦ ثم زارتني ، وصحبي هُجَّع ، في خليط بين برد ونير  
 ٧ تحلس الطرف بعيني برغز وبخدي رشا آدم غمر  
 ٨ وعلى المتين منها وارد حسن التبت أثبت مُسبكر

- (٣) النصب (بضم النون) : العناء والعب مثل النصب (بفتح النون) ، وفي القرآن الكريم « بنصب وعذاب » (ص ٤١) . وعلق القلب به أى تعلق به . والمستسر : الكامن فى أعماق القلب .  
 وقوله « كيف أرجو حُبها » يريد به — كما يقول الشراح القدماء — كيف أرجو نسيان حُبها .  
 (٤) من هنا تبدأ داخل مقدمة العليق مع المقدمة الغزلية . الخيال : العليق وقوله « لم يقر » : أى لم يستقر ، يريد أنه لم يحكك طويلاً . وصحراء يسر : اسم صحراء بالمنطقة الشرقية من الجزيرة العربية .  
 يصف زيارة طيف صاحبه له فى أحلامه ، والقافلة متعلقة فى أعماق هذه الصحراء .  
 (٥) الضمير فى « جازت » يعود على صاحبه التى زاره خيالها واجتاز إليه الصحارى الشاسعة حتى وصل إليه . ويحدد زيارة الطيف له بآخر الليل لأنه وقت نزول القوافل لراحة . والعمقور : الغلي الذي أشرب لونه بالحجرة . والخدر : البلى . الحركة الغائرة لخطوات ، يشبه صاحبه به .  
 (٦) هجج : نيام ، جمع هاجج . وقوله « فى خليط » متعلق بزارتنى ، أى شخصتى يزارتها وأنا بين أفراد القافلة المسافرين . من قبائل مختلفة . وبرد وتمر : قبيلتان . وبعض الشراح القدماء يفسرهما على أنهما ضربان من الثياب : البرد ثوب من وثنى ، والدرة شملة من صوف ، كأنه يقول إنها زارته فى أحلامه وهو ملتف فى هذين الثوبين من برد الصحراء فى الليل .  
 (٧) تحلس الطرف : تسارق النظر . والبرغز : ولد البقرة الوحشية ، يشبه عينها الجليتين الصافيتين بعينه . والرشا : ولد الضبية . والآدم : الأبيض البطن ، الأسمر الظاهر . والنير : النمر . النافل لصغره وحدائه سنه ، يشبه خديها الأسيلين الناعمين بخديه .  
 (٨) المتنان : جاتبا الظاهر . والوارد : الشعر الطويل المتسدل الذى يصل إلى أردانها كأنه يردّها . والأثيث : الغزير الملتف . والمسبكر : الطويل الممتد .

- ٩ ولها كَشْحَا مِهَاءٌ مُطْفِئٌ      تَقْتَرِي بِالرَّمْلِ أَفْنَانَ الزَّهْرِ  
١٠ جَابَةُ الْمِدْرَى خَذُولٌ مُغْزِلٌ      تَنْفُضُ الضَّيَالَ وَأَفْنَانَ السَّمْرِ  
١١ بين أَكْنَافٍ خُفَافٍ فَالْلَوَى      تُحْرِفُ تَحْنُو لِرَخِصِ الظَّلَافِ حُرْ  
١٢ تَحْسَبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةً      يَا لَقَسْوِي لِلشَّبَابِ الْمُسْبِكِ !  
١٣ حَيْثَا قَاطَظُوا بِنَجِيدٍ وَشَتَا      حَوْلَ ذَاتِ الْحَاذِ مِنْ ثَنِيٍّ وَقُرْ  
١٤ فَلَهُ مِنْهَا عَلَى أَحْيَانِهَا      صَبْفُوهُ الرَّاحَ بِمَلْدُوذٍ خَصِرْ

(٩) الكشح : الخصر . والمهاة : البقرة الوحشية . والمطفل : التي أنجبت صغيرها فهي تحنو عليه وتمنحه كل مشاعر الأمومة . وتقتري : تنبت . والأفنان : الأغصان ، جمع فن . يرسم للهامة الأم هذه اللوحة الجميلة المعبرة .

(١٠) المدري : القرن . وجابة المدري ( يتسميل الحمزة وبإثباتها ) : الذي بدأ قرنهما في الظهور ، يريد أنها صغيرة السن . والخذول : التي انفردت وحدها عن القطيع وتحلفت عنه . والمنزل : التي تراعى صغيرها . والضال : أشجار السدر البري . وتنفضه : أي تنفضه بقرنها ليتساقط ثمره لترهاه . والسر : شجر من أشجار البادية . والبيت استقرار في رسم لوحة البقرة الوحشية ، وإضافة ألوان وسطوط جديدة إليها .

(١١) الأكناف : النواحي . وخفاف واللوى : موضعان . والمحرّف : التي دخلت في فصل الخريف . والرخص : القين ، يصف أظلالها بأنها رخصة لأنها ما زالت صغيرة السن . والحر : الكريم . والبيت استقرار في وضع خطوط وألوان جديدة على اللوحة التي يرسمها الشاعر لهذه البقرة .

(١٢) النجدة هنا بمعنى الشدة ، والمعنى أنها — لشدة حياثها أو لفرط رقتها — تحسب رفعها طرفها لنظر أمرا شديدا هائبا . والشباب المسبك : الشباب المكتمل التام .

(١٣) ذات الحاذ وقر : موضعان . والثنيان : الجاثان . وقاظوا : دخلوا في قبض الصيف ، وشتوا : دخلوا في فصل الشتاء ، والضمير فيهما يعود على قومه .

(١٤) على أحيائها : أي في كل وقت ، في كل الأحيان . والراح : الخمر . والملدوذ : اللذيد . والخصر : البارد . يصف استمتاعه بها في كل مكان وفي كل زمان ، ويشبه رضاب ثمرها بثمر صافية مزجت بماء بارد لذيد . والبيت متعلق بالبيت السابق .

- ١٥ إن تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجرى بالظهر  
 ١٦ ظل في عسكرة من حبها ونات .. شحط مزار المدكر !  
 ١٧ بادن تجلو إذا ما ابتسمت عن شيت كفاف الرمل صر  
 ١٨ بدلته الشمس من منيته بردا أبيض مصقول الأشر  
 ١٩ وإذا تضحك تبدي حبيب كضاب المسك بالماء الخصر

(١٥) قوله « إن تنوله فقد تمنعه » يريد به أنها ليست سهلة المنال ، فإذا أعطته مرة ما يطلبه منعته مرة أخرى . وهو يؤكد ذلك بالصورة التي يرسمها في الشعر الثاني : إنها لا تمنعها عليه بحمله مشقة وعناء كأنها تريه النجوم في وقت الظهر ، كأنما يظلم نهاره ويحول ليلا تظهر فيه النجوم . . . صورة من الصور المرفقة في الشعر القديم ما زالت تتردد في أمثالنا الشعبية حتى اليوم .

(١٦) العسكرة : الحيرة والشدة ، وهي كلمة فارسية ، والمساكر ( جمعها ) هي الأحوال التي يركب بعضها بعضا . وقوله « شحط مزار المدكر » تعجب ، يريد به « يا شحط مزار المدكر » أي ما أهده ! والشحط : البعد . والمدكر : المتذكر . يقول إنها حيرته وبعدت عنه ، وما أبعد المسافة بينهما !

(١٧) بادن : بمنزلة الجسد . والشيت : المتفرق ، صفة للنفر . والأفاحى والأفاح : جمع أخوان ، وهو شجر عطري زهره أبيض ناصع ، يتردد في الشعر العربي القديم تشبيه الأسنان به . والنر : البيض ، جمع أغر وغراء ، يريد أسنانها .

(١٨) الضمير في « بدلته » يعود على النفر . والبرد : قطع الثلج . والأشر : تحزين يكون في أطراف الأسنان ، وهو من سمات الجمال عند العرب ، ولذلك كانوا أحيانا يصلطونوه . والشعر الأول يشير إلى عادة شعبية كان العرب في الجاهلية يفعلونها ، ومازلنا حتى اليوم نفعل مثلها ، فكانوا إذا سقطت سن أحدهم فذلفها نحو عين الشمس وهو يقول : يا شمس أعطيك سنا من عظم ، فأعطيني سنا من فضة .

(١٩) الحبيب كالحياء ( بفتح الحاء ) : الفقايق التي تطفو فوق الماء ، يشبه بها أسنانها . ورماب المسك : قطعه المفتتة ، وفي معلقة امرئ القيس « فتيت المسك » ، ومعنى الكلمتين واحد . يشبه رماب نثرها بقطع المسك المزوجة بالماء البارد عطرا وطعما .

٢٠. صَادَفْتُهُ حَرْجَفٌ فِي تَلْعَةٍ      فَسَجَا وَسَطَ بَلَاطٍ مُسَبِّطٍ  
 ٢١. وَإِذَا قَامَتْ تَدَاعَى قَاصِفٌ      مَالٌ مِنْ أَعْلَى كَثِيبٍ مُنْقَعِرٍ  
 ٢٢. تَطْرُدُ الْقُرْبَحَ صَادِقٍ      وَعَيْكَ الْقَيْظُ إِنْ جَاءَ يَقْرُ  
 ٢٣. لَا تَأْتِنِي، إِنَّمَا مِنْ نِسْوَةٍ      رُقِدَ الصَّيْفُ مَقَالِيَتَ نَزْرٍ  
 ٢٤. جَعَوْنِي يَوْمَ زَمُوا عَيْرَهُم      بِرَحِيمِ الصَّوْتِ مَلْثُومٍ عَطِرٍ

\* \* \*

- (٢٠) الضمير في «صادفته» يعود على الماء الخمر في البيت السابق . والحرجف : الريح الباردة . والتلعة : مسيل الماء إلى الوادي ، أى الربوة المرتفعة التى يسيل منها الماء إلى الوادي .  
 وسجى : سكن واستقر . والبلاط : الحجارة المستوية الملساء . والمسبطر : السهل الممتد . والبيت لوحة جميلة يرسمها الشاعر — كما دلت في التصوير — لهذا الماء الذى يشبه به رضاب ثغر صاحبه : هذا الماء البارد ينساب من ربوة مرتفعة إلى واد شكلت قاعه بجواره مستوى ملاء فاستقر عليها ، وأخذت ريح الشمال الباردة تهب عليه فتزيد من برودته .  
 (٢١) تداعى : تصافى واتها . والقاصف : الرمل المتداعى . والمنقعر : الذى انهار من أساسه .  
 يصف امتلاء جسدها وليونته وعدم تماسكه ، ويشبه برمال ناعمة تنال من أعلى كثيب إنها من أساسه فلا يقوى على التماسك .  
 (٢٢) القر : البرد . وعيك القَيْظُ : الحر الشديد الذى تسكن معه الريح ويأخذ بالأنفاس حتى لتكاد تختنق . يقول إنها تمتع صاحبها في حر الصيف بطراوتها ، كما تمتعه في برد الشتاء بدقتها .  
 (٢٣) قوله «رقد الصيف» كناية عن الحياة الناعمة الرخية التى يقوم على خدمتها فيها من يكفين العمل ، ويتيح لمن هجمة الظهيرة المسترخية في أيام الصيف . والمقاليت : جمع مقالات وهى التى لا يعيش لها ولد . والنزو : جمع نزور وهى القليلة الأولاد . يريد أنهن ما زلن محتفظات برشاقتن لم يذهب بها حمل ولا وضع ولا رضاعة ، وما زلن معنيات بأنفسهن لم تشغلن شواغل الأولاد ومسئولياتهم . صورة من الصور الغريبة للنادرة في الشعر العربي .  
 (٢٤) العير : لبل القافلة . وزموا : شدوا استعدادا للرحيل . يصف يوم الرحيل ، يوم رحلت صاحبه وقومها . والرحيم : الصوت الرقيق الناعم اللين . والمثلوم : الذى يحول لثمه وتقبيله ، يريد صاحبه . ومعاملة هذه الصفات معاملة المذكر على تقدير أن الموصوف كلمة «حبيب» . وإلى هنا تنتهى هذه المقدمة الغزلية الطويلة (٢٨ بيتا) التى اخترنا منها هذه الأبيات .

- ٢٥ وبلاد زَعلِ ظلماتها كالتخاض الحُرْب في اليوم الحَدَر  
 ٢٦ قد تَبَطَّنتُ وتحتى جَسْرَةً تَتَّقِي الأرضَ بِمَلْشُومٍ مَعْرُ  
 ٢٧ فترى المَرُوءَ إذا ما هَجَرَتْ عن يديها كالفراش المشَقَر  
 ٣٨ ذاك عَصْرٌ ، وعدائي أنى نابئى العاصم خطوبٌ غيرُ سِر  
 ٢٩ مِنْ أَمُورٍ حَدَثَتْ أَمْثَالُهَا تَبْزِي هُودَ القَوِيَّ المَسْتَمِر  
 ٣٠ وتَشْكِي النفسُ ما صابَ بها فاصْبِرِي ، إنك مِنْ قومٍ صَبْرُ

(٢٥) الظلمات : جمع ظلم وهو ذكر النعام . والزعل : التشيط . والتخاض : الترق الحوامل ، يشبه بها النعام ، وقد وصفها بأنها « حرب » ليكسوها لون القطران الأسود الذى يعالج به . واليوم الحَدَر : الذى يشتد فيه البرد أو المطر فتختبئ فيه هذه النوق فى خدورها ، يشبه بها قطعان النعام فى اجتماعها وكثرتها . ومن هنا تبدأ قطعة الغرض فى القصيدة .

(٢٦) تبطننت : دخلت فى أعمائها . والجسرة : الناقة النشيطة الجريئة على أهوال الصحراء . والمثلوم هنا يريد به خف الناقة الذى احتكت به الحجارة فأدمنه ، كأنها تلمسه وتقبله . والمعر : الذى ذهب ما حوله من الشعر ، كناية عن كثرة الأسفار .

(٢٧) المرو : الحجارة البيض . وهجرت : سارت فى الهجرة وهى وقت الظهيرة . والمشقر : المتفرق . يصف شدة ناقته فى سيرها ، واندفاعها فى حرا الهجرة ، فتراهى له حجارة الصحراء وهى تتطاير بين يديها كالفراش المتفرق فى كل ناحية .

(٢٨) ذاك عصر : أى ذلك عصر قد مضى وتولى . وعدائي : أى صرقتى اليوم عن مثل ذلك . وخطوب غير سر : أى أمور عظيمة ظاهرة وليست خافية على أحد .

(٢٩) حدثت أمثالا : أى تكررت وتماهت . تبزى : تبزى بشدة وعنف . المستمر : القوى الشديد ، من المرة ( يكسر الميم ) وهى الشدة والقوة ، وفى القرآن الكريم « ذومرة فاستوى » (النجم ٦) . ويرى المود هنا تصوير لقسوة هذه الخطوب وشدة وقعها عليه وتأثيرها فيه .

(٣٠) تشكى : أى تشكو مرة بعد مرة ، وأصلها « تشكى » حذف إحدى تاءيها تخفيفا . ما صاب بها : ما نزل بها وأصابها ، وصاب وأصاب بمعنى واحد . وصبر : جمع صبور . يفنخر بنفسه ويقومه ، يفنخر بالصبر عند الشدة .



- ٣١ إِنْ نُصَادِفْ مُنْفِسًا لَا تَلْقَنَا فُرَحَ الْخَيْرِ ، وَلَا تَكْبُو لِضَرِّ  
 ٣٢ أَسْدُ غَابٍ ، فَإِذَا مَا فَزِهُوا غَيْرُ أَنْكَاسٍ وَلَا هُوجٍ هُذُرٌ  
 ٣٣ وَلِيَّ الْأَصْلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ يُصْلِحُ الْآبِرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرِ  
 ٣٤ طَيِّبُو الْبَاءَةَ سَهْلٌ ، وَلَهُمْ سَبِيلٌ إِنْ شَتَّتَ فِي وَحْشٍ وَعَيْرِ  
 ٣٥ وَهُمْ مَا هُمْ إِذَا مَا لَيْسُوا تَسْجَعُ دَاوُدَ لِبَاسٍ مُحْتَضِرُ

(٣١) المنفس : الشيء النفس الذي يتنافس الناس فيه . وفرح (بضمين) جمع فرح بمعنى فرح (بكسر الراء) . وتكبو : نمر وتسقط . والضرب : الشدة . والبيت استمرار في الفخر ، يفتخر بأنهم أقوى من أن تتلاعب بهم الأيام في تقلبها بين الخير والشر ، فلا الفرح يطفئهم ، ولا للضر يذطم .  
 (٣٢) الغاب : جمع غابة . وفرعوا : أى للحرب ، يريد إذا خرجوا لها . والأنكاس : جمع تكس (بكسر النون) وهو الضعيف الهمة . والهوج : جمع أهوج وهو الأحمق . والهذر : جمع هذور وهو الكثير الكلام في غير فائدة . يفتخر بشجاعة قومه وبرأتهم وقوتهم وثباتهم في الحرب .  
 (٣٣) الآبر : الذى يصلح النخل والزروع . والمؤتبر : الذى يستدعيه لإصلاح نخله أو زروعه .  
 والبيت تمثيل لعلاقة أصله وكرم منته ، وأن المعروف لا يضيع بينهم ، وفعل الخير لا يذهب عندهم سدى .

(٣٤) الباءة : الساحة والغناء . والوحش : المتوحش . والوعر (بكسر العين) كالوهر (بسكونها) : ضد السهل . يقول إن ساحتهم مهلة طيبة لمن يطلب معروفهم ، ولكنها وهرة خشنة لمن يريدهم بسوء .

(٣٥) قوله « وهم ما هم » تعبير يؤدى معنى التعظيم والتفخيم والإعجاب . ونسج داود هى الدروع التى علم الله نبيه داود صنعها ، وكان العرب فى الجاهلية يعرفون ذلك ، وأهلهم عرفوه عن طريق اليهود الذين كانوا يترفون صناعة السلاح وبيعته للعرب ، وفى القرآن الكريم فى سورة الأنبياء (الآية ٨٠) « وعلينا صنعة لبوس لكم لنحصنكم من بأسكم » وفى سورة سبأ (الآية ١١) « وألنا له الحديد . أن عمل سابغات وقد فى السرد » . والبأس : شدة الحرب . والمحتضر : الحاضر .

- ٣٦ وَتَسَاقَى الْقَوْمُ كَاسًا مُرَّةً وَعَلَا الْخَيْلَ دِمَاءٌ كَالشَّقَرِ  
 ٣٧ ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ غُفْرٌ ذَنبُهُمْ غَيْرُ نَجْرٍ  
 ٣٨ لَا تَعِزُّ الْخُمُرُ إِنْ طَافُوا بِهَا بِسَبَاءِ الشَّوْلِ وَالْكُومِ الْبُكْرِ  
 ٣٩ فَلِذَا مَا شَرِبُوهَا وَانْتَشَوْا وَهَبُوا كُلَّ أَمُوبٍ وَطِيمِزٍ  
 ٤٠ ثُمَّ رَاحُوا عَبَقَ الْمِسْكِ بِهِمْ يُنَحِّفُونَ الْأَرْضَ مُدَابَ الْأُزْرِ  
 ٤١ وَرَثُوا السُّودَّ مِنْ آبَائِهِمْ ثُمَّ سَادُوا سُودَّدًا غَيْرَ زَمَرٍ

(٣٦) تساقى : أى سقى بعضهم بعضاً . والشطر الأول تمثيل لاشتداد الحرب ، واحتدام القتال ، وتساقط القتلى والجرحى من الفريقين . والشعر : شقائق النعمان ، وهو زهر أحمر يشبه الشاعر بلونه دماء المتقاتلين التى غطت أجساد الخيل .

(٣٧) غفر : جمع غفور ، ومثله نجر . يقول إن قومه يزيدون على كل هذه المفاتر والأجناد أنهم يغفرون ذنب من يخطئ . من قومهم فيهم ، ولا يأخذهم الزهوماً يفعلون . وكأنه يقول لهم يقدرون للقرب حقها .

(٣٨) لا تعز الخمر : أى لا تعز عليهم لغلاء ثمنها . والسبأ : شراء الخمر . والشول : جمع شائلة وهى النافة التى مضى عليها من ولادتها ستة أشهر أو سبعة فشالت ضرورها أى جفت . والكوم : جمع كوما وهى النافة العظيمة السنام . والبكر : جمع بكور وهى التى بكرت بنتاجها . يقول لهم لا يرضون على الخمر بأعلى إيلهم ، ولا تعز عليهم مهما غلا ثمنها . والبيت استمرار فى الفخر .

(٣٩) الأمون : النافة القوية التى يؤمن غنارها . والطمر : الفرس الطويل النشيط . يقول لهم إذا شربوا وانتشوا وهبوا كرام إيلهم وعييلهم .

(٤٠) عبق المسك : عطره . وينحفون الأرض : أى يغطونها . والأزر : جمع إزار وهو الثوب . يفخرون بأنهم قوم مترفون منعمون ، لانفارقةهم رائحة المسك الذى يتنطرون به ، وإذا مشوا جروا أهداب ثيابهم السابقة خيلاء وتبها .

(٤١) السودد : المجد والشرف والسيادة . والزمر : القليل . يفخرون بأنهم سادة أمجاد أشراف ورائة واكتساباً ، سوددهم تليد وطريف .

- ٤٢ نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فبنا ينتقر  
 ٤٣ حين قال الناس في مجلسهم : أقتار ذاك أم ريح قطر ؟  
 ٤٤ يجفان تفتري نادينا من سيدف حين هاج الصنبر  
 ٤٥ كالجوابى لا تني مترعة لفرى الأضياف أوللمحتضر  
 ٤٦ ثم لا يخزن فبنا لجمها إنما يخزن لحم المدر

(٤٢) المشتاة : زمن الشتاء والبرد ، وفيه يصبح الكرم عند البدوى له معناه ودلالته وقيمته ، ويردد كثيراً في الشعر الجاهلي افتخار البدو بالكرم في هذا الفصل الشديد القسوة على البادية . والجفلى : الدعوة العامة إلى الطعام لا يخص أحداً بعينه . وينقر : يدعو النقرى ، وهى الدعوة الخاصة إليه . والآدب : الذى يدعو الناس إلى مآدبه ، والمآدبة : الوليمة . يقتربانهم كرماء ، ولائهم عامة للجميع ، لا يخصون بها أحداً دون أحد .

(٤٣) القنار : رائحة اللحم المشوى . والقطر : خشب اللعود الذى يستخدم فى البخور . البيت استمرار فى حديث الكرم ، وطرفة فيه — على أسلوبه فى التصوير — يضيف إلى لوحته خطوطاً وألواناً جديدة . إن الناس حين تصل إلى أنوفهم رائحة الشواء الذى يعدده قومه لضيوفهم تختلط عليهم برائحة البخور لطيبها ونفاذاً ، ولشدة اشتباثهم اللحم لما هم فيه من جهد وشدة بسبب قسوة الشتاء عليهم .  
 (٤٤) الجفان : جمع جفنة وهى قصعة الطعام . والنادى : مجلس القوم للسرور والحديث . والسديف : شرائح السنام . والصنبر : أشد البرد . يستمر طرفة فى إضافة خطوط وألوان جديدة إلى لوحته التى يرسمها لكرم قومه .

(٤٥) الجوابى : جمع جابية وهى الحوض الضخم يجمعون فيه الماء ، من جى الماء فى الحوض أى جمعه فيه . لا تني : أى لا تزال . والمترعة : الممتلئة حتى آخرها . والفرى : إكرام الضيف . والمحتضر : النازل على الماء ، من المحاضر وهى المياه ، مفردتها محضر . والبيت استمرار فى رسم لوحة الكرم . إن جفانهم ضخمة كأنها الجوابى ، وهى معدة دائماً لضيوفهم وجيرانهم النازلين على مياههم .  
 (٤٦) يخزن : يتغير طعمه ورائحته ، من نزن اللحم ( من باب فرح ونصر ) إذا خزنه صاحبه حتى فسد . والمدخر هنا : الذى يدخر لحم اليوم إلى غده . يقول لأنهم ينهرون كل يوم ، ولا يقدمون لضيوفهم إلا اللحم الطازج .

- ٤٧ ولقد تعلم بكر أننا آفة الجزر مسايح يسر  
 ٤٨ ولقد تعلم بكر أننا فاضلو الرأي ، وفي الرزع وقور  
 ٤٩ يكشفون الضر عن ذى ضرهم ويبرون على الآبي المسير  
 ٥٠ فضل أحلامهم عن جارهم رجب الأذرع ، بالخير أمر  
 ٥١ دلق في غارة مسفوحة ولدى الباس حمة ما تفر  
 ٥٢ تمسك الخيل على مكروهها حين لا تمسكها إلا الصبر

(٤٧) بكرهى قبيلته الكبرى . والجزر : جمع جزور ، وهو البعير الصغير ينحر عادة لطيب لحمه .  
 والمسايح : أصحاب الخلق السطح السهل . والبسر : جمع يسير ويسور ، وهو الذى يشارك فى الميسر ،  
 وكان الميسر فى الجاهلية على الإبل ينحرونها ويقسمونها ويضربون عليها القداح .

(٤٨) فاضلو الرأي : أى أن رأيهم بفضل آراء غيرهم . والرزع : الخوف والفزع ، يريد الحرب .  
 والوقر : جمع وقور . يفخر برجاجة رأيهم فى السلم ، وبرزانتهم وثباتهم فى الحرب .  
 (٤٩) يبرون : يفلبون ويظهرون . والآبى : الآبى الذى يمنع على غيره فلا يقهر . والمير : الغالب  
 المنتصر . والبيت استمرار فى حديث الفخر .

(٥٠) فضل أحلامهم : أى أن حلمهم واسع يز يد على حاجة جيرانهم إليه . يريد أنهم يعرفون  
 لحارهم حق ، ولا يقابلون جهله بجهل منهم ، وإنما يقابلونه بالحلم والعفو والصفح . ورجب : جمع  
 رجب ، ورجب الأذرع كناية عن سعة الصدر والتسامح . وأمر : جمع أمور ، وهو الكثير الأمر ،  
 صيغة مبالغة . يفخر بأنهم حلما متسامحون أمارون بالخير .

(٥١) الدلق : المرهون المتقدمون المدفعون ، جمع دلق . والمسفوحة : المصبوبة ، يريد  
 غارة شديدة كأنها تصب على العدو صبا . يفخر بالجرأة والشجاعة ، فهم يسرعون إذا ما دعاهم داعى  
 الحرب ، وإذا ما اشتدت نيرانها وحى وطيسها ثبتوا وصبروا يدفعون عن حاهم ، ويحمون حرمانهم ،  
 ولم يفكروا فى الفرار .

(٥٢) تمسك الخيل على مكروهها : أى ثبتت على ظهورها فى ساحات الحرب ، ونصبر عليها  
 وتمسك بها حين يشتد القتال وينال منها الجهد حتى لا تفر .

- ٥٣ حين نادى الحى لما قزعوا ودعا الداعى وقد بلغ الذعر :  
 ٥٤ أيها الفتيان في مجلسنا جردوا منها ورادا وشقرو  
 ٥٥ أعوجيات طوالا شربا دوحل الصنعة فيها والضمير  
 ٥٦ من يعايب ذكور وقح وهضبات إذا ابتل العذر  
 ٥٧ جافلات فوق أعوج مجل ركبت فيها ملاطيس سمر  
 ٥٨ وأناقت يهواد تلح بكذوب شذبت عنها القشر

(٥٣) الفزع هنا يريد به الخروج للحرب . والداعى هنا هو داعى الحرب . وبلغ الذعر : اشتد الخوف واستمر . واليت متصل المعنى باليت السابق وباليت التالى أيضا .

(٥٤) الورداء : جمع ورد ، والشقر : جمع أشقر ، والورد من الخليل : ما كان لونه بين الكهيت والأشقر ، والكهيت : الأحمر القاني ، والأشقر : ما تعلو بياضه حمرة . وجرّدوا منها : أى أعدوها للقتال ، وذلك بأن يلقوا عنها ما يعطى ظهورها في أوقات راحتها من أغطية ، ويضعوا بدلا منها سروج الحرب وعدة القتال .

(٥٥) أعوجيات : أصيلاات النسب ، نسبة إلى أعوج وهو غل مشهور من لحول الخيل . والشرب : جمع شارب وهو الضامر . والصنعة هنا هى العناية بها والقيام عليها . والضمير : متابعتها بالجرى حتى تتدرب عليه وتضمير . ودوحل الصنعة فيها والضمير : أى أن أصحابها اهتموا بكلا الأمرين .

(٥٦) اليعايب : جمع يعيوب وهو الشديد للعدو . والوقح : جمع وقاح وهو الصلب الحافر . والهضبات : الضخام الشداد كأنها الهضاب . والمذر : جمع هذار وهو الجمام ، وابتلت العذر : أى من العرق ، كناية عن السرعة والنشاط .

(٥٧) جافلات : مسرعات . والعوج : جمع أعوج ، ويريد بها قوائمها ، وقوائم الخيل تمتدح بما فيها من انحناء . والنجل : جمع نجول وهو السريع . والملاطيس : المعاول تكسر بها الصخور ، لمطاس ، يشبه بها حوافرها ، ووصفها بالسبرة للدلالة على شدتها وصلابتها .

(٥٨) أناقت : أشرفت . والهادى : جمع هاد ، والهادى : المتق . والتلع : الطويلة ، جمع أتلع . وشذبت : سويت وهذبت . والقشر : القشور . يشبه أعناق الخيل الطويلة المشرفة بمجذوع نخل شذبت قدورها فظهرت أكثر طولا .

- ٥٩ قَهَى تَرْدَى ، فَإِذَا مَا أَلْهَبَتْ طَارَ مِنْ لِحْمَائِهَا شَدُّ الْأُزْرِ  
٦٠ كَاثِرَاتٍ ، وَتَرَاهَا تَنْتَحِي مُسَلِّحَاتٍ إِذَا جَدَّ الْحُضْرُ  
٦١ دُلِقَ الْغَارَةُ فِي إِفْزَاعِهِمْ كَرَّحَالِ الطَّيْرِ أَمْرَابًا تَمُوتُ  
٦٢ تَذَرُّ الْأَبْطَالَ صَرَغِي بَيْنَهَا مَا بَيْنِي مِنْهُمْ كَيْفَى مُتَعَفِّرُ

\* \* \*

- ٦٣ قَهْدَاءَ لَيْسِي قَيْسٍ عَلَى مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ سُوءِ ضُرِّ  
٦٤ لَا يُلِجُونَ عَلَى غَارِمِهِمْ وَعَلَى الْإِسَارِ تَيْسِيرُ الْعَسْرِ

(٥٩) تردى : تضرب الأرض بحوافرها في أثناء العدو . وألهبت ( بالبناء للجهول ) : دفعت إلى الإسراع ، وحسبنا أصحابها عليه ، و ( بالبناء للعلوم ) : أمرعت كلهيب النار . والإحما : مصدر أحمى بمعنى أشعل وأوقد . والأزر : جمع إزار . يقول إنها تسرع فترجم الأرض بحوافرها ، فإذا ما ألهبا فرسانها نظارت ثيابهم مما اشتعل فيها من نشاط وحاسة .

(٦٠) كاثرات : أى راغبات أذناهن من شدة العدو . وتنتحى : تعض على شكائم بلحها من شدة النشاط والحوية . وجد الحضر : اشتد العدو .

(٦١) دلق الغارة : مسرعات إليها مقدمات نهسوها . ورحال الطير : قطعها وجناحتها . يشبه التحليل في انطلاقها للحرب بأسراب الطير تمر قطعاً قطعاً .

(٦٢) ما ينى : ما يزال . والكسى : البطل الشجاع . والمنعفر : الذى سقط فوق التراب بعد أن لاق مصرعه ، من « العفر » وهو التراب . وإلى هنا تنتهى قطعة الفخر العلويلة التى شغلت معظم أبيات القصيدة ، والتى كانت موضوعها الأسامى ، ليصل طرفه بعد ذلك إلى ختام قصيدته الذى سيركز فيه موقفه النهائي من قومه .

(٦٣) بنو قيس : هم قومه ، بنو قيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل . والمر والضرب ( بالضم ) : السراء والضراء . يقول : نفى فداء لهم فى السراء والضراء ، فى الخير والشر ، على كل حال تتقلب الحياة بالناس عليها .

(٦٤) الغارم : المدين الذى يعجز عن سداد دينه . والإيسار : الأغنياء الموسرون . يصف قومه بأنهم متعاونون فى السراء والضراء ، متكافلون اجتماعياً ، يتولى أغنيائهم تدبير أمر فقراءهم وتيسير حصرهم ، ويهملون الغارمين منهم ، وينظر ونهم إلى ميسرة .

- ٦٥ ولقد كنتُ عليكم عاتِباً      فعقبتمُ بذنوبٍ غيرِ مرّةٍ  
٦٦ كنتُ فيكم كالمُغطّى رأسه      فانجلى اليومَ قناعي ونجّرتُ  
٦٧ سادراً أحسبُ غيّي رَشداً      فتناهيتُ وقد صابتُ بقُرّ

\* \* \*

(٦٥) عَقِبْتُمْ : رجعتُم وعطفتم . والذنوب : الدار المتلثة ماء . ضربها مثلاً لرجوع قومهِ إليه بعد جفوة ، وعطفهم عليه بعد قطيعة . لقد أعادوا المياه بينهما كما كانت دون منّ منهم أو أذى . لقد قدموا إليه فلا تفيض بالود الصافي المذهب الذي لا تشوبه مراوة .

(٦٦) انجلى : انكشف . وانجرت : جمع نجار وهو غطاء الرأس ، أما القناع فهو غطاء الوجه . يرسم صورة معبرة للوقف كما كان بينه وبينهم . وكما أصبح بعد زوال الجفوة وانتهاء القطيعة . لقد كان كمن غطى رأسه بغطاء كثيف يحجب عنه الرؤية ، ويرد البصر ، ثم انكشف عنه الغطاء فأصبح يبصر الأمور على حقيقتها . وفي القرآن الكريم « فكشفنا عنك غطاءك فبصر لك اليوم حديد » (ق ٢٢) .

(٦٧) السادر : المتساقط في الضلال ، الذي غشت بصره غشاوة فلم يعد يبصر وجه الحق والهداية . وتناهيت : أقصرت عما كنت فيه ورجعت عنه . والقر : القرار . وقوله « صابت بقر » مثل يضربه العرب للأمر إذا وقع موقعه ، واستقر في قراره ، أو — كما يقال — عاد إلى نصايه . والواو فيه تخال . يقول : لقد كنت تائهاً في ضلالتى ، تشابهت على الأمور ، واختلط على الهدى والضلال ، ثم انتهى كل ذلك ، واستقرت الأمور في نصايها . والبيت تأكيد للفكرة التي عرضها الشاعر في البيت السابق ، يتمم به قصيدته .

\* \* \*

يوسف خليف

## الْمُتَلَمِّسُ

هو جرير بن عبد المسيح ، وفي رواية جرير بن يزيد بن عبد المسيح من بني ضُبَيْعَةَ بن ربيعة بن نزار ، وأخواله بنو يَشْكُرَ ، كان مع ابن أخيه طرفة بن العبد من ندماء عمرو بن هند ملك الحيرة ، وله معهما قصة مشهورة تقول إنهما غضبا منه مرة فهجوا فكره قتلها بنفسه ، فكتب لهما كتابين إلى عامله في البحرين يأمره بقتلها ، فلما كانا ببعض الطريق عرفا ما في كتابيهما من بعض من يعرفون القراءة . أما طرفة فلم يعبا بذلك ومضى إلى عامل البحرين فقتله ، وأما المتلمس فقلذف صحيفته في نهر الحيرة وهرب إلى بني جفنة ملوك الشام .

وقد سمي المتلمس لقوله في قصيدة :

فَهَذَا أَوَانُ الْعَرِضِ جُنَّ ذُبَابُهُ      زَنَا يَبْرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَلَمِّسُ

وقد رويت الأبيات المختارة في ديوانه ، وهي تصور نظرة الجاهل إلى الموت والدعاء لليت بأن يسقى الخيث قبره .

ويعد شعر المتلمس من أقدم النصوص الجاهلية لأنه من شعراء النصف الأول من القرن السادس الهجري<sup>(١)</sup> . ويقول للبكري عن وفاته أنه "هلك ببقرى في الجاهلية" ، وكان له ابن شاعر يسمى عبد المنان ، أدرك الإسلام<sup>(٢)</sup> .

(١) يرى برونيانم أنه ولد عام ٥٠٠ — ٥٠٥ م ويرى محقق الديوان الأستاذ حسن كامل الصيرفي أن ولادته كانت عام ٥٢٥ م على وجه التقريب .

(٢) سبط اللآل ص ٣٠٢ . ويذكر محقق الديوان أن المتلمس توفي عام ٥٨٠ م وإن كانت هناك مصادر أخرى تذكر أنه توفي قبل هذا التاريخ بعشرة أعوام (انظر مقدمة الديوان ص ٢٦) .



ويصوّر ما وصل إلينا من شعر المتلمس جانباً من حياة المناذرة وعلاقتهم  
بالتبائل العربية وصراعاتها وتدخلهم في شئونها ، وتأثير ذلك على الشعر القبلي  
وشعرائه . والأبيات المختارة مروية في ديوانه . (\*)

\* \* \*

- ١ خَلِيلُ الْإِمَامِ يَوْمًا وَزُحْرِي حَتَّ مَنَآيَا كُنَّا فِيهَا يُزْحِرُهُ الدَّهْرُ
- ٢ قَسْرًا عَلَى قَبْرِى ، فَقَوْمًا فَسَلَبَا وَقُولَا : سَقَاكَ الْغَيْثُ وَالْقَطَرُ يَا قَبْرُ
- ٣ كَانَ الَّذِي غَيَّبَتْ لَمْ يَلَهُ سَاعَةً مِنَ الدَّهْرِ ، وَالذَّنْبُ لَهَا وَرَقٌ نَضَرُ
- ٤ وَلَمْ تَسْقَهُ مِنْهَا يَعْذِبُ مُتَمَسِّعٌ بَرُودٍ ، حَمَمَةُ الْقَوْمِ وَجَرَّاجَةٌ يَكْرُ
- ٥ وَلَمْ يَقْطَعْ بَلَجٌ فِي يَوْمٍ حَرٍّ وَقِسْرَةٍ حُمِيًّا ، فَدَبَّتْ فِي مَفَاصِلِهِ الْخُمْرُ
- ٦ وَلَمْ يَرُوحِ الْعَيْسَ الْكَوَانِسَ بِالضُّحَى بِأَسْرَارٍ مَسْوِيٍّ ، أَلَدَتْهُ صُفْرُ

(\*) انظر ديوان المتلمس النخعي تحقيق حسن كامل الصبي في ص ٢٥٦ .

(١) زحرت منايانا : تأثرت وفانكا .

(٢) القطر : المطر .

(٣) كان الذي غيبت : يقصد نفسه ، كان الذي واديت التراب .

(٤) برود : بارد ويقصد ثمر المرأة . والجراجة : المرأة التي يترجج كفها ، والمعنى : ولم تسقه وجراجة يكر يعذب تمتع برود حمته القوم .

(٥) القرة : البرد . الحيا : بلوغ الخمر من شاربها أو شدة السكر .

(٦) الكوانس : جمع كائسة وهي الظباء والبقرة التي تدخل الكناس وهو المسكن الذي تستكن فيه

من الحر . والعيس : الإبل البيض يحالط بياضها شقرة ، الواحد : أعيس ، والواحدة عيساء .  
والمولى : الذي قد أصابه مطر بعد مطر . ألدته : جمع لديد وهي نواحيه وجوانبه . والديدان : جانبها  
الوادي .

- ٧ تَسْنَنُ بِقَوْلِ الصَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّمَا يَأْسُنَهَا - مِنْ لَسِّ حُلْبِهَا - الصَّقْرُ  
٨ وَلَمْ يَمْدَحِ الْقَرَمَ الْهَمَامُ بِكَفِّهِ لَطَائِمُ يُسْقَى مِنْ فَوَاضِلِهَا الْقَفَرُ  
٩ رَمَى نَحْوَهُ فِي النَّاسِ ، وَالنَّاسُ حَوْلَهُ وَذُو يَسْرَةٍ عِلْبٌ مَنَّا كَبُهُ سَعْرُ  
١٠ وَمَا طُورِيَّةٌ شَدَّ الْعَسِيفَانِ أَطْرَهَا إِسَارًا وَأَطْرًا فَاسْتَوَى الْأَطْرُ وَالْأَمْرُ  
١١ تَرَامِقُهُ الْمِثْلَادُ حَتَّى تَمَكَّنَتْ إِلَيْهِ طَوَالَ الْبَابِ مَرَدَهُ الْجَدْرُ  
١٢ نَخَافُ ، وَقَدْ حَلَّتْ لَهُ مِنْ فُؤَادِهِ مَحَلٌّ جَلِيلُ الشَّانِ قَدَّمَهُ الْأَمْرُ

(٧) اللس : أخذ الراعية الكلا بأطراف لسانها . واللس على الإطلاق : الأكل . الحلب : نبات ينبت في القيقب بالقيمان وشطآن الأودية ولا تأكله الإبل وإنما تأكله الشاء والظباء . الصقر : الدبس السائل أو ما تحلب من العنب والزبيب والتمر من غير أن يعصر . والصقرا أيضا : اللبن الشديد الحموضة .  
(٨) القرم : السيد المعظم . والهمام : صفة لصاحب الهمة وكذلك اسم لالك الذي تعظم همة ، وقد أطلق هذا القرب على عمرو بن هند كما جاء في بيت النابغة الذبياني مدحا له حين غزا الشام :  
فداء ما تقل النعل منى إلى أعلى الذؤابة الهمام  
والطائم : جمع الطيعة وهي الميراثي تحمل الطيب ويرتجوا . والقواضل : التعم المغليمة ، الواحدة : فاضلة .

(٩) العلب : الجاني الغليظ ويقصد به عمرو بن هند . مناكبه : نواحيه . السعرة : الحر أو حر النار ، والسعرا أيضا الشهوة مع الجوع . ولعله يصف نواحي الملك عمرو بن هند بأنها حارة أو أنها منبهة .  
(١٠) المأطورة : القروض المستوية . العسيفان : الأجيران . الأطر : عطف الشيء ، تقيض على أحد طرفيه فتعوجه ، وكل شيء عطفته على شيء فقد أطرته فأطره أطرا . الأسر : الرباط يقال أسر فلان إساراً وأسر بالإسار أي بالرباط .

(١١) الرامق : الذي يفتق الباب بالمتلاق ، تقول : هو يرمقه أي يفتقه . المقلاد : المفتاح . مرده : جملة ألس . الجدر : أي الجدار .

\* \* \*

سعيد حسني

## الحارثُ بن حَلْزَة اليشكري

هو الحارث بن حَلْزَة بن مكروه بن بُدَيْد بن عبد الله بن مالك بن عبد سعيد ابن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر ، من قبيلة بكر بن وائل . شاعر قديم مشهور ، ومن المقلّين ، وهو صاحب المعلّقة المشهورة : « آذنتنا بينها أسماء » . يقال إنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند — ملك الحيرة — ارتجالاً ، في شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح الذي تمّ بينهما بعد حروب كثيرة ، وزعم الأصمعي أنه قالها وهو ابن مائة وخمسة وثلاثين سنة .

\* \* \*

نظم الحارث بن حلزة قصيدته « المعلّقة » في خلاف بين قومه من بني بكر ، وبين قوم عمرو بن كلثوم من بني تغلب ، حاول فيه ملك الحيرة عمرو بن هند أن يوفق بينهما فأخفق . وكان عمرو بن هند يميل إلى تغلب .

ويبدأ الحارث قصيدة بوقفة قصيرة على الأطلال يمتزج فيها النسيب بتذكّر الأماكن التي كانت تنزل بها قبيلة حبيته ، وذلك على عادة شعراء الجاهلية ، وينتقل من ذلك إلى وصف ناقته في أبيات قليلة . وهي الناقة التي يمتطيها ليصل إلى ملك الحيرة ولا تزيد هذه المقدمة عن خمسة عشر بيتاً ينتقل بعدها إلى موضوع القصيدة الرئيسي وهو المفاخرة أمام بني تغلب بزعامة عمرو بن كلثوم ، وفيها مدح لعمرو بن هند وإن كان يأتي عارضا .

والقصيدة نموذج جيد للشعر القبلي :

\* \* \*

## مِنَ المعلقة

\*\*\*

- |   |  |  |
|---|--|--|
| ١ | آذَنَّا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ                    | رُبَّ ثَاوِيٍّ يَمِلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ |
| ٢ | بَعْدَ عَهْدٍ لَهَا بِبُرْقَةٍ شَمَاءُ         | فَأَدَّتْ دِيَارَهَا الْخَلَصَاءُ        |
| ٣ | فَالْمُحْيَاةُ فَالْصَّفَاحُ فَأَعْلَى         | ذِي فَتَاقٍ فَعَاذِبُ فَالْوَفَاءُ       |
| ٤ | فَرِيَاضُ الْقَطَا فَاوْدِيَةُ الشَّرِّ        | بُيُوبُ فَالشُّعْبَتَانِ فَالْإِبْلَاءُ  |
| ٥ | لَا أَرَى مَنْ عَهْدَتْ فِيهَا فَأَبْكِي إِلَى | يَوْمٍ دَلَمَّا وَمَا يَرُدُّ الْبَكَاءُ |
| ٦ | وَبَعِيْنِكَ أَوْقَدْتُ هُنْدُ النَّارِ        | رَأَخِيرًا تُلَوِّى بِهَا الْعِلَاءُ     |
| ٧ | أَوْقَدْتُهَا بَيْنَ الْعَقِيقِ فَشَخْصِيْنِ   | مِنْ بَعُودٍ كَمَا يُلَوِّحُ الضِّيَاءُ  |
| ٨ | فَتَنَوَّرَتْ نَارُهَا مِنْ بَعِيدٍ            | بِحُزَازٍ هِيَآتَ مِنْكَ الصَّلَاءُ      |

- 
- (١) آذَنَّا : أعلبتنا . البين : الفراق . رب ثاوي : رب مقيم يميل منه الثواء : رب مقيم يميل منه إقامته .
- (٢) برقة شماء : هضبة . الخلصاء : اسم مكان بالدخلاء .
- (٣) محيأة : أرض . الصفاح : أسماء هضاب مجتمعة . فتاق : جبل . هاذب : واد . الوفاء : أرض .
- (٤) رياض القطا : رياض بعينها يكثر فيها هذا الطائر . الشرب : جبل . الشعبتان : جبل من الزبل . الإبلاء : اسم بئر .
- (٥) دلما : مدله العقل ، أى ذاهب العقل .
- (٦) يقول إنه رأى هذا فى آخر عهده بها توقد ناراها وترفعها لتضىء له .
- (٧) العقيق : اسم مكان . شخصان : أكمة لما شعبتان . العود : الذى يتخربه .
- (٨) حزاز : جبل بين العقوق وشخصين كما وصف . الصلاة : النار . أى ما أبعد تلك النار منك .

- ٩ غير أنى قد أستعين على الهد  
١٠ بزُفوف كأنها هقْلَةٌ أ  
١١ آتست نبأة وأفزعها القنء  
١٢ فترى خلفها من الرجع والوقء  
١٣ وطرافا من خلفهن طراق  
١٤ أتلهى بها الموابر إذ كء
- سم إذا خف بالشوى النجاء  
م رثال دويء سقفاء  
ناص عصرا وقد دنا الإمساء  
مع مَنِينًا كأنه إهباء  
ساقطات تُلوى بها الصحراء  
ل ابن هم بليئة عمياء

\* \* \*

- ١٥ وأتانا عن الأراقم أنبا  
١٦ أن إخواننا الأراقم يغفلو
- ء وخطب نعتى به ونساء  
ن علينا فى قولهم إحفاء

(٩) الدورى : المقيم . النجاء : الانطلاق .

(١٠) زُفوف : ناقة مسرعة خفيفة ، والزفيف : عذر النعام إذا أسرع . الهقْلَة : النعامة . الرثال : فراخ النعام واحد هارال . دورية : منسوبة إلى الدورى الأرض الواسعة . سقفاء : طويالة العنق مرتفعة .

(١١) يقول : آتست هذه النعامة نبأة وهى الصوت الخفى . والقناص : الصياد .

(١٢) يقول : ترى خلف الناقة من الرجع أى رجع قوائمها منينا وهو الغبار الدقيق الذى تثيره قوائمها . الإهباء : الغبار .

(١٣) الطراق هنا : الغبار ، أى يتساقط الغبار من خلفها فتلوى به الصحراء .

(١٤) أتلهى بها : يقصد يركبها فى وقت الهابرة وقت شدة الحر . كل ابن هم : كل من نزل به هم . البليئة : ناقة الرجل إذا مات عقلت عند رأسه ، وعكس رأسها بذنبها ، لا تأكل ولا تشرب حتى تموت ، فهى عمياء لا تنبج .

(١٥) الأراقم : أحياء من يخى تغلب وهم يحل وحنيئة وذهل بن شيبان .

(١٦) يغفلون علينا : يرتفعون علينا فى القول ويظلموننا ويحملوننا ذنب غيرنا . وقوله : فى قولهم إحفاء : أى أنهم حملوا علينا وألحوا فى مساءتنا والصقوا بنا ما نكره .

- ١٧ يَحْلِطُونَ البرىء منا بذى الذِّذ  
سب ولا ينفع الخلى الخلاء  
١٨ زعموا أن كلَّ مَنْ ضَرَبَ العِيَّة  
رَ مَوَالٍ لنا وأنا الولاء  
١٩ أَجْمَعُوا أمرهم بليلى فلما  
أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء  
٢٠ مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مَجِيبٍ وَمِنْ تَصْبٍ  
يهال خيلٍ خلالَ ذاك رُغَاء

\* \* \*

- ٢١ أيها الناطق المرقش عنا  
عند عمرو وهمل لذلك بقاء  
٢٢ لَا تَحْتَنِبْنا على غَراتِكَ إِنَّا  
قَبْلُ ما قَدِ وَشَى بنا الأعداءُ  
٢٣ فَبَقِينا على الشَّناءة تَتَمَّى  
لنا حصونٌ وعزرة قعساء  
٢٤ قَبْلَ ما اليَوْمَ بَيَّضَتْ بَعْيُونِ إل  
نَاسٍ فيها تَعِيطٌ وإِباء

(١٧) لا ينفع الخلى الخلاء، لا ينفع البرىء من الذنب براءته منه .

(١٨) يقول : إن إخواننا الأراقم يلوموننا ويصفوننا بالباطل ، ويضيقون إلينا ذنب غيرنا ، ويطالبوننا بجناية كل من جنى عليهم من نزل صغراء أو ضرب هيرا ، ويجعلونهم موالى لنا وأبناء عمومة لنا .

(١٩) أجمعوا أمرهم : أحكموا أمرهم .

(٢٠) الرضاء : أصوات الإبل .

(٢١) المرقش هنا : يعنى عمرو بن كلثوم ، والمرقش : المزين للشيء . وعمرو : يقصد الملك

عمرو بن هند .

(٢٢) يقول : لا تحسب أننا جازعون لإغرائك الملك بنا .

(٢٣) الشناءة : البغض والكراهية . يقول : الحصون تحول بيننا وبين شناءة الناس إلانا .

القعساء : الثابتة المصمتة القوية .

(٢٤) يقول : قبل اليوم عظم شأنها على الناس حتى أعظمهم وعظمت على أبصارهم . التعيط :

الارتفاع والامتناع .

٢٥ وكان المنون تردى بنا أر      عن جونا ينجاب عنه العماء  
٢٦ مكفهرأ على الحوادث لا تر      تسوه للدهير مؤيد صماء

\* \* \*

(٢٥) المنون : المنية والموت . الأرعن : الجبل . الجون : الأسود ، وهو من الأضداد ،  
وأراد به هنا النار . ياب عنه : ينشق عنه . العباء : النيم الرقيق .  
(٢٦) مكفهرأ : يقصد الجبل . لا ترقوه : من الرزو وهو القمر من الشيء والنقصان له .  
لؤيد : القوى الشديد ، يريد اللداهية . يقول إن الشدائد لا تؤثر في هذا الجبل الذي يشبه به قومه .

\* \* \*

سيد حنفي

## عمرو بن كلثوم

\* \* \*

هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ينتهى نسبه إلى قبيلة تغلب التى ذاع  
حيتها فى حرب البسوس التى دارت رحاها بينها وبين بكر ، وأرهقتها زمنا  
طويلا .

وهو واحد من شعراء الجاهلية المشهورين ، عاصر عمرو بن هند ملك الحيرة ،  
وكانت قصته معه دافعا لنظم معلقته المشهورة .

ترجم له ابن سلام وصنّفه بين طبقات الشعراء فأدرجه ضمن شعراء الطبقة  
السادسة من الجاهليين ، وعرف بمكانة القبيلة المرموقة بين شعراء العصر جميعا .  
وشعره المتبقى بين أيدينا قليل ، وأشهره ذيوعاً تلك المعلقة المشهورة التى  
تحوّلت إلى صورة قبلية رائحة راح فيها يتغنى بانتصارات قومه ، ويعلم الناس بدورهم  
من خلال تسجيل مفانهم وتأكيد شجاعتهم فى صور تخيف القبائل الأخرى  
وتفزعها وترصد لتغلب مكانة لا تعادلها مكانة .

ومعروف عن هذه المعلقة أنها انتشرت بين أبناء قبيلته وتوارثتها الأجيال  
المختلفة حتى صارت بمثابة « النشيد القومى » فيها ، حتى « ألهتهم عن كل مكرمة »  
على حدّ تعبير بعض شعراء بكر حين آخذوهم على كثرة تغنيهم بها وترديدهم إياها .  
وتختلف المعلقة فى بعض جزئياتها عن الصورة التقليدية عند شعراء المعلقات  
حيث بدأها عمرو بافتتاحية حمرية ، وتجنب فيها حديث الطلل ، متأثرا بالطابع  
الحماسى والافتعالى الذى سيطر عليه من جرّاء الواقعة التى دفعته إلى نظمها .



ومعروف أيضا عن دافع النظم إليها ما كان من شأن ليلي أم عمرو بن كلثوم حين نادت بأعلى صوتهما وأذلاء لتغلب إثر مطلبٍ طلبته منها هند أم عمرو بن هند — ملك الحيرة — بأن تناولها شيئا ما على المائدة ، فكانت الواقعة بمثابة تعبير أو إهانة مثلت دافعا حارا ، انطلق منه عمرو لينتقم من خلاله لكرامة المرأة العربية ممثلة في شخص أمه ، في هذا الموقف ، وهو ما سنراه ونلتمسه تصويرا وتقريراً فيما اخترناه من أبياتها أو — بمعنى أدق — من وحداتها الفنية المتكاملة .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## مِنَ المعلقة

« صوت قومي »

(١) مع الصبح

- ١ ألا هُبِّي بصحنيك فاصبحينا ولا تُبقي نُجُورَ الأندرينا
- ٢ مُشعَّعةً كأنَّ الحُصَّ فيها إذا ما الماءُ خالطها سخينا
- ٣ تجورُ بذى اللبانة عن هَواءٍ إذا ما ذاقها حتى يلينا
- ٤ ترى اللِّيزَ الشحيح إذا أُمرت عليه لماله فيها مهيئا
- ٥ وإنا سوف تديرُكُنَا المنايا مقدرةً لنا ومقدِّرينا

(ب) مع الظعينة

- ٦ فيني قبلَ التفرُّقِ يا ظعينا تُخبرُك اليقينَ وتُخبرينا
- ٧ فني تسألك هل أحدثتِ صرماً لو شئتِ البينَ أم خُنتِ الأمينَ

(١) الصحن : كأس الخمر أو القدر . والصبح : نحر النداء وعكسها النبوق وهي نحر المساء . الأندرين : قرية بالشام اشتهرت بجودة خمرها ولذلك نسبت إليها الخمر فغا لشأنها دون سواها من أنواع الخمر .  
 (٢) الخمر المشعة : التي رقت من المزج بالماء . الحص : الورس أو الزعفران وهو معروف بصفرته . اتخذ منه مشهداً لونيا للخمر . تخينا يشير بها إلى ما كان يحدث من تسخين الماء قبل المزج في الشتاء . وربما قصد بها السخاء في اتفاق المال وإهانتة في سبيل شربها فهم لا يتجلون عليها بأموالهم .  
 (٣) تجور : تعدل وتميل . ذواللبانة : صاحب الحاجة . من هواء : عن حاجته . يلين عن : يسرحتي الثألة . أُمرت : أدير في مجلس الخمر على النداء . يهين المال : ينفقه مسرفاً في إنفاقه بلا حساب ولا اعتزاز به إذ يتحول إلى مجرد وسيلة لا غاية .  
 (٤) المنايا : الأقدار أو الموت . مقدرة لنا ومقدِّرينا : أي أننا خلقنا للنية وصددت لها نهاية حياتنا صداً حتمياً مقدراً لا نستطيع منه فراراً .

(٦) الظعينة : ترقيم الظعينة وهي المرأة الراحلة في هودجها مع قومها أو جمعها ظعن أو ظمائن .  
 (٧) الصرم : القطيعة . وشك البين : مبرة الفراق . الأمين هنا هو الشاعر لأنه حفظ سرها .

- ٨ تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ      وَقَدْ أَمِنْتَ عُيُونَ الكَاشِحِينَ  
٩ ذِرَاعِي عَيْطِلٍ أَدَمَاءَ يَكْرِ      تَرَبَّعَتِ الْأَجَارِعَ وَالْمُتُونَا  
١٠ تَذَكَّرْتُ الصَّبَا وَاشْتَقْتُ لَهَا      رَأَيْتُ حُمُولَهَا أَصْلًا حُدِينَا  
١١ وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْتَحَرَّتْ      كَأَسْيَافٍ بَأْيَدِي مُصَلِّتِينَا  
١٢ فَمَا وَجَدْتُ كَوِجْدِي أُمَّ سَقِبٍ      أَضَلَّتْهُ فَرَجَعَتِ الْحَنِينَا  
١٣ وَلَا شِمْطَاءَ لَمْ يَتْرُكْ شَقَاهَا      لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينَا  
١٤ وَإِنَّ غَدًا وَإِنَّ الْيَوْمَ رَهْنٌ      وَبَعْدَ غَدٍ بِمَا لَا تَعْلَمِينَا

## (ج) إلى ابن هند (نفر)

- ١٥ أبا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا      وَانْظُرْنَا نُخَبِّرَكَ الْيَقِينَا  
١٦ بَأَنَّا نُورِدُ الرَايَاتِ بِيَضًا      وَنُعْبِدُ رَهْنُ حُمْرًا قَدْ رُوِينَا

(٨) الكاشح : المدر أو الرقيب . دخل على خلاه : بعيدا عن الرقباء والوشاة .

(٩) عيطل : طويلة العنق . الأدماء : بيضاء . البكر : التي لم تلد من قبل .

تربعت : رعت نبات الربيع . الأجارع : كتيبان الرمال . المتون : ما غلظت من الأرض .

(١٠) الحمول : الإبل تحمل عليها الأثقال . أصلا : في وقت الأصيل قبيل الغروب . حُدِينَا : ساقها الحادى أو دليل الرحلة ، فهي تحذوه أو هو يحذوها لأنه دليلها .

(١١) اشتحرت : طالت وامتدت . المصلت : الشاهر سيفه . أو أخرجه من غمده استعدادا للزك والقتال . أمرضت : ظهرت وبانت على امتداد النظر .

(١٢) أم سقب : الناقة ( السقب : ولدها ) أضلته : أفنقته وأكثرته من البحث عنه . رجعت الحنين : رددته حزنا على فقد ولدها وفشلها في الحصول عليه .

(١٣) الشمطاء : المجوز التي أشتد حزنها على فقد أبنائها . شقاها : تعبها في تربية أبنائها ورعايتهم .

(١٤) أبو هند : عمرو بن المنذر . انظُرْنَا : انتظرنا أو أخرجنا لننظر ما يكون من أمرنا معك في قتالنا العنيف ( وهو يهدده ويتوعده هنا ) . اليقين هنا الحقيقة القتالية التي لا مراء فيها .

(١٦) الرايات : الأعلام . الورد والصدر : قدوم الإبل إلى الماء ورجوعها عنه بعد الإرتواء منه وإشباع ظمئها .

- ١٧ وأيام لنا غُرَّ طَوَالٍ      عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا  
 ١٨ وَسَيِّدٍ مَعْتَرٍ قَدْ تَوَجَّوْهُ      بَسَاجِ الْمَلِكِ يَجْعَى الْمُحْجَرِينَا  
 ١٩ تَرَكْنَا الْحَيْلَ مَا كَفَّةَ عَلَيْهِ      مُقْلَدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا  
 ٢٠ وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا      وَشَذَبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا  
 ٢١ مَتَى تَنْقُضْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا      يُكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا  
 ٢٢ يَكُونُ نِفَاقَهَا شَرْقَى نَجْدٍ      وَلَهُوَّتَهَا قُضَاعَةُ أَجْمَعِينَا  
 ٢٣ وَتَنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعْدٌ      نَطَاعِينَ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا  
 ٢٤ وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ نَحَرَتْ      عَلَى الْأَحْقَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا  
 ٢٥ نَدَافِعُ عَنْهُمْ الْأَعْدَاءَ قَدَمًا      وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا  
 ٢٦ نَطَاعِينَ مَا تَرَانِي النَّاسُ عَنَّا      وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غَشِينَا

- (١٧) غُرَّ طَوَالٍ : بِيض مشهورة . أن ندين : أن نخضع أو نذل أو نطيع له أمرا خوفا منه .  
 (١٨) يَجْعَى : يَمْنَع . المحجرين : الذين أُلْحِثُوا إِلَى الْمُضِيقِ وَبَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَى الْآخَرِينَ .  
 (١٩) مَا كَفَّةَ : مَقْبِية . الصافن : الفرص القائم الذي رفع إحدى قوائمه بعد نهاية القتال .  
 (٢٠) شَذَبْنَا : فَرَّقْنَا بَعْضَهُمْ وَشَتَّيْنَا شَمْلَهُمْ . الْقَتَادَةُ : شَجَرَةٌ لَهَا شَوْكٌ وَالتَّشْدِيدُ : قَطْعُ الْأَصْصَانِ .  
 مِنْ يَلِينَا : يَلِي حَرِينَا وَيُعَادِينَا أَوْ يُتَرَدُّ عَلَيْهَا .  
 (٢٢) النَّفَالُ : قِطْعَةٌ مِنَ الْجِلْدِ تَوْضَعُ تَحْتَ الرَّحَى يَسْقُطُ عَلَيْهَا الطَّحِينَ وَهِيَ لَا تَوْضَعُ إِلَّا فِي وَقْتِ  
 الطَّحْنِ . الْإِهْوَةُ : قِيْضَةُ مِنَ الطَّحِينَ تَلْقَى فِي الرِّيحِ لَتَدُورُ عَلَيْهَا فَتَطْحَنُهَا .  
 (٢٣) يَبِينُ : يُظْهِرُ وَيُكْشِفُ . نَطَاعِينَ دُونَهُ : أَيْ تَحِيَّةٍ وَنَدَافِعُ عَنْهُ . الْمَجْدُ : الشَّرَفُ وَطُلُوعُ الْمَكَانَةِ .  
 (٢٤) الْأَحْقَاضُ : الْأَمْتَعَةُ . مِنْ يَلِينَا : مَنْ يَجَاوِرُنَا وَيَقَعُ عَلَيْنَا حَقَّ حِمَايَتِهِ وَالدَّفَاعِ عَنْهُ .  
 (٢٥) قَدَمًا : قَدِيمًا ، وَقَدَمًا قَدَمًا . مَا حَمَلُونَا : مَا جَنَرْنَا عَلَيْنَا وَحَمَلُونَا يَا هُ مِنْ دِيَارٍ أَوْ مَسَاحِدَاتٍ .  
 (٢٦) تَرَانِي : تَبَاعَدُ . غَشِينَا : اقْتَرَبَ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ خَاصَّةً فِي مَرَاحِلِ الْعِتَاقِ فِي الْقِتَالِ .

- ٢٧ بُسْمِرٍ مِنْ قَنَا الْخَطَى لُدْنِ ذَوَابِلَ أَوْ يَبِيضَ يَعْتَلِينَا  
 ٢٨ نَشَقُّ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنُخْلِيهَا الرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا  
 ٢٩ تَخَالُ بِحَاجِمِ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَسُوقًا بِالْأَمَاعِيزِ يَرْتَمِينَا  
 ٣٠ تَجْجُدُ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَ  
 ٣١ كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ غَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِينَا  
 ٣٢ كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ خُضْبَنَ بَارِجُونٍ أَوْ طَلِينَا

\* \* \*

(د) إلى ابن هند (تهديد ووعيد)

- ٣٣ بَأَى مَشِيئَةِ عَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا  
 ٣٤ بَأَى مَشِيئَةِ عَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ نَكُونُ نَحْلِيلُكُمْ فِيهَا قِطِينَا  
 ٣٥ تَهْدِدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُويْدَا مَتَى كُنَّا لَأَمَّاكَ مُقْتَوِينَا  
 ٣٦ فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَهَيْتَ عَلَى الْأَبْطَالِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا  
 ٣٧ وَرِثْنَا بِحَدِّ طَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينَا

(٢٧) السمر من الرماح : أجودها . لُدْن : لينة . ذوابل : فيها بعض اليبس . يعتلين : تعلقو رؤوسهم في وقت اشتداد القتال .

(٢٨) نخليها الرقاب : أي نخجل الرقاب لها كالخشيش (الخلاء) ونجدها كما نجده الخشيش .

(٢٩) الأمعز : الأرض الصلبة كثيرة الحصى جمعها أماعيز . تخال : ترى .

الوسوق : ج وسق وهو الجمل أو هي جمع ساق ويقصد بها سيقان الأبطال عطفًا على حجاجهم .

(٣٠) في غير بر : في غير شفقة عليهم أو رافة بهم أو خوف طيهم . يتقون : يدفنون عن أنفسهم .

(٣١) الغاريق : يشير بها إلى سيوف أصحابه وسيوف أعدائه وهو يستمد الصورة من لعبة عرفت بين شباب الجاهلية يستعملونها لتصوير الضرب المتبادل بينهم وبين أعدائهم .

(٣٤) القطين : المنجاورون (قطن المكان سكته وأقام به) .

(٣٥) القنن : خذمة الملوك بصفة خاصة رويدا : أي تمهل (هيفة تهديد) .

(٣٦) القنأة : الأصل . أهيت : أعجزت . تلين : تذلل وتخضع .

- ٣٨ وَرِثْتُ مَهْلَهًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْرًا نَعَمْ ذُنُرُ الدَّائِرِينَ  
 ٣٩ وَعَتَابًا وَكُلُّهُمْ بَجِيمًا بِهِمْ فَلَنَّا تَرَأَتْ الْأَكْرَمِينَ  
 ٤٠ وَذَا الْبُرَّةِ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ بِهِ نُجْحَى وَنُجْحَى الْمُلْجِئِينَ  
 ٤١ وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلِّبَ فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلَيْنَا  
 ٤٢ مَتَى نَعْقِدُ قَرِينَتَنَا بِحَبْلِ نُجْدُ الْوَصْلِ أَوْ نَقِصُ الْقَرِينَا  
 ٤٣ وَنَوْجِدُ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذَمَارًا وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا  
 ٤٤ وَنَحْنُ الْحَاكِمُونَ إِذَا أُطْعِمْنَا وَنَحْنُ الْتَارِكُونَ لِمَا سَخَطْنَا  
 ٤٥ وَكُنَّا الْإِيمَنِينَ إِذَا التَّقِينَا وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَيْلِنَا  
 ٤٦ فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا  
 ٤٨ فَأَبُوا بِالنَّهَابِ وَالسَّبَايَا وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُعْصِفِدِنَا

(هـ) إلى بنى بكر (نخر مطلق)

- ٤٩ إِلَيْكُمْ يَا بَنَى بَكْرِ إِلَيْكُمْ أَلْمَا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَا  
 ٥٠ أَلْمَا تَعَلَّمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كِتَابٌ يَطْعِنُ وَيَرْتَمِينَا

- (٣٨) مهلهل : كان صاحب حرب وائل أربعين سنة وهو جد عمرو بن كلثوم من قبل أمه .  
 زهير : جده من قبل أبيه . نعم ذنر الدائرينا : أى خير من يصبح أهلاً للفخر .  
 (٤٠) ذو البرة : قيل هو كعب بن زهير لأنه كان على أفعه شعر غشن فشبه بالبرة وهى الحلقة فى أنف البعير . الملجئينا : الذين يقعون فى حمايتنا ويجب علينا الدفاع عنهم .  
 (٤١) ولينا : من الولاية أى صار إلينا فصرنا ولاية عليه .  
 (٤٢) القرية : التى تقرن الى غيرها ، متى تقرن الى غيرنا : أى متى تسابق غيرنا . نجدة : تقطع .  
 القرية : الناقة والجل تكون فيهما خشونة .  
 (٤٤) الحاكمون : المانعون وأصحاب الحكم والسيادة . العازمون : الأشداء فى القتال .  
 (٤٦) الأيمنون : أصحاب الميمنة وهم المتقدمون فى صفوف الجيوش . أصحاب الميسرة : المتأخرون فيها .  
 (٤٨) آبروا : رجعوا . المعفد : المقهد أو المغفل بالأصغاد أو الأغلال . النهاب والسبايا : الغنائم .

- ٥١ علينا البيض واليَلْبُ اليماني وأسيافُ يقمن ويحتلينا  
 ٥٢ علينا كُلُّ سايغةٍ دلاصٍ ترى فوق النجاد لها غصونا  
 ٥٣ إذا وضعت عن الأبطال يوماً رأيت لها جلود القوم جونا  
 ٥٤ وتحملنا غداة الرّوع جرد عرقن لنا نقائدًا وفتلينا  
 ٥٥ ورثناهن عن آباءِ صديق وأورثها إذا ميتنا بنينا

## (و) إلى كل القبائل

- ٥٦ وقد علم القبائل من معد إذا قُبِّبَ بأبطحها بنينا  
 ٥٧ بأننا العاصمون بكلّ تحيل وأنا الباذلون لمجدينا  
 ٥٨ وأنا المانعون لما يلينا إذا ما البيض زابت الجفونا  
 ٥٩ وأنا المنعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا أثينا  
 ٦٠ وأنا الشاربون الماء صفوا ويشرب غيرنا كدراً وطينا  
 ٦١ ألا يبلغ بني الطماح عنا ودعينا فكيف وجد ثمونا

- (٥١) البيض : الحديد . اليلب : الدرع . اليماني المنسوب إلى اليمن في جودة صنعه .  
 (٥٢) السايغة : الدرع التامة . الدلاص : التي تزل عنها السيوف . النجاد : حائل السيف .  
 الغصون : التكسر .  
 (٥٣) الجون : السود أي لسود جلودهم من صدأ الحديد لأنهم يلبسون دروعهم باستمرار .  
 (٥٤) الأجرد من الخيل القصير الشعر أو الكريم منها . النقائد : المختارة أو ما استعذت من قوم آخرين . افطينا : أي نشأت وترت في قومنا مما يؤكد أفعالها .  
 (٥٦) الأبطح والبطحاء : بطن الوادي بما فيه من رمل وحصى . والبطحاء : البقعة من الأرض .  
 (٥٧) العاصمون : المانعون . الكعبل : السنة الشديدة التي اشتد جديها وقت خيراتها .  
 (٦١) الطماح ودعوى : حيوان من إباد . كيف وجدتمونا : ماذا عرفتم من أمرنا وما أذيع من قدرتنا في الحروب . وكثرة انتصاراتنا فيها .

- ٦٢ نَزَلْتُمْ مَثَرَلِ الْأُضْيَافِ مِنَّا  
٦٣ قَرِينَا كُمْ فَعَجَلْنَا قِرَاكُمُ  
٦٤ عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ كَرَامُ  
٦٥ أَخَذَنَ عَلَى بُعُولَتَيْنِ عَهْدًا  
٦٦ لَيْسَتَيْنِ أَبَدَانَا وَبِيضًا  
٦٧ إِذَا مَارْحَنَ يَمْشِينَ الْهُوَيْنَا  
٦٨ يُقْتَنَ جِيَادَنَا وَيُقْلَنَ لَسَمُ  
٦٩ إِذَا لَمْ يَجْهَنَّا فَهَلَا بَقِينَا  
٧٠ لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَحْصَى عَلَيْهَا  
٧١ إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسِ خَسْفًا  
٧٢ نُسَمَّى ظَالِمِينَ وَمَا ظَلَمْنَا  
٧٣ إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ  
٧٤ مَلَأْنَا الْبَرْحَتَى ضَبَاقَ عَنَّا  
٧٥ أَلَا لَا يَجْهَلُنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا
- فَعَجَلْنَا الْقَرَى أَنْ تَشْتُمُونَا  
قُبِيلَ الْعُصْبِجِ مِرْدَاةً طَحُونًا  
نُحَاذِرُ أَنْ تَفَارِقَ أَوْ تَهُونَا  
إِذَا لَأَقَوْا فَوَارِسَ مُعَلِّمِنَا  
وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَ  
كَمَا اضْطَرَبَتْ مَتُونُ الشَّارِبِينَ  
بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا  
لشَيْءٍ بَعْدَهُنَّ وَلَا حَيِينَا  
وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا  
أُبَيِّنَا أَنْ نُقَرَّ الْخَسْفَ فِينَا  
وَلَكِنَّا سَنَبْدُ ظَالِمِينَ  
نَخْرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ  
وَوَظَّهَرُ الْبَحْرِ نَمْلُوهُ سَفِينَا  
فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

(٦٢) أَنْ تَشْتُمُونَا : أى عملنا الحرب مخافة أن تشتمونا أو يقع منكم سباب ضدنا .

(٦٣) الْقَرَى : ما يقدم الضيف لكراما لوفاذته . المرداة : حجرة صلبة شبه بها الكتيبة .

(٦٤) الْبِيض : بيض الحديد أو السيف ، يقصد في البيت سلب الأعداء وقد يقصد بالبيض نساء تغلب وهن يخرجن خلف كتائب الجيوش التغلبي . تهون : تذلل أو يصيبها أذى .

(٦٧) يَمْشِينَ الْهُوَيْنَا : لا يتعجلين في مشين دلالة على ترفهن ونعمتهن ومكانتهن في نفوس بعولهن من التغلبيين . متون الشاربين : أى يتأيلن في مشين مثل السكرى في التباطؤ والتثاقل .

(٦٩) الْخَسْف : الظلم والجور . نَقَرَّ الْخَسْفَ : نتقبله أو نعرف به . أَيْنَا : رفضنا بشدة .

\* \* \*

عبد الله التطاوى



## ذُو الإِصْبَعِ العَدَوَانِي

هو حرثان بن محرث بن شبات بن زهير بن معاوية . . . سمي ذا الإصبع لأن أنفى نهشت إبهام رجله فقطعها فسمى ذا الإصبع .

وهو شاعر جاهلي قديم ، عمر دهره حتى زعم السجستاني — على ما في زعمه من مبالغة — أنه عاش ثلاثمائة سنة . وهو فارس مذكور وحكيم كانت تحتكم إليه العرب . وكنيته أبو عدوان ، وله غارات مشهورة ووقائع كثيرة سجلتها له بعض روايات العصر الجاهلي .

وفي قصيدته النونية التي اخترناها يبدأ الشاعر بذلك الحديث الغزلي الموجز الذي افتتحها به ، ووزعه بين قلبه وصاحبته والوشاة ليدخل إلى تصوير موقفه مع ابن عمه ومنه يبدأ الفخر بنفسه وقومه ، جاعلا مفتاح شخصيته وشخصية قومه جميعا مرتبطا بتلك القدرة المطلقة التي استوقفته فيهم على أن يكونوا جبارين في الأرض لولا بقية حرص على أوامر القربى تجعلهم يكبحون جماح غيظهم ويكبتون قوتهم حتى لا يقوضوا من حولهم من الأقوام . ويسحب الشاعر على نفسه رداء القوة والعنف بنفس الدرجة ويضيف إلى فروسيته اللسانية التي تحكمها العفة وعدم الانصراف إلى الشتائم أو السباب أو الفحش في أي من صوره ، وهو يضمنى على حديثه طابع الصدق من خلال مجموعة الحكم التي يطرحها متناثرة بين الأبيات لتجمع شتاتها وتكون روابط فنية تشد ما يسبقها من المعاني إلى ما يورده منها بعدها .

وهو يمزج بين الفخر والتحدى أو ينتقل إليه في اللوحة الأخيرة التي يعلن فيها صغفه على أعدائه بشكل مباشر ، وإن كان هذا السخط يرد مصحوبا أيضا

بمحرض متكرر على تصوير مثاليته الخُلُقِيَّة في علاقاته الاجتماعية ليرسم من كل جزئياتها مسلكا إنسانيا يقتنع به في حياته ، ويطبقه في تعامله مع أعدائه وأصدقائه جميعا .

وعلى هذا راح الشاعر يعتمد على هذا التداخل بين الصورة والتقرير في صياغة القصيدة ، ما ارتبط منها بحديث الذات في تضخيمها وتعظيمها وسيطرتها على الأبيات ؛ أو ما تعلق منها بحديث الغير كطرف آخر تحكمه رؤيته لما ينبغي أن يسود في العلاقات الاجتماعية بوجه عام .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## بين الفخر والتحدى

- ١ يَأْمَنُ لِقَلْبٍ طَوِيلِ الْهَمِّ مَحْزُونِ      أَمْسَى تَذَكُّرِيًّا أَمْ هَارُونَ ؟
- ٢ أَمْسَى تَذَكُّرُهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَخَّطَتْ      وَالْدَّهْرُ دُوْ غِلْظَةٍ يَحِينَا وَذَوَلِينَ
- ٣ فَلِنْ يَكُنْ حُبُّهَا أَصْحَى لَنَا شَجَنًا      وَأَصْبَحَ الْوَأَى مِنْهَا لَا يُؤَاتِينِي
- ٤ فَقَدْ غَنَيْنَا وَشَمِلَ الدَّارِ يَجْمَعُنَا      أَطِيعُ رِيًّا وَرِيًّا لَا تُعَاصِينِي
- ٥ تَرَبَّى الْوَشَاةَ فَلَا تُخْطِي مَقَاتِلَهُمْ      بِصَادِقٍ مِنْ مَفَاءِ الْوَدِّ مَكُونِ
- ٦ لِي ابْنِ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ      مُخْتَلَفٍ فَا قَلِيلِهِ وَيَقْلِبُنِي
- ٧ أَزْرَى بَنَاتَا شَالَتْ نَعَامَتَنَا      نَخَالَنِي دُونَهُ بَلْ خَلَّتْهُ دُونِي
- ٨ يَا عَمْرُو لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي      أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي
- ٩ لِأَبْنِ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ      عَنِّي وَلَا أَنْتَ دِيَانِي قَتَحْزُونِي

(١) يَأْمَنُ لِقَلْبٍ : صيغة تعجب تصور دهشته من أمره ، فهو يتساءل عن يستطيع ما واثته على قلبه بهذه الصفة وقد يسيطر عليه الحزن وطول الهم وتذكروا .

(٢) يصور الدهر الذي لا يدوم على حال . وهو يتحكم في البشر بليته وغلظته حسب إرادته .

(٣) الشجن : الحزن والهم . الوأى : الوعد . يواتيني : يتم لإنجازه أو يتحقق لي ويصلني . يصور كيف بعدت عنه تلك المرأة فلم يعد وصلها يطاوعه وقد بقيا زمانا على أحسن ما يكون عليه متحابان من وصل .

(٤) يقلبه : يبتضه ، ويكن في نفسه له غدرا وكرها .

(٥) أزرى به : إذا قصر به . شالت نعماتهم : إذا تفرقوا ، وتشتت شملهم .

(٦) الهامة : الرأس وقد أخذت بعدا خاصا في مسألة القتل والتأراذ عرف أن المقتول إذا لم يدرك ثأره يخرج من رأسه هامة تصوت على قبره : اسقوني اسقوني . فإذا قتل قاتله أمسك .

(٧) لاه ابن عمك : لله ابن عمك فأضمر اللام . لا أفضلت : أى لم تفضل . تحزوني : تهزوني ويسومني .

١٠. وَلَا تَقُوتْ عِيَالِي يَوْمَ مَسْغَبَةٍ  
 ١١. فَإِنْ تُرِدْ عَرَضَ الدُّنْيَا بَمَنْقَصَتِي  
 ١٢. وَلَا يَرَى فِي غَيْرِ الصَّبْرِ مَنْقَصَةٌ  
 ١٣. لَوْلَا أَوْاصِرُ قُرْبِي لَسْتَ تُحْفَظُهَا  
 ١٤. لَأَذَنْ بِرَبِّكَ بَرِيًّا لَا أَنْجِبَ أَرْلَهُ  
 ١٥. إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَأْسِي بِبِذَى غَلَقِي  
 ١٦. عَفْ يَأْوُسُ إِذَا مَا خِفْتُ مِنْ بَلَدِي  
 ١٧. وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَذْنَى بِمُسْطَلِقِي  
 ١٨. عَنِّي إِلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةٍ  
 ١٩. كُلُّ أَمْرِي رَاجِعٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ  
 ٢٠. عِنْدِي خَلَائِقُ أَقْوَامٍ قَوِي حَسَبِ  
 ٢١. يَأْرُبُ ثَوْبٌ حَوَاشِيهِ كَأَوْسَطِهِ  
 وَلَا يَنْفَسُكَ فِي الْعَزَاءِ تَكْفِينِي  
 فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ يَشْجِينِي  
 وَمَا سِوَاهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِينِي  
 وَرَهْبَةُ اللَّهِ فِي حَوْلِي يُعَادِينِي  
 إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَنْفَكُ تَبْرِينِي  
 عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا خَيْرِي بِمَعْنُونِ  
 هَوْنًا فَلَسْتُ بِوَقَافٍ عَلَى الْمُهُونِ  
 بِالْفَاحِشَاتِ ، وَلَا قَتْلِي بِمَأْمُونِ  
 تَرَعَى الْخَاضَ وَلَا رَأْيِي بِمَعْنُونِ  
 وَإِنْ تَخَالَقَ أَحْيَانًا إِلَى حِينِ  
 وَآخَرُونَ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ دُونِي  
 لَا عَيْبَ فِي الثَّوْبِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ لِينِ

(١٠) المسغبة : المجاعة والجذب . العزاء : الضيق والشدة .

(١١) المنون : المقطوع ، أى لا أقطع فضلى عن سائلي ولا أمنعه منه .

(١٢) عف : كريم النفس لا يطلع فيما ليس له . الهون : المذلة أو الهوان أو الضعف .

(١٨) ما أمي براعية : أى ليست أمة ويقال إنه عرض به وكان ابن أمة ، أى جارية رعى الغنم .  
 عني إليك : أى انصرف عني ، فقها ردع وزجر بأمره بأن يضم إليه أمره ولا يتعامل معه . فهو  
 بنأى بنفسه عن التماور معه أو مناقشته لأنه يضيق به .

(١٩) التخالق : الاتعمال في التصرف ، وإظهار الإنسان أمام الناس خلاف ما يبطن .

(٢٠) يصوران عنده ما يرضى الكرام من طيب أخلاقه ومحاسن صفاته ، مما لا يتحقق لدى  
 الآخرين وكان الصفات الطيبة كلها لا تلتقي إلا في شخصه .

(٢١) يرى بعض الرواة أنه قصد به السيف ، ومما ثوباً كما يسمى عند البعض حطافاً ورداء لأنه  
 يشوب إليه كل ذى سلاح .

- ٢٢ يوماً شددت به فرغاء فاهقية  
 ٢٣ لي ابن هم لو ان الناس في كبد  
 ٢٤ ائى ائى ائى ذو حافظة  
 ٢٥ وانتم معشر زيد على مائة  
 ٢٦ فان عرفتم سبيل الرشيد فانطلقوا  
 ٢٧ ماذا على وإن كنتم ذوى كرم  
 ٢٨ الله يعلمكم والله يعلمني  
 ٢٩ الله يعلم ائى لا احبكم  
 ٣٠ لو تشربون دمي لم يرو شاربكم  
 ٣١ قد كنت اوايكم مالى وامنعكم  
 ٣٢ لا يخرج الكره منى غير مايسة
- يوماً على الدهر تارات ثماري  
 لظل محتجزاً بالنبل يرميني  
 وابن ابي ابي من ابي  
 فاجمعوا امركم كلاً فيكيدوني  
 وإن جهلتم سبيل الرشيد فأتوني  
 ألا احبكم إذا لم تحبوني ؟  
 والله يحزبكم عنى ويحزبني  
 ولا اؤمكم الا تحبوني  
 ولا دماءكم جمعاء ترويني  
 ودى على مثبتي في الصدر مكنون  
 ولا ألين لمن لا يتبني ليني

(٢٢) به : يقصد بالثوب . الفرغاء : ضربة واسمة الفرغ وهو النسم . الفاهقة : التى تفهى بالدم وتفيض به . يصور ضربه ذلك المحرى تارة بضربة واسمة يشد عليها ثوب .

(٢٣) الكبد : المشقة . محتجزاً : شادا حجزته . يصور ضيق ابن عمه به حتى لم يعد يشغله شاغل إلا رشقه بناله مهما أجهد الناس من البلاء الذى يعمهم حتى يصير لكل منهم شأن يشغله عن شأن غيره .

(٢٥) زيد : يقصد أن عددهم قد تجاوز المائة . أجمعوا : عزوا عليه . كلاً : جميعاً .

(٢٦) يصور شدة العداوة بينه وبينهم وكيف استحكمت ، وهى باقية وإن تفاونا بينهم وأهلك بعضهم البعض .

(٣٢) مايسة من الإباء (مفعلة) . يصور إباءه وكيف أنه لا يقبل أن يعطى شيئاً على قسر أو رغب

أنفه فإذا ما أكره على الشيء لم يكن عنده إلا هذا الإباء والشموخ رغبة فيه وكرها فى الخير .

٣٣ مَاذَا عَلَى إِذَا تَدْعُونِي تَرَعًا      أَلَا أُجِيبُكُمْ إِذْ لَمْ تُجِيبُونِي  
٣٤ يَا رَبِّ حَتَّى شَدِيدِ الشَّغْبِ ذِي جَلَبٍ      دَعَوْتُهُمْ رَاهِنَ مِنْهُمْ وَمَرْهُونَ  
٣٥ رَدَدْتُ بَاطِلَهُمْ فِي رَأْسِ قَائِلِهِمْ      حَتَّى يَظْلُتُوا خُصُومًا ذَا أَفَانِينَ  
٣٦ يَا عَمْرُو أَوْلَيْتَ لِي الْفَيْتَنَى بَسْرًا      سَمْعًا كَرِيمًا أَجَازِي مَنْ يُجَازِينِي

(٣٣) تَدْعُونِي : تَسْمُونِي • التَّرَع : السَّرِيع إِلَى الشَّرِّ الرَّافِع فِيهِ •

(٣٤) الرَّاهِنَ وَالْمَرْهُونَ : الرَّئِيسَ وَالْمَرْهُوسَ • وَالرَّاهِنَ : الْهَاتِمَ الثَّابِتَ • دَعَاهُمْ لِمَنَافِرَاتٍ فَلَمْ يَنْهَضُوا وَلَمْ يَنْبِتُوا سِوَاهُ مِنْهُمْ النَّابِغَ أَوْ الْمُنْبَرِحَ فَكَلَّمَهُمْ يَحْشُونَ لِقَاءَهُ •

(٣٥) بَاطِلَهُمْ : يَقْصِدُ الْبَاطِلَ مِنْ كَلَامِهِمْ وَكَيْفَ رَدَّهُ وَأُورِدَ مِنَ الْجَجَاجِ عَلَيْهِمْ مَا تَشَابَهَتْ مِنْ أَجَلِهِ حُجُجُهُمْ مِنْهُ فَتَعْمِرُوا وَاخْطَفُوا أَصَارُوا جَمِيعًا ذَا أَفَانِينَ • وَالْأَفَانِينَ جُ أَفْسُونٌ وَهِيَ الضُّرُوبُ مِنَ الْكَلَامِ •

\* \* \*

عبد الله التطاوى



عَصْرُ دَا حِيسٍ وَالْغَنَبَرَاءِ





## الطَفِيلُ الغَنَوِيُّ

هو طفيل بن عوف بن خُليف من قبيلة غَنَى ينتهى نسبه إلى قيس عيلان من مضر، شاعر جاهلي لقبه القدماء « بالمحبر » لحسن شعره ووصفه ، كما « لقبوه بطفيل الخيل لكثرة وصفه لها وبراعته في هذا الوصف .

عاش في مطلع النصف الثاني من القرن السادس الميلادي حتى نهايته والأرجح أنه مات قبل الدعوة الإسلامية بقليل . وربما كان ذلك في سنة ٦١٠ ليلاد . كان سيدا في قومه وقائدا لفرسان قبيلته ، كما عُرف بغناه وثرائه مما ساعده على القيام بدور السفارة بين قبيلته وبين غيرها من القبائل العربية ساعيا في الصلح وحقق الدماء .

عُرف طفيل بحكته وحلمه وسداد رأيه ، كما كثر إلمامه بعلم النجوم والأنواء وما أثير حولها من قصص ، كما كان على علم واسع ببيطرة الخيل بسبب كثرة ركوبها واقتنائها .

ومن أهم الموضوعات التي وقف عندها في شعره « الوصف » ، خاصة وصف الخيل والأسلحة والإبل ، حتى جعله صاحب الأغاني أو وصف العرب للخيال ، وقد أعجب وصفه لها عبد الملك بن مروان فقال : « من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل » . ويكثر في شعره أيضا الفخر بقبيلته كما يكثر نفخه بنفسه ، وتتراوج عنده الشخصية الفردية مع الشخصية القبلية في اتساق نفسي يرتبط بطبيعة دوره كشاعر في المجتمع القبلي . وهو واحد من رواد مدرسة الصنعة الجاهلية شأنه في ذلك شأن أوس بن حجر ، وقد صور ذلك أبو الفرج حين ذكر أن طفيلاً كان

أكبر من النابغة وليس في قيس فحل أكبر منه ، وانتهى الأصمعي إلى أن كل الشعراء قد أخذوا من طفيل حتى زهير والنابغة .

على أن هذا كله لا ينفي تأثير الشاعر بغيره من شعراء العصر الجاهلي الذين سبقوه إلى النظم سواء كان هذا التأثير عقوبياً أم متعمداً ، فقد تأثر بامرئ القيس وأبي دؤاد الإيادي الذي ذاع صيته أيضاً في وصف الخيل .

وفي قصيدته اللامية التي اخترناها له يفتتحها بمقدمة غزلية تقليدية أساسها صور الغزل وما يصاحبها من مشاهد الميجر والقطيعة وتدحُّل الوشاة بينه وبين صاحبتة لإفساد العلاقة بينهما ، ومن الغزل ينتقل إلى رسم لوحة فنية متكاملة يبرز فيها الملاحح الكبرى التي تميز الرجل العربي وأصبحت أهلاً لفخوره بنفسه وبقومه وبطبيعة الانتماء إليهم وضرورة الولاء لهم . فهو يرى في شخصه ملاحح العفة خاصة في تعامله مع نساء جيرانه وهو ما نجد له نظيراً عند غيره من شعراء الجاهلية خاصة عند حاتم الطائي وعنترة بن شداد .

واستكمالاً لهذا التصور المنشألي يصور ملاحح الكرم التي يراها ضرورة بدوية يعتز بها ويفخر بتوافرها في شخصه وفي بني قومه ، فكأنه يحرص بذلك على أن يسجل مآثر القبيلة في تفاعلها مع مآثره الخاصة ، وإن كانت الشخصية القبلية لا تزال تطغى عليه حين يصير على إكمال الصورة بمحدثه عن ارتباطه بقومه ولوائه لهم . وفي الختام يعود الشاعر إلى حديث الافتتاح مرة ثانية ، لكنه هنا يؤثر حديث الحكمة التي يعلقها بالمرأة عامة فيصور موقفه منها وعدم استسلامه لها ، كما يسجل رؤيته الخاصة لطبيعتها وحقيقة مساكنها الاجتماعي .

\* \* \*

(تراجع ترجمته وأخباره في مقدمة ديوانه تحقيق د . محمد عبد القادر أحمد . دار الكتب الجديد

١٩٦٨) .

\* \* \*

عبد الله البطاوي

## منهج حياة

\* \* \*

- ١ هل جبلُ شَمَاءَ قَبْلَ البَيْنِ مَوْصُولٌ      أَمْ لَيْسَ لِلصَّرْمِ عَنِ شَمَاءَ مَعْدُولٌ
- ٢ أَمْ مَا تُسَائِلُ عَنِ شَمَاءَ مَا فَعَلْتَ      وَمَا تُحَاذِرُ مِنْ شَمَاءَ مَفْعُولٌ
- ٣ إِذْ هِيَ أَحْوَى مِنَ الرَّبْحَى حَاجِبُهُ      وَالْعَيْنُ بِالْإِثْمِيدِ الْحَارِي مَكْحُولٌ
- ٤ تَرَعَى مَنَابِتَ وَسْمَى أَطَاعَ لَهُ      بِالْخَزَعِ حَيْثُ عَصَى أَصْحَابُهُ الْفِيلُ
- ٥ بَانَتْ وَكَانَتْ إِذَا بَانَتْ يَكُونُ لَهَا      رَهْنٌ بِمَا أَحْكَمَتْ شَمَاءَ مَبْتُولٌ
- ٦ إِنْ تُنْمِسَ قَدْ سَمِعْتَ قِيلَ الْوُشَاةِ بِنَا      وَكُلُّ مَا نَطَقَ الْوَاشُونَ تَفْهِيلٌ
- ٧ فَمَا تَجُودُ بِمَوْعِدٍ فَتَنْجِزُهُ      أَمْ لَا فَيَاسُ وَإِعْرَاضُ وَتَجْمِيلٌ
- ٨ فَإِنَّ قَصْرَكَ قَدَوِي إِنْ سَأَلْتَهُمْ      وَالْمَرَّةُ مُسْتَنْبَأٌ عَنْهُ وَمَسْئُولٌ

\* \* \*

- ٩ إِنْ بِنَا وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَا يَفَارِقُنِي      مِثْلُ النِّعَامَةِ فِي أَوْصَالِهَا طُولٌ
- ١٠ تَقْرِبُهَا الْمَرَطَى وَالْجَوُزُ مُعْتَدِلٌ      كَأَنَّهَا سُبْدٌ بِالْمَاءِ مَفْسُولٌ
- ١١ أَوْ قَارِجٌ فِي الْغُرَابِيَّاتِ ذُو تَسَبُّبٍ      وَفِي الْجُرَاءِ مَسْحُ الشَّدِّ إِجْفِيلٌ

( ١ ) الحبل : الوصل ، شماء : اسم جارية . الربى : ما نتج في فصل الربيع .

( ٤ ) الفيل : يقصد به فيل « أبرهة » الذي عجز عن التحرك صوب البيت ، شبه به الظبي حين

يرعى هذا المكان الذي يصوره .

( ٥ ) بما أحكمت : بما شامت ارتهنته وسيطرزت عليه وتحكمت فيه . مبتول : مقطوع .

( ٧ ) الإعراض : الصد والهجر والقطعية . التجميل : التجميل والصبر والتحمل .

( ١٠ ) المرطى : ضرب من الجرى . السبد : طائر مثل الخطاف .

( ١١ ) القارج : الفرس وقد ألقي أقصى أسنانه . الغراب لخل كان لغنى . الجراء : الهجارة .

مسح الشد : يصبب الشد صبا . يجفل : يفزع .

## أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ

\* \* \*

ينتهي نسب أوس بن حجر إلى قبيلة تميم ، القبيلة العربية الضخمة المنتشرة  
البطون والعشائر ، التي كانت تنزل في منطقة الدهناء الممتدة امتدادا كبيرا بين  
نجد والبحرين . وكانت منازل عشيرته — أسيد بن عمرو بن تميم — منتشرة بين  
اليمامة في الجنوب الشرقي من نجد ، وبين حجر في جنوبي البحرين . وليس  
من اليسير — كما هو الشأن مع كل الشعراء الجاهليين — أن نحدد تاريخ مولده ،  
ولكن يغلب على الظن أنه كان في مطالع القرن السادس الميلادي : وربما كان  
ذلك — كما ترجح دائرة المعارف الإسلامية — سنة ٥٣٠ . وهو — على كل  
حال — من شعراء البلاط الحيرى في عصر الملك عمرو بن هند ( ٥٥٤ - ٥٦٩ ) .  
وكذلك ليس من اليسير تحديد سنة وفاته ، ولكن يبدو أنه عمّر طويلا ، ففي  
شعره إشارات لأحداث وقعت في أواخر القرن السادس وأوائل السابع ، ولكنه  
— من غير شك — لم يدرك الإسلام ، وفي أغلب الظن أنه مات مع مطالع  
القرن السابع ، وربما كان التاريخ الذي حدّده جرجي زيدان — وهو سنة ٦١٠ —  
قريبا من الحقيقة .

عاش أوس حياة قبيلته كما يعيشها سائر أبنائها ، ولمع فيها شاعرا دار بشعره  
في دائرة عصبيتها القبلية ، يتغنى بأجادها ومفاخرها ، ويسجل في شعره انتصاراتها  
ويهجو أعداءها وخصومها ، ويعيش معها هزائمها ووفائع ثأرها ، ويعمل من  
شعره أبواقا تنفخ في روحها ، وترفع من معنوياتها . ولكنه — مع ذلك — لم

ينفصل عن حياته الخاصة ، ولم يُبلغ ذاتيته أو شخصيته ، والرواة القدماء يصفونه بأنه كان « غزلا مغرما بالنساء » . ولكن يبدو أن كثيرا من شعره الذى نظمه فى هذه « الدائرة الذاتية الفردية » قد ضاع وضاعت معه الصورة الخاصة التى كنا نتمنى أن نراها له لنستكمل بها الصورة الكاملة له .

واتصل أوس بالبلاط الحيرى فى عصر الملك عمرو بن هند ، ولكنه لم ينقطع إلى هذا البلاط كغيره من شعراء عصره الذين انقطعوا له . ومن هنا لم يكن تأثير البيئة الحضارية عميقا فى حياته أو شعره ، فعاش حياته وفنّه بدويا حقا ، وظل شعره يدور فى الدوائر البدوية التقليدية فى موضوعاته ولقته وأسلوبه وصوره ، وظلت البيئة البدوية حية فى أعماقه تعكس آثارها على شعره . ولعل هذا هو الذى جعله يبلغ قمة الإبداع فى وصف المطر من ناحية ، وفى وصف مناظر الصيد من ناحية أخرى ، وهما موضوعان بدويان شغل بهما شعراء البادية منذ أقدم عصور الشعر العربى ، لأنهما يعكسان إحساس البدوى ببيئته الطبيعية التى ترتبط حياته ومشاعره بها ارتباطا مباشرا لا يقف دونه حجاب .

وإلى جانب هذين الموضوعين تتحدث الروايات القديمة عن علاقة ربطته بسيد من سادة بنى أسد ، فضالة بن كَلْدَة . وهى علاقة يبدو أنها استمرت طويلا ، وأنها أنتجت عددا من مدائحه فيه ، وكثيرا من عطائاه له . ولكن يبدو أن هذه المدائح ضاعت أيضا مع ماضع من شعره ، فلم تصل إلينا إلا مقطوعة واحدة فى مدح ابنة له اسمها « حَلِيمَة » وأربع قصائد ومقطوعة واحدة فى رثائه تجلّى فيها جميعا مدى وفائه وإخلاصه له .

ويُعدّ أوس رائدا من رواد مدرسة الصنعة الجاهلية التى تحول العمل الفنى على أيدي شعرائها إلى صنعة متأنية متروية فيها الجهد والعناء ونضح الجبين والتفرغ

الطويل للعمل الفني لإخراجه وفقاً لمقاييس دقيقة وأصول ثابتة وتقاليد مستقرة . وهو - في رأى الدكتور طه حسين ومن تابعه من الباحثين - رأس هذه المدرسة ، وهو - في رأى وآخرين - رائداً من روادها الأوائل كان دوره فيها بعد الطفيل الغنوى الذى أراه رأس هذه المدرسة والرائد الأول لها . وربما كانت أهمية أوس تأتى - من بعض جوانبها - من صلته بزهير بن أبى سلمى قمة هذه المدرسة فى العصر الجاهلي ، فقد كان أوس زوج أمه بعد وفاة أبيه ممكناً أتاح لزهير أن يقترب منه بصورة أشد من غيره من شعراء هذه المدرسة ، وأن يكون تأثيره بمذهبه الفنى أقوى منهم . وفى رأى النقاد القدماء أن ظهور زهير أنحى قليلاً من منزلة أوس ، وكذلك يردون جانباً من ذلك إلى ظهور النابغة الذبياني ، وهو أيضاً من قمم هذه المدرسة . وهو رأى يتردد فى أكثر من رواية عن الراوية والناقد الكبير أبى عمرو بن العلاء ، فهو يقول مرة : « كان أوس شاعراً مضطرباً حتى أسقطه النابغة وزهير » ، ويقول مرة أخرى : « كان أوس بن حجر شاعراً بنى تميم فى الجاهلية غير مدافع ، وكان فحل العرب ، فلما نشأ النابغة طامطاً منه » ، وأن يكن الأصمعى يخالفه فى شطرنج حكمه ويتفق معه فى الشطر الآخر ، فيرى أن أوساً أشعر من زهير ، ولكن النابغة أشعر منه . ويضعه ابن سلام فى « طبقاته » على رأس الطبقة الثانية من فحول شعراء الجاهلية ، ولكنه يعادل ذلك تعليلاً غريباً حين يذكر أنه أنحره لإيها لأنه التزم فى تقسيم طبقاته أن تكون كل طبقة من أربعة شعراء لا يتجاوزهم ، وأن الطبقة الأولى غطاها الأربعة الكبار : امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## رثاء عظيم

أوس بن حجر من فحول شعراء تميم في الجاهلية ، بل إن قبيلته تُفضّله على سائر شعراء العرب . يضم شعره الكثير من الحكم ووصف مكارم الأخلاق ، كذلك كان وصافاً للحيوان والسلاح ولا سيما القوس . ويمتاز شعره بدقة المعنى وبراعة الصياغة ، وتنسب إليه مدرسة التروى والتنقيح التي عُرفت باسم « عبيد الشعر » ، وقد تخرج زهير بن أبي سلمى على يديه إذ كان زوج أمه .

وقد نشأت بينه وبين فضالة بن كلفة علاقة وثيقة بسبب ما حدث لأوس حين جالت به ناقته فصَرَعه فاندقت نخذه ، فلما كان الصباح أبصر فتيات الحى يتجنين الكفاة ، فدعا جارية منهن فقال لها : من أنت ؟ فقالت : أنا حليلة بنت فضالة بن كلفة ، فأعطاها حجرا وقال : اذهبي إلى أبيك فقولى له : ابنُ هذا يُقرئك السلام ويقول لك : أدركنى فإنى فى حالة عظيمة . فأتت أباهما وقصت عليه القصة وأعطته الحجر ، فقال : يا بُنية لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم ذهب إلى مكان أوس فأتاه بمن يُجبر كسره ، ولم يزل مقبلا عنده ، وبنته تخدمه ، إلى أن برأ ، فمدحه أوس بقصائد عديدة ، ورثاه بعد موته بهذه القصيدة الرائعة التى يُظهر فيها عاطفته القوية تجاه فضالة ، ويعدّد صفاته العظيمة من كرم وشجاعة وحزم ونجدة وذكاء ، ويركّز فى رثائه على كرمه وخاصة فى أوقات المجاعة والشدة حين يحرص الناس على ما بأيديهم خوفاً العوز ، ويُبرز عونه للاحتياج الفقير ، وبطولته فى ردّ هادئة المغيرين على قومه .



ولا شك أن أوسا قد أجاد في صوره الفنية إجادة بارعة ، وكان وفيها لهذا العربي الكريم الذي قدّم له يدّ العون ، ويكفيه فخرا أن يقال فيه هذه القصيدة التي تؤكد معانيها أنها قيلت في « رجل عظيم » .

\* \* \*

- ١ ابْتُهِتَ النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَمًا      إِنِّ الذِّي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَمًا
- ٢ إِنِّ الذِّي جَمَعَ السَّامَةَ وَالذَّ      بَجْدَةَ وَالْحَزْمَ وَالْقُوسَى جُمَعًا .
- ٣ الْأَلْمَى الذِّي يَظُنُّ لَكَ الظَّنَّ      مَنْ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
- ٤ وَالْمُخْلِيفَ الْمُتْلِفَ الْمُرْزَا لَمْ      يَمْتَنِعْ بِضَعِيفٍ وَلَمْ يَمْتِ طَبَعًا
- ٥ وَالْحَافِظَ النَّاسَ فِي تَحْوِطٍ إِذَا      لَمْ يُرْسِلُوا تَحْتَ عَائِذِ رِيَعَا
- ٦ وَازْدَحَمَتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ بِأَفْدٍ      وَأَوَامٍ وَطَارَتْ نَفُوسُهُمْ جَزَمًا
- ٧ وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيحَ وَقَدْ      أَمْسَى كَيْسَعُ الْفَتَاةِ مُتَفِيعَا

(١) أَجْمَل : اتحدى واعتدلى .

(٢) السامحة : الكرم . النجدة : الشجاعة . القوى : العقل .

(٣) الألمى : الذكى المتوقد .

(٤) الخلف : الذى يثبت الناس فى وقت الشدة . المتلف : من يجود كثيرا بماله . المرزأ : الذى يهب الأموال الكثيرة ، غير حاجب بتناقص ثروته . لم يمتنع : لم يعش . الطبع : أسوأ الطبع .  
(٥) الحافظ الناس : الذى يحفظ حلهم حياتهم بكرمه . تحوط ، من أسماء السنة المجيدة . العائد : الناقة الجديدة التاج . الربيع : الفصيل الذى ينتج فى الربيع ، وكان من عادة العرب أن يفرروا الفصال فى السنة المجيدة لئلا تعرض فتضر بالأمهات . وإلى هذا يشير الشاعر .

(٦) البطان : حزام القتب : والتقاء حلقتيه مثل يضرب للشدة وإصابة المكروه .

(٧) عزت الشمال الرياح : أى غلبتها وتلك علامة الجسذب وعدم نزول الأمطار . الكيسع :

الضجيع . المتلفع : المتلف فى الكساء أو الخفاف . والشاعر يصور شدة البرد بأن الرجل لا يستطيع أن ينام مع زوجته بسبب الإجهاد ، ويلمس الدفء فى الكساء أو الخفاف .

- ٨ وَشَبَّهَ الْهَيْدَبُ الْعَبَامُ مِنْ أَلِ      أَمْقُومٍ سَقْبَا مُلَبَّسَا فَرَمَا  
٩ وَكَانَتْ الْكَاعِبُ الْمُمنَعَةُ أَلِ      حَسَنَاءُ فِي زَادِ أَهْلِهَا سَبْعَا  
١٠ أَوْدَى، وَهَلْ تَنْفَعُ الْإِشَاحَةُ مِنْ      شَيْءٍ لِمَنْ قَدْ يَحَاوِلُ الْيَدْعَا ؟  
١١ لِيَبِيكَ الشَّرْبُ وَالْمُدَامَةُ وَالِ      يَفْتِيَانُ طُرًّا وَطَامِعُ طَيْمَا  
١٢ وَذَاتُ هِذَمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا      تَصْمِيْتُ بِالمَاءِ تَوَلَّبَا جِدْعَا  
١٣ وَالْحَى إِذْ حَازَرُوا الصَّبَاحَ وَقَدْ      خَافُوا مُخِيرَا وَسَاءَرَا تَلْعَا

(٨) الهيدب من الأقوام : يعنى الذى يلبس ثيابا ممزقة . العبايم : الثقيل اللسان . السقب : ولد الناقة عند ولادته ، وكذلك الفرع وهو يقصد جلد الفرع . والشاعر يشبه الرجل الملتف بالأسمال البالية بسبب شدة البرد بابت الناقة الذى يلبسونه جلدا آخر .

(٩) الكاعب : الفتاة التى نهت ثدياها . المنعنة : الحرة التى يسترها أهلها . أصبحت كالسبع فى زاد أهلها يند أن كانت تماف طيب الطعام .

(١٠) أودى : هلك ، وهذا الفعل خبر إن فى البيت الثانى جاء متأثرا . الإشاحة : الخلد والجلد فى الأمر . البدع : الأحداث وعظام الأمور . والمعنى إن الجلد والخلد لا يفتيان عن نزول التوازل لمن يطلب عظام الأمور .

(١١) الشرب : الشاربون الذين كانوا ينادمون على الشراب ، الطامع : يقصد به المؤمل فى كرمه وعطائه .

(١٢) الهدم : الثوب البالى ، وذات الهدم : يعنى الفقيرة البائسة . النواشر : مصب الذراع . التولب : ولد الحمار ، ويعنى به طلقها والجلدع : الذى الغداء .

(١٣) الحى : يعنى قومه . يحاذرون الصباح : لأن حروب العرب كانت فى النهار ، التلع : المغير .

\* \* \*

محمد مصطفى همدارة

( ٢ )

## لَيْلَةٌ مُمَطَّرَةٌ

\* \* \*

المحور الأساسى الذى تدور عليه هذه القصيدة التى تبلغ سبعة وعشرين بيتا هو وصف المطر . وهى تبدأ بمقدمة غزلية قصيرة تُشير فى نفس الشاعر حديث الشباب وما فيه من طموح وشراب ، وهو حديث لا يأخذ صورة الحنين إلى ذكرياته البعيدة كما نراه عند أكثر الشعراء الجاهليين ، وإنما يأخذ صورة التفكير فى الحياة والموت ، ويتحول إلى لون من التأملات فى مصير الإنسان فى الحياة ، يخرج منها الشاعر إلى التأمل فى الطبيعة من حوله ، فيقف أمام البرق الذى نَفَى النوم عن عينيه يرصده ويراقبه ، ويصف السحاب الذى أخذ يتدفق بالمطر ، ويطليل الوقوف أمام المطر الذى تحولت معه الصحراء إلى رياضٍ مخضرة وأودية مُمرمة . ثم يختم قصيدته ختاماً مفاجئاً بوصف سريع لناقته ، ودعاء بالسقيا لديار سيده من بنى عوفٍ يشير فى مقدمة قصيدته إلى أنه يقصده ليمدحه .

وحول القصيدة خلاف بين الرواة ، فبعضهم ينسبها إلى أوس ، وبعضهم ينسبها إلى عبيد بن الأبرص ، ولكن أسلوب القصيدة ، والعناية الواضحة بصياغتها ، والحرص على تجويدها وإحكامها ، والاهتمام بالجانب التصويرى فيها ، تجعلنا نرجح نسبتها إلى أوس رأس مدرسة الصنعة الجاهلية ، وأحد روادها الأوائل . ويؤكد هذا الترجيح أن الأصمى الثقة كان يرويها لأوس ، ووافقه على ذلك طائفة من

رواية الكوفة، وعلى رأسهم المفضل الضبي، ورواية الكوفة أعلم رواية الشعر العربي بالشعر القديم . وكذلك فعل الجاحظ في كتابه « الحيوان » .

\* \* \*

- ١ وَدَّعَ لَيْسَ وَدَاعَ الصَّارِمِ اللَّاحِى إِذْ فَتَكَتْ فِي فَسَادٍ بَعْدَ إِصْلَاحٍ
- ٢ إِذْ تَسْتَبِيكَ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ حَمِشَ اللَّثَاثِ عَذَابٍ غَيْرِ مِمْلَاحٍ
- ٣ وَقَدْ لَهَوْتُ بِمِثْلِ الرِّثْمِ آنَسِيْةٍ تُصْبِي الْحَلِيمَ عَرُوبٍ غَيْرِ مِكْلَاحٍ
- ٤ كَأَنَّ غَرِيقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَقَتْ مِنْ مَاءٍ أَصْهَبَ فِي الْحَانُوتِ نَضَّاحٍ
- ٥ أَوْ مِنْ مُعْتَقَةٍ وَرَهَاءَ نَشْوَتِهَا أَوْ مِنْ أَنَايِدِيبِ رُمَانٍ وَتَفَاحٍ

(١) الصارم : الجاد في هجره وقطيعة . واللاحى : اللاتم . وفنتكت : بلت في الهجر وألحت في القطيعة بعد أيام الحب والوصل واللقاء ، وهو ما يصفه بأنه فساد بعد إصلاح .

(٢) العوارض : الأسنان ، يصف ثقرها . والحشة : القليلة اللحم ، يريد أن شفاها رقيقة ، وكان ذلك من سمات الجمال عند العرب . والعذاب : العذبة الرضاب . وغير ملاح تأكيد لذلك .

(٣) الرثم : الظبي الخالص البياض . والآتسة : التي تؤنسك بحديثها . وتصبى الحليم : أى تفسن الرجل المائل الرزين . والعروب : الضحوك ، أو المتحبة إلى صاحبها . والمكلاخ : العابسة المقطبة الوجه .

(٤) الريقة : الريق . واغتبتت : شريت الغبوق وهى نحر المساء . والأصهب : الأشقر ، وفى رواية أخرى « أدكن » وهو الضارب إلى السواد ، وهى أدق ، لأنها صفة لازق . والحانوت : الحانة . يشبه ريقها وهى تصحون من النوم بخر ينضح بها زق أدكن فى حانة التقي فيها ندامى الليل .

(٥) الروهاء : الشديدة القوية . والأنابيب هنا : الأغصان . يشبه ريقها مرة أخرى بخر معتقة قوية التأثير فى شاربيها ، كما يشبه بطعم رمان وتفاح مازالت أغصانها تحملهما ، فهما محتفظان بنضارتها وطبيعتها .

- ٦ هَبْتُ تَلُومٌ وَلَيْسَتْ سَاعَةُ اللَّاحِ هَلَّا أَنْتَظَرْتُ بِهَذَا اللَّوْمِ لِصَبَاحِي  
 ٧ قَاتَلَهَا اللَّهُ تَلَحَّافِي وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لِنَفْسِي لِفَسَادِي وَإِصْلَاحِي  
 ٨ إِنْ أَشْرَبَ الْخَمْرَ أَوْ أَرَزَأَ لَهَا تَمَنَّا فَلَاحَالَةَ يَوْمًا أَنِّي صَاحِي  
 ٩ وَلَا تَحَالَةَ مِنْ قَبْرِ بِمَخْنِيَةِ وَكَفَنٍ كَسْرَةِ الشُّورِ وَضَاحِ  
 ١٠ دَعِ الْعَجُوزَيْنِ لَا تَسْمَعْ لِقِيلِهِمَا وَاعْمَدْ إِلَى سَيِّدٍ فِي الْحَيِّ بِجَحَاجِ  
 ١١ كَانَتِ الشَّبَابُ يُلْهِئُنَا وَيُعْجِبُنَا فَا وَهِنًا وَلَا يَغْنَا بِأَرْبَاحِ

\* \* \*

- ١٢ إِنِّي أَرَقْتُ وَلَمْ تَأْرُقْ مَعِيَ صَاحِ لِمُسْتَكِنَفٍ بَعِيدَ النَّوْمِ لَوَاحِ

(٦) هبت : قامت بالليل وصححت من نومها . ينكر على صاحبه التي تلومه على لومه أنها أزعجته بلومها في الليل ، ولم تنظر عليه حتى يصبح الصباح ، وكأنه لا يجحد مبررا لهذا التعجل بالوم .  
 (٧) يقول : فيم اللوم وأنا مسؤل عن خيري وشرى ، عن فسادى وإصلاحى ؟  
 (٨) قوله « أَوْ أَرَزَأَ لَهَا تَمَنَّا » يريد ما يصيبه من خسارة في ماله بما ينفعه على الشراب .  
 يقول : كل شيء إلى نهاية ، وسوف أصحو في يوم من الأيام بما أنا فيه من سكر وشراب ، فقيم التعجل بالوم ؟ ولم لا تمركنى أستمتع بشبابي قبل أن يولى ؟  
 (٩) الخنية : منحى الوادى أو ما انعطف منه . والمرأة : الظهر . والوضاح : الأبيض ، وظهور الثور الوحشى في الصحراء العربية أبيض . يقول : فيم التعجل بالوم ، والمسوت في انتظار الجميع مصيرا محتوما لا مفر منه .

(١٠) العجوزان : الأب والأم . والقيل : القول . والمطر المنهمر . والسيد الكريم .  
 (١١) يقول : إن الشباب شغلنا عن المصير المحتوم الذى ينتظرنا ، فمشتا أيامه نلهو وتلعب مفتونين به ، ولم تفكر فيما وراءه . لقد وهينا حياتنا ، وبعنا له أيامنا ، ولم نرج من وراء ذلك شيئا . لقد ضيعنا كل شيء ، ولم نأخذ في مقابل ذلك أى شيء .  
 (١٢) صاح : أى صاحبي ، نداء مرخم . والمستكنف : المطر المنهمر . واللواح : الذى يلوح البرق فيه ويلعب من خلاله . ينكر على صاحبه أن ينام دونه ويتركه لأرقه مع البرق والمطر ، وكأنه يعجب من صاحبه أن تقلت منه هذه المنفعة الرائعة وهذا المنظر الخلاب .

- ١٣ قد نمت عني وبات البرق يسهرني كما استضاء يهودي بمصباح  
١٤ يامن لبرق أبنت الليل أرقبه في عارض كضئ الصبح لمأج  
١٥ دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراج  
١٦ كانت ريقه لمأ علا شطبا أقراب أبلق ينفي الخيل رمأج  
١٧ هبت جنوب بأعلاه ومال به أعجاز مزن يسح الماء دلأج  
١٨ قالتج أعلاه ثم أرتج أسفله وضاق ذرعا بجمل الماء منصأج  
١٩ كأنما بين أعلاه وأسفله ريط منشرة أو ضوء مصباح

(١٣) يشبه لمعان البرق بمصباح اليهودي يوقده في الليل ، يقصد بطبيعة الحال أخبار اليهود وهم يتعبدون بالليل في معابدهم . وهي صورة مألوقة في الشعر الجاهلي ، وإن تكن في أكثر مواضعه تحدث عن رهبان النصارى ، على نحو ما نرى في معلقة امرئ القيس « أو مصابيح واهب » .  
(١٤) العارض : السحاب يعترض الأفق ، أو السحاب يسبقه برق شديد اللعان . يشبه البرق وهو يومض في السحاب بنور الصباح يفسر الأفق بالضياء .

(١٥) مسف : قريب من الأرض . وهيدبه : الخيوط التي تتدل منه . والراح : جمع راحة وهي الكف . وفي رأى النقاد القدماء أن هذا البيت أحسن ما وصف به السحاب .  
(١٦) ريقه : ما أشرف منه . وشطب : اسم جبل في بلاد تميم . والأقراب : جمع قرب (بفتح الجيم) وهي الخاصرة . والأبلق : البسود في لونه سواد وبياض . والرمأج : الشديد العدو . يقول إن البرق يلعب فيبدو ما أضاءه من السحاب أبيض ، ويظل الباقي أسود ، فيترأى كأنه جواد أبلق يشنه في عدوه ، فيبدو بياض أقرابه ، وباقي جسمه أسود .  
(١٧) الجنوب : ريح تهب من الجنوب وتأتي عادة بمطر غزير . والمزن : السحاب الأبيض . والدلاخ : المحمل بالماء .

(١٨) التيج : أحدث صوتا هاليا ، وهو الرعد . والمصأج : الذي انشق بالماء . يقول إن صوت الرعد بدأ يرتفع في أعالي السحاب ، وأخذت أذانيه تهتز بالماء الذي انشقت عنه ، فأخذ ينهر في غزارة .

(١٩) الريط : جمع ريطه وهي الملاة إذا كانت من قطعة واحدة . يقول إن السحاب انتشر في السماء كأنه ملاة منشورة ، والبرق يلعب من خلاله كأنه ضوء مصباح يتوهج .

- ٢٠ يَتَرَعُ جِلْدَ الْحَصَى أَجَشُّ مُبْتَرِكٌ      كأنه فاحِصٌ أولاعِبٌ دَاحِي
- ٢١ فَنَ تَجْوَيْهِ كَنَ بِمَحْفِلِهِ      والمستَكِنُ كَنَ يَمْشِي بِقِرْوَاكِ
- ٢٢ كَانُ فِيهِ عِشَارًا جِلَّةٌ شُرْفَا      شُعْنًا لَهَا مِيمٌ قَدْ هَمَّتْ بِإِرْشَاكِ
- ٢٣ هُدَلًا مَشَافِرُهَا بُحًا حَنَابِرُهَا      تُزْجِي مَرَايِمَهَا فِي صُخْرٍ ضَالِحِي
- ٢٤ فَاصْبَحَ الرَوْضُ وَالْقِيَعَانُ مُنْصَرَعَةً      مِنْ بَيْنِ مُرْتَفِقٍ مِنْهَا وَمُنْطَاحِ

\* \* \*

(٢٠) أجش : صفة للرد . والمبترك : المبرح في عدوه . والفاحص : الذي يفحص التراب أي يقلب وجهه وينبشه . والداحي : الذي يلعب بالمدحاة ، وهي خشبة يلعب بها صبيان العرب ، يرون بها على وجه الأرض فتجرف ما أمامها . يقول إن المطر يجرف كل شيء ، يمترض طريقه على وجه الأرض .

(٢١) النجوة : ما ارتفع من الأرض . والمحفل : مستقر الماء في الأرض . والمستكن : المقيم في بيته . والقرواح : الأرض المستوية . يقول إن المطر غطى الأرض كلها ، فن كان في مرتفع من الأرض أدركه الماء كن كان في منخفض منها ، ومن كان في بيته كن كان في العراء .

(٢٢) المشار : النوق التي أتى على حلها عشرة أشهر . والجلسلة : الإبل المسنة . والشرف : الضخمة . والهاميم : الفزار اللين . والإرشاح : أن يقوى فصيل الناقة ويشد ، فيشد لذلك حنين أمه إليه . يصف الرد وما يحدثه من أصوات عالية يشبهها بأصوات نوق ضخمة تنحن إلى أولادها .

(٢٣) الهدل : المسترخية . والمشافر : الشفاء . وتزجي : تسوق إلى المرعى . والمرايع : جمع مراع وهي الناقة تضع أولادها ، ويريد الشاعر هنا أولادها . والصحيح : المكان الظاهر المستوى . والضاحي : المكشوف . يصف النوق التي شبه الرد بأصواتها بأنها تسوق صغارها نحو المرعى .

(٢٤) القيعان : جمع قاع ، وهو الوادي المظلم من الأرض . والمرفق : الماء الراكد . والمنطاح : الماء الجاري . يقول إن الأرض اخضرت بعد المطر ، وأصبحت رياضها وأهبتها ممرعة خصبة ، بعضها استغرقه الماء وركد ، وبعضها تدفق فيه وانساب .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٣ )

## مَنْظَرُ صَيْدٍ

\* \* \*

تعد هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ سبعة وخمسين بيتا من أروع ما وصل إلينا من وصف الصيد في الشعر الجاهلي . وهي تبدأ بمقدمة طلبية يتحدث فيها أوس عن ديار صاحبه التي تغيرت بعد رحيلها عنها ، ويستعيد ذكريات شبابه ولطوه ، ولكنه لا يطيل فيها لينتقل انتقالا مفاجئا إلى وصف ناقته القوية التي حملته في رحلة إلى أعماق الصحراء ، ويطيل في وصفها إطالة تشغل من القصيدة ستة عشر بيتا ، ثم يتخذ من تشبيهها بحمار وحشي جسرًا يعبر عليه من وصفها إلى وصفه ، ليخرج بعد ذلك إلى وصف منظر من مناظر الصيد التي تتردد كثيرا في الشعر الجاهلي ، بين الصيادين الفقراء الخارجين للصيد لكسب رزقهم وردة غائلة الجوع عنهم وعن أبنائهم الجياع المنتظرين عودتهم ، وبين قطعان الحمر الوحشية المنتشرة في أعماق الصحراء ، وهي تسعى في لهيها المحرق بجنا عن موارد المياه لتطفئ فيها ومنها ظمأها . ويطيل الشاعر في وصف هذا المنظر إطالة ملحوظة تمتد واحدا وثلاثين بيتا حتى نهاية القصيدة .

لقد ظهر الحمار في منطقة صحراوية يسوق أثنائه ويدفعها أمامه بجنا عن مورد من موارد المياه ، وأخذ يمد أذنيه وبصره يستطلع المنطقة من حوله ، ثم تذكر عينا غزيرة الماء يعرفها من قبل ، فأسرع إليها مع أثنائه . وهناك كان صياد



فقير هنزبل أعجف ضامر يتربص به في نجأ أعدده لنفسه ليتوارى فيه . ويطيل الشاعر في وصف الصيد كما أطال من قبل في وصف الحمار . وينتظر الصيد الفرصة التي يظنها مواتية له حين يرِد الحمار مع أنشاء المساء غافلين — في فرحتهما بالماء البارد بعد رحلة طويلة شاقة في هجر الصحراء — عن الأخطار التي تتربص بهما . وينتظر الصيد هذه الغفلة ، فيطلق سهمه نحو الحمار ، ولكن السهم يخطئ مقاتله ، فينجو ويفر هو وأنشاء . حتى إذا ما وصل إلى مأمن يطمئن إليه عادت إليه فرحته ، وعاود حياته الهادئة المطمئنة مرة أخرى .

والقصيدة تمثل أسلوب أويس وصنعتة الفنية ، وحرصه على تجويدها ، والوقوف الطويل أمام صوره يفصل فيها ، ويوفيها حقها ، ويستقصي جزئياتها وتفصيلها الدقيقة ، فهو أحد الرواد المبكرين لمدرسة الصنعة الجاهلية الذين أرسوا أصولها ، وأصلوا تقاليدها الفنية . وهي — ككل الشعر الجاهلي في دوائره البدوية الصحراوية — تتميز بغرابة لغوية ، وحوشية لفظية ، تتفقان مع بداوة الموضوع ، وبداوة معجمه اللغوي ومعجمه التصويري أيضا .

\* \* \*

- ١ تَنَكَّرَ بَعْدِي مِنْ أُمَيْمَةٍ صَائِفٌ فِرْكٌ فَأَعْلَى تَوَلَّى فَاَلْمَخَالِفُ
- ٢ فَقَوَّ فَرَهَيْي فَالسَّيْلِيلُ فَعَاذِبٌ مَطَافِيلُ عَوْدِ الْوَحْشِ فِيهِ عَوَاطِفُ

(١) يبدأ أرس قصيدته بهذه المقدمة الطليعية التي يتحدث فيها عن أطلال صاحبه أميمة . ومعنى تنكّر تغير . والأسماء التي وردت في البيت كلها أسماء مواضع تحدد مكان هذه الأطلال ، وكلها في ديار تميم قبيلة الشاعر .

(٢) العوذ : الحديثات الشاج من الغطاء . والمطافيل : التي تنجمها أطلالها . والعواطيف : الحانيات على أطلالها . والأسماء الواردة في الشطر الأول كلها تكمّل تحديد مكان الأطلال .

- ٣ فبطنُ السِّلِّ فالسَّخَالُ تَعَدَّرَتْ      فَمَعْقَلَةٌ إِلَى مَطَارٍ فَوَاحِفُ  
٤ كَأَنَّ جَدِيدَ الدَّارِ يُبْلِكُ عَنْهُمْ      تَقَى الْيَمِينَ بَعْدَ عَهْدِكَ حَالِفُ  
٥ بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ تَرَعَى سَخَالُهَا      فَطِيسٌ وَدَانٍ لِلْفِطَامِ وَنَاصِفُ  
٦ وَقَدْ سَأَلْتُ عَنْيَ الْوَشَاةُ نُفِثَتْ      وَقَدْ نُشِرَتْ مِنْهَا لَدَى صَهَائِفُ  
٧ كَعَهْدِكَ لِأَعَهْدِ الشَّبَابِ يُضِلُّنِي      وَلَا هَرِمَ مِمَّنْ تَوَجَّهَ دَالِفُ  
٨ وَقَدْ أَتَيْتُ لِلْجَهْلِ يَوْمًا ، وَتَنَحَّى      ظَعَانُ لِهَوْدَهْتِ مَسَاعِفُ  
٩ نَوَاعِسُ مَا يَضْحَكُنْ إِلَّا تَبَسُّمًا      إِلَى اللَّهِوْ قَدْ مَالَتْ مِنْ السَّوَالِفُ

\* \* \*

(٣) تَعَدَّرَتْ : درست وتغيرت . والأسماء المذكورة في البيت أسماء مواضع يواصل الشاعر بها تحديد مكان الأملال تحديدا دقيقا .

(٤) جَدِيدُ الْأَرْضِ : ما كان على فطرته . وَيُبْلِكُ عَنْهُمْ : أى يخبرك عنهم . وَتَقَى الْيَمِينَ : العَيْنِ الصَّادِقَةِ الَّتِي لَا حَنْتَ فِيهَا . يَقُولُ كَانَ جَدِيدُ الْأَرْضِ يَخْلِفُ لَكَ إِنَّهُ مَاحِلٌ بِهَذِهِ الدَّارِ أَحَدٌ بَعْدَ عَهْدِكَ بِهَا .

(٥) الْعَيْنُ : البقرة الوحشية . وَالْأَرَامُ : الظباء . وَالسَّخَالُ : أولادها الصغار . وَالنَّاصِفُ : الذى بين الفطام والدنومة .

(٦) الضمير فى « مِنْهَا » يعود على الوشاة . وَنُفِثَتْ : الصَّحَفُ : أى أطلت . يَقُولُ إِنَّ الْوَشَاةَ سَأَلُوا عَنِّي ، فَأَخْبَرُوهُمْ خَبْرِي ، وَعِنْدِي عَنْ كُلِّ مَا حَاقُوا لِإِخْفَاءِ صَهْفٍ مَنْشُورَةٍ تَكْشِفُ عَنْ وَشَائِهِمْ وَكَيْدِهِمْ .

(٧) الدَّالِفُ : الذى يمشى متخارب الخطوات كما يمشى المقيد . وَمِمَّنْ تَوَجَّهَ : يريد من تقدمت به السن ، يُقَالُ تَوَجَّهَ الشَّيْخُ إِذَا وَلَّى وَأَدْبَرَ وَكَبِرَ ، وَتَوَجَّهَ الْعَمْرُ إِذَا تَوَلَّى . يَقُولُ لِصَاحِبَتِهِ : إِنِّى كَعَهْدِكَ بِي ، لَا الشَّبَابَ يُضِلُّنِي ، وَلَا الْكِبَرَ يَقْعِدُنِي وَيُضْمَقُنِي .

(٨) أَتَيْتُ لِلْجَهْلِ : أَمِلْتُ نَاحِيَتَهُ . وَمَسَاعِفُ : أى يَسْفُفُ ، وَيَوَاتِنِي وَلَا يَتَأَنَّرُ عَنِّي . يَتَذَكَّرُ الشَّاعِرُ أَيَّامَ شَبَابِهِ وَلِهَوْدِهِ مَعَ صَاحِبَاتِهِ لَهُ يَبَازِلُهُ حُبٌّ وَمَوَدَّةٌ بِمَوْدَةِ .

(٩) السَّوَالِفُ : جمع سَالِفَةٍ وهى صَفْحَةُ الْعَنْقِ مِنْ حَيْثُ يَسْلُقُ الْقِرْطُ إِلَى عِظَامِ الرِّقَّةِ . وَقَوْلُهُ « إِلَى اللَّهِو » مُتَعَلِّقٌ بِالْفِعْلِ « مَالَتْ » . وَاللَّهُو هُنَا يُرَادُ بِهِ الْأَنْفُسُ إِلَى الْحَدِيثِ وَالْإِعْجَابِ بِهِ ، مِنْ لَمْتُ الْمَرْأَةَ إِلَى حَدِيثِهِ إِذَا أَنْصَبَتْ بِهِ وَأَعْجَبَهَا . وَهَذَا تَنْتَهَى الْمَقْدَمَةُ الطَّلِيَّةُ لِبَدْأِ الشَّاعِرِ بَعْدَهَا حَدِيثُ النَّاقَةِ وَالرَّحْلَةِ وَالْعَبِيدِ .

- ١٠ وأدماء مثل الفحل يوما عرَضَتْهَا  
 ١١ وعَنَسَ أُمُونٌ قد تَعَلَّتْ مَتْنَهَا  
 ١٢ كَتَبَتْ عَصَاهَا النَّقْرُ صَادِقَةَ السَّرَى  
 ١٣ علاة كَنَازِ اللحم ، ما بين خُفِّها  
 ١٤ علاة من النُّوقِ المَرَّاسِيلِ وَهْمَةٍ  
 ١٥ جُمَالِيَّةٍ ، للرحل فيها مُقَدَّمٌ ،  
 ١٦ يُسَمِّيْهَا في كُلِّ هَضْبٍ وَرَمْلَةٍ
- لرحلي وفيها جُرْأَةٌ وَتَقَاذُفٌ  
 على صِفَةٍ أو لم يَصِفْ لى وَاصِفُ  
 إِذَا قِيلَ لِلخَيْرَانِ : أَيْنَ تُخَالِفُ ؟  
 وبين مَقِيلِ الرجل هَوُّ نَفَانِفُ  
 نَجَاةٌ عليها كَبْرَةٌ فَمِى شَارِفُ  
 أُمُونٌ ، ومُلَقًى للزَّمِيلِ وَرَادِفُ  
 قَوَائِمُ عُوجٍ مُجْمَرَاتٌ مَقَاذِفُ

- (١٠) الأدماء : الناقة البيضاء . وقوله « مثل الفحل » يريد أنها قوية صلبة ضخمة . وعرضتها لرحل أى وضعته عليها . والتقاذف : أن تندفع الناقة في سيرها فترمى بنفسها أمام الإبل لتسبقها .
- (١١) العنَس : الناقة القوية الصلبة . والأمون : الناقة الوثيقة الخلق التى يؤمن عثارها . وتعلت منها : أى استخرجت أقصى ما عندها من السرعة .
- (١٢) الكميت : الحمار الذى يخالط حمرتها سواد . وعصاها النقر : أى أنها لا تحتاج لحثها على السير إلى الضرب وإنما يكفى نقرها . صادقة السرى : مجتدة في سراها تبدل فيه كل جهدها ، « أين تخالف » أى إلى أى ناحية تنحى . يقول إن هذه الناقة تعرف وجهتها إذا تحير السارى في الصحراء فلم يجد لى وجهته .
- (١٣) العلاة : العالية المشرفة . وكناز اللحم : مملئة . ومقيل الرجل : موضعه على ظهرها . والنفانف : جمع نفف وهو كل مهوى بين جبلين . والصورة تأكيد لارتفاع ناقته ، فابن أخفافها وظهرها مسافات هائلة .
- (١٤) المراسيل : السهولة السير ، مفردا مراسل . والوهمة : الضخمة القوية . والنجاة : السريعة . والشارف : المستمة . يقول لأنها صغيرة السن ، ولكنها لضخامتها تبدو كأنها ناقة مسنة .
- (١٥) جمالية : تشبه الجمال في قوتها وصلابتها وضخامتها . والزفيل : الرديف على الناقة الذى يركب خلف راكبها . والرادف : التابع . يصفها بأنها طويلة الظهر .
- (١٦) يشيها : يعينها على السير . والقوائم : الأرجل ، وقوائم الإبل توصف عادة بأنها عرج ، لأنها هكذا خلقت . والجمرات : التى صلبت أخفافها واشتدت واجتمعت ، والمقاذف : جمع مقذف ومقذاف وهو مجداف السفينة . يريد أنها سريعة في حركتها منتظمة الضرب في الصحراء ، يستوى في ذلك سيرها فوق الهضاب الوعرة أو في الرمال المبهلة .

- ١٧ تَوَائِمُ أَلْفٌ تَوَالٍ لَوَاحِقُ      سَوَاهٍ لَوَاهٍ مُرِيدَاتٌ خَوَانِفُ  
 ١٨ يَزِلُّ قُتُودُ الرَّحْلِ عَنْ دَائِيَاتِهَا      كَمَا زَلَّ عَنْ رَأْسِ الشَّجِيجِ الْمَحَارِفُ  
 ١٩ إِذَا مَارَكَابُ الْقَوْمِ زَيْلٌ بِدَنَها      سُرَى اللَّيْلِ مِنْهَا مُسْتَكِينٌ وَصَارِفُ  
 ٢٠ حَلَا رَأْسَهَا بَعْدَ الْهَبَابِ وَسَامَحَتْ      كَمَحْلُوجٍ قُطَيْنٍ تَرْتِمِيهِ النَّوَادِفُ  
 ٢١ وَأَنْحَتْ كَمَا أَنْحَى الْحَالَةَ مَاتِحُ      عَلَى الْبُثْرِ أَضْحَى حَوْضُهُ وَهُوَ نَاشِفُ  
 ٢٢ يُحَالِطُ مِنْهَا لَيْبِنَهَا شَجَرِ قَبِيَّةُ      إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُقْرِفَاتِ تَجَارِفُ

(١٧) توائم ألف : أى كأن أقدامها توائم متآلفة تنهض معا وتنزل معا . وتوال لواحق : أى تنوال وتتلاحق فى انتظام وسرعة . وسواه لواه أى لينسة السير خفيفة الحركة لا تعب رايها . والمريدات : الخفيفة فى المشى . والخوانف : جمع خنوف وهى التى تميل برأسها نحو رايها لشدة نشاطها .  
 (١٨) القتود : جمع قتد وهو خشب الرجل . والدأيات : الفقرات التى توجد بين كتفى الناقة . والشجيج : الذى شج رأسه . والمحارف : جمع محراف وهو المروء الذى تختبر به الجراحات وتسير به .  
 (١٩) زيل بينها : فرق بينها . والصارف : الذى يصرف على أنيابه ، من الصريف وهو صوت صرير الأنياب ، ويقول اللذويون إن صريف الناقة من التعب والكلال ، وصريف الجمل من الفجولة والنشاط . والمستكين : الصامت الذى لا يحدث صوتا ، عكس الصارف .

(٢٠) الهباب : النشاط . وسامحت : أمرعت . والنوادي : الذين يضربون القطن بالمنسدة لتنجيده . والكاف فى « كحلوج » فاعل « حلا » . يصف الزيد الذى يكسر رأس الناقة عند رغبتها ، ويشبه بمحلوج القطن وهو يتطاير فى الهواء عند ندفه .

(٢١) أنحت : اهتدت فى سيرها على أسرها . والحالة : بكرة الدلو . والماتح : الذى يستخرج ماء البثر فيجذب رشاء الدلو فتصوت البكرة .

(٢٢) العجرفة فى سير الإبل : الاندفاع والتهور . والمقرفات : جمع مقرف ، وهو الذى أمه هريفة وأبوه غير عربى ، عكس الهجين فهو الذى أمه أجنبية وأبوه عربى . يصف سيرها بأنه مزيج من سير لين مهل وسير متهور مندفع ، وأنها تحسن هذين الضريين من السير ، لأنها ناقة أصلية هريفة الأب والأم ، وليست كالإبل التى ضربت فى عروقها دماء مختلطة .

- ٢٣ كَأَنَّ وَتَى خَانَتْ بِهِ مِنْ نِظَامِهَا      مَعَاقِدُ فَأَرْفَضَتْ بِهِنَّ الطَّوَائِفُ  
٢٤ يُنْفَرُ طَيْرُ الْمَاءِ مِنْهَا صَرِيْفُهَا      صَرِيْفَ حِمَالٍ أَفْلَقَتْهُ الْخَطَاطِفُ

\* \* \*

- ٢٥ كَأَنِّي كَسَوْتُ الرَّحْلَ أَحْقَبَ قَارِبَا      لَهُ بِجُنُوبِ الشَّيْطَانِ مَسَاوِفُ  
٢٦ يُقَلَّبُ قَيْدُودًا كَأَن سَرَاتِهَا      صَفَا مُدْهِنٌ قَدْ زَحَلَفَتْهُ الزَّحَالِفُ  
٢٧ يُقَلَّبُ حَقَبَاءَ الْعَجِيزَةِ سَمَجَجَا      بِهَا تَدَبُّ مِنْ زُرِّهِ وَمَنَاسِفُ

(٢٣) الونى : اللؤؤى، جمع ونية . والمعاهد : العقود . وارفضت : تناثرت وتفرقت . والطوائف : القطيع التى تفرقت إليها العقود . يشبه اندفاع ناقةه وصرعها بحبات لؤلؤ انقطع عقده فانفطرت تتدرج مسرعة .

(٢٤) الصريف : صوت صرير أنياب الناقة . والحمال : جمع حمالة وهى بكرة الدار . والخطاطف : كالخطاطيف جمع خطاف ، وهو الخديدة المعقوفة التى تعقد بها البكرة . يقول ان صريفها الذى يشبه صريف بكرات الدلاء حين تجذبها الخطاطيف ينفر الطير التى ترد الماء لإرواء ظمئها فتفرخ ناقة مذمومة . وهنا ينتهى وصف الناقة ليندأ الشاعر وصف منظر من مناظر الصيد ، متخذاً من تشبيه ناقةه بالجمار الوحش ، جسراً يوصله إلى وصف هذا المنظر .

(٢٥) الأحقب : الجمار الوحش فى بطنه بياض . والقسارب : الذى يسرع نحو الماء ليرده . والجنوب : الجوائب . والشيطان : اعم مكان . ومساوف : مواضع يشمها ، من السوف وهو الشم . يشبه ناقةه بهذا الجمار الوحش .

(٢٦) القيدود : الأنان الطويلة . ويقلها : يوجهها يمينا وشمالا كيف يشاء . والسرعة : الظاهر . والمدهن : قنرة فى الجبسل يستقع فيها الماء . والصفا : الصخر الأملس . والزحالف : جمع زحلوة وهى المكان المنحدر الأملس الذى يساعد على الزحلف وهو الزحلق . يقول إن هذا المكان المنحدر الأملس زاد من ملاسته كثرة الزحلق فوقه .

(٢٧) حقباء : أى بياض . والسمجج : الطويلة . والتدب : جمع تدبة وهى أثر الجرح الباقى على الجلد . والزر : العض . والمناسف : جمع منسف — بكسر الميم وفتح السين أو بفتح الميم وكسر السين — وهو فم الجمار ، ويريد بها هنا آثار العض . يصور مطاردة هذا الجمار لأنثاه .

- ٢٨ وَأَخْلَقَهُ مِنْ كُلِّ وَقِطٍ وَمُدْهِنْ      نِطَافٍ فَمَشْرُوبٌ يَبَابٌ وَنَاشِفٌ  
٢٩ وَحَلَالًا حَتَّى إِذَا هِيَ أَحْنَقَتْ      وَأَشْرَفَ فَوْقَ الْحَالِيَيْنِ الشَّرَافُ  
٣٠ وَخَبَّ سَفَى قُرْبَانِيهِ وَتَوَقَّدَتْ      عَلَيْهِ مِنَ الصَّامِتَيْنِ الْأَصَالُفُ  
٣١ فَأَضْحَى بِقَارَاتِ السَّتَارِ كَأَنَّهُ      رَيْبِيئَةُ جَيْشٍ فَهُوَ ظِلْمَانُ خَائِفُ  
٣٢ يَقُولُ لَهُ الرَّأَوْنُ هَذَاكَ رَاكِبٌ      يُؤَبِّنُ شَخْصًا فَوْقَ عَلَيَاءَ وَاقِفُ  
٣٣ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ      كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمُهْوَلِ حَالِفُ

(٢٨) الوقط : حفرة في الجبل يجتمع فيها ماء المطر . والمدهن : مرشحه في البيت ٢٦ .  
والنطاف : جمع نطفة وهي الماء القليل . والناشف : الذي جف ماؤه . وأخلفه : أى أخلف ظله .  
يقول ان هذا الحمار كان يبعث من الماء فأخلف ظله تلك المياه القليلة التي وجدها في بعض المستنقعات ،  
وبعضها لم تبق فيه الا بقية ماء بعد شرب من سبقه إليه ، وبعضها جف ماؤه .

(٢٩) حلالاً ما : ملردها . وأحنقت : ضمرت . وأشرف : ظهر وبرزه . والشراسف : أطراف  
الأضلاع . والتعبير كناية عن الضمور والحزال .

(٣٠) السفى : كل شجرة له شوك ، الواحدة سفاة . والقريان : مسایل الماء ، جمع قرى (بفتح فكسر  
فتشديد) . وخب : ارتفع وطال . والصامتان : اسم موضع . والأصالف : جمع أصلف ، وهي  
الأرض العلية الحجرية التي لا تثبت . يقول إن الوقت في الصيف ، والمكان في صحراء الصمان ، وقد تولد  
الحر ، وطالت أشواك الوديان الجافة .

(٣١) القارات : جمع قارة وهي الجبل الصغير . والستار : اسم موضع . والريبة : طليعة الجيش  
التي تتقدمه لتستطلع الأخبار له .

(٣٢) التابن هنا تلعب الأثر في الأرض ، ومنه تأييد البيت لأنه تدبج لآثاره في الدنيا . والعلياء :  
المكان المرتفع . يقول إن هذا الحمار ارتقى مرتفعات هذه المنطقة وهو ظمآن خائف ، وأخذ يقلب نظره  
من حوله بحثاً عن مورد ماء ، فترأى كأنه طليعة جيش ترقب الطريق ، أو واقف فوق مرتفع من  
الأرض يتنبح ببصره آثار شخص فوق الرمال .

(٣٣) التهوّل : لون من الطقوس الوثنية الجاهلية كان سدنة بيوت الأصنام يقومون بها إذا  
أرادوا أن يستحلّفوا شخصاً ، فيوقدون ناراً ليحلف عليها ، ويطرحون فيها من حيث لا يشعر ماعداً  
وكبيريتاً فتتفقع وتفرقع ، يتولون بذلك عليه ، فإن كان بريئاً حلف ، وإن كان مريباً نردد  
وتراجع . والمهول هو الكاهن الذي يقوم بهذا العمل .

- ٣٤ تَذَكَّرَ عَيْتًا مِنْ غَمَازَةِ مَآوِهَا لَهُ حَبِيبٌ تَسْتَنُّ فِيهِ الزَّخَارِفُ  
 ٣٥ لَهُ نَادٍ يَهْنُزُ جَعْدًا كَأَنَّهُ مُخَالِطٌ أَرْجَاءِ الْعَيُونِ الْقَرَّاطِفُ  
 ٣٦ فَأَوْرَدَهَا التَّقْرِيبُ وَالشَّدَّ مَنَهَلًا قَطَّاهُ مُعِيدٌ كَرَّةَ الْوَرْدِ عَاطِفُ  
 ٣٧ فَلَاقَ عَلَيْهَا مِنْ صُبْحٍ مُدْمَرَا لِنَامُوسِهِ مِنَ الصَّفِيحِ سَقَائِفُ  
 ٣٨ صَيْدٍ غَاثُرُ الْعَيْنَيْنِ شَقَقَ لَحْمَهُ سَمَائِمُ قَيْظٍ فَهَوَ أُسُودُ شَاسِفُ  
 ٣٩ أَزْبُ ظُهُورِ السَّاعِدَيْنِ ، عِظَامُهُ عَلَى قَدِيرٍ ، شَتْنُ الْبَنَانِ ، خُنَادِفُ

(٣٤) غمازة : بئر معروفة في ديار تمسيم ، أروى عين ماء في منطقة هجر . الحبيب : فقايع الماء التي تتعاهد فوق سطحه . تستن : تتحرك وتضطرب . والزخارف : طرائق الماء كأنها زخارف ونقوش تزييه ، وهي أيضا حشرات صغيرة ذوات أربع أرجل تشبه الذباب تطير فوق الماء ، وكلتا المعنيتين يصلح للصورة التي يرسمها الشاعر لهذا الماء .

(٣٥) الناد : الثراب التدي ، وهو أيضا الجعد . والمخالط : جمع قرطف ( بفتح القاف والطاء ) ، وهي القطيفة المخلطة . ومخالط أرجاء العيون حال ، والقراطيف خير كان .

(٣٦) التقريب : ضرب من عدو الخيل والحر ، وهو رفع اليدين معا ووضعهما معا . والشدة : العدو السريع ، وهما منصوبان على نزع الخافض أو على الحالية ، أي أوردتها بالتقريب والشدة ، أو أوردتها تقريبا وشدا . والقطا : طائر يكثر في الصحراء حول عيون الماء ، ويتردد ذكره كثيرا في الشعر القديم . يصف الشاعر هذا المثل بأن طير القطا تتردد عليه للشرب ، وتناود الرجوع إليه مرة بعد مرة . يريد أنه منهل لا ينضب مآؤه ، فهو مورد دائم للقطا .

(٣٧) صباح : اسم قبيلة كانت تنزل في هذه المنطقة . ومدمرا : يريد صيادا مدمرا يدمر ما يرميه بسهامه من الصيد ، والثاموس : البيت الذي يعده الصياد ليختبئ فيه . والصفيح : الحجارة الرقاق العراض يبنى بها الصياد ناموسة . والسقائف : جمع سقيفة وهي كل خشبة مريضة أو حجر يسقف به البيت .

(٣٨) الصدى : العطشان . والسائم : الرياح الحارة ، جمع ميموم . والقَيْظُ : صمم الصيف . والشاسف : الضامر اليابس . يبدأ من هنا وصف الصياد ، والصورة التي يرسمها هنا تتردد كثيرا في الشعر العربي في وصف الصيادين الذين يحترفون الصيد ، ويحذرون منه وسيلة للرزق ورد غائلة الجوع عنهم وعن أولادهم الفقراء الجلياع الذين ينتظرون عودتهم بالطعام للبيم .

(٣٩) الأزب : الكثير الشعر . وقوله « عظامه على قدر » يريد أنه نحيل وليس ضخما . وشتن البنان : خشن الأصابع غليظها . والجنادف : الجاني القصير المجتنب الجسم .

- ٤٠ أخو قُتْرَاتٍ قد تيقَّن أنه إذا لم يُصَبِّحْ لِحْمَانِ الْوَحْشِ خَاسِفٌ  
 ٤١ مُعَاوِدٌ قَتَلَ الْهَادِيَاتِ ، شَوَاؤُهُ من اللحم قُصْرَى بَادِنٍ وَطَفَاطِفُ  
 ٤٢ قِصَى مَيِّتِ اللَّيْلِ لِلصَّيْدِ مُطْعَمٌ لَأَنَّهُمْ غَارٍ وَبَارٍ وَرَاصِفُ  
 ٤٣ فَيَسَّرَ مَهْمًا رَاشَهُ بِمَنَّاكِبِ ظُهُارٍ لُؤَامٍ فَهَوَّ أَعْجَفُ شَارِفُ  
 ٤٤ عَلَى ضَالَّةٍ فَرَّجَ كَأَنَّ نَذِيرَهَا إِذَا لَمْ تُخَفِّضْهُ عَنِ الْوَحْشِ حَازِفُ  
 ٤٥ فَأَمَهَلَهُ حَتَّى إِذَا أَتَى كَأَنَّهُ مُعَاطَى يَدٍ مِنْ جَمَّةِ الْمَاءِ خَازِفُ

- (٤٠) القترات : جمع قرة (بضم فسكون) وهي بيت الصياد . والخاسف : المهزول الجائع .  
 (٤١) الهاديات : السابقات من الوحش ، يريد بها هنا الأذن الوحشية . والقصرى ، آخر الأضلاع مما يلي البطن ، وهي عادة تكون ليثة طرية . والبادين ، السمين . والطفاف : أطراف الأضلاع ، أو هي لحم البطن الرخص الطرى ، مفردا مطلقا (بكسر الطاءين) .  
 (٤٢) قصى ميت الليل : يريد أنه يبيت بعيدا عن أهله من أجل الصيد . والغارى : الذى يطلى مهامه بالنسواء . والبارى : الذى يرى المهام . والراصف : الذى يشد الجسد والعصب على صدور السهام . يصف الصياد بأنه مشغول بإعداد مهامه للصيد .  
 (٤٣) راشه : ركب فيه الفريش الذى يتيح له الانطلاق . والمناكب : أربع ویشات تثبت فى جوانب السهم . والظهار : الظاهرة الأطراف . واللؤام : الملتصقة المتداخلة الأطراف . والشارف : السهم الدقيق الطويل . يصف فى هذا البيت وفى البيت السابق عملية إعداد المهام .  
 (٤٤) الضال : شجر السدر تعمل منه السهام والقسى ، ويريد بالضالة هنا القوس . ونذيرها : صوتها . يشبه صوت القوس حين يرمى بها السهام بالعزيف .  
 (٤٥) الضمير الظاهر فى « أمهله » يعود على الجار الوحشى . وأن : يختلف اللغويون فى معناها ، وربما كان أوضح الأقوال أنها بمعنى « اطمأن » ، وكأنها اختصار لها ، وهو قول أبى حبيدة ، ويرى الأصمعى أنها بمعنى « كان » . وفى رواية أخرى للبيت « حتى إذا ما كأنه » ، ويرى ابن السكيت أنها على تقدير فعل محذوف بعدها تقديره « حتى إذا ما ورد » ، أو « حتى إذا ما كان » . وقوله « معاطى يد » يريد به من مده يده ليتناول غرفة من الماء . يقول إن الصياد أمهل الجار الوحشى حتى ورد الماء . وبدا كأنه شخص يمد يده لينال منه غرفة يروى بها ظمأه .



- ٤٦ فَاَرْسَلَهُ مُسْتَقِيْنَ الظَّنِّ أَنَّهُ      مُخَالِطٌ مَا تَحْتَ الشَّرَاسِيفِ جَائِفُ  
 ٤٧ قَرَّ النَّضْيُ لِلذَّرَاعِ وَتَحَرَّهِ      وَلِخَيْنٍ أَحْيَانًا عَنِ النَّفْسِ صَارِفُ  
 ٤٨ فَعَضَّ بِإِبْهَامِ الْيَمِينِ نَدَامَةً      وَلَهَفَ سِرًّا أُمَّهُ وَهُوَ لَاهِفُ  
 ٤٩ وَجَالَ وَلَمْ يَعْكِمْ وَشَجَّ إِلْفَهُ      بِمَنْقَطَعِ الْغَضْرَاءِ شَدُّ مُؤَالِفُ  
 ٥٠ تَوَاهَقَ رِجْلَاهَا يَدَيْهِ ، وَرَأْسُهُ      لَهَا قَتَبٌ فَوْقَ الْحَقِيبَةِ رَادِفُ  
 ٥١ يُصَرِّفُ لِلْأَصْوَاتِ وَالرَّيْحِ هَادِيًا      تَيْمِيمَ النَّضْيِ كَدَحَتِهِ الْمَنَاسِفُ

(٤٦) الضمير الظاهر في «أرسله» يعود على السهم . والظن هنا بمعنى اليقين . والشراسيف : أطراف الأسلحة الآتية ما إلى البطن . والجائف : الذي يصيب الجوف وينفذ فيه .

(٤٧) النضى : السهم . والخين : الموت . يقول إن السهم مر إلى جانب ذراع الحمار ونحره ، فلم يصبه ونجا من الموت .

(٤٨) عض إبهام يمينه لأن القوس في يساره . ولهف مرا أمه : أى قال في سره : يا لهف أماه ! تحمرا على إفلات الصيد منه .

(٤٩) لم يعكّم : لم ينتظر ، والعكّم : الانتظار . وإلقه : أثناه . وشيدها : أعانها على الجرى . والغضراء : الأرض الخصبة الخضراء . وشد مؤالف : أى جرى يجمع بينهما . يقول إن الحمار فراريا هو وأثناء التي أعانها على الجرى جريها معه .

(٥٠) تواهق : توافق وتجارى . والقَتَب : خشب الرجل . والحقيبة : الرقادة التي تشد في مؤخر الرجل ، وهي قطعة تحشى تحته ليستقر في مكانه ، ويريد بها هنا «ثورة الأتبان» . والرادف : الذى يركب خلف الراكب . يقول إنها انطلقت أمامه وهو يقبها ، يداه تجاريان وجليها ، ورأسه فوق مؤخرتها .

(٥١) يصرف : يحول من جهة إلى جهة . والهادى : العنق . والتميم : الشديد . والنضى هنا معناه العظم . يصف حق الحمار بأنه شديد العظام . وكدحته : خدشته . والمناسف : مر شرحه في البيت ٢٧ . يصف ما أصاب هذا الحمار من عض الحمار الأخرى في المنافسة على المرعى أو على الإناث .

٥٢ ورأساً كدّن التّجَرِ جَاباً كَأَنَّمَا رَمَى حَاجِيَّتِهِ بِالْجِجَارَةِ قَازِفُ

٥٣ كَلَامٌ مِّنْخَرِيهِ سَائِقًا أَوْ مُعْشَرًا بِمَا أَنْفَضَ مِنْ مَّاءِ الْخِيَاشِمِ رَاغِفُ

\* \* \*

(٥٢) الدن : خاية الخمر . والتجر : التجار ، جمع تاجر . والجاب : الفليط . يصفه ضخامة رأس هذا الخمار ، وما أصابه من جروح بسبب هض الخمر الأخرى له .

(٥٣) سائقا : من السوف وهو النشم . ومعشرا : من التعشير وهو النهيق ، يقال عشر الخمار إذا تابع النهيق عشر نهقات ، وإلى بين عشر ترجيمات في نهيقه . والراغف : السائل . يصور نجاة الخمار وفرحته بها وانطلاقه بعدها .

\* \* \*

يوسف خليف

## عنتر بن شداد

هو عنتر بن شداد العبسي، وقيل : ابن عمرو بن شداد، وقيل، ابن معاوية على رواية صاحب الأغاني ، كانت أمه أمة حبشية اسمها زبيبة تملكها شداد وأنجبت منه عنتر . لُقّب بعنتر « الفلحاء » لتشقّق في شفته ، وكنى « بأبي المغلس » للدلالة على شجاعته وجرأته ، كما كنى « بأبي المغايش » « وأبي أوفى » ولكن هاتين الكنيتين لم تشيعا كثيرا . عاش عنتر غير مُنسب لأب حتى بانَ بأُسّه ، وكان من عادة العرب ألا يُحقّقوا أولاء الإمام بنسبهم إلا إذا بان لهم فضل يُؤثّر ، وهو ما تحقّق لعنتر كما ورد عند أبي الفرج حين قال « وكان سبب ادعاء أبي عنتر إياه أن بعض أحياء العرب أغارت على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا ، فنبعهم العبسيون فلحقوهم ، فقاتلوهم عما معهم ، وعنتر يومئذ فيهم ، فقال له أبوه : تُكرّ . فقال : العبد لا يحسنُ الكرّ ، إنّما يحسنُ الحِلّابَ والعُسر . فقال : كرّ وأنت حرّ ، فكرّ ، وهو يقول : « أنا الهجينُ عنتر » . وقاتل يومئذ قتالا حسنا ، فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه .

عاصر عنتر فيمن عاصر الحطيئة وعمرو بن معد يكرب ، وكلاهما أدرك الإسلام ، وقد اختفى اسمه بعد حرب داحس والغبراء ، الأمر الذي جعل صاحب « كشف الظنون » يذكر أن وفاته كانت سنة ٦١١ م .

عرف الناس عنتر شاعرا وفارسا حتى أصبح اسمه مادة لسيرة شعبية ذاعت شهرتها ، وربما ساعدت بطوانته — بحكم ظروفه الخاصة — على ذيوع تلك

السيرة ، فلم ينته الموقف الاجتماعى عند عنتره إلى كونه شاعرا مُحباً فحسب ، بل كثرت أمامه العراقيل فى سبيل ظفره بمحبوبته عبلة ، وكان أشدّ منها وقعا على نفسه تلك العراقيل الاجتماعية التى حالت دون وصوله إلى طبقة الأحرار من أبناء القبائل بسبب سواد لونه .

وهكذا تبلورت سيرة عنتره حول شاعر فارس ، وبطل حقق لنفسه السيادة بعد عبوديته ، وكانت فروسيته هى الوسيلة الناجعة فى هذا الانتقال الطبقي من ناحية ، وفى فوزه بمحبوبته « عبلة » ابنة عمه مالك من ناحية أخرى .

وقد تنوعت ملامح حياته بين أطوارها المختلفة ، فغلبت عليها العبودية وسادت فى دور النشأة ، وكان عليه كعبيد أن يهتم بأمور الخدمة ورعى الماشية مثله فى ذلك مثل غيره من طبقة العبيد . حتى إذا كانت حروب داحس والغبراء ظهر أمامه الميسدان الفسيح الذى يظهر فيه فروسيته وشجاعته خاصة بعد أن ذاع اسمه وأصبح واحدا من فرسان القبيلة المعدودين الذين يدافعون عن قبائلهم وعن وجودهم وكيانهم الخاص فى نفس الوقت . وقد اختلفت الروايات حول زواج عنتره من عبلة ، فمن قائل أنه تزوّجها بدليل الخبر الذى أورده السيوطى فى قولهم عنتره له « إنك ابن أنحى وقد زوجتك ابنتى عبلة »<sup>(١)</sup> ، ومن قائل أن هذا الزواج لم يتم ربما لأن الفترة الزمنية قد طالت وطال تعلّق عنتره بها قبل أن ينال حريته ، فربما كان تأخره فى نيل حريته سبيلا للآخرين لكى يطالب بعضهم يدها أو يتزوج منها .

والثابت فى سيرة عنتره كما يؤكدّها شعره قدم علاقته بعبلة واستمرار تعلقه بها ، واتخاذها من فروسيته وسيلة إليها ووسيلة الى تجاوز طبقة العبيد فى آن واحد .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

( ١ )

## مختارات من المعلّقة

هل غادر الشعراء من مَرَدَّم ؟ أم هل عَرَفَت الدار بعد تَوَهُيم ؟

\* \* \*

١ أفنى على بما علمت فإني	سهل تخالقي إذا لم أظلم
٢ فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل	مر مذاقته كطعم العلقم
٣ ولقد شربت من المدامة بعد	ماركد الهواجر بالمشوف المعلم
٤ بزجاجة صفراء ذات أسرة	قُرنت بأزهر في الشمال مُقدّم
٥ فإذا شربت فإني مُستهلك	مالى ، وعرضى وإقر لم يكلم
٦ وإذا صحوت فإني أقصر عن ندى	وكما علمت شمائلى وتسكرونى

- (١) المخالقة : هى المفاصلة من الخلق ، سهل خالقتى : أخلاق وهى يكتى لينة . الثناء : هو ذكر الصفات سواء أكانت مدحا أم ذما ، ثم هم المدح كرادف لذكر الصفات .
- (٢) الباسل : الكريه . العلقم : الحنظل ، ويقال لكل مر علقم .
- (٣) المدامة : الخمر . ركود الهواجر : سكون الشمس وقت الظهيرة حين يصير كل شيء ظله . المشوف : اختلقت فيه الآراء فقليل لأنه الدينار أو الدرهم لأنه مشوف أى مجلوه ، ولكن تفسيره هنا بالكأس أرجح . المعلم هو ما عليه كتابة .
- (٤) ذات أسرة : ذات خطوط . الأزهر : ابريق من فضة أو رصاص . مقدم : عليه مصفاة يصفى بها .
- (٥) مستهلك : منفق . المرض : هو موضع المدح والذم من الرجل . لم يكلم : لم يجرح .
- (٦) صحوت : أفقت من سكرى . الندى : السخاء . الشمائل : الخصال وهى الأخلاق والصفات .

- ٧ وحليل غانية تركت مجذلاً تمكو فريصته كشدق الأظم  
٨ سبقت يدأى له بعاجل ضربة ورشاش نافذة كلون العندم  
٩ هلاً سألت الخليل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلّى  
١٠ إذ لا أزال على رحالة ساج نهيد ، تعاورة الكاة مكلم  
١١ طورا يجرد للطحان ، وتارة يأوى إلى حصيد القسى عمرم  
١٢ يُجبرك من شهد الواقعة أنى أغشى الوغى وأعف عند المغنم  
١٣ ومُدجج كره الكاة نزاله لا ممين هرباً ولا مستسلم

- (٧) الحليل : الزوج ، ويقال للمرأة حليلة . الغانية : التى استغنت بزوجها ، أو هى المقيمة بمنزلها أو المخدرة ، وفُسرَت كذلك بأنها الشابة . مجذلاً : صريماً . تمكو : تصفره . الفريصة : الموضوع الذى يرتعد فى الإنسان إذا خاف . الأظم : من شقت شفته العليا . يصف سعة الطعنة .  
(٨) الرشاش : ما تطاير من الدم . النافذة : التى نقلت الى الجوف . العندم : الصبغة الحمراء .  
(٩) سألت الخليل : أى سألت أصحاب الخليل . إن كنت جاهلة بما لم تعلّى : معناه ألا تسألين الخليل بما لا تعلمين أن كنت جاهلة ، وفى البيت تقديم وتأخير .  
(١٠) الرحالة : مرج يصنع من جلد الشاة ويستخدم للعدو الشديد بالفرس . الساج : هو الفرس الذى يدحوى بيديه دحوا . التهذ : الغليظ . تعاورة : فى الأصل تعاورة ، والمراد هنا أنهم يطعنونه مرة ومرة . الكاة : جمع كى وهو الشجاع ، وصمى بذلك لأنه يقمع عدوه أو لأنه يستتر شجاعته حتى تدمو الحاجة الى اظهارها عند النزال فيظهرها ، أو هو التام السلاح .  
(١١) يجرد : يهياً . الحصيد : الكثير . القسى : هى الأقواس . همرم : كثير .  
(١٢) الواقعة : هى الواقعة أو الالتحام ، والمراد بها مشهد من مشاهد الحرب . الوغى : الجلبة فى الحرب . أعف عند المغنم : لا أستأثر بشيء من الغنيمة وحدى بل أقوم بتوزيعها على رفاقي .  
(١٣) المدجج : هو من تغطى واستتر بالسلاح . الكاة : البواسل . النزال : القتال وجها لوجه . لا ممين هرباً : أى ليس متدفعا فى الفرار .

- ١٤ جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلٍ طَعْنَةٍ بِمُتَقَفٍّ صَدَقَ الْكُحُوبُ مَقُومٌ  
١٥ بِرَحِيَّةِ الْفَرَقَيْنِ يُهْدِي جَرْمَهَا بِاللَّيْلِ مُعْتَسِ الذَّنَابِ الضَّرَمُ  
١٦ فَشَكَّكَتُ بِالرَّيْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمَحْرَمٍ  
١٧ فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّيَاحِ يَنْشَنُهُ مَا بَيْنَ قُلَّةٍ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ

\* \* \*

- ١٨ لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ يَتَذَامَرُونَ كَرَّرْتُ غَيْرَ مَذْمُومٍ  
١٩ يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالرَّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ يَتَرَفَّى لِبَاقِ الْأَدْهَمِ  
٢٠ مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِغُرَّةٍ وَجْهِهِ وَلِبَانِهِ حَتَّى تَسْرِبَ بِالدَّمِ

- (١٤) عاجل طعنة : عاجلته بالطنن وسبقته إليه . المتقف : هو الرمح المقوم المشذب . صدق : صلب . الكحوب : هي العقد التي توجد في الرمح .  
(١٥) رحية : واسعة . الفرغ : هو ما بين الدرقوتين والمقصود به هنا خراج الدم عند الطعن ، وكان الدم حين خروجه من الجرح يشبه صب الماء من الدلو . الجرس : للصوت ، ويقصد هنا أن صوت الدم السائل من الطعنة يدل وحوش الفلاة كي تأتي لتلتهم من لقي مصرعه . المعتس : هو من يطلب أو يتقنى أمرا لئلا . الضرم : جمع ضرم وضارم وهو الجائع .  
(١٦) شككت : شققت . الثياب : يقصد البدن أو الجسم الخفيف خلف الدرع . القنا : الرماح . محرم : ممنوع . ليس الكريم على القنا محرم : يقصد أن الكرام هم أشد الناس حرصا على الإقسام وأكثرهم استهجانا للقرار .  
(١٧) جزر : جمع جزرة وهي الشاة أو الناقة بعد ذبحها أو نحرها . ينشئ : يقضمه قضا . قلة الرأس : أعلى الرأس . المعصم : الرسغ أو موضع السوار من الساعد .  
(١٨) يتذامرون : أي يبحث بعضهم بعضا . غير مذموم : غير مذموم .  
(١٩) أشطان : جمع شطن وهو جبل البئر ، وكانت البئر العميقة في العادة تتطلب حبلين للدلو . اللبان : الصدر . الأدهم : فرس عنزة .  
(٢٠) غرة وجهه : أول وجهه أو مقدمته ، وفي رواية أخرى « بشرة نحره » أي هزئة حلقه . تسربل : صار كالسربال وهو القميص ، والمعنى تطلخ بدم غزير .

- ٢١ فازور من وقع الفنا بلبانه وشكا إلى عسيرة وتمحّم  
 ٢٢ لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكن لو علم الكلام مكلمى  
 ٢٣ والخيل تفتح الخبار عوايسا من بين شيطرة وأجرد شيطم  
 ٢٤ ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عتر أقدم  
 ٢٥ ذلل ركابي حيث شئت ، مشايى قلبي ، وأخفزه بأمر مبرم

\* \* \*

- (٢١) ازور : مال ، شكا إلى : أى أنه لو كان يعرف الشكاية لاشتكى إلى . تمحّم : صوت منقطع كالنشيح ، ولكنه ليس بالصهيل .  
 (٢٢) المحاورة : الجواب والمراجعة ، والمعنى هنا التغاطب بوجه عام .  
 (٢٣) تفتح : تدخل راکضة بسرعة . الخبار : الأرض اللينة التى يشند فيها الركض . العوايس : أى التى حال وكلح لونها من فرط ما بذلت من جهد . شيطرة : طويلة . الأجرد : قصير الشعر .  
 (٢٤) أبرأ : شفى . السقم : العلة أو المرض . ويك : تعبير عن الإعجاب .  
 (٢٥) ذلل : جمع ذلول ، ويقال للابل وغيرها من الدواب ، ومعناها هنا أنها سهلة السير متعادة عليه . مشايى : يشايى ، أى لا يثيب على بل يلازمى . أخفزه : أدفعه . مبرم : محكم .

\* \* \*

محمد حمدى إبراهيم



( ٢ )

## عَتَابٌ وَفَخْرٌ

\* \* \*

قال عنترة يصف حاله ويعرض قضيته التي شغلت عليه نفسه ويذكر جور قومه وظلمهم له تلك القصيدة الدالية التي أدارها حول محورين كبيرين : أولهما ذلك الفخر الذي يسجله لنفسه ، ويُعلم به قومه ، ويصر على إظهارهم عليه واعترافهم بفضله ، حتى كاد يمتن عليهم بهذا الفضل ، وهو يقرن هذا الفخر باستنكاره موقفهم منه لمجرد سواد لونه . وهو فخر حربي في جملته ، محكوم بطبيعة المواقف القتالية التي هيأتها الظروف أمام عنترة ليحرز ما أحرزه من تفوق على أقرانه من شعراء الجاهلية وفرسانها . وثانيهما : ذلك الحوار الذي اصطنعه ليفتحى بحديث الطلل والغزل في سبيل حديث الفخر والحرب ، وهو كشاعر فارس يستغل كل المشاهد الغزلية في خدمة قضيته التي يرددها ممزوجة تارة بتلك الصور ، وترد تارة أخرى تأتي خالصة حيث يكرر الفخر عائداً إليه وممبها فيه ، وجاعلا منه ختام القصيدة ، يقول :

- |   |                              |                               |
|---|------------------------------|-------------------------------|
| ١ | إذا فاض دمي واستهل على خدي   | وجاذبني شوق على العلم السعدي  |
| ٢ | أذكر قومي ظلمهم لي وبنيهم    | وقلة إنصافي على القريب والبعد |
| ٣ | بنيت لهم بالسيف مجداً مشيداً | فلما تنأى مجدهم هدموا مجدي    |

(١) استهل الدمع : انصب وانسكب . العلم : الجبل . جاذبه : شده .

- ٤ يَبْيُونُ لَوْنِي بِالسَّوَادِ وَإِنَّمَا  
٥ فَوَإِذْ جِئْتَنِي إِذَا غَبْتُ عَنْهُمْ  
٦ أَتَحْسَبُ قَيْسٌ أُنَى بَعْدَ طَرْدِهِمْ  
٧ وَكَيْفَ يَحْمِلُ الذَّلَّ قَلْبِي وَصَارِي  
٨ مَتَى سُلَّ فِي كَفِّي بِيَوْمِ كَرِيهِتِ  
٩ وَمَا الْفَقْرُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ عِمَامَتِي  
١٠ نَدِيمِي إِمَّا غَيْبًا بَعْدَ سَكْرَةٍ  
١١ وَلَا تَذْكُرَا لِي فَيْرَ خَيْلٍ مُغِيرَةٍ  
١٢ فَإِنَّ غُبَارَ الصَّافِنَاتِ إِذَا عَلَا  
١٣ وَرِيحَاتِي رُحْمِي وَكَاسَاتُ مَجْلِسِي  
١٤ وَلِي مِنْ حُسَامِي كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الثَّرَى  
١٥ وَلَيْسَ يَعْيبُ السِّيفُ إِخْلَاقُ غَمْدِهِ  
١٦ فَلَهُ دَرَى كَمْ غُبَارٍ قَطَعَتْهُ
- فَمَالَهُمُ بِالْخُبَيْثِ أَسْوَدَ مِنْ جِلْدِي  
وَطَالَ الْمَدَى مَاذَا يَلَاقُونَ مِنْ بَعْدِي  
أَخَافُ الْأَعَادِي أَوْ أَذْلُ مِنَ الطَّرْدِ  
إِذَا اهْتَرَقَ لُبُّ الضَّدِّ يَخْفِقُ كَالرَّعْدِ  
فَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَشَايِخِ وَالْمُرْدِ  
مُكَوَّرَةُ الْأَطْرَافِ بِالصَّارِمِ الْهِنْدِي  
فَلَا تَذْكُرَا أَطْلَالَ سَلَمِي وَلَا هِنْدِ  
وَنَقَعَ غُبَارِ حَالِكِ اللَّوْنِ مُسَوِّدِ  
نَشِئْتُ لَهُ رِيحًا أَلَدَّ مِنَ النَّدِّ  
بِمَاجِمِ سَادَاتِ حِرَاصٍ عَلَى الْمَجْدِ  
نَقُوشُ دَمٍ تُغْنِي النَّدَامَى عَنِ الْوَرْدِ  
إِذَا كَانَ فِي يَوْمِ الْوَعَى قَاطِعَ الْحَدِّ  
عَلَى ضَامِرِ الْجَنِينِ مُعْتَدِلِ الْقَدِّ

(٧) الضد هنا بمعنى الظير أو المثل يخفق : من شدة الخوف والفرع .

(٨) المرء مفردا : أمرء وهو الشاب الذي لم تثبت لهيته وقد طر شارب .

(٩) تكوير العامة : استدارتها ، وتكويرها من معال العزة والرياسة والسيادة في القبيلة .

(١٢) الصافن من الخيل الذي يقف على ثلاث قوائم وحافر الرابطة وقد رفعها .

نشق : شق . شم : العنبر أو الطيب بما يعرف عنه من طيب الرائحة .

(١٥) أخلق غمده : بل جفته . يوم الوعى : يوم القتال .

(١٦) لله درى : صيغة تعجب يقال في المدح أى لله عمل ، وتقال في الذم بالنفي كقولك : لا درى

هرك ، والدر هو العمل من خير أو شر أى قل خيرك .

الغبار : يتصد به غبار الحرب ويكنى به عن شدة القتال وكثرة الكر والفر . القد : القامة .

- ١٧ وطاعنتُ عنه الخيل حتى تبددت هزأماً كأسراب القطاء إلى الورد  
 ١٨ فزاره قد هيجتم لئث غابة ولم تفرقوا بين الضلالة والرشد  
 ١٩ فقولوا لحصين إن تعاني عداوتي يبيت على نار من الحزن والوجد

(١٧) هزأماً : مهزومة . القطاء جمع قطاة . الورد : مصدر ترده القطاء للشرب منه .

(١٨) لئث الغابة : يقصد به عترة نفسه هنا . هيجوه : أثاروه .

(١٩) معاناة الشيء : ملاسته ومباشرته .

عبد الله التطاوي

( ٣ )

## بُطُولَةُ فَارِسِ

اكتملت له فروسيته في حياته القبلية بتلك المشا كل التي جلبتها عليه العلاقة التي نشأت بينه وبين ابنة عمه عبلة ، إذ كان للموقف الاجتماعي دوره في إبعاد الشاعر عن صاحبه لأنه عبد أسود غير مُنسب في قومه ، فكانت شجاعته هي المحور الذي يركز عليه ، وقنارته التي يتغنى بها . حتى بلغت إليه نظر محبوبته ويكسب ودها . وفي هذه القصيدة الدالية يركز عنتره على تصوير عواطفه نحو عبلة وما حافاه من أشجان وحزن مستغلا عناصر الطبيعة المادية في صوره المختلفة ، ويزداد حزنه حتى يصل إلى ذروته حين يعرض مشهد الوداع وموقفه في لحظة الفراق . ومن الكتابة والأسى إلى عالم نفسى أكثر رحابة واتساعا يبرز الشاعر الجانب الإيجابي المُشرق في شخصه حين يقدم إليها نفسه كفارس من أكبر فرسان عصره من خلال تلك الصور الجزئية الدقيقة التي ساعد انسجامها على اكتمال اللوحة الفنية التي تجسدت فيها مشاهد القتال بكل تفاصيلها . وكأن القصيدة — بهذا الشكل — تجمع بين محاور القوة والضعف في حياة عنتره ، فهو موزع بين استجابته لعواطفه واستنكاره لموقف القبيلة منه وبين مشاهد القتال التي اشتد حرصه على تصويرها وكانت وسيلته إلى تجاوز طبقته ونيل حريته ، فيقول في قصيدته المعروفة « بالعقيقة » :

- ١ بين العقيق وبين بركة شمد  
٢ يا مَسْرَحَ الآرام في وادي الحمى  
٣ في أيمن العَلَمَيْنِ دَرَسُ مَعَالِمِ  
٤ من كُلِّ فَاتِنَةٍ تَلَقَّتْ جِيْدَهَا  
٥ يَاعْبَلْ كَمْ يُشْجِي فُؤَادِي بِالنَّوَى  
٦ كَيْفَ السُّلُومَا سَمِعْتُ حَمَائِمَا  
٧ ولقد حَبَسْتُ الدَّمَعَ لَا يُخْلَا بِهِ  
٨ وَسَأَلْتُ طَيْرَ الدُّوْحِ كَمْ مِثْلِي شَجَا  
٩ نَادَيْتُهُ وَمَدَامِي مُنْهَلَةً  
١٠ لو كُنْتُ مِثْلِي مَا لَبِثْتُ مُلَاوَةً  
١١ رَفَعُوا الْقِيَابَ عَلَى وَجْهِهِ أَشْرَقَتْ  
١٢ وَاسْتَوَكَّفُوا مَاءَ الْعَيُونِ بِأَعْيُنِ
- طَلَلُ لَعْبَلَةٍ مُسْتَهْلُ الْمَهْدِ  
هَلْ فِيكَ ذُو شَيْخٍ يَرُوحُ وَيَقْتَدِي  
أَوْهَى بِهَا جَلْدِي وَبَانَ تَجْلِدِي  
مَرَحًا كَسَالِفَةَ الْغَزَالِ الْأَغِيدِ  
وَيَرُوعُنِي صَوْتُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ  
يُسُدُّنِ إِلَّا كُنْتُ أَوَّلَ مُنْشِدِ  
يَوْمَ الْوَدَاعِ عَلَى رُسُومِ الْمَهْدِ  
بَانِيهِ وَحَيْنِيهِ الْمُتَرَدِّدِ  
أَيْنَ الْخَلِيٍّ مِنَ الشَّجِيِّ الْمُكْدِ  
وَهَفَّتْ فِي قُصْنِ النَّقَا الْمُتَأَوِّدِ  
فِيهَا فَغِيَّتُ السَّمَاءَ فِي الْقَرْقَدِ  
مَكْهُولَةٍ بِالسَّحَرِ لَا بِالْإِنْمِدِ

(١) العقيق : مواضع بالمدينة وباليسامة وبالطائف وبهامة وبجند وبسته مواضع أخر .

برقة شمد لبني دارم ( اسم موضع ) .

(٢) الآرام ج رثم وهو الظلي . الرواح والغلو : الذهاب والمجيء .

(٣) الدرس : العفاء والزرال والابحاء . المعالم : ما يستدل به . التجلد : التحمل والصبر .

أوهى : ضعف وبق وكل . الأغيد : الذي يثنى من شدة لونه .

(٤) السالفة : ناحية مقدم العتق من لدن معلق للقرط إلى قلب الترقوة .

(٨) الدوح شجر ضخم ج دوحه . شجا : بكى من شدة الحزن والألمى .

(١٠) الملاوة : الفترة ، البرهة . النقا : قطع رملية محدبة .

(١١) السها : كوكب شفى من نبات نعش الصغرى . القرقد : النجم الذى يهتدى به .

(١٢) استوكفوا : استعطروا . الإيمد : حجر الكحل .

- ١٣ والشمس بين مَضْرَجٍ ومِبْلَجٍ والغصن بين مُوشِحٍ ومَقْلَدٍ  
 ١٤ يطلعن بين سَوَالِفٍ ومَعَاظِفٍ وقلائد من لؤلؤ وزبرجد  
 ١٥ قالوا اللقاء غداً بمُنْعَرِجِ اللوى واطول شوقِ المُسْتَهَامِ إلى غَدٍ  
 ١٦ وتَحَالُ أنفاسي إذا رَدَدْتُهَا بين النُقُوشِ مَحْتِ نُقُوشِ المَبْرَدِ  
 ١٧ وتَنُوقَةٍ مَجْهُولَةٍ قَدْ خُضَّتْهَا بِسِنَانِ رُوحٍ نَارُهُ لَمْ تُحْمَدِ  
 ١٨ بَاكَرْتُهَا فِي فِتْنَةٍ مَهْسِيَةٍ من كُلِّ أَرْوَاحِ فِي الكَرِيمَةِ أَصِيدِ  
 ١٩ وَتَرَى بِهَا الرَّايَاتِ تَخْفِقُ والقَنَا وَتَرَى العَبَاجَ كَيْمَلُ بِحَجَرٍ مُزِيدِ  
 ٢٠ فَمِنْهَا تَنْظُرُ آلُ عَيْسٍ مَوْفِيهِ وَالخَيْلُ تَعْتُرُ بِالْوَشِيحِ الْأَمْلَدِ  
 ٢١ وَبَوَارِقُ الْبَيْضِ الرِّقَاقِ لَوَامِعٌ فِي عَارِضٍ مِثْلَ الْغَمَامِ الْمُزِيدِ  
 ٢٢ وَذَوَابِلُ الشَّعْرِ الدَّقَاقِ كَأَنَّهَا تَحْتَ الْقَتَامِ نَجُومٌ لَيْلٍ أَسْوَدِ

(١٣) المضرج : المحمر . المبلج : النقى الطلاق . الغصن : القند . مقلد : عليه فلادة وهي

العتق .

الموشح : من يرتدى الوشاح وهو أديم عريض يوضع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .

(١٥) المنعرج : المنعطف . اللوى : ما الثوى من الرمل أو ما استرق منه .

واطول : شكوى من طول القبت إلى غد لشدة لطفته وشوقه .

(١٧) التنوقة : الصحراء لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت معشبة . مجهولة : لصعوبتها وغموضها .

(١٨) الأروع : الشجاع . الكريمة : الحرب . الأصيد : الذي يميل عنقه كبرا ، وهو السيد

الشريف . والأصيد : البطل الشجاع المقدام .

(١٩) العجاج : الغبار المثار . مزيد : يرى بالزبد وهو ما يملو الماء في اصطفاه وعنفه .

(٢٠) الوشيح : شجر الرماح . الأملد : الناعم اللين من النصوص وهو ما يستحب في الرماح .

(٢١) البيض : السيوف . العارض : السحاب الكثير ويقصد به غبار الحرب هنا .

(٢٢) الذوابل : القنا البيض . السمر : الرماح . القتام : غبار الحرب أثناء دوراتها .

- ٢٣ وحوافر الخيل العنّاق على الصفا  
 ٢٤ باشرت موكبها وخضت غبارها  
 ٢٥ وكررت والأبطال بين تصادم  
 ٢٦ وفوارس الهبّاء بين ممّاع  
 ٢٧ والبيض تلّمع والرماح عواسل  
 ٢٨ وموسد تحت التراب وغيره  
 ٢٩ والجرأ أقسم والنجوم مضئنة  
 ٣٠ أحنّت مهري تحت ظلّ عجاّمة  
 ٣١ رنمت أنف الحاسدين بسطوقي
- مثل الصّواعق في قفار القدّف  
 أطفأت جمر لحيها المتوقّد  
 وتهاجس وتحزّب وتسدّد  
 ومدافع وتخادع ومعرّيد  
 والقوم بين مجدل ومقيّد  
 فوق التراب ينّ غير موسّد  
 والأفق مغبرّ العنان الأربد  
 بسنان رمح ذابل ومهند  
 فغدوا لها من راكعين وشجيد

(٢٣) الصفا : الحجر الصلد الضخم . القدّف : المكان الغليظ الصلب .

(٢٧) العاقل : الرمح إذا اشتد اهتزازه دلالة على شدة القتال . المجدل : الصريع . المقيّد : الأسير .

(٢٩) العنان : السحاب يقصد التراب الذي انتشر فيه كالسحاب . الأربد : المائل إلى الغبرة .

(٣٠) المهند : السيف . رنم أنفه : ألصقه بالتراب أي أذله وفهره وحطم كبرياءه .

\* \* \*

عبد الله التطاوي

( ٤ )

## فُرُوسِيَّةٌ وَحُبٌّ

ولد عنزة لجارية حامية سبأها أبوه ، ولم يلحقه به عند ولادته ، واسم أمه زَيْبِيَّةُ الحبشية ، أما أبوه فهو شَدَّادُ بن عمرو بن معاوية بن قُرَادِ بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قَطِيعَةَ بن عبس . وكان العرب لا يلحقون بنسبهم أولاد الإماء إلا إذا بان لهم فضل . وكان سبب ادعاء أبي عنزة إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بنى عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا ، فتبعهم العباسيون فقاتلوهم ، وعنزة يومئذ فيهم ، فقال له أبوه : كر ، فقال : العبد لا يُحْسِنُ الكَرَّ ، إنما يحسن الحِلَّابَ والصَّرَّ ، فقال : كُتِرَ وأنت حر ، فكَرَّ وقاتل قتالا حسنا ، فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه .

وطارت شهرة عنزة بوصفه فارسا لا يبارى ، وماشقا تحاك حوله الأساطير في قصة حبسه لبعلة ابنة عمه . وكان له دور كبير في حرب داحس والغبراء . ويبدو أنه مات أو قتل قبل ظهور الإسلام بسنوات قليلة .

\* \* \*

والآيات التي اخترناها له يبدوها بحكمة التجارب والسنين ، فيقول إن أمر الله مقدَّر على جميع عباده ، فلا سبيل للفرار منه أو الحذر ، وليس الإنسان قادرا على ردِّ الموت أو دفع القضاء ، فإذا حُمِّ كان أمرا محتوما لا تحيب طعنته ولا تطيش ضربته . وقد هان الدهر على عنزة بسبب معرفته حقيقة ونجبرته بما تأتى به



مصائب الزمان وأحداثه . ويختم عنتره هذه المقدمة الحكيمة بقوله إن الأسود ليست كالضباع في شجاعتها وهيبتها ، كما أن كل المحاربين ليسوا مثل عنتره في شجاعته وإقدامه . ويبدأ عنتره بالفخر ببطولاته حتى إنه انتصر على غارات الزمان وكان الموت فيها متربصا به الدوائر، وحقَّق له عزُّهُ الجبار هذا الانتصار، حتى إنه لو ضرب بسيف عزيمته البتار ظلام الليل لانقشع وزال ، وليس أمام الشاعر غير سبيلين : إما أن يصل إلى المجد مخاطرا بنفسه أو يموت، وهو لا يهتم بما سوف يأتي به الغد لأن أحدا لم يخبرنا بما يكون في عالم الغيب المجهول ، والنذير الذي يأتي محذرا من وقوع الويل والكوارث قد يكون في الحقيقة بشير سعادة وسرور .

ولا ينسى الشاعر أن يشهد حبيبته عبلة على فروسيته و بطولته الخارقة فيطالها بأن تشهده في أثناء المعارك وهو يطاعن ويقا تل ويشير بمخاوف فرسه الغبار ، وهو يقبل على المعركة ضاحكا لوثوقه بنفسه وقدرته ، وسعيه إلى المجد مستمينا بالموت ، فإذا انقضت المعركة آب وعليه آثارها مشعث الشعر مغبر الوجه ، وهو لا يكف عن قتال أعدائه إلا حين يصرعهم ويلقى بجماجمهم في ساحة القتال لتعيب بها الرياح الجنوبية ، وبأجسادهم التي تنفضُّ عليها الطيور الكاسرة ولا ترجع عنها إلا حين ترى الوحوش وقد أنت لتنال نصيبها .

\* \* \*

- |   |                                  |                               |
|---|----------------------------------|-------------------------------|
| ١ | إذا كان أمر الله أمرا يُقدَّر    | فكيف يفزع المرء منه ويَحْذَرُ |
| ٢ | ومَن ذا يرذ الموت أو يدفعُ القضا | وضرْبُهُ محتومةٌ ليس تَعْشَرُ |

- ٣ لقد هان عندى الدهر لما عرفته وإنى بما تأنى الملمات أخبر  
 ٤ وليس سباع البر مثل ضبائه ولا كل من خاض العجاجة عثر  
 ٥ سلواصرف هذا الدهر كم شئ غارة ففرجتها والموت فيها مشمر  
 ٦ بصارم عزيز لو ضربت بحده دجى الليل ولئى وهو بالنجم يعثر  
 ٧ دعونى أجد السعى فى طلب العلا فأدرك سؤلى أو أموت فأعذر  
 ٨ ولا تختشوا مما يقدر فى غد فما جاءنا من عالم الغيب مخبر  
 ٩ وكم من نذير قد أتانا مخذرا فكان رسولا فى السرور يبشر  
 ١٠ قفى وانظرى يا عبل فعلى وعائى طعانى إذا نار العجاج المكدر  
 ١١ ترى بطلا يلقى الفوارس ضاحكا ويرجع عنهم وهو أشعث أغبر  
 ١٢ ولا ينثنى حتى يثلى جاجا تمر بها ريح الجنوب فتصفر  
 ١٣ وأجساد قوم يسكن الطير حوطا إلى أن يرى وحش الفلاة فينفر

(٣) الملمات : جمع ملبة وهى حوادث الدهر ومصائبه .

(٤) العجاجة : يعنى بها الحرب .

(٥) الصرغ : الأحداث ، مشمر : نشيط دائب الحركة .

(٦) الصارم : السيف .

(٧) سؤلى : غايى ومرادى .

(١٢) يثلى : يترك .

\* \* \*

محمد مصطفى هدارة

## زُهَيْر بن أَبِي سُلَيْمَى

هو زهير بن أبي سلمى ربعة بن رباح بن قرة بن الحارث ... أحد الثلاثة  
المقدمين في الجاهلية ، وإن اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه ،  
فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذبياني .

شهد له كثيرون بمكانته الشعرية ، فراه جرير شاعر الجاهلية ، وقال عمر بن  
الخطاب (رضي الله عنه) لابن عباس: إنه شاعر الشعراء، وقدمه قدامة بن موسى  
أيضا على سائر الشعراء، وتجل له الأحنف بن قيس أنه أشعر الشعراء أيضا .

وربما شجع زهير على بلوغ تلك المكانة طبيعة البيئة التي نشأ فيها وكان من  
أهم أعلامها بشامة (خاله) ، وهو شاعر مجيد ، فكان زهير وكثير من قومه  
شعراء بالوراثة ، فلم تقف الشاعرية عند خاله وجده ، بل كان أبوه شاعرا ،  
وكذلك كانت أخته سلمى ثم كان ابنه كعب وبجير شاعرين . ولا تخفى مكانة  
أخته الخنساء في نظم الشعر ، وكذلك حفيده ، المضرب بن كعب بن زهير .  
وقد تعددت مجالات نظم الشعر عند زهير ، وكان أكثرها حظا من فنه موضوع  
المدح ، فقد نظم معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف وقد حملادية  
هرم بن ضمضم في مالهما دون أن تكون لهما مشاركة في الحروب القبلية .

وقد نأى زهير بنفسه وفنه عن محور التكسب أو طلب العطاء، ورفض أن يعيش  
مأجورا من خلال شعره ، إذ يُروى أن هَرِمًا كان قد حلف ألا يمدحه زهير  
إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه عبدا أو وليدة أو فرسا ، فاستجيا زهير مما كان  
يقبل منه ، فكان إذا رآه في ملاء قال : عَمُوا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت .

وكما كثر ثناء معاصريه على فنسه كثر حوار المتأخرين حول شعره ومكانته فيه ، فأثنى عليه عبد الملك بن مروان وأعجب بفننه .

وامتاز شعر زهير عن شعر عصره فكانت حجة من قدمه أنه كان أحسنهم شعرا وأبعدهم عن سخف ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ وأكثرهم مبالغة في المدح وأكثرهم أمثالا وحكما في شعره . ويبقى لزهير زعامته لمدرسة فنية متميزة في فن الشعر وضع أسسها الفنية وأصبح فيها أستاذا وراوية في آن واحد ، فقد استمد أصولها من أوس بن حجر ثم تتلمذ عليه فيها من بعده كعب ابنه ، وأخذت طريقها التاريخي عند الخطيئة وكثير غزوة وجميل بشينة وغيرهم من شعراء عصر بني أمية .

ولا تكاد مدرسة زهير تعكس مكانته في الجاهلية بقدر ما تسجل له دوره البارز في تأصيل صنعة الشعر التي أثرت في حركة الأدب ، وبها تجاوز عصره حيث ركز في فنه على الإجادة ومزاولة مهنة الفنان في دقة التنقيح ومعاودة النظر في بنية القصيدة وصورها الجزئية ، ثم اختيار المعجم اللفظي مع شدة الحرص والأناة في مفرداته وتراكيبه معا بعيدا عن الارتجال أو سرعة التعامل مع الأداة .

على أن مكانة زهير في زعامة تلك المدرسة لا يقل عنها أهمية وخطورة في الشعر العربي موقفه من فن المدح الذي كثر توجيه سهام الاتهام إليه من قبل النقاد والباحثين على أنه كان بابا واسعا من أبواب النفاق في الشعر العربي ، فقد تجاوز زهير هذا المستوى بل نقضه تماما حين أصدر فنه خالصا من منظور الصدق الفني والاجتماعي معا ، إذ اتسقت نفسه مع موضوعه وراح يترنم بهذا الموقف الحضاري الذي أعجب به حول قضية السلام ، والتغيير من شريعة الغزو التي شقت سبلها

عبر نفوس الجاهليين وأصبحت قاعدة عامة في حياتهم ، فكانت معلقته صورة من إخلاصه لقضية السلام بجمع صورها من خلال المتناقضات فراح بين صيغ التهديد والإقناع يتلمس فيه ، وراح يرسم بدقة متناهية أكثر من لوحة فنية لقضية الحرب وقضية السلام كما عاشها واقتنع بها . وفي أثناء هذا كله ينطلق من دقة استاذيته وتلمذته في مدرسته الفنية التي رأى النقاد في أصحابها « عبيداً للشعر » لكثرة ما وقروه له من الروية والأناة والتنقيح ، ورأوها عند زهير — على سبيل المبالغة — في فن الحولية التي تعكس من الروية والأناة أروع صورهما .

وتدور معلقة زهير حول مجموعة أفكار تبدو متعددة وإن كانت تجمعها وحدة شعورية وفكرية أساسها إعجابه بقضيته وممدوحه من ناحية ، واتساقه مع نفسه تجاه موضوعه وتفاعله مع مقدماته وخواتمه من ناحية أخرى ، ولذا يبدو إمكان توزيع لوحات المعلقة إلى حديث يقف فيه مع الطلل والظعينة ، إلى موضوع المدح ورسائله التي يوجهها إلى الأخلاف داعياً إلى السلام ومنفراً من الحرب ، إلى خاتمة حكيم يرسم منها لوحة كاملة من تقارير تكشف عن طابع حياته وخلاصة رؤيته لها وطبيعة فلسفته فيها .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

( ١ )

## المعلقة

١ - بين الطلل والظعينة

- |   |  |  |
|---|--|--|
| ١ | أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَهُ لَمْ تَكَلِّمْ     | بَحْوَمانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَشَلِّمِ         |
| ٢ | وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا       | مَرَاجِيعُ شَمِّ فِي نَوَاشِيرِ مِعْصَمِ         |
| ٣ | بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِيْنَ خَلْفَةً | وَأُطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْمَمِ    |
| ٤ | وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةَ     | فَلَا يَأْ عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ     |
| ٥ | أَنَا فِي سَفْعًا فِي مُعْرِيسِ مَرَجِلِ         | وَنُؤْيَا بِكُذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَلَمَّ      |
| ٦ | فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبِّهَا     | الْأَعْمِ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّبْعُ وَاسْلَمْ  |
| ٧ | تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ       | تَحْمَلْنَ بِالْعِلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثَمِ ؟ |

- (١) الدمنة الآتار . الحومانة : ما يلفظ من الأرض . الدراج والمتلثم : موعضان .  
الوشم : نقش بالإبرة في الذراع .
- (٢) النواشر : عصب الذراع . المعصم : موضع السوار من الذراع .
- (٣) العين : بقرة الوحش . الأرام : الظباء . المجمم : المريض .  
الأطلاء : ملا وهو ولد البقرة الوحشية أو الظبية .
- (٤) اللأى : الجلهد . الحجّة : السنة . التوهم : التفرس ودقة التعرف .
- (٥) الأنثى : الجارية توضع عليها القدر . السفع : السود تخالطها حرة . معريس الرجل : حيث أقام الرجل . النؤى : حاجز يرفع حول البيت يحميه من التراب . جذم الحوض : أصل الحوض .  
هم صباحا : صيغة دعائية شائعة بين الجاهليين .
- (٦) الربيع : موضع الدار . الخليل : الصاحب أو الصديق أو الرفيق .
- (٧) الظعان : النساء الراحلات على الإبل . العلياء : موضع . جرثم : ماء لبنى أسد . تحملن : رحلن

- ٨ عَلَوْنَ بِأَمْطٍ عِتَاقٍ وَكَلَّةٍ      وَرَادٍ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةَ الدَّمِ  
 ٩ وَوَرَّكْنَ فِي السُّوْبَانِ يَعْلُوْنَ مَتْنَهُ      عليهن دُلُّ النَّاهِمِ الْمُتَنَعِّمِ  
 ١٠ كَأَنَّ فُتَاتِ الْعِيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ      نَزَلْنَ بِهِ حُبُّ الْقَنَّا لَمْ يُحِطَمْ  
 ١١ وَفِيهِنَّ مَلْهَى لِلصَّدِيقِ وَمَنْظَرٌ      أُنِيقُ لِمَعِينِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ  
 ١٢ بَكَرْنَ بَكُورًا وَاسْتَحَرْنَ سُحُورَهُ      فَهُنَّ لَوَادِي الرُّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ  
 ١٣ جَعَلْنَ الْقَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزَنَهُ      وَمَنْ بِالْقَنَانِ مِنْ مَعْلٍ مُحَرَّمِ  
 ١٤ ظَهَرْنَ مِنَ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ      عَلَى كُلِّ قَبِيْلَةٍ قَشِيْبٍ مُقَامِ  
 ١٥ فَلَبَّاهُ وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَاهِمَهُ      وَضَعْنَ عَصَى الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

- (٨) علون بأماط : أى طرحوها على أعلى المناخ أماطاً تفرشها ثم تغليها الطلعان أثناء الرحيل .  
 المشاكهة : المشابهة . الورداج ورد وهو الأحمر . الكلة : السر .  
 (٩) وركن : ملن فيه . المتن : ما غلظ من الأرض وارتفع .  
 (١٠) العيون : الصوف المصبوغ . القننا : شجر ثمره حب أحمر وفيه نغص سوس . لم يحطم : أى  
 صحيح لأنه إذا كسر ظهر له لون غير الحمرة .  
 (١١) المتوسم : الناظر الذى يتفرس بنظره . ملهى للصدىق : بقايا جمال تستمتع النزل .  
 (١٢) السحرة : السحر . استحرن : خرجن فى السحر أو فى وقت البكور .  
 الرس : البئر وهو اسم موضع أيضا .  
 كاليد للفم : أى قصدن الوادى فلم يخطئته كما لا تخطئ اليد إذا قصدت الفم .  
 (١٣) القننان : جبل لبى أسد . الحجل : الذى لا عهد له ولا ذمة ولا جوار .  
 المحرم : من له حرمة وذمة من أن يفار عليه . ظهرن : خرجن .  
 (١٤) السوبان : اسم راد . بزعه : قطعته أو تجاوزته .  
 قبلى : أراد به قنبا منسوباً إلى « بلقين » وهم حى من اليمن تغلب إليهم الرجال وربما قصة  
 جودته صنعت نسبة إلى فين . قشيب : جديد . مقام : الذى وسع وزيد فيه بليقتان من  
 جانيبه .  
 (١٥) زرقا جامه : أى صاف . الجمرة : مجتمع الماء .  
 الحاضر : من حضر الماء وأقام عليه . المتخيم : الذى اتخذ الخيمة وتأهب للاستقرار .  
 وضعن عصى الحاضر : أى أقن على الماء واستقروا فى هذا المكان .

ب : وقائع قضية السلام

- ١٦ سَعَى سَاعِيًا غَيْظَ بَنٍ مُرَّةً بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْذَمِّ  
١٧ فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رَجَالُ بَنِيهِ مِنْ قُرَيْشٍ وَبَرَاهِمٍ :  
١٨ يَمِينًا لِنِعَمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَيِّئِلٍ وَمَبْرَمٍ  
١٩ تَدَارَكْتُمَا عَهْسًا وَذُبْيَانًا بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْثَمٍ  
٢٠ وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ تُدْرِكِ السَّلْمُ وَأَسْعَا بِسَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ نَسْلُمُ  
٢١ فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا عَنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ  
٢٢ عَظِيمَيْنِ فِي طَلَبِ مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا وَمَنْ يَسْتَسِحَّ كَثَرًا مِنَ الْحَبْدِ يَعْظُمُ  
٢٣ فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادٍ كُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالِ الْمَزْنَمِ  
٢٤ تَعَفَّى الْكُلُومُ بِالْمُثِينِ فَأَصْبَحَتْ يُنْجِمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً  
٢٥

(١٦) غيظ بن مرة : حى من غطفان . تبزل بالدم : تشقق وتزق بسبب الحرب .

(١٧) أقسمت بالبيت : يقصد الكعبة . برهم : أمة قديمة كانوا أرباب البيت قبل قريش .

(١٨) السحيل والمبرم : يكفى بهما عن شدة الأمر ومهولته ، والمبرم انخبط المزدوج المقتول ، والسحيل هو انخبط المفرد الضعيف .

(١٩) منثم : امرأة عطارة من نزاعة تشامم العرب بعطرها وضرب به المثل :

(٢٠) واسعا : مؤكدا . نسلم : أى نسلم من أمر الحرب وتزول أخطاؤها .

(٢١) على خير موطن : على خير منزلة ورتبة ومكانة . العقوق : قطعة الرحم .

(٢٢) طليبا معد : أشرفها . وأفضل القوم فيها يستبح : يحجده مباحا . الكثر يكفى به عن الكثرة .

يعظم : يرتفع شأنه بين قومه وترقى درجته ومكانته .

(٢٣) الإفال : صفار الإبل التى كانت تدفع فى الديات . المزنم : الجبال المشهورة . التلاد :

المال الموروث (القديم) . والطريف : المال المستحدث (المكتسب) .

(٢٤) تعفى : تمحى . الكلام ج الكلم وهو الجرح .

(٢٥) تنجم : تدفع أقساطا . ملء محجم : أقل كمية يمكن تصورها .



## ج : رسالة إلى الأحلاف

٢٦. فَنَنْبِلُغُ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً      وَذِيَّانَ هَلْ أَقْسَمْتُ كُلَّ مُقْسَمٍ  
 ٢٧. فَلَا تُكْتَمُنَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفُوسِكُمْ      لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمَ اللَّهُ يَعْلَمَ  
 ٢٨. يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْنَرُ      لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلَ فَيُنْفَخِمْ  
 ٢٩. وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ      وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ  
 ٣٠. مَتَى تَبْعُوهَا تَبْعُوهَا ذَمِيمَةً      وَتَضُرَّ إِذَا ضُرَّتْ مُوَاهَا فَتَضُرَّمِ  
 ٣١. فَتَمْرُكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَا يَنْفَالِهَا      وَتَلْقَحُ كِشَافًا ثُمَّ تَحْمَلُ فَتَنْتَمِ  
 ٣٢. فَتَنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانًا أَشَامَ كُلِّهِمْ      كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَفْطِمْ  
 ٣٣. فَتَنْزِلُ لَكُمْ مَا لَا تَعْلَلُ لِأَهْلِهَا      قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدَرَاهِمِ

## د : عتاب ومؤاخذه

٣٤. لَعَمْرِي لَنَنْعَمَ الْحَىُّ بِجَرِّ عَلَيْهِمْ      بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنٌ بْنُ ضَمْضَمٍ

(٢٦) الأحلاف : أسد وطفان وطوى .

(٢٧) لا تكتمن : لا تضمروا خلاف ما تظهرون .

(٢٩) المرجم : المظنون أو الذي لا يقوم على يقين . ذقم : جربتم .

(٣٠) تضر إذا ضرتوها : تعود إذا عودتموها ، وتشتل إذا اشتلتم نارها .

تمرككم : تهلككم وتقضى عليكم . بنفالا : أى ومعها فقال وهو الحليدة توضع تحت الرسى إذا أديرت ليقع عليها الدقيق .

(٣١) تلقح كشافا : أى لاتقطع عنكم ولا بد أن تدرككم . تنتم : تنجب النواثم وهى كثيرة النتائج .

(٣٢) غلمان أشام : أى غلمان شوم وندرشر .

أحمر عاد : ربما قصد به أحر « حمود » وهو عاقرة ناقة صالح فى القصص القرآنى .

(٣٣) تنزل : تنج . القفيز والدرهم : خيرات العراق من محاصيل وأموال .

(٣٤) جر عليهم : جتى عليهم . حصين بن ضمضم : من بنى مرة اشقى على الصالح ولم يدخل فيه وعدا

على رجل من عبس فقتله .

- ٣٥ وكان طوى كشعاً على مُسْتَكِنَةٍ  
 ٣٦ وقال سَأَفْضِي حاجتي ثم أَتَقِي  
 ٣٧ فشدّ ولم تَفْزَعْ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ  
 ٣٨ لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السِّلَاحِ مُقَدِّفٍ  
 ٣٩ جرى متى يُظْلَمُ يُعَاقِبُ بِظُلْمِهِ  
 ٤٠ رَعَوْا مَا رَعَوْا مِنْ ظِمْمِهِمْ ثُمَّ أَوْرَدُوا  
 ٤١ فَقَضَوْا مَنَاقِبًا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَوْرَدُوا  
 ٤٢ لِعَمْرِكَ مَا جَرَتْ عَلَيْهِمْ وَمَاحَهُمْ  
 ٤٣ وَلَا شَارَكُوا فِي الْقَوْمِ فِي دَمِ نَوْفَلٍ  
 ٤٤ فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُمْ

(٣٥) طوى كشعاً : طوى أمراً في جانبه فلم يظهره . (الكشف : الجنب أو الخصر) .

(٣٦) سَأَفْضِي حاجة : سأدرك ثأري . أَتَقِي عدوي بألف : أجعلهم يني وبين عدوي .  
 (ألف فارس) .

(٣٧) شد : حمل على الرجل فقتله . تفزع : تعلم بفعلته أو تساعد عليه .

بيوت : أحياء وقيائل . ألفت رحلها : اشتد خطرها واشتملت زيراتها .

(٣٨) أسد : جيش . أم قشعم : الحرب . شاكي السلاح : سلاحه شائكة حادة وتامة .

أظفاره : سلاحه . الظلم : ما بين الشريرين .

(٤٠) الغار والغمر الماء الكثير . الورود : الذهاب إلى مصادر المياه وعكسه الصدر .

(٤١) قضوا منايا : أيقظوها بأشغال الحرب .

أصعدوا إلى كلاً : رجعوا إلى أمر مستو بل أرسى العاقبة . المتوخم (الوخيم) : الذي لا يتحد نتائجه .

(٤٢) المثل : اسم موضع . ابن نهيك ونوفل ورهب وابن الحزم : أسماء رجال من هبس .

(٤٤) يعقلونهم : يشعلون رياتهم ويغرمونها . العلالة : تكرار الشيء بعد الشيء . المصمم : التام .

- ٤٥ تُسَاقُ إِلَى قَوْمٍ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ      صَحِيحَاتٍ مَالٍ طَالَعَاتٍ بِمَخْرَمٍ  
٤٦ لَحَى حِلَالٍ بِعَصْمِ النَّاسِ أَسْرُهُمْ      إِذَا طَلَعَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ  
٤٧ كِرَامٍ فَلَا ذِرَ الْوَتْرِ يَدْرُكُ وَتَرَهُ      لَتَنِيهِمْ وَلَا الْجَنَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ

## هـ : فلسفة حياة

- ٤٨ سَمِثْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَمِشُ      ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ يُشَاءُ  
٤٩ رَأَيْتُ الْمَنَاءَ يَخْبِطُ عَشَوَاءً مَنْ تُصِيبُ      ثَمَنُهُ وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فِيهِمْ  
٥٠ وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ      يُضَرُّ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَلْسِمِ  
٥١ وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ      وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَيْدِ عَمِي  
٥٢ وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَخْلُ بِفَضْلِهِ      عَلَى أَهْلِهِ يَسْتَعْنُ عَنْهُ وَيُدْنِمِ  
٥٣ وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرِضِهِ      يَفْسِرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّبِقِ الشَّمَّ يُشْتَمِ  
٥٤ وَمَنْ لَمْ يَدُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ      يَهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ  
٥٥ وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَةِ يَلْقَاهَا      وَلَوْ رَأَى أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمِ

(٤٥) صحيفات مال : ليس بعسدة ولا مظل . بمخرم : أى طلعت عليهم الإبل من المخرم وهو الطريق الضيق في الجبل .

(٤٦) لحنى حلال : كثير ، والحلال ج حلة وهى مائة بيت ، وأصل الحلة الموضع ينزل فيه القوم ، وأراد بالحنى الحلال حتى الساعين بالصلاح بين عبس وذبيان .

(٤٧) لا ذر الوتر يدرك وتره : أى أنهم أحرزوا لا يستطيع أحد أن يتنصر عليهم أو يأخذ منهم ثأراً .

(٤٨) تكاليف الحياة : متاعها ومشقاتها لا أبالك : صيغة دعائية فيها الجفاء والغلظة الجاهلية .

(٥٠) متشم المير : بمنزلة غلظ الانسان . يضرس : يعض يضرس . يصانع : يترقى ويدارى .

(٥١) عمى : جاهل ، يصور جهله بالمستقبل وعلمه بالماضى والحاضر فقط .

(٥٥) أسباب السماء : أبوابها . أسباب المنية : وسائلها وطرقها . والمنية : الموت .

- ٥٦ وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْزِمٍ  
٥٧ وَمَنْ يُوْفِ لَا يُدْتَمُّ وَمَنْ يُفِضْ قَلْبُهُ إِلَى مَطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمَّعُ  
٥٨ وَمَنْ يَفْتَرِبْ يَحْسِبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ  
٥٩ وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخَفْنِي عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ  
٦٠ وَمَنْ لَا يَزَلْ يَسْتَحْمِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ وَلَمْ يُغْنِهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يُسَامُ

(٥٦) العوالى : صدور الراح وأعالها مما يلي السنان . الزجاج : فى أسافل الراح . لهزم : السنان ، واللهزم : الحاد .

(٥٧) التجمجم : التنازل أو التردد وترك التقدم فى الأمر . يفيض قلبه : أى يصير . مطمئن البر : خالصه .

(٥٩) الخليفة : الطيبة أو الصفة الأصلية .

(٦٠) يستحمل الناس : يحملهم أموره ويثقل عليهم من خلالها . أوز يحمل الناس على صيبه .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

( ٢ )

## مِن مَدَائِحِ هَرَمِ

وَقَفَّةٌ بِالْأَطْلَالِ :

- ١ قِفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْفَسَدُ بَلَى وَغِيَرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ
- ٢ لَا الدَّارُ غَيْرُهَا بَعْدَى الْأَنْيَسُ وَلَا بِالْدارِ لَوْ كَلَّمْتَ ذَا حَاجَةٍ صَمَمَ
- ٣ دَارَ لَا سَمَاءَ بِالْغَمَرِينَ مَائِلَةً كَالْوَحْيِ لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا أَرَمُ
- ٤ سَأَلْتُ بِهِمْ قَرَقَرَى ، بِرُكٍّ بِأَيْمَانِهِمْ فَالْعَالِيَاتُ وَعَنْ أَيْسَارِهِمْ خِيمَ
- ٥ حَوْمَ السَّفِينِ فَلَمَّا حَالَ دُونَهُمْ فَيْدُ الْقُرَيَاتِ فَالْعَيْكَانُ فَالْكَرَمُ

(١) لم يعفها القدم : أى لم يدرسها الزمن . والمعنى أن من يقف على الديار يتوهم أنها كلها حافية ، أى عني عليها الزمن فبليت ، ولكنه سيجد أن بعضها لم يتطرق إليه الليل . الأرواح : الرياح . الديم : جمع ديمة وهى المطر الذى يدوم فى سكون بلا برق ولا رعد يوما أو بعض يوم ، أو لمدة أكثر من ذلك قد تصل إلى سبعة أيام .

(٢) بعدى الأنيس : أى لم ينزلها من بعدى أنيس فيغير ما أعرف منها . لو كلمت : أى تكلمت بقدوما يسمع فلم يحجب .

(٣) الغمران : موضعان ، المائل : المتعصب ، أو الذهاب الذى لا يرى له شخص . الوسى : الشيء المكتوب ، أو الكتاب . ما بها أرم : ما بها أحد .

(٤) سألت بهم : كثروا بها . قرقرى : موضع بهذا الاسم . برك : مكان بهذا الاسم . بأيمانهم : أى عن يمينهم . عن أيسارهم : على شمالهم . العاليات : مواضع مشرفة قرب برك . خيم : اسم جبل .

(٥) حوم السفين : أى أن سيرهم فى البر كسباحة السفن فى الماء . فيد القرىات : موضع بهذا الاسم . العيكان والكرم : موضعان آخران .

- ٦ كَانَ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ      وَعَبْرَةٌ مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمُ  
٧ غَرِبْتُ عَلَى بَكْرَةٍ أَوْ لَوْلَوْ قَلِقُ      فِي السَّلَكِ خَانَ بِهِ رَبَّاتِهِ النَّظْمُ  
٨ بَلْ قَدْ أَرَاهَا جَمِيعًا غَيْرَ مُقْوِيَةٍ      السَّرُّ مِنْهَا فَوَادِي الْجَفْرِ فَالْهِدْمُ  
٩ وَلَا لَكَانُ وَلَا وَادِي الْغَيَارِ وَلَا      شَرِّ سَلْبِي وَلَا فَيْدُ وَلَا رِمَمُ  
١٠ عَهْدِي بِهِمْ يَوْمَ بَابِ الْقَرِيَّتَيْنِ وَقَدْ      زَالَ الْهَمَّالِيَجُ بِالْفُرْسَانِ وَالْجُمُ  
١١ فَأَسْتَبْدَلْتُ بَعْدَهَا دَارًا يَمَانِيَّةً      تَرَعَى الْخَرِيفَ فَادَنَى دَارَهَا ظِلْمُ

(٦) السليل : واد بهذا الاسم ؛ وسأل بهم تعنى أنهم ساروا فيه سيرا مريعا . عبرة ما هم : أى أنهم سبب بكائي وربما يقصد أنهم عبرة له وإن قرىوا . لو أنهم أمم : الأم بين القريب والبعيد ، والمعنى أنه كان يزورهم لكنهم بعدوا .

(٧) غرب : دلو ضخمة . لؤلؤ فلق : أى لؤلؤ في سلكه لكنه فلق لم يستقر عند ما انقطع الخيط . رباته : صاحبات اللؤلؤ ، وهن اللاتي يمتن بنظمه أى جعله في خيط . النظام : مفردا نظام وهو الخيط ؛ وخان النظم تعنى أن النساء فشلن في اتقان عملهن فلم يستقر اللؤلؤ في مكانه على الخيط . والشاعر هنا يشبه دموعه بما يسيل من الدلو من قطرات الماء ، أو باللؤلؤ الذي انقطع من الخيط وتناثر متفرقا .

(٨) بل قد أراها : يقصد أنه يرى الأراضى التي سيرد ذكرها . مقرية : خالية موفرة . البحر والجفر والهدم : أسماء ، لأنها كن ربما تكون أودية .

(٩) لكان : اسم لأرض ، والمعنى هنا أنها لم تكن تحل بلكان . وادي الغيار : موضع بهذا الاسم . سلبى : جبل بهذا الاسم . فيد ورم : أسماء لمواضع أو لأماكن ، ويقصد الشاعر أن جميع هذه الأماكن قد غلت من أسماء بعد هجرها .

(١٠) باب القريتين : قرية كانت لعلم وجديس في طريق مكة . زال : مال عن موضعه . الهماليج : فسرت على أنها الإبل ، لأن المسافرين كانوا يجنبون الخيل ويركبون الإبل ؛ وربما تعنى الخيل ، ويقصد أنها مالت بهم لأن الخيل مردودة على الخيل كي تقيها في السير .

(١١) استبدلت : يقصد أسماء . يمانية : ناحية اليمن . ترعى الخريف : أى ترعى تبت الخريف : ظلم : اسم لجبل .

## وقفه مع هريم :

- ١٢ إن البخیل ملومٌ حيثُ كانَ ولد  
١٣ هو الجوادُ الذی يُعطیک نائله  
١٤ وإنَّ أمانه خلیلٌ یومَ مسألة  
١٥ القائد الخیل منکوباً دوارها  
١٦ كانوا فریقین یصغون الزجاج علی  
١٧ وآخرین ترى المادی عسدتهم  
١٨ هم یضربون حبیبک البیض إذ لیقوا
- کن الجوادَ علی علایه هیرم  
عفوا ویظلم أحيانا فیظلم  
یقول لا غائب مالى ولا حرم  
منها الشئون ومنها الزاهق الزهم  
فقس الكواهل فی أكتافها شمم  
من نسج داود أو ما أورث إرم  
لا ینکون اذا ما استلحموا وحوا

(١٢) على علاته : على عمره و يسره .

(١٣) عفوا : أى يعطيك ما سألته سهلا ولا يمن به عليك . يظلم أحيانا : يطلب إليه في غير موضع الطلب فيحمل ذلك لهم . ويظلم بالتشديد بمعنى يحنل الظلم ؛ والظلم في ألفة هو وضع الشئ في غير محله .  
(١٤) الخليل هنا الفقير . مسألة : سؤال أو مطلب . الحرم : المنوع ، أى أن ماله ليس ممنوعا .  
(١٥) منكوبا دوارها : أى سبيت الحجارة الخشنة في الأرض تآكل دوارها . الشئون : وسط بين السمين والمزبل . الزاهق : السمين . الزهم : كثير الشحم واللحم ، وهو آمن من الزاهق .  
(١٦) يصغون الزجاج : يهثون الزجاج للطن ، والزجاج جمع زج وهو الحديد التى في أسفل الخ . قس الكواهل : مثل معناه أن كواهلها (جمع كاهل) مشرقة كأن بها حدبا ؛ وقس : جمع أفس وهو الأحدب . شمم : إشراف . يصف الخليل .

(١٧) المادى : الدروع السهلة اللينة ، وكل لين يقال له مادى . نسج داود : لأن داود كان أول من صنع الدروع . إرم : أمة قديمة وهى عاد ، والعرب تنسب كل قديم إلى عاد . ولا يقصد الشاعر هنا أن إرم هى التى أورث الدروع ، بل يقصد أنها دروع قديمة متوارثة .

(١٨) حببك البيض : طرائفه . والخوذات الحديد . ینکون : يجهنون . استلحموا : أدركوا . حوا : غضبوا .

- ١٩ ينظر فرسانهم أمـر الرئيس وقد  
٢٠ يقسم ثم يسوى القسم بينهم  
٢١ فضله فوق أقوام ومجده  
٢٢ قود الجياد وإصهار الملوك وصبه  
٢٣ ينزع إمة أقوام ذوى حسب  
٢٤ ومن ضريته التقوى ويعصمه  
٢٥ مورث المجيد لا يقتال هيمته  
٢٦ كالهندوانى لا يخزيك مشهده
- شد السروج على أثباجها الحزم  
معتدل الحسم لا هار ولا هشم  
مالن ينالوا وإن جادوا وإن كرموا  
ر فى مواطن لو كانوا بها سيموا  
مما تيمم أحيانا له الطعم  
من سيئ العثرات الله والرحم  
عن الرياسة لا عجز ولا سام  
وسط السيوف إذا ما تضرب بهم

- (١٩) ينظر : يتنظر . شد السروج : يقصد شد الأضمة السروج . الأثباج : أثباج الخيل هى  
أوساطها . يريد أنهم أمرجوا خيلهم تأهباً لأمر رئيسهم بالقتال .  
(٢٠) هار : هائر ، أى ضعيف لا عقل له . هشم : سريع الانكسار ، والمعنى أنه يعدل عند  
تقسيمه للفنائم بين أصحابه .  
(٢١) ما لن ينالوا : أى ما لن ينالوه من فضله وفعله ، والمعنى أنه فاق الجميع بفضله وإن كان  
الجميع كرماء .  
(٢٢) قود : قيادة : إصهار : مصاهرة ، والمعنى أنه نال الفضل لقيادته الجياد ومصاهرته  
للكوك . سنوا : ملوا . فى مواطن : الإشارة هنا إلى مواطن القتال وصبره وحسن بلائه فيها .  
(٢٣) إمة أقوام : حالهم الحسبة ، والمعنى أنه ينزع نعمهم أهدائه فتصبح ملكاله . تيسر : أى  
الفنائم التى تهيا له . الطعم : المآكل وكل ما يرزق به الإنسان ، وقد تعنى الخواج أو الإتاوة .  
(٢٤) ضريته : طبيعته . يعصمه : يمنعه . الرحم : أى صلة الرحم ، والمعنى أن هناك أمرين  
يعصانه من العثرات والوقوع فى الزلل وهما الله وصلة الرحم .  
(٢٥) مورث المجيد : أى ليس حديث عهد بالشرف ، بل وورث المجيد عن آبائه وأجداده . يقتال :  
يقطع هيمته ويجعلها تقتر . السام : الملل .  
(٢٦) الهندوانى : السيف المنسوب إلى الهند . يخزيك : يذلک ويهينك . الهم : الجساعة ،  
ويقال للبطل « بهمة » لأنه لا تدرى بجهة قتاله . والمعنى أن المدوح فى مضائه وحسن تصرفه للامور  
كالسيف الهندى عندما تتلاحم الجموع فى القتال .

\* \* \*

محمد حمدى إبراهيم



( ٣ )

## من مدائح هَرم أيضا

من الأطلال إلى الناقة :

- ١ غَشِيتُ الدِّيارَ بالبقيعِ فَنَهَمِدُ دَوَارِسَ قَدِ أَقْوِينَ مِنْ أُمِّ مَعْبِدِ
- ٢ أَرَبْتُ بِهَا الْأَرْوَاحُ كُلَّ عَشِيَةٍ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا آلُ خَيْمٍ مُنْضِدِ
- ٣ وَغَيْرِ ثَلَاثٍ كَالْجَمَامِ خَوَالِدِ وَهَابٍ مُجِيلٍ هَامِدٍ مُتَلَبِّدِ
- ٤ وَقَفْتُ بِهَا رَأْدَ الضَّحَاءِ مِطْبِئِي أَسْأَلُ أَعْلَامًا بِلَيْسَاءِ قَرَدَدِ
- ٥ فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهَا لَا تَجِيبُنِي نَهَضْتُ إِلَى وَجَنَاءِ كَالْفَحْلِ جَلَعَدِ
- ٦ مَتَى مَا أَكَلَفَهَا مَفَازَةَ مَنَهْلٍ قُنُسَتَعَفَ أَوْ تُنْهَكَ إِلَيْهِ فَتَجَهَّدِ

- (١) غشيت : ارتدت . البقيع ونهد : موضعان بتاحية المدينة . دوارس : مهجورة بالية .  
 (٢) أربت : أقامت . الأرواح : جمع ربح . خيم : جمع خيمة . منضد : بعضه فوق بعض .  
 الآكل : الأعواد التي تبنى عليها الخيام .  
 (٣) ثلاث : يقصد الأناقي (المواقد) الثلاث ؛ شبه لونها بالجمام لأنها سود تضرب إلى الغيرة .  
 خوالد : مقيات باقيات . هاب : رماد عليه هبرة أى غبرة مع طول القدم . مجيل : أى أتى عليه  
 الخول . هامد : خامد . متلبد : هطلت عليه الأمطار حتى تلبد والتصق ببعضه ببعض .  
 (٤) رأد الضعاء : وقت ارتفاع الشمس وانسلاط ضوئها ؛ والضعاء هو ارتفاع النهار الأعلى .  
 قردد : ما ارتفع وظل من الأرض .  
 (٥) لا تجيبني : أى أن الديار لا ترد على . وجنأ : ناقة ضخمة الريحان . جلعد : شديدة .  
 (٦) مفازة منهل : صحراء بها ماء . تستعف : تعطيك ما عندها عفوا ، أو يؤخذ فهو ما عندها  
 (زيادة) من السير من غير كد . تنهك : أى يبالغ في ضربها لتجهد . تجهد : تعب .

- ٧ تكفساء سفعاء الملائم حرة مسافرة مزودة أم فرقد  
٨ غدت بسلاح مثله يتق به ويؤمن جأش الخائف المتوقد  
٩ وسامعتين تعرف العتق فيهما الى جذر مدلوك الكعوب محمد  
١٠ وفاظرتين تطحران قذاهما كأنهما مكحولتان بلأيمد  
١١ طباهما ضحاه أو خلاه خالفت إليه السباع في كناس ومرقد  
١٢ تبد الألى يأتينها من ورائها وإن تتقدمها السوابق تضطد  
١٣ فأنقذها من غمرة الموت أنها رأت أنها إن تنظر النبل تقصد  
١٤ وجدت فالقت بينهن وبينها غبارا كما فارت دواخن غرقد  
١٥ كان دماء المؤسسات بنحريها أطيبة صرف في قضيم مسرد

- (٧) كفساء : بقرة وحشية . سفعاء : سوداء في حرة . الملائم : الخلدود . مزودة : مذكورة .  
والفرقد : ولد البقرة . يشبه ناقته بهذه البقرة الأم .  
(٨) سلاح : يقصد قرنبا . يتق به : يحتمى به من العدو . يؤمن جأش الخائف : يهدى .  
المشاعر المضطربة . المتوقد : الذي اتقد جوفه من الفزع والخوف .  
(٩) سامعتين : أذنين . العتق : الكرم . جذر : أصل . مدلوك الكعوب : قرونه مدلوكة أى  
مساء . والكعب هو ما بين العقدتين في القرن والقناة . محمد : أى محمد الرأس .  
(١٠) فاظرتين : عيني . تطحران : ترميان . القذى : ما يخرج من العين . الإمد : الكحل .  
(١١) طباهما : دعاها . الضحاه : الرعى عند الضحى . خلاه : خلوة . إليه : يقصد إلى ولدها .  
خالفت : أتت خلفه . الكناس : بيت الظلي في الشجر يستتر فيه من الحر والبرد . مرقد : منام .  
(١٢) تبد : تسبق وتغلب . يأتينها من ورائها : أى تأتى الكلاب من خلفها . السوابق : أى  
الكلاب ، ما سبق منها . تضطد : أى تطعن وتعقر .  
(١٣) إن تنظر : إن تنظر . النبل : أى السهام ، وربما يقصد أصحاب النبال . تقصد : تقتل .  
(١٤) جدت : أمرعت . بينهن وبينها : أى بينها وبين الكلاب . دواخن : جمع دخان .  
الفرقد : شجر له شوك ، وهو كثير الدخان .  
(١٥) المؤسسات : المخرجات بالعصيد ، وهنا يشبه الشاعر الدماء التي تطلخ نحرها بطرائق أديم  
أحمر . أطيبة : سيور مفردة طبابة ، وهى قطعة من الجلد توضع على طرفي جدار القربة ليحملها السقاء .  
الصرف : صفة حمراء تصبغ بها جلود النعال . القضيم : الجلد الأبيض أو الصفيحة . المردة  
الخرز في الأديم .

## إلى هَرِمٍ :

- ١٦ إلى هَرِمٍ تهجيرها ووسيجها تَرَوُّحٌ من ليل التَّام وتَقْتَدِي  
 ١٧ إلى هَرِمٍ سارت ثلاثاً من اللَّوى فَنَعِمَ مَسِيرُ الوائِقِ المتعمِّد  
 ١٨ سواءٌ عليه أى حينٍ أتيتَه أساعةٌ نَحَسٌ تُتَقَى أم بأَسْعَدِ  
 ١٩ أليس بضرابِ الكُكَاةِ بسيفه وفكَّاكٍ أغلالِ الأسيرِ المُقْبِدِ  
 ٢٠ كلبٍ أى شبلين يَجْمَى عرينَه إذا هو لاقى نجدةً لم يُعْرَدِ  
 ٢١ ويُقَلُّ على الأعداء لا يَضْعُونَه وحَمَالُ أنقالٍ ومَأْوَى المَطْرَدِ  
 ٢٢ أليس بفياضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ ثَمَالِ اليتامى فى السنينِ مُجِدِ  
 ٢٣ كفضلِ جوادِ الخيلِ يسبقُ عَفْوُه السَّـ راعٍ وإن يَجْهَدَنَّ يَجْهَدُ وَيُعِيدُ

(١٦) التهجير : السير فى الهجرة وهى نصف النهار . الوسيج : نوع من سير الإبل السريع : وأول السير الدبيب ثم العنق ثم التزيد ثم الذميل ثم العسج ثم الوسج . ليل التمام : أطول ما يكون من الليل . تَرَوُّح : نخرج برواح أى خرج بالعنى ، وموعدها من زوال الشمس إلى الليل .

(١٧) اللَّوى : ما انقطع من الرمل ، وهو موضع معروف حيث يلتوى الرمل وينقطع . الوائِق : الذى يتق بمسيرته إليه . المتعمد : القاصد .

(١٨) سواء عليه : أى لا يتشامى بشئ سواء أتاه نحس أو سعد .

(١٩) الكُكَاة : مفردة ككى ، وهو المرتدى للسلح أو الشجاع المقدام : وسمى ككياً لأنه يستر نفسه بالدرع أو لأنه يكى شجاعته أى يكتسبها حين الضرورة .

(٢٠) الشبلان : جروا الأسد . العرين : يقصد الأجمة . نجدة : قتال . لم يعرد : لم يفر .

(٢١) قَل : يقل . لا يضعونه : لا يستطيعون التخلص منه . حَمَالُ أنقال : أى يتحمل من أمر هشيرته ما يتحمل عليهم من تيمات ومستوليات . المطرد : المطرود .

(٢٢) فياض : يفيض عليهم بكرمه . غَمَامَةٌ : محابة . ثَمَالِ اليتامى : الذى يعلم اليتامى وقت الشدة . مجد : محمود .

(٢٣) عَفْوُه : ما جاء منه عفواً ، أى ما زاد عن حاجته . السراع : يقصد المراع من الخيل . يَجْهَدَنَّ : يتعبن ، ويقصد هنا الخيل . يُعِيدُ : يسبق بعيداً .

- ٢٤ تَقَى نَفْسٌ لَمْ يَكْثُرْ غَنِيمَةً      بِنَهْكَ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْلٍ  
 ٢٥ فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ يَمُتْ      وَلَكِنْ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ  
 ٢٦ وَلَكِنْ فِيهِ بَاقِيَاتٌ وَرَائَهُ      فَأُورِثْ بَنِيكَ بَعْضَهَا وَتَزُودْ  
 ٢٧ تَزُودْ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَلِمَ      وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ آخِرُ مَوْعِدٍ

\* \* \*

- (٩) لم يكثر غنيمة : أى لم يزد أمواله بظلم قرابته والاستيلاء على مالهم ، ولم يكثر غنائمه بما ينقصه من منافع ذوى قرابته . نهكة : انتقام . حقلا : بخيل سيء الخلق .  
 (١٠) يخلد الناس : أى يجعل الناس خالدين ؛ والمعنى أنه لو كان الفعل المحمود يجعل صاحبه خالدا لخلدك فمهلك فلم تمت ، ولكنه لا يجعل الإنسان خالدا .  
 (١١) باقيات : ما يذكر به من المشرف مما ورثه عن آبائه . يقول له : أورث بعض مكارمك ومعاملك بنيك ، وتزود ببعضها لما بعد موتك ، لأن الموت يلزمه الزاد .  
 (١٢) يقول : إن الموت موعدا لا بد منه وإن كرهته النفس ، ولذلك ينبغي التزود له .

\* \* \*

محمد حمدى إبراهيم

( ٤ )

## من مدائح هـرم أيضا

مقدمة غزلية :

- |                                |                                |
|--------------------------------|--------------------------------|
| ١ هل في تذكر أيام الصبا فند    | أم هل لما فات من أيامه رد      |
| ٢ أم هل يلامن بك هاج صبرته     | بالجحر إذ شفه الوجد الذي يجد   |
| ٣ أوفى على شرف تشيز فازعجه     | قلب إلى آل سامي تائق كمد       |
| ٤ متى ترى دارحى عهدنا بهم      | حيث التقي الغور من نمان والنجد |
| ٥ لهم هوى من هوانا ما يقربنا   | ماتت على قريه الأحشاء والكيد   |
| ٦ لاني لما استودعني يوم ذى فدم | راع إذا طال بالمستودع الأمد    |
| ٧ إن تميس دارهم عنا مباعده     | فا الأحبة إلا هم وإن بعدوا     |
| ٨ يا صاحبي أنظرا والغور دونكما | هل يبدون لنا فيما نرى الجمد    |
| ٩ هيات هيات من نجد وساكنه      | من قد أتى دونه البقاء والتمد   |

(١) الفتد : الخطأ في القول والرأى . ردد : هودة .

(٢) شفه : أسقمه وأوهته . الوجد : العشق الشديد . الجحر : مكان بهذا الاسم .

(٣) الشرف : المكان العالي . التشيز : المرتفع . تائق : مشتاق . كمد : يحزون .

(٤) الغور : ما هبط من الأرض . النجد : ما أشرف وارتفع من الأرض .

(٦) ذوفدم : موضع من نواحي المدينة .

(٨) الجمد : جبل في نجد .

(٩) البقاء : الأرض ذات الرمل والحجارة . التمد : الماء القليل . ويرى الشراح أن البقاء

والتمد اسمان لموضعين بينهما .

## هرم وقومه :

- ١٠ إلى ابن سنان وأبنيه هريم  
 ١١ عوم القوادس قفى الأردمون بها  
 ١٢ بغتية كسيوف الهند يتعشم  
 ١٣ أقول للقوم والأنفاس قد بلغت  
 ١٤ سيروا إلى خير قيس كلها حسبا  
 ١٥ فاستطروا الخير من كفيه لهما  
 ١٦ مبارك البيت ميمون ققيته  
 ١٧ فالناس فوجان في معرفه شرع  
 ١٨ رحب الفناء لو أن الناس كلهم
- تتجو بأفتادها عيديّة تتحد  
 إذا ترمى بها المغلولب الزيد  
 هم فكلهم ذو حاجة يقيد  
 دون الله غير أن لم ينقص العدد  
 ومنتهى من يريد المجد أوفيد  
 بسنيه يتروى منها البعد  
 جزل المواهب من يعطى كن يعد  
 فمنهم صادر أو قارب يرد  
 حلوا إليه إلى أن ينقضى الأبد

- (١٠) تنجو : تسمع . الأفتاد : خشب الرجل أو جميع أدواته . عيديّة : منسوبة إلى فحل منجب يقال له « عيد » تلعب إليه كرام النجائب من الإبل . تتحد : تسمع بخطى واسعة .  
 (١١) القوادس : جمع قادس ، وهو السفينة العظيمة ؛ وقيل هو نوع من السفن . الأردمون : جمع أردم وهو السلاح الحاذق الماهر . المغلولب : هو النيات الملتف الذى بلغت شدة التفافه شأوا عظيما ؛ ويقال أغلولب القوم أى كثروا . الزيد : المزيد . ويقصد الشاعر هنا أن البحر مزيد متلاطم كثير الأمواج .  
 (١٢) يقيد : يشتمل ويتخذ ، أى يمضى إلى تحقيق غايته بهمة لا تعرف الكلل .  
 (١٣) اللهيا : جمع لاهة وهى اللحمه المشرفة على الخلق فى أقصى سقف الفم .  
 (١٤) السيب : العطاء والمنح . البعد : البعيد أو القاصى .  
 (١٦) ميمون النقيبة : محمود المختبر مبارك النفس ، ينجح فيما يحاول ويظفر بما يروم .  
 (١٧) شرع : سواء . الصادر : الراجع عن الماء المنصرف عنه . القارب : طالب الماء .  
 (١٨) رحب الفناء : كثاية من الكرم . وجواب « لو » فى البيت التالى .

- ١٩ ما زال في سَيِّئه تَجِلُّ يَعْمَهُمُ      مادام في الأرض من أوتادها وتَدُّ  
 ٢٠ في الناس للناس أندادٌ وليس لهُ      فيهم شِيه ولا عِذلٌ ولا نَدَدُ  
 ٢١ لو كان يَخْلُدُ أقوامٌ بمجدهمُ      أو ما تقدَّم من أيامهم خلدوا  
 ٢٢ أو كان يقعدُ فوق الشمس من كرم      قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا  
 ٢٣ قوم أبوهم سِتَانٌ حين تَنسِبهم      طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا  
 ٢٤ إنسٌ إذا أمنوا جنٌّ إذا غضبوا      مرزؤون بهاليلٍ إذا جُهدوا  
 ٢٥ محسدون على ما كان من نعيم      لا يترع الله منهم ماله حُسدوا  
 ٢٦ لو يؤزَّنون عياراً أو مكَالَةً      مالوا برضوى ولم يعدلهم أحدُ

(١٩) السيب : العطاء ، وأصله الماء الغزير . والسجل : الدلو الضخمة المثلثة بالماء . وأوتاد الأرض : جبالها .

(٢٠) العدل : المثل والنظير . الندد : المثل والشبيه ، وصيغته الشائعة هي الند لا الندد .

(٢٢) الكرم هنا : مكارم الأخلاق .

(٢٤) مرزءون : كرماء . بهاليل : سادة جامعون لكل خير . جهدوا : بذلوا جهدا ومشقة . أو أصابهم حط من قلة المظرفتموا تعباً شديداً .

\* \* \*

محمد حمدي إبراهيم

( ٥ )

## هَجَائِيَّة

### رحلة الظعائن :

- ١ بَانَ الخَلِيْطُ وَلَمْ يَأُوْا لِمَنْ تَرَكُوْا      وَزَوْدُوكَ اشْتِيَاقًا أَيْةً سَلَكَوْا
- ٢ رَدُّ الْقِيَانُ جَمَالَ الْحَيِّ فَاحْتَمَلُوْا      اِلَى الظُّهَيْرَةِ أَمْرٌ بَيْنَهُمْ لَيْكَ
- ٣ مَا إِنْ يَسْكَدُ يُخَلِّمُ لَوِجَهُتَهُمْ      تَخَالُجُ الْأَمْرِ إِنْ الْأَمْرُ مُشْتَرَكٌ
- ٤ وَعَرَّسُوا سَاعَةً فِي كُتُبِ أَسْنَمَةٍ      وَمِنْهُمْ بِالْقُسُومِيَّاتِ مُعْتَرَكٌ
- ٥ يَغْشَى الْحَدَاةَ بِهِمْ حُرُّ الْكَثِيْبِ كَمَا      يُغْشَى السَّفَاتِنَ مَوْجَ الْجَلَّةِ الْعَرَكِ

(١) بَانَ الخليط : أى فارقك مغالطوك فى الدار ، أى من يجاورونك • لم يأووا : لم يرحلوا •  
زودوك : زادوك • أَيْة سلكوا : أى أَيْة جهة سلكوا فانت مشتاق •

(٢) رد : أى رددن الجبال من المرحى كى يجهزها استعدادا للرحيل • القيان : جمع قية وهى  
الأمه • احتملوا إلى الظهيرة : تأخرت رحلتهم إلى وقت الظهيرة نظرا لاختلافهم وكثرتهم •  
ليك : مختلط •

(٣) يخليم : يتركهم • وجهتهم : طريقهم • تخالج الأمر : الاختلاف فى الرأى • مشترك :  
أى ليس أمرا واحدا ، لأن كل شخص منهم له رأى •

(٤) عرّسوا ساعة : نزلوا ساعة • كتب أسنمة : أكمة معروقة بقرب فليج • القسوميّات :  
موضع يقع على اليمين فى طريق فليج • المعترك : مكان نزولهم ، والمعترك أصلا موضع العراك ، ويقصد  
هنا أنهم يتركون عند موضع نزولهم •

(٥) الحداة : من يحدون الإبل • حر الكثيب : الرمل المنبسط لا تراب فيه ، وهولن تفوص فيه  
الأقدام • الجسة : بلجة الماء ، أى معظمه • العرك : البجارة أو الملاحون ، مفردا عركى ، كعرب  
وعربى • والمعنى أن حمل الحداة للابل على اقتحام الرمال الصعبة مثل اقتحام البحارة بلجة البحر بالسفن •



- ٦ ثم استمروا وقالوا إن مَوَدَّكُمْ ماءً بشرق سَمَى فَيْدٍ أو رَكَكُ  
 ٧ هل تُلَحِّقَنِي وَأَصْحَابِي بِهِمْ قُلُوصُ يَزْجِي أَوَائِلَهَا التَّبْيِغِيلُ وَالرَّتْكَ  
 ٨ مُقَوَّرَةٌ تَبَارَى لَا شَوَارَ لَهَا إِلَّا الْقُطُوعُ عَلَى الْأَكْوَارِ وَالْوُرُكُ  
 ٩ وَقَدْ أَرَانِي أَمَامَ الْحَيِّ تَحْمَلُنِي بَخْرَدَاءُ لَا فَحْجَ فِيهَا وَلَا صَكَّكَ  
 ١٠ مَرًّا كَفَاتَا إِذَا مَا الْمَاءُ أَسْهَلَهَا حَتَّى إِذَا ضُرِبَتْ بِالسُّوِطِ تَبْتَرَكُ  
 ١١ كَانَهَا مِنْ قَطَا الْأَجْبَابِ حَانَ لَهَا وَرْدٌ وَأَفْرَدَ عَنْهَا أُخْتَهَا الشَّبَكُ  
 ١٢ جُونِيَّةٌ كَصَبَاةِ الْقَسَمِ مَرَّتُهَا بِالْمَيِّ مَا تُنْبِتُ الْقَفْعَاءَ وَالْحَسَكُ

- (٦) سلى : أحد جبلي طيء وهما أجأ وصلى - فيد : نجد قريب من الجبلين المذكورين . ركك اسم لنوع ماء في هذه الجهة . استمروا : استقام أمرهم فرأى ساروا .  
 (٧) قُلُوص : جمع قُلُوص وهي الفتية من الإبل . يَزْجِي : يسوق . التَّبْيِغِيل : نوع من السبع تحسن الدابة فيه السير بسرعة ، مأخوذ من مشى البغال . الرَّتْكَ : مقاربة الخطى في سير الدواب .  
 (٨) مُقَوَّرَةٌ : ضامرة . لا شَوَارَ لَهَا : لا مناع عليها ، لأن أصحابها يسرعون كي يلحقوا بالقوم .  
 القطر : الطنافس التي على الرجل ، وهو ما يوضع على الإبل . الْأَكْوَار : جمع كور وهو الرجل .  
 الْوُرُك : جمع وراك ، وهو ثوب يشد على رجل الدابة ثم يثنى ما يفضل منه كي يدخل تحت الرجل .  
 (٩) الْفَحْج : تباحث ما بين الفخذين وتقارب مبدؤ القدمين . وَالصَّكَّكَ : اصطلاك العرفوين .  
 وهما من عيوب الخيل . يَصِفُ فَرْسَهُ .  
 (١٠) مَرَّا : مرورا . كَفَاتَا : مريعا . الْمَاءُ أَسْهَلَهَا : أى تنضج بالماء حينا تترق . تَبْتَرَكُ : تبتهد في العدو . وهذه من صفات جياذ الخيل .  
 (١١) الْقَطَا : طيور . الْأَجْبَاب : مواضع فيها ماء متجمع . الْوَرْد : الماء المورود ، أى الذى يرد الناس . أَفْرَدَ عَنْهَا : جعلها تنفصل عنها لفرعها . الشَّبَك : حيال الصائد .  
 (١٢) الْجُونِيَّة : نوع من طيور القطا . حَصَاةُ الْقَسَمِ : هى حصاء يقدر بها الماء في القدح ، ويقسمون بواسطتها الماء على الشاربين عندما يكون قليلا . الْمَيِّ : ما استوى من الأرض . الْقَفْعَاء : نوع من البقول التي تبنت من تلقاء نفسها دون زراعة . الْحَسَك : بمرنوع آخر من البقول ، وهو غير الحسك الشائك لأن شوكة الحسك تقتل القطاة لو أكلتها .

- ١٣ أهوى لها أسقع الخدين مطرق ريش القوادم لم تنصب له الشرك  
 ١٤ لا شيء أجود منها وهي طيبة نفسا بما سوف ينجيها وتترك  
 ١٥ دون السماء وفوق الأرض قدرهما عند الذنابي فلا فوت ولا درك  
 ١٦ حتى إذا ما هوت كف الغلام لها طارت وفي كفها من ريشها بتك  
 ١٧ ثم استمرت إلى الوادي فأبجأها منه وقد طمع الأظفار والحنك  
 ١٨ حتى استغاث بماء لا يرشاه له من الأباطيح في حافاته البرك

## رسالة هجاء :

- ١٩ هلا سألت بني الصيداء كلهم بأي حبل جوار كنت أمسك

(١٣) أهوى : هوى أو انقض عليها ، والمعنى أن صقرا أراد أن يفترمها . أسقع الخدين : السقع سواد تعلوه حمة ، وهي صفة للصقر . مطرق : أى أن ريشه مثبت على بعضه وليس منتشر . القوادم : قوادم الطير هي مقادير ريشه ، وهي عشر في كل جناح ، والقوادم تعنى التي في المقدمة أو التي تبنت قديمها . الشرك : الفخاخ ، والمعنى أن الصقر لم يقع في الشرك ولم يؤخذ فيدلل .

(١٤) أجود منها : أسرع منها طيبة نفسا : وائقة بطيرانها وهي لذلك لا تخرج أقصى ما عندها من سرعة في الطيران ، مدخرة جهدها لوقت الحاجة . ترك : تدع بعضها من سرعتها لوقت الضرورة . والحديث هنا عن القطة .

(١٥) دون السماء : أى لم يحلها فينبغي في أجواز الفضاء ولم يصير على الأرض ، فهما بين الأرض والسماء . الذنابي : الذنب ، والمعنى أن الصقر فار بها حتى صار عند ذنبها . فلا فوت ولا درك : أى أن القطة لا تفوته ، وهو لا يدركها .

(١٦) بتك : قطع ، ومفردها بتكة . والمعنى أن سرعتها فائقة لا تمكن الغلام من الإمساك بها . (١٧) استمرت إلى الوادي : بلأت إلى الوادي لتحتوى بشجرة . الأظفار : الخالب . الحنك : المنقار .

(١٨) ماء لا يرشاه له : ماء متدفق يخرج من الأرض ويجرى على وجهها . الأباطيح : جمع أبطح وهو مسيل الماء الذي لا عمق له . البرك : طيور بيض ، وهي أيضا الضفادع .

(١٩) بنو الصيداء : قوم من بني أسد وهم رهب الحارث بن ورقاء ، وكان هذا قد أغار على إبل زهير وأخذ عبده يسارا . حبل جوار : رباط جوار ، والمعنى أنني كنت لا أستوثق إلا بحبل متين هو حبل قومك ، وهو عهد لم يهلكوا حينما غدروا به . الجوار : الذمة والعهد . أمسك : أمسك .

- ٢٠ فلن يقولوا بجبل وإهين خلق  
 ٢١ يا حار لا أرمين منكم بداهية  
 ٢٢ فاردد يساراً ولا تعنف على ولا  
 ٢٣ ولا تكونن كأقوام علمتم  
 ٢٤ طابت نفوسهم عن حق خصمهم  
 ٢٥ تعلم ما لعمر الله ذا قسماً  
 ٢٦ لئن حلت بجوفى بنى أسد  
 ٢٧ لياتينك منى منطلق قدح
- لو كان قومك فى أسبابه هلكوا  
 لم يلقها سوقة قبلى ولا ملك  
 تمعك بعرضك إن الغادر الملعك  
 يلوون ما عندهم حتى إذا نهكوا  
 مخافة الشر فارتدوا لما تركوا  
 فاقصده بذرعك وانظر أين تنسلك  
 فى دين عمرو وحالت بيننا فذك  
 باق كما دنس القبطية الودك

- (٢٠) وإهين : ضعيف . خلق : عسق . فى أسبابه : السبب هو الحبل ؛ والمعنى أنه لو تمسك بالحبل الواهن هلك ، ولكن حبله متين محكم .  
 (٢١) حار : ترخيم حارث ، وهو الحارث بن ورقاء . سوقة : رهبة .  
 (٢٢) لا تمعك : لا تمعل ، لأنك كلما مطلنى أهلكت عرضك . الملعك : المطول أو الماطل ، ومن كانت هذه شيمته كان غداراً .  
 (٢٣) يلوون : يكرهون الفعل ويصعب عليهم القيام به . نهكوا : شتموا وانصب عليهم الذم والهجاء .  
 (٢٤) ارتدوا لما تركوا : أى رجعوا إلى الحق الذى تركوه ومنعوه ، أو ارتدوا إلى إعطاء الحق بعد تركه .  
 (٢٥) تعلم ما لعمر الله ذا : والمعنى اعلموا لعمر الله ذا . اقصده بذرعك : أى قدر خطوك ، والذرع هو مقدار الخطوة ، والمعنى لا تتكلف ما لا تطيق منى . تنسلك : الانسلاك هو الدخول فى الأمر ؛ والمعنى لا تخرج بنفسك فيما لا يعينك .  
 (٢٦) حلت : نزلت . جوفى : واد منيع . دين عمرو : طاعته . فذك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة بالإبل .  
 (٢٧) منطلق : قول . قدح : قبيح ، وأقذع أى قال قولاً قبيحاً . باق كما دنس : أى يبقى عليك دفسه كما يبقى فى الثوب الأبيض . القبطية : الثوب الأبيض ، وتطلق على ثياب الشام البيض ، أو هى ثياب بيض رفاق تصنع من كتان مصر .

\* \* \*

محمد حمدى إبراهيم

## المثقبُ العبدى

\* \* \*

اسمه عائذ بن مُحِصَن بن وائلة بن عدى ... من شعراء الجاهلية القدماء  
زمن عمرو بن هند ، وهو أقدم من النابغة الذبياني ، وأخباره غامضة ، ولم يترجم  
له صاحب الأغانى ، على الرغم من أنه أشهر شعراء قبيلته ، كان سياسيا بارعا  
استطاع إنهاء الخصام بين المناذرة والعبديين ، وكان شاعرا مشهورا منذ نشأته  
في بيئة شعرية مرموقة ، إذ كانت لأسرته مكاتبا بين أسر قبيلة « نكرة » التى  
أنجبت أشهر شعراء العبديين .

وقد أعلته ظروف اللشاة لكن يقوم بدوره السيامى فى الصلح القبلى ، ذلك  
أن صفاته الحكيمة يمكن أن ترتد — فى بعض جوانبها — إلى ما ورثه عن جده  
المصلح وأسرته المريضة فى « نكرة » ونسبه الكريم فى عبد القيس . وكما عُرِفَ  
المثقب بحكمته عُرِفَ أيضا بجوده وكرمه ووفائه بالعهد. ولم يكن المثقب شاعرا  
غزلا ولم تفرد له فى الغزل قصائد خالصة وإن كثر عنده غزل المقدمات الذى  
نجد مثلا منه فى القصيدة النونية التى نحن بصدددها والتى يبدو فيها نائرا مهددا  
بالقطيعة ومصرحا برفضه الخداع والتضليل ، وهو لا يقبل ذلك الخداع بأى  
حال من الأحوال فلو أن يده اليسرى — على حد تصويره — خاتمته لأهملها  
وقطعها وأراح نفسه منها .

وقد اهتم البعض بتعليل كلمة مثقب التى لُقِّب بها هذا الشاعر ، فذهب  
السيوطى إلى أن السبب هو بيت الشعر الذى ورد فى قصيدته النونية خاصة أن

هناك شعراء آخرون لقبوا ببیت من الشعر منهم الممزق والمرقش والمسيب ، كما أورد الدكتور طه حسين رأيا في هذه المسألة حين وقف على تحليل معاني مادة (ثقب) التي ركز منها على دلالتها على شخصية المثقب الشاعر فهو زعيم قبيلته وصاحب رأى سديد فيها ، وهو مشهور بالنسب شديد المروءة ذو فطنة وذكاء ، وجدير بمن يثقب الوصاوص والبراقع أن يلقب بالمثقب . ووطن المثقب هو البحرين حيث ولد في منازل عبد القيس ، وكانت قبيلته « نكرة » تسكن وسط « القطيف » وما حولها من قرى وأرياف .

وشان شعراء الجاهلية عامة يبدو تاريخ ميلاد المثقب مجهولا وكذلك تاريخ وفاته ، وإن كان جرجي زيدان قد زعم أن وفاته كانت سنة ٥٢٠ م ، ولكنه ما د بعد ذلك ليحددها بسنة ٥٨٧ م .

وفي نونيته يطلب في مقدمتها من صاحبه ألا تبخل عليه وأن تمتعه قبل الرحيل ، ويسألها وفاء بمهودها معه ، مسجلا أثناء ذلك قدرته على مجازاة القطيعة بمثلها . وتبدو صاحبه واعدة بمأطلة ، ومخادمة كاذبة ، مما لا يشجعه على التهالك على وصلها إن هي قطعت .

ثم يقف عند مشهد الظعن ليكشف عن طبيعة تجربة الارتجال التي عايشها واقعا حقيقيا تطلق فيها عواطفه وانفعالاته وحاسه ، فيصور طريق الظعائن ويتتبع سيرها في جوف الصحراء ، ويفصل في تصوير مشهد النساء في هوداجهن ، ويحرص على تحديد الأماكن ليشير من خلالها إلى ذكرياته فيها ويعرض موقفه منها وارتياح نفسه إليها . ولا يكاد المشهد يكتمل حتى يقف الشاعر عند لوحة رسم فيها صورة الإبل وهي تتمايل مسرعة في سيرها تمايل السفن عبر أمواج البحار ،

كما يشير في أثناء ذلك إلى الأهداج والرجائز وهي مراكب النساء أيضا وقد زينت  
بأكسية فاخرة ملونة ، وغطيت بكل من ستائر رقيقة لعبته فيها يد فنان ماهر .  
ويتغزل الشاعر في الطعائن وغطيت ، وما يرتدين من ثياب وما يتخلين به من  
ذهب لينتقل من هذا المشهد الحسى إلى عدم الاستسلام الكامل لمن ، فيؤثر الرحيل  
ويستعير له معشوقته الأخرى ، وهى ناقة أصيلة تسلبه همومه ، ويستبد بها إعجابه  
فيصور ضخامة جسمها ، وأصالتها وسرعة سيرها ، وهى تفذف بالحجارة وتصطادهم  
بالحصى الغليظ فتطرده أمامها .

وفى تدرج منطقي طريف ينتهى من عرض مشهد الرحيل الحركى المتنقل إلى  
تصوير طبيعة المعاناة التى ألمت بها ، من كثرة الأهوال من التعريس ليلا إلى الجهد  
المستمر والإرهاق الذى تعانیه . وهنا تتداخل ذات الشاعر مع موضوعه حين  
يتوحد مع ناقته فى مشهد الإرهاق والكلال فكلاهما يشكى الزمن ، وكلاهما  
ينخضع له راضيا أو غير راض .

ويتخذ المثقب من رحلته واسطة انتقال يصل بها إلى بلاط الملك عمرو  
ابن هند ، فيراه — كما يرى المادحون ممدوحهم دائما — صاحب نجدة ومروءة  
ولكنه لا يقف كثيرا عند هذا المدح حتى يدخل معه فى حوار أو عتاب يتميز  
بالقسوة ، يريد من خلاله أن يقف على حقيقة الصداقة والعداوة ، وكأنه يصبر على  
تبين حقيقة موقف الملك من قومه العبديين . وقبل الختام يحرص الشاعر على  
تصوير جهل المرء بما يمكنه له القدر على عادة شعراء العصر الجاهلى ومن جاء بعدهم .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

( ١ )

## مناجاةٌ وعتابٌ

- |   |                                       |  |
|---|---------------------------------------|--|
| ١ | أفاطمَ قبلَ بَيْنِكَ مَتَّعِيْنِي     | ومَنَعِكَ ما سَأَلْتُ كَأَن تَبِيْنِي    |
| ٢ | فلا تَعِدِي مواعِدَ كاذِبَاتٍ         | تُربِّها رِيحُ الصَّيْفِ دُونِي          |
| ٣ | فلِمَ نِي لَوْ تُخَالِفُنِي شِمَالِي  | خِلافِكَ ما وَصَلْتُ بِها يَمِيْنِي      |
| ٤ | إِذا لَقِطْتَهَا وَلَقِيتُ بَيْنِي    | كَذلك أَجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِيْنِي       |
| ٥ | فَسَلِّ الهمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْنٍ  | مُذَا فِرَةٍ كِمَطْرِقةِ القُيُونِ       |
| ٦ | بَصَادِقَةِ الوَجِيفِ كَأَن هِمًّا    | يُبَارِيها وَيَأْخُذُ بالوَضِيْنِ        |
| ٧ | كَسَاها نَامِكًا قَرِيْدًا عَلَيَّها  | سَوَادِي الرِّضِيْعِ مَعَ البَلْبِيْنِ   |
| ٨ | إِذا قَلِقْتُ أَشَدُّ لَهَا سِنًا فَا | أَمَامَ الزَّوْرِ مِنْ قَلَقِ الوَضِيْنِ |

(٢) رِيح الصَّيْفِ مشهورةٌ بِبَارِها وَصَدْمِ جَدِواها . خِلافَتِكَ : يَجْتَوِيهِ . يَسْتَنْقِلهُ وَيَنْفِضُهُ .

(٥) اللَوْنُ : الشَّدة . المِذا فِرَةُ : الشَّدِيدَةُ القُوَّةُ . القَيْنُ : الحِدادُ .

(٦) الوَجِيفُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ السَّرِيعِ . يُبَارِيها : يَسِيرُ مَعها . الوَضِيْنُ لِلرَّحْلِ يَسَارِي الخِزَامَ لِلسَّرجِ .

(٧) النامِكُ : المَشْرَفُ الطَوِيلُ . القَرْدُ : المَتَلَبِّدُ . السَّوَادِي : السَّنةُ إِلَى سَوادِ العِراقِ .  
البَلْبِيْنُ : ما تَلْبَسُ أَوْ تَلْزَجُ مِنْ وَرَقٍ أَوْ حَلْفٍ .

(٨) السِّنَفُ : خَيْطٌ أَوْ حَبْلٌ دَقِيقٌ مِنَ المَنْعَرِ إِلَى الخِزَامِ .

- ٩ كَأَنَّ مَوَاقِعَ التَّفَنِّاتِ مِنْهَا مُعْرِسٌ بِأَكْرَاتِ الْيُرْدِ جُونِ  
١٠ يَجِدُ تَنْفُسَ الصُّعْدَاءِ مِنْهَا قُوَى النَّسْعِ الْمُحْرَمِ ذِي الْمُتُونِ  
١١ كَأَنَّ نَفْيَ مَا تَنْفِي يَدَاهَا قَذَافٌ غَرِيبَةٍ بِيَدَيَّ مُعِينِ  
١٢ فَالْقَيْتُ الرِّمَامَ لَهَا فَنَامَتْ لِعَادَتِهَا مِنَ السَّدَفِ الْمُسِينِ  
١٣ كَأَنَّ مُنَاقِحَهَا مُلْقَى الْجَحَامِ عَلَى مَغْزَاهَا وَعَلَى الْوَجِينِ  
١٤ كَأَنَّ الْكُورَ وَالْأَنْسَاعَ مِنْهَا عَلَى قَرَوَاءَ مَا هِرَّةٍ دِهِينِ  
١٥ يَشُقُّ الْمَاءَ جُؤْجُؤَهَا وَيَعْلُو غَوَارِبَ كُلِّ ذِي حَدَبٍ بَطِينِ  
١٦ قَدَّتْ قَرْدَاءَ مُنْشَقًّا نَسَاهَا تَجَاسَّرَ بِالنَّخَاجِ وَبِالْوَتِينِ  
١٧ إِذَا مَا مَقَّتْ أَرْحَلَهَا يَلِيلِ تَأَوُّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

(٩) معرس : مكان التعريس وهو النزول آخر الليل . الجون : السود ، يصور القطا .

(١٠) يجد : يقطع . الصعداء : النفس المردود إلى الجوف . التسع : سير من الجلد . قواء : طائفة التي صفر منها . المحرم : القى دبق ولم يكن . ذو المتون : ذو القوى .

(١١) المعين : الأجير .

(١٢) السدف : الليل والسدف النهار أو الضوء . أيضا .

(١٣) المغزاء : الموضع الكثير الحصى . الوجين : ما ظلف من الأرض وكان فيها ارتفاع .

(١٤) كور الرجل : خشبه وأداته . الماهرة : السابحة . القرواء : الطويلة الظهر . الدهين : المدهونة .

(١٥) الجؤجؤ : الصدر . الغوارب : الظهور ، الحدب : ارتفاع الموج . البطن : الراس يريد الأمواج .

(١٦) القرداء : الطويلة العنق . انشق نساها : إذا امتلأت ومممت وارتفعت الحماتان اللتان في الفخذين فيظهر النسا بينهما . تجاسر : تمضى . سريرة جزئية . الوتين : هرق في القلب .

(١٧) أرحلها : أضع عليها الرجل . التأوه : إظهار الحزن في صوت خافت مكنوم .



- ١٨ تقول إذا درأت لما وضيئي      أهذا دينه أبداً وديني  
١٩ أكل الدهر حل وأرتحل      أما يبقى على وما يقيني  
٢٠ فأبقى باطلاً والحد منها      كدكان الدراينة المطين  
٢١ ثبثت زمامها ووضعت رجلي      ونمرقة رفدت بها يميني  
٢٢ فرحت بها تعارض مسيطراً      على صحصاحه وعلى المتون  
٢٣ إلى عمرو ومن عمرو أتني      أنحى النجدات والجلم الرصين  
٢٤ فلما أن تكون أنحى يحق      فأعرف منك فني أو يميني  
٢٥ وإلا فاطرحنى واتخذني      عدواً أتقيسك وتتقيني  
٢٦ وما أدري إذا يمت أمراً      أريد الخير أهما يليني  
٢٧ أأنخير الذي أنا ابتغيه      أم الشر الذي هو يبتغيني

- (١٨) الوضين : يكون بمنزلة الحزام . درأته : مددته وشدت به رحلها . الدين : العادة .  
(٢٠) باطل : سري وراء اللهو والنزل . جدتها : انكاشها في السير . الدكان : دكة مبنية  
لجلوس عليها . الدرابنة : البوابون . المطين : الذي طلى بالطين .  
(٢١) النمرقة : الوسادة . زمامها : الحبل الذي تقاد به . رفدت : وضعتها ومددتها .  
(٢٢) المسيطر : الطريق الممتد . الطويل : تعارض : تأخذ في عرضه أو تسير بإزائه .  
الصحصاح : ما استوى من الأرض . المتن : ما صلب من الأرض .  
(٢٣) عمرو : يقصد عمرو بن هند الملك . النجدات : الشجاعة والمروءة .  
(٢٥) اطرحنى : تخبئني واتركني وشأني .  
(٢٦) يم الأمر : اتجه إليه واتخذ فيه عذته .

\* \* \*

عبد الله التطاوي

( ٢ )

## مَنَاجَاةٌ وَمَذْحٌ

وفي مقدمة وجدانية أيضا يتحاور المثقَّب مع صاحبه « هند » مصورا  
إصرارها على الهجر والقطيعة ، وإصراره هو الآخر على الرحيل ليجد في ناقته وسيلة  
عزاء تتحمل معه وعشاء السفر ومشقات الطريق ، وكأنه يتفرد بركوها وتتفرد  
هي أيضا بقدرتها على مثل هذا الرحيل ، ويستطرد في تصويرها وتصوير معاناته  
في الرحلة مازجا بين الموقفين ، فمن وصف سرعتها ينتقل إلى وصف قلة نومه  
وارهاقه بما يوازيه من شدة عطشها واستمرارها في السير .

وحين يحسن المثقَّب رحلته وصولا إلى الممدوح ينتقل فنيا إلى الموضوع حيث  
يقف عند شخص النعمان فيفرده في كل صفاته ، فيراه قد تجاوز أفعال أسلافه  
أو أقرانه في رقيها وعزتها ، ويكاد يركز عدسته التصويرية على المشهد الحربي  
الذي يتميز به ممدوحه ، فيستطرد في وصف كتابته بكل أدوات الحربية ، وكأنه  
يبرر انتصاراته في حروبه ، وهي انتصارات لا تخلو — كما صوّر — من هذا  
الحس الإنسان الذي يسيطر عليها ويشيع فيها ، فهو يجمع في بطولاته بين العنف  
الذي تجسده سيوفه وأساعته المختلفة ، وبين ذلك العفو المعروف عنه في موقفه من  
الأسرى وفك وثاقهم بعد اطمئنانه إلى انتصاره وإحساسه بمركز قومه .

وعلى هذا النحو رسم الشاعر صورتين كبيرتين جعل إحداهما خاصة بموقفه  
من غزله ورحيله ، وأخلص الثانية لممدوحه وإن كان قد ظهر من حين إلى

آخرين أبياتها معلنا عن نفسه . ليختمها بالدماء التقليدي الذي شاع في قصيدة الملاح الجاهلية (\*) .

\* \* \*

- |   |                            |                                |
|---|----------------------------|--------------------------------|
| ١ | ألا إن هندا رث أميس جديدها | وضئت وما كان المتاع يؤودها     |
| ٢ | فلو أنها من قبل دامت لبانة | على العهد إذ تصطادني وأصيدها   |
| ٣ | ولكنها ممن يميظ بوده       | بشاشة أدنى خلة يستفيدها        |
| ٤ | أجلك ما يدويك أن رب بلدة   | إذا الشمس في الأيام طال ركودها |
| ٥ | وصاحت صواديج النهار وأعرضت | لواسع يطوى ريعها وبرودها       |
| ٦ | قطعت بقتلاء اليتيم ذريعة   | يقول البلاد سؤمها ويريدها      |

(١) رث : أخلق وبلى من شدة فدمه . جديدها : المقصود هنا جديد وصلها . الضن : البخل . المتاع : ما يمتعه من صاحبه من وصلها . يؤودها : يثقلها ويعجزها . (يصور صاحبته وقد آثرت القطيعة ففارقته بلا وداع ولو أرادت الوصل لفعلت لأنها لم تكن ممنوعة) .

(٢) اللبانة : الحاجة المرتبطة بشدة الرغبة . على العهد : يقصد لبانة معهوده . يمتنى لو أنها دامت على وصلها حيث كانت تفتنه بها ستمها ويفتنها بشبابه وحيويته ، وهذه هي حاجته منها كما عهدها من قبل .

(٣) يميظ : يميل . الود : الرصل . الخلة : الصفة الحميدة .

(٤) أى شيء يعلمك أنه رب بلدة من شأنها ما يحكيه ويدينه وقد قطعها . ركودها : ثبوتها .

(٥) الصواديج : الجنادب . اللوامع : المراب . الربط . الثياب البيض يشبه بها السراب .

(٦) الغنلاء : المفتولة الذراعين المصورتها . الذريعة : الكثيرة الأخذ من الأرض . يقول البلاد : يطويها ويذهب بها في السير . السوم : السير السريع الدائم . البريد : شدة السير .

\* \* \*

(\*) تراجع المفضليات بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون والاستاذ أحمد شاكر .

- ٧ فَيْتُ وَبَاتَتْ كَالنَّعَامَةِ نَاقَتِي وَبَاتَتْ عَلَيْهَا صَفَتِي وَقَتُودَهَا  
 ٨ وَأَغْضَيْتُ كَمَا أَغْضَيْتُ عَيْنِي فَعَرَّسْتُ عَلَى الثَّفَنَاتِ وَالْجِرَانِ هُجُودَهَا  
 ٩ عَلَى طُرُقٍ عِنْدَ الْأَرَاكِةِ رِيَّةٍ تَوَازَى شَرِيمَ الْبَحْرِ وَهُوَ قَعِيدُهَا  
 ١٠ كَأَن جَنِينًا عِنْدَ مَقْعَدِ غَمَزِيهَا تَرَاوَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَيُرِيدُهَا  
 ١١ تَهَالُكُ مِنْهُ فِي الرَّخَاءِ تَهَالُكُا تَهَالُكَ لِأَحَدَى الْجَوْنِ حَانَ وَرُودُهَا  
 ١٢ فَتَنَنْتُ مِنْهَا وَالْمُنَاسِمُ تَرْتَمِي بِمَعْرَاءَ شَيْءٍ لَا يَرُدُّ عَنْوَدُهَا  
 ١٣ وَأَيَقَنْتُ إِنِّ شَاءَ إِلَهُه بَأَنِّي سَيُبْلِغُنِي أَجْلَادُهَا وَقَصِيدُهَا  
 ١٤ فَإِنَّ أَبَا قَابُوسَ عِنْدِي بِلَاؤُهُ جَزَاءً بِنُعْمَى لَا يَحِلُّ كُنُودُهَا

(٧) القَتود : خشب الرجل • ( يصور مبيته مع ناقته ويدل على تفرد به ركوب الناقة على الرغم من مخاوف الطريق حتى أن راحته بقيت ليك مرحولة هليما صفته وأفتاد رحله ) •

(٨) الإغضاء : كسر العين • التعريس : النزول عند الصبح • المجهود : النوم • الجران : باطن حتى البعير •

الثفنات : الركب وما من الأرض منها إذا بركت • ( يصور قلة نومه حتى صار أقل القليل ) •  
 (٩) الأراكاة : موضع • رية : مجتمعة • توازى : تحاذى • شريم البحر : شاطئه أو ساحله •  
 (١٠) كَأَن جَنِينًا • يقصد هرا مجنونًا • تراوله عن نفسه : أى تريد أخذه • المزاولة : المخاطلة والمعالجة • يريدُها : يقصدها • يصور مبرعة الناقة في سيرها وكأن هرا ينهبها فتزيد من مرضها •  
 (١١) التهالك : شدة السير • في الرخاء : يعنى استرخاءها في سيرها • الجون : القطا • ( يشبه ناقته بالقطاة حين ورودها وذلك حين اشتد عطشها فهي لاتألو طيرانًا ) •

(١٢) تنهت : كفت • المناسم : ج منسم وهو ظفر الخلف • المعزاء : الأرض المليئة بصغار الحمى • العنود : المخالف في سيره • والعنود هنا الغبار يأخذ في مرض •

(١٣) أجلادها : جسمها • قصيدها : نغمها • أيقنت : تأكدت •

(١٤) أبو قابوس : كنية الزمان • عندي بلاؤه : اهتراف بفضله • الكنود : الكفور •

- ١٥ رَأَيْتُ زَنَادَ الصَّالِحِينَ تَمِينَهُ قَدِيمًا كَمَا بَدَأَ النُّجُومَ سَعُودُهَا  
 ١٦ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ الْجِبَالَ حَصِينَةً لَجَاءَ بِأَمْرٍ أَسَ الْجِبَالَ يَقُودُهَا  
 ١٧ فَإِنْ تَكُ مِنْهُ فِي عُمَانَ قَبِيلَةٌ تَوَاصَتْ بِإِجْنَابٍ وَطَالَ عُنُودُهَا  
 ١٨ فَقَدْ أَدْرَكْتَهَا الْمُدْرَكَاتُ فَأَصْبَحَتْ إِلَى خَيْرٍ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ وَفُودُهَا  
 ١٩ إِلَى مَلِكٍ بَزَّ الْمُلُوكَ فَلَمْ يَسْعَ أَفَاعِيلُهُ حَزْمُ الْمُلُوكِ وَجُودُهَا  
 ٢٠ وَأَيُّ أَنَا لَا أَبَاحَ بِقَارَةٍ يُوَازِي كَيْسِدَاتِ السَّمَاءِ عُمُودُهَا  
 ٢١ وَجَاوَأَ فِيهَا كَوْكَبُ الْمَوْتِ نَحْمَةً يَتَمَصُّ بِالْأَرْضِ الْقَضَاءِ وَثِيدُهَا  
 ٢٢ لَهَا قَرْطٌ يَحْوِي النَّهَابَ كَأَنَّهُ لَوَامِسُ عَقْبَانٍ يَرُوحُ طَرِيدُهَا

(١٥) بَدَأَ : سَبَقَ . السَّعُودُ : نَجْمُ السَّعْدِ . يَرَى أَنْ فَعَالَ أَسْلَافُهُ قَدْ رَفَعَتْ دَرَجَتَهُ فِي الْجَعْدِ وَالْعِزَّةِ .

(١٦) الْأَمْرَاسُ : الْجِبَالُ . يَقُودُهَا : يُوَجِّهُهَا وَيَسْجُرُهَا فِيهَا .

(١٧) الْإِجْنَابُ : الْمُبَايَعَةُ وَالْمُجَانِبَةُ . الْعُنُودُ : الْمَخَالَفَةُ وَالْإِعْرَاضُ .

(١٨) الْوُفُودُ : جُ وَفَدَ وَهُوَ مَا خُوِذَ مِنَ الِارْتِفَاعِ ، أَوْ فَدَى عَلَى الشَّيْءِ ، بِمَعْنَى ارْتِفَاعِهِ عَلَيْهِ .

(يقول إن كان بعض طوائفنا قد فارت أرضها وهاجرت إلى عمان ، وقد وصفت أسلافنا إخوانهم بمجانبة عشائهم فقد ندمت بما فعلت ورجعت إليك ) .

(١٩) يَبْزُزُ مَكَانَةَ الْمَلِكِ الَّذِي يَجْزِيهِ مِنْ الْمُلُوكِ عَنْ أَعْمَالِهِ وَرَفَعُوا دَرَجَتَهُ وَشَأْنَهُ . يَزُ الْمُلُوكُ : نَاقَهُمْ وَتَجَاوَزَهُمْ حَزْمًا وَكِرْمًا .

(٢٠) يُوَازِي : يُمَازِلُ وَيُحَازِي . كَيْسِدَاتِ السَّمَاءِ : مَعْظَمُ السَّمَاءِ . عُمُودُهَا : مَا سَطَعَ مِنْ غُبَارِهَا .

(٢١) الْجَاوَأَ : الْكَتَبَةُ الَّتِي كَثُرَ سِلَاحُهَا . الْفَخْمَةُ : الْعَقَابِمَةُ . الضَّخْمَةُ وَثِيدُهَا : شِدَّةُ رِزْقِهَا . الرُّزُّ : الصَّوْتُ . ( يَقْصِدُ أَنَّ السَّاكِنِينَ مِنَ الْأَرْضِ يَكَادُ يَتَزَلُّزَلُ لِحَرَكَتِهَا وَجَلْبَتِهَا ) .

(٢٢) الْقَرْطُ : الْمُتَقَدِّمُونَ . يَحْوِي : يَجْمَعُ . طَرِيدُ الْعَقْبَانِ : مَا تَطْرُدُهُ الْعَقْبَانُ . لَوَامِسُهَا : أَيْجُنْحَتُهَا .

- ٢٣ وأمكن أطراف الأسنة والقنا يعاسيب قود كالشنان خدودها  
 ٢٤ تنبع من أعضادها وجلودها حميم وأصنت كالحماليج سودها  
 ٢٥ وطار قشاري الحديد كأنه نخالة أقواج يطير حصيدها  
 ٢٦ بكل مقضى وكل صفيحة تتابع بعد الحارشي خدودها  
 ٢٧ فأنعم أبنت اللعن إنك أصبحت لديك لكثير: كهلها ووليدها  
 ٢٨ وأطلقهم تمشي الذساء خلاهم مكنكة وسط الرجال قيسودها

(٢٣) اليعاسيب : الخيل • يعسوب الشيء : أفضله وخيره • القود : الطوال الأعناق • كالشنان خدودها : بصور قلة اللحم في خدودها وهو مستحب في الفرس • الشن : القرية القديمة • اليعاسيب : الكثيرة الجرى • يعاسيب قود لا تثني خدودها : يقصد أنها لا تصرف عن جهتها ولا ترد •  
 (٢٤) تنبع : سال • أصنت : رجعت وعادت • الحميم : العرق • الحماليج : قرور البقر •  
 (٢٥) قشاري الحديد : ما تقشر منه أو تطاير عند المقارسة ، والمقارسة هي وقوع السلاح على السلاح • في المبارزة والقتال •  
 الأقواج : الأماكن ليست فيها حجارة ولا حمى ، والقاع : المكان الحر الطين • يشبه ما تقشر من الحديد من حيث الكثرة بالغيار في القاع •

- (٢٦) مقصى : فرس (الفرس المقصوص الذنب) • الضفيحة : السيف •  
 (٢٧) أنعم : فعل أمر أي من عليهم • يقصد عقوه عن الأمر وفك وثاقهم •  
 أبنت اللعن : صيغة دعائية أي أبنت أن تأتي من الأخلاق ما يمكن أن تلام عليه أو تلعن بسببه •

\* \* \*

عبد الله التطاوي

## عَدَى بن زَيْدٍ

\* \* \*

يُنسب عدى بن زيد إلى « عباد » الحيرة ، وهم جماعات من قبائل شتى اجتمعوا في الحيرة واستوطنوها واعتنقوا المسيحية ، فلقَّبوا بهذا الاسم ، يريدون أنهم عباد الله في مقابل العرب الوثنيين .

ويُلمى نسب الشاعر إلى قبيلة تميم ، وكانت إحدى هذه القبائل التي تألفت منها جماعات « العباد » . وكان جده أيوب أول مَنْ نزل من أسرته بالحيرة ، هرب إليها من منازل قبيلته باليمامة خوفا من دم أصابه في قومه . واستطاع أن يثبَّت مركزه في الحيرة ، وأن يصل إلى مكانة مرموقة عند ملوكها .

وُلِدَ عدى بالحيرة ، واستطاع أن يوطِّد صلته بملوكها ، وأن يكون له دور فعال في البلاط الحيريّ ، واستطاع من خلال ذلك أن ينفذ إلى البلاط الفارسي في المدائن ، فعمل كاتبا ومترجما عند كسرى ، وارتفعت مكانته عنده ، فبعثه في سفارة له إلى قيصر الروم « تيباريوس الثاني » بالقسطنطينية . وبعد عودته استأذن كسرى في العودة إلى الحيرة ، وهناك مكث سنين قضاهما في الصيد واللهو والشراب ، مع مشاركة فعالة في الحياة السياسية استطاع من خلالها — بما كان له من نفوذ عند كسرى — أن يكون سببا في ولاية النعمان بن المنذر على الحيرة ، مما أثار عليه عداوة بعض خصومه السياسيين الذين نجحوا بعد فترة في إثارة النعمان عليه بدسائس كادوها له مستغلين غيابه عن الحيرة عند كسرى . واحتال النعمان

حتى أعاده إلى الحيرة لِيُلْقِي به في سجين بقي فيه حتى لقي مصرعه على أيدي رجال النعمان عندما أحس أن كسرى يعمل على إطلاق سراحه . وكان ذلك حوالى سنة ٥٩٠ للميلاد .

ونخرج ابنه زيد للثأر له ، واستطاع في النهاية أن يشي بالنعمان عند كسرى وشاية انتهت به إلى أن يلقي مصرعه بأمر كسرى تحت أرجل الفيلة . ويرى المؤرخون أن هذه الحادثة كانت سببا في يوم ذى قار المشهور بين العرب والفرس .

كان عدى مثقفا ثقافة تعد بالقياس إلى شعراء عصره شيئا يستحق التسجيل ، ويذكرون عنه أنه ألف كتابا في تاريخ الروم جمع مادته في أثناء رحلته إلى قيصر ، وأن المسعودى المؤرخ المشهور اعتمد عليه في تاريخه . ويذكرون أيضا أنه كان يتقن اللغة الفارسية مما أتاح له أن يعمل مترجما لكسرى ، وأن يكون — كما يذكر صاحب الأغاني — أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى . وبسبب حياته في بلاد فارس ، واتصاله بالبلاط الفارسي ، تعلم الرمي بالثَّشَاب ، واشترك في كتيبة الأساورة الرماة ، كما تعلم لعب الفرس بالصَّوَالِجَة على الخيل ، وعاش حياة على قدر كبير من التحضر شأن أمراء الفرس وأمراء الحيرة .

وقد تركت هذه الحياة الحضارية بصماتها على شعره سواء في لغته أو في صوره الفنية ، فلانت لغته ، وسهل أسلوبه ، ورقت عباراته ، ودخلتها مجموعة من الألفاظ الفارسية ، وظهرت في شعره صور فنية استمد عناصرها من الحياة الحضارية التي كان يحياها ، وإن لم يمنع هذا من أن يظهر في شعره التيار البدوى الذى كان سائدا في عصره ، والذي لم يكن بمستطیع أن ينفصل عنه . كما يظهر



في شعره اتجاهٌ إلى بعض الأوزان الخفيفة التي يقلّ ظهورها عند شعراء البادية ، كبحر الرّمل وبحر الخفيف ، ويردّ جرونهاوم انتشار بحر الرمل عند شعراء الحيرة إلى مؤثرات فارسية أثّرت في العروض العربي ، إذ يرى أنهم استعاروا هذا البحر من وزن بهلويّ ، ثم أدخلوا عليه تعديلات تلائم العروض العربي .

ويدور شعر عدى أساسيا حول محورين ارتبطا بظروف حياته ، ففي المرحلة الأولى قبل تبجته يدور شعره حول وصف الطبيعة والصيد والخمر والفرز ، وفي المرحلة الثانية يفيض شعره بالحزن والألمى والشكوى والعتاب والاعتذار ، ومن حين إلى حين نسمع حثينا إلى ذكريات الماضي السعيد .

ومن بين موضوعات المرحلة الأولى يلعب شعر الخمر الذي نظم فيه أشهر قصائده وأطولها ، وهي « القافية » . ويرى بروكلمان أن نغمات عدى هي التي وجهت الوليد بن يزيد إلى ابتكاراته في هذا الموضوع ، ويسجل نالينو تشابها بين نغمات عدى ونغمات الأعشى . ونظرا لتأخر الأعشى زمنيا فلا شك في أنه تأثر به في هذا المجال . وأما موضوعات المرحلة الثانية فيلمع فيها ذلك التفكير في مصير الإنسان في الحياة ، وحديث الموت والفناء ، وهو تفكير انتهى به إلى دعوة إلى الزهد في الدنيا التي لا بقاء لشيء فيها . وفي رأى نالينو أن قصائده في هذا المجال كانت أساسا لشعر الزهد في العصور التالية ، ومثلا يحتذاه أبو العتاهية وغيره من الشعراء المتأخرين .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## من قصائد المرحلة الأولى

### الخميرية المشهورة

\* \* \*

هذه القصيدة من نتاج المرحلة الأولى في حياة الشاعر ، وهي تقع في اثنين وعشرين بيتاً ، وتدور كلها — في وحدة موضوعية دقيقة — حول الخمر التي ينفذ إليها من خلال تشبيه ثغر صاحبتها بها بعد مقدمة غزلية قصيرة يربطها بموضوع القصيدة الأساسي استهلاكاً بحديث الخمر ، فهو يبدؤها بعدال يلومونه على إدمانه الشراب ، ويلومونه على حبه ، ويمضى بعد ذلك في وصف جمال صاحبتها ، حتى إذا ما وصل إلى ثغرها ، وشبهه بالخمر ، انطلق في حديث الخمر حتى نهاية القصيدة . والقصيدة من بحر الخفيف الذي كثر ظهوره عند شعراء الحيرة كما قلنا من قبل .

\* \* \*

- ١ بكر الماذلون في وَضَح الصبـح      يح يقولون لي : ألا تستنقِ ؟
- ٢ ويلومون فيك يا ابنة عبد الله      به ، والقلب عندكم موهوق
- ٣ لست أدري إذا كثروا العذل عندي      أعدو يلومني أم صديق ؟

---

(١) وضح الصبح : إشراقه وبياضه . وقوله « الاستنق » أي من الشراب .

(٢) الموهوق : المشدود ، من الموهق (بفتحين) وهو حبل تشد به الإبل حتى لا تند .

- ٤ أَطِيبُ الطَّيْبِ طِيبٌ أُمَّ عَلَى مِسْكٌ فَأِرْ وَعَتَبَرٌ مَفْتُوقٌ  
 ٥ خَلَطَتْهُ بَزَنْبَقٌ وَبَيَاقٌ فَهُوَ أَحْوَى عَلَى الْيَدَيْنِ شَرِيقٌ  
 ٦ زَانَهَا وَارْدُ الْغَدَائِرِ جَثْلٌ وَأَسِيلٌ عَلَى الْجَبِينِ أُنَيْقٌ  
 ٧ وَشَايَا كَالْأَفْحَوَانِ عِدَابٌ لَا قِصَارَ كُسْرٍ وَلَا هَنْ رُوقٌ  
 ٨ مُشْرِفَاتٌ تَخْلُهْنَ إِذَا مَا حَانَ مِنْ غَائِرِ النُّجُومِ خُفُوقٌ  
 ٩ بَاكَرْتَهُنَّ قَرَقُفٌ كَدَمَ الْجَوْ فِ تَرْيِكَ الْقَدَى كُتِبَتْ رَحِيقٌ

(٤) أم على : صاحبه ، ولعلها المرة الوحيدة التي يرد فيها هذا الاسم في الشعر الجاهلي . والفأر والفارة : نالحة المسك أي وعاءه . والمفتوق : الذي شق نصفين حتى تنتشر رائحته . يصف طيب صاحبه بأنه مزيج من عطر المسك والعنبر .

(٥) البان : شجر طيب الرائحة . والأحوى : الأسود الضارب إلى خضرة ، أو الأحمر الضارب إلى سواد . والشريق : المشرق الواضح . يستكمل وصف طيب صاحبه بأنها خلطت هذا المزيج من المسك والعنبر بعطور الزئبق والبان ، ويصف لونه وإشراقه على يديها .

(٦) الغدائر : الضفائر ، ووارد الغدائر : طولها . والجلل : الغزير اللين . والأسيل : المنسدل . يصف خصلي شعرها المنسدل على جبينها . وفي رواية أخرى « عبيق » بدلا من « أنيق » ، والمعيق : المعطر الذي يوضع على عطره .

(٧) الننايا : الأسنان . والأفحوان : زهر أبيض أوراقه مفلجة ، يشبه به الشعراء العرب الأسنان الجميلة . والكسر : المكسرة . والروق : جمع روقاء ، وهي الأسنان التي تطول ثناياها العليا على السفلى .

(٨) مشرفات : ناصعات البياض . وغار النجم إذا انحدر للغيب . وخفوق النجم : غيابه . يصف عذوبة نغمها في آخر الليل عندما تأخذ النجوم في الانحدار للغيب ، وؤذنة باقتراب الصباح . وبقية الصورة في البيت التالي .

(٩) القرقف : النحر الباردة . والقذى : ما يظهر في الشراب من شوائب ، وقوله « تريك القذى » يريد أنها صافية . والكسيت : الحسراء الداكنة ، ولذلك يشبهها بلون الدم . والرحيق : المصفاة . تتخيل نثر صاحبه في آخر الليل كأن نحرها باردة حمراء صافية مصفاة قد خالطته في الصباح الباكر .

- ١٠ صَانَهَا التَّاجِرُ الْيَهُودِيُّ حَوْلِيدَ  
 ١١ ثُمَّ فَضَّ الْخَتَامَ عَنْ حَاجِبِ اللَّهِ  
 ١٢ فَسَبَّأَهَا مِنْهُ أَشْمٌ عَزِيزٌ  
 ١٣ ثُمَّ نَادَوْا إِلَى الصُّبُوحِ فَقَامَتْ  
 ١٤ قَدَّمَتْهُ عَلَى سُلَافٍ كَعِينِ اللَّهِ  
 ١٥ مُزَّةٌ قَبْلَ مَرْجِهَا فَإِذَا مَا  
 ١٦ وَطَفَتْ نَوْفَهَا ففَقَاقِعُ كَالِدِ  
 ١٧ قَتَلَتْهُ بِسَيْبٍ أبيض صَافٍ  
 مِنْ فَاذَكِي مِنْ نَشْرَهَا التَّعْتِيقُ  
 نَّ وَقَامَتْ لَدَى الْيَهُودِيِّ سُوقُ  
 أَرِيحَى غَدَاةَ عَيْشٍ رَقِيقُ  
 قَيْنَةٍ فِي يَمِينِهَا لِإِبرِيقُ  
 يَكُ صَفَى سُلَافِهَا الرَّاوُوقُ  
 مُزِجَتْ لَدَّ طَعْمِهَا مَنْ يَذُوقُ  
 يَاقُوتِ حَمْرٍ يَزِينُهَا التَّصْفِيقُ  
 طَيِّبِ زَانٍ مَرْجَهِ التَّصْفِيقُ

- (١٠) أذكي : زاد من ذكائها وهو طيب رائحتها . والنشر : الرائحة الطيبة .  
 (١١) الختام : غطاء الدن الذي أغلقوه به . والدن : ذق الخمر . وقوله « قامت لدى اليهودي سوق » يعني أن اليهودي بدأ يمارس نشاطه التجاري المعروف منه منذ أقدم العصور ، وكأنما تحولت الحانة إلى سوق يمارس فيها مهارته وبراعته في شؤون البيع والشراء .  
 (١٢) سبأها هنا : اشتراها . والأشم : المعتز بنفسه المعتد بشخصيته . والأريحي : الكريم . وقوله « غداة عيش رقيق » يريد أنه رجل متحضر يعيش في نعمة من العيش .  
 (١٣) الصبوح : نحر الصباح . والقينة : الحارفة المغنية ، ويريد بها هنا الساقية . والإبريق كلة فارسية معربة .  
 (١٤) السلاف : الخمر الجيدة . وقوله « كعين الديك » يريد أنها صافية . والراووق : المصفاة ، وهي كلة فارسية معربة . وقوله « صفى سلافها الراووق » يريد صفى رحيقها أو عصيرها .  
 (١٥) مزة : لذيذة الطعم ، صقة للخمر . ومزج الخمر : خلطها بالماء .  
 (١٦) تصفيق الخمر : تحويلها من إناء إلى إناء لنصفو . وفي رواية أخرى « يثيرها التصفيق » أي أن التصفيق يثير هذه الفقايع التي تكسو وجه الشراب .  
 (١٧) السيب : العطاء . والأبيض الصافي هو الماء . وقتل الخمر : مزجها . يقول إنهم مزجوها بالماء ، وأخذوا يحولونها من إناء إلى إناء لين يدوا من تنقيتها . وفي قافية البيت إبطاء ، وهو تكرار القافية بلفظها ومعناها ، وهو عيب من عيوب القافية في الشعر العربي ، وظهور هذا العيب في الشعر الجاهلي يدل على أن هذا الشعر كان ما يزال في خطواته الأولى على الطريق الفني .

- ١٨ فوق علياء ما يرام ذراها      يَلْغِبُ النَّسْرُ فَوْقَهَا وَالْأَنْوُقُ  
١٩ ثم كان المِرْزَاجُ ماءً سحاب      لَا يَصْرَى آجِنٌ وَلَا مَطْرُوقُ  
٢٠ أَسْفَلَ حُفٍّ بِالْعِضَاءِ وَأَعْلَا      هُ صَفَا يُلْغِبُ الْوَعُولَ زَلُوقُ  
٢١ مَسْقَطُ الظِّلِّ مَنْ تَكَنَّفَهُ الْحَقُّ      فُفْ وَتَنَفَّى قَذَاهُ رِيحٌ خَرِيقُ

(١٨) العليا : المكان العالي المرتفع . ويلغِب : يتعب . والأنوق : العقاب ، أو جراح آخر يشبه النسْر ، ويقول العرب في أمثالهم « أعز من يرض الأنوق » لأنه لا يضمه إلا في القدم العالية . يصف الماء الصافي الذي مزجت به الخمر ، ويقول إنه ماء كان يبعدها عن أيدي الناس لأنه كان فوق قمة عالية لا يستطيع أحد أن يصل إليها ، حتى النسْر والأنوق يتعبان في الوصول إليها .

(١٩) الصرى : الماء الراكد . والآجِن : المتغير طعمه ولونه . والمطروق : الذي خوضته الإبل ولوثته . والبيت استمرار في وصف صفاء الماء الذي مزجت به الخمر .

(٢٠) العضاء : شجر شوكن من أشجار البادية . والصفاء : جمع صفاة وهي الصخرة المساء . ويلغِب : يتعب . والزلق : الذي تزل فدقه للقدم ولا تثبت لملاسته . والبيت استمرار آخر في وصف صفاء هذا الماء . يقول إنه في قمة عالية في صخور ملس تتعب الوعول في الوصول إليها ، وفي أسفل هذه القمة أشجار شائكة أحاطت به ، وشكلت حاجزا طبيعيا يحول دون اقتراب الناس منه .

(٢١) الحقف : الكثيب من الرمل يمتد فيشكل نصف دائرة . وتكنفه : أحاط به . وتنفى قذاه : أي تلقى القذى بعيدا عنه . والخريق : الشديدة كأنها تحرق كل شيء . والبيت استمرار آخر في وصف صفاء الماء . يقول إن كثبان الرمال تحيط بهذا الماء من كل جانب فتعمل على حمايته ، وتلقى ظلها فوقه فتبقى عليه برودة ، والرياح الشديدة تهب عليه ، فتبقى القذى بعيدا عنه ، فتحفظ عليه صفاءه .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٢ )

## من قصائد المرحلة الثانية تأملات في سجن النعمان

\* \* \*

هذه القصيدة من نتاج المرحلة الثانية في حياة الشاعر ، وهى تقع في خمسين بيتا ، نظمها مدى وهو في سجن النعمان من المنذر ، وسجل فيها طائفة من تأملاته في الحياة والموت ، فالحياة لاتدوم على حال ، وكلُّ شئ فيها يتغير ويتحول ، والمصير المحتوم في انتظار الجميع ، والموت هو نهاية رحلة الحياة . وهى تأملات تبدأ مباشرة بعد المقدمة التقليدية التى يتحدث فيها عن رحلة الطعائن ، ولعلها محاولة للربط بينها وبين رحلة الحياة نحو وادى الموت الذى تنتهى إليه قوافل البشر قافلة فى إثر قافلة ، وكأنه يسقط مشاعره على هذه المقدمة فيمدّها بحديث الوداع ، ثم ينتقل إلى الحديث عن الشيب ، وكأنه يمهّد به لحديث الموت بعد ذلك ، ثم يستطرد منه إلى وصف المطر انطلاقا من تشبيه اشتعال الشيب فى الرأس بتوهج البرق فى السحاب . ثم يخرج من هذه التأملات الإنسانية العامة المشتركة بين الناس جميعا إلى تأملات ذاتية فى المحنة التى يمرّ بها ، فيتحدث عنها وعن صبره عليها ، ويحاول أن يفلسف التجربة التى يعيشها ، حديثا يمتزج فيه الفخر بنفسه والإعتذار لللك ومدحه ، فى محاولة لاسترضائه ، وأيضا لتبرئة ساحته من شبهة لا ظل لها من الحقيقة . والقصيدة أيضا من بحر الخفيف الذى كثر ترده فى الشعر الحبرى .

\* \* \*

- ١ أَرَوَّاحٌ مُودَعٌ أَمْ بُكُورٌ لَكَ فَاعْلَمْ لَأَيَّ حَالٍ تَصِيرُ
- ٢ إِنْ شُغِلَ الْمُصَابِيَاتُ مِنَ الْأَسَدِ تَارَ طَرْفٍ يُضَيُّ فِيهِ فُتُورٌ
- ٣ زَانِمَنَ الشُّفُوفُ يَنْضَحْنَ بِالْجَمْسِكِ وَعَيْشٌ مُفَانِقٌ وَحَرِيرُ
- ٤ كُدُمِي الْعَاجَ فِي الْمَحَارِيبِ أَوْ كَالِ سَيْبِضٍ فِي الرُّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ
- ٥ لَا تَوَاتِيكَ إِنْ مَحُوتَ وَإِنْ أَسْرَقَ فِي الْعَارِضِينَ مِنْكَ الْقَتِيرُ
- ٦ وَابْيَضَاضُ السَّوَادِ مِنْ نُذْرٍ أَلْشَرُّ وَهَلْ بَعْدَهُ لَأَنْتَ نَذِيرُهُ ؟

\* \* \*

- ٧ أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِالْأَيَّامِ أَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ ؟
- ٨ أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْإِيَّامِ ؟ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَفْرُورُ
- ٩ مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدَنَ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ يُجِيرُ ؟

(١) الرواح : الخروج في وقت المساء ، عكس البكور . ومودع : أى مودع فيه صاحبه . وحديث الشاعر في مطلع قصيدته عن الوداع ، والرحيل الذي لا يعرف موعده ، وتقلب الأحوال ، يعكس إحساسه بمحنته ، ويهدد لحديث المصير الذي سينتقل إليه بعد هذه المقدمة .

(٢) المصابيآت : المخاضات اللاتي يقبلن الأمور على غير وجهها . يقول إن شغلها الشاغل أن يوقعن الرجال في حبهن بعيون فائرة ينظرن بها من وراء الأستار التي يحتججن خلفها .

(٣) الشفوف : الثياب الرقيقة الشفافة . والعيش المفايق : المتعم المترف . والبيت يعكس الجو الحضارى المترف الذى كان الشاعر يعيش فيه في بيئة الحيرة المتحضرة ، وفي ظلال القصر الحيرى المترف .

(٤) البيض هنا هو نبات الكأه . يشبه صاحباته بتمثيل العاج في محازير الكنائس ، وبأزهار نبات الكأه المنفتحة . والبيت يعكس ظلال المسيحية التي كان الشاعر يدين بها هو وطوائف العباد في الحيرة .

(٥) العارضان : الخلدان . والقثير : الشيب أو أول ما يظهر منه .

(٦) البيت حديث عن الشيب الذي يشير إليه بـابيضاض السواد . وبعد ذلك تأتي الأبيات التي يصف فيها البرق والمطر والسحاب ( ١٢ بيتاً ) .

(٧) الموفور : الذي توافرت له أسباب الأمن والسلامة من نوائب الدهر . من هنا يبدأ الحديث عن الموت والحياة ، وتبدأ تأملات الشاعر .

(٩) المنون : النية أو الدهر ، ومن هاتين الدالتين يجوز تذكر الكلمة وتأنيتها ، كما يجوز معاملتها معاملة المفرد ومعاملة الجمع .

- ١٠ أين كسرى ، كسرى الملوك أنو  
 ١١ وبنو الأصغر الملوك ، ملوك ال  
 ١٢ وأخو الحضر إذ بناء ، وإذ دج  
 ١٣ شاده مرمرا ، وخلاله كد  
 ١٤ لم يهيه ريب المتون قبادة  
 ١٥ وتأمل رب الخورنق إذ أش  
 ١٦ سره ماله وكثرة ما يمد  
 شروان ، أم أين قبله سابور ؟  
 روم لم يبق منهم مذكور  
 لة تجي إليه والخابور  
 ساء ، فالطير في ذراه وكور  
 ملك منه فبأبه مهجور  
 عرف يوما وللهدى تفكير  
 ملك والبحر معرضا والسدير

(١٠) كسرى أنوشروان : أحد ملوك الفرس (٥٣١-٥٧٩) . وسابور : اسم لعدة ملوك من الفرس ، والمراد به هنا سابور ذو الأكتاف (٣١٠ - ٣٧٩) .

(١١) بنو الأصغر : لقب كان العرب يطلقونه على الروم .

(١٢) الحضر : مدينة قديمة كانت قائمة بأرض الجزيرة ما بين دجلة والفرات ، لا يعرف بالضبط مؤسسها ولا زمن تأسيسها . وقد حكمت فيها أسرة عربية لمدة ثلاثة قرون ، وأول حكامها أمير عربي سمى المؤرخون العرب « الساطرون » . وقد أحاطت بها وبحرايا أساطير كثيرة يجعلها المؤرخون العرب في كتبهم . والخابور : نهر من روافد الفرات .

(١٣) خلله : سد خلله ، وهي ما بين أبحاره . والكلس : الجير .

(١٥) الخورنق : قصر كان للنعمان بن المنذر بالحيرة ، وهي كلمة فارسية معربة أصلها « خرفكاه » أى موضع الشراب .

(١٦) البحر هنا هو نهر الفرات الذى كان قصر الخورنق قائما على ضفافه . ومعرضا : أى متسعا . والسدير : قصر آخر للنعمان في الحيرة ، وهي أيضا كلمة فارسية معربة عن « سادلى » أى ذا الشعب الثلاث . والخورنق والسدير تردد ذكرهما في الشعر الجاهلى ، ومن ذلك قول المنخل اليشكرى المشهور :

وإذا سكرت فإنى رب الخورنق والسدير

وإذا مصوت فإنى رب الشويمة والبحير



- ١٧ فارعوى قلبه، وقال : وما غب طة حتى إلى الممات يصير ؟  
 ١٨ ثم بعد الفلاح والملك وال إمة وارتهم هناك القبور  
 ١٩ ثم أخذوا كأنهم ورق جف (م) فالوت به الصبا والدبور

\* \* \*

- ٢٠ إن يصبني بعض الأداة فلاوا ن ضيف ولا أكب عثور  
 ٢١ غير أن الأيام يغدون بالمر ، وفيها الميسور والمعصور  
 ٢٢ فاصبر النفس للخطوب فإن (م) الدهر يدجو حيناً وحيناً ينير  
 ٢٣ وأنا الناصر الحقيقة إذ أظلم لم يوم تضيق فيه الصدور  
 ٢٤ يوم لا ينفع الراغ ، ولا ينفع إلا المشيع التحرير

(١٧) ارعوى قلبه : أقصر عن الجهل والباطل .

(١٨) الفلاح : البقاء . والإمة : النعمة . والحديث في هذا البيت وفي البيت التالي عن الملوك السابقين الذين تحدث عنهم قبل حديثه عن النعمان .

(١٩) ألوت به : ذهب به . والصبا : ريح شرقية . والدبور : ريح غربية .

(٢٠) الأداة : الأذى اليسير . والوأنى : الضعيف . والأكب : الذي يسقط على وجهه .  
 والعثور : الكثير العثار .

(٢١) يقول إنه لا يضعف أمام ما يصيبه به الدهر من أذى ، وإنما يجلد ويتمسك ولا ينهار ، ولكن ماذا يملك أمام الأيام التي من طبيعتها الغدر ، والتي تأتي أحياناً باليسر وأحياناً بالعسر ، والأمور في الحالين لها .

(٢٢) يدجو : يظلم . يقول إن الدهر لا يدوم على حال ، فن طبيعته التقلب ، فتارة يظلم وتارة يشرق ويفضي .

(٢٣) الحقيقة : ما يجب على الإنسان أن يحجم ويدافع عنه . يريد به هنا الحق .

(٢٤) الراغ : الفرار والحرب . والمشيع : الجري . والتحرير : الحاذق الماهر المتقن لكل شيء . يريد يوم الحرب والقتال .

- ٢٥ وتقول العدة أودى عدى وعدى بسخط رب أسير  
 ٢٦ ظنة شبت فملكها القس سم فعداه ، والخير خير  
 ٢٧ وكلا نابري ساعده بر (م) وربى ليا أتى معذور  
 ٢٨ إن ربى لولا تداركه المذ لك بأهل العراق ساء العذير  
 ٢٩ ملك يقسم الخزان ، والذمة (م) لة قد ردّها وكادت تبور  
 ٣٠ عالم بالذى يريد ، نقي الص (م) دير ، عف ، على جثاه تحور

\* \* \*

(٢٥) العدة : الأعداء . وأودى : هلك . والرب هنا هو الملك النعمان .  
 (٢٦) الظنة : الشبهة . وشبت : اختلط الأمر فيها . وأملكها هنا بمعنى أكدها . والقسم :  
 الشك . وعداه : تجاوزه . هو هنا يدافع عن نفسه أمام الملك ، ويدفع التهمة التي اتهم بها ، ويعلم  
 أنها مجرد شبهة اختلط الأمر فيها ، وأكدها الشك وسوء الظن ، ولكن الملك تجاوزها بتجربته وتجرّبه  
 الواسعة .

(٢٧) يريد بقوله « ربى » الملك النعمان ، يحاول أن يلتمس له العذر فيما فعله به .  
 (٢٨) ساء العذير : أى ساءت الحال . يمدح الملك بأنه يحسن سياسة مملكته ، فلو لا تداركه  
 أمور العراق وأهله لساءت الحال .

(٢٩) الذمة : الأمان والعهد . وبسور : تهلك . والبيت استمرار في مدح الملك ، فهو يحسن  
 التصرف في أموال الدولة ، ويقسمها بالعدل بين الناس ، وقدرد الذمة لأصحابها بعد أن كادت تضيع .  
 (٣٠) الجشا : جمع جشوة بضم الجيم ، وهى تراب كان يجمع ، وتجميل عليه تجارة تخرط عليها القرابين  
 للآصنام . ونحور : صيغة مبالغة من النحر . والبيت استمرار آخر في مدح الملك ، فهو يعرف أهدافه  
 ويحدددها ويحرك وفق خطة واضحة أمامه ، وهو نقي الصدر ، عفيف النفس ، متدين يؤدى شعائر دينه  
 ولا يقصر فيها .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٣ )

## من قصائد المرحلة الثانية

### سَهَامُ الدَّهْرِ

\* \* \*

تدور الأبيات الثمانية التي تتألف منها هذه المقطوعة حول حديث المصير المحتوم الذي أكثر الشاعر الحديث عنه في هذه المرحلة الثانية من حياته ، والذي يعكس إحسانه الحاد بالحنة التي كان يمر بها ، والتي اتجهت به إلى الزهد في الدنيا والتفكير في الموت . فالموت قدّر مقدور على الإنسان لا مفر منه ، وهو يقف له بالمرصاد مضوياً إليه سهامه كأنه صياد لاقى غفلة من صيد أتيح له فقتله . والموت يقف بين الإنسان وآماله ، ولا يترك له فرصة لتحقيقها ، ومرور الأيام يقربه منه ، فكل يوم يمضي إنما هو في الحقيقة خطوة نحو النهاية التي يدفعنا الدهر الموكل بنا نحوها . والأبيات من بحر الرمل الذي كثر دورانه عند شعراء الحيرة .

\* \* \*

- ١ رَبِّ مَأْمُولٍ وَرَاحٍ أَمَلًا      قَدْ ثَنَاهُ الدَّهْرُ عَنْ ذَلِكَ الْأَمَلِ
- ٢ وَفَتَى مِنْ دَوْلَةٍ مُعْجَبَةٍ      سُلِبَتْ عَنْهُ ، وَلِلدَّهْرِ دُولٌ

---

(١) ثناء : صرفه ورده . يقول إن الدهر يقف بين الإنسان وآماله ، فرده عنها ويحول بينه وبين تحقيقها ، يستوى في ذلك من يطلب أملاً فهو يسجى إليه ، ومن يعلق الناس عليه آمالهم فهم يسعون إليه .  
(٢) قوله « وللدهر دول » أي أن الدهر متقلب متحول .

- ٣ كيف يرجو المرء قوتاً للردى وهو في الأسباب رهنٌ مُحْتَبَلٌ  
 ٤ كلما خَلَفَ يوماً فمضى زاده ذلك قُرْباً للأجل  
 ٥ فَوْقَ الدَّهْرِ إلينا نَبْلُهُ حَلَّالًا يَقْصِدُنَا بَعْدَ نَهْلٍ  
 ٦ فهو يرمينا ولا نُبْصِرُهُ فَعَلَ رَامٌ رَامَ صَيْدًا فَخْتَلَّ  
 ٧ رُزْقَ الصَّيْدِ وَلَا قِيَّ غِرَّةٍ فَرَمَى مُسْتَمَكِنًا ثُمَّ قَتَلَ  
 ٨ فَلِذَاكَ الدَّهْرُ مَأْمُورٌ بِنَا فهو لَا يَخْفَلُ إِنْ شِئْ غَفَلَ

\* \* \*

- (٣) الأسباب : الحبال ، يريد حبال الموت . والمحْتَبَل : الذى وقع فى الحباله وهى شرك الصياد .  
 يقول : كيف يرجو الإنسان النجاة من الموت وهو رهن فى حباله ، واقع فى حباله ؟  
 (٥) فوق نبله : أى صوته ورمى به . والعلل : الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول ، يريد  
 أن حركة الدهر فى طلب الناس متواصلة لا تتوقف .  
 (٦) رام صيدا : أى طلبه . وختله : خادعه ليتمكن من صيده .  
 (٧) رزق الصيد : الضمير المستتر يعود على الرامى . والغرة : الفلة . يقول إن هذا الرامى أنجح له  
 صيد ، ووجد غفلة منه ، فرماه مستمكنا منه فقتله . ضرب ذلك مثلاً للقدر والإيمان .  
 (٨) مأمور بنا : موكل بنا ومكلف لا يقفل عنا .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٤ )

## من قصائد المرحلة الثانية

### منهج المنايا

\* \* \*

ندور هذه المقطوعة التي تتألف من سبعة أبيات حول حديث المصير المحتوم أيضا الذي دارت حوله المقطوعة السابقة ، ولكن الشاعر ينظر إلى هذا المصير من زاوية أخرى . إنه هنا يتخذ من التاريخ موضوعا للعظة والاعتبار ، ومجالا يتحرك فيه ليضرب الأمثال على فناء الحياة الذي بدأ مع بداية الحياة ، فمنذ نُوح حتى اليوم ومنهج المنايا واحد لا يختلف ، تسلكه قوافل البشر قافلة في إثر قافلة ، ولكن حركتها فوقه لانعرف لها قانونا يضبطها ، فالمرضى يموت ، وطيبه يموت ، وكذلك يموت السليم . ولكن الموت ليس النهاية ، فوراء الموت حياة أخرى فيها الوعد وفيها الوعيد . هكذا يصدر الشاعر عن إيمان عميق بالبعث انطلاقا من نصرانيته ، على عكس ما نراه عند غيره من الشعراء الوثنيين الذين كانت تراءى لهم فكرة البعث فوق تصورهم . والأبيات من بحر الخفيف الذي كثر ترده عند شعراء الحيرة .

\* \* \*

- ١ أين أهل الديار من قوم نُوح ؟ ثم عاد من بعدهم وشمود ؟
- ٢ أين آباؤنا ؟ وأين بنوهم ؟ أين آباؤهم ؟ وأين الجدود ؟

(١) عاد : قوم نبي الله هود . وشمود : قوم نبي الله صالح .

- ٣ سَلَكُوا مَنَهِجَ الْمَنَايَا فَبَادُوا وَأَرَانَا قَدْ حَانَ مِنَّا وَرُودُ  
٤ بَيْنَمَا هُمْ عَلَى الْإِسِيرَةِ وَالْأَذَى بِمِطٍ أَفْضَتْ إِلَى التَّرَابِ الْخَدُودُ  
٥ ثُمَّ لَمْ يَنْقِضِ الْحَدِيثُ ، وَلَكِنْ بَعْدَ ذَا الْوَعْدِ كُلُّهُ وَالْوَعِيدُ  
٦ وَالْأَطْبَاءُ بَعْدَهُمْ لِحَقْوِهِمْ ضَلَّ عَنْهُمْ سَعُوطُهُمْ وَاللَّدُودُ  
٧ وَصَحِيحُ أَصْحَى يَعُودُ مَرِيضًا وَهُوَ أَدْنَى لِلْوَيْتِ تَمْنَنُ يَعُودُ

\* \* \*

- (٣) المنهج : الطريق . وبادوا : هلكوا .  
(٤) الأتمط : البسط ، جمع تمط . وأفضت : انتهت .  
(٥) الوعد : الثواب . والوعيد : العقاب . والبيت يمتس إيمان الشاعر المسيحي بالبعث والحساب والثواب والعقاب .  
(٦) السعوط : الدواء يصب في الأنف . واللدود : الدواء يصب في الفم .  
(٧) يعود مريضاً : أى يزوره . وواضح أن معاني الأبيات هي نفسها المعاني التي تروث كثير في شعر أبي النعمان بعد ذلك .

\* \* \*

يوسف خليف

## الْمُنْخَلُ الْيَشْكُرِي

\* \* \*

هو المنخل بن مسعود (أو ابن عبيد) بن حاصر بن ربيعة بن عمرو اليشكري .  
وهو شاعر جاهل قديم . كان يشبّه بهند أخت الملك عمرو بن هند ، وكان يتم  
كذلك في زوجته ، وكان نديماً للنعمان بن المنذر ، وكان النعمان دميماً أبرش  
قييماً ، وكان المنخل من أجمل العرب ، وقد اتهم كذلك في « المتجرّدة » زوجة  
النعمان ، ويتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل ، فقتله النعمان ،  
وقيل حسبته ثم غمض خبره فلم تعلم له حقيقة ، ويقال إنه دفنه حياً أو أغرقه .  
والعرب تضرب به المثل ممن هلك ولم يعلم له خبر .

والقصيدة المختارة يوجه فيها الشاعر خطابه إلى العاذلة ، يريد بها أن تفارقه  
إلى العراق ، وأن لا تنظر إلا إلى حسبته وكرمه ، ويصف لها جوده في زمان  
الجدب ، وينعت لها فوارس قومه الذين يُقَرُّ عينه بهم وبالكواعب اللاتي  
يعابهن ، ويجرى معهن في الهوى والغزل . ويصف لها كيف بادل إحداهن  
الحب حتى لقد كان بين بعيه وناقته من ذلك ما يكون بين البشر . ثم يصف  
حالي صحوه وسكره .

\* \* \*

## يَا هُنْدُ

\* \* \*

- ١ إِنْ كُنْتَ عَاذِلْتِ فِيسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحْوَري
- ٢ لَا تَسْأَلِي عَنِ جُلِّ مَا لِي وَانْظُرِي حَسْبِي وَخَيْرِي
- ٣ وَإِذَا الرِّيحُ تَكَشَّثَتْ بِجَوَانِبِ الْبَيْتِ الْكَبِيرِ
- ٤ أَلْفَيْتَنِي هَشَّ النَّدى بِشَرِيحِ قِدْحِي أَوْ شَجِيرِي

\* \* \*

- ٥ وَفَوَارِسَ كَأَوَارٍ حَرَّالٍ نَارَ أَحْلَاسِ الذِّكْرِ
- ٦ شَدُّوا دَوَابَرَ بَيْضِهِمْ فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ
- ٧ وَاسْتَلَامُوا وَتَلَبَّيُوا لِمَنْ التَّلَبُّ لِلْغَيْرِ

(١) لا تحورى : لا ترجعى .

(٢) الخير (بكسر الخاء) : الكرم .

(٣) تكشثت : أسرعت .

(٤) الشريح : أن تشق الخشبة نصفين فيكون أحد الشقين شريح الآخر . الشجير : قدح يكون مع القداح غريبا ، وهو المستعار الذى يمين بفوزه . يقول : ألفتيتى فى هذا الوقت من الشناء أضرب بقدحى واستعير قدحا أضرب به فى الميسر .

(٥) الأوار : الوجع . الأحلاس : جمع حلس وهو كل شئ ، ولما ظهر الدابة تحت المرح ونحوه . تقول فلان من أحلاس الخيل أى يلزم ظهورها .

(٦) البيض : قلانس الحديد . دوابرها : متأخريها . القتير : مسامير الدروع ، وإنما يشدون للبيض إلى الدروع خشية سقوطها .

(٧) استلاموا : لبسوا اللامعة ، وهى السلاح أو الدرع . تلبىوا : لبسوا السلاح كله .



٨ وعلى الجياد المضمرا ت فوارس مثل الصقور

٩ يخرجن من خلل الغيا ريجفن بالنعم الكثير

\* \* \*

١٠ أقررت عيني من أولك والفوائح بالعير

١١ يرفقن في المسك الذكي (م) وصالك كدم التحير

١٢ يعكفن مثل أساود ال تنوم لم تعكف لزور

١٣ ولقد دخلت على الفتا في الحدر في اليوم المطير

١٤ الكاعب الحسناء تر قل في الدمقس وفي الحوير

١٥ فدفعتها فتدافعت مثنى القطاة إلى الغدير

١٦ ولثمها فتنفست كتنفس الظبي البهير

١٧ قدنت وقالت يا منخذ (م) مل ما يجسمك من حرور

١٨ ماشف جسمي غير حب (م) يك فاهدني عني وسيري

١٩ وأحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري

\* \* \*

(٩) يرجفن : يسرعن ، من الوجيف وهو ضرب مريع من السير . والنعم : الإبل والشاة .

(١٠) العير : أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران . الفوائح : اللان يفج منهن الطيب .

(١١) الصالك : اللازق ، أراد به الطيب . التحير : المنحور .

(١٢) يعكفن : يشعلن شعرهن ويضفرن . الأساود : الحيات ، جمع أسود شبه بها الضفائر .

التنوم : شجر . الزور : الباطل . يريد أنهن صفيقات لا يترين لريبة .

(١٦) البهير : من « البهر » وهو ما يعثر الإنسان عند السعي الشديد والعدو من النهج وتتابع النفس .

(١٧) الحرور : الحر .

(١٨) شفه : أهزله وأضمره حتى رق .

- ٢٠ يا رَبِّ يَوْمَ لِلنَّحْزِ (م) لِي قَدْ لَمَّ فِيهِ قَصِيرِ  
 ٢١ فَاِذَا اَنْتَشَيْتُ فَاِنِّى رَبُّ الْخَوْرَثِى وَالسَّيْرِ  
 ٢٢ وَاِذَا صَحَوْتُ فَاِنِّى رَبُّ الشَّوْهِةِ وَالْبَعِيرِ  
 ٢٣ وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَا مَةَ بِالْقَلِيلِ وَبِالكَثِيرِ  
 ٢٤ يَا هِنْدُ مَنْ لِمَتِّمْ يَا هِنْدُ لِلْعَانِى الْاَسِيرِ ؟

(٢١) اَنْتَشَيْتُ : سَكَت . الْخَوْرَثِى وَالسَّيْرِ : قَصْرَانِ لِدَاكِ النِّعْمَانِ بِالْحَبْرَةِ .

(٢٤) الْعَانِى : الْاَسِيرُ .

\* \* \*

سَيِّدُ حَنْفَى

## النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي

\* \* \*

يعد النابغة الذبياني أحد الشعراء الأربعة الكبار الذين يتفق الرواة والباحثون على أنهم أكبر شعراء العصر الجاهلي ، وأعمقهم أثرا في حركة الشعر فيه ، والثلاثة الآخرون هم امرؤ القيس وزهير والأعشى . ويضعه بعض الرواة بين أصحاب المعلقات العشر .

ويرجع نسبه إلى قبيلة ذبيان النعطفانية التي تنتمي إلى مجموعة قبائل قيس حيلان ، وكانت تنزل في شمالي نجد وشرقي يثرب ، وكان النابغة من أشرف ذبيان وبيوتاتهم الكبيرة .

والنابغة لُقِّبَ لُقْبَ به ، أما اسمه فهو زياد بن معاوية . وقد اختلفت الرواة في تعليل هذا اللقب ، فقالوا إنه لُقِّبَ به لقوله في بعض شعره « فقد نَبَّهْتُ لَنَا منهم شُؤُونَ » ، وقالوا لأن موهبته الفنية لم تظهر إلا بعد أن كبر وتقدمت به السن . وفي أغلب الظن أنه لقب به لبوغه في الشعر وتفوقه فيه .

وكما هو الشأن مع أكثر شعراء الجاهلية ليس من اليسير أن نحدد تاريخ مولده ووفاته ، ولكن من المعروف أنه كان معاصرا لحرب داحس والغبراء التي دارت رحاها بين قبيلته وقبيلة عبس في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي وأوائل السابع ( ٥٦٨ - ٦٠٨ ) ، وإن يكن من الواضح أنه لم يشهد نهايتها التي شهدها زهير ونظم فيها معلقته المشهورة . ومن هنا نستطيع أن نؤكد أنه مات قبل سنة ٦٠٨ ، وربما كان التاريخ الذي ذكره جرجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » عن سنة وفاته - وهو سنة ٦٠٤ - قريبا إلى الواقع .

ولا نعرف كثيرا من نشأة النابغة الأولى وشبابه ، وإنما نراه — أول ما نراه — شاعرا كبيرا متصلا ببلاط المتأذرة بالحيرة في أيام حكم النعمان بن المنذر الملقب بأبي قابوس ( ٥٨٠ — ٦٠٢ ) اتصالا ارتفع به إلى أن يكون الشاعر الأول في بلاطه بين الشعراء الكثيرين الذين كان هذا البلاط يروج بهم . وعاش النابغة في ظل النعمان يمدحه ويُشيد به ، والنعمان يحزل له العطايا والصلوات ، ويبالغ في إكرامه وتقريبه إليه حتى أصبح من ندمائه المقربين إليه في مجالس شرا به . ولكنه — لسبب من الأسباب — اضطُر إلى مغادرة الحيرة موليا وجهه شطر الملك عمرو بن الحارث الأصغر ملك الغساسنة بالشام .

وقد اختلف الرواة حول السبب الذي حمل النابغة على مغادرة الحيرة إلى الشام اختلافا كبيرا ، فقالوا إن ذلك يرجع إلى وشايات ودسائس ساكها منافسوه ليفسدوا ما بينه وبين النعمان حتى يخلوهم مكانه ، وقالوا إن ذلك يرجع إلى غضب النعمان عليه بسبب قصيدة وصف فيها المتجردة زوجة النعمان وصفا أثار ضيرة المُتَخَلِّ الشكرى الذى كان يهواها ، فسعى لدى النعمان حتى أوغر صدره عليه ، ففر النابغة من الحيرة قبل أن يُوقع به الملك .

ولكن المسألة — فى حقيقة أمرها — ترجع إلى أسباب سياسية أكثر مما ترجع إلى أى سبب آخر . فقد حدث أن الملك عمرو بن الحارث ملك الغساسنة أغار على قبيلة ذبيان وحلفائها من بنى أسد ، لأنهم تَجَرَّؤوا على بعض المناطق الحصينة التى كان يُقْرِض عليها حمايته فى ديار غطفان ، ورعوها بغير إذنه . وسبى الملك كثيرا من نساء ذبيان وأسد ، ويقال إن إحدى بنات النابغة كانت فى السبايا ، فرأى النابغة أن يتوسط لقومه عند الملك الغسانى . ونجحت سفارة النابغة ، وعفا الملك عن أسرى قومه ، ورد عليهم سباياهم ، فتوالت مدائح النابغة عليه ، وتوالت عطايا

الملك على النابغة . وظل النابغة في بلاط الغساسنة حتى مات الملك ، فرأى أن يعود إلى الحيرة ولكن النعمان كان فاضبا عليه لتوجهه إلى الغساسنة ومدحهم ، فقد كانت بين الإماراتين خصومات سياسية قديمة . ولم يجد النابغة بداً من أن يعتذر إلى النعمان ، فأخذ يبعث إليه بقصائده المشهورة في الأدب العربي بالاعتذاريات ، يوضح فيها موقفه ، ويدافع عن نفسه ، ويرد على وشايات الوشاة وكيد الحاسدين . وأخيرا انتهت الجفوة ، وعاد النابغة إلى البلاط الحيري ، وظل هناك حتى مات الملك بعد قليل .

\* \* \*

والنابغة من أكبر شعراء العصر الجاهلي ، وهو قمة شاعخة من قم مدرسة الصنعة الجاهلية . وقد بلغت منزلته الفنية بين شعراء عصره أن ارتضوه حكما بينهم في سوق عكاظ ، حيث كانت تُضرب له قبة حمراء متميزة ، ويأتيه الشعراء من شتى القبائل ليعرضوا عليه شعرهم .

وقد نظم النابغة في كل الموضوعات التي دار فيها الشعر الجاهلي ، ولكن شهرته تقوم أساسا على موضوعين : المدح والاعتذار . ويجعله النقاد المبتكر الأول لموضوع الاعتذار في الشعر العربي ، وواضع تقاليده الفنية ، كما يجعلونه الشاعر الذي ارتفع به أيضا إلى قمة الرفعة التي بلغها في العصر الجاهلي . ويأتي بعد هذين الموضوعين موضوع الوصف ، فهو الموضوع الثالث الذي برع فيه وسجل تفوقا وامتيازا ، ولكنه لم يكن يفرد له قصائد مستقلة ، وإنما كان يأتي عنده — كما كان يأتي عند غيره من شعراء عصره — في ثنايا قصائده . ولم يقف النابغة في وصفه عند الصحراء ومناظرها فحسب ، وإنما كان أحيانا يمدّه إلى وصف الحياة المتحضرة التي كان متصلا بها في الحيرة من ناحية ، وفي الشام من ناحية أخرى .

والناطقة — ككل شعراء مدرسة الصنعة — ينظر إلى العمل الفني على أنه صنعة يفرغ لها كما يفرغ الصانع لعمله ، يجوده ويتقنه ، ويظل عاكفا عليه يعيد فيه النظر ، ويطيل فيه التفتيش ، حتى يخرج على الصورة الدقيقة المحككة التي يريد لها ، في أناة شديدة ، وتجويد بالغ ، وحرص واضح على تهذيب عباراته ، وانتقاء ألفاظه ، وإحكام صوره . ومع أنه في لغته كسائر شعراء عصره غرابة وبداءة ، فإن اتصاله الطويل بالحياة الحضارية في الحيرة والشام أكسبه ذوقا رقيقا مرهفا في انتقاء الألفاظ لعباراته ، واختيار الأوضاع والزوايا لصوره ، كما طبع شعره في غير قليل من جوانبه بطابع حضارى ، وتشرفيه غير قليل من الأفكار والعصور المسيحية ، وبخاصة في قصائده التي نظمها في أمراء الغساسنة الذين كانوا يدينون بالمسيحية .

\* \* \*

يوسف خليف

## من المدح الحربى

\* \* \*

ومن الصور المدحجية التى عُرف بها النابغة وعُرفت عنه ما صاغه فى تلك القصيدة البائية التى رسم فيها لوحة فنية أساسها الطابع الحربى فى شخص ممدوحه الحارث القسائى ، وعلى عادة شعراء المدح ، وهو واحد من المؤسسين لهذا الفن على سبيل الاحتراف والتكسب ، بدأ البائية بحديث بالك يشكو فيه إلى أميمة طول ليله الذى لم يعد يشف إلا عن تلك المعاناة ، وذلك الألم والحلم الذى تكاثر عليه ، حتى ضاق به ، وكأن الأمل قد انقطع إزاء انقضاء هذا الليل .

وهو ينتهى من هذا الحديث الوجدانى الذى يسقط من خلاله همومه وآلامه لينطلق إلى ممدوحه ، معترفا بفضلله ونعمته عليه ، مؤكداً هذا الاعتراف بصيغ قسمية يصل بها بين حديث الاعتراف وحديث المدح الحربى الذى يؤصل فيه للنسب ممدوحه ، وسيادته فى قومه ، مما يترتب عليه ثقته المطلقة فى انتصاره على أعدائه ، وهو انتصار لا يتأتى له إلا بقوة جيشه ، من جند يتمتعون بأصالة الانتماء التى يتمتع بها ممدوحه ، إلى خيول عربية لا يشك أحد فى أصالتها وصفوة نسبها ، إلى سيوف ورماح دقيقة الصنع كأنها لم تكن إلا لهؤلاء القوم فقط ، وهى أليست جديدة عليهم ، ولكنها عريقة النسب بنفس الصورة التى يضيفها عليهم النابغة ، وقد أثرت عراقة نسبها فى صلابتها وقوتها ، فهى موروثه عبر أيام طوال لم تشهد فى تلك السيوف عيباً

واحدا إلا ذلك التكسر الذى ينم عن شيء واحد ، هو كثرة كاترة فيمن أصيب بها من أعداء الممدوح ، وحسبها هذا التكسر أصالة ورمزا لقوتها وقوة الممدوح على السواء .

\* \* \*

- |   |  |  |
|---|--|--|
| ١ | كَلَيْنِي لِمَ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ            | وليلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَائِبِ          |
| ٢ | تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بُمُنْقِضٍ        | وليس الذى يَرْمَى النُّجُومَ بَأَيِّبِ         |
| ٣ | وَصَدِيرِ أَرَاخَ اللَّيْلِ حَازِبٍ هَمِّهِ      | تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ   |
| ٤ | عَلَى لَعْمَرٍ نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ          | لِوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ         |
| ٥ | حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ       | وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنَ ظَنٍّ بِصَاحِبِ     |
| ٦ | لَئِنْ كَانَ لِلْقَبْرِينِ : قَبْرٌ يَجْلِقِ     | وَقَبْرٌ بِصَيْدَاءَ الَّتِي عِنْدَ حَارِبِ    |
| ٧ | وَالْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ       | لِيَلْتَمِسَنَّ بِالْجَيْشِ دَارَ الْمُحَارِبِ |
| ٨ | وَنُفْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِنْ قِيلَ قَدْ فُزْتُ | كَتَابُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ         |

- (١) كَلَيْنِي : دعيتى واتركيتى . نَاصِبٍ : متعب ومرهق . أَقَاسِيهِ : أقام منه . تَطَاوَلَ : زاد فى طوله نتيجة الحزن والمكابدة .
- (٢) مُنْقِضٌ : منته . يَرْمَى النُّجُومَ : يقصد الصبح (يشبهه براعى الإبل يحمله على السير) .
- (٣) أَرَاخَ : أريج ورد . حَازِبٍ : شارد أو بعيد .
- (٤) غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ : يقصد يميننا صادقة لا يشوبها كذب .
- (٥) جَلِقَ : دُمِشَقَ . صَيْدَاءَ : مدينة بالشام .
- (٦) الْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ : هو والد الممدوح نسبة إلى آل جفنة وهم النساسنة . دَارَ الْمُحَارِبِ : دار الخضم الذى يحاربه .
- (٧) الْأَشَائِبُ : حشاشة وهم الأخلاط الذين لا يجمعهم نسب أو قرابة . دُنْيَا : يقصد الأقربين .
- (٨) عَمْرُونُ عَامِرٌ : من الأزد وهم أقارب النساسنة .



٩. بنو عمه دُتَيْبًا وعمرو بن عامر  
١٠. إذا ما غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ  
١١. يَصَانِعُهُمْ حَتَّى يُغْرِنَ مَغَارَهُمْ  
١٢. تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ نُحْرًا عِيُونُهَا  
١٣. جَوَانِحُ قَدْ أَيقَنَ أَنَّ قَيْسِلَهُ  
١٤. لَمَنْ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَاهَا  
١٥. عَلَى حَارِقَاتٍ لِلطَّعَانِ عَوَابِسُ  
١٦. إِذَا اسْتَنْزَلُوا لِلطَّعْنِ عَنْهُمْ أَرْقَلُوا  
أولئك قومٌ بأسهم غيرُ كاذِبٍ  
عصائبٌ طَيْرٌ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ  
من الضَّارِيَاتِ بِالْدمَاءِ الدَّوَارِبِ  
جلوسَ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ المَرَانِبِ  
إذا ما التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلَ غَايِبِ  
إذا عُرِضَ الخَطِيُّ فَوْقَ الكَوَاتِبِ  
يَهِنُ كُؤُومٌ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ  
إِلَى المَوْتِ إِرْقَالُ الْجَمَالِ المَصَاعِبِ

(٩) العصائب عصابة وهي الجماعة . تهتدى : تسير متتابعة تهتدى كل مجموعة بالأخرى التي

تسير أمامها .

(١١) الضاريات : المتعدات المولعات . الدوارب : المتدربات المتبرعات .

(١٢) المranبج مرتباني وهو ثوب لونه كلون الأرنب . نخرا : ج نخراء وهي ضيقة العين

أو التي تقبض أجفانها لتحدد النظر .

(١٣) جوانحج : مائلات الوقوع . قبيلة : جمعه وجيشه . عرض : وضع بالعرض .

(١٤) الخطي : المنسوب إلى بلد الخط في البحرين وقد اشتهرت بصنع الرماح الجليلة . الكواتبج

كأية وهي الجزء الذي يقع أمام السرج من جسم الفرس .

(١٥) حارقات : خيول صابرة قادرة على تحمل طعان الأعداء . الطعان : الضرب بالرمح .

عوابس : يسدو على وجهها الغضب . الكلوم : الجاروح . الجالب : اليابس الذي نشأت

عليه قشرة .

(١٦) استنزوا : اضطروا إلى النزول . أرقلوا : أسرهموا . المصاعب : الجمال القوية الشديدة .

المنية : الموت .

- ١٧ فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ الْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ      بِأَيْدِيهِمْ يُبِضُّ رِقَاقُ الْمَضَارِبِ  
١٨ يَطِيرُ فِضَاضًا بَيْنَهُمْ كُلُّ قَوْنَسٍ      وَيَتَّبِعُهَا مِنْهُمْ فِرَاشُ الْحَوَاجِبِ  
١٩ وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ      بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ  
٢٠ تُورِّثُنْ مِنْ أَزْمَانٍ يَوْمَ حَلِيمَةٍ      إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جَرَّبَنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

(١٧) يتساقون : يسبق بعضهم بعضا ، البيض : السيوف . المضارب ج مضرب وهو حد السيف .  
رقاق المضارب : يكفى بها عن حدة السيوف .

(١٨) فضاضا : متفرقا . القونس : أعلى الخوذة ( البيضة ) . فراش الحواجب : أراد فراش  
الجمجمة وهي العظام الرقيقة في أسفل الجمجمة .

(١٩) الفلول : جمع فل وهو الكسر في حد السيف . القراع : المضاربة بالسيوف .

(٢٠) يوم حليلة : بين المنذر الثالث ملك الحيرة وبين الحارث بن جبلة ملك الغساسنة والد حليلة  
التي كان يقال إنها كانت من أجمل نساء العصر الجاهلي .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

( ٢ )

## المتجرّدة

\* \* \*

قال يصف المتجرّدة، وكان في بعض دخلاته على النعمان قد فاجأته فسقط  
نصيفها عنها ، فنطّت وجهها بمعصمها ، فقال النابغة وكنى عنها :

- ١ أَمِنْ آلِ مِئَةٍ رَأَيْتُ أَوْ مُنْتَدٍ عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مَزُودٍ
- ٢ أَفَدَّ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رَكَابَنَا لَمَّا تَزُولُ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِيدَ
- ٣ زَعَمَ الْغُرَابُ بِأَنْ رَحَلْتَنَا غَدًا وَبِذَلِكَ تَنْعَابُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ
- ٤ لَا مَرْحَبًا بَعْدَ وَلَا أَهْلًا بِهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأُجْبَةِ فِي غَدِ
- ٥ حَانَ الرَّحِيلُ وَلَمْ تُوَدِّعْ مَهْدَدًا وَالصَّبِيحُ وَالْإِمْسَاءُ مِنْهَا مَوْعِدِي

(١) يخاطب الشاعر نفسه فيقول : أرايح أنت من آل مئة أو منتد ، أى أتروح اليوم أم تغتدى  
غدا ، وقوله : (عجلان) من العجلة . وقوله : (ذا زاد وغير مزود) ، يريد أتروح زودت أم لم  
تزود ، وأراد بالزاد ما كان من تحية ورد سلام ووداع ونحو ذلك .

(٢) (أفدّ الترحل) : أى دنا الرحيل وقرب . (وكان قد) : أى قد زالت لقرب وقت زوالها  
ودنوه .

(٣) (زعم الغراب) : يعنى أن الغراب نعب فأندرب بالرحيل ، وكانوا يتطيرون به ، ويسمونه  
حاتما ؛ لأنه يحتم عندهم بالفراق . والرحلة : الارتحال . والتنعاب والتعيب أن يصوت ويمد عنقه .  
(٥) مهدد : اسم جارية ، ويحتمل أن يريد بها (مئة) ، وقد يسمون المرأة فى أشعارهم  
باسمين وأكثر من ذلك ؛ أساعا وعجازا . وقوله : (والصبح والإمساء منها موعدى) ، أى لا موعد بيني  
وبينها يكون فيه اجتماع إلى آخر الدهر ، وكنى بالصبح والإمساء عن مدة الدهر ، ولم يرد صبحا ومعينا  
ولا إمساء مخصوصا ، وهذا كما تقول : موعد اجتماعنا الأبد ، والليل والنهار ، تريد آخر الدهر .

- ٦ في إثر غانية رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أن لم تقصد  
 ٧ غنيت بذلك إذ هم لك جيرة منها بمطف رسالة وتودد  
 ٨ ولقد أصاب فؤاده من حبها عن ظهر مرنان بسهم مصرد  
 ٩ نظرت بمقلة شادن مترب أخوى أحسم المقتلين مقلد  
 ١٠ والنظم في سلك يزين نحرها ذهب توقد كالشهاب الموقد

(٦) (في إثر غانية) ، أى حان الرحيل بعد أن عرضت لك هذه الجارية ورمتك بسهمها ،  
 أى أودعت قلبك حبها . والغانية : التى غنيت بجمالها . وقوله : ( غير أن لم تقصد ) ، أى لم تهلك  
 حين رمتك فتسريح ، يقال : رماه فأقصده ، إذا قتله .

(٧) (غنيت بذلك) ، أى أقامت وعاشت بما أودعتك من حبها . (إذ هم لك جيرة) ، يريد  
 إذ كان حبه وحيا متجاورين في زمن الربيع ، فكانت تعرض له ، وتمطف عليه الرسائل ، وتودد  
 إليه . وقوله : ( بمطف رسالة ) ، أى أقامت بذلك مع عطف الرسائل . والباء بدل من (مع) .  
 وقوله (منها) ، أراد بمطف رسالة منها .

(٨) (ولقد أصاب فؤاده) ، يريد ولقد أصاب ذلك المهم الذى رمته به من حبها بسهم  
 مصرد ، أى أصابه من نفسه بسهم مصرد نافذ . يقول : لقد أصابه هذا الأمر بأمر منك شديدا .  
 والمرنان : مفعال من الرنين ، وهو صوت القوس عند الرمي ، يريد رمتنا عن ظهر قوس ، يريد عند  
 الرمي و لشدة وترها ، وذلك أنفذ للسهم . والمصرد : المنفذ . ويقال : صرد المهم ، وأصردته أنا ،  
 إذا أنفذته .

(٩) الشادن من أولاد الظباء : الذى قد شدن وقوى على المشى . والمترب : المحبوس . فى  
 البيت ، الحزين . والأخوى : الذى به شطنتان سوداوان وكذلك الظباء . والمقلد : الذى زين بالحلى  
 وقلائد القز أو شبه الغزال ربه الجوارى وزينته ، بحسن عيقها وسوادهما ، وطول عنقها ، ووصف  
 الغزال بما يزيد فى حسنه من جعل الحلى عليه ؛ ليكون ذلك أبلغ فى التشبيه . والأحسم : الأسود .

(١٠) (والنظم فى سلك) ، يصف أنها ذات نعمة وحلى . والنظم : اسم المنظوم . والسلك :  
 خيط النظام . وقوله : ( ذهب ) تفسير للنظم . والشهاب : النار ؛ شبه الذهب به ، فى بريقه .

- ١١ صفراء كالسبياء أَكَلْ خَلَقَهَا كالغصن في غُلُوَانِه المتأود  
 ١٢ والبطن ذو عَكَنٍ لطيف طَيْهٍ والنحر تنفجُه بِشَدِي مُقَعَد  
 ١٣ مَخْطُوطَةٌ الْمُتَنِينِ غَيْرُ مُفَاضِيَةٍ رِيًّا الرَوَادِفِ بَضَّةُ الْمُتَجَرَّد  
 ١٤ قَامَتْ تَرَاوِي بَيْنَ تَتَجَقَّى كَلَّيَةٍ كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالْأَسْعَدِ  
 ١٥ أَوْدَرَّةٌ صَدْفِيَّةٌ غَوَاصُهَا بِهِجٌ مَتَّى يَرَاهَا يُهَلُّ وَيَسْجُدُ  
 ١٦ أَوْدُمِيَّةٌ مِنْ مَرَمَرٍ مَرْفُوعَةٍ بُنِيَتْ بِأَجْرٍ يُشَادُ وَقِرْمَدُ

(١١) قوله : ( صفراء ) يعني أنها تملأ بالزعفران ، وتنطوب به ، وصفها بالنمة . والسبياء : الحرية الصفراء ؛ شبهها بها لصفرة الطيب ، ولين بشرتها ولطافتها . والغلواء : ارتفاع الفصن ونماؤه . والمتأود : المتنى ؛ لعلوه ونعمته ، وشبهها به لكآل طولها ونعمتها وتنبتها .

(١٢) ( والبطن ذو عكن ) ، أى مهفهقة خميصة البطن ، ولو كانت مفاضة عظيمة لم يكن لها عكن . و ( النحر تنفجه ) ، أى تملأ وترفعه ، و ( شدي مقعد ) ، أى تآق على النحر أو قاعد لم يشن بعد . (١٣) قال الأصمى : ( مخطوطة ) ، أى ملساء الظهر غير متقبضة الجلد ؛ لأن الظهر أسرع الجسد تقبضا . والمفاضة : الواسعة البطن . و ( الريا ) المثلثة ؛ وأصله من رى الماء . والبضة : الناعمة البيضاء . والمتجرد : الجسم المجرد ، أى إذا جردتها رأيتها بضة الجسم ناعمتها . والمتنان : لحمتا الظهر من يمين الفقار وشماله .

(١٤) قوله : ( قامت تراوي ) ، أى تعرض لنا قعما وتظاهرا . والسيف : السرا المشقوق الوسط ؛ وشبهها بالشمس لإشراقها وحسنها . وجعل طلوع الشمس بالأسعد ( برج الحمل ) ليكون ذلك أتم للتشبيه ، وأبلغ في الوصف .

(١٥) الصدف : الحمار ؛ ونسب الدرة إليه . والبهج : الفرع المبرور بهذه الدرة لنفاستها . وقوله : ( يهل ويسجد ) ، أى يرفع صوته بالحمد لله والثناء ، ويسجد له شكرا لما وهبه منها . وشبه المرأة بالدرة في صفاتها ورقة بشرتها .

(١٦) قوله : ( أودمية من مرمر ) ، الدمية : التمثال والصورة . والمرمر : الرخام . وقوله : ( يشاد ) ، يبنى ويرفع بالشيد ، وهو الجص . والقرمد : نزف مطبوخ مثل الآجر ؛ شبه المرأة بصورة رخام لها قاعدة رفعت عليها ؛ وذلك أصون لها ، وأبهى لمنظرها .

- ١٧ سَقَطَ الذَّصِيفُ ولم تُرَدِّ لِسْقَاطُهُ      فَنَسَاوَلَتْهُ وَانْتَقَتْنَا بِالْيَدِ  
١٨ بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بِنَانَهُ      عَنَّمْ عَلَى أَشْجَارِهِ لَمْ يُعْقَدْ  
١٩ نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا      نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وَجْهِ الْعَوْدِ  
٢٠ تَجَلَّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيْكَةً      بَرَدًا أَسْفَ لِسَانَهُ بِالْإِثْمِدِ  
٢١ كَالْأَخْوَانِ غَدَاةً غَبَّ سَمَائِهِ      جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى

(١٧) النصف : نصف نمار أو نصف ثوب ؛ يصف أنه فاجأها فسقط نصفها ، ففطت وجهها بمصمها .

(١٨) قوله : ( بمخضب رخص ) ، أى انتقتنا بمعصم مخضب أو بمضو مخضب ، معنى كفها .  
والبنان : الأصابع المخضوبة . والعنم : شجر أحمر الثمر ينبت في جوف السم ( الشجر ) أشبه شئ  
بالأصابع المخضوبة . و ( عنم على أشجاره لم يعقد ) أى هو أين مرسل غير معقود .

(١٩) يقول : نظرت إليك نظرا ضعيفا لا تقدر معه على الكلام ، أى نظرت نظرا خائفا مراقب ،  
وأرادت كلامك — وهو حاجتها — فلم تقدر على ذلك ، خشية الرعباء ؛ ومثله قول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها      إشارة محزونة ولم تكلم

وقوله : ( لم تقضها ) ، معنى المرأة لم تقدر على الكلام خافة أهلها ، فهى كالسقيم الذى ينظر إلى  
من يعود بطرف فاتر ضعيف ، ولا يقدر على الكلام .

(٢٠) قوله : ( تجلو بقادمتي حمامة ) ، يقول : إذا تبسمت كشفت عن أسنان كأنها برد ؛  
لبياضها وصفائها . والقادمتان : الريشتان الثتان في مقدمتي الجناحين ؛ يعنى أن في شفتيها لسا وحوه .  
وهو صمرة في الشفتين ، وهما لطيفتان براقتان ؛ فشبههما بالقادمتين لذلك . وأراد بالحمامة القمرية ؛ وخص  
القادمتين لأنهما أشد سوادا من سائر الريش . وقوله : ( أسف لثاته ) ، أى ذر الإثم على لثاتها .

(٢١) الأخوان : نبت له نور أبيض وسطه أصفر ؛ فشبه الأسنان بياض ورقه . وقوله :  
( غداة غب سمائه ) ، السماء : المطر . وغب الشئ : بعده . وقوله : ( جفت أعاليه ) ، أى مطر  
ليلا فنى المطر ما عليه من الغبار ، وصفا لونه ، ثم جف الماء من أعلاه ؛ فاشتد بياضه وحسن ،  
وارتوى أصله من ذلك المطر ، فغذى أعلاه فاشتد بياضه .

- ٢٢ زَعَمَ الْهَمَامُ بَأْتٌ فَاهَا بَارِدٌ عَذِبٌ مُقْبِلُهُ شَهَى الْمَوْرِدِ  
 ٢٣ زَعَمَ الْهَمَامُ - وَلَمْ أَذْقُهُ - أَنَّهُ عَذِبٌ إِذَا مَا ذُقْتُهُ قَلَتْ : أَزْدَدَ  
 ٢٤ زَعَمَ الْهَمَامُ - وَلَمْ أَذْقُهُ - أَنَّهُ يُشْفَى رِيًّا رِيْقَهَا الْعَطَشُ الصِّدَى  
 ٢٥ أَخَذَ الْعَذَارَى عِقْدَهُ فَتَنَظَّمَنَّهُ مِنْ لَوْلُؤٍ مُتَابِعٍ مُتَسَرِّدٍ  
 ٢٦ لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبْدَ الْإِلَهِ صُرُورَةٍ مُتَعَبِّدٍ  
 ٢٧ لَرَأَى لَرُؤَيْهَا وَحُسْنَ حَدِيثِهَا وَلِحَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ  
 ٢٨ بَتَكَلُّمٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ لَدَنَّتْ لَهُ أَرْوَى الْهَضَابِ الصُّخْرُودِ  
 ٢٩ وَبِفَاحِمٍ رَجُلٍ أَثْبِتَ نَبْثَهُ كَالْكَرَمِ مَالٍ عَلَى الدَّعَامِ الْمُسْنَدِ

(٢٢) قوله : (زعم الحمام) ، يعنى الثمان بن المنذر ؛ لأنه كان يصف امرأته المتجردة .  
 والهام : السيد ، سمي بذلك لأنه إذا هم بأمر أمضاء ، ويقال : سمي به لبعده عنه .

(٢٤) الريا : الریح الطيبة . والصدى : الشديد العطش .

(٢٥) المتسرد : الذى يقيع بعضه بعضا ، يقال : مرد الحديث ، إذا والى بينه وتابيه ، وصف  
 أنها ذات حل ونعيم ، وأن العذارى يخدمها .

(٢٦) الأشمط : الأشيب . والصرورة : اللازم لصومعته . وقيل أيضا : الصرورة ها هنا  
 الذى لا يأتى النساء ، وقيل : هو الذى لم يذنب قط .

(٢٧) قوله : (لنا لرؤيتها) ، أى لو عرضت لهذا الراهب الأشيب الذى لا يعرف النساء  
 لأدام النظر إليها ، ولأعرض عما هو فيه من عبادته ؛ إعجابا بها ، واستعذابا لحسن حديثها ، ولظن ذلك  
 رشدا ، ولم يرفيه حرجا وإن لم يكن فيه رشد .

(٢٨) الأروى : إناث الوحول . والصخرود : الملس . صخرة صيخود ، أى لمساء . وقيل :  
 الصخرة المتصبية .

(٢٩) قوله : (وبفاحم رجل) ، يعنى الشعر . والفاحم : الشديد السواد ؛ مأخوذ من  
 الفحم . والأثيث : الكثير الذى ركب بعضه بعضا . والرجل : الرجل المشوط . وشبه الشعر  
 فى طوله وغزارته بالكرم المائل على الدعائم . والمسند : الذى رفيع وأسند بعضه إلى بعض . واحد  
 الدعام : دعامة .

٣٠. وإذا لَمَسَتْ لَمَسَتْ أَجْثَمَ جَائِمًا      مُتَحَيِّرًا بِمَكَانِهِ مَلَأَ الْيَدِ  
 ٣١. وإذا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدِفٍ      وَابِي الْحَجَّسَةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرَّمِدِ  
 ٣٢. وإذا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عَنْ مُسْتَحْصِفٍ      نَزَعَ الْحَزُورِ بِالرِّشَاءِ الْمُحْصَدِ  
 ٣٣. وإذا يَعْضُ تَشْدُهُ أَعْضَاؤُهُ      عَضَّ الْكَبِيرِ مِنَ الرِّجَالِ الْأُذْرَدِ  
 ٣٤. لا وَاوَدُّ مِنْهَا يُحَوِّرُ لِمَصْدَرٍ      عَنْهَا وَلَا صَايِرٌ يُحَوِّرُ لِمَوْرِدِ

(٣٠) الأجثم : المريض في ارتفاع . والجائم : الذي اتسع موضعه وتمكن ، وأصل الجائم : الرابض اللاصق بالأرض . وقوله : (متحيزا بمكانه) ، أى قد جاز ما حوله وبرز .

(٣١) المستهدف : المرتفع . والعير : هو الزعفران . والمقرمد : المطلق بالقرمد ؛ يعنى أنه يطلى بالزعفران كما يطلى الخوض والبناء بالقرمد . والزاي : المرتفع . والزبوة : ما ارتفع من الأرض .  
 (٣٢) أصل النزاع جذب الدلو من البئر ، فضربه مثلا . والمستحصف : الشديد ، الضيق ، والقليل البلل . وقوله : (الحزور) ، أى جذبة الدلو بالرشاء ، وهو الحبل . والمحصد : الشديد الفتل .  
 والحزور هنا الغلام القوى .

(٣٤) قوله : (لا واد منها يحور لمصدر) ، يقول الذى يريد هذه المرأة ، أى ينال منها لا يريد بذلك بدلا ، فيصدر عنها ، وكل الذى يصدر عنها لا يريد أيضا منها بدلا ، فيصدر ليريد غيرها .  
 وأصل الورد والصدر فى الماء ، فضربه مثلا . ومعنى (يحور) : يرجع .

\* \* \*

سعد درویش



( ٣ )

## المعلقة

\* \* \*

قال يمدح النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه بما بلغه عنه فيما وشى به بنو قريع  
في أمر المتجرّدة :

- |   |                              |                                |
|---|------------------------------|--------------------------------|
| ١ | يادارميّة بالعلياء فالسند    | أقوت ، وطال عليها سالف الأيد   |
| ٢ | وقفت فيها أصيلاً أسائلها     | حيث جواباً ، وما بالربع من أحد |
| ٣ | إلا الأواريّ لآياً ما أئينها | والنوى كالحوض بالظلومة الجلد   |

(١) إنما قال : ( يادارمية بالعلياء ) توجعاً منه ؛ لأنه كان معها ، مقياً بها في مرور ونعمة ،  
فمن مرتبهم ، ثم انقضى ذلك ؛ فجعل يخاطبها توجعاً منه لما رأى من تغيرها ، وتذكراً لما عهد  
منها . والعلياء : ما ارتفع من الأرض . والسند : سند الجبل ، وهو ارتفاعه حيث يستند فيه ، أى  
يصعد ، وإنما جعل الدار بالعلياء والسند ؛ لأنها إذا كانت في موضع مرتفع لم يضرها السيل ، ولا انهال  
عليها الرمل . وقوله : ( أقوت ) ، أى خلت من الناس وأفقرت . والسالف : الماضى . والأيد :  
الدهر .

(٢) قوله : ( وقفت فيها أصيلاً ) ، وصف أنه مر بالدار مشياً قصيراً ، فوقف فيها وسألها  
عن أهلها ؛ توجعاً وتذكراً . وأصيلان : تصغير أصيل وهو العشى ؛ وإنما صغره ليدل على قصر الوقت ،  
وأنه لشدة حزنه وتوجعهم لم يمنعه ضيق الوقت وقصره من الوقوف بالدار ، والسؤال عن أهلها . وقوله :  
( حيث جواباً ) ، أى حيث بالجواب فلم تجبني . والربع : منزل القوم ؛ وكأنه سمى بذلك لإقامتهم فيه  
زمن الربيع .

(٣) الأواري : محابس الخيل ومرابطها ، واحدها آرى . والنوى : حاجز من تراب حول الخلاء  
لتلا يدخله السيل . والظلومة : الأرض التي لم تمطر بغائها السيل فلا لها . والجلد : الأرض الصلبة .  
يقول : ليس في الدار شيء . إلا محابس الخيل ، قد خفى أثرها ، فلا أتيتها إلا بعد ببطء وبجهد —  
واللأى : البطء — وليس بها أيضاً إلا النوى ، ثم شبهه بالحوض في استدراكه . وإنما جعل النوى  
بالظلومة ؛ لأنها أرض صلبة ، والنوى والأوتاد أشد ثباتاً فيها ، وجعلها جلداً ؛ لأن الحفر فيها ليس  
بسهل ، فلم يعمق النوى ، فهو أشبه له بالحوض .

- ٤ رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ ضَرْبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمِسْحَاةِ فِي الثَّأْدِ  
٥ خَلَّتْ سَبِيلَ أَتَى كَانَ يَحْبِسُهُ وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْقَيْنِ فَالتَّضَدِ  
٦ أَمَسَتْ خَلَاءً وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخَى عَلَى لَبْدِ

\* \* \*

- ٧ فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذَا لَاحَظَ لَهْ وَأَنَّهُمُ الْقُتُودُ عَلَى عَيْرَانَةٍ أَجْدِ

(٤) قوله : ( ردت عليه أقاصيه ) أى ردت الأمة على الثوى ما تباهد من ترابه وشذ منه ؛ لتلا يصل إليهم الماء . ومعنى ( لبده ) سكته بشدة . والوليدة : الأمة الشابة ؛ وإنما خص الوليدة لأنها أشد ضرباً للثوى . والثأد : المكان الذى ، وهو مصدر وضع موضع الصفة .

(٥) الأتى : سبل يأتى من بلد إلى بلد ، والأتى : مجرى الماء . وقوله : ( خلّت سبيل أتى ) أى كنسته ونحت ما فيه من مدر وغير ذلك ؛ لتلا يحتبس الماء فيه فيفسد تراب الثوى الذى حوله . وقوله : ( ورفعته إلى السجقين ) أى رفعت التراب إلى السجقين ، والسجقمان : ستران رقيقان يكونان في مقدم البيت ، والتضد إلى جانبهما ، وهو أوهيتهن وجلال تهرم ، يضد بعضها على بعض . وقوله : ( ورفعته ) أى بلغت بالحفر وقدمته إلى موضع السجقين . والمعنى أن الماء لما كثر وعجز الثوى عنه خافت على بيتها ، فخلّت سبيله في البيت ، ومهلت مسلكه ؛ لينفذ ويتجاوز البيت .

(٦) قوله : ( أمست خلاءً ) أى أمست الدار خالية من أهلها لما احتملوا عنها . وقوله : ( أخى عليها ) أى أفسد عليها الدهر الذى أفسد على لبده وهرمه وأفناه . ولبد : آخر نسور لقمان بن حاد ، وهو النسور السابع من نسوره ، وكان قد عمر أربعمائة عام ، وهو الذى يضرب به المثل يقال : ( أتى أبده على لبد ) .

(٧) القنود : عيدان الرجل ، ولا واحد لها عند أكثر أهل اللغة ، وقال أبو عمرو الشيبانى : واحدها قند . والعيرانة : ناقة تشبه العير في القوة والنشاط . والأجد : الموثقة الخلق ، وهى التى عظام فقارها عظم واحد ، يقال : بليان مؤجد ؛ إذا كان مرصوحاً بغضه إلى بعض . يقول : عد عما ترى من تفسير الدار ، وما أحدث فيها الدهر ؛ إذ أيقنت أنه لا رجعة له . ( وأنهم القنود ) ، أى حالها وارفعها على هذه الناقة ؛ وهذا لتسلو عما أنت فيه .

- ٨ مَقْدُوفَةٌ يَدْخِيسُ النَّحِصَ بِأَزْهَاهَا لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ  
 ٩ كَانَ رَحْلِي ، وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدٍ  
 ١٠ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُوَشَّى أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ ، كَسِيفِ الصَّبْقِلِ الْقَرْدِ  
 ١١ أَصْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَّةٌ تُرْجَى الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ

(٨) قوله : (مقدوفة) ، أى لعظم خلقها وتراكب لحمها ، كأنها قد رميت بالحجم رميا .  
 والدخيس : الكثير المتداخل . والنحس : اللحم . والقعو : الذى فيه البكرة إذا كان من خشب ،  
 وإن كان من حديد فهو خطاف . وبازها : نابها حين يزل اللحم اللحم ، أى شقه وتخرج ، والصريف  
 صوته . والمسد : الحبل . وقيل : القعو البكرة بعينها . وذكر أهل اللغة أن الصريف فى الفحول من  
 النشاط ، وفى الإناث من الإعياء ، ويبت النابتة لا يحتمل إلا النشاط ، وقد حكى عن أبي زيد أن الناقة  
 تصرف من النشاط والإعياء ، والفعل من النشاط والهيأج والإعياء . ونصب (صريف القعو) على  
 تقدير المصدر ؛ كأنه قال : بازها يصرف صريفا مثل صريف القعو ، والرفع على تقدير : له  
 صريف مثل صريف القعو .

(٩) الجليل : شجر . والمستأنس : ثور يخاف الأئيس . ومعنى (زال النهار بنا) أى انتصف ،  
 فيقول : كان رحلي على ثور مستأنس منفرد . وقوله : (يوم الجليل) ، أى يوم مروءة بالجليل ،  
 وإنما وصف الثور بالانفراد لأن ذلك أشد لفزه .

(١٠) قوله : (من وحش وجرة) ، أى هذا الثور من وحش هذه الفلاة ، ووجرة طرف  
 النسي ، وهو مجتمع الوحش ، وهى ستون ميلا ، وماؤها قليل ؛ فبطون وحشها طاولية لقله شربها الماء .  
 وقوله : (موشى أكارع) ، أى بقوائمه فقط سود وخطوط . وقوله : (كسيف الصبقل) ، أى يريد  
 أن الثور أبيض لماع كالسيف . و(الفرد) : المنقطع القرين المنفرد بالجوذة ، وقيل : هو الذى  
 أفرد من غنمه ، وعند ذلك يبدو بياضه ولعانه . وقوله : (طاوى المصير) ، أى ضامر ، والمصير :  
 المعى ، وكفى به عن البطن ، وجمعه مصران ، وجمع مصران مصارين .

(١٢) يقال : مرى وأمرى ، إذا جاء ليلا ؛ فجمع بين اللتين ، فقال : (أصرت) ثم قال :  
 (سارية) فأتى بها على (سرت) . والسارية : سحابة تسير ليلا وتطار . وقوله : (ترجى الشمال) ،  
 أى تسوق وتدفع على الثور مطرا فيه برد جامد .

- ١٢ فارتاع من صوت كلاب فبات له طوع الشواميت من خوف ومن صره  
 ١٣ فبهن عليه واستمر به صمغ الكعوب بريئات من الحرد  
 ١٤ وكان ضميران منه حيث يوزعه طعن الممارك عند المتجر النجد  
 ١٥ شك القرية بالمدرى فأنقذها طعن المبيطير إذ يشفي من العضد  
 ١٦ كأنه خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مقتاد

(١٢) قوله : ( فارتاع ) ، أى فرح الثور من صوت ( كلاب ) ، وهو الصائد ذوالكلاب .  
 وقوله : ( طوع الشواميت ) ، أى بات الثور ميت سوء من برد وجوع . والعرد : شدة البرد .  
 (١٣) قوله : ( فبهن عليه ) ، أى بث الصائد الكلاب على الثور ، وقوله : ( واستمر به ) ،  
 أى نهض بالثور قوائم صمغ الكعوب ، أى لمن برملات المفاصل . والحرد : استرخاء في عصب البعير  
 استعاره للثور ، أى ليس بقوائمه عيب .

(١٤) قوله : ( وكان ضميران منه ) ، ضميران اسم كلب . و ( يوزعه ) : يفرقه بالثور ويحضه  
 على الدنوسه والأخذ بمقاتله . و ( الممارك ) : المقاتل . والمتجر المدرك . و ( النجد ) : الشجاع ،  
 وهو من نمت ( الممارك ) . يقول : كان ضميران من الثور بالموضع الذى يفرقه به صاحبه ، كما تقول :  
 أنا لك من هذا الأمر حيث تحب . وقوله : ( طعن الممارك ) أى لما أغراه صاحبه به ، ودنا منه ،  
 طعنه طعن الممارك النجد للمحجر .

(١٥) يقول : شك الثور فريضة الكلب بالمدرى ، أى انتظما . و ( الفريضة ) : موضع  
 عقب الفارس ، وقيل : هى بضعة فى مريج الكتف . و ( المدرى ) : القرن . و ( المبيطير ) : البيطار .  
 و ( العضد ) : داء ورجع فى العضد ، من ثقل حمل أو غيره . وشبه نفوذ القرن للفريضة ودخولها فيه  
 بطن البيطار ، إذا دارى الإبل من العضد ، وإعما خص الفريضة لأنها مقتل .

(١٦) قوله : ( كأنه خارجاً ) ، أى كأن القرن فى حال خروجه من جنب صفحة الكلب إلى  
 الصفحة الأخرى سفود شرب نسوه ، أى تركوه حتى نضج ما فيه ، والمقتاد : موضع اشتوائهم اللحم ،  
 يعنى أن الثور طعن الكلب فخرج قرنه من الجنب الآخر ، ثم ذهب به ، فبقى الثور وحده ، وليس  
 معه أحد ، فنسبه القرن منتظماً للكلب بسفود فيه شواء قد ترك ليس غشده أحد . والفسيان فى  
 كلام العرب : الترك . و ( شرب ) : قوم يشربون ، واحدهم شارب ، مثل صاحب وصحب .

- ١٧ فَظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرُّوقِ مُنْقَبِضًا      فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدِيقٌ غَيْرِ ذِي أَوْدٍ  
١٨ لَمَّا رَأَى وَاشْتَقَّ إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ      وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلٍ وَلَا قَوْدٍ  
١٩ قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ : إِنِّي لَا أَرَى طَمَعًا      وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصْد  
\* \* \*  
٢٠ فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي النِّعَانَ ، لِمَنْ لَهْ      فَضْلًا عَلَى النَّاسِ فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبَعْدِ  
٢١ وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ      وَلَا أَحَاشَى مِنْ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ  
٢٢ إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ :      قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَاحْدُثْهَا عَنْ الْقَنَسِ

- (١٧) قوله : ( فظل يعجم ) ، أى ظل الكلب يعض أعلى الروق حيث أنفذه به ، فهو يعض في حالك اللون ، يعنى القرن . والصدق : الصلب . والأود : الاوجاج . وقوله : ( منقبضا ) ، أى قد تقبض الكلب واجتمع في القرن لما يجرد من الوجع .
- (١٨) قوله : ( لما رأى واشتق إقعاص صاحبه ) ، واشتق : اسم كلب آخر . وقوله : ( ولا سبيل إلى عقل ولا قود ) ، ضرب هذا مثلا ، يعنى أن صاحبه قتل — وهو ضميران — فلم يقتل به ولم يود . والعقل : غرم الدية . والقود : قتل النفس بالنفس .
- (١٩) قوله : ( قالت له النفس ) ، أى حدثت واشتقا نفسه باليأس من الثور أو من صاحبه . والمولى : الصاحب ، قتلت كلايه فلم يسلم ولم يصد .
- (٢٠) قوله : ( فتلك تبليغنى النعمان ) ، أى تلك الناقة التى تشبه هذا الثور فى قوته ونشاطه تبليغنى النعمان ، وهو اسم الملك . وقوله : ( فى الأدنى وفى البعد ) ، أى فى القريب والبعيد .
- (٢١) قوله : ( ولا أرى فاعلا ) ، أى لا أرى أحدا يفعل فعلا كريما يشبهه فى فعله . وقوله : ( ولا أحاشى ) ، أى لا أستثنى .
- (٢٢) قوله : ( إلا سليمان ) استثناء من القوم المنفى ههنا شبه النعمان . وقوله : ( احدها ) ، أى امنعها . و( القند ) : الخطأ فى القول والفعل وغير ذلك .

- ٢٣ وَخَيْسَ الْجَنِّ ؛ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ      يَنْبُونَ تَدْمُرَ بِالصَّفْحَاجِ وَالْعَمَدِ  
 ٢٤ قَمْنٌ أَطَاعَكَ فَانْفَعَهُ بِطَاعَتِهِ      كَمَا أَطَاعَكَ ، وَآذَلَّهُ عَلَى الرَّشَدِ  
 ٢٥ وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبِهِ مُعَاقِبَةٌ      تَنْهَى الظُّلُومَ وَلَا تَقْعُدُ عَلَى ضَمَدٍ  
 ٢٦ إِلَّا لِلْمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ      سَبَقَ الْجَوَادُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ  
 ٢٧ أَعْطَى لِفَارِهِةٍ حُلِيَّ تَوَابِعُهَا      مِنَ الْمَوَاهِبِ لَا تُعْطَى عَلَى نَكِدِ  
 ٢٨ الْوَاهِبُ الْمَائَةِ الْمَعْكَاءِ زَيْنُهَا      سَعْدَانُ تُوضِحَ فِي أَوْبَارِهَا اللَّبَدِ

(٢٣) قوله : ( وخيس الجن ) ، أى ذلهم ، ومنه سمى السجن خيسا . و ( الصفحاج ) : حجارة كالصفائح مراض . و ( تدمر ) : مدينة بالشام ، فيها بناء لسليان بن داود ، عليهما السلام . و ( العمدة ) : أساطين الرخام ، وهى السورى .

(٢٤) الرشد : الرشدة ؛ كما يقال : يخل ويخل ، وشغل وشغل .

(٢٥) الضمد : الذل والنفيظ والحقد ، وقيل : هو الظلم .

(٢٦) حكى عن الأصمعي أنه قال : ( إلا للملك ) ، أى إلا لرجل فى مثل حاله أو من فضلك عليه ؛ كفضل السابق على المصلى ، أى ليس بينك وبينه فى الفضل إلا يسير ، بمقدار ما بين السابق والمصلى من التحليل . ومعنى استولى عليه : قلبه . والأمد : الغاية التى يجرى إليها . أراد النابغة حض النعمان على أن يقعد عنه ، ولا يضمر له حقدا ؛ لأنه ليس مثله ولا قريبا منه .

(٢٧) الفارحة : النافقة الكريمة ، أو العطية الحسنة . و ( توابعها ) : ما تبعها من المطايا . و ( نكد ) : الضيق والعسر ، ويروى : ( لا تعطى على حسد ) ، أى لا تعطى ونفسك تتبع العطية وترقب فيها .

(٢٨) قوله : ( الواهب المائة المعكاء ) ، يعنى أنه يهب المائة من الإبل ، والمعكاء : السمان الشداد ، وهو اسم لا يلقى ولا يجمع . والسعدان : نبت من أنجع ما ترعاه الإبل ، ومنه قيل : ( مرعى ولا كالسعدان ) . وتوضح : موضع بالحلى ، وكانت إبل الملوك ترعاه ؛ فلذلك ذكره . وقوله : ( فى أوبارها اللبد ) ، يريد أنها إبل سائمة مهملة فى المرعى ، لا تستعمل ظهورها ؛ فأوبارها متلبدة لذلك . واللبد : جمع لبدة ، التقدير يريد أوبارها ذات اللبد .

٢٩ والأدم قد خيست فتلا مرافقها مشدودة برحال الحيرة الجدد

٣٠ والراكضات ذبول الريط فانقها برد الهواجر كالغزلان بالجرّد

٣١ والليل تمزّع غرباً في أعنيها كالطير تجو من الشؤبوب ذي البرد

\* \* \*

٣٢ احكم حكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شراع وارد التمد

٣٣ يحفّه جانباً نيق وتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمّد

(٢٩) الأدم من الإبل : البيض ، ومن النساء : السمر . ومعنى (خيست) : ذلت بالركوب .

والقتل : التي باتت مرافقها عن آباطها . والحيرة : مدينة النعمان .

(٣٠) قوله : ( والراكضات ذبول الريط ) ، يعنى الجسارى يركضن بأرجلهن ماخر الريط ؛

لسيوفه ملين ، وتبعثر من فيه . والريط : الملاحف البيض . ومعنى ( فانقها ) : نعم عيشها . وقوله :

( برد الهواجر ) ، أى هى فى الهواجر فى موضع بارد ؛ فلا يؤذيها وهج الشمس . والجسرد : أرض

جرداء لا شجر فيها ولا نبات ؛ وإنما خصه لأن الغزلان إذا كانت به بدت محاسنها للناسر ، ولم يحجبها

عنه شئ .

(٣١) يقول : هو يهب المساة الممكأ ، ويهب الراكضات ، ويهب الليل . وقوله : ( تمزّع ) ،

أى تسرع فى سيرها . والغرب : الحسدة والنشاط . وشبه الليل فى مرعتها بطير أصابها مطر شديد فيه

برد ؛ فهى تنجو وتسرع إلى مواضع تقيها من المطر والبرد . والشؤبوب : دفعة المطر وشدة .

(٣٢) قوله : ( احكم ) ، أى كن حكماً فى أمرك ، مصيباً فى رأى ، ولا تقبل من سعى

إليك ؛ كفتاة الحى إذا أصابت ووضعت الأمر موضعه ، ولم يرد الحكم فى القضاء . والتمد : الماء

القليل . والشراع : القاصدة إلى الماء . سكى أن فتاة الحى هى زرقاء النمامة .

(٣٣) قوله : ( يحفّه جانباً نيق ) ، أى يحيط به من جانبيه . والنيق : الجبل . وقوله :

( وتبعه مثل الزجاجة ) ، أى عينا صافية كصفاء الزجاجة . ومعنى قوله : ( لم تكحل من الرمّد ) ،

أى لم يصبرها رمّد فتكحل ، ويحتمل أن يريد أنها كحلت بغير رمّد ؛ لزيئة أو نحوه .

- ٣٤ قالت : أَلَا تَتَبَيَّنُ هَذَا الْجَمَامُ لَنَا إِلَى حَامَتِنَا وَنَصَفَهُ فَقَعِدِ  
 ٣٥ فَخَسِبُوهُ فَأَلْفَوْهُ كَمَا حَسَبَتْ تَسْعًا وَتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ  
 ٣٦ فَكَلَّكَ مَائَةٌ فِيهَا حَامَتُهَا وَأَمْرَعْتُ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ  
 ٣٧ فَلَا لَعْمُرُ الَّذِي مَسَحَتْ كَعْبَتَهُ وَمَا هُرَيْقٌ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ  
 ٣٨ وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ يَمْسَحُهَا رَكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ النَّيْلِ وَالسَّعْدِ  
 ٣٩ مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أُتَيْتُ بِهِ إِذَا فَلَا رَفْعَ سَوْطِي إِلَى يَدِي  
 ٤٠ إِلَّا مَقَالَةَ أَقْوَامٍ شَقِيتُ بِهَا كَانَتْ مَقَالَتُهُمْ قَرَعًا عَلَى الْكَيْدِ

(٣٤) قوله : ( فقد ) ، أى حسبي ، موضعه من الإعراب الرفع على المبتدأ .

(٣٥) يقول : حسبوا القطا وضروا إليه نصفه ، فألفوه تسعا وتسعين ، كما حسبت .

(٣٦) قوله : ( وأمرعت حسبة ) ، أى أمرعت في حساب القطا مع طسيرانه وتراكبه ، فكان ذلك حكيم هذه ؛ إذ صدقت في عدده على هذه الحال . والحسبة — بالكسر — مثل الجلسة والركبة ، وهى هيئة الفعل . والحسبة — بالفتح — المرة الواحدة .

(٣٧) قوله : ( مسحت كعبته ) ، أى أتيت بيته وطلقت به ، والكعبة : كل يد مربع ، وبه سميت الكعبة . والأنصاب : حجارة كانوا يلجئون عليها الذبايح لألهتهم . والجسد : الدم اللازق ( اللاصق ) .

(٣٨) العائذات : التى عاذت بالحرم . والشاعر يقسم بالله الذى آمن الطيور العائذة بالحرم أن تهاج أو تصاد . ونصب ( الطير ) على البدل من العائذات ؛ لأنها مفعولة بالمؤمن . ( والغيل ) : الشجر الملتف ، وكذلك ( السعد ) . وقوله : ( يمسحها ) ، أى يبرون عليها ، لا يهيجها أحد ولا يفرها .

(٣٩) قوله : ( ما قلت من سيئ ) جواب قوله : ( فلا لعمر الذى مسحت كعبته ) . وقوله : ( فلا رفعت سوطى إلى يدي ) ، يقول : إذا نزلت يدي حتى لا أطيق رفع السوط .

(٤٠) قوله : ( إلا مقالة أقوام ) ، نصبها على الاستثناء المنقطع ، والمعنى : ما قلت شيئا مما أتوك به عني ، لكنهم قالوا مقالة شقيت بها عندك . وقوله : ( قرعا على الكبد ) ، أى اشتدت على مقاتلهم ، فكأنها قرعت كبدى بذلك .



- ٤١ أَنِّيئْتُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَوَّارَ عَلَى زَائِرٍ مِنَ الْأَسَدِ  
 ٤٢ مَهْلًا فِدَاءَ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ وَمَا أَمَّرُ مِنْ مَالٍ وَمَنْ وَلَدَ  
 ٤٣ لَا تَقْذِفَنِي بُرْكَينِ لَا كِفَاءَ لَهُ وَإِنْ تَأْتَفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ  
 ٤٤ فَا الْفَرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيحُ لَهُ تَرْمِي غَوَارِبُهُ الْعِيبِينَ بِالزَّبْدِ  
 ٤٥ يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُسْتَرَجٍ لِحَبِّ فِيهِ رُكَّامٌ مِنَ الْيَبُوتِ وَالْخَضَدِ  
 ٤٦ يَظُلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الْإَيْنِ وَالنَّجْدِ

(٤١) أبو قابوس هو النعمان بن المنذر . ومعنى (أوعدني) هددني . وزار الأسد وزئيره : صوته ووعيده . يقول : وعيد النعمان لا تستقر معه نفسى ولا تطمئن : هيبة له ، كما لا تطلق ولا تسكن على زئير الأسد .

(٤٢) قوله : (مهلاً فداء لك) ، أى تثبت فى أمرى ولا تعجل على . وقوله : (وما أتمر من مال) ، أى أكثر وأصلح ، يقال : ثمرة ماله ، أى كثره .

(٤٣) قوله : (لا تقذفنى بركن لا كفاء له) أى لا ترمينى بنفسك ؛ فإنه لا مثل لك ، وإنما ذكر الركن كناية عن الشدة والقوة . وقوله : (تأتفك) ، أى اجتمعوا حولك ، مثل الأتافي ، متعاونين على . و(الرفد) : أن يترافد عليه أعداؤه الذين رشوا به ، أى يتعاونون عليه .

(٤٤) قوله : (فا الفرات) ، يقول : ليس هذا النهر بأجود منك . والغوارب : الأمواج ، وغارب كل جسم : ما ارتفع منه وهلا . وعبرا النهر : جانباه . والزبد : ما يطرحه النهر ، إذا جاش مائه ، واضطربت أمواجه .

(٤٥) قوله : (يمدده كل واد) ، أى يزيد فيه ويقويه . والمسترج : المخلو . والحبب : المصوت ؛ لشدة جربة وقوة سيله . والركام : ما تراكم بعضه على بعض ، أى تراكب . واليئوت : والخضد : نبتان ، وقيل : اليئوت شجر الخروب ، وقيل : الخضد : كل ما تكسر من الشجر وغيره . (٤٦) قوله : (يظل من خوفه) ، أى من مخوف الفرات ؛ لاضطراب أمواجه ، وشدة هوله . والمعتصم : المتمسك . والخيزرانة ها هنا : سكان السفينة . والأين : الإعياء . والنجد : المرق والكرب .

- ٤٧ يوماً بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد  
 ٤٨ هذا الثناء فإن تسمع به حسناً فلم أعرض - أبيت اللعن - بالصفد  
 ٤٩ ها إن ذى عذرة إلا تكن نفعته فإن صاحبها مشارك النكد

- (٤٧) قوله : ( يوماً بأجود منه ) متصل بقوله : ( في الفرات ) . والسيب : العطاء .  
 والنافلة : الفضل ، وكل شيء ليس بواجب فهو نافلة ؛ وإنما خص النافلة ليلالغ في المدح ، لأنه  
 إذا أكثر من غير الواجب فهو أجدر أن يكثر من الواجب . وقوله : ( دون غد ) ، أى إذا  
 أهلك اليوم لم يمنعه ذلك من إعطائك غدا عطية أخرى .  
 (٤٨) قوله : ( أبيت اللعن ) ، هى تحية كانوا يحيون بها الملوك ، ومعناه : أبيت أن تأخذ  
 من الأمور ما تدم به . والصفد : العطاء . فعله : أصفدته إصفاداً ، والصفد الاسم . وقوله :  
 ( فلم أعرض ) ، أى لم أمدحك ؛ تعرضاً لمعرفتك ، لكن احتذاراً إليك ، وإقراراً بفضلك .  
 (٤٩) قوله : ( ها إن ذى عذرة ) ، أى هذه معذرة إليك . والنكد : العسر .

\* \* \*

سعد درویش

( ٤ )

## اعتذارية

\* \* \*

قال يمدح النعمان ويعتذر إليه :

- ١ أَنَا نِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنَا لَمْ تُنَنِي وَتِلْكَ الَّتِي أَهَمَّتْ مِنْهَا وَأَنْصَبُ
- ٢ فَبَيْتٌ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَوْشَنِي هَرَّاسًا بِهِ يُعَلِّي فِرَاشِي وَيُقَشِّبُ
- ٣ حَافَتِي فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلرَّءِ مَذْهَبُ
- ٤ لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلَغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمُبْلَغُكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذِبُ
- ٥ وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا إِلَى جَانِبُ مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
- ٦ مَلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا أَتَيْتُهُمْ أَحْكُمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ

(١) قوله : ( أَبَيْتَ اللَّعْنَ ) ، أى أَبَيْتَ أَنْ تَأْتِيَ أَمْرًا تَلْعَنُ عَلَيْهِ . وقوله : ( وَتِلْكَ الَّتِي أَهَمَّتْ مِنْهَا وَأَنْصَبُ ) ، أى تلك العلامة جعلتني ذا هم وذا نصب ، أى ذا عنا . ومشقة .  
(٢) العائدات : الزائرات في المرض . الهراس : الشوك . يقشِبُ : يجدد ويتعاهد بالشوك .  
(٣) الريبة : الشك . وقوله : ( وَرَاءَ اللَّهِ ) ، أى ليس بعد البين بالله — عز وجل — للء مذهب .

(٤) قوله : ( لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلَغْتَ عَنِّي خِيَانَةً ) ، أى لَئِنْ بُلَغْتَ عَنِّي أَنَّ إِخْوَانَ رَدَكَ وَأَكْفَرُوا نَعْمَتَكَ ؛ فَالَّذِي بُلَغَكَ ذَلِكَ ، وَوَشَى بِهِ إِلَيْكَ أَغْشُ وَأَكْذِبُ . والواشي : النمام الذي يزين كذبه عندك ، وأصله من الوشى .

(٥) قوله : ( لِي جَانِبٌ مِنَ الْأَرْضِ ) ، أى مَقْشَعٌ وَتَمَكُّنٌ ؛ وَإِنَّمَا يَصِفُ ذَهَابَهُ إِلَى الْغَسَاةِ وَمَنْزَلَهُ فِيهِمْ . وَالْمُسْتَرَادُ : الْإِقْبَالُ وَالْإِدْبَارُ . وَالْمَذْهَبُ : مَوْضِعُ الذَّهَابِ . وَإِنَّمَا يَصِفُ بِهَذَا سَمَةَ حَالِهِ وَتَمَكُّنَهَا .

(٦) قوله : ( مَلُوكٌ وَإِخْوَانٌ ) ، بِمَعْنَى الْغَسَاةِ ، وَكَانَ قَدْ حَلَّ بِهِمْ حِينَ فَرَّ مِنَ النُّعْمَانِ فَأَكْرَمُوهُ وَقَرَّبُوا مَنْزِلَهُ .

- ٧ كَفَعْلِكَ فِي قَوْمِ أَرَاكَ اصْطَفَيْنَهُمْ فَلَمْ تَرْهَمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا  
 ٨ فَلَا تَتْرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنِّي إِلَى النَّاسِ مَطْلٌ بِهِ الْقَارُ أَجْرُبُ  
 ٩ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةَ تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ  
 ١٠ فَلَا نَكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَاكِبُ  
 ١١ وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمِهُ عَلَى شَعَثٍ ، أَيْ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ ؟  
 ١٢ فَإِنَّ أَكْ مَظْلُومًا فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ وَإِنْ تَكُ ذَا عُنْبٍ فَشَمْلُكَ يُعْتَبُ

(٧) أى فعلت لى القصاص ما أوجب لهم مدحى وثنائى ، كما فعلت أنت فى قوم اصطفتهم وأحسنت إليهم ، فنبهنى ألا ترائى مذنباً فى شكر ذلك لهم ، كما لا ترى من اصطفتهم فيشكرك مذنباً فى شكره لك .

(٨) أى لا تدعنى كأتى بعير أجرب قد طلى بالقار ، وهو القطران ، يثاماه الناس ويطلردونه من إلههم ، لئلا يهديها بحريه ، وإنما يريد أنه إن لم يعف عنه تحامته العرب ولم تجره ، خوفاً من النعمان . وقوله : ( كأننى إلى الناس ) ، أى كأتى فى الناس . وقوله : ( مطلق به القار ) ، أى مطلق بالقار فقلب .

(٩) السورة : المزة الرفيعة . وقوله : ( يتذبذب ) ، أى يضطرب ، وإنما يريد أن ساقط الملك دون منزلته .

(١٠) قوله : ( فلأنك شمس والملوك كواكب ) ، يعنى أن منزلته من الملوك كمنزلة الشمس من الكواكب ، فإذا ذكر ونشرت ما أثره لم يذكر غيره .

(١١) قوله : ( لا تلمه ) ، أى لا تصلح من أمره وتجمعه . والشعث : الفساد والتفريق . والمهذب : المتقى من العيوب . يقول للنعمان : إن لم تصبر للأخ والصديق على خصلة غير مرضية تكون فيه لم تبق لنفسك أخا .

(١٢) قوله : ( وإن تك ذا عُنْبٍ ) ، أى ذا رضا ورجوع إلى ما أحب من عفوك فذلك يعتب ؛ يقال : عتب الرجل إذا شخط ، والاسم منه العتب والعتاب . واعتب إذا رضى ، والاسم العتبى والمصدر الإعتاب .

\* \* \*

## اعتذارية أخرى

\* \* \*

وقال من قصيدة أخرى يمدح فيها النعمان ويعتذر إليه :

- ١ وَعَيْدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ      أَنَا نِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ  
 ٢ فَبِتْ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَبْلَةً      مِنَ الرُّقِيشِ فِي أُنْيَايَا السَّمِّ نَاقِعِ  
 ٣ يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا      لِحَلَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعِ  
 ٤ تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ مَمِّهَا      تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعِ

- (١) قوله : ( في غير كنهه ) : في غير حقيقته . أى لم أكن بلغت ما ينضب على فيه ، ويوعده من أجله . و ( راكس ) : واد . و ( الضواجع ) : جمع ضاجة ، وهى منحني الوادى ومنعطفه .  
 (٢) قوله : ( ساورتني ) ، أى واثبتني . والضبلية : حية دقيقة قد آتت عليها سنون كثيرة ، فقل لحما ، واشتد سمها . والرقيش : التى فيها نقط ، سواد وبهاض . وناقع : ثابت .  
 (٣) قوله : ( يسهد من ليل التمام ) ، أى يمنع النوم ، وليل التمام : أطول ليلالى الشتاء ، وليل التمام أيضا : الذى يطول على من قاماء وإن قصر . والسليم : الملدوخ ، سمى بذلك على التفاؤل له بالسلامة ، كما سميت الفسلة المهلكة مغارة على التفاؤل للقوم بالقوز والنجاة . وقوله : ( حللى النساء في يديه قعاقع ) قال أبو عمرو وغيره : كان العرب يفعلون بالدينغ ذلك لسلايتام فيذب السم فيه . والقعاقع : الحركة والصوت .  
 (٤) قوله : ( تنازرها الراقون من سوء ممها ) أى أنذر بعضهم بعضا ؛ لأنها لا تجيب راقيا ؛ لشدها . وقوله : ( تطلقه طورا ) ، أى تخفف عنه مرة ، ومرة تشد عليه ، وكذلك حال الدينغ .

- ٥ أتانى - أبنت اللعن - أنك لم تنى وتلك التى تستك منها المسامع  
٦ مقالة أن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع  
٧ تعمري وما تعمري على بهين لقد نطقت بطلا على الأقارع  
٨ أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قروء تبتغي من تجادع  
٩ أذاك امرؤ مستبطن لى بغضة له من عدو مثل ذلك شافع  
١٠ أذاك بقول هلهل النسيج كاذب ولم يأت بالحق الذى هو ناصع

(٥) قوله : ( وتلك التى تستك منها المسامع ) ، أى تلك الملامة التى أتت منك هنا أصمت مسامعى . ومعنى ( تستك ) ، أى تشدد وتضيق فلا تسمع ، وواحد المسامع مسمع ، وهو الأذن .

(٦) قوله : ( مقالة ) بيان لقوله : ( أنك لم تنى ) ، ويدل منه ، ويجوز نصبها ورفعها . وقوله : ( وذلك ) إشارة إلى معنى الجملة ، كأنه قال : وذلك القول رائع من تلقاء مثلك .

(٧) قوله : ( تعمري ) ، قال بعضهم : لم تنى ، والمعروف أن معناه القيام ، وإنما حلف بها لأنها يمين كثرت فى الاستعمال ، وليس قصده أن يقسم ببقائه . البطل والباطل بمعنى واحد . وأراد بالأقارع بنى قريع بن عوف ، وهم من بنى تميم ، وكانوا قد وشوا به إلى النعمان ، وذكروا أنه يصف فى شعره المتجرده .

(٨) قوله : ( لا أحاول غيرها ) أى لا أريد هجاء غيرهم . ومعنى : ( تجادع ) تشاتم ، وإنما استعاره من جدد الأنف ، ونصب ( وجوه قروء ) على الذم ، ويجوز رفعها على القطع .

(٩) قوله : ( مستبطن لى بغضة ) أى مضمهرها . وقوله : ( مثل ذلك ) ، أى مثل ذلك الرجل المستبطن . والشافع : المعين ، وأصله من الشافع ، وهو الثانى .

(١٠) قوله : ( هلهل النسيج ) ، أى أذاك بقول ضعيف باطل ، بمنزلة الثوب المهلهل ، وهو الذى نسيج وخفيف ولم يحكم . وقوله ( كاذب ) ، أى مكذوب فيه . والناصع : الواضح البين ، وأصل الناصع : الغالض البياض .

- ١١ أناك بقول لم أكن لأقوله ولو كُليت في ساعدى الجوامع  
 ١٢ حلفت فلم أترك لنفسك ربيبة وهل يأتمن ذو إمة وهو طائع  
 ١٣ بمصطحبات من لصاب وثبرة يزرن إلا لا سيرهن التدافع  
 ١٤ سماما تبارى الريح خوفا عيونها لمن رذايا بالطريق ودائع  
 ١٥ عليهن شعث عايدون لجمعهم فمن كأطراف الحنى خواضع

(١١) قوله : ( ولو كُليت في ساعدى الجوامع ) ، أى لو كنت مجنونا حتى أشد بالحديد ما قلت ما بلغت عنى . وقوله : ( كُليت ) ، أى جمعت وشدت ؛ من الكبل وهو القيد . والجوامع : الأغلال ، والواحدة جامعة .

(١٢) الربيبة : الشك . والأمة والإمة : الدين والطريقة المستقيمة . يقول : حلفت فلم أترك لنفسك شكاً في صدق ، وحلفت وأنا لك طائع ذو دين واستقامة .

(١٣) قوله : ( بمصطحبات ) ، يعنى الإبل ؛ وإنما أقسم بها لأنها تعطى في السير إلى الحج ، فغلظها لذلك وأقسم بها . ولصاب وثبرة : موضعان في بلاد بني تميم . وإلال : جبل من يمين الحاج إذا وقفت بعرة . وقيل لإلال جبل عرفة نفسه . وقوله : ( سيرهن التدافع ) ، أى أنهن يتراجعن في السير ويتدافعن لمرعتهن وشدة سيرهن .

(١٤) السماء : طيور تشبه المائى ، شديدة الطيران ، شبه الإبل بها في سرعتها ، ونصبها على الحال من الضمير ( يزرن ) ، أى : يزرن إلا لا ممرعات مثل السماء في السرعة . وقوله : ( تبارى الريح ) ، أى تعارضها لمرعتها ، وقوله : ( خوفا عيونها ) أى غائرة العيون من الجهد والعناء ، ونصبه على الحال من الضمير الذى ( تبارى ) . والمعنى أنها تبارى الريح في حال جهدها وغرور عينيها ، ويقال : إن غرور عين الناقة من صفات الكرم ، و( خوفا ) على هذا من نعت السماء لا حال من الضمير . والرذايا : السافطة . و( ودائع ) : قد استودعت الطريق ، أى تركت فيه لإهيائها .

(١٥) قوله ( عليهن شعث ) ، أى متغيرون من السفر . وقوله : ( كأطراف الحنى ) ، يريد أنها ضامرة دقيقة من شدة السير والجهد معوجة ، والحنى : القنى ، وأحدها حنية . سميت بذلك لأنها معطوفة الطرفين . وقوله : ( خواضع ) أى خواضع من الجهد .

- ١٦ لَكَلَّفَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكْتَهُ كَذِي الْعُرْيُكُوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَائِعٌ  
 ١٧ فَإِنْ كُنْتُ لَأَذُو الضَّغْنِ عَنِّي مَكْذِبٌ وَلَا حِلْفِي عَلَى الْبَرَاءَةِ نَافِعٌ  
 ١٨ وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ وَأَنْتَ بِأَمْرٍ لَا حِمَالَةَ وَاقِعٌ  
 ١٩ فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدِيرِي وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ  
 ٢٠ خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدِي إِلَيْكَ نَوَازِعُ  
 ٢١ أَتَوَعِدُ عَبْدًا لَمْ يَخُنْكَ أَمَانَةً وَتَتْرُكُ عَبْدًا ظَالِمًا وَهُوَ ضَالِعٌ

(١٦) قوله : ( لكلفني ) جواب لقوله : ( حلفت ) . المر : داء يصيب الإبل ، فإذا أرادوا أن يمالجوه كورا بعيرا آخر صحبها ، فيأخذ ذلك البعير . هكذا حكى من فصحاء العرب من حمل منهم الرواة . وكان أبو عبيدة يقول : هذا لا يكون ، وإنما هذا مثل ، أى أخذتني بذنب غيري ، وهذا كما قال الناس : يشرب بجلان ويسكر ميسرة ( ولم يكونا شخصين موجودين ) . وكذلك قول الشاعر : « كالنور يضرب لما عافت البقر » ، فقد قال فيه أبو عبيدة : إنما هذا مثل ، وهذا لا يكون ، وحكى غيره أنه يضرب ليتقدم إلى الماء ، فإذا أرادته البقر تقدمت معه فشربت .

(١٧) الضغن : الحقد والعداوة .

(١٨) قوله : ( ولا أنا مأمون ) متعلق بقوله : ( فإن كنت لأذو الضغن ) ، وليس بمستأنف ، (١٩) قوله : ( فإنك كالليل ) ، أى أنا فى قبضتك حيث كنت وإن بعدت عنك ، فأنت كالليل الذى يدركنى ويشملنى بظلامه أينما وجهت . والمتأى : الموضع الذى يتنامى فيه ، أى يتقاعد . (٢٠) الخطاطيف : جمع شطاف . والحجن : جمع أحجن وهو الموج . وقوله : ( نوازع ) ، أى جواذب ، ويقال : نزع من البئر دلوا أو دلوين ، إذا جذبتهما . يقول : ضاقت الدنيا على فكأنى فى بئر ، فأنا أجرب بالخطاطيف إليك وأجذب ، وهذا مثل ضربه لقوة سلطانه . (٢١) قوله : ( أتوعد عبدا ) من الوعيد . وقوله : ( ضالع ) ، أى مائل عن الحق جائر ، ويروى : ( ظالم ) بالفاء ، وهو أيضا الجائر المذنب .



٢٢ وَأَنْتَ رَبِّعُ نَعِيشَ النَّاسِ سِيَّهٍ      وَسَيْفٌ أَعِيرَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَاطِعُ  
 ٢٣ أَبَى اللَّهُ إِلَّا عَدْلَهُ وَوَفَاءَهُ      فَلَا التَّكْرُمُ مَعْرُوفٌ وَلَا الْعُرْفُ ضَائِعُ  
 ٢٤ وَتُسْقَى إِذَا مَا شِئْتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ      بَزُورَاءَ فِي حَافَاتِهَا الْمِسْكُ كَانِعُ

- (٢٢) السيب : العطاء . يقول : أنت سيب لأوليائك تمنعهم ، وسيف على أعدائك تهلكهم .  
 (٢٣) قوله : ( أبى الله إلا عدله ووفاءه ) ، يحتمل أن تكون الهاء من قوله ( عدله ووفاءه )  
 عائدة على اسم الله جل وعز ، أى أبى الله إلا أن يعدل بين عباده ، ويبنى لهم بما وعدهم وأوعدهم  
 به . ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على النعمان ، أى أبى الله إلا أن يعدل النعمان ويبنى .  
 (٢٤) قوله : ( وتسقى إذا ما شئت غير مصرد ) ، هو فى مذهب القدماء وليس بخبر .  
 وقوله : ( غير مصرد ) ، أى غير مقلل ، وقيل : غير ممنوع ولا مقطوع عليك . والمصرد :  
 شرب دون الرى . ويروى : ( غير مصرد ) بكسر الراء ، اسم قامل : أى غير مقلل للشرب  
 ولا قاطع له . ونصب ( غير ) فى الرواية الأولى على المفعول الثانى للفعل ( تسقى ) ، والتقدير :  
 وتسقى شراباً غير مصرد ، ونصبها فى الرواية الثانية على الحال من الضمير فى ( تسقى ) ، أى تسقى  
 وأنت غير مقلل للشرب . والزوراء : كأس مستطيلة من فضة . وحافاتها : نواحيها . والكانع :  
 الدانى بعضه من بعض .

\* \* \*

سجل درویش

## الأسود بن يعقرب

\* \* \*

شاعر جاهلي مشهور ، لقب أغشى نهشل حيث كُفَّ بصره عندما أحنَّ ،  
كان ينادم النعمان بن المنذر ، وكان أخوه حطائط وابنه الجراح شاعرين .  
كُنِيَ بأبي نهشل وأبي الجراح ، وآه أبو الفرج شاعرا مقلدا من متقدمي  
فصحاء الجاهلية ، وسجَّله ابن سلام ضمن شعراء الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية  
وأعجب من فنه الشعري بقصيدة طويلة ألحقها بأجود الشعر الجاهلي .

وفي قصيدته الدالية يبدو الشاعر حزينا منذ مطلعها حيث نام الخلى ليترك له  
السهر والأرق وقد سيطرت عليه المفوم وسدت عليه مسالك حياته وكأنها قد  
تحالفت عليه مع المنية التي راحت تهدده أينما اتجه .

وهو لا يكاد يصمد أمام ظاهرة الفناء على هذا النحو إلا من خلال ما يجده  
من وسائل العزاء حين يبكي « آل محرق » وغيرهم من أصحاب القصور العريقة  
وكيف تركوها واستسلموا للزمن ولم يبق أمامهم إلا الانهزام والانسحاب اعترافا  
بسطوته مما يجعل من وسائله هو الآنرا أن يسلك نفس السبيل .

ومع لام الواقع التي يصورها مجسدة من خلال الآثار البالية ، وأطلال  
الأقوام ، تعود به ذاكرته الفاعلة وخياله إلى الماضي ، ليلتقط من مشاهد ما كانت  
تنعم به حياتهم من خيرات أسعدتهم ، ورفعت مكاتهم بين بقية الأقوام وميزت  
حضارتهم عن غيرها من الحضارات .

ويتخذ الشاعر من صور الماضي حين يسندها إلى هؤلاء ومن صور  
حاضرهم وقد سيطر عليها البلى ، يتخذ منها جميعا — على تناقضها — معادلا  
موضوعيا يسقط من خلاله آلامه النفسية الحزينة التي التمس لها ما يوازىها ويسهل  
لها مهمة الغزاء والتسلل عن ضغوط الحياة وكثرة همومها .

ومن هنا راح يطرح صور الماضي والحاضر في حياته كما عاشها بعد أن أطمأن  
إلى تصويرها من « خلال المعادل الموضوعي » وكأنه استطاع بهذا الشكل أن  
يطمئن إلى طبيعة المقارنة من ناحية ، ومن ناحية أخرى استطاع أن يهدأ إلى هذا  
« المعادل » الذي اتخذته وسيلة لتخفيف أحزانه وآلامه .

وعلى هذا طالت صورة الماضي وتعددت جزئياتها كما تعددت صور الحاضر ،  
والتقى في خياله الشيب والشباب من خلال ذاته كما التقيا من خلال الأقوام التي  
اتخذها « معادلا موضوعيا » يتجاوز معه ومن خلاله . مسجلا موقفه من  
الحياة والأحياء .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## ذكريات وعزاء

\* \* \*

- ١ نام الحلي وما أحس رقادي والهم محتضر لدى وسادي
- ٢ من غير ما سقم ولكن شفى هم أراه قد أصاب فؤادي
- ٣ ومن الحوادث لا أبالك أني ضرت على الأرض بالأسداد
- ٤ لا أهندي فيها لموضع تلمة بين العراق وبين أرض مراد
- ٥ ولقد علمت سوى الذي نبأني أن السبيل سبيل ذي الأعراد
- ٦ إن المنية والحنوف كلاهما يوفي المخارم يرقبان سوادى
- ٧ لن يرضيا منى وفاء رهينة من دون نفسي طارفي وتلادى

- (١) الخلى : الذى تجتبه الموم تركته هادئا خاليا منها . لا يحسه : لا يمانيه ولا يجد له أثرا أمامه .
- (٢) من غير ما سقم : بصور مبره ومعه دون علة واضحة . شفه الوجيد . بمعنى أرفقه وأهزله أو أذا به من كثرة ما سيطر عليه .
- (٣) الأسداد : السدود ( ج سد ) ( بصور معاناته وقد غمضت أمامه الأمور فلم يعد يهتدى إلى جهة واضحة وكان المسالك كلها قد سدت أمامه ) .
- (٤) أرض مراد : يقصد بها بلاد اليمن . التلمة وجمعها تلاع المناطق المنخفضة فى الأودية .
- (٥) ذو الأعراد : جد أكرم بن صيفى من بنى أسد بن عمرو بن تميم عرف واحد من المعمرين ومن كرام أهل زمانه .
- ( بصور عزته وفغلة الموت عنه دون بقية الناس ، فلو كان ثمة إنسان يعيش فليكن ذا الأعراد هذا الذى يتحدث عنه ) .
- (٦) السواد : الشخص . المخارم : الطرق الضيقة بين الجبال مفردا مخرم .
- (٧) لن يرضيا : يقصد المنية والحنوف . التالذ : الموروث . والطريف : المكتسب أو الجليل .

- ٨ ماذا أُؤْمِلُ بعد آل مُحَرِّقٍ      تركوا منازلهم ، وبعد إِيَادٍ ؟  
 ٩ أهل الخَوَرَنَقِ والسَّديرِ وبارقٍ      والقَصْرَدِي الشُّرَفَاتِ من سِنْدَادٍ  
 ١٠ أرضًا تَخِيرُهَا لِطَيْبِ مَقِيلِهَا      كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وابنُ أُمِّ دُوَادٍ  
 ١١ جرت الرياح على محَلِّ ديارهم      فكأنَّما كانوا على مِيعَادٍ  
 ١٢ ولقد غنوا فيها بأنعم عَيْشَةٍ      في ظلِّ مَلِكٍ تَابَتِ الْأَوْتَادُ  
 ١٣ نزلوا بِأَنْقَرَةَ يسيلُ عَلَيْهِمْ      ماءُ الْغُرَاتِ يَبْجِيءُ مِنْ أَطْوَادٍ  
 ١٤ فإذا النعمِ وكلُّ ما يُلهِي بِهِ      يومًا يصير إلى بَلَى وَنَفَادٍ  
 ١٥ في آلِ غَرْفٍ لَوَبَّغِيَّتِ لِي الْأُمَى      لوجدت فيهم لِسُوءَةِ الْعُدَادِ  
 ١٦ ما بَعْدَ زَيْدٍ في فَتَاةٍ فُرِّقُوا      قَتَلًا وَتَفِيًّا بعد حُسْنِ تَأْدِي ؟

(٨) الآل : الأهل . تركوا منازلهم : حلت منهم مالكم وديارهم . (يضخم الشاعر حزنه حين يفقد الأمل بعد زوال ملوك الأرض ويراهم عثلين في آل عمرو بن هند وآل إياد) .

(٩) الخورنق : نهر في أرض الكوفة ، وقيل هو اسم القصر للعبان . ومثله قصر السدير . بارق : ماء بالعراق . سناداد : نهريْن الحيرة والأبلة .

(١٠) كعب بن مامة الإيادي : واحد من الأجواد الثلاثة . ابن أم دؤاد : يقصد به أبا دؤاد الإيادي الشاعر المعروف .

(١٢) غنوا : أقاموا . المغنى : المنزل . ثابت الأوتاد : راسخ الأسس .

(١٣) أنقرة : موضع يظهر الكوفة أسفل الخورنق نزلته إياد في زمن قديم .

(١٤) يستجمع مشهد النعم الذي ساد عندهم حتى حلت بهم الكوارث التي شغلتهم عنه وسرقتهم منه ليلاقوا المذلة والزوال .

(١٥) الأمى : الأمثال . غرف : هو مالك الأصغر بن حنظلة بن مالك الأكبر .

العداد : من بعد أسلافاً شريفة . ليحطها موضع افتخاره .

(١٦) زبد : قبيلة . بعد حسن تأدي : أى بعد تمكثهم وأخذهم آلات الغزو وعدده .

- ١٧ فتخيروا الأرض الفضاء لِمَزَّهِمَ ويزيدُ رافدُهُم على الرِّفَادِ  
١٨ إِمَّا تَرَبَّنِي قَدْ بَلَيْتُ وَغَاضَنِي مَا نِيلَ مِنْ بَصْرَى وَمِنْ أَجْلَادِي  
١٩ وعصمتُ أصحابَ الصَّبَابَةِ والصَّبَا وَأَطَعْتُ عَازِلَتِي وَلَانَ قِيَادِي  
٢٠ فَلَقَدْ أَرُوحُ عَلَى التَّجَارِ مُرَجَّلاً مَذِلًا بِمَالِي لَيْتَا أَجْيَادِي  
٢١ وَلَقَدْ لَهَوْتُ وَلِلشَّبَابِ لَذَاذَةٌ بِسُلَافَةٍ مُرِجَتٍ بِمَاءِ غَوَادِي  
٢٢ مِنْ تَحْمِرِ ذِي نَظْفٍ أَغْنَى مُنْطَقَ وَافِي بِهَا لِدِرَاهِمِ الإِجْتِنَادِ  
٢٣ يَسْمَى بِهَا ذُو تَوَمَّتَيْنِ مَشْمَرٍ قَنَاتُ أَنَامِلِهِ مِنَ الْفِرْصَادِ  
٢٤ وَالْبَيْضُ تَمْشِي كَالْبُدُورِ وَكَالْدُمَى وَنَوَاعِمُ يَمْشِينَ بِالْأَرْفَادِ  
٢٥ وَالْبَيْضُ يَرْمِيَنَّ الْقُلُوبَ كَأَنهَا أَذْحَى بَيْنَ صَرِيعةٍ وَجَمَادِ  
٢٦ يَنْطِقَنَّ مَعْرُوفًا وَهَنَّ نَوَاعِمُ بَيْضُ الْوُجُوهِ رَقِيقَةُ الْأَكْبَادِ

(١٧) الفضاء : الواسعة . الرقد : العطاء والهباء .

(١٨) بليت : بلغني الشيب ، فذير منى ماقتى من جسمى وأقصنى الكثير من نور بصرى .

(١٩) القياد : الزمام . لان : سهل . العازل : اللائم .

(٢٠) التجار : بيوت التجارين . مرجل : يرجل شعره وينظفه ويصفه .

(٢١) السلافة : الخمر ، وقيل هى خالص الشراب . لذاذة الشباب أو بشاشته : طلافة الوجه .

(٢٢) النطق : الفرطة . ذوقطف : يقصد بائع الخمر من العجم ، منطق : فى وسطه منطقة

(٢٣) التومتان : اللؤلؤتان ، يصور ساقيا من المحبوس . قنات : احسرت . يشبه حمرة لون

الشراب بحمرة لون الفرصاد .

(٢٤) الدى : الصور . النواعم : من ذوات النعمة . الأرفاد : العطايا والهباء .

(٢٥) الأدحى : الموضع الذى تدحره النعامة لتبيض فيه . فهو يشبه النساء يبيض النعام .

الصريعة : ما انصرم من الرمل : الجهاد : ماصلب من الأرض .

(٢٦) ببيض الوجوه : خاليات من العيوب والمساوى . الرقة : النعمة ومخفض العيش . ورقة

الكبد : وفور الحظ من الرحمة والاحسان إلى الناس .

- ٢٧ ينطقن مخفوض الحديث تهاماً  
 ٢٨ ولقد غدوت لمازب متعذّر  
 ٢٩ جادت سواريه وأزرت ثيابه  
 ٣٠ بالجور فالأمراة حول مقامه  
 ٣١ بمشمر عتد جهيز شدة  
 ٣٢ يشوي لنا الواحد المدل بحضره  
 ٣٣ ولقد تلوت الظاعنين بحسرة  
 ٣٤ عيرانية سد الربيع خصاصها  
 ٣٥ فإذا ، وذلك لا مهاة لذكره
- فبلغن ماحولن غير تنادى  
 أخوى المذانب مؤنق الرواد  
 نفأ من الصفرأ والزباد  
 فيضارج فقصيمة الطراد  
 قيد الأوايد والرهان جواد  
 بشرح بين الشد والإيراد  
 أجد مهاجرة السقاب جماد  
 ما يستبين بها مقل قراد  
 والدهر يعقب صالحاً بفساد

- (٢٧) يصور ما يشتمن به من حياء ونجل فمن يخفضن أصواتهن إذا تكلمن فوصلن إلى ما يردن دون رفع أصواتهن دلالة على نعمتين أيضاً .
- (٢٨) المازب : المتنعي ، والمازب : الكلاء . متناذر : يتناذره الناس للتعرف منه .  
 المذانب : مسايل المياه ، الأخوى : شديد الخضرة ، بصور التثنية في المذانب .  
 المؤنق : المعجب . الراد : الذين يدورون في طلب المرضي .
- (٢٩) الصفراء والزباد : ضربان من العشب . أزرو : عاون . : ثبات له زهرة بيضاء .
- (٣٠) الطراد : القناص . الجو : المنطقة من الأرض المبللة .
- (٣١) المشمر : الفرس الطويل القوائم . العتد : الذي عتده عدة للجرى . الجهيز : الكثير .  
 الأوايد : الوحش من الخيل أو البقر . قيد الأوايد : يقيد الوحش فلا تفوته .  
 الرهان : ما يدور في السباق . الجواد : الكثير العدو .
- (٣٢) الواحد : الثور أو الجار الذي ليس له من جنسه نظير بحيث يفوق نظرائه .  
 المدل : شديد الفخر والمباهاة . الحضرة : العدو . الشريح : الخلط . الإيراد : أشد الشدة .
- (٣٣) تلاحم : تبعهم . الأجد : الموثقة الخلق . المقب : ولد الناقة . الجداد : القوية .
- (٣٤) العيرانية : أنثى الجار تشبه به في صلابتها وقوتها ومرعتها . الخصاصة : الجوع . سد الربيع : خصاصها : أمتها الربيع بعد الهزال .
- (٣٥) لامهاة : لابقاء . يصور ما افتنع به من شأن الدهر حيث لا يتبع الصلاح إلا بالفساد والتغير بالشر ، والبقاء بالنفاق .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ

\* \* \*

هو سلامة بن جندل بن عمرو بن عبيد بن الحارث ، شاعر جاهلي قديم ،  
ويظن بعض الباحثين المحدثين أن تكون وفاته بين سنة ٦٠٢ وسنة ٦١٠ ويرجح  
لويس شيخو سنة ٦٠٨ تاريخاً لوفاته . كان من فرسان العرب المشهورين ،  
عرف بجودة وصفه للخيال ومن جيد شعره فيها هذه القصيدة التي بدأها بأسفه  
على شبابه ويعبر فيها عن رغبته في العودة السريعة إلى هذا الشباب ، ويصور وجود  
قبيلته مفتخراً بها ، ومفتخراً بجوده أيضاً ، كما يبرز اعترازه بقومه في حالتي السلم  
والحرب ، ومن قومه ينتقل إلى تصوير بني معد وإهزامهم بقومه ، ثم يعود مرة  
ثانية فيفخر بهم وخاصة الفرسان منهم . ويركز في فخره على الحسب ونجدة  
المحتاج في سنوات الجلب والصبر على الشدائد .

وتظل المقدمة هذه القصيدة أهميتها الخاصة ، حيث تجمع بين حديث الشيب  
وحديث الشباب ، وإن كانت مقدمة سريعة قليلة التفاصيل تدور حول ضياع  
الشباب وانسحابه أمام الشيب في حياة الشاعر ، وتقف عند تصوير طبيعة  
الصراع الذي يدور بين ماضيه وحاضره ، وهو صراع ينتهي بانتصار الشيب ،  
إذ لا يبقى للشاعر إلا التحسر على الذكريات ومعها بقية آمنيات في عودتها ، وهي  
آمنيات تخرج صاحبها من هذا الجلو النفسي الحزين قبل أن يفاجئه المصير المحتوم  
الذي يترصده .

\* \* \*

راجع القصيدة في ديوان سلامة بن جندل رواية الأصبهي وأبي عمرو الشيباني تحقيق الدكتور  
نفر الدين قباوة ، وفي ديوان المفضليات : المفضلية ( ٢٢ ) .



## أودى الشبابُ

\* \* \*

- ١ أودى الشبابُ حميداً ذو التعاجيب أودى وذلك شأؤٌ غيرُ مطلوب
- ٢ وليّ حديثاً وهذا الشيبُ يطلبه لو كان يدركه ركضُ اليعاقب
- ٣ أودى الشبابُ الذي جمد عواقبه فيه نلذ ، ولا لذات للشيب
- ٤ يومان : يومٌ مقاماتٍ وأنديّة ويوم سسيرٍ إلى الأهداءِ تأويب
- ٥ والعاديّاتُ أسانيّ الدماء بها كأنّ أعناقها أنصابُ ترجيب
- ٦ من كلّ حتٍّ إذا ما ابتلّ مُلبده ضافيّ السيب أسيل الخلد يعبوب
- ٧ ليس بأسفى ولا أفى ولا سغيل يُعطى دواءٌ قفى السكين مرُبوب

(١) شأؤ غير مطلوب : سبق لا يسئل إدراكه . أودى الشئ بمعنى هلك وزال .

(٢) اليعاقب : ذكور الخيل . يقول : لو كان ركض اليعاقب يدرك الشباب لطلبته .

(٤) التأويب : الرجوع ، ومن معانيه الإيعان في السير السريع . الأنديّة : المجالس حيث ملثق

القنوم .

(٥) العاديّات : الخيل . الأسانيّ : الدم المراق ، أو ألوان الدم . الأنصاب : الحجارة تنصبه

لثم الذئب عليها . الترجيب : أن تميل النخلة في أحد شقيها فيؤثّق بحجارة فتدهم بها من الشق المائل .

(٦) الحتّ : القى لا يجارى . ملبدّه : موضع لبده ، محزمه : موضع حزامه . مملدّه : موضع

مذاره . السيب : شعر الذنب وشعر الناصية . أسيل : سهل طويل . يعبوب : كثير الجرى ،

ومنها أيضاً كرم الأصل والنسب .

(٧) القنّا : حده في الأنف ، وهو مذموم في الخيل . الأسفى : خفيف شعر الناصية والذنب

وهو السفا . سفّل : مهزول . القفى : الذى يسقى اللبن ويؤثر به دون أهل البيت . الأثى : السيل

يأتى من بلد مطر إلى بلد غير مطر يشبه به تدفق فرسه في الجرى . الشؤبوب : الدفعة من المطر .

الشد : العدو .

- ٨ في كل قائمة منه إذا اندفعت منه أساوٍ كفرغ الدلوٍ أثعوبٍ  
 ٩ كأنه يرفئُ نام من غنمٍ  
 ١٠ تمّ الدسيعُ إلى هادٍ له يتبعُ  
 ١١ تظاهر التي فيه فهو مُحْتَفِلٌ  
 ١٢ يحاضرُ الجونُ مُحَضَّرًا بجافلها  
 ١٣ كم من فقيرٍ بإذن الله قد جبرت  
 ١٤ ما يقدمُ في الهيجا إذا كُرِهَتْ  
 ١٥ همت معد بنا همتا فتنهها  
 ١٦ بالمشرفي ومصقولٍ أسننها
- منه أساوٍ كفرغ الدلوٍ أثعوبٍ  
 مُسْتَنْفِرٌ في سواد الليل مذؤوبٍ  
 في جُؤْجُؤٍ كدالك الطيبِ مخضوبٍ  
 يُعطى أساهي من جري وتقريبٍ  
 ويسبقُ الألف عَقوا غير مضروبٍ  
 وذى غنى بوائه دار محروبٍ  
 عند الطعان ويُنحى كُلُّ مكروبٍ  
 عنا طعانٌ وضربٌ غير تذيبٍ  
 صمَّ العوامل، صدقات الأنايب

(٨) الأساوٍ : الدفعات من الجرى . فرغ الدلو : إراقة الماء منها . أثعوب : سائل مندفع .

(٩) اليرفئ : الراعى الجافى .

(١٠) الدسيع : العنق . يتبع : طول العنق . هادى الشيء : أوله ، والهادى : العنق .  
 جؤجؤه : صدره . المداك : الصلاة ، أراد أنه أملس .

(١١) التي : الشحم . تظاهر التي : أى ركب بعضه بعضا . جرى : عدو شديد . التقريب ،  
 ضرب من الميردون الجرى . أساهى : ضروب من الجرى .

(١٢) الجون : حمر ألوانها . مخضرا بجافلها : من أكل الرطب أو عشب الربيع الرطب .

(١٣) بواء : أنزله . جبرت : أغتته ولت شعثه . محروب : سلوب .

(١٥) همت بنا : أرادت بنا سوءا . نهنها : كفها . ضرب غير تذيب : ليس ضميحا تذيبهم  
 به عنا ، ولكنه ضرب قاتل .

(١٦) مصقول أسننها : محددة . صم : مفردا أصم وهو غير الأجوف . المشرفية : السيوف  
 منسوبة إلى قرى المشارف بالشام . حامل الرمح : الثلث الذى إلى السنان . الأنايب : الكعوب .

- ١٧ يَجْلُو أَسْتَهَا فَيَبَانُ عَادِيَةً      لَا مُقْرِفِينَ وَلَا سُودَ جَعَايِبَ  
 ١٨ سَوَى الثَّقَافِ قَنَاهَا فَهِيَ مُحَكَّمَةٌ      قَلِيلَةُ الزَّيْغِ مِنْ سَنٍّ وَتَرْكِيبِ  
 ١٩ كَانَتْهَا بِأَكْفَ القَوْمِ إِذْ لَحَقُوا      مَوَاتِحُ الْبَثْرِ أَوْ أَشْطَانُ مَطْلُوبِ  
 ٢٠ كَلَا الْفَرِيقَيْنِ: أَعْلَاهُمْ وَأَسْفَلُهُمْ      شَيْخٌ بِأَرْمَاحِنَا غَيْرُ التَّكَذِيبِ  
 ٢١ لَمَنِّي وَجَدْتُ بَنِي سَعِيدٍ يُفَضِّلُهُمْ      كُلُّ شَهَابٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُضْطُّوبِ  
 ٢٢ إِلَى تَيْمِيمٍ، حُمَاةِ الثَّغْرِ، نَسَبُهُمْ      وَكُلُّ ذِي حَسَبٍ فِي النَّاسِ مَنَسُوبِ  
 ٢٣ قَوْمٌ إِذَا صَرَحَتْ تَحَلَّى بِيَوْمِهِمْ      عَنِ الدَّلِيلِ وَمَاوَى كُلِّ قُرْضُوبِ  
 ٢٤ يُنْجِيهِمْ مِنْ دَوَاهِي الشَّرِّ إِنْ أَزَمَتْ      صَبْرٌ عَلَيْهِمَا وَقَبْضٌ غَيْرُ مُحْسُوبِ  
 ٢٥ كُنَّا نَحُلُّ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ      بِكُلِّ وَادٍ حَطِيبٍ الْبَطْنُ مَجْدُوبِ

(١٧) المقرف : الذى تكون أمه عربية وأبوه غير عربى . والهجين : الذى يكون أبوه عربيا وأمه من غير العرب . الميل . الذين يميلون عن مرجعهم ولا يشتنون عليه ( الزيغ ) . يجلو الأسته : يكشف عنها الصدا . العادية : الحاملة الذين يمدون فى الحرب ويميلون . الجعابيب : الصفاف القصار الذين لا خير مندهم أروهم الأدنياء من الرجال .

(١٨) الثقاف : خشبة يقوم بها القنا . الزيغ : الاعرجاج . السن : التعديد .

(١٩) المواتح : البكرات التى يمنح عليها . الشطن : الحبل مطلوب : ماء معروف ، ومطلوب : ير لبنى كلاب .

(٢٠) التكذاب : الرخ يكذب صاحبه فى الجملة .

(٢٢) الثغر : أن يكون الوادى خصيب البطن مخلوقا فبها ماء الناس فيرهاه أهل العز .

(٢٣) صرحت : بينت ، أى لم يكن فيها مطر ولا غيم . الكحل : السنة الشديدة المجذبة .

القراضية : الموص ، ويقال أهل الفقر والحاجة . والقرضوب الصعلوك الفقير .

(٢٤) أزمت : اشتدت . القبض : العدد الكثير .

(٢٥) المجذوب : المذموم المعيب . الشامية : ريح الشمال من الشام وتتميز بشدة برودتها . حطيب : كثير الحطب .

- ٢٦ شَيْبَ الْمَبَارِكِ مَدْرُوسٍ مَدَايِعُهُ هَابِي الْمَرَاغِ قَلِيلِ الْوَدَقِ مَوْظُوبِ  
 ٢٧ كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فِرْعُ كَانَ الصَّرَاخُ لَهُ قَرَعَ الظَّنَابِيْبِ  
 ٢٨ وَشَدَّ كَوْرٍ عَلَى وَجَنَاءَ نَاجِيَةٍ وَشَدَّ لِيَبْدَ عَلَى جَرْدَاءَ سَرْحُوبِ  
 ٢٩ يُقَالُ : تَحْبِثُهَا أَدْنَى لِمَرَّتَمَهَا وَلَوْ تَعَادَى بِبَكٍّ كُلِّ مَحْلُوبِ  
 ٣٠ حَتَّى تَرَكْنَا وَمَا تُثْنَى ظِعَامُنُنَا يَأْخُذْنَ بَيْنَ سَوَادِ الْخَطِّ فَالْلُوبِ

- (٢٦) المبارك جمع مبارك وهو جانب الوادي حيث تبرك الإبل لأنها لا تبرك في مجرى الماء .  
 الودق : المطر . قليل الودق : لم يصبه المطر . مدروس مدافعه : أى أن أوديته التي كانت يكون بها  
 النبت قد درست أى دقت ووطئت وأكل نباتها « والهابي : الغيار » والمراغ : التراب ( هاب المراغ  
 أى متفخ التراب لا يتمرغ فيه بعير وقد ترك لخوضه ) مَوْظُوب : وَاظْبُوا عليه حتى أكل ما فيه .  
 (٢٧) المارخ : من الأصدقاء ومعناها المستغيث أو المنغيث . قرع الظنابيب : يكفى به عن العزم  
 على الفوت وتفترغ ظنابيب التحليل بالسياط لتركض إلى العدو . والظنوب : الساق .  
 (٢٨) والبد : ما بوضع تحت السرج على ظهر الفرس . سرحوب : فرس طوييلة ، وجنء :  
 غافة غليظة . ناجية : سريرة . الكور : الرجل .  
 (٢٩) البك : قلة اللبن ثثنى : ترد . الخط : موضع .  
 (٣٠) اللوب جمع لابة ولوب . وهى الحرة .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## الأخنس بن شهاب التغلبي

\* \* \*

شاعر جاهلي قديم ، وواحد من فرسان قبيلة تغلب المعدودين ، عرف بأنه « فارس العصا » ، وذاعت مكانته في الشعر قبل الإسلام بدهر ، وكان ابنه بكير . ابن الأخنس بن شهاب شاعرا إسلاميا . وموضوع القصيدة يدور حول نفر الشاعر بنفسه وبنى قومه ، وهي تبدأ — كالعادة — بوصف ديار صاحبه حيث يقف على أطلالها باكيا ناعثا ما انتشر فيها من حيوانات الصحراء بعد رحيلها ، فيلفت نظره فيها مشهد النعام بصفة خاصة ، ثم يقف بعد ذلك عند عرض ذكريات شبابه فيصورها من خلال عرض موقفه النفسي تجاهها .

ويسجل الشاعر في القصيدة كثيرا من مواطن العرب والأماكن التي أقاموا فيها ، وهو يستغل هذا التسجيل في هدفه من موضوع القصيدة إذ يقف عند التغليبين ليثبت لهم موطنهم العام الذي يمتد في أنحاء الجزيرة ، وهم ليسوا كغيرهم من ضعاف القبائل التي تلتزم بدورها وأماكنها ، وإنما ينتشرون في الأرض بحكم قوتهم وسيطرتهم على غيرهم من القبائل ، فهم يسيرون في الصحراء خلف سبيل الحياة من أمطار وأعشاب لا يخشون أحدا ولا يعترض سبيلهم عدو ، بل يحسون العزة في أنفسهم ، وهم يسعدون بحماية خيلهم لهم وهي ترود حول بيوتهم جيئة وذهابا ، وكأنها ترفض الحبس أو الاستتوار هي الأخرى ، ومن الخيل ينتقل

الأخنس إلى تصوير فرسان قومه أبطالاً تلتقى في عناصرهم الشجاعة ، لا تراهم  
إلا في مواقف القتال ومقارعة الأبطال صراعا من أجل سيادتهم ونشر رايهم  
دائما بين القبائل .

\* \* \*

(تراجع المفضليات بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون والأستاذ أحمد شاكر)

عبد الله التطاوى

## سيادة مطلقه

\* \* \*

- ١ لابنة حطان بن عوف منازل كما رقص العنوان في الرق كاتِبُ
- ٢ ظلمت بها أعرى وأشعر سحنة كما اعتاد محمومًا بخير صالبُ
- ٣ تظلل بها رُبْدُ النعام كأنها إماء تُرجى بالعشي حواطِبُ
- ٤ خليلاي : هوجاء النجاء شيلة وذو شطب لا يجتويه المصاحبُ
- ٥ وقد عشت دهرًا والغواة صحابي أولئك خلصاني الذين أصاحبُ
- ٦ رفيقًا لمن أعيا وقلد حبله وحاذر جراه الصديق الأقارب

- (١) يلجأ الشاعر إلى التشبيه ليصور ما بقي من آثار الديار بعد دروسها إذ بقي بعضها وعفت كثير من معالمها، وصارت أشبه ببقايا الكتابة في الرق . العنوان : العلامة . الترفيش : التحسين والتزين .
- (٢) أعرى : من العراء . وهي الرعدة المصاحبة للحى أو الرعدة المرتبطة بها . وقد خص «خير» لأن حماها أشد الحى . وهو يلجأ إلى التصوير أيضا فيعرض وقع ما أصابه من الوقوف على الديار وما بان من دروسها فكان أشد عما اعتاد بالمحموم بخير . الصالب : الحى المصحوبة بالصداع .
- (٣) الربداء : النعام ، والربدة : غيرة تضرب إلى السواد وتشير إلى اللون القاتم . وهو يشبه النعام وقد عرفت بأنها أنقر الوحوش في سكوتها في مرعاها ورفقتها في مشيها ينغمها بأدما . تساق محتطبات مثقلات بما جمعت من الحطب وقد أصابهن التعب والإرهاق في هودتهن بالعشى إلى الحى .
- (٤) الهوجاء : التى تركب رأسها في السير . النجاء : السرعة . الشيلة : السرعة الخفيفة . الشطب : على هيئة الخطوط في السيف . الاجتواء : الاستئفال والكرامة . المصاحب : صاحب السيف . فهو لصرامته وثقلته لا يكرهه من كان له .
- (٥) الغواة : الحبان وأصحاب الضلالة والفساد من الناس . خلصاني : صفوتى وأصدقائى .
- (٦) رفيقًا لمن أعيا : يقصد من أتمب هذا له . قلد حبله : أى ألقى زمامه على غاربه بعد اليأس من إصلاحه وتقويمه ، فترك في سومه لا يقاد ولا يساق . جراه : جريرته أو جتايته .

- ٧ فَادَيْتُ عَنِّي مَا اسْتَعَرْتُ مِنَ الصَّبَا  
٨ لِكُلِّ أَنَّاسٍ مِنْ مَعَدِّ عِمَارَةٍ  
٩ لَكَيْزٍ لَهَا الْبَحْرَانِ وَالسَّيْفُ كُلُّهُ  
١٠ تَطَايُرُ عَنْ أَتْعَازِ حُوشٍ كَأَنَّهَا  
١١ وَبَكَرْهَا ظَهْرُ الْعِرَاقِ وَإِنْ تَشَأْ  
١٢ وَصَارَتْ تَمِيمٌ بَيْنَ قَفٍّ وَرَمْلَةٍ  
١٣ وَكَلْبٌ لَهَا خَبَتْ قَرْمَلَةٌ عَالِجٌ  
١٤ وَغَسَّانٌ سَحَى عِزُّهُمْ فِي سِوَاهُمْ
- وَاللَّيْلِ عِنْدِي الْيَوْمَ رَاجِعٌ وَكَاسِبٌ  
عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجِئُونَ وَجَانِبٌ  
وَإِنْ يَأْتِيهَا بَاسٌ مِنَ الْهِنْدِ كَارِبٌ  
جَهَامٌ أَرَاقَ مَاءَهُ فَهَوَّ آتِبٌ  
يَحُلُّ دُونَهَا مِنَ الْيَمَامَةِ حَاجِبٌ  
لَهَا مِنْ حِبَالٍ مُنْتَأَى وَمَذَاهِبٌ  
إِلَى الْحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ حَيْثُ تُحَارِبُ  
يُجَالِدُ عَنْهُمْ مِقْنَبٌ وَكَتَائِبُ

(٧) سلكت سبيل الهداية والرشاد ، فللحال متى حافظ رد ما كان عليه من الغواية والضلال .

(٨) العماره : الحى العظيم وقيل أنها البطن من القبيلة . العروض : الحى العظيم الكبير والطريق فى عرض الجبل وعروض الجبل شعبة من الجبل .

وهو يصور لكل طائفة من طوائف معد جهة يأدون إليها وهضبة عز يتحصنون بها .

(٩) السيف : ضفة البحر . الكرب : شدة الأمر وكربت الحبل أى سدوت فثله .

(١٠) الحوش : إبل حوشية . يصورهم فى سباقهم فى الشر والحرب وهم أصحاب إبل لا نخيل لهم قى دعوا إلى الحرب أجا بوا مراعا .

(١١) يصور الشاعر الحاجب من أهل اليمامة . فيقول إن تشا تجعل بينها وبين اليمامة مانعا .

(١٢) القف : ما غلظ من الأرض وخشن وصلب الحبال : حبال الرمل . المنتأى : البعيد (من النأى) .

(١٣) خبت : منازل لكلب . الحرة الرجلاء : الغليظة الصلبة .

(١٤) غسان : ماء ، ويقال أنه سقى ولد يحنه غسان بماء نزله فن شرب هذا الماء سقى غسانيا . وامن الماء غسان . المقنب : الجماعه . يصورهم ملوكا قليلين وكانت الروم توليهم وتقاتل عنهم تمزهم فى غيرهم ، وإنما كانوا نزولا مع قوم من العرب .



- ١٥ وَهَرَاءُ حَتَّى قَدْ عَلِمْنَا مَكَانَهُمْ لَمْ شَرَكْ حَوْلَ الرِّصَافَةِ لَا حِبُّ  
 ١٦ وَغَارَتْ إِيَادُ فِي السَّوَادِ وَدُونَهَا بَرَّازِيقُ ، تُجْجِمُ ، تَبْتَغِي مَنْ تَضَارِبُ  
 ١٧ وَلَحْمُ مُلُوكِ النَّاسِ يُجْبَى إِلَيْهِمْ إِذَا قَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ فَهَوَ وَاجِبُ  
 ١٨ وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا حِجَّازَ بَارِضَنَا مَعَ الْغَيْثِ مَا نُلْقَى وَمَنْ هُوَ غَالِبُ  
 ١٩ تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِنَا كَهَمْزَى الْجِجَارِزِ أَعْجَزَتْهَا الزَّرَائِبُ  
 ٢٠ فَيُغَبِّقْنَ أَحْلَابًا وَيُصْبِحْنَ مِثْلَهَا فَهِنَّ مِنَ التَّعْدَاءِ قُبُ شَوَازِبُ  
 ٢١ فَوَارِسُهَا مِنْ تَغْلِبِ ابْنَةِ وَاثِلٍ حِمَاةٌ كَمَا لَيْسَ فِيهَا أَشَائِبُ

- (١٥) الشرك : الموارد والآثار ويقصد به موردهم من ناحية الرصافة ، وهو موطن هشام بن عبد الملك . الاحب : الواضح . المذل : المعبد يصورهم مجاورين له آتئين أعداءهم .  
 مكانهم : ديارهم ومحلهم وربما قصد مكانهم المعنوية في العز والإباء والشرف .  
 (١٦) غارت : دخلت . البرازيق : جماعات المواكب يصورهم يتخاطون الناس من أهل الحضر ويشاركونهم في قراهم ومزاحهم ويطلبون من يجاذبهم لحرصهم على القتال والدفاع .  
 (١٧) يصور سيطرتهم ونفاذ أمرهم من خلال مكاتبتهم كلوك يتبعهم الناس ويخضعون لهم ويقفون عند أمرهم ونهيهم . خاضعين مطيعين .  
 (١٨) مع الغيث ما تلقى : يصور رحيلهم إلى كل بلد وقع فيه المطر وتقلعهم المستمر ، لينثروا سيطرتهم على أهله ، فهم لا يتخشون أحدا مطلقا .  
 (١٩) الزرائب : حظائر الغنم . الرائدات : المختلقات في جوانب البيوت لا مجالس لها .  
 صور رائدات الخيل همزى الججارت وكيف ضاقت عنها الزرائب لكثرتها ، فهي تختلف كيف شامت لكونها بخلة لا يخافون عليها طمع طامع أو سلب سالب .  
 (٢٠) التعداء : من العدو . القب : الضوامر الخواصر . الشوازب : الضوامر . الأحلاب : يريد بها حلبات العدو .  
 (٢١) حمة : يذودون عن حاهم ويدفعون عنه أعداءهم . الأشائب : الأخطا من الناس .

- ٢٢ هُمُ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدَّمَاءِ سَبَاسِبُ  
 ٢٣ بِجَاوَاءَ يَنْفَى وَرُدُّهَا سَرَاعَتَهَا كَأَن وَضِيحَ الْبَيْضِ فِيهَا الْكَوَاكِبُ  
 ٢٤ وَإِنْ قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَضْلُهَا ٢٥ فَلِلَّاهِ قَوْمٌ مِثْلُ قَوْمِي سُوقَةٌ  
 ٢٦ أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ وَتَقْصُرُ عَنْهُمْ يَغْفَلُونَ الذَّرَائِبُ  
 ٢٧ أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوا قَيْدَ خَلِيلِهِمْ وَنَحْنُ سَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبُ

(٢٢) الكبش : سيد القوم وحاميهم ورئيسهم . وقد يقصد به المتقدمون من الجيش . السباب : الطرائق . ( مفردا سببة ) .

(٢٣) الجاواء : الكتيبة التي كثرت دورها وعتادها وطال أمدها في الفزوة الوبوض : البريق . السراعان : يقصد تصويرهم في إسرارهم ومبادرتهم إلى حياض الموت . وضوح البيض : ما وضع منه وظهر .

(٢٤) السوقة : من هم دون السادة . العصائب : الجماعات .

(٢٦) الذرائب : المتقدمون . الذنائب : المتأخرون . بصورهم متقدمين عند السلاطين وبقية الناس تبع لهم . وهم ينتظرون فصلهم في قضايهم ، وتنبزههم حاجاتهم والآخريين . ويريد من تعميق الصورة بتصوير السادة ، وإن عزوا في أفقهم إلا أنهم يعجزون تماما عن بلوغ مكانهم أو حتى التطلع إلى شأوهم .

(٢٧) يصور إياهم وكيف تركوها تسرب حيث شاءت ، وهم لا يفعلون معها كما يفعل الآخرون من قيدها ، فهم يشقون من قدرتها وقدرتهم على حمايتها فيتركوها ترعى أينما سارت .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## الشَّنْفَرَى

\* \* \*

شاعر من الصعاليك ، يختلف الرواة اختلافا كبيرا حول اسمه ولقبه ونسبه . وأخبار نشأته الأولى غامضة إلى درجة بعيدة ، ولكننا من خلال هذا الاختلاف ، ومن وراء هذا الغموض ، نستطيع أن نقول إنه من قبيلة الأزديين ، وإن الشنفرى لقب أطلق عليه ، وإن أباه كان في موضع من قومه ، ولكنه كان في قلة من المال ، وإن أمه كانت سبية ، ومن هنا جاء هذا اللقب الذى يدل لغويا على غلظ الشفتين ، وراثته عن أمه التى كانت — فى أغلب الظن — من أصل زنجى . ويرجع ذلك ما يذكره الرواة من أنه كان من « أضرمة العرب » ، أبناء الإمام السود الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم .

نشأ الشنفرى فى قبيلته كما ينشأ أولاد الإمام تحت وطأة العنصرية العربية الجاهلية من أب عربى أنجبه ثم لم يعترف به . ثم فى ظروف لم يتفق الرواة عليها انتقل إلى قبيلة فهم التى كانت تنزل فى جبال الحجاز الوعرة جنوبى مكة ، وهى قبيلة فقيرة متمردة مشهورة بكثرة لصوصها وقطاع الطرق فيها . وهناك اتصل بتأبط شرا أحد عتاة الصعاليك فى هذه المنطقة ، فوجد فيه تلميذا ممتازا ، فلقنه دروس الصعلكة الأولى حتى صار لا يقام لسبيله . ومضى الاثنان فى الطريق الصعب الذى اختاره الصعاليك لأنفسهم . ورأى الشنفرى أن فرصة الانتقام من قبيلته التى تخلت عنه ذات يوم ، وألقت به فى قبيلة غريبة ، قد سححت له ،

فأخذ يصب عليها كل غزواته ، ووهب حياته للانتقام منها ، وآلى على نفسه أن يقتل منها مائة رجل .

وركب الشنفرى الموجة العالية العاتية ، وانطلق مع صعاليك العرب يثيرون الفرع في أرجاء الصحراء ، يغيرون وينهبون ويسلبون ، ويهاجمون أغنياء القبائل ، ويقطعون طرق القوافل التجارية التى تسيل بها شعاب هذه المنطقة المواجهة بالنشاط الاقتصادى ، ولا يترددون عن قتل من يمترض طريقهم ، رافعين راية الترد على المجتمع القبلى وما تعارف عليه من نظم اجتماعية واقتصادية . وأعانه على ذلك حقد أسود على المجتمع المتمصب للجنس الأبيض ، وإيمان قوى يصل إلى درجة الهوس بالحركة التى يعمل من خلالها ، وجرأة متطرفة تصل إلى حد التهور والاستهانة بالحياة ، ثم سرعة غير عادية فى العدو ضربت بها الأمثال .

وعاش الشنفرى حياة تختلط فيها الحقيقة بالخيال ، والواقع بالأسطورة ، ويذكر الرواة أنه وفى بعهد الذى أخذه على نفسه ، فقتل تسعة وتسعين رجلا من قبيلته . ثم كانت النهاية ، فاحتالوا عليه ، وقبضوا عليه بمساعدة أحد عدائهم المشهورين — أسيد بن جابر — ثم قتلوه ، وفصلوا رأسه عن جسده ، وألقوا به فى الصحراء . وانشاء القدر أن يمر به رجل منهم ، فيضرب جميعته بقدمه ، فتدخل فيها مشظية منها ، فيموت ويتم القتل مائة ، وفاء من القدر بالعهد الذى قطعه الشنفرى على نفسه .

\* \* \*

وشعر الشنفرى الذى وصل إلينا قليل ، وكأنما ضاع أكثره فى تشرده فى أعماق الصحراء . ويدور القسم الأكبر منه حول هذا الصراع الرهيب بينه وبين قومه ، والجزء الباقى حول أحاديث تصعلكه وفقره وتشرده وغاراته وتمرده على

المجتمع الذي انفصل عنه منذ وقت مبكر من حياته . ولكن من أعماق هذه الموسيقى الرهيبة العنيفة التي تُطلقها أبواقُ الحقد والانتقام ، ينطلق نغم رقيق هادئ في مقدمته الطويلة التي يستهل بها تأنيته المفضلية « ألا أم عمرو أزعمت فاستقلت » ، يرسم صورة رائعة ممتازة لزوجته الحيية المثالية ، صورة نادرة في الشعر الجاهلي لا نكاد نظفر فيه بصورة تماثلها .

ومن أروع ما نسب إليه لاميته المشهورة الدائمة الصيت المعروفة بلامية العرب ، وإن يكن كثير من الرواة القدماء والباحثين المحدثين يشكون في صحة نسبتها إليه ، ولكن القضية ما تزال موضع خلاف كبير وجدل شديد بين الباحثين .

وأخص ما يميز أسلوب الشنفرى الفنى تلك الحسونة اللفظية التي تمثل اللغة البدوية الجاهلية أصدق تمثيل ، ثم تلك الصلابة التعبيرية التي تجعل أسلوبه أسلوباً محكماً قوياً لا رخاوة فيه انعكاساً لقوة شخصيته ، وقسوة الحياة التي يحياها . هذا إلى جانب ما يمتاز به من صدق التعبير عن الواقع ، والصراحة التي لا حدود لها في النقل عن الحياة .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## التائية المُفضَّلية

\* \* \*

كان الشنفرى قد أخذ أسيرا فدأء في بنى سَلامان بن مُقْرِج وهو غلام صغير ،  
فنشأ فيهم ، فلما أساءوا إليه وعلم بأمره غضب ، وتوعدَّهم أن يقتل منهم مائة  
رجل ، فقتل تسعة وتسعين ، وكان ممن قَتَلَ منهم رجلٌ يقال له حَرَام بن جابر ،  
قتله بمنى حين أخبر أنه قاتل أبيه ، وأشار إلى مقتله في البيت ٢٨ من هذه القصيدة .  
بدأ الشنفرى قصيدته بالغزل والتشبيب ، وأبدع في وصف مشية صاحبه  
والتنويه بحاسنها ، ثم نعت قوته وشدة بأسه ، وذوّه بصديقه تأبط شرا ، ووصف  
السيف ، ثم أشار إلى نأره من قاتل أبيه ، ونفر باستهانته بالحياة ، وبجازاته الخير  
والشر بمثلها .

\* \* \*

- ١ ألا أم عمرو أجمعت فاستقلت وما ودّعت جيرانها إذ تولّت
- ٢ وقد سبقتنا أم عمرو بأمرها وكانت بأعناق المطى أظلت
- ٣ بعيني ما أمسّت فباتت فأصبحت فقصّت أمورا فاستقلت فولّت

(١) أجمعت : عزت أمرها . استقلت : ارتحلت .

(٢) سبقتنا بأمرها : استبدت واستأثرت به . وكانت بأعناق المطى أظلت : أى بغنائنا بالإبل  
حتى أظلتنا بها

(٣) بعيني : يأسف أن يرى رجليها ولا حيلة له معه .

- ٤ فواكبدا على أميمة بعدما  
٥ فياجارتى وأنت غير مليمة  
٦ لقد أعجبتنى لا سقوطا قناعها  
٧ تبيت بعيد النوم تهدى غبوقها  
٨ تحل بمنجاة من اللوم بدتها  
٩ كان لها فى الأرض نسيا تقصه  
١٠ أميمة لا يخزى تشاها حليها  
١١ إذا هو أمسى أب قرة عينه  
١٢ فدقت وجلت واسبركت وأكملت  
١٣ فبتنا كأن البيت حجر فوقنا  
١٤ بريحية من بطن حلية نورت
- طمعت ، فبهها نعمة العيش زلت  
إذا ذكرت ، ولا بذات تقلت  
إذا ما مشت ، ولا بذات تلتفت  
لجارتها إذا الهدية قلت  
إذا ما بيوت بالمذمة حلت  
على أمها ، وإن تكلمك تبت  
إذا ذكر النسوان عقت وجلت  
مآب السعيد لم يسأل أين ظلت  
فلو جسن إنسان من الحسن جنت  
بريحانة ريحت عشاء وطلت  
لها أرج ، ما حولها غير مسنت

\* \* \*

(٤) زلت : ذهبت .

(٥) مليمة : من قولهم « آلام » إذا آى ما يلام عليه . تفتت : تفتت .

(٦) يقول : لا يسقط قناعها لشدة حياتها ، ولا تكثر التلفت فإنه من فعل أهل الرؤية .

(٧) الغبوق : ما يشرب بالمشى . تهدي لجارتها : أى تؤثرها به لكرمها . إذا الهدية قلت : أى فى وقت الجلب .

(٨) المنجاة : مفعلة من النجوة وهى الارتفاع . يريد أنها بعيدة عن اللوم .

(٩) النسي : الشئ المفقود المنسى . تبت : تنقطع فى كلامها ولا تطلعه .

(١٠) الثنا : ما أخبرت به عن شخص من حسن أو سيء ، يقال : ثنا الحديث والخبر : حدث به وأشاعه . حليها : زوجها .

(١١) أب : رجع . لم يسأل أين ظلت : لأنها لم ترح ببيتها . قال الأصمى : هذه الأبيات أحسن ما قيل فى خمر النساء وغفثن .

(١٢) اسبركت : طالت وامتدت .

(١٣) حجر : أحيط . ريحت : أصابتها ريح بخامت بنسبها . طلت : أصابها الطل وهو الندى .

(١٤) حلية : واد بهامة . الأرج : توهج الريح وتفرقها فى كل جانب ، المسنت : المجذب .

- ١٥ وباضعة حُمِر القمى بعثتها ومن يَغْزُ يغنم مرة ويسمّت  
 ١٦ خرجنا من الوادى الذى بين مشعل وبين الجباهيات أنشأت سربى  
 ١٧ أمشى على الأرض التى لن تضرنى لأنكى قوما أو أصادف حمتى  
 ١٨ أمشى على أين الغزاة وبعدها يقربنى منها رواحى وغدوتى  
 ١٩ وأم عيال قد شهدت تقوتهم إذا أطعمتهم أو تحت وأقلت  
 ٢٠ تخاف علينا العيل إن هى أكثر ونحن جياع، أى آل تألت !  
 ٢١ وما إن بها ضن بما فى وعائها ولكنها من خيفة الجوع ابقيت  
 ٢٢ مصلكة لا يقصر الستر دونها ولا ترجى للبيت إن لم تبیت

(١٥) الباضعة : القاطعة ، يعنى قوما غزاة . حمر القمى : غز واحة بعد مرة فاحرت قسمهم الشمس والمطر . بعثها : غزوت بها . يسمت : من قومهم «سمته الله» أى خيبه الله ، «والشاة» بكسر الشين وتخفيف الميم : الخيبة .

(١٦) مشعل وأجيا : موضعان . المربة : الجماعة . وأنشأت سربى : أى أظهرتهم من مكان بعيد . يصف بعد مذهبه فى الأرض طلبا للقيمة .  
 (١٧) لن تضرنى : لن أخاف أحدا بها . لأنكى : يقال نكى العدو يشكبه نكاية أى أصاب منه . الحمة : المنية .

(١٨) أمشى : إشارة إلى غزوه على وجليه شأن أكثر الصماليك . على أين الغزاة : على ما يصينى من تعب الغزوة .

(١٩) أراد بأم عيال تأبط شرا لأنهم حين غزوا جعلوا زادهم إليه . أو تحت : أعطت قليلا مثل أقلت . كان تأبط شرا يفتقر على رفاقه خوفا من أن تطول الغزوة فيموتوا جوعا .  
 (٢٠) العيل والعميلة : الفقر . أى آل تألت : أى سياسة ساست .

(٢١) الضن : البخل .

(٢٢) مصلكة : صاحبة صماليك . لا يقصر الستر دونها : لا تفتلى أمرها . ولا ترجى للبيت إن لم تبیت : أى لا ترجى أن تكون مقيمة إلا إذا أرادت ذلك .



- ٢٣ لها وَفْصَةٌ فيها ثلاثون سَيْحَةً إذا آنستْ أُولَى الْعِدَى أَفْشَعَتْ  
 ٢٤ وتَأْتَى الْعِدَى بَارِزًا نَصْفُ سَاقِهَا تجول كَعَيْرِ الْعَانَةِ الْمُتَلَقِّتِ  
 ٢٥ إذا فَرَزَعُوا طَارَتْ بِأَبْيَضَ صَارِمٍ ورامتْ بما في جَفْرِهَا ثم سَلَتْ  
 ٢٦ حسام كلون الملح صَافٍ حَدِيدُهُ جُرَّازُ كَأَقْطَاعِ الْغَدِيرِ الْمُتَمَتِّ  
 ٢٧ تراها كأَذْنَابِ الْحَسِيلِ صَوَادِرَا وَقَدْ نَهَلَتْ مِنَ الدَّمَاءِ وَعَلَتْ  
 ٢٨ قَتَلْنَا قَتِيلًا مُهْدِيًا مُبْلَدٍ جَارِ مَنَى وَسَطَ الْجَبِيجِ الْمَصُوتِ  
 ٢٩ جَزِينَا سَلَامَانَ بْنِ مُفْرِجٍ قَرَضَهَا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ وَأَزَلَّتْ  
 ٣٠ وَهَيْئَتِي بِي قَوْمٍ وَمَا إِنْ هَتَأْتُهُمْ وَأَصْبَحْتُ فِي قَوْمٍ وَلَيْسُوا بِمُنْتَقِي  
 ٣١ شَقِينَا بَعِيدَ اللَّهِ بَعْضَ غَلِيلِنَا وَعُوفَ لَدَى الْمُعَدَى أَوَانَ اسْتَهَلَّتْ

\* \* \*

- (٢٣) الوفصة : جمعة السهام . السيف : السهم . افشعت : تهيأت للهجوم .  
 (٢٤) بارزا نصف ساقها : يريد أنه مشرجا . العير : حمار الوحش . العانة : المقطيع من حمار الوحش ، وإنما شبه العانة لأن الجمار أغبر ما يكون ، فهو يتلفت إلى الجير يطردها عن أنثاه .  
 (٢٥) الأبيض : السيف . الصارم : القاطع . الجفر : كثافة السهام . يعنى أنه يرى بما في كثائته ثم يحارب بسيفه .  
 (٢٦) الجراز : السيف القاطع . أقطع : جمع قطع بكسر وسكون كالتقطعة ، والمراد بأقطع الغدير أجزاء الماء يضر بها الهواء فتقطع ويبدو يريقها . المتعت : مبالغة من التعت وهو الوصف بالحسن .  
 (٢٧) الحسيل : جمع حسيلة وهي أولاد البقر . شبه السيوف بأذنان الحسيل إذا رأت أمهاتها حركت أذنانها . النهل والعلل : أول الشرب وآخره ، وهو هنا للسيوف .  
 (٢٨) مهديا : محرما ساق الهدى . مبلد : محرم لبد رأسه وهو أن يحمل في رأسه شيئا من الصنغ ليتلبد شعره . يريد : قتلنا محرما برجل محرم . جار منى : أى عند الجمار . المصوت : الملبى . ومن المعروف أن روى الجمار والطلبية كانت من شعائر الحج في الجاهلية .  
 (٢٩) سلامان بن مفرج : هم الذين أسروه فداء . أزلت : قدمت .  
 (٣٠) يريد : هنيئى بنو سلامان حين أخذوني في الفدية وما انتفخوا بي . ليسوا بمنتي : أى ليس هؤلاء القوم بمن أحب وأتمنى .  
 (٣١) عبد الله وعوف : من بنو سلامان . المعدى : موضع العدو ، والمراد ساحة القتال . أوان استهلَّت : في الوقت الذى ارتفعت فيه الأصوات للحرب .

- ٣٢ إذا ما أتتني ميتتي لم أبالها ولم تذرْ خالاتي الدموعَ وعَمَّتِي  
 ٣٣ ولو لم أرمِ في أهل بيتي قاصدا إذن جاءني بين العمودين حُمَّتِي  
 ٣٤ ألا لا تعذني إن تشكَّيتُ ، خَلَّتِي شفاني بأعلى ذى البريقينِ عَدَوَّتِي  
 ٣٥ وإنى لخلوؤُ إن أريدتْ حلاوتي ومُرٌّ إذا نفسُ العزوفِ استمرتْ  
 ٣٦ أبى لما آبى سريعُ مَبَأتِي إلى كلِّ نفسٍ تتنحى في مَسَرَّتِي

\* \* \*

- (٣٢) لم أرم : لم أبرح . العمودان : لعله أراد عمودي الخباء . حتى : ميتتي .  
 (٣٤) الخلة : الخليل . ذوالبريقين : موضع . عذوتي : المرة من العذو . يريد أن مرعة عذره  
 سلاح يشفى به كرا وفرا .  
 (٣٥) العزوف : المنصرف عن الشيء . استمرت : من الممرارة . يقول : أنا مهمل لمن ساهلتني ،  
 مر على من عاداني .  
 (٣٦) المباءة : الرجوع . تتنحى في مسرتي : تقصد إلى ما يسرني .

\* \* \*

سيد حنفي

( ٢ )

## المَرْقَبَة

\* \* \*

يكثُر في شعر الصعاليك حديثهم عن « المَرَاقِب » ، وهى المرتفعات العالية التى كانوا يصعدون إليها ليربصوا فوقها بضحاياهم ، ويرقبوا الفرصة السانحة لمهاجمتهم . وهى أحاديث تشكّل موضوعاً متميزاً من موضوعات شعرهم يصح أن نطلق عليه « شعر المَرَاقِب » ، ولا يكاد شعر أى شاعر منهم يخلو من حديث عنها . وهو موضوع يبدو فى موقع طبيعى فى شعرهم لارتباطه بواقع حياتهم التى تعتمد على التربص والتربص والمباغلة ، وهى العناصر التى تشكّل « التكتيك » الهجومى فى حركتهم القتالية .

وفى هذه الأبيات يرسم الشنفرى صورة للمَرْقَبَة التى صعد إليها لمراقبة الطريق من فوقها ، فهى مَرْقَبَة مرتفعة يعجز غيره عن ارتقاها ، وقد صعد إليها وقد اقترب الليل بظلامه الذى يساعده على التخفى ، وانتظر فوقها يتربص بضحية تلوع له على الطريق الذى تُشرف عليه ، وليس معه إلا سلاحه وثيابه البالية . وفوقها وعلى امتداد الوقت الذى قضاه فى التربص راح يستعيد بعض ذكريات تصعلكه وتشرده ، مفتخراً بجرأته على اقتحام الصحراء الرهيبة ، والتوغل فى وديانها الموحشة حيث لا أثر للحياة إلا الأسود الضارية والجن المعرّبة فى أعماق المجهول .

\* \* \*

- ١ وَمَرْقَبَةٍ عَيْطَاءَ يَقْصُرُ دُونَهَا      أخوال الضرورة الرجل الخفيف المشقَّف  
٢ نَمِيْتُ إِلَى أَمَلٍ ذُرَاهَا وَقَدْ دَنَا      من الليل مُلْتَفٌ الحديقة أَسْدَفُ  
٣ فَمِيتٌ عَلَى حَدِّ الذَّرَاعَيْنِ مُحْدَبًا      كما يَتَطَوَّى الأرقش المتخَصِّفُ  
٤ قَلِيلٌ جَهَازِي غَيْرَ نَعْلَيْنِ أَصْحَقَتْ      صُدُورُهَا مَحْصُورَةٌ لَا تُخَصِّفُ  
٥ وَمِلْحَفَةٍ دَرَسٍ، وَبَحْرٍ مُلَاءٍ      إِذَا أَتَهَّحْتَ مِنْ جَانِبٍ لَا تَكْغِفُ  
٦ وَأَبْيَضٌ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مَهْنَسٌ      يَجِدُّ لِأَطْرَافِ السَّوَادِ مِقْطَفُ

(١) العيطاء : العالية المرتفعة ، أو الألية المنمنمة . وأخوال الضرورة : الصياد معه كلاب ضراها للصيد ، ويعتدل أن يكون المعنى الرجل يستخفى عن الناس ، من ضرا يضرب بمعنى استخفى . والرجل : الرجل ، عكس الراكب . والمشف : النجيل . وفي رواية أخرى « ومرتبة عتاء » و « الخفى الخفيف » .

(٢) نمت : صعدت . والأسدف : المظلم ، من السدفة وهي اختلاط الضوء والظلام . ويريد بقوله « ملتف الحديقة » تمثيل الليل المظلم بالأشجار الملتفة المتكاثفة . يقول إنه صعد إلى هذه المرقبة العالية مع دخول المساء ، وقد أخذ الظلام المختلط بالنور يتكاثف ويحجب الأرض .

(٣) محدبا : منحنيا ، من أحذب إذا انحنى . ينطوى : يلتف . والأرقش : الثعبان . والمتخصف : المتكسر الذي قد اخل بعضه في بعض . وفي رواية أخرى « أحديا » و « الأرقم المتعطف » .  
(٤) الجهاز : المتاع . وأصحقت : بليت . ومحصورة : دقيقة الوسط ، حال من « صدورهما » . ولا تخصف : لا تقبل الخرز لشدة قدمها وبلاها وتمزقها . يصف نعليه بأنهما قديمتان باليتان لا تقبلان خروا ولا ترقيا .

(٥) الملحفة : ما يلبس فوق الثياب من دثار البرد ونحوه . والدرس : العارسة البالية . والجرد : الثوب الخلق البالي . وأنجمت : نمتت ، وفي رواية أخرى « أنهجت » أى بليت . ولا تكغف : أصلها لا تشكف أى أنها تستعصى على الترقيع . ويروى الشطر الأول في رواية أخرى « وضنية جرد وأخلاق ربطة » ، والمعنى على الرايتين واحد . والبيتان نقل صادق عن واقع الحياة التي يعيشها هؤلاء الصعاليك الفقراء .

(٦) الأبيض : السيف . ورفعه على تقدير « ومعى أبيض » ، والمهند : الحديد الصنع ، نسبة إلى الهند التي كانت مصدرا من مصادر السلاح عند العرب الجاهليين . ويجد : قاطع شديد القطع ، وكذلك مقطف .

- ٧ وصفراء من نبع أبي ظهيرة      ترن كإرناش الشجى وتهنئ  
٨ إذا طال فيها النزغ تأبى بعجسها      وترى بدروها بهن فتقذِف  
٩ كأن حفيف الببل من فوق عجمها      عواذب نحل أخطا الغار مُطِنِف

\* \* \*

- ١٠ نأت أم قيس المربعين كليهما      وتحذر أن ينأى بها المتصيف  
١١ وإنك لو تدرين أن رب مشرب      تخوف كداء البطن أوهو أخوف

(٧) الصفراء : القوس ، وفي رواية أخرى « حمراء » ، والمرب يصفون القوس بأنها صفراء . إذا كانت جديدة ، حمراء إذا كانت قديمة مستعملة لكثرة تعرضها للشمس . والنبع : شجر تنخذ منه الأقواس والرماح . والأبى : المستعصى على الكسر . والظهيرة : القوة المتينة . والإرناش : الإهوال . والشجى : الحزين . يشبه صوت قوسه حين يشد وترها لارى بأنين الشجى أفتتله همومه وأحزانه .

(٨) النزغ : شد وتر القوس عند الرى . والمعس : مقبض القوس ، مثلثة العين . والدروان : الطوقان . والضمير في « بهن » يعود على السهام المفهومة من السياق .

(٩) العواذب : الضالة التي أخطأت طريقها ، من عزب البعير إذا ضل . والمعانف : الذى يعلو العنق وهو رأس الجبل . يشبه حفيف السهام حين تنطلق من القوس بصوت نحل ضل طريقه نحو الغار الذى اتخذه بيتا له فوق قمة جبل ، فهو يبحث عن منفذ إلى داخله في حركة دائبة ودوى متصل .

(١٠) أم قيس : صاحبه ، وفي أغلب الظن أنها زوجته ، بدلالة سياق الأبيات ، وأكثر حديث الشعراء الصعاليك عن زوجاتهم . وحلف التثوين في « أم قيس » للضرورة ، أو لدله حامل الكلتين مما معاملة الامم الواحد ، فنتحه من الصرف للعلمية والتأنيث . والمربع : منزل القبيلة في الربيع ، ويريد بالمربعين منازلها في الربيع والشتاء ، من باب التثنية . والمتصيف : مكان تزولها في الصيف . يقول إن زوجته مثله لا يستقر بها مكان . وعبرة البيت تشعب بأنها غير راضية عن هذا الاضطراب في حياتها ، وكأنها تنكر عليه حياته الفلقة التي لا تعرف الاستقرار .

(١١) يصف مكان الماء الذى يرده بأنه بعيد في أعماق الصحراء المجهولة الخيفة حيث لا يجرد أحد على الوصول إليه ، ويشبه الخوف الذى يكسفه بالخوف من داء البطن ، وهى صورة تعكس ما يدور في نفوس هؤلاء الصعاليك الذين كانوا يفزعون بأنهم ضامروا البطون ، قد نشزت أخلاعتهم ، والتصقت أمماؤهم ، لشدة صبرهم على الجوع ، وإيثارهم فيهم بالزاد ، فن الطيحي أن يكون أشد ما يخشونه أمراض البطن التي يعاصب بها الأغنياء المتخمون ، ولا تعد بالنسبة لهم أتاما صارخا بالانتكرا لمراسمهم وخيانة لمبادئهم .

- ١٢ وردت بمأثور يمانٍ وضالة تخيرتها مما أريش وأرصف  
 ١٣ أركبها في كلٍّ أحمر غائر وأقذفُ منهن الذي هو مُقْرِف  
 ١٤ وتابعتُ فيه البرى حتى تركته يزِفُ إذا أنفَذته ويُرْفِزِف  
 ١٥ بكفّي منها للبخيص عراضة إذا بعثَ خلا ماله مُتَعَرِّفُ

\* \* \*

- ١٦ ووادٍ بعيد العمق ضَمَنِكَ جماعه بواطنه للجن والأسد مألَفُ

(١٢) المأثور : السيف . واليمانى : نسبة إلى اليمن ، وكانت مصدرا آخر من مصادر السلاح عند عرب الجاهلية . والضالة : السهام . وراش السهم : ركب عليه ريشا ليكون أسرع في انطلاقه . ووصفه : شد على رأس نعله عقدة من الوتر ليكون أشد تثبيتا له . وفي رواية أخرى للبيت « بمأثور ونبل وضالة » .

(١٣) الأحمر هنا السهم . والغائر : الذى اختلطت حمرة بالشبه . وفي رواية أخرى « عاتر » بمعنى شديد . والمقرف هنا : المغيب التهم أو الذى ليس أصيلا . والضمير فى « منهن » للسهام . يقول إنه يركب من سهامه الجعيد الشديد ، ويستغنى عما يفلن فيه حيا أو ما يكون عنده موضع اتهام فى أصالته . وفي رواية أخرى « وأنسج للولدان ما هو مقرف » .

(١٤) يزِفُ : يسبح فى الفضاء كما يفعل الطائر . ويُرْفِزِف : يحدث صوتا كهو صوت الريح فى لثبات الجفاف . وفي رواية أخرى « إذا أنزفته » ، وأظنها تحريفا .

(١٥) العراضة : الهدية . والخلس : الصديق . وماله متعرف : أى لا أستطيع أن أعرف على حقيقة أمره . وفي رواية أخرى « ماله متخوف » . يقول إننى أعد هذه السهام القاتلة هدية لمن أبغضه من يلتوى على ، ويخون مهدي ، فأبغضه غير آسف عليه .

(١٦) الضنك : الضيق . وجماع الشئ : جمعه أو مجموعه . يقول إن هذا الوادى بعيد فى أعماق الصحراء ، تلتقى عنده مجموعة من الأودية الضيقة ، وتتخذ الجن والأسود مكانا تآلفه وتأوى إليه .

- ١٧ تعسفتُ منه بعدما سَقَطَ الندى      غماليْلَ يَخْشَى غِيْلَهَا المتعسِّفُ  
١٨ ولاني إذا خامَ الجبانُ عن الردى      فلي حيثُ يَخْشَى أن يَجاوِزَ مَحْشَفُ

\* \* \*

(١٧) تعسف : سار على غير هدى . والغماليل : الروابي . والنيل : الشجر الكثيف المتلف .  
يفتخر بأنه استطاع بجراته أن يحترق هذا الوادي .

(١٨) خام : ضعف وجبن . والمخشف : المدخل . وفي رواية أخرى « مخفف » من خفف  
الطريق إذا ذقه وقطعه . يفتخر بجراته على اقترام المهالك التي يراجع منها الجبناء .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٣ )

## وَصِيَّةُ الصُّعْلُوكِ

\* \* \*

في اللحظات الأخيرة من حياة الشنفري ، وقد أوشك السراج أن تطفئ آخر ومضة منه ، وخصومه ملتفون حوله بعد أن وقع في أسرهم ، والشهامة ملء عيونهم ، والحد الذي ظل دفيناً في صدورهم طيلة حياته ينطلق كالسارد من القمقم الذي طال حبسه فيه ، سالوه أين يدفنون جسده بعد مقتله . ولم يقبل الشنفري أن يعطيهم الفرصة لمزيد من الشهامة ، ولم يرض لنفسه أن تضعف أمامهم ، ولم يُبَدِّ حرصاً على الحياة أو تسبباً بها ، فقال هذه الآيات مستهيناً بالحياة وبالموت أيضاً . وما الذي يبكي عليه ؟ وما الذي ينتظره بعد الموت ؟ إن حياته بعد الموت لن تكون خيراً من حياته قبله ، وإن جرائره التي ارتكبها في حياته ستظل تطارده بعد موته . وفي هذه اللحظات — وهو على البرزخ الفاصل بين شاطئ الحياة وشاطئ الموت — لم ينس رفاق تشرده ، وحش الصحراء الذين اتخذ منهم في حياته رفاقاً له يأنس إليهم ويطمئن لهم ويثق فيهم . ومن بينهم تطل عليه صورة الضبُّع الجائعة ، فيوصي بجسده بعد موته وليمة لها تسد به جوعها ، وكأنه يريد ألا يودع الحياة إلا بعد أن يقدم آخر وجبة يملكها لآخر جائع تراءى صورته أمام عينيه اللتين يوشك الموت أن يلقى عليهما غطاءه الأبدي ، إيماناً برسالة الصعلوك التي عاش حياته لها ، ولا يتردد في أن يقدمها قرباناً على مذبح هذا الإيمان .

\* \* \*



- ١ لا تقبروني لأن قبري مُحَرَّم عليكم، ولكن أَيْشِرَى أُمِّ عَامِرٍ  
 ٢ إِذَا احْتَمَلُوا رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرَى وَغَوْدِرَ عِنْدَ الْمَلْتَقَى قَمَّ سَائِرِي  
 ٣ هَنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةَ تُسْرِنِي تَجِيْسَ اللَّيَالِي مُنْسَلًا بِالْجَوَائِرِ

\* \* \*

(١) أُمِّ عَامِرٍ : كنية الضَّجِّعِ عِنْدَ الْعَرَبِ .

(٢) فِي الرَّأْسِ أَكْثَرَى : يَرِيدُ أَنَّ الرَّأْسَ أَهَمُّ مَا فِي جَسَمِ الْإِنْسَانِ ، فَإِذَا احْتَمَلَهُ قَاتَلُوهُ وَمَضُوا بِهِ إِعْلَانًا عَنْ مَعْرَعَةِ قَاتِلَيْهِ سَائِرِ الْجَسَدِ ؟ وَفِي رَوَايَةِ أُخْرَى « احْتَمَلْتُ » وَالضَّمِيرُ فِيهَا يَعُودُ عَلَى الضَّجِّعِ .

(٣) تَجِيْسَ اللَّيَالِي : أَبَدَ الدَّهْرِ . وَمُنْسَلًا بِالْجَوَائِرِ : مُسَلِّمًا لَهَا ، مَرَهُوًّا بِهَا ، مُسْتَوْلًا عَلَيْهَا . وَفِي رَوَايَةِ أُخْرَى « مِيرَ اللَّيَالِي » أَيْ طَوْلَ اللَّيَالِي .

\* \* \*

يوسف خليف

## تَابَطَ شَرًّا

\* \* \*

شاعر من أشهر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ينتهى نسبه إلى قبيلة  
فهم التي كانت تنزل في منطقة الحجاز الجبلية ، والتي كانت معروفة بكثرة اصوصها  
واسمه ثابت بن جابر ، وهو يصرّح بهذا الاسم في قافيته المشهورة « يا عيْدُ مالِكَ  
مِنْ شَوْقٍ وَإِيقَاقٍ » ، وأما تابط شرّا فهو لقب صُرِفَ به . وتختلف الروايات  
حول الظروف التي أحاطت بهذا اللقب ، فمن قائل إنه تابط سيفاً ونحرج به فلما  
سئلت أمه عنه قالت : « تابط شرّا ونحرج » . ومن قائل إنه عاد إلى أمه وقد  
تابط جراباً به مجموعة من الأفاعى صاهاها ، فقال نسوة من الحى لأمه : « لقد تابط  
شرّا » . ومن قائل إنه رأى كدبشاً في الصحراء فحمله تحت إبطه ، حتى إذا  
ما اقترب من الحى تبين له أنها الغول ، فقال له قومه : « لقد تابطت شرّا » .  
ومن قائل إنه لقي الغول في ليلة مظلمة ، فامتدّت طريقه ، فلم يزل بها حتى  
قتلها ، ثم حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه ، فقالوا له : « لقد تابطت  
شرّا » . ومن قائل إنه لُقّبَ به لبيدٍ من الشعر قاله يصف فيه نفسه بأنه تابط  
شرّا ثم انطلق في غزواته :

تَابَطَ شَرًّا ثُمَّ رَاحَ أَوْ اغْتَدَى      يُوَائِمُ غُنْمًا أَوْ يُشِيفُ عَلَى دَحَلٍ<sup>(١)</sup>

وفي ظنى أن هذه الرواية هي أقرب الروايات إلى الحقيقة ، وما سواها أوهام  
من الرواة تعكس الجو الأسطوري الغامض الذى عاش فيه هذا الشاعر ، وأن

---

(١) يوائم : يوافق . ويشيف عليه : يشرف . والدحل . الثأر .

شهرته بهذا اللقب ليست إلا تعبيرا شعبيا عن حياة الشر التي كان يجيها ، والتي كان مجتمعه يستشعر أمامها جواً من الرهبة والفرع وتوقع الشر منه كلما ظهر فيه . وهي — على كل حال — ليست ضربية على تلك الألقاب العجيبة التي لُقِّبَ بها إخوته الأربعة الآخرون : رِيْشُ يَلْقَبُ ، وريشُ نَسِيرُ ، وَكَعْبُ جُدِرُ ، ولا بَوَاكِ لَه ، وهي الألقاب تعكس صورة لهوان المنزلة الاجتماعية لأسرته .

وتأبط شرا من تلك الطائفة من العبيد التي كان المجتمع الجاهلي يطلق عليها « الأغرابة » ، وهم أولاد آباء من العرب من أمهات من الإماء السود سرى إليهم السواد من أمهاتهم ، وكانوا يمدون حركة الصعلكة الجاهلية بأعداد كبيرة من الصعاليك المتمردين على العبودية ، تعبيرا عن موقف الرفض والاحتجاج من طبقة العبيد على هذا المجتمع المؤمن بعنصرية جنسية متأصلة في دمايته .

وهب تأبط شرا حياته لحركة الصعلكة الجاهلية ، وماش في أعماق الشعب العربي أسطورة شعبية تترج فيها الحقيقة بالخيال ، ويختلط فيها الواقع بالوهم ، وتلتحم فيها شخصية العبد الأسود المتمرد ، النائر على وضعه الاجتماعي ، الطامح إلى حقه في الحرية والمساواة ، بشخصية قاطع الطريق الرهيب الذي لا يرى إلا الغزو والغارة والسلب والنهب وسفك الدماء طريقا للحياة ، وأيضا للانتقام من الحياة .

وتأبط شرا هو أحد العدائين المشهورين بين العرب الذين ضَرَبُوا بهم المثل في سرعة العدو ، وقد وصفوه بأنه « كان أعدى ذى رجلين وذى ساقين وذى عينين » ، وأنه كان يسبق الظباء ويسبق الخيل . ومن أعماق هذه الميزة التي كان يمتاز بها كان قَسَمَهُ المفضل « والذي أعدو بطيره » ، تأكيداً للصلة التي تربط بينه وبينها في السرعة ، وكأنه يريد أن يقول إنه يعدو بأجنحتها . وتتردد في أخباره أحاديث كثيرة عن لقاءه القسول في ليالى الصحراء المظلمة الموحشة ، وما يدور بينه وبينها من صراع ينتهي دائماً بقتلها .

عاش تأبط شرا حياته كلها فزعا رهيبا في مجتمعه ، يتردد حوله جو أسطوري غامض يثير الرعب في نفوس كل من يسوقه قدره إلى طريقه ، حتى لقي مصرعه في بعض غاراته على يد غلام تربص به ثم رماه بهم اخترق قلبه فأرداه صريعا ، ثم ألقوا به في الصحراء وخلقوه وراءهم . وتذهب الأسطورة إلى أن جسده « لم يأكل منه سبغ ولا طائر إلا مات » ، وكأنما قد تحول إلى سم زعاف ليواصل بعد موته رسالته الرهيبة القاتلة التي عاش حياته لها ، وكأنها ترجمة شعبية لأبيات من شعره تنقّي بها في حياته ، يتنبأ فيها بمصرعه ، وبأنه سيكون وليمة لضواري السباع وجوارح الطير ، ولكنها وليمة مسمومة قاتلة ، لهما مكره :

ولقد ملئت لتعدون (م) على شتم كالحساكل  
ياكلن أوصالا ولح ما كالشكاعى غير جاذل  
يا طير ككن ، فلانى سم لكن وذو دغاول<sup>(١)</sup>

(١) الشتم : جمع شتم وهو الأمد العبوس . والحساكل : جمع حساكل وهو ما تطاير من شرر الحديد المعنى . والشكاعى : ما دق من النبات ، ويقال للهزول كأنه عود الشكاعى ، والجاذل : ما عظم من أصول الشجر ، يريد أن جسده نحيف ضامر غير ممين . والدغاول : الدواهي ، يريد أن لحمه قاتل .

\* \* \*

يوسف خليف

## القافية المفضّلة

\* \* \*

تأبط شرا هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عديّ بن كعب بن حرب بن تميم  
ابن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر . وسى « تأبط شرا » لأنه تأبط  
سيفا ونرج ، فليل لأمه : أين هو ؟ فقالت : تأبط شرا ونرج . وهى الرواية  
المشهورة عن تسميته بذلك . وكان أحد صعاليك العرب المشهورين ، قرينا  
للشنفرى وعمرو بن براق ، وكانوا ثلاثتهم من العدائين الذين يعدون على أرجلهم  
فلا يدركهم الطلب ؛ بل كانوا أعدى العدائين فى العرب ، ويؤمنون أن الخيل  
ما كانت تلحقهم .

وهناك دراسات جيدة عن الشعراء الصعاليك<sup>(١)</sup> يمكن الرجوع إليها لمعرفة  
طبيعة هؤلاء الشعراء وقيمة شعرهم .

يصف الشاعر فى هذه القصيدة المختارة الطيف ، ويذكر حادث هروبه  
من قبيلة بجيلة حين أُرصدوا له كينا على ماء ، فأخذوه وكتفوه بوتر ، ثم دبر  
حيلة بارعة هو وعمرو بن براق والشنفرى ، تمكن بها الثلاثة من النجاة عدوا على  
الأقدام . والقصيدة فيها تصوير جيد لقوة جريه وشدة عدوه ، ثم وصف للرجل

---

(١) انظر الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى للدكتور يوسف خليل ط دار المعارف .

\* \* \*

السيد الذي يركن إليه ، ثم نخر بتجشمه الأخطار ، وإشادة بكرمه ، منددا بمن يلومه على إنفاق ماله . والقصيدة مروية بالمفضليات أول قصيدة منها .

\* \* \*

- ١ يا عيدُ مالك من شوق وإيراق ومَرَّ طَيفٌ على الأهوالِ طَراقٍ
- ٢ يسرى على الأين والحيات مُحتفيا نفمى فداؤك من سارٍ على ساقٍ
- ٣ إني إذا خُلَّةٌ ضُتَّ يَنائِلها وَأَمْسَكَتْ بضعيف الوصل أَحداقٍ
- ٤ نجوتُ منها تَجائى من بِجيلةٍ إذ أَلْقَيْتُ ليلَةَ خَبِتِ الرَّهْطُ أرواقٍ
- ٥ ليلَةَ صاحوا وأَغْرَوْا بى سِرَاعُهُمُ بِالْعَيْكَتَيْنِ لَدَى مَعْدَى ابنِ بَراقٍ
- ٦ كَأَنَّمَا حَمَحَثُوا حُصًّا قِوَادِمُهُ أَوَّامٌ خَشِيفٌ بِذِي شَتٍّ وَطَباقٍ

(١) العيد : ما اعتاد من حزن وشوق . الإيراق : مصدر « آرقه » من الأرق . طراق : يقصد أنه يطرق ليلا في موضع البعد والحاجة .

(٢) يسرى : يسير ليلا . الأين : نوع من الحيات أو هو الإعياء . محتفيا : حافيا .

(٣) الخلة : الصداقة . النائل : ما ينال - ضعيف الوصل : بجعل ضعيف . الأحداق : المنقطع .

(٤) بجيلة : القبيلة التي أسرتة . الخبت : اللين من الأرض . الرهط هنا : اسم موضع . ألقى أرواق : استغرضت مجهودى في العذر .

(٥) العيكتان : موضع . معدى : مصدر ميمي أو ادم مكان . ابن براق : هو عمرو مصلوك من أصدقاء تأبط شرا وكان معه والشنقرى ليلة هرويه من بجيلة .

(٦) حثثوا : حركوا من الحث . الحص : جمع أحص وهو ما تآثر ريشه وتكسر ويعنى بذلك الظالم وهو ذكر النعام . القوادم : ماولى الرأس من ريش الخناج . الخشف : ولد الظليسة . الشث والطباق : نباتان طيبا المرعى يضميران راعيهما ويشدان لجهما .

- ٧ لا شيء أسرع مني ليس ذا عذر  
وذا جناح يحنب الريد خفاق  
٨ حتى نجوت ولما يترعوا سلبى  
يؤاله من قيض الشد غيداق

\* \* \*

- ٩ ولا أقول إذا ما خلة صرمت  
يا ويح نفسي من شوق وإشفاق  
١٠ لكنما عولى إن كنت ذا عول  
على بصير يكسب الحمد سباق  
١١ سباق فإيات مجيد في عشيرته  
مرجع الصوت هذا بين أرفاق  
١٢ هاري الظنا ييب، ثمته نواشيره  
مدلاج أدهم واهى المساء غساق  
١٣ حمال أولية، شهاد أنديه  
قوال محكمة، جَوَاب آفاق  
١٤ فذاك همى وغزوى أستغيث به  
إذا استغثت يضاني الرأس نفاق

- (٧) العذر : جمع عذرة وهى ما أقبل من شدة الناصية على وجه الفرس . الريد : قسة الجبل .  
يقول : لا شيء أسرع مني إلا الفرس وإلا الطائر الخارج الذى يأوى إلى قسة الجبل .  
(٨) السلب : ما يسلب في الحرب . الواله : الذاهب العقل . الشد القيض : الجرى السريع .  
الغيداق : الكبير الواسع ، من الغلق وهو المطر الكثير .  
(٩) صرمت : قطعت .  
(١٠) العول : يفتح العين وكسرهما وفتح الواو : مصدر من العويل . بدأ في وصف الرجل  
الكامل ييكى فقد صداقته أو الذى يمولى عليه .  
(١١) مرجع الصوت : يصبح آمرا ناهيا لأنه رئيس القوم . الأرفاق : الرفاق .  
(١٢) الظنا ييب : جمع ظنوب وهو حرف عظم الساق ، يجعلها عارية لها لها ، والعرب تمدح الهزال  
وتهجو السمن . النواشير : عروق ظاهر الذراع . مدلاج : كثير السفر في الليل . الأدهم : الليل .  
واهى المساء : مطر شديد أو سحابة لا تمسك ماءها . الغساق : الشديد الظلمة .  
(١٣) المحكمة : الكلمة الفاصلة . جواب آفاق : صاحب أسفار وغزو .  
(١٤) غزوى : مقصدي من الغزو . ضاني الرأس : كثير الشعر ، نفاق ونفاق بمعنى واحد .

١٥ كالحِيفِ حَدَّاهُ النَّامُونُ قُلْتُ لَهُ : ذُو ثَلَتَيْنِ وَذُو بَيْتَيْنِ وَأَرْبَاقِ

\* \* \*

١٦ وَقُلَّةٍ كَسِنَانِ الرُّحِّ بَارِزَةٍ ضَحْيَانَةٍ فِي شُهُورِ الصَّيْفِ مَحْرَاقِ

١٧ بَادَرْتُ قُنَّتَهَا صَحْبِي وَمَا كَسَلُوا حَتَّى تَمَيَّتَ إِلَيْهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ

١٨ لَا شَيْءَ فِي رَيْدِهَا إِلَّا نَعَامَتُهَا مِنْهَا هَزِيمٌ وَمِنْهَا قَائِمٌ بَاقِ

١٩ بَشْرَتُهُ خَلَقَ يُوقَى الْبَنَانُ بِهَا شَدَدْتُ فِيهَا سَرِيحًا بَعْدَ إِطْرَاقِ

\* \* \*

٢٠ بَلْ مَنْ لِعَذَالَةٍ خَذَالَةٍ أَشِيبَ حَرَّقَ بِاللُّومِ جِلْدِي أَيْ تَحْرَاقِ

٢١ يَقُولُ أَهْلَكَتَ مَالًا لَوْ قَنَعْتَ بِهِ مِنْ تَوْبٍ صَدَقَ وَمِنْ بَزٍّ وَأَعْلَاقِ

(١٥) الحِيفُ : يا أوج من الرمل • حَدَّاهُ النامون : أى صلبوه بدوسهم إياه وصعودهم عليه • والنامون من « نَمَى » أى سعد وارتفع • الثَلَّة : القطعة من الغنم • البهم : أولاد الشاء • الأرباق : جمع « رِبَق » بكسر فسكون هو حبل يجعل كالحلقة يشد به صغار الغنم ثلاثرضع • شبه تلبذ شعر الراعى الناق بالحِيف الذى لبده النامون عليه • ثم يقول له : أنت ذو ثلثين مالك ولعرب ؟ يحقره بذلك ويريد أن يستغيث بن وصف من قبل إذا استغاث غيره بمثل هذا الراعى •

(١٦) القلَّة : أعلى الجبل • ضَحْيَانَةٍ : بارزة للشمس • مَحْرَاقِ : تحرق من فيها •

(١٧) تَمَيَّتَ إِلَيْهَا : ارتفعت •

(١٨) الرِّيد : أعلى الجبل • النعامة : خشبات يأوى إليها الريشة أو الراصد وتكون فى أعلى

الجبل • هَزِيمٌ : منكسر •

(١٩) بَشْرَتُهُ خَلَقَ : بنعل ممزقة • السريح : السيور تشد بها النعل • الإطراق : أن يجعل تحت

النعل مثلها •

(٢٠) العذالة : الكثيرة العذل • الخذالة : الكثيرة خذلان صاحبها • الأشيب : المعترض •

(٢١) تَوْبٍ صَدَقَ : مقابل توب سوء ، يعنى به الجيد • البز : الملابس أو السلاح • الأعلاق :

كرائم الأموال ، يريد أنه يأمره بالبخل وإمساك ماله •



- ٢٢ عاذلتني إن بعض اللوم مَعْفَةٌ وهل متاعٌ وإن أبقيتُه باقٍ  
 ٢٣ إني زعيمٌ لئن لم تتركوا عَذْلِي أن يسأل الحى عن أهل آفاقٍ  
 ٢٤ أن يسأل القوم عن أهل معرفةٍ فلا يُخبرهم عن ثابتٍ لاقٍ  
 ٢٥ سَدُّ خَلَاكٍ من مالٍ يُجْمَعُهُ حتى تلاقى الذى كلُّ امرئٍ لاقٍ  
 ٢٦ لتقرعن على السن من ندمٍ إذا تذكّرت يوماً بعض أخلاقٍ

(٢٢) معفّة = عتف .

(٢٣) زعيم : كفيل وضمين .

(٢٤) ثابت : هو ثابت شرا .

(٢٥) انخلال : جمع خلة وهي الحاجة والفقر . ويجوز أن يكون هذا البيت بعد البيت « ٢١ » ليكون من تعريض العاذلة له أن يسد بماله فقره حتى يلقى الموت . ويؤيد ذلك رواية ابن تينة في الشعر والشعراء .

(٢٦) لتقرعن ، خطاب للرجل العاذلة موجه من ثابت شرا .

\* \* \*

مسيد حنفي

( ٢ )

## أَلَيْفُ الْوَحْشِ

\* \* \*

يقولون إن تأبط شرا خطب امرأة من هذيل ، فحذرهما قومها من أن تقبله زوجها لها ، لأنه يعيش حياته مغامرا يحمل رأسه على كفيته ، وأنه معرض للموت في كل لحظة ، وإن هي إلا غارة قريية حتى يلقي مصرعه وتذوق مرارة الترمل بعده . فقال هذه الأبيات التي يرمم فيها صورة حياته تستمد خطوطها من الواقع الذي يعيشه مسعلوكا مغامرا متشرّدا في أعماق الصحراء حتى ألفتته وحوشها ، وفزعا رهيبا لطبقة المآلة الأغنياء من أصحاب الإبل ، ويسجل في نهايتها أنه لا يخشى الموت لأنه يدرك أنه المصير المحتوم الذي لا مفر منه ، وأن القتل هو النهاية التي لا بد أن ينتهي إليها كل مغامر مثله وهب حياته لهذا الصراع المسلح الذي يعيش في أعماقه هو ورفاقه الصعاليك .

\* \* \*

١ وقالوا لها : لا تشكّجيه فإنه لأوّل نعل أن يلاقى بجمعا

٢ فلم ترم من رأي فتيلًا وحاذرت تأيّمها من لابس الليل أروعا

(١) لا تشكّجيه : لا تتروّجيه . ولأوّل نعل : أى أنه معرض للقتل لأوّل ضربة نعل . وجمعا :

أى جمعا من أعدائه تجمعوا للقائه .

(٢) الرأى الفتيل : الضعيف . والتأيم : الترمل . ولايس الليل : أى أنه من « أبناء الليل »

الذين يتخذون منه مسرحا لمغامراتهم . والأروع : الشجاع .

- ٣ قليل غرار النوم أكبر هممه دم النار أو يلقى كيباً مقنماً  
 ٤ قليل ادخار الزاد إلا تعلقة فقد نثر الشر مؤف والتصدق المعى  
 ٥ بيت بمغنى الوحش حتى ألقته ويصبح لا يحصى لها الدهر مرتعاً  
 ٦ أين قتي لا صيد وحش يهيمه فلو صاغت إنسا لصاغت معاً  
 ٧ ولكن أرباب الخاض يشقهم إذا افتقدوه أرواه مشيعاً  
 ٨ وإني — ولا علم — لأعلم أني سألقي سنان الموت يرشق أضلعاً

(٣) غرار النوم : أى النوم الخفيف . والكى : البطل فى كامل سلاحه . والمقنع : الملم . يصف نفسه بأنه قليل النوم لأنه مشغول بمركة النار من يجتمعه التى وهب حياته لها كما وهبها لرفاقه الصعاليك ، وفى شعر عمرو بن رافة رفيقه فى أكثر غزواته :

ألم تعلم أن الصعاليك نومه قليل إذا نام الخلس المسالم

(٤) التعلقة : الاكتفاء بما يتعلل به من أقل الزاد ، وقشره برز . والشرسوف : الطرف الأيمن من الضلع مما إلى البطن . والمعى : مفرد الأمام . يقول إنه ضامر نحيل لقلته ما يبقيه لنفسه من طعام لأنه يؤثر ضيره من الفقراء الجاهل به .

(٥) المغنى : المقام أى حيث تقيم الوحش فى أعماق الصحراء . وقوله « لا يحصى لها الدهر مرتعاً » يريد به أنه لا يمنعها من الرعى فهى لا تخاف منه . وقد أخطأ محققو كتاب الأغاني فى شرح البيت (٢١/ ١٤٦ طبعة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣) .

(٦) البيت استمرار فى الصورة التى رسمها فى البيت السابق ، يقول إن الوحش ألقته وأطمانت إليه ، وأدركت أنه لم يزل معها فى مراعيها لصيدها ، فأنست إليه حتى لو أنها صاغت أحداً من البشر لصاغت . (٧) أرباب الخاض : أصحاب النوق العشار . ويشقهم : يؤرقهم ويسبب لهم العناء والمشقة فى المحافظة على إبلهم . وقوله « إذا افتقدوه أرواه مشيعاً » يعنى أنهم يخشونه فى غيابه وحضوره ، وأنه فزع دائم لهم . والشيع : الذى معه أصحابه . وفى رواية أخرى « يشقهم » أى يهزلم ويكده عيشهم . وفيها « إذا افتقدوه واحداً أو مشيعاً » أى إذا تبعدوا أثره فرادى أو جماعات ، أو تبعدوا أثره وحيداً أو مع رفاقه .

(٨) ولا علم : أى أنى لا أعلم الغيب ولا أدرى متى يحين أجل . يرشق أضلعاً : أى يرمى ضلوعه ، كناية عن الموت . وفى رواية أخرى « وإني وإن عمرت » ، وفيها « يرق أضلعاً » يريد أن سنان الموت مصقول مجلول لامع ، فهو دائماً مهياً للعمل .

- ٩ على غيرة أو جَهرة من مُكاثِر  
أطال نزال الموت حتى تَسْعَسَا  
١٠ وكنتُ أظن الموت في الحى أو أرى  
أَلَدُّ وَأَكْرَى أو أموت مُقْنَعَا  
١١ ولستُ أَيْتُ الدهر إلا على فَنَى  
أَسْلَبُهُ أو أَدْعُرُ السَّرْبَ أجمعا  
١٢ وَمَنْ يَضْرِبُ الأبطال لا بدُّ أنه  
سيليقي بهم من مصرع الموتِ مَصْرَعَا

\* \* \*

(٩) المكاثِر : الذى يكاثِر بفارائه ، أى كثير الفارات ، يريد نفسه . وتسعس : فنى وذهب . يؤكد أن الموت سيلقاه على حين غرة منه وخفلة عنه ، أو سيلقاه مواجهة صريحة ، ولا يرى في ذلك غرابة لأنه وهب حياته لووت ، وعاش عمره في صراع معه ، حتى انتهت حياته ، وأدركه الفناء . (١٠) أَلَدُّ : أخاصم ، من اللد وهو الخصومة العنيدة التى لا تلبث ولا ترجع إلى الحق ، وقد قرأها محققو الأغاني « أَلَدُّ » بالذال ، وأظنه خطأ . وأَكْرَى : أهدر عدوا شديدا ، من كرى ( كرضى ) بمعنى جرى جريا شديدا ، وقد ضبطها محققو الأغاني بضم الهمزة والبناء للجھول ، وشرحوها بمعنى أزيد ، وأظنه خطأ أيضا . وقد ترتب على الخطأين خطأ في فهمهم معنى البيت . والمعنى — عندى — أنه يقول : إننى أرى الموت الحقيقى فى البقاء فى الحى ذليلا ، لا فى الخروج للفارة والعدو المتصل حتى الموت فى ساحة الكفاح بطلا مسلحا فى سبيل مبادئ وأهداف . إنه لا يريد أن ينتظر أجله وهو قانع بحياة النذل والخوان على هامش القبيلة ، وإنما يريد أن يخرج إليه للقاء فى ساحة الكفاح المسلح من أجل الحرية والكرامة ، وما مات من مات فى سبيل مبادئه وأهدافه .

(١١) يقول إنه لا يهدأ ولا يستقر حتى يحقق أهدافه فى الغزو والفارة إلى الأفراد والجماعات للسلب والنهب وقطع الطريق . وخطأ ما ذهب إليه محققو الأغاني فى شرح البيت من أنه يقضى حياته « بين صيد وقنص » ، لأنه يتعارض مع جو الأبيات ، ويتناقض مع ما تقدمه فى بدايتها من حديث عن إلفه الوحش وعدم خوفها منه ، وأنه لا يفرزها فى مراتبها . (١٢) يقول إن من يجعل حياته صراعا مستمرا لا بد أن يلقى فى ساحة الصراع مصرعا من مصارع الموت المتعددة . « ومن » فى البيت موصولة لا شرطية . وفى رواية أخرى للبيت « ومن يفر بالأعداء » وتكون « من » هنا شرطية لا موصولة ، وهى رواية جيدة .

\* \* \*

يوسف خليل

( ٣ )

## رَفِيقُ الْغُولِ

\*\*\*

في شعر تأبط شرا أكثر من قصيدة يتحدث فيها عن لقائه الغول في ليالى الصحراء الموحشة ، وما يدور بينه وبينها من صراع . وهى صورة — وإن تكن مغلفة بجو أسطورى غامض — تصور ما كان يخيِّله الوهمُ لذلك الصعلوك المناصر المتشرد البعيد الآفاق في الليالى المظلمة بين أرجاء الصحراء الرهيبة ، حيث تتجسَّم الرؤى أشباحا مخيفة ، وتختلط الأصوات التى تترامى من هنا ومن هناك في معزوفة غامضة رهيبة . ومع ذلك فقد يكون ما يقصده تأبط شرا من الغيلان تلك الفصيلة من الحيوان المعروفة باسم « الغورلا » ، وكانت معروفة في بعض المناطق الجنوبية من اليمن ، وفي « القاموس المحيط » أن من معانيها « دابة رأته العرب وعرفتة وقتلتها تأبط شرا » . ولكن هذا — على كل حال — لا ينبغي أن صورتها عنده بمحاطة بهذا الإطار الأسطورى الذى نراه واضحاً في كل أحاديثه عنها .

وفي هذه القصيدة نرى صورة من هذه الأحاديث ؛ يصور فيها لقاءه لها ، بعد أن يمهّد لذلك بالحديث عن الليل المظلم الذى ظهرت له فيه ، وهو في طريقه إلى بعض مغامراته في أعماق الصحراء ، ثم يصفها ، ويسجل ما دار بينه وبينها ، ثم ينتهى الموقف — كما ينتهى عنده دائماً — بقتلها .

\*\*\*

- ١ تقول سليمى لجاراتها : أرى ثابتاً يَفَنَّا حَوْقَلاً
- ٢ لها الويلُ ! ما وجدتُ ثابتاً أَلَفَّ اليدين ولا زُملاً
- ٣ ولا رَعرَشَ الساق عند الحِرَاءِ إذا بادرَ الحملةَ الهَيَّضَلا
- ٤ يفوتُ الجيادَ بتقريبه ويكسو هواديها القَسْطَلا

\* \* \*

- ٥ وأدهمَ قد جُبْتُ جليابه كما اجتابت الكاعبُ الخيَعلَا
- ٦ إلى أن حذا الصبحُ أثناءً ومزقَ جليابه الأثيلا
- ٧ على شيمٍ نارٍ تنورُها فبُت لها مذبراً مُقَيلا

(١) سليمى : زوجته . وثابت هو تابط شرا . واليفن : الشيخ الكبير . والحوقل : الذى يقارب من خطواته إعاءة وضعفا . والمطلع يدل على أن القصيدة نظمت فى أنمويات حياته ، وأن حديث القول كان ذكرى من ذكرياته .

(٢) ألف اليدين : كناية من الشيخوخة والضعف . والزمل : الضعيف المتخاذل .  
 (٣) رعرش الساق : مثل ألف اليدين كناية عن الشيخوخة والضعف . والجسراء : الجرى ، مصدر من مصادر « جرى » . والحملة : الكرة فى القتال . والهيضل : الجماعة المتسلعة الكثيرة العدد .  
 (٤) التقريب : ضرب من العدو . والحوادى : الأعناق . والقسطل : النجار ، يصف نفسه بسرعة العدو ، وأنه يستطيع أن يسبق الخيل فيكسو أعناقها المتقدمة بالنجار الذى يشيره يقدمه عند العدو .  
 (٥) الأدهم : الأسود ، يريد الليل . سببت : قطعت . وجلياب الليل : ظلامه . واجتابت : لبست . والكاعب : الفتاة التى تهدئ ديارها . والخيعل : ثوب تلبسه المرأة كالقميص ، أو هو قميص بلا كمين . يصور كيف شق ظلمات الليل التى تلف الصحراء ثيابها السود .

(٦) حدا : ساق . والضمير فى « أثناء » يعود على الليل ، وأثناء الليل : طبقات ظلماته المتكاثفة بعضها فوق بعض . والإليل : الشديد السواد . يصف ظهور الصباح ، وكيف أخذ يسوق ظلام الليل أمامه ، ويمزق ثيابه السود التى توشح الصحراء .

(٧) الشيم : النظير بعيد . وتنورتها : أبصرتها . يقول إنه رأى نارا تراءت له من بعيد ، فبات يترقب بأهلها ليأخذهم على غرة حين تسبح له الفرصة .

- ٨ فأصبحتُ والنولُ لى جارةُ فيا جارتا أنتِ ما أهولا !  
 ٩ وطالبُها بضمُّها فالتوتُ بوجهٍ تقولُ فاستنقولا  
 ١٠ فقلتُ لها : يا انظري كى ترى فولتُ فكنتُ لها أغولا  
 ١١ فطار بفتحٍ ابنُةِ الجنِّ ذو سفاسقٍ قد أخلقَ المحملا  
 ١٢ إذا كلُّ أمهيئُهُ بالصِّفا قَدَّ، ولم أَرِه صيقلا  
 ١٣ عَظَايَةُ قَقِرَ لها خلَّتْنا نِ مِنْ ورقِ الطلحِ لم تُنزلَا

(٨) فى رواية أخرى :

فأصبحت النول لى جارة فيا جارتا لك ما أهولا

وفى رواية غيرها « ما أغولا » .

(٩) البضع : الجناح . وقوله « بوجه تقول فاستنقولا » يريد به أنه تشكّل أشكالا قيّمة مخيفة .  
 وفى رواية أخرى « ... فالتوت على وحاولت أن أفعل » .

(١٠) يا انظري : نداء والمنادى محذوف تقديره « يا هذه » ، ومثل هذا الأسلوب شائع فى الشعر العربى القديم . وكنتُ لها أغولا : أى أنه كان أشد وحشية منها . يذكر فى هذا البيت أنه أفلح فى خداعها ، فأدارت وجهها ومضت ، فانقض عليها فى وحشية أشد من وحشيتها .

(١١) الفحف : العظم الذى فوق الدماغ . وذو سفاسق : يريد السيف ، والسفاسق : طرائقه التى تظهر عليه لشدة صقله . وأخلق : أبلى . والمحمل : علاقة السيف . يذكر هنا أنه قتلها بضربة من سيفه المصقول الذى لا يفارقه فوق رأسها فطار به .

(١٢) أمهى السيف : أحده . والصفا : الصخر . والصيقل : من يصقل السيف ويحدها .  
 يقول فى واقعية صريحة إنه يجد سيفه إذا كل على الصخور ولا يدفع به إلى صيقل ليحده له .

(١٣) العظاية : دويّة من فصيلة الزواحف كسام أبرص تعيش فى الصحراء . والطلح : شجر عظام من شجر البادية . صورة غريبة رسمها تأبط شرا للنول تراءى معها كأنها حيوان أسطورى من مصور ما قبل التاريخ .

١٤ فَمَنْ سَالَ : أَيْنَ ثَوْتُ جَارِقِي ؟ فَإِنَّ لَهَا بِاللَّوِي مَثَلًا

١٥ وَكَنْتُ إِذَا مَا هَمَمْتُ اعْتَزَمْتُ وَأَحْرَ إِذَا قُلْتُ أُنْ أُنْ أُنْ

\* \* \*

(١٤) اللوى : ما النوى من كشيان الرمال • يذكر أنه قتل القول وجعل من الرمال قبرا لها • وفى

رواية أخرى « فمن كان يسأل عن جارقى » •

(١٥) اعتزمت : صممت • وفى رواية أخرى « فعلت » بدلا من « اعتزمت » •

\* \* \*

يوسف خليف





عَصْرُ ذِي قَارِ



## دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ

\* \* \*

هو دريد بن الصمة — واسم الصمة معاوية — بن الحارث بن معاوية بن بكر  
ابن علقمة بن جداعة بن غَزِيَّة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن . وأمه  
ريحانة بنت معدى كرب ، أخت عمرو بن معدى كرب .

ودريد شاعر فحل من شعراء الجاهلية ، فضله الأصمعي على النابغة الذبياني  
في بعض شعره ، وجعله ابن سلام أول الشعراء الفرسان ، فهو أحد الشجعان  
المشهورين وذوى الرأى في الجاهلية . وكان سيد بنى جُشَم وفارسهم وقائدهم .  
وكان مظفراً في حروبه ، ويقال إنه غزا نحو مائة غزوة لم يخفق في واحدة منها .  
وأدرك الإسلام ولم يسلم . قال خاله عمرو بن معدى كرب — وهو فارس من  
فرسان الجاهلية والإسلام — « لوطفت بظعينة أحياء العرب ما خفت عليها ،  
ما لم ألقى عبيدها وحرَّها » ، يعنى بالعبدین : عنترة بن شداد والسُّلَيْك بن السُّلَكَة  
وهو من الصعاليك ، وبالحرين : دريد بن الصمة وربيعة بن مُكَّدم .

ودريد أحد المعمرين من الرجال والشعراء حتى لقد بالغ بعض الرواة فوصل  
بعمره إلى مائتين من السنين .

والقصيدة المختارة يرثى فيها دريد أخاه عبد الله بن الصمة . وذلك أنه كان  
قد خرج هو وأخوه فأغاروا على قطقان ، فأصابا إبلا عظيمة فاستاقاها ، فلما كانا  
ببعض الطريق نزل عبد الله بن الصمة ليستريح ويقسم المال بين أصحابه ، فنهاه

دريد خشية المتابعة . فبينما هما كذلك إذ رأيا غيرة ، وإذا فرسان قبيلة فزارة تتبعهما ، وقُتِلَ عبد الله بمكان يقال له اللوى وجرح دريد .

وقد بدأ مريثته لأخيه بنسيب يلائم الرثاء وهو خلف الحبيبة وفراقها له ، ثم أعرب عن فداحة رزئه ، وذكر ما كان من نصيحته وإنذاره قومه بأعدائهم وعصيانهم أمره ، ثم تناول مقتل أخيه وولده لذلك ، ووصف أخاه بالشجاعة والجلود والمضاء والصبر وحزم الشيوخ ، وذكر أن مما هوّن وجده عليه أن دريدا كان لا يكذب له أمرا ولا يقضن عليه بما يملك . ثم صبور مصرع أخيه وجرمه عند ذلك ، وذكر أنه لم يتركه دون أن يناضل عنه أصدق نضال . ثم نفر بشجاعة نفسه ، ونعت فرسه في يمين أو جرفيهما وجمع كثيرا .

\* \* \*

## رثاء بطل

\* \* \*

- ١ أرثُ جديداً الحبل من أمٍّ معبدٍ      بماقية وأخلفت كل مؤيدٍ
- ٢ وبانت ولم أحمد إليك جوارها      ولم ترجُ فينا ردة اليوم أوقيدٍ
- ٣ أعاذل إن الرزء في مثل خالدٍ      ولا رزء فيما أهلك المرء عن يدٍ

(١) أرث : أخلق ويل . بماقية : بآثرة .

(٢) بانت : فارقت . الردة : الرجوع . وفي الأغاني : أن أم معبد التي ذكرها دريد في شعره كانت امرأته ، وسين رأته شديد الجوع على أخيه حاتبة في ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته فطلقها .

(٣) خالد : هو إما أخوه خالد بن العصة الذي قتل بنو الحرث بن الحرث بن كعب ، وإما عمه خالد بن الحرث الذي قتل بنو أميس وهم بطن من شنوءة . يقول : أن الرزء إنما هو في فقد الرجال وليس في إهلاك المسال .

- ٤ وقلت لعراض وأصحاب عارض  
٥ علانية : ظنوا بالثني مدجج  
٦ أمرتهم أمري بمنعرج اللوى  
٧ فلما عصوني كنت منهم وقد أرى  
٨ وما أنا إلا من غزيرة إن غوت  
٩ وإن تعقب الأيام والدهر تعابوا  
١٠ تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً  
١١ وإن يك عبد الله خلى مكانه  
ورسط بنى السوداء والقوم شهدي  
سراهم في الفارسي المسرد  
فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد  
غوايتهم وأننى غير مهتد  
غويت وإن ترشد غزيرة أرشد  
بنى قارب أنا غضاب بمعبد  
فقلت أعبد الله ذلكم الردى ؟  
فما كان وقافاً ولا طائش اليد

- (٤) عراض : قوم من بنى جشم كان دريد قد نهاهم من النزول حيث نزلوا فعصوه . ورسط بنى السوداء منهم . شهدي : شهودي .  
(٥) علانية : أى قلت لهم علانية . ظنوا : أيقنوا . أو معناه : ما ظنكم بالثني مدجج . المدجج : الثام السلاح . سراهم : أشراهم ورؤسائهم . الفارسي : الدرع الذى يصنع فى فارس . المسرد : المحكم النسيج أو دقيق الثقب .  
(٦) منعرج اللوى : موضع كانت به الوقعة التى قتل فيها أخوه عبد الله بن الصمة .  
(٧) يقول : إنهم رغم عصيانهم لأمره فقد رافقهم على رأيهم حتى لا يكون بينهم خلاف مع عليه بأن رأيه هو لأصوب . وقد جعل أبو هلال العسكري فى ديوان المعاني هذا البيت « أبلغ ما قيل فى مساعدة الرجل أخاه وأجوده » .  
(٨) غزيرة (بفتح الغين وكسر الزاى) أحد أجداد دريد بن الصمة « غزيرة بن جشم » .  
(٩) تعقب الأيام : تمر وتأتى أعقابها . ومعبد هنا : يقصد به أخاه عبد الله .  
(١٠) الردى : المهلك ، من الردى وهو المهلاك .  
(١١) خلى مكانه : يقصد أنه مات . الوقاف : المحجج عن القتال .

- ١٢ ولا برماً إذا الرياح تنأوحت      يَـرْطِبُ العِضَاهِ والضَّرِيعِ المَعْصِدِ  
١٣ كَيْشُ الإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ صَافِهِ      صَبُورٌ عَلَى العِزَاءِ طَلَّاعٌ أَنجِدِ  
١٤ رَيْسُ حُرُوبٍ لَا يَزَالُ رَيْثَةً      مُشِيحاً عَلَى مُحَقَّقِيفِ الصُّلْبِ مُلِيدِ  
١٥ صَبُورٌ عَلَى رُزْءِ المَصَائِبِ حَافِظُ      مِنَ اليَوْمِ أَدْبَارِ الأَحَادِيثِ فِي غَدِ  
١٦ صَباً مَا صَبَا حَتَّى عَلا الشَّيْبُ رَأْسَهُ      فَلَمَّا عَلاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ : ابْعِدِ  
١٧ وَهَوْنٌ وَجَدَى أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ      كَذِبَتَ ، وَلَمْ أَتَجَلَّ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي  
١٨ وَكَنتُ كَأَنِّي وَاقِفٌ بِمُصَدِّرِ      يَمَشِي بِأَكْنَافِ الحَبِيبِ فَجَحِيدِ

(١٢) البرم : بفتح الراء : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر . تناوحت : تقابلت في المهب وذلك إذا اشتد هبوبها . العضاه : ما عظم من شجر الشوك وطال وامتد شوكه ، الواحدة عضاهة . الضريع : نبت بالجذازله شوك كبار . المعصد : يقال « عضد الشجرة » إذا نثر ورقها لإبله ، أو قطع فرورها بالمعصد .

(١٣) الكيش : الماضي العزم في اتخاذ قراراته ، وأمناف السرعة إلى الإزار على المجاز . وفي اللسان « رجل كيش الإزار : مشره » . العزاء : الشدة . طلاع أنجد : ركاب لصعاب الأمور .

(١٤) الرَيْثَةُ : العليقة ، وهو الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم مدو ، ولا يكون إلا على جبل . المشيح : البلاد المحقوفة : الموج . المليلد : الفرس شد عليه لبد السرج .

(١٥) رواية الحماسة والأغانى لصدر البيت « قليل التشكى للمعصيات حافظ » والمعنى : أنه لا يتألم للنواب تزل بساحته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس في غده .

(١٦) صبا : من الصبوة وهي الفتوة والهور .

(١٧) ليس القصد أنه لم يقل له كذبت فقط ، وإنما المراد أنه لم يحفه أدنى جفاء .

(١٨) المصدر : السابق من الخيل . الأكتاف : النواحي . الحبيب وفي رواية الحبيب تصغير

« جب » موضع . محتد : موضع .

- ١٩ غداة دعاني والراح ينشئه كوقع الصياصي في النسيج الممدد  
٢٠ وكنت كذات البوريمت فأقبلت إلى جذم من مسك سقي مجلد  
٢١ فطاعت عنه الخيل حتى تبددت وحتى ملاني حالك اللون أسود  
٢٢ طعان امرئ أمي أخاه بنفسه وأعلم أن المرء غير مجلد  
٢٣ وهون وجدى أنما هو فارط أممي ، وأنى وارد اليوم أو غد  
٢٤ وغارة بين اليوم والليل فلتة تداركتها ركضا يسيد عمرد  
٢٥ سلم الشظا عيل الشوى شنج النسا طويل القرا نهيد أسيل المقلد

(١٩) ينشئه : يتناوله . الصياصي : جمع « صيصية » بكسر الصادين وفتح الياء الثانية تخفة وهي شوكة الحائك التي يسوى بها السداة والحممة . يريد أن أخاه دعاه والراح تتناوله ولها خشخشة ووقع كوقع صياصي الحائك في ثوب أو قميص .

(٢٠) البور : ولد الناقة يذبح ويحشى جلده تبنا لتعطف عليه أمه وترأه فتدرك اللبن ولا يتقطع . ويمت : فرغت . الجذم : بكسر الجيم وفتح الدال : جمع جذمة بسكون الدال وهي القطعة . المسك : بفتح الميم : الجلد . السقب : ولد الناقة . المجلد : المسلوخ .

(٢١) أسود ، يضم الدال : لقواء . ويقصد بحالك اللون غبار الحركة .

(٢٢) الفارط : المتقدم السابق .

(٢٤) اليوم : النهار فقط . فلتة : كان للعرب في الجاهلية ساعة يقال لها الفلتة فيفرون فيها . وهي آخر ساعة من آخر يوم من أيام جمادى الآخرة ، يفرون تلك الساعة وإن كان هلال ريعب قد طلع تلك الساعة من آخر جمادى الآخرة ما لم تغب الشمس . السيد : الذئب . العمرد : الطويل . شبه فرسه بالذئب .

(٢٥) الشظا : أحد عظام الذراع . عيل الشوى : غليظ القوائم . النسا : قال الأصمعي « عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعروق حتى يبلغ الحافر » . الشنج : المتقبض ، وهو مدح له لأنه إذا تقبض نساء لم تسترخ رجلاه . القرا : الظهر . النهد : الجسم المشرف . الأسيل : الطويل . الأملس المستوى . المقلد : موضع القلادة .



٢٦ ويخرج منه صرة القوم مصدقا وطول السرى درى عصب مهند

\* \* \*

(٢٦) صرة القوم : ضيقتهم ومراخهم . المصدق بفتح الميم والذال : مصدر ميمي ، أى صدق الجرى . والمصدق أيضا الجلد والصلابة . يعنى : أنه إذا صاح به القوم ظهر منه الجدى فى الجرى لإغاثتهم . السرى : السير بالليل . العصب : السيف القاطع . ودريه : تلائمه وإثرائه كأنه منسوب إلى الدر لصفائه وقائه .

\* \* \*

مسيل حنقى

## سَاعِدَةُ بَنِ جُؤَيَّةَ

\* \* \*

ساعدة بن جؤية أحد شعراء قبيلة هذيل ، ويعمد مع أبي ذؤيب الهذلي — وهو شاعر مخضرم — من أشعر شعراء هذه القبيلة ، وكان أبو ذؤيب راوية لساعدة . وهو يتحدث في هذا الجزء من القصيدة عن صيد الوعول والبقر الوحشي — بعد أن يبدأها بالشكوى من الشيب والهرم والضعف الذي يعتري كبار السن .

\* \* \*

## تأملات في الشيب والموت

- ١ يا ليت شعري ألا منجى من الهرم
  - ٢ والشيب داء نجيس لا دواء له
  - ٣ وسنان ليس يقاض نومة أبداً
  - ٤ في منكبيه وفي الأضلاب واهنة
  - ٥ إن تأتته في نهار الصيف لا تره
  - ٦ حتى يقال وراء البيت مُنْتَبِذاً :
- أم هل على العيش بعد الشيب من ندم ؟  
 للوه كان صحيحاً صائب القبحم  
 لولا غداة يسير الناس لم يقسم  
 وفي مفاصله غمز من العسم  
 إلا يجع ما يصل من الجحيم  
 قم لا أبالك سار الناس فأحترم

(٢) النجيس والناجس : هو الذي لا يكاد يبرأ منه من الأدواء . صائب القبحم : أى أنه إذا اقتحم في أمر أصاب وقعد في اقتحامه .

(٣) يقول : لا تراه أبداً إلا كأنه وسان مسترخ كأنه نائم من الضعف وليس يتنام .

(٤) العسم : اليبس ، يريد أن مفاصله قد يبت . والواهنة : الوجع .

(٥) ما يصل : ما يصلط به في الشتاء . الجحيم : جمع بحمة ، وهى النار .

(٦) المعنى : حتى يقال له وهو وراء البيت والدار يحدث نفسه : ثم فقد سار الحى فأحترم : أى شد وسطك .

٧ فقام تَرَعَّدُ كَفَاهُ بِمَحَجْنِهِ      قد عاد رَهْبًا رَذِيًّا طَائِشَ الْقَدَمِ

\* \* \*

٨ تالله يبقى على الأيام ذو حَيْدٍ      أدقَى صَلُودٌ من الأوهالِ ذو خَدَمِ

٩ يَأْوِي إلى مُشَمِخَرَاتٍ مُصَعَّدَةٍ      شَمَّ يَمُوتُ فروعُ القانِ والنَّشَمِ

١٠ من فوقه شَعَفٌ قَرٌّ وَأَسْفَلُهُ      جِيٌّ تَنْطَقُ بِالظُّلْيَانِ وَالْعَمِّ

١١ مَوَكَّلٌ يُسْدُوفِ الصَّوْمِ يَنْظُرُهَا      من المغاربِ مُحْطُوفُ الحَشَا زَرِمٌ

١٢ حَتَّى أُنِيحَ لَهُ رَامٌ مُجْدَلَةٌ      جَشٌّ وَيَبِيضُ نَوَاحِينُ كَالسَّجَمِ

١٣ فَظَلَّ يَرْقُبُهُ حَتَّى إِذَا دَمَسَتْ      ذَاتَ الْعِشَاءِ بِأَسْدَافٍ مِنَ النَّمِ

(٧) أى قام بمحجنه الذى يتوكأ عليه وكفاه ترتعدان . الرهب : الرقيق والضعيف . الرذى : الممي المطروح .

(٨) الحيد فى القرن . وقرن ذو حيد أى ذراً نابيب ملتوية . الأدقى : الذى فى قرنه دق وهو الحذب وهو الذى تحنى قرناه إلى ظهره . الصلود : الذى يصلد يرجله أى يضرب بها على الصخرة فتسمع لها صوتاً . ذو خدم : أى أعصم ، والأعصم من الوعول ما فى يديه بياض أو فى إحداهما .

(٩) مشمخرات : مرتفعات . القان والنشم : شجرتان تتخذ منهما القسي العربية .

(١٠) شعف الجبال : رؤوسها . قر : بارد . جى : جمع جبة وهى مناطق الماء . الظليان والعم : شجرتان .

(١١) السدوف : الشخص . الصوم : شجر على شكل الإنسان . يرقبه : يخشى أن يكون ناساً . محطوف الحشا : فزع . المغارب : كل مكان يتوارى فيه . الزرم : يقال أزرمه : إذا قطع عليه البول أو الحاجة قبل أن يتمه ، أو هو الذى لا يثبت فى مكان . وقوله موكل : كأنه وكل بها يفرق أن تكون ناساً . وفى البيت إقواء .

(١٢) المجدلة : القوس . الجش : القضيبي الخفيف . البيض : السهام . السجم : شجر له ورق مثل ورق الزيتون ، يريد أن نصال السهام تشبه هذا الورق .

(١٣) دمست : التبتت . وذات العشاء : أى ساعة العشاء . أسداف : جمع سدف (بفتح السين) وهو الظلمة . النعم : اختلاط الظلمة بالضوء .

- ١٤ ثم ينوش إذا آد النهار له      بعد الترقب من نيم ومن كتم  
١٥ دلى يديه له سيرا فالزمه      نقاعة غير إنباء ولا شرم  
١٦ فراغ منه بحنب الريد ثم كبا      على قضى خلال الصدر منحنطيم
- \* \* \*
- ١٧ ولا صوار مذرأة مناسجها      مثل الفريد الذى يجرى من النظم  
١٨ ظلت صوافن بالأرزان صادية      فى ماحق من نهار الصيف محتم  
١٩ قد أوييت كل ماء فهى طاوية      مهما تصب أفقا من بارق تسم  
٢٠ حتى شأها كليل موهنا عميل      باتت طرابا وبات الليل لم ينم  
٢١ كأن ما يتجلى عن غواربه      بعد الهدوء تمشى النار فى الضرم

- (١٤) ينوش : يتناول . آد النهار : مال للزوال . النيم والكتم : شجرتان .  
(١٥) دلى يديه : رماه بسهامه . نقاعة : تنفخ بالدم . غير إنباء : يقول : لم ينب سهمه حين  
رماه . ولا شرم : أى لم يشرم ، أى لم يصيب جلده فيشق ولكنه قد حرق من الشق الآخر .  
(١٦) يقول : راغ منه بناحية ريد الجبل روضة ثم عثر والمهم فيه . النضى : مهم بغير ريش .  
خلال الصدر : أى دخل بين أطباق الضلوع .
- (١٧) الصوار : قطيع البقر . ومنسج الهداية ما بين مغزو العنق إلى منقطع الحارك فى الصلب .  
يقول كأن مناسجها ذريت بالمذى أى ضربتها الريح كما يذى الشعر بالمذى . مثل الفريد :  
أى كأنها فريد من فضة فى بياضها . النظم : جمع نظام وهو الخيط الذى ينظم فيه المقعد .
- (١٨) الصوافن : القائمة على ثلاث قوائم ثمانية سنبك يدها الرابعة . الأرزان : الأمكنة الصلبة .  
واحدها رزن . الصادى : الذابل .
- (١٩) أوييت كل ماء : منعت كل ماء . طاوية : ضامرة . تسم : تقدر أين موقعه .  
(٢٠) شأها : شاقها فاشتات . كليل : برق ضعيف . موهنا : بعد وهن من الليل . باتت طرابا :  
يقصد البقر . بات الليل لم ينم : أى بات البرق يبرق ليلته .
- (٢١) يتجلى : يظهر . عن غواربه : أى عن أعاليه ويقصد السحاب . الضرم : ما دق من  
الحطب ليس بالجزل ولا بالغليظ .

- ٢٢ حيرانٌ يركبُ أصلاهُ أسافِلُهُ      يُخْفِي جَدِيدَ تَرَابِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ  
٢٣ فَأَسَادَتْ دَبَجًا تُخْفِي لِمَوْعِدِهِ      لَمْ تَنْتَشِبْ بِوُعُوثِ الْأَرْضِ وَالظُّلَمِ  
٢٤ حَتَّى إِذَا مَا تَجَلَّى لَيْلُهَا فِزَعَتْ      مِنْ فَارِسٍ وَحَلِيفِ الْغَرَبِ مُتَسِّمِ  
٢٥ فَأَقْنَتْهَا فِي فُضَاءِ الْأَرْضِ يَا فِرُّهَا      وَأَصْحَرَتْ عَنْ قِفَافٍ ذَاتِ مَعْتَصِمِ  
٢٦ أَنْحَى عَلَيْهَا شُرَاعِيًا فغادرها      لَدَى الْمَزَاحِفِ تَلَى فِي نُضُوحِ دَمِ  
٢٧ فَكَانَ حَقًّا بِمَقْدَارٍ وَأَدْرَكَهَا      طَوْلُ النَّهَارِ وَلَيْلٌ غَيْرُ مُنْصَرِمِ  
٢٨ هَلْ أَقْنَى حَدَثَانُ الدَّهْرِ مِنْ أَنْسٍ      كَانُوا بِمَعِيطٍ لَا وَخِشٍ وَلَا قَزَمِ  
٢٩ كِيدًا وَجَعًا بَأَنَاسٍ كَأَنَّهُمْ      أَفْنَادُ كِبْكَبِ ذَاتِ الشُّثِّ وَالْخَزَمِ

(٢٢) يقول : هذا السحاب حيران لا يأخذ جهة واحدة • منهزم : متفجر بالمياه •

(٢٣) الإسناد : سير الليل • الدج : الليل كله • تخفي لموعده : أحييت ليبتها لتبلغ ذلك الميعاد • لم تنتشب : لم تحتبس ولم يتعها الوعث والظلمة •

(٢٤) الغرب : غرب كل شيء • حده • والحليف : السنان أى الحديد • ملتئم : مشتبّه غير مختلف • وهو من صفة قناة الريح • وقوله : حليف الغرب : أى حديد الحد •

(٢٥) اقنيتها : اشتق بها • يافرها : يذوبها • نورا • القفاف : غلظ في الأرض لا تجري فيه الخليل • يقول : فلما أصحرت عن القفاف أدركتها الخليل •

(٢٦) أنحى عليها : جعل عليها • شراعيا : رجحا طويلا • تلى : تركه تليلا أى صريحا • وقوله لدى المزاحف : أى عند المزاحف •

(٢٧) فكان حقا بمقدار : أى فكان ما أصابها بمقدار •

(٢٨) « هل اقننى حدثان الدهر من أنس » بحواب مطلع القصيدة : « ياليت شعري ألا منجى من الهرم » ، أى هل اقننى الموت أحدا • يقول : لو كان الزمان يقتنيا أحدا أبق هذا الوحش • معيط : موضع ببلاد هذيل • الوحش : الأندال • القزم : القنام •

(٢٩) أناس : جمع أنس وهم الكثير • الفند ( بكسر فسكون ) : الأنف من الجبل • كبكب : جبل • يقول لو كانت لهم كتاب وجيوش كأنها أفناد جبيل لأدركهم الموت • الشث • شجر طيب • الريح من الطعام يدبغ به • والخزم : شجر يؤخذ قشره فتقتل منه الحبال •

\* \* \*

سعيد حنفي

## عبدُ يَغُوث بن وقَّاص الحارثي

\* \* \*

هو ربيعة بن كعب الأرت بن ربيعة بن كعب بن الحارث من شعراء الجاهلية وفرسانها ، كان سيدا في قومه بني الحارث بن كعب ، وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني إلى بني تميم ، وفي ذلك اليوم أسر ثم قُتل .

من أهل بيت عريق في الشعو في الجاهلية والإسلام منهم البلاج الحارثي وهو طُفيل بن يزيد بن عبد يغوث ومُسهر بن يزيد بن عبد يغوث وهو فارس شاعر ، وهو الذي طعن عامر بن الطفيل فأذهب عينه يوم « قَيْف الرِّيح » ، ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلبة بن ربيعة بن الحارث وكان فارسا شاعرا صنعوكا ، أخذ في دم ، فُخِس بالمدينة ، ثم قُتِل صبورا .

وخلاصة ما فصله صاحب الأغاني في روايته أن هذه القصيدة من شعر عبد يغوث قد قُلت في يوم الكلاب الثاني وهو اليوم الذي جمع فيه قومه وغزوا بني تميم ، فظفرت به بنو تميم وأسروه وقتل يومئذ .

وقصيدته الياثية التي نحن بصددتها تُعدُّ فريدة في موضوعها وإن كانت ظروفها قد هيئت لكثير من الجاهليين ، ولكن يبدو أن هذا الشاعر كان

---

(١) يراجع نسب الشاعر ومنزله في قومه وشاعريته وشعره في يوم الكلاب وحديث يوم الكلاب

أكثرهم حساسيةً برزت في قدرته على اختيار شريحة من تلك الظروف ليسيطر عليها ويصورها تفصيلاً على هذا النحو .

وقع عبد يغوث أسيراً وكان قائداً لقومه مذحج ، وأراد أن يفدى نفسه فأبت بنو تميم إلا أن تقتله بالنعمان بن جساس ، ولم يكن عبد يغوث قاتله ، ولكن تيمياً قالت : قُتِلَ فارسنا ولم يُقتل لكم فارس مشهور . وكانوا قد شدوا لسانه حتى لا يستطيع أن يهجوهم ، فلما يئس من الفرار من القتل طلب إليهم أن يطلقوا لسانه ليذم أصحابه وينوح على نفسه ، وأن يقتلوه قتلة كريمة ، فأجابوه وسقوه الخمر ، وقطعوه له عرفاً يقال له الأُكُل ، وتركوه يتزف حتى مات .

وعلى هذا نظم قصيدته في تلك التجربة القاسية التي عاشها بما فيها من مرارة ، وقد أشدها حين جُهِزَ للقتل ، فبدأها رافضاً لوم صاحبيه ، وناهياً إياهما عن هذا اللوم الذي لا ينفعه شيئاً ، وهو يأسى من تصور انقطاع أمله في لقاء أصحابه ، فيبلغهم استحالة هذا اللقاء ، حتى إذا ما تذكر قومه بدا هاجياً لهم ، يلومهم على هزيمتهم ومسجلاً موقفه بينهم ، فلو أراد النجاة لنفسه لفرّ هارباً ، ولكنه ظل ثابتاً قوياً حريصاً على أن يحمي ذماره . ومن تسجيل حقيقة موقفه إلى عرض واقعه الأليم راح الشاعر يحكي في قصة حزينة ما حدث له من الأسر وشدّ لسانه وما لقيه من مخزية نساء تميم منه . وهو لا يكاد يستسلم لآلامه ، فقد آثر أن يمزجها بشيء من مفاحره ركّز فيها على عرض شجاعته وكرمه وبراعته في القتال ، وشهامته في مواقف الجِدِّ ، ولكنه نخر يشوبه حزنه وألمه خاصة حين يتذكر ما كان له من لذة في ما ضيقه القريب .

( تراجع القصيدة في الأغاني - ١٦ ص ٢٢٢ ، وفي ديوان المفضليات تحت رقم ٣٠ بمحققة الأستاذين : عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر ) .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## تَجْرِبةٌ قَاسِيَةٌ

\* \* \*

- ١ أَلَا تَلُوْمَانِي كَفَى اللُّؤْمُ مَا بَيَا      وما لُكْمًا فِي اللُّؤْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا
- ٢ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعُهَا      قَلِيلٌ وَمَا لَوْمِي أَحْيَى مِنْ شِمَالِيَا
- ٣ فَيَارَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ      نَدَامَايَ مِنْ تَجَرَّانَ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا
- ٤ أَبَا كَرْبٍ وَالْأَيْهَمَيْنِ كَلِمَتَا      وَقَيْسًا بَأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا
- ٥ جَزَى اللَّهُ قَوْمِي بِالْكُلَابِ مَلَامَةً      صَرِيحُهُمُ وَالْآخَرِينَ الْمَوَالِيَا
- ٦ وَلَوْ شِئْتُ نَجَّيْتَنِي مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةً      تَرَى خَلْفَهَا الْحَوَّ الْحِيَادَ تَوَالِيَا
- ٧ وَلَكِنِّي أَخِي ذِمَارَ أَبِيكُمْ      وَكَانَ الرَّمَا حُ يَخْتِطِفَنَ الْمُحَامِيَا
- ٨ أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِلِسْعَةٍ :      أَمَشَرْتَنِي أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا

(٢) الشمال جمعها شمائل ، والشمال : الخلق .

(٣) عرض : أتى العروض وهو موضع يقال أنه مكة والمدينة وما حولهما ، وعرضت : أتت .

العروض أو مررت بها .

(٤) أبو كرب : هو بشر بن طلقة بن الحارث . الأيهان : هما الأسود بن طلقة بن الحارث .

والعاقب وهو عهد المسيح بن الأبيض .

(٥) الكلاب : يوم الكلاب الثاني ، كلاب أهل اليمن رقيم ، وفيه أمر عهد يفتوح .

صريحهم : الصريح الخالص النسب . الموالي : الخلفاء .

(٦) النهدة : المرتفعة . الحوة : الخضرة ، والأحوى : المائل إلى الاخضرار .

(٧) الدمار : الحمى الذي يجب على الإنسان حمايته .

(٨) اللسعة : صير منسوج من الجلد وقد شد به لسانه حقيقة .



- ٩ أمعشَرَ تَسِمَ قَدْ مَلَكْتُمْ فَاصْجِحُوا  
 ١٠ فَإِنِ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بَنِي سَيِّدَا  
 ١١ أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَن لَسْتُ سَامِعًا  
 ١٢ وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَهْشِمِيَّةٌ  
 ١٣ وَظَلَّ نِسَاءُ الْحَيِّ حَوَالِي رُكْدًا  
 ١٤ وَقَدْ عَلِمَتْ عِمْرَسَى مُلْكِيَّةُ أَنِّي  
 ١٥ وَقَدْ كُنْتُ نَحَارًا بِالْجُزُورِ وَمُعْمِلًا  
 ١٦ وَأَنْحَرُ لِلشَّرِبِ الْكَرَامِ مَطِيسِي  
 ١٧ وَكُنْتُ إِذَا مَا انْخَلَيْتُ شَمْعَهَا الْقَنَا  
 ١٨ وَعَادِيَّةٍ سَوَمَ الْجَرَادِ وَزَعْتَهَا  
 ١٩ كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلُ  
 ٢٠ وَلَمْ أَسْبَأِ الرُّوقَ الرَّوِيِّ وَلَمْ أَقْلُ
- فَإِنَّ أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا  
 وَإِن تَطْلُقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا  
 نَشِيدَ الرَّعَاءِ الْمُعْزِينَ الْمُتَالِيَا  
 كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا  
 يَرَاوِدُنِي مَنِيَّ مَا تُرِيدُ نِسَائِيَا  
 أَنَا اللَّيْتُ مَعْدُوًّا عَلَى وَعَادِيَا  
 مَطِيٍّ وَأَمْضَى حَيْثُ لَأَحَى مَا ضِيَا  
 وَأَصْدَعُ بَيْنَ الْقَيْتَيْنِ رَدَائِيَا  
 لَيْقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاءِ بَنَائِيَا  
 بِكَمْتِي وَقَدْ أَتَحَوَّا إِلَى الْعَوَالِيَا  
 نَحْلِي كَرَى نَفْسِي عَنْ رِجَالِيَا  
 لَا يُسَارِ صَدِيقٌ : أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا

(٩) اصبحوا : سبلوا إلى الأمر . أخاكم : يقصد النعمان بن حسان . البواء : القتل والثأر ، والبواء : السواء أو الظهير .

(١٠) تحربوني : تسلبوني وتغلبوني ، وتركونني بلا علة ولا نصير .

(١١) المعزب : الذي ينحى بإبله . المتالي : التي تتبعها أولادها ، المفرد متلية .

(١٢) عهشمية : نسبة إلى « عبد شمس » إذ يقال في النسبة إليها « عهشمي » .

(١٦) الشرب : جمع شارب . يصدع : يشق . القينة : المغنية خاصة من الإماء .

(١٧) شمصها : نفرها . اللقي : الخلق والرفق . تنفس : توسع .

(١٨) العادية : القوم يركضون . سوم الجراد : انتشاره في المرحى ، الرعاء : الرعاة . انحروا الزماح : أزالوها وقصدوا بها . العالية من الرخ : أهلاء . وزعتها : كففتها ورمعتها . انحروا إلى : وجهوا إلى .

(٢٠) يسبأ الزوق : يشتريه للشرب لالبيع . السباء : شراء الخمر . الروى : المتلى . الأيسار : الذين يضربون القداح ( مفرد لها يامر ) .

\* \* \*

عيد الله التطاوى

## الحارثُ بنُ وَعْلَةَ الجَرْمِيُّ

\* \* \*

الحارث وأبوه وعلة شاعران قحطانيان قضاعيان ، من بني جرم بن ربان ابن عمران بن قضاعة . وهما جاهليان ، وإذا صح أن يوم الكلاب الثاني قد وقع بعد الإسلام ترتب على ذلك إدراك الحارث وأبيه الإسلام فكانا مخضرمين . والقصيدة التي نحن بصدددها جاهلية في نطمها ومحتواها ، وقد قيل إنها لوطة ابن عبد الله بن الحارث في يوم الكلاب الثاني ، وقد حضره فنجأ على رجله شداً وقد عقر به ، وقيل أيضاً أنها لعابن بن الحصين أحد بني قدامة بن جرم . والصحيح نسبتها للحارث بن وعلة الجرمي عند أكثر الرواة .

وهي قصيدة تبدو فيها من ملامح الغوابة ما يفتخر به الشاعر من هروب قومه ، ونجاتهم من المعركة ، على غير عادة شعراء العصر الجاهلي ، وهي ترد بلا مقدمات إلا ما يشير إلى سرعة عدوه ، وما يتناسب معه بعد هذا من ذكر المواضع ، والاستطراد في الصور التي تلائم سرعته كما صنع في صورة العقاب .

وفيها أيضاً يبدو حرص الشاعر على ذكر أسماء القبائل ، وأكثر ما يكون تركيزه على سرعة جريه وهربه مخافة الأسر أو أن يقع فريسة في يد أعدائه . وهو يسجل حرصه على صلوات ذوى القربى ويظهر فيها فارساً بطلاً على الرغم من فراره الذي أشار إليه في الأبيات الثلاثة الأولى . كما أشار إلى نداء قيس آل مقاعس في البيتين السادس والسابع ، ومقاعس هو الحارث بن كعب بن سعد ، وقد سمع الصوت وعلة الجرمي وكان صاحب لواء أهل اليمن يومئذ ، فطرعه ، وكان أول منهزم

من قومه ، وحلت عليهم سعد والرباب فهزموهم ، ولما أكرت تميم القتل في أهل اليمن أمرهم قيس بن عاصم بالكف عن القتل ، وأن يحزوا عراقيبهم ، وكان وعلة يبرر فراره إذا كان الموقف بمثل هذه الخطورة .

ثم إن وعلة لحق به رجل من بني نهد اسمه سليط بن قتب ، فقال له الهندي : أردفتني خلفك فإني أخوف القتل ، فأراد أن يردفه كما أشار إلى ذلك في البيتين التاسع والعاشر من القصيدة . (\*)

\* \* \*

## فَرَارٌ وَافْتِخَارٌ

- ١ فِدَى لِكَا رِجْلَى أُمَى وَخَالَتِي      خِدَاةَ الْكَلَابِ إِذْ تُحَزُّ الدَّوَابِرُ
- ٢ تَجَوُّتْ نَجَاءً لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ      كَأَنِّي عَقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنٍ كَاسِرُ
- ٣ لَهَا نَاهِضٌ فِي الْوَكْرِ قَدْ مَهَّدَتْ لَهُ      كَمَا مَهَّدَتْ لِلْبَعْلِ حَسَنَاءُ حَاقِرُ
- ٤ خُدَارِيَّةٌ سَفْعَاءُ لَبَّدَ رِيشَهَا      مِنَ الطَّلِّ يَوْمٌ ذُو أَهَاضِيبٍ مَاطِرُ

(١) فدى : صيغة دماثة افتتح بها الأبيات . يحز الدوابر : يقطع أصله ويجذوره .

(٢) تيمين : من بلاد اليمن . النجاء : يمدو ويقصر وهو العدو السريع . الكاسر : للذكر والمؤنث .

ويبدو أن الشاعر يوم هربه كان يزل مرة فيعود ويركب فرسه حيناً آخر ، ولذلك قال فدى لكَا قاصداً الدماء لرجليه .

(٤) السفعاء : من السفعة وهو السواد يضرب إلى الحمرة . الخدارية : التي يضرب لونها إلى السواد

أيضا . الأهاضيب : دفعات المطر . يشبه سرعته في عدوه بسرعة طيران عقاب أمرعت في طيرانها حين أصابها المطر فازدادت سرعتها أملاً في النجاة منه .

(\*) تراجع المفضليات بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون والأستاذ أحمد شاكر .

- ٥ كَأَنَّا وَقَدْ حَالَتْ حُدُودُ دُونَنَا نَعَامٌ تَلَّاهُ فَارِسٌ مُتَوَاتِرٌ  
 ٦ فَمَنْ يَكُ يَرْجُو فِي تَمِيمٍ هَوَادَّةً فَلَيْسَ لِحَرْمٍ فِي تَمِيمٍ أَوَاصِرٌ  
 ٧ وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَدْعُو مَقَاعِسًا تَطَالَعْنِي مِنْ ثَغْرَةِ النَّحْرِ جَائِرٌ  
 ٨ فَإِنْ أَسْتَطِيعَ لَا تَلْتَمِشْ بِي مَقَاعِيسٌ وَلَا يَرِنِي مَبْدَاهُمُ وَالْمَحَاضِرُ  
 ٩ وَلَا تَكُ لِي حُدَادَةٌ مُضِرِّيَّةٌ إِذَا مَا غَدَتِ قُوَتُ الْعِيَالِ تَبَادِرُ  
 ١٠ يَقُولُ لِي الْهِنْدِيُّ: هَلْ أَنْتَ مُرْدِي؟ وَكَيْفَ رِدَافُ الْفَلِّ أَمُّكَ حَايِرُ  
 ١١ يَذْكُرُنِي بِالرَّحِمِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ كَانَ فِي نَهْدٍ وَجَرَمٍ تَدَابِرُ  
 ١٢ وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَتَرَى أَثَانِجًا عَلِمْتُ بِأَنَّ الْيَوْمَ أَحْمَسُ فَاجِرُ

(٥) حُدُودٌ : موضع . يشبه أنقصهم في مشهد الحرب بالنعام المتواتر حين يخاف فارساً يتلوه .

(٦) الهوادة : الرق والرقعة واللين . الأواصر : المواطف (مفرداها أصرة) .

(٧) الجائر : الحر يوذى الجوف عند الخلاه ( قيل يقصد النخلة ) وهو يصور بذلك حال المنهزم إذا خاف القتل جاءه النخلة . تطالعني : طلع متى وارتفع من شدة الفزع والخوف . ثغرة النحر : الهزلة التي على الصدر .

(٨) المحاضر : ج محضر ، يصور شجاعته وكيف لا ينوى عدواً أو هرباً بخافة الوقوع في الأمر ، لذا يراه منهم من بدا ومن حضر .

(٩) الحداد : البواب . قوت العيال تبادر : أى إذا غدت فإنما هما قوت عيالها ، فكيف تكون حالى إذا كان من أمرنى هذه حاله من الضيق .

(١٠) الفل : المنهزم (والفل أصلاً الكسر) ، العابر : العبرى . وحوازه مع الهندي قبل أن يعترفه .

(١٢) تترى : يتبع بعضها بعضاً ، تتوالى . أثانج : جماعات . الأحمس : الشديد .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## حاتم الطائي

\* \* \*

حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، ويكنى حاتم أبا سقانة وأبا عدى ،  
كنى بذلك بابنته سقانة وهى أكبر ولده ، وبابنه عدى .

أمه غنيّة بنت عفيف ، وكانت ذات يسار ، وكانت من أكثر الناس سخاءً  
وأقارهم للضيف ، وكانت لا تُلِق شيئا تملكه ، وبلغ من سخائها أن حجّر عليها  
إخوتها .

وكانت ابنته سقانة من أجود نساء العرب أيضا ، أما حاتم فكان من شعرائهم  
الكبار وكان جوادا يشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ، فلم يكن يأكل إلا إذا  
وجد من يأكل معه .

وقد أطلق حاتم قومه من أسر الحارث بن عمرو ، كما أقام مكان أسير في قيده  
وأطلقه بعد أن مكث مكانه .

ويقال إن ماوية زوجته قد حدثت كثيرا عن عجائب حاتم ، ولذا كثر توجيّه  
خطابه إليها في افتتاحيات قصائده . ويروى صاحب الأغانى أن فزارة غزت طيئرا  
وعليهم حصين بن حذيفة ، وخرجت طيء في طلب القوم فلحق حاتم رجلا من  
بدر قطعنه ثم مضى ، فقال : إن مر بك أحد فقل له : أنا أسير حاتم ، فربّه  
أبو حنبل ، فقال : من أنت ؟ ، قال : أنا أسير حاتم ، فقال له : إنه يقتلك ،  
فإن زعمت لحاتم أولمنا سألك أنى أمرتك ، ثم صرت في يدي خليت سبيلك ،

فلما رجعوا قال حاتم : يا أبا حنبل خلّ سبيل أسيرى ، فقال أبو حنبل : أنا  
أسرته فقال حاتم : قد رضيت بقوله ، فقال : أسرنى أبو حنبل فقال حاتم :  
إن أباك الجسّون لم يكُ غادرا      ألا من بدر أتتك الغوائلُ

وقد ضربت الأمثال بكرم حاتم فى جاهلية العرب وما بعدها ، وقد وصفته  
ابنته بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه « كان يَفُكُّ العانى ، ويحىى الذمار ،  
ويقرى الضيف ، ويشيع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى  
السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط » . وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذه  
صفة المؤمن ، وقال : إن أباه كان يحب مكارم الأخلاق ، وهو حكم يؤكد  
سلامة المسلك الاجتماعى الذى سلكه حاتم متصفا مع نفسه ومع مجتمعه  
وعقده القبلى .

والقصيدة كغيرها من شعر حاتم تصور طبيعة هذا المسلك وتروم الصورة  
المثالية للرجل العربى ، وهى تحكى شخصه ، وتصور ما اقتنع به فى فلسفة حياته  
الخاصة ، وبما حفلت به من اعتزاز بالسخاء والبذل والعفة والوفاء وحماية الجار  
والصدق فى القول والفعل معا .

\* \* \*

عبد الله النطاوى

( تراجع ترجمته وأخباره فى ديوانه بتحقيق الدكتور عادل مایان ) .

( ١ )

## رُؤْيَا حَاتِمِيَّة

- ١ سَلِيَ الْأَقْوَامَ بِمَاوَى عَنِّي وَإِن لَّمْ تَسْأَلِيهِمْ فَاسْأَلِيْنِي
- ٢ يَخْبُرُكَ الْمُعَاشِرُ وَالْمُصَافِي وَذُو الرِّحْمِ الَّذِي قَدْ يَجْتَدِيْنِي
- ٣ بَأَنِّي لَا يَهْرُ الْكَلْبُ ضَيْفِي وَلَا تُقْضَى نَجْيُ الْقَوْمِ دُونِي
- ٤ وَلَا أُحْتَلُّ مِنْ فَتَحٍ بِمَنْعٍ إِذَا نَابَتْ نَوَائِبُ تَعْتَرِيْنِي
- ٥ وَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ إِزَاءَ طَيِّئٍ وَتَأْبَى طَيِّئٌ أَن تَسْتَطِيْعِيْنِي
- ٦ وَمَا مِنْ شَيْئِي شَتْمُ ابْنِ عَمِيٍّ وَمَا أَنَا مُخْلَفٌ مَنْ يَرْتَجِيْنِي
- ٧ سَأَمْنَحُهُ عَلَى الْعَلَاتِ حَتَّى أَرَى مَاوِيَّ إِلَّا يَشْتَكِيْنِي

(٢) العشير : القريب ، والصديق ، والزوج . صفي الإنسان : أخوه الذي يضافه الإخاء .  
يجتديني : يسألني الجدا وهو العطاء .

(٣) هرب الكلب : صوته دون تباحه ، ومعنى لا يهر الكلب ضيفه أنه لا ينبج الطراق لأنه تودهم  
لكثرة غشيانهم لبيت صاحبه . لا تقضى نجى القوم دوني : أى لا يتناجون في أمر من أمورهم دون  
أن أشهده معهم .

(٤) الفتح : الخير والكرم والفضل وحسن الذكر والسمعة الطيبة والشهرة . النابسة : المصيبة .  
تعتريه : تصيبه .

(٥) إزاء طيئ : القائم بأمرها . تستطيني : أى يجتديني وطئاً ذليلاً أو حقيراً المحاكاة .

(٦) الشبهة : الطبيعة والصفة الخلق ، مخلف : مخيب ظنه . يرتجيني : يطمع في كرمي وجداي .

(٧) على العلات : أى على كل حال ، يشتكيني : يضيق بي أو يشكوني .

- ٨ إِذَا أَنَا لَمْ أَرَ ابْنَ الْعَمِّ فَوْقَ فَلَأَنِّي لَا أَرَى ابْنَ الْعَمِّ دُونِي  
 ٩ وَمِنْ تَكْرِمٍ يَجُورُ عَلَى قَوْمِي وَأَيُّ الدَّهْرِ ذُو لَمْ تَحْسُدُونِي  
 ١٠ وَكَلِمَةٍ حَاسِدٍ مِنْ غَيْرِ جُزْمٍ سَمِعْتُ فَقُلْتُ : مُرِّي فَأَقْذِيبْنِي  
 ١١ وَعَابُوهَا عَلَى فَلَمْ تَعَيِّنِي وَلَمْ يَسْرِقْ لَهَا يَوْمًا جَسِينِي  
 ١٢ وَذِي وَجْهَيْنِ يَلْقَانِي طَلِيقًا وَلَيْسَ إِذَا تَغَيَّبَ يَأْتِسِينِي  
 ١٣ نَظَرْتُ بَعِينَهُ فَكَفَفْتُ عَنْهُ عَافِظَةً عَلَى حَسَبِي وَدِينِي  
 ١٤ فَلَوْ مَنِينِي إِذَا لَمْ أَقْرِ ضَيْفِي وَأُكْرِمَ مُكْرِمِي وَأَهِنَ مُهِينِي

(٩) يَجُورُ : يَظْلِمُ وَيَتَسَفَّ . ذُر : أُمُّ مَوْصُولٍ بِمَعْنَى الَّذِي فِي لَفْظِهِ طَائِفَةٌ خَاصَّةٌ وَتُسَمَّى « ذُرٌّ » الطَّائِفَةُ .

(١٠) تَقْذِئُهُ : تَتِيهُهُ وَتُخْلَصُهُ .

(١٢) ذَوَا الْوَجْهَيْنِ : الْمُنَافِقُ الَّذِي يَبْدُو خِلَافَ مَا يَبْطِنُ . طَلِيقًا : طَلَقَ الْوَجْهَ وَطَلِيقُهُ إِذَا كَانَ مُشْرِقُهُ ضَاحِكُهُ . يَأْتَسِينِي : يَخْتَلِفُ فِي أَسْوَةِ يَتَنَدَّى بِ ( إِذَا غَبَثَ عَنْ ذِي الْوَجْهَيْنِ وَغَابَ عَنْهُ لَا يَقْعُرُ فِي انْتِقَامِي وَذِي ) .

(١٣) الْحَسَبُ : مَا ثَرَّ الْأَبَاءُ وَالْأَجْدَادُ . مِقْيَاسُ الْأَصَالَةِ بِحُكْمِ عِرَاقَةِ الْإِتِمَاءِ إِلَيْهِمْ . دِينِي : عَادَتِي وَخُلُقِي .

\* \* \*

عبد الله التطاوى



( ٢ )

## تأصيلُ الرؤية الحاتمية

\* \* \*

هذه القصيدة الرائية تدور في جملتها حول تأصيل صفة الكرم التي عدت من المعالم الأساسية الكبرى في العقد الاجتماعي للقبيلة ، وهي هنا تحتل موقعا هاما يختلف في طبيعته النوعية عن قصائد المدح التي تنتهى — في معظمها — إلى قدر من المبالغة في تضييخ صور المدوحين بما فيها من زيف أو افتعال .

ويظهر حاتم في هذه القصيدة متسقا على نفسه ، مقتنعا بما هو بصدده من تقرير أو تصوير ، متفقا مع القبيلة في طبيعة المسلك ، مختلفا مع لائمه الذين درجوا على مهاجمة إسرافه وإنفاقه في سبيل الكرم ، يقول مفلسا موقفه ومصورا أبعاد علاقاته الاجتماعية من خلال حسه القبلي والغبي معا ، ومن خلال تجربة حياته مع قومه وما تعلقة به نفسه من حس حضارى يتجاوز به خشونة الجاهلية ومسلك شباب العصر ، وقد قال مؤصلا مسلكه ومعتزا به قصيدته الرائية هذه .

\* \* \*

- |   |  |
|---|--|
| ١ أماوى قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْهَجْرُ | وَقَدْ عَذَّرْتَنِي فِي طِلَائِكُمُ الْعَذْرُ    |
| ٢ أماوى إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ      | وَبَقِيَ مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ |
| ٣ أماوى إِمَّا مَانِعٌ قَبَّيْنُ            | وَأِمَّا عَطَاءٌ لَا يُنْهِنُهُ الزَّحْرُ        |

(١) الطلاب : طلب صاحبته وسعيه باحثا عنها ، حرصا على الحصول عليها .

العذر : هنا الأعداء . « وهى المبررات التي يراها مانعا لاستمرار سعيه بحثا عن ماوية » .

- ٤ أماوى إني لا أقول لسائل  
 ٥ أماوى ما يغني الثراء عن الفسنى  
 ٦ إذا أنا دلاني الذين أحبهم  
 ٧ وراحوا عجالاً ينفضون أكفهم  
 ٨ أماوى إن يصبح صدأى بقفرة  
 ٩ ترى أن ما أهلك لم يك ضررى  
 ١٠ أماوى إني رب واحد أمه  
 ١١ وقد علم الأقوام لو أن حاتم  
 ١٢ وأنى لا ألو بمال صديعة  
 ١٣ يفك به العاني ويؤكل طيباً  
 ١٤ ولا أظلم ابن العم إن كان إخوى  
 ١٥ غنياً زماناً بالتصعلك والغنى
- إذا جاء يوماً : حل في مالنا نزر  
 إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر  
 للحدوة زلج جوانبها غبر  
 يقولون : قد دمي أنا ملنا الحفر  
 من الأرض لا ماء لدى ولا نحر :  
 وأن يدي مما بخلت به صفر  
 أحرث فلا قتل عليه ولا أسر  
 أراد ثراء المال كان له وفر  
 فأوله زاد وآخره ذخـر  
 وما إن نعيه الفداح ولا النحر  
 شهوداً، وقد أودى بإخوته الدهر  
 كما الدهر في أيامه العسر والميسر

(٥) حشرجت : يقصد حشرجة الروح عنه الموت .

(٦) الملحودة : القبر وهو الرمس أيضاً أو الصير . الزلج : المساء التي لا تثبت فيها القدم .  
 النرج أغبر والغبراء هي التي غيرها التراب .

(٧) دمي : أسال الدماء من أيديهم نتيجة كثرة الحفر .

(١٠) واحد أمه : وحيدها . الذي يفتقد العصبية القلبية ويصبح في حاجة إلى الحماية .

(١١) الوفر : المال الكثير الذي يشهد القبائل بوجوده لديه ولدى قومه منذ القدم .

(١٣) العاني : الأسير والمهد . صفر : خالية فارغة . تعريه : نغنيه . القداح : سهام الميسر .

(١٥) التصعلك هنا بمعنى الفقر .

- ١٦ لَيْسَنَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَيْتًا وَغِلْظَةً      وَكَلًّا سَقَانَاهُ بِكَاسِيهِمَا الدَّهْرُ  
 ١٧ فَا زَادَنَا بَقِيًّا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ      غِنَانَا وَلَا أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ  
 ١٨ فَقَدْ مَا عَصَيْتُ الْعَازِلَاتِ وَسُلْطَتِ      عَلَى مُصْطَفَى مَالِي أَنَا مِلَى الْعَشْرِ  
 ١٩ وَمَا ضَرَّ جَارًا يَا ابْنَةَ الْعَمِّ فَأَعَانِي      يُجَاوِرُنِي إِلَّا يَكُونُ لَهُ سِتْرُ  
 ٢٠ بَعِينِي عَنْ جَارَاتِ قَوْمِي غَفْلَةً      وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ حَدِيثِهِمْ وَقَرُّ

(١٧) البنى : الظلم أو العدوان . أزرى : أهان وأذل .

(١٨) العاذلات : من بليتة على كرمه ويعذله عليه ويؤاخذه على الإسراف فيه .

(٢٠) الوقر : ثقل السمع . والغفلة هنا غرض النظر عمدا عما يمكن أن يراه .

\* \* \*

عبد الله التطاوى

## عُرْوَةُ بِنِ الْوَرْدِ

\* \* \*

يُنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى قَبِيلَةِ عَبَسَ الذَّائِعَةِ الصَّيْتِ الَّتِي كَانَتْ تَنْزِلُ فِي الشِّمَالِ الْغَرْبِيِّ مِنْ نَجْدِ الْمَتَدِّ حَتَّى مَنَاطِقَ يَثْرِبَ . وَكَانَتْ قَبِيلَتُهُ تَنْشَاءُ بِأَبِيهِ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْقَعَ الْحَرْبَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ فَزَارَةِ فِي أَيَّامِ دَاخَسٍ وَالْغَبَرَاءِ . وَأَمَّا أُمُّهُ فَكَانَتْ مِنْ قَبِيلَةِ أَقْلٍ شَرْقًا مِنْ قَبِيلَةِ أَبِيهِ ، وَهِيَ قَبِيلَةُ نَهْدَ ، وَمِنْ هُنَا كَانَ عُرْوَةُ دَائِمَ السَّخْطِ عَلَى الصِّلَةِ الَّتِي رُبَطَتْ بَيْنَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ، وَكَانَ لَا يَفْتَأُ يَهْجُو أَخْوَالَ هِجَاءٍ مَرًّا . وَكَانَ أَبُوهُ يَسَى مَعَامِلَتِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَيُؤْثِرُ أَخَاهُ الْكَبِيرَ عَلَيْهِ . وَهَكَذَا نَشَأَ عُرْوَةُ فِي ظُرُوفٍ نَفْسِيَّةٍ مَعْقَدَةٍ اتَّجَهَتْ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى التَّمَرُّدِ عَلَى أَوْضَاعِ مَجْتَمَعِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِسَادِيَّةِ ، وَالْإِحْسَاسِ بِالظُّلْمِ الَّذِي تَعَانِي مِنْهُ الطَّبَقَةُ الْمُسْتَضْعَفَةُ فِي هَذَا الْمَجْتَمَعِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْعَبِيدِ ، وَانْتَهَتْ بِهِ إِلَى زُعَامَةِ جَمَاعَاتٍ مِنَ الصَّبَالِيكِ التَّفَتُّ حَوْلَهُ ، وَانْطَلَقَتْ مَعَهُ خَلْفَ الْأَغْنِيَاءِ ، وَخَاصَّةً الْبُخْلَاءِ مِنْهُمْ ، يَسْلُبُونَ وَيَنْهَبُونَ ، وَيُوزَعُونَ مَا يَغْنَمُونَهُ بَيْنَهُمْ بِالتَّسَاوَى ، وَيُشِيرُكَونَ مَعَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ الْفُقَرَاءُ الضَّعَافُ وَالْمَرْضَى الَّذِينَ عَجَزُوا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ ، فِي مُحَاوَلَةٍ ثَوْرِيَّةٍ عَنِيفَةٍ لَتَحْقِيقِ صُورَةٍ مِنَ الْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَلَوْنٍ مِنَ التَّوَازُنِ الْاِقْتِسَادِيِّ ، فِي مَجْتَمَعِهِمُ الَّذِي اخْتَلَّتْ فِي نَظَرِهِمْ مَقَايِيسُهُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ ، وَاضْطَرَبَتْ مُوَازِينُهُ الْاِقْتِسَادِيَّةُ . وَقَدْ عَرَفَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ فِي عُرْوَةِ هَذِهِ التَّرْعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ مِنْ أَجْلِهِمْ ، وَاعْتَرَفُوا بِزُعَامَتِهِ لِحُصْنِهِمْ ، وَلَقَّبُوهُ « أَبَا الصَّبَالِيكِ » ، وَمَضَى هُوَ — مِنْ نَاحِيَّتِهِ — يَحَاوِلُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ حَسَنِ ظَنِّهِمْ بِهَذِهِ « الْأَبُوَّةُ » ، فَلَمْ يَكُنْ يُؤْثِرُ

نفسه بشيء عليهم ، وإنما عاش صعلوكا فقيرا مثلهم ، وكان يحلو له دائما أن يسميهم « عياله » .

وأساس فلسفة عمرو الثورية أن الغزو والإغارة للسلب والنهب السبيل الوحيد لتحقيق أهدافه التي تتلخص في استرداد ما آمن بأنه حق له ولصعاليكه من أموال الأغنياء ، وبخاصة البخلاء ، لإعادة توزيعه بالعدل والتساوى على الفقراء ، حتى يتساوى الجميع في ميزان العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي . ولكنه لا يريد من وراء ذلك أن يتساووا في الفقر ، وإنما يريد أن يتساووا في قدر معقول من الحياة المادية التي تضمن لهم قدرا مشتركا من الحقوق والواجبات .

\* \* \*

وشعر عمرو يمتاز بسهولة اللفظ ووضوح المعنى ، إذا قسناه بشعراء عصره ، فهو يخلو من تلك الألفاظ الغريبة الوعرة التي تنتشر في شعرهم ، كما يخلو من ذلك التركيز في عرض المعنى الذي كان سمة من سمات الشعر الجاهلي ، والذي كان يفتح الباب أمام كثير من الاحتمالات والتأويلات . وهي ظواهر تبدو طبيعية في شعر عمرو ، لأنها — في حقيقة أمرها — انعكاس لإحساسه بأنه يقوم في حركة الصعلكة بدور الداعية المذهبي أو الزعيم الشعبي الذي يحرص على استمالة الجماهير إليه وإقناعهم بدعوته . ومن هنا تميز أسلوبه بهذه « الشعبية » التي تظهر في أكثر قصائده .

ويدور شعر عمرو حول الدعوة إلى مذهبه ، والحديث عن آرائه الاجتماعية والاقتصادية ، وأهداف حركته التي يعمل لها ، ووصف مغامراته هو وصعاليكه من أجل تحقيقها . وتحمل مشكلة الفقر والغنى حيزا ملحوظا في شعره ، وهي

ظاهرة طبيعية لأن هذه المشكلة الاقتصادية كانت هي المحور الأساسى الذى دارت حوله فلسفته فى حركة الصعاليك الجاهليين . ومن الطبيعى أيضا أن يخلو شعره من تلك الموضوعات التقليدية التى دار فيها الشعر الجاهلى ، وشُغل بها الشعراء الجاهليون سواء منهم شعراء القبائل أو الشعراء الذاتيون ، حتى المقدمات التقليدية فقد تخلص منها ، واستبدل بها مقدمات فروسية تدور حول « حواء الخالدة » التى كانت محور كل المقدمات فى الشعر العربى ، ولكنها ليست حواء المحبوبة التى نعرفها عند الشعراء ، وإنما هى حواء المحبة الحريصة على فارسها التى تدعوه دائما إلى المحافظة على حياته ، إن لم يكن من أجل نفسه فمن أجلها هى ، والتى يقف أمامها دائما مغامرا بحياته مستهينا بها من أجل توفير قَدر من الحياة الكريمة لما ولأمتالها من أولئك المستضعفين فى الأرض الذين نرجع هو ورفاقه من أجلهم .

\* \* \*

ماش عروة حياته كلها يعمل لتحقيق أهدافه وإرساء مبادئه وتأصيل فلسفته الصعلكية فى نفوس أصحابه ، ولم يكف عن الحركة المتصلة حتى آخر يوم من حياته ، حيث لقي مصرعه فى بعض غاراته على يد رجل من طُهَّية . ويذكر بعض الباحثين المحدثين ( اسكندر أبكار يوس فى روضة الأدب فى طبقات شعراء العرب ) أنه عُمِّرَ حتى بلغ ثمانين سنة ، وليس فى الروايات القديمة ما يؤيد ذلك . وليس من اليسير تحديد تاريخ وفاته ولا مولده ، شأنه فى ذلك شأن سائر الشعراء الجاهليين ، ولكن يظن الزركلى فى « الأعلام » أن وفاته كانت سنة ٥٩٤ للميلاد قبل ظهور الإسلام بسنوات قليلة ، وهو تحديد لا يقوم عليه دليل .

\* \* \*

يوسف خليف

## صُعْلُوكٌ . . وَصُعْلُوكٌ

\* \* \*

عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عوذ بن غالب بن قتيبة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، شاعر جاهلي، وقاص من فرسان العرب، وصعلوك من صعليكها المستدين الأجواد . كان يدعى « عروة الصعاليك » لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مغزى . ولم تكن العلاقة بين عروة وأخواله من بني نهد من قضاة جيدة ، ولذلك فقد هجأهم هجاء مرا وكان دائم السخط على تلك الصيلة التي ربطت بين أبيه العيسى وأمه النهديّة .

والقصيدة المختارة يوجه فيها عروة الخطاب إلى امرأته سلبى ، وكانت تلومه على الخطار بنفسه ، وإدماثة الغزوات والغارات في أحياء العرب، فرد عليها قولها بأنه إنما ينبغي بذلك المجد وجمع المال لها ليكفيها بعد موته . ثم يرسم سياسة للصعاليك ، فهو لا يرضيه الصعلوك الخامل الذي لا يسعى لاكتناس المال ، وإنما يريد أن يكون غازيا جريئا يخشاه الناس في المحضر والمغيب لا يأمنون غزوه . ثم يمتجح لسياسته التي جرى عليها بأنه يريد أن يكنى قبيلتي « مَتم » و « زَيد » ويستجدهما ، ويعلن أنه سيواصل الغارات متزعمًا لأصحابه لكي يُشبع رغبة الجود والبذل الذي أخذ نفسه به .

\* \* \*

- ١ أَقْلَى عَلَى اللّوْمِ يَا ابْنَةَ مُنْذِرٍ وَنَامَى ، فَإِنْ لَمْ تَشْتَهَى النّوْمَ فَاسْمِرِي
- ٢ ذَرِينِي وَتَغِيْسِي أُمَّ حَسَّانَ إِنِّي بِهَا قَبْلَ أَنْ لَا أَمْلِكَ الْبَيْعَ مَشْتَرِي
- ٣ أَحَادِيثَ تَبَقَى وَالْفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً تَحْتَ صَيَّرٍ
- ٤ تُجَاوِبُ أَحْجَارَ الْكِنَاسِ وَتَشْتَكِي إِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ تَرَاهُ وَمُنْكَرٍ
- ٥ ذَرِينِي أَطُوفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أَخْلِيكَ أَوْ أُغْنِيكَ عَنْ سُوءٍ مُحَضَّرٍ
- ٦ فَإِنْ فَازَ مَسْهُمٌ لِلْبَيْتَةِ لَمْ أَكُنْ جَزُوعًا ، وَهَلْ عَنْ ذَاكَ مِنْ مَتَاخَرٍ ؟
- ٧ وَإِنْ فَازَ سَهْمِي كَفَّكُمْ عَنْ مَقَاهِدٍ لَكُمْ خَلْفَ أَدْبَارِ الْبُيُوتِ وَمَنْظَرٍ
- ٨ تَقُولُ : لَكَ الْوَيْلَاتُ هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ ضُبُوءًا بِرَجُلٍ تَارَةً وَبِمَنْسِيرٍ ؟

- (١) ابنة منذر : امرأته ، وهي سلمي التي سبها من كنانة وأعتقها وأولدها أولاده .
- (٢) أم حسان : كنية امرأته سلمي . يقول : ذريني أشتري وأبقي بمالي مجدا وذكرا في حياتي ، ذريني أبادرها قبل أن يحول الموت يليني ويثنيها فلا أملك شراء .
- (٣) الهامة : كانت العرب تعتقد أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتصبح هند قيرة وتقول : اسقوني اسقوني ، فإذا أدرك بثأره طارت . الصير : القبر .
- (٤) الكناس : موضع . يريد أن الهامة إذا صوّت أجابها أحجار الكناس بالصدى ، فهي تصوت في كل حال إذا رأت من تعرف أو من تنكر .
- (٥) النخلة : الطلاق . كنى بها عن مقاله . أغنيك أي أصيب حاجتي من الغنيزو فأغنيك من أن تحضري محضرا سيئا وهي المسألة .
- (٦، ٧) يجعل من سهام الميسر مثاله في مقارعة الموت . وفوز السهم : خروجه أولا . أدبار البيوت : ظهور البيوت بعيدا عن صدورهما حيث يجلس السادة .
- (٨) الضبوء : الضبوق بالأرض والاستتار ليختل الصيد . الرجل : (يفتح الراي وسكون الجيم) : الرجالة الذين يغيرون على أرجلهم . المنسر : الجماعة من الخيل بين الثلاثين إلى الأربعين ، وإنما سمي مقسرا لأنه مثل منسر الطائر يختلس اختلاسا ثم يرجع . تقول له : هل أنت تارك أن تغزو مرة بقوم على أرجلهم ومرة بفرسان على خيولهم ؟



- ٩ ومُسْتَنْبِتٌ فِي مَالِكَ الْعَامِ إِنِّي أَرَاكَ عَلَى أَقْتَادِ صِرْمَاءَ مُذَكِّرٍ  
 ١٠ بِخُفُوعِ بِهَا لِلصَّالِحِينَ مَرَلَةً نَحْوُفِ رَدَاها أَنْ تَصْبِيكَ فَاحْذِرِ  
 ١١ أَبِي الْخَفَضِ مَنْ يَشَاكَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ وَمَنْ كُلُّ سَوْدَاءِ الْمَاعِمِ تَعْتَرِي  
 ١٢ وَمُسْتَنْهِي زَيْدٌ أَبُوهُ فَلَا أَرَى لَهُ مَدَقَعًا ، فَاقْنِي حَيَاءُكَ وَاصْبِرِي

\* \* \*

- ١٣ لِحَى اللَّهِ صَعْلُوكَا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مَضَى فِي الْمَشَاشِ آلَفًا كُلَّ مَحْزُورٍ  
 ١٤ يُعَدُّ الْغِنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَآهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيسَّرٍ

(٩) الأقتاد : جمع قند وهي أخشاب الرجل . الصرماء : القليلة اللبن . المذكر : التي تلد الذكور من الإبل وهي مما يكره العرب . تقول : هل أنت مستنبت هذا العام في مالك ، فإنني أخاف عليك إذا خرجت إلى هذا الفزوان لا ترجع . ويجعل من هذه الناقة مثلاً للداحية والشر .  
 (١٠) بلحج : تنفجج الناس وهي من صفة هذه الناقة التي يشام بها . للصالحون : الرجال الذين يطلبون معالي الأمور أو ذور المعروف . مرلة : تزل بأهلها .  
 (١١) الخفض : الدعة ولين العيش . سوداء الماعم : من جهدت من الجذب والهزال أو من شدة الجوع والبرد وحضور النيران للاصطلاء . يقول : أبي الذي تريد من الخفض والدعة ، ودفعني إلى طلب الغنم في الغارات من يطرقك من ذى قرابة ومن يأتي إليك من الفقراء .  
 (١٢) المستنبي : طالب المن . بكسر الهاء وهو العطاء . زيدة أبوه : يعني رجلاً من قومه يحبه وإياه زيد وهو جده هرو . يقول : إن مما يحمله على الدارة خوفاً أن يطرقه قريبه فلا يجد عنده ما كان عوده من صلة ، ولا يستطيع رده لقرايته . فاقني حياءك : احفظيه وأمسكه عليك .  
 (١٣) لحاء الله : نبعه ولونه . المشاش : رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها . المحزور : موضع الجزر والتج .  
 (١٤) الميسر (بكسر السين) : الذي سهل ولادة إبله وغنمه ولم يعطب منها شيء . يريد أن هذا الصعلوك إذا ملا بطنه يمد نفسه غنياً ولم يبال بمد ذلك بالفزور والفارة .

- ١٥ قليل التماس المال إلا لنفسه  
 ١٦ ينام عشاء ثم يصبح قاعدا  
 ١٧ يمين نساء الحى ما يستعنه  
 ١٨ ولله صعلوك صفيحة وجهه  
 ١٩ مطلا على أعدائه يزجرونه  
 ٢٠ وإن بعدوا لا يأمنون اقترابه  
 ٢١ فذلك إن يلقى المنية يلقها  
 إذا هو أضحى كالعريش المجور  
 يحث الحصى عن جنبه المتفر  
 فيضحى طليحا كالبعير المحسر  
 كضوء شهاب القابس المتور  
 بساحتهم زجر المنيع المشهر  
 تشوف أهل الغائب المنتظر  
 حميدا، وإن يستغن يوما فاجدر

\* \* \*

- ٢٢ أيهلك معتم وزيد ولم أقم  
 ٢٣ سيقزع بعد اليأس من لا يخافنا  
 على قلب يوما ولى نفس مخيطر ؟  
 كواسع في أخرى السوام المنقر

(١٥) العريش : خيمة من خشب أوجريد . المجور : الساقط . يقول : إذا شيع هذا الصعلوك الخامل الذليل وملا بطنه ألقى نفسه كأنه عرش قد انهار .

(١٦) يقصد أنه ليس صاحب غارة أو غزو ، ولكنه خامل كسول متخاذل .

(١٧) الطليح والخمس : الذى أعبى وكل وتعب .

(١٨) صفيحة الوجه : بشرة جلده . القابس : الذى يقبس النار أى يأخذها . المتور : المضيء .

(١٩) مطلا على أعدائه : مشرقا عليهم ، يفزروهم أبدا فهو دائما متربص بهم . يزجرونه : يصيحون به كما يزجر القدح إذا ضرب . المنيع : قدح مستعار مريع الخروج والقوز ، يستعار فيضرب ثم يرد إلى صاحبه . المشهر : المشهور .

(٢٠) يقصد أن أعداءه لا يأمنون من غزوه ، فهم ينتظرونه فى كل ساعة كما ينتظر أهل الغائب غائبهم .

(٢٢) معتم وزيد ، بطنان من عبس . التذب (بفتحين) : الخطر . يقول : أيهلك فى حياتى هؤلاء ولم أقم نادبا لنفسي فأخاطر حتى أغنيهم ولى نفس أخاطر بها دونهم .

(٢٣) كواسع : خيل تطرد لابل تكسها فى آناوها . السوام : الإبل السائمة . آخرها : آخرها . المنقر : المذخور .

- ٢٤ نَطَاعِنُ عَنْهَا أَوَّلُ الْقُبُومِ بِالْقَنَّا      وَبَيْضُ خِقَافٍ وَقَمْعُهُنَّ مُشْمَرٌ  
 ٢٥ وَيَوْمَا عَلَى غَارَاتٍ نَجِيدٍ وَأَهْلِهِ      وَيَوْمَا بِأَرْضِ ذَاتِ شَتٍّ وَعَصْرٍ صَبْرٍ  
 ٢٦ يَنَاقِلُنَ بِالشُّمِيطِ الْكَرَامَ أَوَّلَى النَّهْيِ      تَقَابَ الْجَازِ فِي السَّرِيحِ الْمُسِيرِ  
 ٢٧ يُرْجُحُ عَلَى اللَّيْلِ أَضْيَافَ مَاجِدٍ      وَكَرِيمٍ ، وَمَالِي سَارِحًا مَالُ مُقْتَرٍ

\* \* \*

(٢٤) البيض : السيوف . « مشمر » بالرفع خبر « وقمعهن » وفيه إقواء ، وفي رواية أخرى « ذات لون مشمر » وعليها فليس فيه إقواء .

(٢٥) الشت والعصر : نومان من أشجار الجبال .

(٢٦) المناقلة : حسن نقل القوائم في سرعة السير . الشمط : جمع أشمط وهو الذي خالط سرادشعره بياض ، أراد بهم الفرسان ذوي السن والتجربة . النقاب : جمع نقب وهو الطريق الضيق في الجبل . السريح : السيور تشد بها النعال . المسير : الذي جعل سيورا . عنى بالسريح المسير نعال الخيل .

(٢٧) يرجح : يرد . ماجد يقصد نفسه . مالى : إبل . المقتر : الفقير المقل .

\* \* \*

سيد حنفي

## حوار حول البخل والكرم

\* \* \*

في هذه القصيدة القصيرة يرسم عروة صورة لكرمه الذي عُرف به حتى قُورن بحاتم الطائي المثل الأعلى للكرم عند العرب ، فقد قال عنه الخليفة الأموي عبدالملك ابن مروان : « مَنْ زعم أن حاتمًا أجمعُ الناس فقد ظلم عروة بن الورد » . وكأسلوبه في أكثر قصائده بدير حوارا بينه وبين زوجته ، فهي تنكر عليه كرمه ، وهو يدافع عنه ، ويبين مذهبه فيه ، ويعلن أنه لا يرضى لنفسه أن يبيت شعبان وجارهُ جائع ، ولكنه — انطلاقاً من زعامته لحركة الصعاليك ، وإحساسه بأنه داعيتهم المذهبي — لا يرضى « لأبنائه » الصعاليك أن يعيشوا حياتهم حالة على الأغنياء ، ينتظرون فضلة عطائهم وإحسانهم عليهم ، وإنما يريد لهم أن يخرجوا مطالبين بحقوقهم على مجتمعهم ، ويعلمنا صيحة عالية مدوية توقظهم من نومهم الذليل خلف أديار البيوت في انتظار ما يجودون عليهم به : أيها الصعاليك ، إما أن تتألوا حقكم وإما أن تموتوا في سبيله ، وحسبكم — على الحالين — إحساسكم بالحرية والكرامة .

\* \* \*

- ١ أفي نابٍ منحنها فقيراً له يطنأبنا طُنْبٌ مُصِيتٌ
- ٢ وَفَضْلَةٍ سَمْنَةٍ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ وَأَكْثَرَ حَقِّهِ مَا لَا يَقْوَتْ
- ٣ تَبَيَّتْ عَلَى الْمَرَافِقِ أُمٌّ وَهَبٍ - وَقَدْ نَامَ الْعَيُونُ - لَهَا كَتَيْتٌ ؟
- ٤ فَإِنَّ حَمِيَّتَنَا أَبَدًا حَرَامٌ وَلَيْسَ بِالْجَارِ مِثْلَنَا حَمِيَّتٌ
- ٥ وَرُبَّتْ شُبْعَةٌ آثَرَتْ فِيهَا بَدَأَ جَاءَتْ تَعْبِيرُهَا هَتَيْتٌ
- ٦ يَقُولُ : الْحَقُّ مَطْلَبُهُ جَمِيلٌ وَقَدْ طَلَبُوا إِلَيْكَ فَلَمْ يُقَيِّتُوا

(١) الناب : الناقة الكبيرة السن . والطناب : جمع طناب وهو الحبل تشد به الخيمة . والمصيت : الذي يسمع صوته . والشطر الثاني رمز لصلة الجوار التي تجمع بينه وبين الفقير ، والتي تفرض عليه حقوقاً لا يملك أن ينكرها . ووصف طناب هذا الجار بأنه مصيت تصوير لنداء جاره الفقير له ، ورفع صوته ليشره بوجوده إلى جواره ، وبأن له عليه حقاً ، وكان لإعلان عن نفسه وعن حقه عليه . يقول إنه أعطاه ناقة مسنة ، ولعلها كل ما كان يملكه .

(٢) يقوت : يكفي لمجرد قوته الذي يحفظ عليه حياته ، يريد أن حق جاره عليه أكثر من أن يكون لمجرد القوت ، وأن مانعه له أقل مما يجب له عليه . لقد أعطاه بقبضة سمن كانت عنده ، وآثره على نفسه بها وهو في حاجة إليها .

(٣) الكتيت : صوت يجيش في الصدر من شدة الغيظ كصوت ظيان القدر . وأم وهب : زوجته . يتبادل : أفي هذا العطاء اليسير ما يجعل زوجته تبني ليلها ساهرة وقد أسندت رأسها إلى مرفقها وهي تميز من الغيظ ؟

(٤) الحبيت : طعام كان العرب يعدونه من سقاء ورب وسمين ، والرب ما يتبقى من الثرة بعد عصرها . يقول إن طعامي حرام على لا أقرب مادام جاري جائعاً لا طعام عنده .

(٥) الشبعة : ما يشعر المرء بالشبع من أقل قدر من الطعام . وتعبير : من عار الشيء يعوره ويعيره إذا أخذه وذهب به . والعتيت : الإكثار من الكلام . يقول إنه يؤثر على نفسه بما عنده من طعام مهما يكن قليلاً كل من يتردد عليه في طلبه ليأخذه ويذهب به ليسد به رمقه .

(٦) لم يقيتوا : لم ينالوا قوتهم ، من أفاته إذا أعطاه قوته . يصور هنا إيمانه بحق هؤلاء الفقراء الجماع الذين يقصدونه للسؤال ، ولكنه يعلن أنه فقير مثلهم لا يملك ما يرد غائلة الجوع عنهم .

- ٧ فقلتُ له : أَلَا اخِ وَأَنْتَ حُرٌّ      سَتَشِيعُ فِي حَيَاتِكَ أَوْ تَمُوتُ  
٨ إِذَا مَا فَاتَنِي لَمْ أَسْتَقِلَّهُ      حَيَاتِي ، وَالْمَلَأَمُ لَا تَقُوتُ  
٩ وَقَدْ عَلِمْتُ سُلَيْمَى أَنَّ رَأْيِي      وَرَأَى الْبِخْلَ مُخْتَلَفٌ شَتِيتُ  
١٠ وَأَنِّي لَا يُرِينِي الْبِخْلَ رَأْيِي      سَوَاءٌ إِنْ عَظِشْتُ وَإِنْ رَوَيْتُ  
١١ وَأَنِّي حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي      حُؤَالِي اللَّبَّ ذُو رَأْيٍ زَمَيْتُ  
١٢ وَأُكْفَى مَا عَلِمْتُ بِفَضْلِ عِلْمٍ      وَأَسْأَلُ ذَا الْيَبَانِ إِذَا عَمِيتُ

(٧) ينكر على هؤلاء الفقراء الذين يعتمدون على السؤال والإلحاح عليه أن يسلكوا هذا السبيل الدليل ، ويهيب بهم أن يعيشوا أحراراً كرماء على نفوسهم ، وأن ينزهوا حقهم من الأغنياء بالقوة ، فلما أن يشعروا ولما أن يموتوا في سبيل حريتهم وكرامتهم .

(٨) إذا فاتني : أي الحق . ولم أستقله : أي لم أقدر على رده . والملأَم : جمع ملامه . يقول إذا فاتني الوفاء بحق الفقراء على ، ندمت طول حياتي على ضياع هذه الفرصة من بين يدي ، وإن أنجز في هذه الحالة من لوم من يلومني على ذلك ، وكأنه يشر إلى حرصه على ألا يفعل شيئاً يلام عليه ، فكل حرصه على أن يكسب ذكراً حسناً يتردد على ألسنة الناس .

(٩) سليمان هو أم وهب التي ذكرها في بداية قصيدته ، وهي زوجته . ينسب إليها اعتراضها على كرمه ، وهي تعرف موقفه من قضية الكرم والبخل ، فرأيه ورأى البخل مختلفان اختلافاً بعيداً ، وبينه وبين البخل علاقة مققودة .

(١٠) روى : ضد عطش . والهطش والرى هنا زمران الفقير والغنى . والبيت استقرار في بيان موقفه من القضية التي شغلت زوجته ، فهو كريم على الحالين : كريم في غناه وكريم في فقره . (١١) العوالي : الرماح ، واشتجارها اختلاطها في أثناء القتال . والحوالي ( بفتح الحاء ) وضعا وتشديد الياء : التشديد الاختيال ، وتخفيف التشديد هنا من أجل الوزن . والزميت : الوقور . يفنخر بشجاعته ، وسعة حيله ، وسداد رأيه ، وبعده عن الرزق والطيش .

(١٢) يصف نفسه بأن خبير بالحياة ، وأنه يعرف من شؤونها ما يهديه إليه عقله ، وما يرشده إليه قلبه ، ولكنه — مع ذلك — لا يتردد في أن يستشير من عنده علم ما لا يدركه إذا اشتبهت عليه الأمور ، وعيبت عليه المشكلات ، وتاهت منه سبل الهداية . إنه يصرف الحياة ، ولكن علم الحياة لا ينتهي . إن الحياة خبرة شخصية ، ولكنها أيضاً استفادة من خبرة الآخرين .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٣ )

## دَعْوَةٌ نَظَرِيَّةٌ وَتَطْبِيقٌ عَمَلِيٌّ

\* \* \*

في هذه الأبيات يجدد عروة بعض أهداف حركته ، ويعلمها صبيحة مدوية صريحة يوجهها إلى رفاقه الصعاليك : إن عدوكم الأول إنما هم أولئك الأغنياء البخلاء الذين مدّت الحياة لهم أسباب الثراء ، ولكنهم بخلوا بها ، وتكرّوا لحقوق مجتمعهم عليهم ، وحرّموا حقكم المشروع في أن تنالوا مثلهم نصيبكم في الحياة ، فشدوا عزائمكم ، وشمروا عن سواعدكم ، واتخذوا من القوة سبيلاً لا تراخ حقكم منهم ، فالحق للقوة ، والضعيف ضائع حقّه في هذا المجتمع ، فاتهزوا أيام شبابكم ، ولا تنتظروا حتى تحل بكم أيام الشيخوخة والضعف ، واجمعوا فرسانكم وربّاجتكم ، وأحكموا خططكم ، تحقّقوا أهدافكم أو تموتوا في سبيلها ، فالموت خير من حياة الذل والفقر والجوع والهزال .

\* \* \*

- ١ . أليس ورائي أن أدب على العصا      فيشمت أعدائي ويسأمني أهلي
- ٢ . رهينة قعر البيت كلّ عشية      يطيف بي الولدان أهدج كالرأل

(١) أليس ورائي : أي وراء فعودي حتى الشيخوخة ، ويجوز أن تكون « ورائي » بمعنى « أمامي » على التضاد ، أي أمامي إن امتدت الحياة وسلمت من الموت . والهدج على العصا رمز للشيخوخة المتقدمة . وفي رواية أخرى « فيأمن أعدائي » .

(٢) أهدج : من الهدج والهدجان وهو اضطراب الخطى من الكبر ، هدج يهدج . والرأل : ولد النعام . وفي رواية أخرى « يلاعبني الولدان » . يصف في البيتين مأسوف تنول إليه حاله حين تقدم به السن ويعجز عن الغزو والغارة ، وكأنه يحس نفسه — وأيضاً رفاقه — على استغلال أيام الشباب في العمل والكفاح .

- ٣ أقيموا بني ثُبَيٍّ صدورَ ركابكم فكلُّ منايا النفس خيرٌ من الهزلِ  
 ٤ فلأنكم لن تبْلُغُوا كُلَّ هَمَّتِي ولا أَرَى حتى تَرَوْا مَنِيَّتَ النَّخْلِ  
 ٥ فلو كُنْتُ مَثْلُوحُ الْفُؤَادِ إِذَا بَدَتْ بلادُ الْأَعَادَى لا أُمِرُّ ولا أُحِلُّ  
 ٦ رَجَعْتُ عَلَى حَرْسَيْنِ إِذْ قَالَ مَا لِكَ هَلَكْتُ، وهل يُلْحَى على بُغْيَةٍ مِثْلِي ؟  
 ٧ لعلَّ انْطِلَاقِي فِي الْبِلَادِ وَرِحْلَتِي وَشَدَى حِيَاظِي بِمِطِيطَةِ الرَّحْلِ  
 ٨ سِيدَفْعِي يَوْمًا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبُخْلِ

(٣) بنو ثُبَيٍّ : حتى من الفقراء ، أو لهم ومن لعياله الفقراء ، كما كان يسميهم . والهزل : الهزال . وإقامة صدور الركاب كناية عن الاستعداد للخروج للغزو والغارة . وفي رواية أخرى « صدور مطيكم فإن منايا القوم » ؛ وفي رواية غيرها « فكلُّ منايا القوم » . يقول لرفاته الصامليك : استعدوا للكفاح فالوئث خير من حياة الفقر والجوع والهزال .

(٤) منبت النخل هي منطقة يثرب وما يجاورها من شمالي الجزيرة العربية ، وهي المنطقة التي تركّز فيها نشاط عمرو وصماليك . وفي رواية أخرى « منبت الأثل » وهي جبال الحجاز ، والأثل شجر ضخّم ينبت في الجبال .

(٥) مَثْلُوحُ الْفُؤَادِ : ليس في قلبه حرارة ولا حماسة ، كناية عن ضعف الهمة وذهن المزمنة . ولا أُمِرُّ ولا أُحِلُّ : أي لا أضرب ولا أنفع ، لا شر عندي ولا خير .

(٦) الحرسان : جبلان . ومالك هو مالك بن حمار الغزاري وكان قد حذره عواقب مقامراته : وطلب إليه أن يرجع عنها ليقم معه في دياره عند هذين الجبلين . ويأبى : يلام . ومعنى البيتين أنه لو كان ضعيف الهمة ، بارد القلب ، لا يضر ولا ينفع ، سلباً في حياته ، لرجع عن انطلاقاته نحو بلاد أعدائه ، ولا استجاب إلى نصيح مالك له وعاد معه إلى بلاده ، ولكنه رجل مؤمن برسالة ، مصمم على أهدافه ، فهل يلام على ذلك ؟

(٧) الحيازيم : جوانب الصدر، جمع حيزوم . وفي رواية أخرى « ارتيادي » . وبقيت ، وفي رواية غيرها « وحيتي » أي احتيالي .

(٨) المهجمة : القطيع من الإبل فوق الأربعين إلى غير عدد محدد ، أو ما بين السبعين إلى المائة . ومعنى البيتين أنه ينبغي أن تدفعه مقامراته في أرجاء الصحراء إلى بعض الأغنياء البخلاء الذين تنكروا لحقوق مجتمعتهم عليهم ، وعقروا إخوانهم في الإنسانية من الفقراء المحرومين .



- ٩ قِيلَ تَوَالِيهَا وَطَالِبُ وِثَرِهَا إِذَا صَحْتُ فِيهَا بِالْفَوَارِسِ وَالرُّجُلِ  
 ١٠ إِذَا مَا هَبَطْنَا مِنْهَا فِي خُوفَةٍ بَعَثْنَا رَبِيئًا فِي الْمَرَابِئِ كَالْجَذْلِ  
 ١١ يُقَلِّبُ فِي الْأَرْضِ الْقَضَاءِ بِطَرَفِهِ وَهِنَّ مُنَاخَاتٌ وَمِرْجَلُنَا يَغْلِي

\* \* \*

(٩) قليل تواليها : أى أن من يقيمها ليخلصها من أيدي الصماليك قليل عددهم لا يخشى أمرهم .  
 والوتر : الثأر . والرجل : الرحالة الذين يزورون على أرجلهم ، عكس الفرسان الذين يزورون على الخيل .  
 (١٠) التل : مورد الماء . والخوفة : الأرض التي يخافها من ينزلها . والربي : الحارس  
 يراقب لهم الطريق . والمرابي : أما كن المراقبة ، وهى المراقب التي يرد ذكرها في شعر الصماليك  
 جمع مربأ ومربأة . والجذل : جذع الشجرة . يصور نفسه قائدا حذرا يمد لكل أمر عدته ،  
 ويحسب لكل خطوة حسابها ، فإذا ما انتهت الغارة ، وأخذ رفاقه الصماليك طريق العودة بغنائمهم ،  
 ونزلوا عند بعض المياه لينحروا مما نهبوه ، رينا لولا حفظهم من الطعام والراحة ، بعث ربيئاً منهم فوق  
 مرقبة عالية ؛ يراقب لهم الطريق حتى لا يفجأهم هدورهم غافلون ، فيقف فوقها ثابتا منتصبا  
 لا يبرح مكانه كأنه شجرة أصلها ثابت في الأرض .

(١١) الغمير : « هن » يورد على الإبل التي تنهبها الصماليك ، والمفهومة من سياق الآيات .  
 يصف نهاية الغزوة وقد نزل الصماليك بغنائمهم ، والربي يرى بيصره في كل اتجاه على امتداد الفضاء  
 من حوله ، والإبل التي نهبوها مناخات إلى جوارهم ، ومرجل الطامام ينقل بالحجم الذي فتحوه وفرضوا  
 لإعدادهم فوق الثا ولطعامهم .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٤ )

## صَوْرٌ إِنْسَانِيَّةٌ مِنْ فَلَاسَفَتِهِ

\* \* \*

### الْغَنَى وَالْفَقِيرُ

\* \* \*

يسجل عروة في هذه الأبيات القليلة خلاصة رأيه في قضية الفقر والغنى ،  
وهى القضية التى كانت المحور الأساسى الذى دارت حوله فلسفته الاقتصادية .  
وهو فيها لا يطيل ولا يفصل ، وإنما يحدد رؤوس المسائل الكبرى التى تقوم  
عليها هذه القضية . ومع أن القضية قضية فكرية فى المقام الأول ، فإنه لا يُنفل  
الجانب العاطفى فيها الذى نراه فى تلك اللغات المؤثرة التى تخاطب الوجدان ،  
وتحاول استثارة مشاعر الجماهير بهذا النغم البسيط الفطرى الذى تمتزج فيه  
السخرية بالحسرة ، والتهكم بالألم ، والذى يصدر عن القلب ليتجه مباشرة وفى  
غير التواء إلى القلب . فالفقير شر الناس ، وأحقهم عندهم ، وأهونهم عليهم  
مهما يكن له من فضل ، يخافه أهله ، وتزدريه زوجته ، حتى الصغير يستطيع  
أن يذله . أما الغنى فهما يفعل يقبل منه ، ومهما يخطئ يغفر له ، فالغنى رب  
يغفر الذنوب جميعا ، وكأنه يقول للناس : هذا هو مجتمعكم العجيب ، يحتقر  
الفقير لا لشيء إلا لأنه فقير ، ويقدر الغنى لا لشيء إلا لأنه غنى ، ولا يهتم  
إلا بالمظاهر المادية ، أما جواهر النفس الكامنة خلف هذه المظاهر فأمر  
وراء اهتمامه ، فإذا أتم فاعلون ؟ . ولعل هذه البساطة الفطرية التى نلهمها

في عرض الشاعر لأفكاره ذلك العرض السهل الذي لا يشير جدلا ولا يقبل معارضة ، والذي ينفذ إلى النفس من أقرب السبل ، والذي يصح أن نطلق عليه « عرضا شعبيا » ، هو الذي جعل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يطلب إلى معلم أولاده ألا يرويه هذه القصيدة ، ويقول له : « إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم » .

\* \* \*

- ١ ذَرَيْنِي لِلْغَنَى أَسْعَى ، فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرَّهُمُ الْفَقِيرُ
- ٢ وَأَدْنَاهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنِّي أَسْعَى لَهُ حَسْبٌ وَخَيْرُ
- ٣ يُبَاعِدُهُ الْقَرِيبُ ، وَتَزْدَرِيهِ حَلِيتُهُ ، وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
- ٤ وَيُلْقِي ذُو الْغَنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فِئَادُ لَا قِيَّةَ يَطِيرُ
- ٥ قَلِيلٌ ذَنْبُهُ ، وَالذَّنْبُ جَسَمٌ ، وَلَكِنْ لِلْغَنَى رَبٌّ غَفُورٌ

\* \* \*

- (١) في رواية أخرى « دعيني » بدلا من « ذريني » .
- (٢) في رواية « وأحقهم » بدلا من « وأدناهم » . وفي رواية أخرى « وأبدهم » . وفي الشطر الثاني في رواية أخرى « كرم » بدلا من « حسب » . والخير بالكسر : الكرم .
- (٣) في رواية أخرى « ويقهره » بدلا من « وينهره » .
- (٤) في رواية أخرى « ويلقي » بالقاء والبناء للجهول . وفي رواية غيرها « وتلقي ذا النني » بالقاء والبناء للعلوم . وفي رواية « فؤاد صاحبه » .

\* \* \*

يوسف خليف

## القَطَط السَّمَان

\* \* \*

ترسم هذه المقطوعة القصيرة صورة للنزعة الإنسانية التي كانت تملأ على عروة أرجاء نفسه ، أو — اذا استعربنا المصطلح الحديث — صورة لنزعة اشتراكية مبكرة خالصة من تعقيدات المذهب وعقلانية الفلسفة ، فهو يوازن فيها بين نفسه وبين رجل من الأغنياء البخلاء ، أو — كما يقال الآن — بينه وبين واحد من « القَطَط السَّمَان » الذين أنخمهم النني والبخل ، والذين أكلوا حقوق مجتمعهم عليهم فاكتسب أجسامهم شحاً ولحماً ، ويعلن — في اعتزازه بموقفه — أنه يخور بهزاله لأنه يؤثر غيره من الفقراء الجياع على نفسه ، بل إنه — في الحقيقة — يقسم جسمه في جسومهم ، فهو لا يعيش لنفسه وإنما يعيش لهم .

\* \* \*

- ١ إني امرؤ عافي إنائي شُرْكَةٌ وَأنت امرؤ عافي إنائك واحدٌ
- ٢ أنهزأ مني أن ستمنت وأن ترى بحسبي مس الحق، والحق جاهد ؟
- ٣ أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء، والماء باردٌ

(١) العافي : الضيف وكل طالب فضل أو رزق ، والمقصود بعافي الإناء من يقصده من الضيوف أو من الفقراء المحتاجين . يقول إن إناك لنفسك وحدك ، وأما إنائي فإنه شركة لكل من يقصده .  
(٢) الحق هنا هو حق مجتمعه عليه . والحق جاهد أي أنه يجهد ويتعب ويرهقه . وفي رواية أخرى « وقد ترى بوجهي شحوب الحق » .

(٣) قراح الماء : يريد الماء الخالص الذي لم يخالطه اللبن . والماء البارد : رمز للشقاء الذي تشتد فيه حاجة الإنسان إلى الطعام . يقول إنه في ليالي الشتاء الباردة حيث تشتد حاجة الإنسان إلى الطعام يكفى هو بالماء الخالص ويؤثر غيره من الفقراء الجياع بطعامه . وفي رواية أخرى « أفرق جسمي » .

\* \* \*

يوسف خليف

## تَصَمِّمُ وَإِصْرَارُ

\* \* \*

في هذه المقطوعة يدير عروة حوارا بينه وبين زوجته — كما هو الحال في كثير من شعره — يحدد لها فيه هدفا آخر من أهداف حركته ، ويعرض جانباً آخر من جوانب نزعتة الإنسانية . إنه مصممٌ على المغامرة ، وإنه لا يخشى الموت من ورائها ، فقد يدركه الموت وهو مقيم بين أهله ، لأن الموت هو المصير المحتوم الذي لا مفر منه . وهو يفعل ذلك لا من أجل مطلب شخصي له ، وإنما من أجل حقوق الفقراء المحتاجين المستضعفين في الأرض عليه . إنه من أجلهم يبذل كل ما جمعه من مال ، وكل ما حققه من غنى في مغامراته ، وإنه لن يتوقف في منتصف الطريق ، ولن يقنع بأنصاف الحلول ، فالهدف واضح أمامه ، ولن يثنيه شيء عنه ، فلما أن يحققه ، ولما أن يرضى نفسه بالمحاولة ، وحسبه — في هذه الحالة — أن يجد لنفسه عذرا عن إخفاقه في تحقيقه ، « ومُبْلِغُ نَفْسٍ هُدْرَهَا مِثْلُ مُنْجِجٍ » — كما يقول في قصيدة أخرى .

\* \* \*

- ١ أَرَى أُمَّ حَسَانَ الْغَدَاةَ تَلُومُنِي تَخَوَّفُنِي الْأَعْدَاءَ ، وَالنَفْسُ أَخَوْفُ
- ٢ تَقُولُ سُلَيْمَى : لَوْ أَقْبَتَ لَسَرْنَا وَلَمْ تَدْرِ أُنَى لِلْمَقَامِ أَطَوْفُ

(١) أم حسان : زوجته . وقوله « والنفس أخوف » يريد به أنه يدرك مدى الخطر الذي يتعرض له في مغامراته ، ولا يجهل أنه مقدم على مخاطرة هو أشد خوفا منها ، ولكنه — مع ذلك — مصمم عليها .

(٢) يقول إن زوجته تفريه بالبقاء إلى جانبها لتحقيق لها السعادة بإقامته معها ، ولكن غاب عنها أنه بخروجه وتطوافه في الأرض إنما يعمل على استقراره بعد ذلك عندما تتحقق أهدافه ويتم رسالته .

- ٣ لعل الذى خَوْفَتَنَا مِنْ ورائنا يُصَادِفُهُ فى أهله المتخاف
- ٤ إذا قلت : قد جاء الفنى ، حال دُونَه أبو صبيبة يشكو المفقار أعجف
- ٥ له خلة لا يدخل الحق دُونَهَا كريم أصابته خطوب تجرف
- ٦ فإني لمستأف البلاد يسرية فمبلغ نفس عذرها أو مطوف
- ٧ رأيت بنى لبني عليهم غضاضة بيوتهم وسط الحلول التكتف

(٣) المتخاف : المقيم مع أهله الذى تخلف عن مشاركة رفاته فى النزول . ومن ورائنا : أى من وراء خروجننا للنزول والغارة . وفى رواية أخرى « من أمامنا » . يقول إن الموت الذى تخزنه منه زوجته فى غزواته قد يصادفه وهو مقيم معها ، فقيم الخوف إذن ؟

(٤) المفقر : جمع مفقرة وهى الفقر . وأعجف : هزبل جف عوده من أفقر والجوع والحاجة . يقول إن إحساسه بسوء حاله أمام الفقراء الجياع المهزولين الذين يكسحون لسهة رفق أبنائهم الصغار ، يجعله لا يبق لنفسه شيئا مما يقننه فى غزواته من أموال تمكنه لتحقيق له الفنى . إنه قادر على أن يكون غنيا ، ولكن إيمانه بمذهبه الاشتراكي وزعمته الإنسانية يحول دون ذلك ، وهو — مع ذلك — لا بأسف على مال جمعه ثم أفقعه فى سبيل مبدئه .

(٥) الخلة : الفقر والحاجة . وقوله « لا يدخل الحق دُونَهَا » يعنى أن مجتمعه تنكر لحقوقه المشروعة عليه فلم يقف معه ليدفع عنه فقره وحاجته . وتجرف : أى تهرق ماله وتذهب به ولا تبقى منه شيئا ، وكأنه يقول — كما نقول الآن — إنه عزيز قوم ذل . وفى رواية أخرى « حوادث تجرف » .

(٦) مستأف : أى أنطع المسافات البعيدة . والسرية : جماعة الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين . يقول إنه لن يكف عن مغامراته مع فرسان الصعاليك لتحقيق أهداف حركته الإنسانية النبيلة حتى يستلحقها ، أو تحول الظروف القاهرة دون ذلك فيجد لنفسه عذرا فى التوقف الاضطرارى .

(٧) بنو لبني : أى من الفقراء ، أو لعالمهم رمز لمن كان يسميهم « عياله » من الفقراء . والغضاضة : الذلة التى تدفعهم إلى أن يقضوا من أرباحهم حيا من الناس ، ورد فعل لإحساسهم بالهوان . والحلول : الأشياء المقيمة فى منازلها ، ويريد بها قبالهم . والتكتف : الزلزل فى أكتاف من الشجر لأنهم ليست لهم بيوت يقيمون بها . وأكتاف الشجر : المواضع التى يكتشفها الشجر ويحيط بها ، وكأنها ما نطلق عليه فى الريف المصرى « الأخصاص » . يحتمل الأبيات بهذه الصورة الموهبة لفئة معطوكة — كما يقال الآن — من مجتمعه .

\*\*\*

يوسف خليل

## حقوق المجتمع

\* \* \*

في هذه المقطوعة القصيرة يرسم عروة صورة لجانب آخر من نزعة الإنسانية التي وهب حياته لتحقيقها ، ويحدد هدفا آخر من أهداف حركته الاجتماعية . إنه يريد أن ينطلق في آفاق الأرض الواسعة بحثا عن الغنى الذي استأثرت به لنفسها طبقة المآلة لتحكم به في توجيه حياة المجتمع كيف تشاء ، وليكون بين يديها وسيلة لتحقيق مراكز قوة لها فيه ، وتفرض نفسها عليه وتصيب اليد العليا فيه . ولكنه لا يطلب الغنى لشيء من ذلك ، وإنما يطلبه ليكون عنصرا مؤثرا في حياته الاجتماعية ، وعاملا لتحقيق أهدافه الإنسانية التي يعمل لها ، من الوفاء بحقوق مجتمعه عليه ، والدفاع عن سلامته الاجتماعية ، ونصرة الضعفاء والمظلومين والمُعذَّبين من إخوانه في الإنسانية . وهو يبدأ هذا كله بمحديث مع زوجته التي تحاول أن ترده عن مغامراته خوفا منها على حياته ، وهي صورة نراها تتردد كثيرا في مطالع قصائد الصعاليك ومقطوعاتهم .

\* \* \*

١ دعيني أطوف في البلاد لعني أفيدُ غني فيه لذي الحقَّ يحملُ

(١) فيه لذي الحق يحمل : أى فيه ما يحمل عن أصحاب الحقوق أعباءهم ، ويسر لهم الحصول على حقوقهم المشروعة .

- ٢ اليس عظيماً أن تُلمَّ مُلَيَّسَةٌ وليس علينا في الحقوق مَعْوَلٌ ؟  
٣ فلأن نحن لم نَمَلِكْ دفاعاً بِحَادِثٍ تُلمُّ به الأيامُ فالموتُ أَجْمَلُ

(٢) الملة : الأمر الشديد ينزل بالإيمان . والمعول : مصدر ميسى من حول عليه بمعنى اعتمد .  
يسفكر أن يقف من مشكلات مجتمعه وحقوق أبنائه المشروعة موقفاً سليماً . إنه يريد أن يكون عاملاً  
إيجابياً فيه ، يخوض أعماق مشكلاته ، ولا يقف على هامشها متفرجاً لا رأى له .  
(٣) يقول إن الموت خير له من أن يقف هذا الموقف السلبي ، وإذا كنا نقف عاجزين عن  
المشاركة في الدفاع عن حقوقنا فاقبلة الحياة ؟

\* \* \*

يوسف خليف



( ٥ )

## تَرَاثُ الصُّعْلُوكِ

\* \* \*

في هذه المقطوعة القصيرة التي تقع في ثلاثة أبيات يسجل عروة ما سوف يخلفه من بعده لمن ينتظرون ميراثه . وما الذي يخلفه صعلوكٌ عاش فقيرا ، ومات فقيرا ، ووزع ما بين حياته وموته كل ما غنمه من غاراته وغزواته التي ضحى في سبيلها بحياته على رفاقة الصعاليك من شاركوه فيها ، ومن لم يشاركوه لضعفهم ومرضهم ؟ إنها أسلحته ، وهي الشيء الوحيد الذي حرص عليه طول حياته ، وضمن به على غيره من الناس . إنها درعه ومغفره وسيفه ورمحه وجواده ، ثم لا شيء غير ذلك .

\* \* \*

- ١ وَذِي أَمَلٍ يَرْجُو تَرَاثِي ، وَإِنَّ مَا يَصِيرُ لَهُ مِنْهُ غَدًا لَقَلِيلُ
- ٢ وَمَا لِي مَالٌ غَيْرَ دِرْعٍ ، وَمَغْفَرٍ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلُ
- ٣ وَأَسْمَرُ خَطَى الْقَنَاةِ مُثْقَفٌ وَأَجْرُدُ عَرِيَانُ السَّرَاةِ طَوِيلُ

(٢) المغفر : زرد ينسج ويلبس تحت غطاء الرأس في أثناء القتال ، والرفع في إعرابه للعطف على محل « درع » وهو الرفع ، لأن المعنى « وما لي إلا درع ومغفر » ، أو يكون في الأبيات إقواء .  
والأبيض : السيف .

(٣) الأسمر : الريح . وخطى القنّاة : نسبة إلى إقليم الخلط بالبحرين ، وكان مشهورا بصناعة الرماح .  
والمثقف : الذي سبقه صانعه وسوى كعوبه . والأجرد : الحصان . والسراة : الظاهر . وعريان السراة : ليس على ظهره سرج ، ومزا لفقر الشاعر .

\* \* \*

يوسف خليف

## بِشْر بن أبي خَازِم

\* \* \*

بِشْر بن أبي خازم شاعر جاهلي من بني أسد ، عاش في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي قبيل ظهور الإسلام .

وأبرز ما في حياته وشعره اشتراكه في وقائع قومه بني أسد ، ونعني بصورة خاصة يومى الدَّسَّار والحَقَّار ، فنراه يصور المعارك تصويراً دقيقاً ، ويشيد بذكر أبطال قومه ، ويفتخر بشجاعته وفروسيته ، ويهجو الأعداء .

وقد وضعه محمد بن سلام الجعفي في الطبقة الثانية من فحول شعراء الجاهلية مع أوس بن حجر ، وكعب بن زهير ، والحطيئة ، واختار له المفضل الضبي أربع قصائد في المفضليات دلالة على تقدمه عنده ، ووضع صاحب « جمهرة أشعار العرب » قصيدة لبشر في المَجْمُهرات التي تلى المعلقات أهمية في رأيه ، واختار له هبة الله بن الشَّجَرى ست قصائد في ديوانه ، كما اختار له محمد بن المبارك صاحب « منتهى الطلب من أشعار العرب » تسع قصائد .

وقد كانت نهاية بشر بن أبي خازم نهاية درامية حين أغار في جماعة من قومه على الأبناء من بني صَعَصَعة بن معاوية ، فلما كانوا بموضع يقال له الرَّدَّة من بلاد قيس ، مرَّ بِشْرُ بَغْلَام من بني وائلة من الأبناء تختلف المصادر في اسمه ، فأراد بشر أن يأسر الغلام ، فرماه بسهم أصابه بالقرب من قلبه ، فاعتنق بِشْرُ فرسه وهو جريح ، وأخذ الغلام فأوثقه ، فلما جنَّ الليل تيقن بشر أنه ميت ، فأطلق الغلام

الوائلي من وثاقه ، وقال له : أَصْلَمَ قَوْمَكَ أَنْكَ قَتَلْتَ بِشْرًا . ثم اجتمع أصحابه إليه فسألوه الوصية ، فقال هذه القصيدة التي يرثي فيها نفسه مخاطباً ابنة له اسمها عُمَيْرَة يبدو أنها كانت لاتزال صغيرة تمنى نفسها بعسودة أبيها الفارس البطل وهو يتحمل إليها - كما عودها من قبل - الغنائم والأسلاب ، وهو يتخيل قلقها لغيابه ، وتعرفها أخباره من القوافل الآتية من أرض المعركة ، وهي لن تلبث إلا قليلاً حتى تعرف نبأ موته على يد الغلام الوائلي ، وتلك نهاية كلِّ شيء . ونراه يفخر في تلك المراثية بشجاعته وصلابته ، ويبدى أسفه على تلك النهاية العاجلة التي لم تمكنه من أعداء آخرين كان يريد النيل منهم .

\* \* \*

## مَوْتُ بَطَلٍ

\* \* \*

- ١ أسألتُ عُمَيْرَة عن أبيها خلال الجيش تعرّف الرّكّابا
- ٢ تُؤمّل أن أووب لها ينهب ولم تعلم بأنّ السهم صابا
- ٣ فإن أباك قد لاق غلاما من الأبناء يلتهب التهابا
- ٤ وإن الوائلي أصاب قلبي بسهم لم يكن يكسّي لغابا
- ٥ فرجّى الخير وانتظري إياي إذا ما القارظ العنزي آبا

(١) تعرّف : تسأل عن خبره . الركاب : الإبل التي تحمل القوم ويريد بها القوم أنفسهم .

(٢) النهب : الغنيمة . صاب : أصاب .

(٣) الأبناء : بنو صمصمة بن معاوية إلا عامر بن صمصمة يدعون الأبناء وهم : وائلة ، ومرة ، ومازن ، وغاضرة ، وسلول . يلتهب التهابا : يشترق غضبا .

(٤) القاب : الريش الرديء يكسّي به السهم فلا يذهب بعيدا ولا يصيب .

(٥) القارظ : الذي يجنى القرظ وهو شجر يدنع بورقه وثمره ، وكان رجل من عزة نرج يطلب القرظ فات ولم يرجع فأضحي مثلاً لليأس من العودة .

- ٦ فن يك سائلا عن بيتٍ بِشِير  
 ٧ قَوَى في مُلْحَدٍ لَا بُدَّ مِنْهُ  
 ٨ رَهِينٍ بِلَى ، وَكُلُّ قَتَى سَيْبَى  
 ٩ مَضَى قَصْدَ السَّبِيلِ وَكُلُّ حَى  
 ١٠ فَإِنْ أَهْلِكَ عُمَيْرٌ قُرْبَ زَحْفٍ  
 ١١ صَمُوتٌ لَهُ لِأَلَيْسَهُ بِزَحْفٍ  
 ١٢ عَلَى رَيْدٍ قَوَائِمُهُ إِذَا مَا  
 ١٣ شَدِيدِ الْأَمْرِ يَحْمِلُ أَرْحِيًّا  
 ١٤ صَبُورًا عِنْدَ مُخْتَلَفِ الْعَوَالِي  
 ١٥ وَطَالَ تَشَاجُرُ الْأَبْطَالِ فِيهَا
- فَإِنْ لَهُ بِجَنَبِ الرَّدِّ بَابَا  
 كَفَى بِالْمَوْتِ نَأْيًا وَاعْتَرَابَا  
 فَأَذْرَى الدَّمْعَ وَاتَّحَبَى اتَّحَابَا  
 إِذَا يُدْعَى لِمَيْتَتِهِ أَجَابَا  
 يُشَبِّهُ نَقْعَهُ عَدُوًّا ضَبَابَا  
 كَمَا لَقَتْ شَأْمِيَّةٌ صَحَابَا  
 شَأْنَهُ الْخَيْلُ يَنْتَرِبُ انْسِرَابَا  
 أَخَانُثِيَّةٌ إِذَا الْحَدَاثُ نَابَا  
 إِذَا مَا الْحَرْبُ أَبْرَزَتْ الْكَعَابَا  
 وَأَبْدَتْ نَاجِدًا مِنْهَا وَنَابَا

(٦) البيت هنا بمعنى القبر . الرده : موضع في بلاد قيس وصل إليه الشاعر وهو موجود بنقسه .

(٧) الملحد : القبر . النأى : البعد .

(٨) أذرى : أسكى .

(٩) قصد السبيل ، الطريق المستقيم الواضح .

(١٠) الزحف : المقاتلون . النقع : النهار الذى نثيره الخيل في أثناء القتال عندما تجرى .

(١١) صموت : نهضت . الشأمية : بقصد الريح الآتية من الشام .

(١٢) ريد قوائمه : أى فرس خفيف القوائم في أثناء العدو ، شأته : سبقته . ينمرّب :

يشند في مدره .

(١٣) الأمر : الخلق والبيان . الأرحى : الكريم الذى يرتاح لعمل الخير . الحدثان : مصائب

الزمان . ناب : وقع .

(١٤) العوالى : الرياح . مختلف : يعنى حركة الرياح عند الطمن يمينا ويسارا وصعودا وهبوطا .

الكعاب : الفتاة التى كعب نديها أى نهد وبرز . أبرزت : أخرجت من السر لشدة الحرب .

(١٥) التشاجر : الصراع والاشتباك ، الناجد : أقصى الضروس ، وظهور التواجد والأنياب كناية

عن هول الحرب .

- ١٦ فَمَزَّ عَلَى أَنْ عَجَلَ الْمَنَايَا      وَلَمَّا أَلْقَى كَعْبًا أَوْ كِلَابًا  
 ١٧ وَلَمَّا أَلْقَى خِيْلًا مِنْ تُمَيْرٍ      تَضَبُّ لِقَائِهَا تَرْجُو النَّهَابَا  
 ١٨ وَلَمَّا تَلَبَّسَ خَيْلٌ بِخَيْلٍ      فَيَطْمِنُوا وَيَضْطَرُّوا اضْطِرَابَا  
 ١٩ يَا لِلنَّاسِ إِنْ فَنَاءَ قَوْمِي      أَبَتْ بِشِقَافِهَا إِلَّا انْقِلَابَا  
 ٢٠ هُمْ جَدَعُوا الْإِنُوفَ فَأَوْعَبُوهَا      وَهُمْ تَرَكُوا بَنِي مَعْدٍ يَسَابَا

(١٦) عجل المنايا : جاء الموت متعجلاً . كعب وكلاب : من أحياء بني عامر ، وكان بين بني أسد قوم الشاعر وبين بني عامر حروب متصلة .

(١٧) تُمَيْرٍ : من أحياء بني عامر . الثنات : جمع لثة وهي مفارز الأسنان ويريد بها الأقواء . وضبت اللثة : تحلب ريقها ، ويضرب مثلاً لثتهم الحريص على الأمر ، وهو هنا يصف الخيل بشدة شهورها للقاء ويعني أصحابها . النهاب : جمع نهب وهي الغنيمة .

(١٨) تلبس : تختلط . خيل بخيل : يقصد المقاتلين . يطمنون : يقاتلون بالرمح . يضطربون : يقاتلون بالسيوف .

(١٩) الشقاف : آلة من خشب فيها ثقب تسوى بها الرماح . يصف قومه بالصلاب . (٢٠) جدعوا : صدعوا ، أوعبوها : استأصلوها . بنو سعد : سعد بن زيد مناة من أحياء تميم وحلفاء بني عامر . اليباب : الخراب .

\*\*\*

محمد مصطفى هدارة

## قيس بن الخطيم

\* \* \*

أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة ، فقيس من الأوس ومن بني ظفر خاصة ، فهو من شعراء المدينة . وقد قُتل جده عدي ثم قُتل أبوه الخطيم قبل أن يدرك بشار عدي ، وكان قيس حين قتل أبوه الخطيم صغيراً ، والذي قُتل جده رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك ، والذي قُتل أباه رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر . وخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بشار أبيه وجده فيهلك ، فعمدت إلى كومة من تراب عند باب دارهم فوضعت عليها أحجاراً ، وجعلت تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجدك . فلما اشتد ساعده غيره أحد أصحابه بتركه ثار أبيه وجده ، فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض وفأباه بين يديه ، وقال لأمه : أخبريني من قتل أبي وجدى ، قالت : ما تأسكا يموت الناس وهذا قبراهما بالفناء ، فقال : والله لتخبريني من قتلهما أولاً تحاملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . فأخبرته الحقيقة وطلبت منه أن يستعين بجنداش بن زهير لأن قاتل جده من قومه ، فذهب إليه ودله على قاتل جده فقتله قيس ، ثم صحب جنداش قيساً ليدله على قاتل أبيه . ومكثه من إدراك ثاره ، فقد طعن قيس غريمه بالحربة في خاصرته فألفظها من الجانب الآخر حتى مات مكانه .

وأدرك قيس الإسلام ولم يسلم، وقُتِل قبل الهجرة، قَتَلَهُ الخُزْج. وكان من أحسن الناس وجهاً، بل إنه ممن كانوا يتعممون مخافة النساء على أنفسهم من جمالهم.

\* \* \*

وشعر قيس يأتي في المرتبة الأولى من بين أشعار أهل المدينة، بل يفضلته بعض العلماء على شعر حسان بن ثابت، وكان حسان بن ثابت نفسه يقول: **إنّا إذا نافرنا العربُ فأردنا أن نخرج الحِبرَات (برود يمنية موشاة مخططة ويعنى بها روائع الشعر) من شعرنا أنيننا بشعر قيس بن الخطيم.** ويقول الشريف المرتضى في أماليه: **وقد قال الناس في الطيف والخيال فأكثرُوا، وقد سبق في ذلك قيسُ بن الخطيم إلى معنى كلِّ الناس فيه عيالٌ عليه.**

وهو يبدأ قصيدته التي تقدمها بالنسيب وكان متقدماً فيه، فيشبه بليلي ويذكر حسنهما وصفاء بشرتهما وأنها فارقتة فلا يستطيع لقاءها، ثم يفخر بتأثيره في النساء وأنه كثيراً ما استمال الغانيات، ويفخر في الوقت ذاته بأخلاقه العربية القويمة، فهو لا يستميل قلب قريبة له كأمراة الابن أو الأخ أو قلب جارة يحفظ عليها حياءها.

كذلك يفخر — كمعادة الجاهلي — بشربه الخمر للدلالة على فتوته، ويشير إلى كرمه في حال الصبحو والسكر.

ثم يبدأ في الحديث عن الموضوع الأصلي في القصيدة وهو إدراكه النار من قاتل أبيه وجده، وصور نغمته على قاتل أبيه خاصة بهذا التصوير الأخاذ للطعنة التي قتل بها ابن عبد القيس، حتى إن الأوامي اللائي تعودن على مناظر الجراح البشعة لم يستطعن النظر في جرح هذا الرجل لبشاعته.

وبعد أن نغفر قيس بإدراكه النار نغفر بشجاعته في المعارك ، وبذله النفس  
رخيصة لإدراكه المجد ، وبين أنه سوف يلقي الموت حين يأتيه هائثا مطمئنا بعد  
إدراكه النار ، ونغفر بقومه من الأوس وبدورهم العظيم في يوم بُعَاث .

\* \* \*

## إِدْرَاكُ ثَارٍ

\* \* \*

- |   |  |  |
|---|--|--|
| ١ | تَذَكَّرَ لَيْلَى حَسَنَهَا وَصَفَاءَهَا   | وبانت فأمسى ما ينال لقاءها                 |
| ٢ | ومثلك قد أصببتُ ليستُ بكنة                 | ولا جارة أفضتُ إلى حياءها                  |
| ٣ | إذا ما اصطبحتُ أربعا خطمترى                | وأَتبعتُ دُلُوبِي في السَّخَاءِ رِشَاءَهَا |
| ٤ | نارتُ عَدِيًّا وَالْخَطِيمَ فلم أضع        | ولَايَةَ أَشِيَاءٍ جُعِلَتْ إِزَاءَهَا     |
| ٥ | حَرَبْتُ بِذِي الزَّرِينِ رِبْقَةَ مَالِكٍ | فَأَبْتُ بِنَفْسِي قد أصببتُ شفاءها        |
| ٦ | وسأعني فيها ابنُ عمرو بنِ عامرٍ            | خَدَّاشُ قَادِي نِعْمَةٍ وَأَفَاءَهَا      |

(١) بانت : فارقت وهددت .

(٢) أصببت : استملت ، الكنة : امرأة الابن أو الأخ ، أفضت إلى حياءها : رفعت الستر بيني وبينها .

(٣) اصطبحت : شربت الخمر في وقت الصباح ، أربعا : يعنى كؤوسا أربعا ، خطمترى : جرت ثوبى من الخيلاء ، السخاء : الكرم ، أتبع الدلو وشاءها : مثل يضرب لمن يقضى معظم الحاجة ويبقى منها بقية ، ويعنى الشاعر هنا أنه يقوم بواجب الكرم في حال الصحو ويسمه في حال السكر .

(٤) على هـ وجد الشاعر ، والخطيم أبوه ، نارت : أدركت ثارهما ، ولَايَةَ الشئ : القيام عليه ، جعلت إزاءها : جعلت القيم بها .

(٥) ذو الزرين : اسم سيف ، وزر السيف حده ، ربة : يريد موضع الربة من عنقه .

(٦) سأعني : تابعنى ، خدّاش : هو الشاعر المشهور خدّاش بن زهير بن بنى عامر بن صعصعة وقد ساعد قيسا في الأخذ بثأر أبيه وجده ، أدى : أعاد نعمة أخذت منهم ، أفاءها : جعلها في ثأر أى غنيمة ، أربعها .



- ٧ طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً نَائِرَ لَهَا نَقْدٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءُهَا  
 ٨ مَلَكْتُ بِهَا كَفَى فَأَنْهَرْتُ فَتَقَّهَا يَرَى قَائِمًا مِنْ خَلْفِهَا مَا وَرَاءُهَا  
 ٩ يَهُسُّونَ عَلَى أَنِّ تَرُدُّ بِرَاحِهُ عَيُونَ الْأَوَاسِي إِذْ حَمَدَتْ بِلَاءُهَا  
 ١٠ وَكُنْتُ أَمْرًا لَا أَسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً أُمَسُّ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءُهَا  
 ١١ وَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الضُّرُوسُ مُوَكَّلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَاءُهَا  
 ١٢ إِذَا سَقِمْتُ نَفْسِي إِلَى ذِي عِدَاوَةٍ فَلَأَنِّي بِنَصْلِ السَّيْفِ بَاغٍ دَوَاءُهَا  
 ١٣ مَتَى يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا تَبْقَ حَاجَةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءُهَا  
 ١٤ وَكَانَتْ نَجَاةً فِي الْخَلْقِ مَا لَمْ أَبُؤْ بِهَا فَأَبْتُ بِنَفْسٍ قَدْ أَصَبْتُ دَوَاءُهَا

- (٧) ابن عبد القيس رجل من قبيلة عبد القيس كان الخطيم قد قتل أباه فأخذ ثأره منه، وهو نفسه الذي ثأرته قيس، لها نقد: أي نقدت، الشعاع بالضم: حمرة الدم، وإذا جعلت الشعاع بالفتح: كان معناها انتشار الدم، أضاءها: أبصر ما وراءها لاتساع الطعنة وعمقها.
- (٨) ملكت: شددت، أنهرت: أجريت الدم، ومعنى البيت: شددت بهذه الطعنة كفى ووسعت ثوقها، حتى يرى القائم من دونها الشيء الذي وراءها.
- (٩) الأواسي: النساء المداويات للجراح، وهن يرددن عيونهن عن هذه الطعنة لفظاعتها، وبلاءها: شدتها وفظاعتها.
- (١٠) سبة: عار ومنقصة، كشف غطاءها: منعهما بإزالتها.
- (١١) الضرروس: الشديدة، الإقدام: الشجاعة وبذل النفس، ما أريد بقاها: يريد أنه ليس حريصا على الحياة.
- (١٢) سقمت: مرضت وهي هنا بمعنى كرهت، ويطلب دواءها بنصل السيف أي يقتل عدوه الذي يبغضه.
- (١٣) قضيت قضاها: شفيت كل ما بنفسى من رغبات ومعنى ثأره.
- (١٤) الشجا: النقص والحزن، لم أبؤ بها: لم أحتملها وأقض ثأري. أبت: عدت بعد قضا الثأر.

- ١٥ وقد جَرَبْتُ مِنِّي لَدَى كُلِّ مَاقِطٍ دُحَى إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ رِذَاءَهَا  
 ١٦ وَإِنَّا إِذَا مَا مُمْتَرَوِ الْحَرْبِ بَلَّحُوا نُقِيمُ بِأَسْبَادِ الْعَرِينِ لَوَاءَهَا  
 ١٧ وَنُلْقِيهَا مَبْسُورَةً ضَرْزْنِيَّةً بِأَسْيَانَا حَتَّى نُذِلَّ لِإِبَاءَهَا  
 ١٨ وَإِنَّا مَتَعْنَا فِي بُعَاثٍ نِسَاءَنَا وَمَا مَنَعَتْ مِنَ الْمُخْزِيَّاتِ نِسَاءَهَا

(١٥) الماقط : المأزق وخامة في الحرب ، دحى : امم قبيلة ، ألفت وداءها : تجردت ، كناية عن شدة الحرب .

(١٦) عثر والحرب : الذين يستدوونها ، يقال : مررت الناقة إذا مسحت ضرعها اندر ، بلحوا : أهيوا : الأسباد : جمع سيد ( يكمر السدين وسكون الباء ) وهو الذئب والداحية ، وهو يعنى هنا بأسباد العرين : الأسود من فرسان قبيلته .

(١٧) مبسورة : من بسر الفعل الناقة أى ضربها على غير شهوة منها ، الضرنزية : العاصية ، وهو يعنى قدرتهم العظيمة في القتال وسيادتهم على أعدائهم .

(١٨) يوم بعثت من أيام العرب المشهورة في الجاهلية وكان بين الأوس والخزرج .

\* \* \*

محمد مصطفي هدارة

## الحَادِرَة

\*\*\*

الحَادِرَة هُوَ قُطْبَة بن أَوْس بن عَمَّصَن ، من بَنِي ثَعْلَبَة بن سَعْد بن ذُبْيَان ثم من غَطَفَان بن سَعْد ، وَيُنَسَّب إِلَى غَطَفَان أَوْ إِلَى ذُبْيَان ، وَكَانَتْ مَنَازِل قَوْمِهِ فِي الْجَبَاز .

هَاشِ الحَادِرَة فِي آخِرِ الْعَصْرِ الْجَاهِلِي قَرِيبَا مِنَ الْإِسْلَام ، وَرَبَّمَا أَدْرَكَ الْإِسْلَام وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ . وَقَدْ جَعَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ فِي الطَّبَقَةِ الثَّاسِعَةِ مِنْ خَوَلِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ . وَأَهَمُّ أَغْرَاضِ شِعْرِ الحَادِرَةِ الْغَزْلُ وَقَدْ اشتهر بِمَحَبَّتِهِ سُمَيَّةُ ، وَكَذَلِكَ الْهَجَاءُ . وَيُمْتَازُ شِعْرُهُ بِسِيَاحَةِ اللَّفْظِ وَإِحْكَامِ السَّبْكِ ، وَلَوْلَا قَلَّةُ شِعْرِهِ الَّذِي وَصَلَ إِلَى عَلَمَائِنَا الْأَقْدَمِينَ لَقُدِّمَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ .

وَقَدْ بَدَأَ قَعْبِيدَتَهُ الَّتِي اخْتَرَاهَا بِالتَّنْزِيلِ فِي مَحَبَّتِهِ سُمَيَّةَ الَّتِي قَطَعَتْ حَبْلَ الْوَدِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ وَابْتَعَدَتْ عَنْهُ ، وَعَرَّضَتْ أَحْدَاثَ صَرْفَتِهِ عَنْ زِيَارَتِهَا ، وَشُغِلَ كُلُّ مَنْهَا عَنْ الْآخَرِ ، وَتَمْنَى لَوْ أُتِيحَ لَهُ أَنْ يَرَاهَا فِي يَوْمِ الدَّوَارِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهُ لَنْ يَرَاهَا بَعْدَ رَحِيلِهَا . وَحِينَ يَصِلُ إِلَى هَذَا الْيَأْسِ يَقُولُ لَهَا : اذْهَبِي عَنِّي فَإِنَّا رَجُلٌ أَصِيلٌ ذُو حَسَبٍ ، وَيَأْخُذُ فِي تَعْدَادِ صِفَاتِهِ السَّامِيَةِ النَّبِيلَةِ ، وَهِيَ لَا تَنْطَبِقُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ ، بَلْ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مِثْلُ عَرَبِيَّةٍ عَلِيَا يَفْخَرُ بِهَا الْإِنْسَانُ الْعَرَبِيُّ ، وَتَنْحَصِرُ فِي الْهَمْدِ عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَالتَّزَامِ الْعَفَةِ ، وَتَجْتَنِبُ الْعَيْبَ ، وَالصَّبْرَ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْمَكْرُوهِ ، وَالتَّجَمُّلَ عِنْدَ الرِّزْيَةِ ، وَالكَرَمَ فِي وَقْتِ الشَّدَةِ ، وَتَقْدِيمَ الْعَوْنِ لِلضَّعِيفِ ، وَنَجْدَةَ الْمَلْهُوفِ ، وَالشَّجَاعَةَ الْفَائِقَةَ فِي وَقْتِ الْقِتَالِ .

\*\*\*

## مَثَلٌ عَرَبِيَّةٌ عَلِيَا

\* \* \*

- ١ أَمَسْتُ سُمَيْةً صَرَمْتُ حَبْلِي وَنَأْتُ وَخَالَفَ شَكْلَهَا شَكْلِي
- ٢ وَعَدَا الْعَوَادِي عَنْ زِيَارَتِهَا إِلَّا تَلَاقَيْنَا عَلَى شَقْلٍ
- ٣ وَرَجَاهُمْ يَوْمَ الدَّوَارِ كَمَا يَرْجُو الْمَقَامُ نَيْلَ الْخَصْلِ
- ٤ وَلَقَدْ عَرَفْتُ لَنْ نَأْتُ وَتَبَاعَدْتُ إِلَّا تَلَاقِيهَا يَسْنِي الْحَسْلِ
- ٥ فَبِئْسَ إِلَيْكَ فَإِنِّي رَجَلٌ لَمْ يُخْزِنِي حَسْبِي وَلَا أَصْلِي
- ٦ أَدْعُ الْفَوَاحِشُ أَنْ أَسْبَ بِهَا وَشَرِيكُهَا فَكُلَيْهِمَا أَقْلِي
- ٧ وَوَجَدْتُ آبَائِي لَهُمْ خُلُقٌ عَفَّ الشَّائِلِ غَيْرُ ذِي دَخْلٍ
- ٨ لَوْ تَصَدَّقِينَ لَقُلْتُ إِنَّهُمْ صَبَرُوا عَلَى النَّجَدَاتِ وَالْأَزْلِ
- ٩ وَعَلَى الرِّزْيَةِ مِنْ تَفْوَسِهِمْ وَتَلَاتِلِ اللَّزْبَاتِ وَالْقَتْلِ

(١) صرمت حبلى : قطعت وصالى .

(٢) عدا العوادي : صرفت الصوارف .

(٣) الدوار : نسك كان لأهل الجاهلية يطوفون حوله . والمعنى رجا أن يلقاهم يوم الدوار حين يطوفون بالنسك . الخصل : الاتفاق على شيء معلوم في القمار .

(٤) الحسل : الضب الصغير ، وفي المثل : لا آتيك سن الحسل ، أى أبدا لأن سنه لا تنقطع أبدا حتى يموت .

(٥) فبئس إليك : تباعدى عني .

(٦) أقل : أكره .

(٧) الدخل : العيب .

(٨) النجدة : القتال والشدة . الأزل : الضيق .

(٩) الرزية : المصاب في النفس والمال . التلائل : الزلازل . الزبات : الأزمات الشديدة والجوع .

١٠. هَلَسَات إِذَا هُمُ احْتَمَلُوا فَتَحَوَّلُوا لِحِطِيطَةٍ مَحَلٍ
١١. يُعْنِي الرِّءَاءَ بِهَا مَسَارَحَهُمْ وَجَعَتْ مَرَاتِعُهَا عَنِ الْبُزْلِ
١٢. إِذَا لَا يُدْتَسَّنَا الشِّتَاءُ وَلَا نَطَأَ الضَّعِيفُ إِرَادَةَ الْأَكْلِ
١٣. وَيُنْقَسُونَ عَنِ الْمُضَافِ إِذَا نَظَرَ الْفَوَارِسُ عَوْدَةَ الرَّجْلِ
١٤. الْمُقْبِلِينَ تُحَوِّرُ خَيْلَهُمْ حَدَّ الرِّمَاحِ وَغَبِيَّةَ النَّبْلِ

(١٠) احتملوا : رحلوا . التحطيط : الأرض بين أرضين مطيرتين وقد أخطأها المطر .  
المحل : الجذب .

(١١) يعنى الرءاء بها مسارحهم : لا يجدون بها مسرحاً أى مرضى لإيلامهم لشدة جدها . البزل :  
الإيل .

(١٢) يدنسنا : يشيننا لأنهم لا يبتلون فيه على المحتاج .

(١٣) المضاف : اللابس . الرجل : الرجال .

(١٤) الغيبة : الدفعة الشديدة من المطر ، وهى هنا الدفعة الشديدة من البال فى وقت الحرب .

\* \* \*

محمد مصطفى هدارة

## الأعشى

\* \* \*

يعد الأعشى أحد الشعراء الأربعة الكبار الذين أجمع الرواة والنقاد على أنهم أكبر شعراء العصر الجاهلي ، والثلاثة الآخرون هم امرؤ القيس وزهير والنابعة . ويضعه بعض الرواة بين أصحاب المعلقات العشر .

ويرجع نسب الأعشى إلى قبيلة بكر بن وائل التي دارت بينها وبين أختها تغلب حرب اليُسوس المشهورة في بداية العصر الجاهلي الأدبي . وكانت بكر تنزل في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية على امتداد ما بين وادي الفرات واليمامة في الجنوب الشرقي من نجد . وينتسب الأعشى إلى قيس بن ثعلبة ، أحد الفروع التي تفرعت إليها قبيلة بكر الكبيرة ، وكانت قيس تنزل في إقليم اليمامة . وقد ظهر فيها شعراء كثيرون معروفون قاموا بدور ملحوظ في حركة الشعر في العصر الجاهلي ، كالمرقش الأكبر والمرقش الأصغر والمتلمس وابن أخته طرفة الشاعر المعروف صاحب المعلقة المشهورة .

والأعشى لقَّب ألقب به لضعف بصره ، ولهذا يُكنَّى أحيانا بأبي بصير . أما اسمه فهو ميمون بن قيس .

وليس بين أيدينا شيء واضح عن نشأة الأعشى الأولى وشبابه ، شأنه في ذلك شأن أكثر الشعراء الجاهليين . وكل ما نعرفه عن هذه المرحلة المبكرة من حياته أنه وُلِدَ بقرية من قرى اليمامة اسمها « مَتْفُوحَة » ، في تاريخ لم يحدده الرواة ، ولكنه — بدون شك — كان في أواخر العصر الجاهلي ، فمن الثابت أنه أدرك

الإسلام ، وفكر في اعتناقه ، وشدّ رحاله نحو المدينة المنورة ليلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم إسلامه ، لولا أن قریشا صدته عنه ، فعاد أدراجه إلى ديار قومه حيث لقي مصرعه بعد أن نفرت به ناقته فأردته صريعا وهو على مشارف اليمامة ، وفي مسقط رأسه بقرية متفوحة وورى مثواه الأخير . ويذكر الرواة أن فتيان قومه كانوا يقصدون قبره هناك حيث يشربون الخمر ويصبون عليه نصيبه منها مشاركة منهم في شرابهم . ومن هنا ربما كان التاريخ الذي يذكره جرجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » لسنة وفاته — وهو سنة ٦٢٩ لليلاد — قريبا من الواقع ، وهو تاريخ يوافق السنة السادسة للهجرة .

وفي ضوء ما بين أيدينا من أخباره وشعره يبدو الأعشى كأنه كان دائما على سفر ، فهو كثير التنقل والرحلة بين أرجاء الجزيرة العربية ، بل إننا نراه يمدّ رحلاته إلى الحيرة والعراق واليمن وحضرموت ، بل يذهب بعض الرواة إلى أن رحلاته امتدت إلى بلاد فارس والشام وأبضا إلى بلاد الحبشة ، مستشهدين على ذلك بقوله في بعض شعره :

وقد طُفْتُ لِلَّالِ آفَاقَهُ      عُثْمَانَ فُحْمَصَ فَأُورِيشِلِيمَ  
أَتَيْتُ النَّجَاشِيَّ فِي أَرْضِهِ      وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ الْعَجَمِ  
فَتَجَرَّانَ فَالْمُرَّوْ مِنْ يَحْيَى      فَأَيُّ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أَرَمْ  
وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ      فَأَوْفَيْتُ هَمِّي وَحِينَا أَهْمُ

ولم تكن رحلات الأعشى هذه من أجل الرحلة، وإنما كانت من أجل الملوك والسادة والأشراف الذين كان يقصدهم لمدهم ونيل عطاياهم وجوائزهم . ولهذا يجعله الرواة القدماء أحد الذين غصّ الشعرُ منهم ، لأنه اتخذ منه وسيلة للسؤال .

ولهذا أيضا يجعله الباحثون المحدثون أهم شاعر حوّل المدح في الشعر الجاهلي إلى احتراف خالص من أجل التكسب والعيش . وهو بهذا يعد نقطة تحول ضخمة في تاريخ شعر المدح ، ومعلما بارزا في حركة الشعر الجاهلي وتطوره .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن الأعشى كان نصرانيا ، ويميل بروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربي » إلى ذلك ، ولكنه يراه قليل التعمق في النصرانية . وأما الدكتور شوق ضيف في كتابه « العصر الجاهلي » إلى أنه كان وثنيا مثيرا في وثنيته ، وأما العناصر النصرانية التي تظهر في شعره فربما جاءت من راويته النصراني يحيى بن ميم . وفي رأيه أنه كان وثنيا ، وأن هذه العناصر تسربت إلى شعره من تطوافه الواسع في أرجاء الجزيرة العربية وما حوطاه وتردده على البيئات المسيحية في اليمن والشام والحيرة .

وحياة الأعشى الخلقية صورة أخرى من حياة امرئ القيس في خلاعته ومجونه ، بل لعله أشد بفجورا وتهكما منه ، ففي شعره أحاديث كثيرة عن طائفة من الجوارى والقيان اللاتي كان يتردد عليهن ، ويتصل بهن ، ويصف ما يدور بينه وبينهن . ومن بين هذه الأحاديث تتردد اعترافات صريحة عن علاقات غير مشروعة مع طائفة من بنات الهوى من أصحاب « الرايات الخمر » اللاتي كن يتاجرن في أمراضهن في بعض القرى العربية وفي البلاد الأجنبية التي كان يرحل إليها . وفي شعره أيضا إلحاح على ذكر الميسر ، وإلحاح أشد على ذكر الخمر ، والتصريح بشربها ، ووصف ما يدور في مجالسها من عريضة وتهتك . وهو لهذا يعد أهم شاعر جاهلي شغل بالحديث عن الخمر ، واستطاع أن ينمض بوصفها نهضة تجعله يقترب اقترابا واضحا من ذوق الشعراء العباسيين الذين تخصصوا للخمر



كأبي نَؤاس وأضرابه . وقديما جعله النقاد العرب أشعر الشعراء إذا طَرِبَ ، يريدون بذلك أنه أشعر شعراء الجاهلية حين يصف النحر .

ومن أهم ما يلاحظ على أسلوب الأهشي في شعره سهولة ألفاظه بالنسبة إلى شعراء عصره . ومن الواضح أن هذه السهولة أثر للحياة المتحضرة التي كان كثير التردد عليها والاتصال بها ، وهو في هذا التأثر الحضارى يفوق النابتة بمراحل بعيدة ، والسهولة في شعره لا تقف عند لفته فحسب ، ولكنها تمتد أيضا إلى معانيه وأفكاره . وأهم من هذا كله أنها تمتد إلى موسيقاه العروضية ، فهو كثير التنوع فيها مع ميل إلى الأوزان القصيرة والمجزوءة في طائفة من قصائده . وقد أضفى ذلك على شعره طابعا موسيقيا لفت أنظار الرواة القدماء فأطلقوا عليه « صنّاجة العرب » ، اعترافا منهم بهذه الطاقة الموسيقية الضخمة التي كان يمتاز بها ، والتي استطاع أن يوفرها لكل ما نظمه من شعر .

ولاحظ النقاد عليه أيضا ولوعه بالألفاظ الأجنبية ، وخاصة الفارسية ، التي كان يُكثر منها في شعره . وهي ظاهرة جاءت به — بطبيعة الحال — نتيجة لتردده المتصل على البلاد الأجنبية التي كان يتردد على ملوكها وأمراءها من أجل بيع شعره في أسواق المدح الرائجة بها ، لينفق ما يجمعه منها على نحره ولهوه ولذته . وقد حاول المرزبانى في كتابه « الموشح » أن يخرج بسببها من دائرة الفحول ، ولكن أكثر الرواة والنقاد القدماء على أنه واحد من أولئك الأربعة الكبار الذين يعدون فحول الشعراء في العصر الجاهلي .

\* \* \*

يوسف خليف

( ١ )

## المُعلِّقة

\* \* \*

يجعل بعض الرواة هذه القصيدة بين القصائد الثلاث التي ضموها للمعلقات السبع التي اختارها حماد الراوية من روائع الشعر الجاهلي . وهي تبدأ بمقدمة غزلية في صاحبة له اسمها « هُريرة » يقال إنها كانت من القيان المغنيات . ولعل هذا هو الذي طَبَعَ غزله فيها بطابع حمى صريح يركز تركيزا واضحاً على جمالها الجسدي ، وينتهي — في صراحه مكشوفة — بإعلان خلاعته وفتكه وغالسته الأزواج من أجل الوصول إلى زوجاته . ثم ينتقل بعد هذا إلى وصف مجلس شراب مع رفاق له في إحدى الحانات التي تحترف بيع الخمر ، وما دار فيه من شرب ولهو وغناء وموسيقا . ثم يخرج من هذا الجو اللاهي بين حانات الخمر وجواربها وسقاتها إلى الصحراء ليصف رحلة فيها في ليلة ممطرة بات يرقب فيها البرق والسحاب والمطر ، ويتتبع مواقع السيل وهو يتدفق في أرجاء الصحراء من موضع إلى موضع . ثم ينتقل إلى القسم الأخير من المعلقة ، فيوجه تهديداً إلى بعض أعداء قبيلته الذين كانوا يوقعون بينها وبين القبائل الأخرى ، ويحاولون إشعال نيران الفتنة بينها وبينهم . ويختتم المعلقة بفخر قبلي عريض يفتخر فيه بشجاعة قومه وبطولاتهم ، وخبرتهم بفنون القتال ، وقدرتهم على انتزاع النصر من بين أنياب أعدائهم ، والإطاحة بأبطالهم أشلاءً متناثرة فوق أسنة الرماح .

وهذه المعلقة — كأكثر قصائد الأعشى — طويلة ، فهي تقع في أربعة وستين بيتا ، تشغل المقدمة الغزلية منها أربعة وعشرين بيتا ، وهو امتداد يجعلنا نخرجها من أن تكون مقدمة تقليدية إلى أن تكون قسما أساسيا من أقسام القصيدة . وهي — ككل شعر الأعشى — غنية بأنغامها الموسيقية التي استطاع الأعشى بأذنه الشديدة الحساسية أن يراوح فيها بين الرقة والنغومة والنغم الراقص في حديث الحب والخمر ، وبين العنف والشدة والنغم النائر الصاخب في وصف المطر والسيل وحديث الهجاء والتهديد والفخر ، فحقق لها ذلك التوازن الصوتي الرائع الذي كان الأعشى خير من يَحْسِنُه بين شعراء العصر الجاهلي .

\* \* \*

- ١ وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ      وهل تُطِيقُ وَدَاعَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟
- ٢ غُرَاءُ فُرَاءُ مَهْقُولٌ عَوَارِضُهَا      تَمْشِي الْهُوَيْنَى كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ
- ٣ كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا      مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ
- ٤ تَسْمَعُ لِلْحَلَى وَسَوَاسَا إِذَا انْصَرَفَتْ      كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحِ عَشِيرَتِ زَيْلُ

- (١) هُرَيْرَة : اسم صاحبه ، ويقال إنها كانت قينة من الجوارى المغنيات اللاتي كان الأعشى على صلة بهن . يبدأ الشاعر قصيدته بهذه المقدمة الغزلية التي يستلها بحديث الرحيل والوداع .
- (٢) الْغُرَاءُ : البيضاء الجليين . وَالْفُرَاءُ : الطويلة الشعر . وَالْعَوَارِضُ : الأسنان . وَالْوَجِي : الفرس يمشي متأنيا بسبب حنى أصاب حافره . وَالْوَحِلُ : الذي يمشي في الوحل ، فهو يتحرك في حذر شديد . يصف صاحبه بأنها لا تسرع في مشيتها ، وكان الدرب يرون في ذلك مظهرا من مظاهر الأثوثة الناعمة الرقيقة . يقول إن جسمها الممثل ، يحمل خطواتها بطيئة متقاربة .
- (٣) الرَيْثُ : البطء . وَالْعَجَلُ : الإسراع . يصف خطواتها بأنها وسط بين الإبطاء والإسراع ، ويشبها بحركة السحابة في أنسيائها الهادئ الرقيق .
- (٤) الْوَسَاسُ : صوت خشخشة الحلي . وَالْمَشْرِقُ : شجرة صغيرة تخرج أكاما تضم حبا صغيرا إذا جف وحركته الريح أحدث صوتا كالتخشخشة . وَالزَّجَلُ : الذي يرفع صوته بالغناء . يشبهه الشاعر صوت حلي صاحبه بصوت هذا الحب حين تحركه الريح ، ويصف هذا الصوت بأنه غناء يردده صاحبه ويرفع صوته به .

- ٥ ليست كمن يكره الجيران طاعتها ولا تراها ليسر الجار تختبئ  
٦ يكاد يصرعها لولا تشدددها إذا تقوم إلى جاراتها الكسل  
٧ إذا تلاعب قرنا ساعة فترت واهتر منها ذنوب المتن والكفل  
٨ صفر الوشاح وملء الدرع بهيكنة إذا تأتي يكاد الخضر ينخزل  
٩ نعم الضجيع غداة الدجن يصرعها للذة المسر لا جاف ولا قفل  
١٠ هر كولة فتنق دمم مرافقها كأن أنحصها بالشوك متعل  
١١ إذا تقوم يضوع المسك أصورة والزنيق الورد من أردانها شيل

(٥) تختل : تسترق السمع . يصف صاحبه بجمال الخلق والخلق ، فهي جميلة تسر من ينظر إليها ، وهي كريمة الخلق لا تتصن على أسرار جيرانها .

(٦) لولا تشدددها : لولا تماسكها . يقول إن خصصها الضامر التحيل يكاد لثقل أردانها ينقطع كلما همت بالقيام لولا أنها تماسك وتعامل على نفسها .

(٧) القرن : القرنين . وفترت : ضعفت وتهاكت . والمتن : الظهر ، وذنوب المتن : لحم المنزل . والكفل : الأرداف . يصفها بأنها أنثى ضعيفة بها لكة ، لينة اللحم ، مثثة الجسد .

(٨) الوشاح : حزام مريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين كتفها وخصرها ، وصفر الوشاح أى ضامرة الخضر . والدرع : القميص ، وملء الدرع أى مثثة الجسد . والهيكنة : الشابة الغضة . وتأتى : أصلها تنأت ، أى تنهأ القيام . وينخزل : يتثنى حتى يكاد ينقطع .

(٩) الدجن : النجم . يريد اليوم البارد المطر . والجاف : الغليظ . والثقل : الكرية الرائحة الذى لا يطيب . يقول إنها نعم الأنثى التى يشمتها الرجل الذى يحسن معاملة المرأة لنعته ولذته فى أيام الشتاء الباردة .

(١٠) الهر كولة : المثثة الوركين . والفنق : الفتية الشباب المنعمة . ودرم مرافقها أى ملفوفة الساقين والذراعين . والأنحص : باطن القدم . وقوله « كأن أنحصها بالشوك متعل » يريد أنها متقاربة الخطى .

(١١) يضوع . ينتشر ويفوح عطره . والأصورة : جمع صوار وهو دماء المسك ، وهي كلبة فارسية . والورد : الأحمر ، ويقال إن أجود الزنيق ما كان لونه ضارباً إلى الحرة . وفي رواية أخرى « والعنبر الورد » . والأردان : أطراف الأكمام ، مفرداه ردن . وشمل : شامل منتشر . يصف طيب رائحتها التى تنتشر منها ومن ثيابها فضلاً كل ما حولها برائحة المسك والعنبر والزنيق .

- ١٢ ماروضةٌ من رياض الحزن مُعشبة خضراءُ جاد عليها مُسِيلٌ هَطلُ  
 ١٣ يَضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ تَريقُ مؤزَّرٌ بَعِيمٍ التبت مَكْتَهِلُ  
 ١٤ يوما بِأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأَصْلُ  
 ١٥ عُلِقَتْها عَرَضًا ، وَعُلِقَتْ رجلا فِرى ، وَعُلِقَ أخرى غَيرَها الرَّجْلُ  
 ١٦ وَعُلِقَتْهُ فتاةٌ ما يَحاوِلُها مِن بنى عَمِّها مَيِّتٌ بها وَهْلُ  
 ١٧ وَعُلِقْتَنِي أُخَيْرِي ما تَلائِمُنِي فَاجْتَمَعَ الحُبُّ ، حُبٌّ كُلُّهُ تَبْلُ  
 ١٨ فَكُنَّا مُغْرَمَ يَهْدِي بِصاحبه ناءٍ ودانٍ وَمُجْبُولٌ وَمُحْتَبِلُ

(١٢) الحزن : الأرض المرتفعة ؛ ورياضها أحسن وأجود من رياض الوهاد المنخفضة . والمسيل

المطل : المطر الذى يسقط فوقها وتهطل مياهه .

(١٣) الكوكب هنا الزهر . والشرق : الريان المنلى ماء ونضارة . ومؤزَّر : ملفف . والبعيم :

التام النضج . والمكتهل : الذى اكتمل طوله إلى غايته وظهرت أزهاره . وقوله « يضحك الشمس »  
 أى يدور معها حيثما دارت .

(١٤) النثر : الرائحة الطيبة . والأصل ، جمع أصيل وهو وقت المساء من العصر إلى العشاء .  
 برسم الشاعر فى هذه الأبيات الثلاثة منظرا لهذه الروضة الخضراء التى تنتشر فيها الأزهار العطرة ليشبه  
 بها طيب رائحة صاحبه .

(١٥) علقها : أى أحبتها . وعرضا : أى على غير عمد ، وإنما كانت مصادفة .

(١٦) ما يحاولها : أى لا يريد لها ولا يبالغها . والوهل : الداهب العقل . وفى رواية أخرى  
 « نخل » .

(١٧) أخرى : أى فتاة أخرى صغيرة . والتبل : الداهب العقل أيضا . يقول إن هذا الحب  
 المتشابك كله جنون فى جنون . وواضح أن الأبيات الثلاثة كلها تهريج فى تهريج ، وعبث من الأعشى  
 كأنه هبث السكارى وعريضة المخمورين .

(١٨) المحبول : الذى وقع فى حباله الصياد وهى الشراك الذى ينصبه للصيد . والمحتبل : هو  
 الصياد الذى ينصب الحباله . يقول إن المسألة كلها محاولات للصيد ونصب الشراك . وفى رواية  
 أخرى يخطئها الأصمعى ويرفضها « نخبول ونخبيل » بالخاء فى الكلمتين .

- ١٩ صَدَّتْ هَرِيرَةٌ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا      جَهْلًا بِأَمِّ خَلِيدٍ! حَبَلٌ مَنْ يَصِلُ ؟  
 ٢٠ أُنْ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرَبَهُ      رَيْبُ الْمُنُونِ ، وَدَهْرٌ مُفْنِدٌ خَيْلُ ؟  
 ٢١ قَالَتْ هَرِيرَةٌ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا :      وَيْلِي عَلَيْكَ وَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ !!  
 ٢٢ إِمَّا تَرَيْنَا حَفَاةً لَا نِعَالَ لَنَا      إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَقْتَعِلُ  
 ٢٣ وَقَدْ أَخَالَسَ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتُهُ      وَقَدْ يُحَافِظُ مِنِّي ثُمَّ مَا يَسْئَلُ  
 ٢٤ وَقَدْ أَقُودُ الصَّبَا يَوْمًا فَيَتَّبِعُنِي      وَقَدْ يُصَاحِبُنِي ذُو الشَّرَةِ الْغَزَلُ

\* \* \*

(١٩) أم خليل هي هريرة . وقوله « جهلا بأم خليل » تعجب من جهلها لشأنه ، يريد أن صدها عنه كان جهلا منها . وقوله « حبل من يصل ؟ » يعني أي حبل تصله إذا لم نعلنا ؟ وأي رجل تحبه إذا لم تحبنا ؟ .

(٢٠) الأعشى : الذي لا يبصر بالليل . ربيب المنون : خشية الموت . والمفتد : المقصد ، روى بها البيت في رواية أخرى . والحبل : القاسد . وقوله « أن رأت » تقديره « أمن أن رأت » ، أي أمن أجل أنها رأت .

(٢١) تعبيرات نسائية خالصة يحكيها في الشطر الثاني ، وكان الأعشى — كاهن القيس من قبله — يجيد حكاية لثة النساء . وقد قال النقاد القدماء عن هذا البيت إنه أخذت بيت قائلته العرب .

(٢٢) « ما » في الشطر الثاني زائدة للتوكيد . يقول إن هذه سبيل في الحياة المنقضية التي لا تستقر على حال ، أجاريها في قلبها ولا أبالي بشئ .

(٢٣) يئس : ينجو ، والمساخي منه وآل ، ومنها الموثل . وفي رواية أخرى « وقد أراقب » . والبيت تصور لا يستتاره واحتاله من أجل الوصول إلى معشوقاته المتزوجات في غفلة من أزواجهن الذين لا يقدرون على النجاة من فتكه وديبه مهما يبالغوا في الحذر منه .

(٢٤) الشره : الخدة والنشاط ، ويريد بذى الشره أمثاله من الظلماء الذين يتطلقون خلف لثتهم في اندفاع لا يهدأ ، وخدة لا يفتقر نشاطها . وفي رواية أخرى « ذو الشارة » ، والشارة : الهيئة الحسنه ، يريد الشباب الجميل المتأنق الساعى خلف الحب والغزل .

- ٢٥ وقد غدوت إلى الخانوت يتبعني شاورٍ مشلّ شلّول شلّ شلّ شلّ  
 ٢٦ في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى ويتعل  
 ٢٧ نازعهم قُضِبَ الرِيحانِ متكِئاً وقهوة مُزّة راووقها خِضَل  
 ٢٨ لا يستفيقون منها ، وهى رَاهَنَةٌ ، إلا بهاتٍ ، وإن علّوا وإن نهّلوا  
 ٢٩ يسعى بها ذو زُجاجاتٍ ، له نَطَفٌ مُقَصَّصٌ أسفل السربالِ مُعْتَمِل  
 ٣٠ ومستجيبٌ تَحَالِ الصَّبْحِ يُسْمِعُهُ إِذَا تُرْجِعَ فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفُضْلُ

- (٢٥) الخانوت : الحانة ، والشاوى : الذى يشوى اللحم . والمشل والمشلول والشلل والشل والشول كلها ألفاظ مشتركة فى حروفها ومعانيها ، وهى تدل على الخفة والحركة والنشاط . وفى رواية أخرى « شاورٍ مشل شلّ شلّ شلّ شلّ » . من هنا يبدأ الأعرشى حديث النمر .
- (٢٦) يصف وفاته الذين غدا معهم إلى الحانة بأنهم فتيان فى نضرة الشباب وروضاءه وقوة هزيمته وهدنة نشاطه ، وهذا ما يدل عليه تشبيهه لهم بالسيف . وأنهم حريصون على الاستمتاع بالحياة حتى النهاية ، ما دامت النهاية محتومة لا مفر منها .
- (٢٧) نازعهم : أى تبادلتم معهم . والقهوة : النمر . والمزّة : التى فيها حرازة . والراووق : المصفاة . والخِضَل : الدائم الندى .
- (٢٨) الراهنة : التى أعدت لهم ، فهى دائماً رهن إشارتهم وتحت طلبهم . وقوله « إلا بهات » يريد به قولهم للساقى « هات » . يقول إنهم لا يكادون يفيقون من سكرهم حتى يطالبوا الساقى بالخريد . وإن علّوا وإن نهّلوا أى وإن شربوا مرة بعد مرة ، وأفراطوا فى شربهم ، من العال وهو الشرب مرة بعد مرة ، والهل وهو أول الشرب .
- (٢٩) النطف : أفراط المولود الصاقى ، مفرداً نطفة بفتح النون والطاء ، وفيها لغة أخرى بضم النون وفتح الطاء فى الجمع والمفرد . ومقلص : مشمر . والسربال : القديص . ومقلص السربال كناية عن النشاط والحركة . ومعتمل : أى دائب الحركة والنشاط . يصف الساقى الذى يدور عليهم بزجاجات النمر .
- (٣٠) المستجيب هنا هو العود كأن الصبح دعاء فاستجاب له . والصبح : « الصاجات » . والقينة : الجارية ، ويريد بها هنا المنعنة . والفضل : التى تلبس ثوباً واحداً لا يكاد يستر جسدها . وترجع : أى تردد العزف عليه .

٣١ والسَّاحِبَاتِ ذِيُولَ الرِّبْطِ آوَنَةً      والرافلاتِ على أعجازها العِجَلُ  
٣٢ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَوْمٌ قَدْ لَهَوْتُ بِهِ      وفي التجارب طولُ اللهو والغزلُ

\* \* \*

٣٣ وبلدةٍ مثلَ ظَهرِ الثُّرَيَّسِ موحشةٍ      للجنِّ بالليلِ في حافاتِها زَجَلُ  
٣٤ لَا يَتَنَمَّى لها بالقيظِ يَرْكَبُهَا      إلا الذين لهم فيما أتوا مَهَلُ  
٣٥ جاوزتها بطليحِ جَسْرَةِ سُرُجٍ      في مِرْفَقِهَا إذا استعرضتها قَتَلُ  
٣٦ بل هل ترى عَارِضًا قَدِيتُ أَرْمُقُهُ      كأنما البرقُ في حافاتِه شُمَلُ

(٣١) الربط : الثياب الرقيقة : جمع ربطة . وفي رواية أخرى « ذِيُولُ الخرز » وهو الحرير .  
والرافلات : اللاتي يجرون ثيابهن الطويلة في زهو وعيلاء ودلال . والعجل : جمع عجلة وهي قرية الماء ،  
يشبه أردافهن الثقيلة المثلثة بها .

(٣٢) يقول : هذه هي حياتي ، وهذه هي خلاصة تجربتي فيها : اللهو والغزل . وهذا البيت  
يحكم هذا القسم الملهي من معلقته ، أو هذا الجانب من جوانب تجربته في الحياة ، ليمسك الحدوث عن  
الجانب الجاد منها ، وهو الرحلة في الصحراء ، تعبيراً عن جانب آخر من جوانب الفنون الجمالية .  
(٣٣) مثل ظهر الثريس في عورتها وعشوتها وعدم استوائها . والزجل : الغناء .

(٣٤) يتنمى : يصعد ويرتفع . والقيظ : شدة الحر . والمهل : الاستعداد للامر قبل الإقدام  
عليه . يقول إن هذه البلدة الوعرة الموحشة لا يستطيع أحد أن يرتفع إليها إلا الذين لهم خبرة وهواية  
ومعرفة بوسائل الاستعداد لها .

(٣٥) الطليح : النافذة التي أحيها السفر وأرمتها الرحلة . والجسرة : الجريئة المأخوذة في طريقها  
دون تردد أو توقف . والسرَج : اللينة السير التي تنساب فوق الرمال في غير مشقة أو تعثر . والفنل :  
تبادل مرفق النافذة عن جنتيها ، وهي صفة محمودة في الإبل لأنها تعينها على الحركة اللينة السريعة . يصرف  
فاقته التي ركبا في اختراجه هذه الصحراء الوعرة الرهيبة .

(٣٦) ينقل هنا إلى وصف البرق الذي لاح له في ليل الصحراء في أثناء رحلته . العارض : السحابة  
تعرض الأفق . وأرمقه : أنظر إليه وأتأمله . وفي رواية أخرى « أرقبه » . يشبه البرق وهو يلعب  
في حافات السحاب بشعل النار التي تنوهج في الظلام .



- ٣٧ له رِدَافٌ وَجَوْزٌ مُفَامٌ عَمِلَ      مُنْطَقٌ بِسَجَالِ الْمَاءِ مُتَّصِلٌ  
 ٣٨ لم يُتَيْنِي اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَرُقُّهُ      وَلَا اللَّذَاذَةُ مِنْ كَأْسٍ وَلَا تُشْغُلُ  
 ٣٩ فقلتُ لِلشَّرْبِ فِي دُرْنَا وَقَدْ بَلَّوْا :      شَبِعُوا، وَكَيْفَ يَشْبِعُ الشَّارِبُ الثَّلْثُ ؟  
 ٤٠ قَالُوا : نُمَارِئُ بَطْنُ الْخَالِ جَادَهُمَا      فَالْعَسْجَدِيَّةُ فَالْأَبْلَاءُ فَالرَّجُلُ  
 ٤١ فَالسَّفْعُ يُجَرِّى فَيُخْزِرُ فَبُرْقُهُ      حَتَّى تَدَافِعَ مِنْهُ الرُّبُوفُ فَالْجَبَلُ  
 ٤٢ حَتَّى تَحْمَلَ مِنْهُ الْمَاءَ تَكْلِفَةً      رَوْضُ الْقَطَا فَكُنَيْبُ الْغَيْبَةِ السَّهْلُ  
 ٤٣ يَسْقِي دِيَارًا لَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ غَرَضًا      زُورًا تَجَانَفَ عَنْهَا الْقَوْدُ وَالرَّسَلُ

\* \* \*

(٣٧) الرداف : سحاب يتقدم من خلف سحاب كأنه رديف له . والجوز : الوسط . والمفام : العظيم الواسع . والعمل : الدائم البرق . والسجال : جمع سجل وهو الدلو الكبيرة . ومنطق يسجاله الماء أى أن الماء يحيط به من كل جانب .

(٣٨) البيت يعكس فتنه بالطبيعة التي لم يشغلها عنها لونه ولا لذته .

(٣٩) الشرب : ندائى الشراب . ودُرْنَا : اسم مكان بأرض اليمامة . وشبعوا : أى انظروا إلى البرق وقدرُوا أين يسقط مطره . والذبل : السكران .

(٤٠) جادهما : أى سقاها . والأسماء المذكورة في البيت كلها أسماء مواضع .

(٤١) تدافع منه : فاض منه ، والضبير في « منه » يعود على السيل . والأسماء المذكورة في البيت كلها أسماء مواضع أيضا . وهو في البيتين يحدد أسماء المواضع في المنطقة الواسعة المتعدة بينها التي أصابها السيل .

(٤٢) الأسماء المذكورة في الشطر الثانى أسماء مواضع أيضا . وتحمل تكلفة : أى تحمل ما لا يطيق إلا على مشقة ، وهى منصوبة على الحال . يقول إن هذه المواضع تحملت من السيل مياهها غزيرة لا تتكاد تطيقها . وفى رواية أخرى « حتى تضمن عنه الماء » .

(٤٣) الغرض : الهدف ، يقول إن هذه الديار أصبحت هدفا للأقطار التي أصابتها . وزورا : أى انزورها الناس لعزة أهلها ومنتهم . وتجانف : تجنب وتباعده . والقود : الخيل . والرسل : الإبل . يريد أنهم أعزاء لا يجزى أحد على غزوهم ، ولذلك تجنبت أرضهم خوفا من الغزاة وإيلافهم . وهذا البيت ينتهى القسم الثانى من المعلقة .

- ٤٤ أبلغ يزيد بنى شيبان مألكتة : أبا ثبيت أما تنفسك تأنكل ؟  
 ٤٥ ألسمت متنيا عن تحت أثلتنا ؟ ولست ضائرها ما أطت الإيل  
 ٤٦ كناطح صخرة يوما ليقلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل  
 ٤٧ تُغرى بنا رهط مسعود وإخوته عند اللقاء فتردى ثم تسترل  
 ٤٨ لا تقعدن وقد أكلتها حطبا تعود من شرها يوما وتبتل  
 ٤٩ إني لعمري الذي حطت مناسمها تحدى ويسبق إليها الباقر الغيل

(٤٤) من هنا يبدأ القسم الثالث من المعلقة ، وهو الهجاء الذى يصبه على يزيد بنى شيبان ، والوعيد الذى يوجهه إليه . المألكتة : الرسالة . وأبو ثبيت كنية يزيد . وتأنكل : تأكل نفسك من الفيت ، من أشكل الرجل إذا غضب وهاج وكأنه يأكل بعضه بعضا .

(٤٥) الأثلة : شجرة الأثل ، ضربها مثلا لعزة قومه ومراقبة أصلهم وثبات مجدهم . وأطت الإيل : أنت تعبا أرحيتنا ، يريد مدى الدهر . ويريد بنحت الأثلة : التشهير بهم ، ومحاولة الإساءة اليهم ، والتحويل من شأنهم .

(٤٦) الوعل : تيس الجبل . وفي رواية أخرى « ليونها » .

(٤٧) تردى : تهلك ، من الردى وهو الهلاك . وتسترل : أى تعزل القتال . يقول له إنك توقع بيننا وبين القبائل ، وتشير نيران الفتنة المدمرة المهلكة ، حتى إذا ما اشتعلت اعتزلت القتال وتركت القبائل تتقاتل .

(٤٨) أكلتها : أجبعتها . وتبتل أى تدع الله بأن بنجيك من شرها . والبيت تأكيد لمعنى البيت السابق : إشعال الفتنة ثم التهرب منها .

(٤٩) حطت : أسرع ، ويرى الأصمعي أن هذه الرواية لا معنى لها هنا ، وأن صوابها « شطت » (بالضاد) أى هيجت التراب بمناسمها ، وهى أطراف أشفاقها . وتحدى : تسيير سيراً شديداً فيه اضطراب لشدة . والباقر : البقر ، أو وجمع البقر . الغيل : جمع غيل (يفتح فسكون) وهو الكثير . وفي رواية أخرى « حطت مناسمها له وسبق إليه الباقر العئل » ، والعئل (بضتين) : الجماعة الكبيرة . يقم بالإيل التى تحمل الحجيج إلى الكعبة وهم يسوقون أماهم الهدى قطعاً كبيرة من البقر .

٥٠. لئن قَتَلْتُمْ عَمِيداً لم يكن صَدَدًا      لَنَقْتُلَنَّ مثله منكم فَنَمْتَشِلُ  
 ٥١. لَا تَنْتَهَوْنَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطِيط      كَالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَيْتُ وَالْقَتْلُ  
 ٥٢. حَتَّى يَظُلَّ عَمِيدُ الْقَوْمِ مُرْتَفِقًا      يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نَسْوَةٌ عَجُجُلُ  
 ٥٣. أَصَابَهُ هُنْدَوَانِيٌّ فَأَقْصَدَهُ      أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ مَعْتَدِلُ  
 ٥٤. كَلَّا ، زَعَمْتُمْ بَأَنَّا لَا نَفَاتِلُكُمْ      إِنَّا لَا مِثَالَكُمْ يَا قَوْمَنَا قَتْلُ  
 ٥٥. نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْحِنُوِّ ضَاحِيَةٌ      جَنَبِيْ فُطَيْمَةٍ لَا مِيلَ وَلَا عَزْلُ

(٥٠) العميد : السيد الذي يعتمد عليه . ولم يكن صددا : أى لم يكن مماثلا أو نظيرا لمن قتلناه منكم . ونمتل : نقتل الأمثل فالأمثل . يتوعدهم بالنار والانتقام .

(٥١) كالطعن : أى مثل الطعن فاعل للفعل « ينهى » . يهلك فيه : أى يذهب فيه لا تساعه . والقتل : جمع قَتِيل . يتوعدهم بطعنات تصيبهم بجراح فائرة يذهب فيها الزيت والفتائل التى تتخذ للملاجهما .

(٥٢) مرتفقا : متكئا على مرفقيه لسقوطه على أرض المعركة . والراح : جمع راحة وهى بطن الكف . والعجل : جمع عجول وهى الشكى الخريضة . يصف نهاية المعركة وقد سقط سيد القبيلة على الأرض ، ولقى رجالها مصارعهم ، ولم يبق إلا تساوها الشكالى يحاولون الدفاع عن سيدها وحمايته . ويحتمل أن يكون المعنى أن سيد القوم قد قتل وسقط صريحا ، ونساء القبيلة يدفنن عنه أن تطأه أقدام المقاتلين .

(٥٣) الهندوانى : السيف . وأقصده : أصابه . والذابل من الرماح : الصلب المقوم . والخط : مدينة على ساحل الخليج بالبحرين كانت مشهورة بصناعة الرماح .

(٥٤) كَلَّا : أداة ردع وزيبر . وقتل : جمع قَتول ، صيغة مبالغة . يفتخر بشجاعة قومه ، ويزبر خصوصهم عن أن يظنوا فيهم ضعفا أو تخاذلا .

(٥٥) يوم الحنو : يوم من أيام قبيلته التى انتصرت فيها . وضاحية : علانية ، يقال فعل هذا الشيء ضاحية . فطيمة : اسم مكان . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لا يثبت فى القتال . والعزل : جمع أعزل ، وهو الذى لا يحمل سلاحا فيضطر إلى اعتزال الحرب .

- ٥٦ قالوا: الطَّرادُ، فقلنا: تلك عادتنا أو تنزلون فإننا معشرٌ نُزِلُ  
٥٧ قد تخضبُ العيرُ في مكنونِ فائله وقد يشيطُ على أرماحنا البطلُ

\* \* \*

- (٥٦) الطراد : المطاردة بالرمح . وتنزلون : أى تنزلون عن ظهور الخيل للجائفة بالسيوف .  
وفي رواية أخرى للشر الأول « إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا » .  
(٥٧) العير : الحمار الوحشى . والفائل : عرق يجرى من الجوف إلى الفخذ ، ويشيط :  
يهلك ، أو يرقع مريعا على أسنة الرماح . وافتخاره فى الشر الأول بإصابة العير فى مكنون فائله ومن  
تغيرتهم ومهارتهم فى إصابة المقاتل ، وهى المراضع الفائلة فى جسم الإنسان .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٢ )

## لامية عكاظ

\* \* \*

تعد هذه اللامية الطويلة التي تبلغ خمسة وسبعين بيتا من روائع شعر الأعشى ،  
ويضعها بعض الرواة بين المعلقات العشر بدلا من لاميته الأخرى المشهورة « ودَّعْ  
هَريرة » ، ويقولون إنها القصيدة التي أنشدتها بين يدي النابغة في سوق عكاظ ،  
فأعجبته وحكم بتفضيلها على قصيدة حسان بن ثابت ، مما أثار اعتراضه وغضبه .  
وموضوع القصيدة الأساسى المدح ، مدح الأسود بن المنذر أحد أمراء الحيرة .  
وهي تبدأ بمقدمة الأطلال التقليدية التي يقف بها الشاعر وقد تقدمت به السن ،  
فينكر وقوفه بها وسؤاله الذي لا ترده عليه . ثم يمضى إلى حديث صاحبته ورحلتها ،  
وبعد ما بينه وبينها من صحراء مترامية الأطراف بعيدة الآفاق ، ويستعيد ذكراها  
البعيدة ، ويتغنى بحالها ، ثم يعود فيتذكر شبيهه الذي باعد بينه وبين لهو الشباب ،  
فينصرف عن ذكرياته إلى الصحراء يصف رحلته فيها وراحلته التي حملتها ، ويشبهها  
بحمار وحشى ، ثم ينتقل — على جسمي أقامه من حديث يوجهه إلى ناقلته — إلى  
مدحها فيطيل في مدحه إطالة ملحوظة تمتد تسعة وثلاثين بيتا حتى نهاية القصيدة ،  
يمدحه فينوّه بأصله العريق ، وسجايه الحميدة ، وعطاياه الكثيرة ، ويصف جيشه  
وقوته وعدته وعتاده ، ويسجل بعض انتصاراته ، ثم يختم مدحه بدعاء له ولأسرته  
بدوام النصر ودوام الخلود .

والقصيدة — كدائخ الأعشى الطويلة — تمتاز بالفخامة والضخامة والجزالة والإطالة الملحوظة في وصف الناقة وفي حديث المدح ، وهما — مع حديث النحر — يمثلان المحاور الثلاثة الأساسية التي يدور حولها أكثر شعر الأعشى : النحر والناقة والمدح. وشعره في هذه الموضوعات الثلاثة يعكس صورة دقيقة للدور الكبير الذي قام به الأعشى في حركة الشعر في العصر الجاهلي ، والذي ارتقى به — عن جدارة — إلى تلك القمة الشاخنة التي احتلها بين شعراء الجاهلية الأربعة الكبار .

والقصيدة — ككل شعر الأعشى — غنية بالنغم الموسيقي الذي يحرص فيه على الملاءمة الصوتية بين الألفاظ والمعاني ، وتحقيق أكبر قدر من الانسجام بين الشكل والمضمون . ويظهر فيها ذلك الحس الحضاري الموهف في اختيار عناصر الصورة — وبخاصة في مجال المدح ومجال النحر — وفي ظهور بعض الألفاظ الأجنبية الفارسية في بنائها اللغوي .

\* \* \*

- ١ ما بكاء الكبير بالأطلال ؟      وسؤال ؟ فهل تردُّ سؤال ؟
- ٢ دمنة قفرة تعاورها الصبي      بف بريحين من صبا وشمال
- ٣ لات هنا ذكرى جبيرة أو من      جاء منها بطائف الأهوال

(٢) تعاورها الصبي : أي تبادل عليها مرة بريح الصبا الشرقية ، ومرة بريح الشمال . والبيت يذكرنا ببيت امرئ القيس المشهور :

فتوضح فالمفراة لم يعف رسمها لما نسجت من جنوب وشمال

(٣) لات بمعنى ليس ، وأصلها « لا » والناء فيها تاء التأنيث ، وهنا ( بالتشديد ) : لغة في هنا ، ومعنى هذا التعبير ليس الآن وقت ذكرها . وجبيرة : أمم صاحبته . والطائف : الطيف ، وأضافه إلى الأهوال لأنه اخترق أهوال الصحراء في زيارته له . وهو يذكرنا بقول تأبط شرا في مطلع قافيته المفضلية : « ومر طيف على الأهوال طراق » .

- ٤ حَلَّ أَهْلِي بطنَ الغَمِيسِ قَبَادَوْ      لَى ، وَحَلَّتْ عَلْوِيَّةٌ بِالسَّخَالِ  
٥ تَرْتَبِي السَّفْحَ فَالْكُثِيبَ فَذَا قَا      رِ فَرَوْضَ الْقَطَا فذَاتَ الرِّثَالِ  
٦ رَبِّ تَرْقِ مِنْ دُونِهَا يُخْرِسُ السَّفْدَ      رَ ، وَيمِيلُ يُفِضِي إِلَى أَمِيَالِ  
٧ وَسِقَاءٍ يُوكِّي عَلَى تَأَقِ الْمَلِّ      ءَ ، وَسَسِيرَ ، وَمُسْتَقَى أَوْشَالِ  
٨ وَادَّلَاجٍ بَعْدَ الْمَنَامِ ، وَتَهْجِي      رِ ، وَقُفِّ وَسَبَسِ وَرَمَالِ  
٩ وَقَلِيبٍ أَجَنِّ كَأَنَّ مِنَ الرَّيدِ      شِ بِأَرْجَائِهِ لُقُوطَ نِصَالِ

(٤) حلوية : أى فى مآلية نجد ، حال من «حلت» . والأسماء المذكورة فى البيت أسماء مواضع ، وكذلك الأسماء المذكورة فى البيت التالى . يذكر فى البيتين منازل أهله ومنازل أهلها ، لئلا يتركها ديارهما ، وكأنه يقول ما جدوى البكاء وما جدوى الذكريات بعد أن باعدت الحياة بيننا ؟

(٦) الخرق : الصحراء المترامية الأطراف كأن الرياح تحرقها . والضمير فى «دونها» يعود على صاحبتها . والسفر : المسافرون . وضمير الفاعل فى «يخرس» يعود على الخرق ، وقوله «يخرس السفر» كناية عن اتساع هذه الصحراء ، وامتداد طرقها ، وما يعانيه المسافرون من جهد فى اختراقها ، حتى تقطع حبال الأحاديث بينهم . والميل : المسافة البعيدة . يؤكد مرة أخرى بعد ما بينه وبين صاحبتها ، وتباعد ما بين دياره وديارها .

(٧) السقاء : قرية الماء . ويوكي : يربط ، من الوكاء وهو ما يشد به عنق السقاء . والتأق : الامتلاء . وتأق الماء : أى نهاية امتلاء السقاء بالماء . والأوشال : المياه القليلة فوق سطح الأرض ، مفردة وشل (بفتحيتين) . يستمر الشاعر فى تأكيد بعد المسافة بينه وبين صاحبتها وتباعد ما بين ديارهما . المسافة بعيدة تحتاج من المسافرين إلى ملء قريهم بالماء حتى نهايتها ودر بطها حتى لا يتسرب منها الماء ، ويحتاج إلى سير طويل شاق ، واستقاء للماء من الأوشال المتناثرة على امتداد الطريق .

(٨) الإدلاج : السير طول الليل . والتهجير : السير فى الهجرة وهى وقت الظهيرة . والقف : الأرض الغليظة للمعصرة . والسبب : الأرض المستوية الممتدة مسافات طويلة .

(٩) القلب : البئر . والأجن : الذى تغير مائه لونا وطعما . والقوط : ما يلتقط بما تناثر على الأرض ، جمع لقط (بفتحيتين) . يشبه ريش الطيور المتناثر حول الماء الذى تجتمع حوله لإطعام صغارها من طيب الصحراء بقطع النصال المتناثرة فوق الأرض . وصورة تناثر ريش الطيور حول مناهل المياه البعيدة فى أعماق الصحراء تزداد كثيرا فى الشعر العربى القديم ، وهذه الطير عادة هى القمل لأنها أصغر الطير على جو الصحراء وأبعدها طيارا وإبعادا فى الصحراء .

- ١٠ فلئن شط بي المزار لقد أغد . بدو قليل الموم ناعم بال  
 ١١ إذ هي الهم والحديث ، وإذ تَعَدَّ . يصي إلى الأمير ذا الأقوال  
 ١٢ ظبية من ظباء وجرّة آدماء . تُسَفِّ الكِبَاثَ تحت الهدال  
 ١٣ حُرّة طفلة الأنايل ترتب (م) سُحَامًا تكفّه بخلال  
 ١٤ وكان السموط عكفها السد . لك يعطني جيداء أم غزال  
 ١٥ وكان الخمر العتيق من الإسفند . يط ممزوجة بماء زلال  
 ١٦ باكرتها الأغراب في سِنَّة النوى . مع فتجري خلال شوك السبال

(١٠) يستعيد الشاعر هنا ذكريات ماضيه مع صاحبه قبل بعدها عنه .

(١١) الهم : الشاغل الذي يشغله . « والى » أى من أجل . والأمير : يريد به ولى أمرها ، وهو

— فى أغلب الظن — زوجها . وذكر المرأة المتزوجة يتردد كثيرا فى غزل الأحنى .

(١٢) رجة : منطقة فى الجزيرة العربية مشهورة بظليانها ، يتردد ذكرها كثيرا فى الشعر القديم .

والأدماء : البيضاء . والكباث : ثمر الأراك . والهدال : النصوص المتبدلة . يشبه صاحبه بهذه الظبية فى وضع من أجل أوضاعها ، وهى تمد عنقها فى ظلال شجر الأراك لتناول ثمره .

(١٣) الطفلة : الناعمة اللينة . وترتب : معنى يده وتنيه . والسحام : السواد ، يريد شمسها الأسود . والخلال : المشط ، لأنه يتخلل الشعر . وتكفّه : تجمعه وتضمه .

(١٤) السموط : العقود ، جمع سمط . وعكفها : ثناها فالتفت حوله . والجيداء : الطويلة

العتق . واختار الصورة الظبية الأم لأنها حين ترفع رأسها لتطمئن على صغيرها يدهو جيدها الطويل فى أجل أرضاه .

(١٥) الإسفند : كلمة فارسية معربة ويراد بها أجود أنواع الخمر المتخذة من أجود العنب .

(١٦) الأغراب : جمع غرب (بفتح فسكون) ، وهى الكأس أو جام الفضة ، ويجوز أن يكون

معناها كثرة الريق . والسبال : ثبات صحرانى له شوك أبيض طويل إذا نزع نزع منه اللبن ، والعرب يشبهون به الأسنان فى بياضها وصفائها . يصف عذوبة ثمر صاحبه وطيب ريقه ، ويتخيل أن ثمره مستقة ممزوجة بالماء العذب خالطته فهى تجمرى بين أسنانها الجميلة البيضاء الصافية ، ويتخير لذلك وقت الصباح الباكر ، وهى بين البقطة والنوم ، وكأنه يقول إنها فى هذا الوقت الذى تتغير فيه الأقواء تكون أطيب رائحة وألذ طعما .



١٧ فاذهبي ما إليك ، أدركني الحلد م ، عدائي عن ذكر كرم أشغالي

\* \* \*

١٨ وعسير أدماء حادرة العية بن خنوف عيرانية شملال

١٩ من سرة الهجان صلبها العض (م) ورعى الحمى وطول الحبال

٢٠ لم تعطف على حوار ، ولم يقطع عبيد عروقها من نحمال

٢١ قد تعللتها على نكظ المية بط ، وقد خب لامعات الآل

٢٢ فوق ديمومة تنول بالسف سر قفار إلا من الآجال

(١٧) ما إليك : أى ما سبيل إليك . وعدائي : صرفي . يقول لها : لقد انتهى عهد الشباب والنصاي ، وأدركني الشيب والتقل ، وشغلني عن ذكرك شواغل الحياة . وإلى هنا تنتهي مقدمة القصيدة ، ليبدأ حديث الرحلة والناقة والصيد .

(١٨) العسير : الناقة ترفع ذنبها في عدوها أو الناقة لم تحمل في عامها . والأدماء : البيضاء ، ويقول القنويون إن الأدمة في الإبل والظباء البيضاء ، وفي الإنسان السمرة . وحادرة العين : صلبة العين . والخنوف : النسيطة التي تميل برأسها نحو راحها . والعيرانة : التي تشبه العير وهو الجمار الوحشي . والشملال : السريعة .

(١٩) من سرة الهجان : أى من خيار الإبل الكريمة . والعض ( بالضم ) : حلف الإبل . والحبال : عدم الحمل . يقول إنها ناقة من أكرم الإبل قوى عودها وشده من علفها الجيسد ، ورعيها في حمى القليلة كيف تشاء ، وعدم حملها .

(٢٠) الحوار : ولد الناقة أول ولادته . ولم تعطف : أصلها لم تتعطف ، حذف إحدى التاءين تخفيفاً . وحيد : صغير عبد . والنمال : داء يصيب قوائم الإبل . والبيت استمرار في تصوير قوة هذه الناقة ونشاطها وفتائها .

(٢١) تعللتها : استخرجت أقصى ما عندها من السير . والنكظ : الجهد وشدة الحال في السفر . والميط : البعد . وقوله « على نكظ الميط » : أى على شدة البعد . ونخب : ارتفع أو أسرع ، والكلبة هنا تحتدل المعنين . والآل : السراب .

(٢٢) الديمومة : الصحراء الامية الأطراف . وتنول : أصلها تنول ، حذف إحدى التاءين تخفيفاً ، بمعنى تضل وتهلك . والآجال : قطعان البقر الوحشي ، جمع لاجل .

- ٢٣ وإذا ما الضلال خيف وكان الـ -ورد نحساً يَرْجُونَهُ عن لَيْالٍ  
 ٢٤ واستُحِتَّ المُغْسِيرونَ مِنَ القو م ، وكان النطافُ ما في العزالي  
 ٢٥ مَرَحَتْ حُرَّةٌ كَقَنْطَرَةِ الرومي (٢) تَقْفِرِي الهجيرَ بالإرقالِ  
 ٢٦ تَقَطَّعَ الأَمْعَزَ المُكْوَكَبَ وَخَدًا يَنْوِجُ مَسْرِعَةٍ الإيفالِ  
 ٢٧ غَنَّتْ رِيَسٌ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السَّو ط كَعْدُو المَصْطَلِ الجوالِ

(٢٣) الورد: ورود الإبل الماء للشرب، وعكسه الصدر وهو رجوعها عنه بعد الشرب. والخمس: ورود الإبل الماء بعد خمسة أيام من إعطاشها، والعرب يفعلون ذلك أحياناً عندما يشح الماء. يصف الصحراء بأنها مقاربة الآفاق، متشابهة المعالم، يحشى فيها الضلال، وأنها مفرقة قليلة الماء، لا تشرب فيها الإبل إلا كل خمس ليال.

(٢٤) المغيرون: الذين يغيرون رواحلهم ويستبدلون بها غيرها عند إحسانها بالنمب. والنطاف: جمع نطفة وهي بقية الماء. والعزالي: قرب الماء، مفرداً عزلاء. يصف بعد الرحلة ومشقتها وقلة الماء بين أيدي المسافرين.

(٢٥) مرحت حرة: أي أسرع متعلقة لا يقف في طريقها شيء، والضمير فيها يعود على الناقة. ووجه الشبه في تشبيه ناقته بقنطرة الرومي العلو والضخامة، وهو تشبيه سبقه إليه طريقة في معلقته:

كقنطرة الرومي أقسم ربيها لتكثفن حتى تشاد بقمرمد

وتقفرى: تقطع وتشق. والهجير: الهجرة عندما يشتد الحر في الصحراء في وقت الظهيرة. والإرقال: الإبراع، وهو ضرب من عدو الإبل.

(٢٦) الأمْعَز: الأرض الفليطة الوعرة. والمكوكب: المتوقد من الحر. والوخد: ضرب من السير السريع الراسع الخطوات. والنواجى: القوائم، جمع ناجية. والإيفال: المبالغة في المبرعة والاندفاع في السير والإيعاد فيه.

(٢٧) الغنتريس: الصلبة القوية المتينة البنيان. والمصطل الجوال: يريد به الحمار الوحشى. المصطل: الذى ين صوته لشدة تهبه. والجسوال: الدائب الحركة الذى لا يستقر في مكان. يشبه ناقته بحمار من حمار الوحش.

- ٢٨ لآحه الصيف والصيال وإشفا قُ على صَعْدَةٍ كَقَوْسِ الضَّالِّ  
 ٢٩ مُلَمِّعٍ لآعَةِ الْفَسَادِ إِلَى بَحِّ شِيشَ فَلَاهُ عَنْهَا فَيُتَسَّ الْفَالِ  
 ٣٠ ذُو أَذَاةٍ عَلَى الْخَلِيطِ ، خَبِيثُ الْ نَفْسِ ، يَرِيحِي مَرَّافَهُ بِالنَّسَالِ  
 ٣١ غَادَرِ الْحَشِّ فِي الْغُبَارِ ، وَدَّ هَا حَثِيثًا لِصُورَةِ الْأَذْحَالِ  
 ٣٢ ذَاكَ شَبَّهْتُ نَاقِي عَنِ يَمِينِ الْ رَّغْنِ يَعْدُ الْكَلَالِ وَالْإِعْمَالِ  
 ٣٣ وَتَرَاهَا تَشْكُو إِلَى ، وَقَدْ آ لَتْ طَلِيحًا تُحْدِي صُدُورَ النَّعَالِ

(٢٨) لآحه : فيره وأضميره . والصيال : المصاولة ، يريد مصاولة غيره من الخمر الوحشية .  
 والصعدة : الأتان . والضال : شجر من أشجار البادية يتخذون منه القسي .

(٢٩) الملحم : الحامل ، من ألمعت إذا رفعت ذنبها ليعلم أنها قد لقحت . واللاعة : الجوزع .  
 وفلاه : أبده وعزله : يقول إن هذه الأتان ملقحة القلب إلى صغيرها الذي أبده عنها زوجها ليخلو  
 له الجو معها ، أولأنه يفارطها منه ، وكلتا الصورتين تتردد في الشعر القديم .

(٣٠) الخليلط : قطع الخمر المجتمع في هذه المنطقة . المرائخ : المكان الذي يتمرغ فيه . والتسال :  
 ما تساقط من شمره أثناء تمرغه . ووصف الخمار بأنه « خبيث النفس » لأنه عزل عن أثناء صغيرها  
 وزكها تصان أسفها عليه وحزنها ولوعتها . ووصفه بأنه « ذو أذاة على الخليلط » لأنه لا يكف عن  
 مصاولة غيره من الخمر ، وعرضه لها ، ليطردها بعيدا عن أثناء التي يريد أن يستأثر بها لنفسه .

(٣١) عداها : طاردها وأبعدها . والصوة : حجر يكون علامة في الطريق ، أو دأ غلط من  
 الأرض وارتفع . والأدحال : جمع دحل ( يفتح فسكون ) وهو نقب ضيق أعلاه ، متسع أسفله ، يسمح  
 بالمشي فيه ، أو هو حفرة في الأرض تتجمع فيها المياه .

(٣٢) الرغن : التواء البارز في جنب الجبل . والكلال : التعب والإعياء . والإعمال : السير  
 السريع . يشبه ناقته في قوتها وصلابتها وتحملها مشاق الرحلة بهذا الخمار الوحشي ، ويقول - في شيء من  
 المبالغة - إنها تشبه لافي حالة نشاطها ، ولكن في حالة تعب وإرهاقها وإعيائها .

(٣٣) آلت : تحولت . وطيحا : متعبة مرهقة . « وتحذى صدور النعال » أي أنهم البسوها  
 أخفاها من الجلد تحي أقسامها من وعورة الأرض وطول الرحلة . وكان العرب يفعلون ذلك بإبائهم في  
 أسفارهم الطويلة .

- ٣٤ نَقَبَ الخُفَّ للسرى ، فَتَرَى الاز سَاعَ مِنْ حِلِّ سَاعَةٍ وَارْتِحَالِ  
 ٣٥ أَثَرْتُ فِي جَنَاحَيْنِ كِلَارَايَةِ ال حَيَّتِ عُولَيْنِ فَوْقَ عُوْجِ رِسَالِ  
 ٣٦ لَا تَشْكُنِي إِلَى مِنْ أَلَمِ النَّسَةِ يَج ، وَلَا مِنْ حَفَى وَلَا مِنْ كَلَالِ  
 ٣٧ لَا تَشْكُنِي إِلَى ، وَاتَّبَعِي الْأَسَدَ وَدَ أَهْلَ النَّدَى وَأَهْلَ الْفَعَالِ

\* \* \*

- ٣٨ فَزَعُ تَبِعَ يَهْتَرُ فِي عُصْنِ الْمَجِدِ ، غَزِيرُ النَّدَى ، شَدِيدُ الْمَحَالِ  
 ٣٩ عِنْدَهُ الْحَزْمُ وَالتَّقَى وَأَسَا الصَّدَّ ع ، وَحَمَلُ الْمُضْلِجِ الْأَثْقَالِ  
 ٤٠ وَصَلَاتُ الْأَرْحَامِ ، قَدْ عَلِمَ النَّاسُ ، وَفَكَ الْأَسْرَى مِنَ الْأَغْلَالِ

(٣٤) نقب الخف : تشققه وتآكله لكثرة السير ووصورة الأرض ، وهو مفعول به للفعل « تشكو » في البيت السابق . والأنساع : جمع نسع ( بكسر فسكون ) وهو حزام تشد به الأحمال فوق ظهور الإبل . والحل : الزول ، عكس الارتحال .

(٣٥) الجناحين : عظام الصدر . والإران : التابوت يوضع فيه الميت ، والتشبيه في الصلاة والقوة ، وهو تشبيه ورد في معلقة طسرفة « أ.ون كألواح الإران » . وهولين : ارتفعن . والعوج : صفة للقوائم . والرسال : المهلة السير . والضمير في « أثرت » يعود على الأنساع في البيت السابق ، يقول إن هذه الإنساع لكثرة ما شددت وحلت مع الزول والارتحال أثرت في عظام صدر الناقة القوية .

(٣٦) لا تشكى : أى لا تشكى ، خففت إحدى التائين ، والخطاب للناقة تمهيدا لعبور الشاعر من حديث الرحلة إلى حديث المدح الذى سيبدأ مع البيت التالى .

(٣٧) الأسود بن المنذر الخنسي من سادة النخاسة الذين كان الأهلى يتردد عليهم لدعهم . والندى : الكرم . والفعال ( بالفتح ) : لسان الطيبة .

(٣٨) النبع : شجر تتخذ منه القمى ، يضربون به المثل في الصلاة والاستواء . والمحال : القوة . (٣٩) التقى هنا بمفهومه الجاهلى يراد به الحذر والانتقاء . والأسا : الدراء . والصعد : الشق . يريد أنه يعمل على إصلاح ما بين الناس من تصدع . وفى الديوان « الصرع » وهو تعجريف . والمضلع : الذى يرهق الضلوع ، ويريد بمضلع الأثقال الأعباء الثقيلة التى يقصدها الناس لتخفيفها عنهم .

- ٤١ وهوان النفس العزيزة للذكور إذا ما التقت صدور العوالى  
 ٤٢ وعطاء إذا سألت إذا العذوة رة كانت عطية البغال  
 ٤٣ ووفاء إذا أبرت ، فما غر (م) ت جبال وصلتها بجبال  
 ٤٤ أريحي صلت يظل له القو م ركوذا قيامهم للهلل  
 ٤٥ إن يعاقب يكن غراما ، وإن يعط جزيلا فإنه لا يبالى  
 ٤٦ يهب الجلالة الجراح كالبس نتاب تحنو لدردي أطفال  
 ٤٧ والبغايا يركضن أكسية الإض سريح والشرعي ذ الأذال

(٤١) العوالى : الرماح ، والنقاء صدورها كناية عن الحرب . ومعنى البيت أن هذا المدح لا يبالى بما يصيبه في غمرات الحرب من أجل حرصه على الذكر الطيب والسبعة الحسنة .

(٤٢) العذوة : الاعتذار . يقول إنه يعطى إذا سئل ، في الوقت الذى يكون فيه الاعتذار هو صطاء البخل .

(٤٣) غرت : ضعفت . يقول إنه وفى لمن يستجيبه ، لا يتخلى عنه ، ولا ينقطع حبال العهد التى وصلها بجباله .

(٤٤) الأريحي : الكريم الذى يرتاح للكرم . والصلت : الماضى إلى هدفه فى غير تردد . والركود : الذين لا يتحركون . يمدحه بالكرم الذى يصدر عن نفس راضية ، والعزيمة الماضية التى لا تتردد ، ويصف وقوف الناس له فى صمت وخشوع كقيامهم للهلل يرقبون ظهوره .

(٤٥) الغرام هنا بمعنى الهلاك والعذاب والشر الدائم . وفى القرآن الكريم فى صفة جهنم « إن عذابها كان غراما » (الفرقان ٦٥) .

(٤٦) الجسله : الإبل الكبيرة . والجراح : الضخام . والبستان : النخل ، فارسي معرب . والدردي : الصغار . يمدحه بأنه يعطى النوق الضخام ومعها فصلاتها الصغار .

(٤٧) البغايا هنا بمعنى الجواري والإماء . ويركضن هنا بمعنى يبحرون وراهن . والإسريح : الحرير الأصفر . والشرعي : الحرير الأحمر . يمدحه بأنه يعطى أيضا الجوارى الجميلات المختلات فى ثياب الحرير السابغة الملونة .

- ٤٨ وجياداً كأنها قُضِب الشو حِط تعدو بِشِكَّة الأبطال  
 ٤٩ والمكَّا كيك والصِّصاف من الفِضَّة (٢) ية والضَّامزات تحت الرِّحال  
 ٥٠ رَبِّ حَيَّ أَشْقَاهُمْ آخِرَ الدهر ر ، وَحَيَّ سَقَاهُمْ يَسْجَالَ  
 ٥١ فَأَرَى مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْذُو لا ، وَكَعْبُ الذِي يُطِيعُكَ عَالِي  
 ٥٢ أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ مِنْ أَلْفٍ مِنَ الْقَو م إِذَا مَا كَبْتُ وَجْوهُ الرِّجَال  
 ٥٣ جُنْدُكَ التَّالِدُ الْعَتِيقُ مِنْ الد ساداتِ أَهْلِ الْقِيَابِ وَالْأَكَالِ  
 ٥٤ غَيْرُ مَيْلٍ وَلَا عَوَاوِيرَ فِي الْهَيْد سَجَا وَلَا عَزْلٍ وَلَا أَكْفَالِ

(٤٨) الشوحط : شجر صحراوي تتخذ منه القسي كشجر النبق . والشكة : السلاح . يمدحه بأنه يعلى فوق هذا كله الخيل القوية الصلبة التي هيئت للقتال .

(٤٩) المكَّا كيك : جمع مكوك وهو طاس يشربون به . والصصاف : الأطباق جمع صصفة . والضامزات : النوق الوديعه التي لا ترعو ولا تنجبر .

(٥٠) السجَال : جمع سجيل ( يفتح فسكون ) وهو الدلو المقلبة . يريد أنه يشق قوما ويسعد آخرين . وقوله « آخر الدهر » يعنى حتى آخر الدهر .

(٥١) « وكعب الذي يطيعك مال » : كناية عن الرقة . يريد أنه ينخفض من عصاه ، ويرفع من أطعاه .

(٥٢) كبت الوجوه : أغبرت وتغيرت من الخوف والفرع .

(٥٣) التالِد : القديم . والعتيق : الأصيل ، وأهل القِيَاب كناية عن الشرف والعبادة . والآكال : قطائع كان الملوك في الجاهلية يعطونها للأشراف .

(٥٤) الميل : جمع أميل وهو الذي لا يثبت على ظهر جواده لقلة خبرته بركوب الخيل . والمواوِير : جمع عوار ( بالشديد ) وهو الجبان الذي لا يستطيع أن يحى موقعه . والعزل : جمع أعزل وهو الذي لا يحمل سلاحا . والأكفال : بجمع كفل ( بكسر فسكون ) وهو الذي يكون في آخر صفوف المقاتلين بلهته .

- ٥٥ ودروع من نسج داوود في الحر ب وسوق يحملن فوق الجمال  
 ٥٦ لم يُسرن للصدّيق ، ولكن لقتال العدو يوم القتال  
 ٥٧ كل عام يقود خيلاً إلى خيل دافاً غداة غب الصقال  
 ٥٨ هو دأن الرباب إذ كرهوا الـ (م) يدن دراً كما بغزوة وصيال  
 ٥٩ ثم أسقاهم على نفد العبد يش فاروى ذنوب رفد محال  
 ٦٠ نخمة يلجأ المضاف إليها ورعاً موصولة برعال  
 ٦١ تُخرجُ الشيخ من يديه وتلوي بلون المعزاة المعزال

(٥٥) داوود النبي الذي عليه الله صناعة الدروع من الحديد ، كما ورد في القرآن الكريم « وعلناه مصفعة لبوس لكم لندفعنكم من بأسكم » (الأنبياء ٨٠) ، يريد أنها دروع جيدة الصنع من خير الدروع ، والوسوق : الأحمال ، جمع وسق (يفتح فسكون) وهو الحمل .

(٥٧) دافاً : متدفقة بعضها في إثر بعض . والصقال : التأديب بالعصا ، وغب الصقال : أي ما بعده .

(٥٨) الرباب : مجموعة من القبائل كانت تنزل في شرق الجزيرة . ودانها : أذلها وأجبرها على الطاعة . والدين : الطاعة . ودراكا : أي متتابعة متلاحقة .

(٥٩) الذنوب : الدلو المملوءة ماء . والرفد : العطاء . والمحال : المصوب ، من أحال عليه الماء إذا أفرقه عليه وصبه . ضرب ذلك مثلاً للرب الذي أنزله مدوحه بأعدائه .

(٦٠) نخمة : صفة لكثية ، أي كثية ضخمة كبيرة . والمضاف : الذي أحيط به في الحرب فلم يعرف سبيلاً للنجاة أو ملجأً يلجأ إليه . والرعال : جماعات الخيل ، جمع رعلة (يفتح فسكون) . يصف جيش المدوح وكتائبه وفرسانه ، وأنه يحمي من يستجير به ويلجأ إليه .

(٦١) تلوي : تذهب . والبلون : النافة ذات اللين . والمعزاة : الراعي الذي يبعد في المرعى بإبله . والمعزال : الذي ينأى عن الناس ويعزلهم ولا يخالطهم . يقول إن كتائب المدوح تذهل الشيخ عن يديه ، وتشرّد الإبل التي أبعدها راعيها في أعماق الصحراء ، وأعزل الناس في آفاقها البعيدة النائية .

- ٦٢ رَبُّ رِفْدَ هَرَقَتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعَشَرَ أَقْتَالِ  
 ٦٣ وَشِيُوخَ حَرْبَى يَشْطَلَى أَرِيكَ وَنِسَاءً كَانَهُنَّ السَّعَالِي  
 ٦٤ وَشِيرِيَكَيْنِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَا لِي ، وَكَانَا مُحَالِفَيِ إِقْسَالِ  
 ٦٥ قَسَمَا الطَّارِفَ التَّلِيدَ مِنَ الْغُدِّ سَمَ ، فَأَبَا كَلَاهِمَا ذُو مَالِ  
 ٦٦ لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكَ ، ثُمَّ لَا زِلْ سَتَ لِهَسْمَ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ

\* \* \*

- (٦٢) الرِّفْدُ : القُدْح الضَّعِيفُ - وهَرَقَهُ : أَرَاكَ وَصَبَهُ . وهَرَاةُ الرِّفْدِ كُنَايَةٌ عَنِ الْمَوْتِ الَّذِي  
 صَبَهُ مَدْرُوحَةً عَلَى أَعْدَائِهِ . وَالْأَقْتَالُ : جَمْعُ قَتْلٍ ( يَكْسِرُ فَسَكُونٌ ) وَهُوَ الدَّرُ الْمَطَالِبُ بِثَأْرِهِ .  
 (٦٣) حَرْبَى : جَمْعُ حَرْبٍ وَهُوَ مَنْ حَرَّبَ بِأَلِهِ أَيْ حَلَبَهُ وَجَرَّمَهُ مِنْهُ وَأَخْرَجَهُ عَنْهُ . وَأَرِيكَ : مَوْضِعٌ  
 وَالسَّعَالِي : جَمْعُ سَعَلَةٍ وَهِيَ أَنْثَى الْفُولِ .  
 (٦٤) يَرِيدُ بِالشَّرِيكَيْنِ جُنْدَيْنِ مِنْ جُنُودِهِ اشْتَرَاكَ فِي الْغَنِيمَةِ الضَّخْمَةِ الَّتِي غَنَاهَا ، فَاسْتَفْنِيَا بِمَدِّ  
 هَقَسَرِ .  
 (٦٥) الطَّارِفُ : الْجَدِيدُ الْمُسْتَعْدَثُ . وَالتَّلِيدُ : الْقَدِيمُ الْمُوَرَّثُ . يَرِيدُ أَنْ هَذِهِ الْغَنَائِمُ كَانَتْ  
 قَدِيمَةً مَوْرُوثَةً عِنْدَ أَصْحَابِهَا ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ جَدِيدَةً مُسْتَعْدَّةً عَنْهُمْ مِنْ غَنَمِهَا .  
 (٦٦) لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكَ : دَعَاءُ لِقَوْمِ الْمَدْرُوحِ بِدَوَامِ النِّصْرِ . وَالضَّيْعُ فِي « لِهَسْمَ » يَمُرُّ عَلَيْهِمْ ،  
 يَدْعُو لِمَدْرُوحِهِ بِأَنْ يَبْقَى لِقَوْمِهِ خَالِدًا فِيهِمْ خُلُودَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ الثَّابِتَةِ .

\* \* \*

يوسف خليف



( ٣ )

## صُورَةٌ مِنْ غَزَلِيَّاتِهِ

\* \* \*

تقع هذه القصيدة في سبعة وأربعين بيتاً ، وهي تنقسم إلى قسمين : القسم الأول وهو أطولهما ، إذ يمتد أربعة وثلاثين بيتاً ، يحكى الأعشى فيه قصة مغامرة من مغامراته الماسجة مع فتاة صغيرة يصفها بأنها « غريبة » ، بعث إليها رسولا بارما ظل يحتال عليها حتى استجابت لرغبته ، فزارها وقضى معها ليلة ممتعة كان ختامها النجوى والغناء مما يرجح أن تكون هذه الفتاة قينة من قيان الحانات . وفي القسم الثانى الذى لا يتجاوز ثلاثة عشر بيتاً يتحدث عن رحلة له فى الصحراء على ناقه شبيطة طوّت شعابها مسرعة عائدة به إلى قومه ، فيرسم صورة لحياتهم ، ويتحدث عن عييدهم وقيامهم وأصنامهم ، ثم تكون النهاية — كما كانت فى القسم الأول — عودة خاطفة إلى حديث النجوى .

والقصيدة — ككل شعر الأعشى — مَوَاجَة بأنغامها الموسيقية التى كان يجيد اختيارها وتوزيعها بحيث تتلاءم مع موضوعات قصائده ، والتى كان يوفر لها قىما صوتية رنانة سواء من حيث ألفاظها أو من حيث أوزانها وقوافيها . وهى قيم كانت تتيح لها أذنه الحساسة المرفهة بالحرش الكلمات وموسيقا الأوزان العروضية . وقد اختار الأعشى لهذه القصيدة التى تحكى قصة عابثة مع مُراهقة صغيرة من فتيات الحانات ذلك الوزن الراقص المرح ، مجزوء الكامل ، كما اختار

لهذا ذلك الروى الخفيف المنطلق المنحدر بالهاء الممدودة وحرف التأسيس الممدود قبلها، قترأت ألف التأسيس وألف الإطلاق كأنهما دَقَات « ضابط الإيقاع » التى تحدد تقاسيم النغم ، وتضبط توزيعات النحن .

\* \* \*

- |   |                                   |                               |
|---|-----------------------------------|-------------------------------|
| ١ | أَوَصَلْتَ صَرَمَ الْحَيْلِ مِنْ  | سَامَى لَطُولِ جَنَابِهَا     |
| ٢ | وَرَجَعْتَ بَعْدَ الشَّيْبِ تَبَّ | بَغَى وَدَّهَا بِطَلَابِهَا   |
| ٣ | أَقْصِرْ ، فَلِمَاكَ طَالَمَا     | أَوْضَعْتَ فِي إِعْجَابِهَا   |
| ٤ | وَلَقَدْ غَبِثْتُ الْكَاعِبَا     | تَ أَحْظُ مِنْ تَحِيَّابِهَا  |
| ٥ | وَأَخْرُونَ غَفْلَةَ قَوْمِهَا    | يَمْشُونَ حَوْلَ قَبَابِهَا   |
| ٦ | حَذَرًا عَلَيْهَا أَنْ تُرَى      | أَوْ أَنْ يُطَافَ بِبَابِهَا  |
| ٧ | فَبَعَثْتُ جَنِيًّا لَهَا         | يَأْتِي بِرَجْعِ جَوَابِهَا   |
| ٨ | فَشَى وَلَمْ يَنْخَشِ الْإِنْيَدِ | مَنْ فَزَارَهَا وَخَلَا بِهَا |
| ٩ | عَضِبُ اللِّسَانِ مُتَقَنَّ       | فَقَطَّنُ لِمَا يُعْنَى بِهَا |

- (١) الصرم : القطيعة . وصرم الحيل كناية عن المجرم . والجَنَاب : الاجتناب .  
 (٢) طَلَابِهَا : السعى خلفها . يقول إنه بعد الشيب رجع إلى تصابيحه ، فعاد يسعى خلفها ويطلها .  
 (٣) أقصر : أى ارجع عن غيك . وأوضعت : أى أسرعت وألححت ورأىها .  
 (٤) غبثت : خدعت . وأحظ : أى أنال حظي ، والتخاب : الخداع . يقول إنه طالما خدع الجميلات ، ونال حظه منهن بخداعه . وهو يبدأ من هنا قصة مقامرته المأجنة .  
 (٥) حذرا عليها : مفعول لأجله متعلق بالفعل « يمشون » فى البيت السابق .  
 (٦) الجنى هنا يريد به الرسول الماكر الخبيث الذى أرسله إليها لتضرب له موعدا لزيارتها ، و يعود إليه بجواب رسالته . يصفه بأنه شيطان رجيم .  
 (٧) العضب : السيف الحاد القاطع ، ويريد بعضب اللسان أنه قوى الحجّة ، قادر على إقناعها وحسم الجدل معها . ومتقن : شديد الحذق والدراية . وفطن لما يعنى بها : أى أنه يعرف بطلته ما يعنىها ويشغلها .

- ١٠ صَنِعٌ يَلِينُ حَدِيثُهَا فَدَنَتْ عُرَى أَسْبَابِهَا  
 ١١ قَالَتْ : قَضَيْتَ قَضِيَّةً عَدَلًا لَنَا يَرْضَى بِهَا  
 ١٢ فَأَرَادَهَا كَيْفَ الدُّخُو لُ ، وَكَيْفَ مَا يُتَّقَى بِهَا  
 ١٣ فِي قُبَّةِ حَمْرَاءَ زَيْدٍ (م) نَهَا اثْتِلَاقُ طِبَابِهَا  
 ١٤ وَدَنَا تَسَمُّعُهُ إِلَى مَا قَالَ إِذْ أَوْصَى بِهَا :  
 ١٥ إِنَّ الْفَتَاةَ صَغِيرَةً غَيْرُ ، فَلَا يُسَدَّى بِهَا  
 ١٦ وَاعْلَمْ بِأَنِّي لَمْ أَكْذِبْ (م) مِثْلَهَا بِصَعَابِهَا  
 ١٧ إِنِّي أَخَافُ الصَّرْمَ مِنْهَا أَوْ شَحِيجَ غُرَابِهَا  
 ١٨ فَدَخَلْتُ إِذْ نَامَ الرَّقِيدُ بُبُ ، فَبِتُّ دُونَ ثِيَابِهَا

(١٠) الصنع ؛ الخيوط الواسع الخبرة بصنفته . والعرى : جمع عروة ، ويريد بقوله « دنت عرى أسبابها » أنها استجابت له ، وتقارب ما بينهما ، وتم الاتفاق .

(١١) يقول لأنها اقتصت بمنطق هذا الرسول ، ورضيت بحكمه العادل في القضية التي جاء من أجلها .

(١٢) يبدأ هنا الحديث معها عن تفاصيل الزيارة والإعداد لها : كيف يدخل إليها ؟ وكيف يظفر بها ؟

(١٣) القبة الحمراء إشارة إلى أنها بيت من بيوت بنات الهوى . والطباب : شارات عريضة كانت توضع على واجهات هذه البيوت .

(١٤) عاد الرسول إليه يحمل أنباء هذه الفتاة ، وأخذ يوصيه بما يراه بشأنها .

(١٥) فلا يسدى بها : أى لا يتصل بها ، من أسدى الثوب إذا مد يحيطه لئلا لحم بينها وبين الخيوط التي تتعرضها ، ومنه السدى (بفتح السين والذال) والحممة (بضم اللام) وهى الخيوط الرأسية والأفقية التي يندسج منها الثوب . هذه هى بداية الوصية .

(١٦) يقول له — استمرارا في وصيته — إن هذه الفتاة ليست مهلة المنال .

(١٧) الصرم : المجر والقطيعة . وشحيج الغراب : صوته ، كناية عن الفراق .

(١٨) من هنا يبدأ الأعشى مغامرة المساجنة مع الفتاة .

- ١٩ حتى إذا ما استترسلت من شدة ليلها  
 ٢٠ قسمتها قسمين كل (٢) موجه يرى بها  
 ٢١ فذبت جيد غيرة ولمست بطن حقاها  
 ٢٢ كالخقة الصفراء صا لك غيرها بملابها  
 ٢٣ وإذا لنا تأمورة مرفوعة لشرابها  
 ٢٤ وتظل تجرى بيننا ومقتم يسعى بها  
 ٢٥ هزج عليه التومتا ن إذا نساء عداها

\* \* \*

(١٩) استرسلت من شدة : أى استسلمت بعد هناد ، وامترخت أعضائها بعد أن كانت مشدودة متوترة . والملاب : الملاعبة .

(٢٠) يرسم صورة للهوى بها . وقوله « كل موجه يرى بها » يريد به أنها كانت مستسلمة له بوجهها أى وجهة يريدها منها .

(٢١) الحجاب : حزام تعلق به المرأة حليها وتشدّه في وسطها .

(٢٢) الخقة الصفراء يريد بها حقنة الطيب ، وهى صفراء إما لأنها من الذهب ، وإما لأن الطيب صبغها بلونه . وصاك : التصق . والعبير والملاب : نوعان من الطيب ، العبير أخلاط من الطوب ، والملاب هو الزعفران . يشبه هذه الفتاة بحقة الطيب التى اختلطت فيها أنواع من الطيوب المختلفة .  
 (٢٣) التأمورة : أصلها التأمورة مثل همزها ليزيد من أفسابية موسيقا البيت ؛ وهى وعاء تحفظ فيه الخمر لتكون معدة للشراب عند كل طلب .

(٢٤) المقدم : الذى وضع القدم على فم ، والفسدام : قطعة من القماش كان سقاة الخمر القرس يشدونها على أفواههم عند سقى الخمر حرصا منهم على نقائها وعدم تلوثها . يقول إن هذه الجارية تجرى بيننا والخمر ، ومعها ساق فارسي نظيف يسعى بها .

(٢٥) هزج : أى مغمى يترنم بفنائه وهو يطوف حلیم بالشراب والتومتان : مثنى تومة وهى اللوازة أو القرط فيه حبة كبيرة من اللؤلؤ . هنا يثنى الأعشى من رسم هذه اللوحة الحضارية لمجلس الشراب ، ليبدأ رسم لوحته البدوية للصحراء .

- ٢٦ وَوَدِيقَةٍ شَهْبَاءَ رُدَّ (م) يَ أَنْكُمَا بِسَرَابِهَا  
 ٢٧ رَكَدَتْ عَلَيْهَا يَوْمَهَا شَمْسٌ يَحَرُّ شَهَابُهَا  
 ٢٨ حَتَّى إِذَا مَا أُوقِدَتْ فَالْجَمْرُ مِثْلُ تَرَابِهَا  
 ٢٩ كَلَّفَتْ عَائِسَةَ أُمُو نَا فِي نَشَاطِ هَبَابِهَا  
 ٣٠ أَكَلَتْهَا بَعْدَ الْمِسْرَا ج ، قَالَ مِنْ أَصْلَابِهَا  
 ٣١ فَشَكَّتْ إِلَى كَلَالِهَا وَالْجَهْدَ مِنْ إِيْتَابِهَا  
 ٣٢ وَكَأَنَّهَا مَجْمُومٌ خَيْهَ بَرَّ بَلٍّ مِنْ أَوْصَابِهَا

(٢٦) الرديقة : الصحراء الشديدة الحر . والشهباء : المجذبة الخالية من النبات . والأكم : الآكام وهي التلال المرتفعة . وردى : ألبس ، يصف السراب كأنه ثياب لبستها آكام الصحراء .  
 (٢٧) ركبت : سكنت وأقامت دون حراك . وشهاب الشمس : يريد به شملة فارها الساطعة المتقدة . يقول إن الشمس أقامت فوق هذه الصحراء ما كنه لا تتحرك ، وراحت ترميها بشهب من نارها الحامية .

(٢٨) أوقدت : يريد الصحراء التي يشبه بترابها تشبهها مقلوبا الجمر المتوقد .

(٢٩) العائسة : الناقة الصلبة القوية القادرة على مشقات الرحلة والسفر . والأمرون : المأمونة التي لا يخشى عثارها . والهباب : السرعة .

(٣٠) أكلتها : أتعبتها وأرهقتها . والمراح : النشاط والخفة . وآل : يريد آل لهما أي ذهب من مشقة الرحلة فضمرت . والأصلاب : فقرات الظهر . يقول إنه أرهق ناقةه في رحلته حتى هزلت وضمرت ، وهي صورة تتردد كثيرا في وصف الرحلة في الشعر العربي القديم .

(٣١) الكلال : التعب والإرهاق . والجهد : المشقة . والإيتاب : الإرهاق ، مصدر أتعب .

(٣٢) خيبر : مدينة في شمالي يثرب كان اليهود ينزلون بها في العصر الجاهلي ، وكانت معروفة بانتشار الحمى فيها ، ولعلها حمى الملاريا ، حتى ضرب بها العرب المثل فقالوا « جى خيبر » . وبلى : شفى . والأوصاب : الأوجاع .

- ٣٣ لِعَبْتْ بِهِ الْحَمَى مِيزِي . وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهَا  
 ٣٤ وَرَدَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ قَيْدٍ . مِمَّنْ نَاقَتِي ، وَلَيْسَ بِهَا  
 ٣٥ فَلِذَا عَيْيِدُ عَكْفُ . مُسَكُّ عَلَى أَنْصَابِهَا  
 ٣٦ وَجَمِيعُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ . يَدِ بَعْدُ حَوْلَ قِيَابِهَا  
 ٣٧ مِنْ شُرْبِهَا الْمُرَاءَ مَا أَسَدَ . تَبْطِنُ مِنْ إِشْرَابِهَا  
 ٣٨ وَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَدَّى . لَهَا حَسَبًا وَأَرَى بِهَا

\* \* \*

(٣٣) لعبت به الحمى : أى ظلت تعاوده مرة بعد أخرى وكأنها تطلب به . ولعل في هذا ما يرجح أنها اللاريا .

(٣٤) قيس بن ثعلبة هم قوم الأعشى ، وسعيد بن قيس فرع من فروعها بدلالة قوله « وليا بها » فالضمير فيها يعود على القبيلة . يريد أن هذه الرحلة كانت من أجل العودة إلى قبيلته وما بها من نحر جيدة ، وهى النحر التى سيصبح بها فى نهاية قصيدته . وفى كثير من شعر الأعشى ترتبط الرحلة بطلب النحر والسعى وراءها .

(٣٥) عكف : حاكفون . وسك : محبسون على خدمتها . والأنصاب : الحجارة المنصوبة أمام بيوت الأصنام لتذبح عليها القرابين . يقول إنهم وثنيون متمسكون بوثنياتهم ، وإنهم حبسوا عبيدهم على خدمة أصنامهم وبيوتها .  
 (٣٦) الضمير فى « قياها » يعود على الأنصاب ، ويريد بها بيوت الأصنام . وهو يؤكد هنا مرة أخرى أنهم قوم متمسكون بدينهم .

(٣٧) المرء : النحر اللذيذة الطعم . واستبطن الأمر : وقف على دخليته . وإشراها : أى شربه لها ، من أشرب قلبه حبها إذا تفلغل فى شغافه حتى أصبحت كأنها قطعة منه . يقول إنه أدرك حمر النحر التى جعله يتعلق بشربها من شرب قومه نحرهم اللذيذة . والبيت يشير أيضا إلى عبادة نحرهم .

(٣٨) حسبا : أحرقها . وأرى بها : أى أرى الناس بها العذاب والهلاك . يقول إن الله ساطع عليها النار لتحرقها ، ولتكون سببا فى عذاب الناس وهلاكهم . والبيت يكمن تيمده وإصراره على شربها ، وكأنه يقول إنه لن يكف عن شربها حتى بعد أن علم سرها ، فهو راض بها وبعبادتها .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٤ )

## صُورَةٌ مِنْ نَحْمَرِيَّاتِهِ

\* \* \*

يتجه الأعشى بهذه القصيدة إلى أحد ممدوحيه من سادات العرب الذين كان ينتجعهم للعطاء ، ولكنه لا يديرها حول المدح ، ولا يمثل المدحُ قسماً متميزاً فيها ، وإنما تدور حول الموضوعين اللذين لا يميلُ الأعشى الحديثُ هُنا : المرأة والخمر . ومن هنا تنقسم القصيدة إلى قسمين أساسيين : غزل في إحدى صاحباته « هند » يشغل اثني عشر بيتاً منها ، يتغنى فيه بحالها وبجبه لها دون الانحدار إلى سفوح الجنس التي نراه في أكثر شعره دائماً الانحدار إليها . والقسم الثاني حديث عن الخمر ، ووصف لمجلس من مجالسها التي كان مشغولاً بها أيضاً في أكثر شعره ، وهو حديث يشغل من القصيدة عشرة أبيات ، يصل بعدها إلى ممدوحه ليوجه إليه في خمسة أبيات تحية سريعة خاطفة ، ينوه فيها بعطاياه الكثيرة التي وهبها له ، وبها يختم قصيدته .

والقصيدة — ككل شعر الأعشى — تمتاز بالأنافة اللفظية ، والرقّة الحضارية ، وسهولة اللغة ، وظهور بعض الألفاظ الفارسية فيها ، وتخيّل بنغم موسيقى راقص يتلاءم مع جوها العام ، ويحقق لها بحر الرمل الرقيق الذي اختاره لها ، وحرف النون الساكنة الذي اختاره رويّاً لها ، والذي يُشيع في قوافيها رنيناً عالياً يتردد بانتظام في نهاية كل بيت من أبياتها ، ليضبط إيقاعها الموسيقي الرنان .

\* \* \*

- ١ خالط القلب همومٌ وحزنٌ      وأدكارٌ بعد ما كان اطمأن
- ٢ فهو مشغوفٌ بهنيد هائمٌ      برعوى حينا ، وأحيانا يبحن
- ٣ يلغوب طيب أردائها      رخصة الأطراف كالرثم الأعن
- ٤ وهي إن تقعد نقاً من عاج      وإذا قامت نيباً كالشطن
- ٥ ينتهي منها الوشاحان إلى      حبلية ، وهي بمن كالرسن
- ٦ خلقت هند لقلبي فتنةً      هكذا تعرض للناس الفتن
- ٧ لا أراها في خلاء مرةً      وهي في ذاك حياء لم تُزن
- ٨ ثم أرسلت إليها أني      مئذير عذري فرديه بأن

(٢) يرعوى : يرجع عن غيه وضلّاله .

(٣) الأردن : الأكام . والرخصة : الهيئة الناعمة . والرثم : الطي الخالص البياض . والأفن :

الرخيم الصوت .

(٤) النقا : الكتيب . وطالج : منطقة رملية يتردد ذكرها كثيرا في الشعر القديم ينسبون إليها أبل الغيا . والنياف : الطويلة المشوقة القوام . والشطن : الحبل . يصف ثقل أردائها ورشاقة خصرها ، فهي إن تقعد تراءت كأنها كتيب من الرمال الناعمة ، وإذا قامت تراءت كأنها حبل مفتول .

(٥) الحبلية : نوع من الحلي يعلق في القلائد . والمئن : الظهر . والرسن : الحبل . يصف رشاقة خصرها ، واعتدال قوامها ، وحرصها على أناقبتها وزينتها .

(٧) قوله « لا أراها في خلاء مرة » يريد به أنها تنأى بنفسها عن مواطن الريب والشبهات . ولم تزن : أي لم تنهم بأي ريبة أو شبهة . صورة غير مألوفة في غزل الأعشى الذي يشيع فيه عادة جو صريح مكشوف من الخلاعة والمجون والتهتك .

(٨) قوله « مئذير عذري » يعني أنه مقدم عذره إليها لتصفح عنه . والضمير في « رديه » يعود على الرسول الذي يشير إليه في الشطر الأول ، أو على كلمة « عذري » ، أي أقبلي عذري ورديه إلى الموافقة . وقوله « بأن » اختصار لما يريد منها ، أي رديه بأن توافقي على زيارتك ، وتصلي ما انقطع بيننا من أسباب المودة .



- ٩ وَبَدَرْتُ الْقَوْلَ أَنْ حَيَّيْتُهَا      ثُمَّ أَنْشَأْتُ أَفْدَى وَأَهْنَى  
١٠ وَأَرْجِيهَا وَأَخْتِي دُعَمَهَا      مِثْلَ مَا يَقَعُ بِالْقَوْدِ السَّنَى  
١١ رَبُّ يَوْمٍ قَدْ تَجُودِينَ لَنَا      بَعْطَا يَا لَمْ تُكَدِّرْهَا الْمِثْنَ  
١٢ أَنْتِ، سَلَمَى، هَمْ نَفْسِي فَادْكُرِي      سَلَمَ، لَا يُوجَدُ لِلنَّفْسِ ثَمَنٌ

\* \* \*

- ١٣ وَعَلَالٍ وَظِلَالٍ بَارِدٍ      وَقِيلِيجِ الْمِسْكِ وَالشَّاهِسْقَرْنَ  
١٤ وَطِلَاءٍ خُسْرَوَانِي إِذَا      ذَاقَهُ الشَّيْخُ تَغْنَى وَارْبَحْنَى  
١٥ وَطَنَائِيرٍ حَسَانِ صَوْتِهَا      عِنْدَ صَنْجٍ كَلَامُ مَسْ أَرْقَى  
١٦ وَإِذَا الْمُسْمِعُ أَقْنَى صَوْتَهُ      عَزَفَ الصَّنِجُ فَنَادَى صَوْتِ وَنَ

(٩) أفدى : أى أقول لها لئن فداؤك . وأهنى : أصلها « أهنى » وعمل هزتها ، أى أتمنى لها حياة هينة ناعمة . ويحتمل أن تكون « أهن » (يفتح الهمزة وكسر الهاء) بمعنى أبكى ، من هن يمن (على وزن من يمن) إذا حن وبكى .

(١٠) القود : الخليل . والسَّنَى هنا يريد به حسن رعاية الخليل وسياستها . يقول إنه أخذ يرضأها في رفق وحلو وسياسة حتى لا يثير خوفها منه ، كما يفعل الفارس بفروسه حتى لا تنفر منه .

(١١) سلمى هنا هى هند التى يذكرها في بداية القصيدة . وتمدد أسماء المحبوبات في الشعر العربي القديم ظاهرة مألوفة ، فكلهن حواء . وسلم في الشطر الثاني ترخيم لسلمى .

(١٢) العلالي : جمع عليّة وهى الغرفة العالية يفضلونها لشرابهم لطيب هوائها . والفليج : المفتت . والشاهسقرن : الريحان ، كلمة فارسية . يبدأ الأعشى من هنا القسم الثانى من قصيدته في وصف مجلس من مجالس الشراب ، ويذكر هنا أن هذا المجلس كان في غرفة عالية غليظة تنتشر فيها الزهور والعطور .

(١٤) الطلاء : الخمر . والخمروانى : نسبة إلى خسرو أنوشروان أحد ملوك الفرس . واربحنى : اهز وهايل .

(١٥) الطنائير : جمع طنبور وهو آلة موسيقية تشبه العود أو الجيتار . والصنج : « الصاجات » . وأرن : أحدث رنيناً موسيقياً .

(١٦) المسع : المفسى : وأقن صوته : انتهى من غناؤه . والون : آلة موسيقية تشبه الصنج .

- ١٧ وإذا ما غَضَّ مِنْ صَوْتَيْهِمَا وَأَطَاعَ الْخَنُّ غَنَّاَنَا مُغْنً  
١٨ وإذا الدَّنُّ شَرِبْنَا صَفْوَهْ أَمُّرُوا عَمْرًا فَنَاجَوْهْ يَدَنُّ  
١٩ بِمَتَالَيْفٍ أَهَانُوا مَا لَمْ لَمْ لَغْنَاءٍ وَلِيْلَيْبٍ وَأَذَنُ  
٢٠ فَتَرَى إِبْرَيْقَهُمْ مُسْتَرَعِفَا بِشَمُولٍ صُقُقْتُ مِنْ مَاءِ شَنْ  
٢١ غُدُوَّةٌ حَتَّى يَمِيلُوا أَصْلًا مِثْلًا مَيْلَ بِأَصْحَابِ الْوَسْنِ  
٢٢ ثُمَّ رَاحُوا مَغْرِبَ الشَّمْسِ إِلَى قُطْفِ الْمَشَى قَلِيلَاتِ الْحَزْنِ

\* \* \*

- (١٧) غَضَّ : أى خفض . والضبير فى صوتيهما يعود على الصنج والون . وأطاع الخن : أى سمع الخن الموسيقى بثناء الملقى .
- (١٨) الدن : زق الخمر العظيم . وصفوه : نخره المافية . وعمررو : هو الساقى الذى كان يقدم لهم الشراب . ودن الثانية : الصوت الذى لا يفهم كالدندنة ، يريد بها مهمة السكارى حين تعقد الخمر ألسنتهم .
- (١٩) المتاليف : جمع متلاف وهو الكريم الذى يثلف ماله . وأهانوا ما لهم : أنفقوه ولم يحافظوا عليه . والأذن : المناع .
- (٢٠) مسترعفا : أى دفاغا بالخمر . والشمول : الخمر الباردة . وتصفيق الخمر : مزجها بالماء . والشن : القرية البالية لكثرة استعمالها فهى ترشح فيبرد ماؤها .
- (٢١) غدوة : أى صباحا . والأصل : جمع أصيل . والوسن : النوم الخفيف . يقول إنهم ظلوا فى شراب وغناء وموسيقا من الصباح حتى الأصيل .
- (٢٢) القطف : جمع قطوف وهى المرأة التى تقارب من خطواتها ، وهى صفة محمودة كان العرب يحبونها من النساء . والحزن : الحزن ، يريد أنهم مررحت يشترن البهجة من حوّلن . يقول إنهم مع دخول المساء بدأوا الرثا آخر من ألوان طوهم ، فصاروا إلى هؤلاء النساء الجليات يقضون الليل معهن . وهذا ينتهى القسم الثانى من القصيدة .

- ٢٣ عَدَّ هذا في قريض غيره      واذكُرْنِ في الشعرِ دهقانَ اليمنِ  
 ٢٤ بأبي الأشعثِ قيسٍ ، إنه      يشتري الحمدَ بمنفوسِ الثمنِ  
 ٢٥ جثته يوما فأذنيَ مجلسي      وحباني بلجوج في السننِ  
 ٢٦ ومائنينَ عِشارٍ ، كلُّها      آركاتُ في برِّمٍ وحَضَنِ  
 ٢٧ وغلَامٍ قائمٍ ذى عُدوةٍ      وذُلُولٍ جَسرةٍ مثلِ القَدَنِ

\* \* \*

(٢٣) عد هذا : أى أترك هذا الحديث إلى حديث غيره ، وهو أسلوب من أساليب الانتقال في القصيدة الجاهلية من موضوع إلى موضوع . والدهقان : رئيس الإقليم ، كلمة فارسية ، ويريد به قيس بن معد يكرب الذى يبدأ من هنا مدحه ، والذى يصرح باسمه في البيت التالى .

(٢٤) منفوس الثمن : أى الثمن الغالى النفيس الذى يحسده الناس عليه .

(٢٥) اللجوج : الفرس التى تلج في سيرها أى تسرع . والسنن : الطريق .

(٢٦) العشار : النوق الخوامل . والآركات : التى ترمى شجر الأراك . وبرِّمٍ وحَضَنٍ : موضعان في بلاد اليمن .

(٢٧) « وغلَامٍ قائمٍ ذى عُدوةٍ » يريد غلاما قائما على خدمته ، رهنا لإشارته ، لا يتأخر عن تلبية مطالبه ، بل يعدو لها عدوا . والذُلُول : الناقة الطيعة يعتمدون عليها في أسفارهم ورحلاتهم . والجسرة : البحرينة على السير في الصحراء . والقَدَن : القصر ، يريد أنها ضخمة قوية البنية موثقة الخلق .

\* \* \*

يوسف خليف

( ٥ )

## نَصْرُ ذِي قَارَ

\* \* \*

يفتخر الأعشى في هذه القصيدة بالنصر الذي أحرزته قبيلته « بكر » على الفرس ومن شايهم من القبائل العربية في يوم ذي قار . وهي تبدأ بمقدمة تبدو غريبة بين المقدمات المألوفة في الشعر الجاهلي ، فهي مزيج غير متوازن من حديث سريع لا حرارة فيه ولا عاطفة عن رحيل هُريرة ووداعها ، ثم انتقال مفاجئ إلى حديث آخر لا صلة له بهريرة ، يدور حول وصية لأبيه يوصي فيها بنيه بأكرام الضيف وحقوق الجار و قتال الفرس . ثم ينتقل بعد ذلك إلى نصر ذي قار ، فيفتخر به ، ويرسم صورة منصفّة للمركة التي انتصرت فيها قبيلته ، ويأسف لتخاذل القبائل العربية الأخرى عن الاشتراك معها في القتال ، ويعلن أنها لو وقفت إلى جانبها لأحرز العرب نصرا مؤزرا حاسما على الفرس ، ولكنها — مع ذلك — استطاعت وحدها أن تسجل — لأول مرة في التاريخ — نصرا عربيا على الدولة الفارسية .

\* \* \*

- ١ . كَانَتْ وَصَاةٌ وَحَاجَاتٌ لَنَا كَفَفُ      لَوْ أَنَّ صَاحِبَكَ إِذْ نَادَيْتَهُمْ وَقَفُوا
- ٢ . عَلَى هُرَيْرَةٍ إِذْ قَامَتْ تُودِّعُنَا      وَقَدْ آتَى مِنْ إِطَارٍ دُونَهَا شَرَفُ

(١) كانت هنا تامة لا تعمل عمل كان الناقصة . والكفف : الكفاف وهو ما أغناك من الناس وكفف عنهم . كأنه يقول لم يعد لي في الحياة ما أحرص عليه إلا هذه الوصية التي أوصاني بها أبي ، وإلا هذه المطالب اليسيرة التي أسعى وراءها في الحياة لتغني عن الناس .

(٢) هل هُريرة : متعلق بوقفوا في البيت السابق . والشرف هنا المرتفع من الأرض . وإطار الشيء : كل ما يحيط به . يقول إن هُريرة رحلت ، وحال يبنى وبينها على اتساع المنطقة التي تشق طريقها فيها مرتفع من الأرض يجيها هي .

- ٣ أَحْسِبُ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا وَقَفَتْ      وَقَدْ تُزِيلُ الْحَبِيبَ النَّيَّةُ الْقَذْفُ  
٤ إِنْ الْأَعَزُّ أَبَانَا كَانَ قَالَ لَنَا :      أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثٍ ، إِنْخِي تَلْفُ  
٥ الضَّيْفَ ، أَوْصِيكُمْ بِالضَّيْفِ ، إِنَّ لَهُ      حَقًّا عَلَى فَأُعْطِيهِ وَأَعْتَرِفُ  
٦ وَالْجَارَ ، أَوْصِيكُمْ بِالْجَارِ ، إِنَّ لَهُ      يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يَنْتِثِيهِ فَيَنْصَرِفُ  
٧ وَقَاتِلُوا الْقَوْمَ ، إِنَّ الْقَتْلَ مَكْرُمَةٌ      إِذَا تَلَوَّى بِكَفِّ الْمُعْصِمِ الْعُرْفُ

\* \* \*

- ٨ إِنْ الرَّبَابُ وَحِيًّا مِنْ بَنِي أَسَدٍ      مِنْهُمْ بَقِيرٌ وَمِنْهُمْ سَارِبٌ سَلَفُ  
٩ قَدْ صَادَفُوا عُصْبَةً مِنَّا وَسَيِّدَنَا      كُلُّ يَوْمٍ قُتِينَانَا وَيَطَّرِفُ

(٣) الخلة : الصديقة المحبوبة . والنية : النوى والبدن . والقذف : البعيدة التي تقذف بصاحبها إلى مكان بعيد .

(٤) تلف : هالك . يقول إنها وصية أو صاهم بها حين أحس اقتراب أجله .

(٥) أعترف : أى أعترف به ولا أنكره ... هذه هي الوصية الأولى .

(٦) ينتهيه فنصرف : أى يدفعه إلى الانتقال إلى منزل آخر ... وهذه هي الوصية الثانية .

(٧) العرف : حرف الفرس . والمعصم : الذى يحسك به خوفا من سقوطه عن ظهره لشدة عدوه . والقوم هنا يريد بهم — كما يدل سياق القصيدة — الفرس الذين كانوا يفرضون نفوذهم على هذه المنطقة الشرقية من جزيرة العرب . والبيت يعكس مشاعر الضيق بهذا النفوذ الأجنبي الذى كان كل جبل يورثه لجيل الذى يأتى بعده حتى يتم تحرير المنطقة العربية منه ... وهذه هي الوصية الثالثة .

(٨) الرباب وبنو أسد من القبائل العربية التى انضمت إلى الجيش القارمى تحارب معه . والبقر : القنيل الذى يقربطه . والسارب : الحارب . والسلف : الذاهب على وجهه فرارا من المعركة .

(٩) القتيان : ما يقتنيه المرء ويجمعه ، يريد به الغنائم . ويطرف : يصيب ما هو طريف من غنائم المعركة .

- ١٠ قلنا : الصَّلاح ، فقالوا : لأنصالحكم أهل النبوك وعير فوقها الخَصَفُ  
١١ لست بعير — وبنت الله — مائة إلا عليها دروعُ القوم والزَّغَفُ  
١٢ لما التقينا كَشَفْنَا عن جَاحِنا ليعلموا أننا بَكْرٌ فينصرفوا  
١٣ قالوا : البقية ، والهنديُّ يَحْصِدُهُمْ ولا بقية إلا السيْفُ فأنكشَفُوا  
١٤ هل سَرَّ حَنَقَ أن القوم صالحتهم أبو شريح ولم يوجد له خَلْفٌ ؟  
١٥ قد آبَ جارَتها الحسناءَ قِيَمَها رَكْضًا ، وآبَ إليها الشَّكْلُ والتَّلَفُ

\* \* \*

- (١٠) الصَّلاح : الصلح . والنبوك : التلال الصغيرة ، مفردها نبكة بحريك الباء وسكونها .  
والعير : الإبل التي تستعذب في التجارة . والخصف : جمع خصفة وهي قفة تعمل من الخوص لوضع الثمر فيها . يقول إنهم عرضوا عليهم الصلح فرفضوا ، وديروهم بأنهم سكان رهاد منخفضة وتجارتهم .  
(١١) المائة : التي تتحرك في مملكة رلين . والزغف : الدروع المحكة السلاسل . يقول لهم مؤكدا قوله بالقسم بالكعبة إنهم ليسوا أصحاب إبل أعدت للتجارة وحمل البضائع ، ولكنهم أصحاب إبل أعدت للحرب وحمل السلاح .  
(١٢) يبدأ من هنا وصف المعركة ، فيقول إنهم كَشَفُوا عن رؤوسهم ليعرف العدو أنهم قبيلة بكر أبناء عمومتهم وجيرانهم في المنطقة ، ويعرفوا أنهم حرب مثلهم فيرجعوا عن قتالهم .  
(١٣) قالوا البقية : أى توسلوا إلينا أن نبقى عليهم ولا نستأصلهم . والهندي : السيوف . ومعنى الشطر الثاني أننا لم نتمكن من توسلهم ، واستمرت سيوفنا تحصدهم حتى تمت هزيمتهم وانكشفت صفوفهم .  
(١٤) أبو شريح : سيد من سادة القبائل العربية التي كانت تحارب مع الفرس . وحنق : زوجته . والقوم هنا الفرس . يتساءل في سخرية : هل مرزوجة هذا السيد انضمامه إلى الفرس بعد أن لقي مصرعه في المعركة ولم يخلف من بعده خلفا له ؟  
(١٥) القيم : الزوج . وجارتها منصوب على نزع التانيض . أى آب زوج هذه الجارة إليها وهو يعدو فرارا من المعركة ، أما حنق فقد آب إليها الشكل والتلف . وهنا ينتهي الأعراس من وصف المعركة التي دارت بين قومه والقبائل العربية الموالية للفرس ، لينتقل بعد ذلك إلى وصف المعركة الفاصلة مع الجيش الفارسي .

- ١٦ وَجُنْدُ كَسْرَى غَدَاةَ الْخِنْوَصِ بِهِمْ      مَنَاغِطَارِيفُ تُزْجِي الْمَوْتَ فَاَنْصَرَفُوا  
 ١٧ بِحَاجَجٍ وَبَنُو مُلْكٍ غَطَارِفُهُ      مِنْ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النُّطْفُ  
 ١٨ إِذَا أَمَالُوا إِلَى النَّشَابِ أَيْدِيَهُمْ      مِلْنَا بَيْضِ فِظْلِ الْهَامِ يُخْتَطِفُ  
 ١٩ وَخَيْلٌ بِكِرٍ فَاتَفَكَّ تَطْحَنُهُمْ      حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ  
 ٢٠ لَقُوا مُلَمَّسَةً شَهَاءَ يَفْدُمُهَا      لِلْمَوْتِ لَا مَا جَزَفِهَا وَلَا خَرِفُ  
 ٢١ فِيهَا فَوَارِسُ مَحْمُودٍ لِقَاؤُهُمْ      مِثْلُ الْأُسْنَةِ لَا مِيلٌ وَلَا كُشْفُ

(١٦) الخنوق أصل معناه اللغوى منحنى الوادى ، ويريد به هنا خنوذى قار الذى دارت فيه رعى المركة . والنطاريف : السادة ، جمع غطاريف .

(١٧) الحجاج : السادة ، جمع جحجج و ججاج . والغطارفة : جمع آخر لغطاريف . والنطف : اللؤلؤ ، جمع نطفة ، يصف الفرس بأنهم كانوا يلبسون أفراما من اللؤلؤ .

(١٨) النشاب : النبال . والبيض : السيوف . والهام : الرؤوس . وفى رواية أخرى « يقتطف » . يصف حركة القتال ، فالفرس يعتمدون على النبال يرمون بها من بعيد ، والعرب يقدمون عليهم بسيوفهم التى تختطف رؤوسهم وتقطفها .

(١٩) تطحنهم : تدوسهم وتندق عظامهم وتمزق أجسادهم ، كأنها رعى دائرة لا تنفك تطحنهم طحنا .

(٢٠) المللمة : الكتيبة التى صفت صفوفها متراصة متماسكة . والشهفاء : التى يختلط فيها البياض بالسواد ، بياض السيوف بسواد الرماح . والخرف : الضعيف العقل ، الفاسد رأى . يصف الكتيبة البرية — كتيبة قومه — وقائدها ، فهى كتيبة ضخمة تامة السلاح يتقدمها قائد شجاع سديد رأى قادر على إدارة المركة بشجاعته وحكمته ودقة تخطيطه لها .

(٢١) الميل : جمع أميل وهو من لا يستطيع أن يثبت على ظهر جواده لقلة خبرته بالفروسية ، أو هو المجرد من أسلحة الهجوم . والكشف : جمع أكشف وهو المجرد من أسلحة الدفاع . يصف فرسان قومه بأنهم فرسان يجيدون الفروسية ، مسلحون تسليحا كاملا ، وأنهم قادرون على حسم المركة كالأسنة الحادة المستورة .

٢٢ يَبِضُّ الْوُجُوهُ فَذَاةُ الرَّوْعِ تَحْسِبُهُمْ جَنَّاتٍ عَيْنٍ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالزَّغْفُ  
٢٣ لو أن كلَّ معدٍّ كان شارِكنا في يوم ذى قارَ ما أخطأهم الشَّرْفُ

\* \* \*

(٢٢) يبض الوجوه: كناية عن كرم الأهل، ودلالة على أن وجوههم لا تتغير عندما تشتد المركة ويحتمل القتال. والروع: القزع، يريد الحرب. والجنان: الجن، جمع جان. والعين: عين الماء، وكان العرب يعتقدون أن الجن تخرج أحيانا من عيون الماء. والبيض: جمع بيضة وهي خيوة المقاتل. والزغف: الدرع المحكمة السلاسل.

(٢٣) كل معد: أى كل القبائل العربية، ومعد هو معد بن عدنان أبو العرب الشماليين. يأسف على تخاذل بعض القبائل العربية عن الوقوف مع قبيلته في هذه الحرب، ولو أنهم كانوا شاركوهم القتال في هذا اليوم الحاسم لثأروا شرفا كبيرا في معركة الكرامة والحرية وتحرير الأرض العربية من الغزو الأجنبي.

\* \* \*

يوسف خليف



## أمية بن أبي الصلت

\* \* \*

وُلِدَ أميةُ بنُ أبي الصلت في بيت يجمع بين العز والشرف ، ويتميز بحب الأدب والشعر . وكان أبوه أبو الصلت بن أبي ربيعة سيدا في قومه ، وأمه هي ربيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وهي من شريقات قريش . ويقال إن أباه كان شاعرا يُنسب إليه شيء مما يُنسب إلى أمية نفسه .

ولكننا لا نعلم متى ولد ، ولا كيف نشأ وتدرج ، كما أننا لا نعلم علم اليقين متى وكيف مات ، ولا سيما أن كتب الأدب والتاريخ على خلاف في خبر وفاته . ولكن يمكن أن نستنبط بعض الحقائق عن حياته من شعره . ذلك أن أول ما نلاحظه في شعره ، أن ثمة اختلافا شاسعا بين شعره في شبابه وشعره عندما بلغ الكهولة والشيخوخة . ففي الشباب نرى في شعره زينب ولبيبي ، كما يزرع بالاندفاع والفخر والتبجح أحيانا ، أما في سني الكهولة والشيخوخة فيجتاح شعره إلى وداعة الروح ، وروحانية المتعبد المتوحد ، ووصف ما وراء الطبيعة المادية الملموسة .

ولا بد أن يكون أمية قد عانى كثيرا من التدرج في مراحل حياته وتجاربه وثقافته حتى بلغ هذا الحد من الحكمة والتصوف . وهذا يدل على أنه كان من المعمرين . كذلك فإن كتاب الأدب والسيرة والتاريخ قد أجمعوا على أنه كان يطمح إلى النبوة التي لا يُحتمل أن يطمع فيها شاب يريد أن ينهل من متع الحياة

أولا . وكان انتظار أمية للنبوة وطعمه فيها قد شاع قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بفترة وجيزة .

ولم يتفق الرواة على سنة وفاته ، لكنها تراوحت بين السنة الثانية للهجرة في أعقاب غزوة بدر وبين السنة الثامنة أو التاسعة . ولكن قد نجد في غياب أمية عن وصف أحداث الجزيرة منذ معركة بدر في السنة الثانية دليلا على أن لم يعيش إلى ما بعد هذه السنة التي قال فيها قصيدته في رثاء قتلى قريش في هذه المعركة . وعلى هذا الأساس يمكن تقدير ميلاده بين سنة ٥٣٤ وسنة ٥٤٤ م ووفاته حوالي ٦٢٤ م ، أى أن عمره تراوح بين ثمانين وتسعين سنة .

\* \* \*

وإذا كنا لا نعرف شيئا عن نشأته وشبابه ، فإن شعره يَنمُّ عن شباب قتي لم يكن ماجنا ، كالذى نراه عند طرفة بن العبد وامرئ القيس مثلا ، ومع ذلك فهو يقاسى من مكابدة شوقه وهواه بليلى وديار ليلى ثم زينب وليلى . ولسنا متأكدين إذا كانت هذه الأسماء أو هذه الشخصيات حقيقية ، لكنها تم — في حقيقة أمرها — عن أثر ضئيل لحجون الشباب ، نتيجة لتعفقه منذ أن كان حدثا صغيرا . وكان شعره في شبابه مزيجا من الغزل والمدح والاندفاع والفتخر ، ثم الحكمة والتصوف في كهولته وشيخوخته . بل إنه لبس المسحوق وتعبّد، وصَدَفَ عما كان في عصره من عادات جاهلية كالأوثان والنجس ، وطلّب الدّين ودارس أهل الكتاب لدرجة أنه طمع في النبوة .

أما عن حياته العملية فقد اشتهر بين الباحثين المحدثين بأنه ذلك التاجر الذى يعمل بين الشام واليمن . وهذا تناقض عجيب بين حياة التجارة بكل مهارتها وماديتها البحتة وبين الشعر الذى نجده فيه رجلا يهيم بخياله بين الأنبياء والملائكة .

وتجيش خواطره بأنباء من خلا من الأمم . ولعل هذا التناقض يفسر لنا عدم نجاحه في التجارة بدليل أنه لم يكن واسع الثراء ، ولو كان ثريا فعلا لما أقدم على المديح في شعره ، ولما سعى إلى التكسب عن هذا السبيل وإراقة ماء وجهه .

أما عن عقيدته فكان ينتمى إلى من أسَمُوا « بالحنفاء » الذين تركوا مفاصد الجاهلية قبيل الاسلام ، ونبذوا عبادة الأصنام ، واتجهوا إلى التوحيد الخالص ، وبحنوا عن دين إبراهيم . كذلك اتصل بثقافة الأديان التي كانت تحيط به ، وإن كانت جميع الروايات قد أجمعت على عدم إسلامه بعد بزوغ فجر الإسلام ، وهو ما هبط بقيمته عند الرواة .

\* \* \*

لكن شعر أمية لا تكاد قصيدة من قصائده الدينية تخلو من معاني التوحيد ، أو ذكر الحساب والقيامة ، أو ذكر الأنبياء والرسل . ثم إن شعره يكاد ينخر بمناظر الطبيعة ، وما فيها من مخلوقات تدل على حكمة الله وقدرته ، ففي السماء يرى الشمس والقمر ، والأفلاك والنجوم ، وفي الأرض يرى الحرث والنبات ، والعيون والأنهار ، والطيور والحيوان ، بالإضافة إلى صور كثيرة ومتتابعة لما وراء الطبيعة . ولكن المشكلة الكبرى في شعر أمية أن أكثر شعره الديني متهم بالوضع والانتحال بصورة جعلت كثيرا من الباحثين يشكون فيه كله . ولكن ليس من الطبيعي أن نرفضه كله ، وبخاصة لأن شهرة أمية إنما قامت أولا وأخيرا على هذه النزعة الدينية في حياته وفي شعره على السواء .

وكانت شخصيته متقلبة حائرة بين واقعه ونفسه . لكن شخصيته بكل ما فيها من عبقرية وشاعرية كانت نتاجا لعناصر متعددة عملت على تكوينها وبلورتها . وفي مقدمة هذه العناصر بيئة أمية ، وما أحيط به من بيت شاعري ، ثم ما حظي

به من ثقافة ، وما قام به من رحلات داخل الجزيرة وخارجها ، ثم ما كان من أحداث تولدت عنها نهضة فكرية واجتماعية قبل الإسلام . وقد تركت الطائف التي عاش فيها بصمات واضحة في شعره ، وهي المدينة الجميلة التي تشبه الفردوس الأرضي . وكان أمية قد فُطر على التأمل فيما حوله من عجائب الطبيعة ، ومن هنا كان تفاعل عبقرية الشاعر بعبقرية المكان .

\* \* \*

وهناك أخبار كثيرة حول وفاة أمية ، وكلها أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع ، ولذلك فنحن لا نسلم بها على علانها ، فقد كانت نتيجة طبيعية لشخصية هذا المتأله الجاهلي المحير المتقلب الذي جعل منه الرواة بطلا من أبطال الأساطير .

\* \* \*

نيل راغب

( ١ )

## الطوفان

\* \* \*

في هذه القصيدة يقدم أمية بن أبي الصلت صورة فنية رائعة تجسد قصة  
نوح والطوفان :

- ١ جَزَى الله الأَجَلَ المَرَّةَ نُوحًا      جَرَاءَ السِّرِّ لَيْسَ لَهُ كِذَابُ
- ٢ بِمَا حَمَلَتْ سَفِينَتُهُ وَأَنْجَحَتْ      غَدَاةَ أَنَاهِمُ المَوْتِ القَلَابُ
- ٣ وَفِيهَا مِنْ أَرْوَمَتِهِ عُرَاةٌ      لَدَيْهِ ، لَا الظَّمَاءُ وَلَا السَّغَابُ
- ٤ وَإِذْ هُمْ لَا لَبَوسَ لَهُمْ تَقِيهِمْ      وَإِذْ صَخْرُ السَّلَامِ لَهُمْ رِطَابُ
- ٥ عَشِيَّةَ أُرْسِلَ الطُّوفَانُ تَجْرِي      وَفَاضَ المَاءُ لَيْسَ لَهُ حِرَابُ
- ٦ عَلَى أَمْوَاجٍ أَخْضَرَ ذِي حَيِّكَ      كَأَنَّ سَعَارَ زَانِحِهِ الهِضَابُ

(١) الكذاب : مصدر كالكذب .

(٢) القلاب : داء يصيب قلب البعير فيموت من يومه ، وهو هنا : الموت الأكيد المحقق .

(٣) الأرومة ، الأصل . والسقاب : الجلياع . وقوله « لا الظماء ولا السقاب » حذف الخبر ، فكانه قال : لا الظماء ولا السقاب بحاجة إلى وصف حالهم لأنه معروف متوقع .

(٤) اللبوس : الثياب . السلام : الحجارة ، المفرد سلمة (بفتح فكسر) ، والعرب ترمم أن الحجارة كانت رطبة ليئة في قديم الزمن .

(٥) الحراب : جوف البئر من أهلها إلى أسفلها . يريد أن الماء لم تكن له حدود محده لكثرة واتساعه . وقوله « تجرى » يريد السفينة المفهومة من السياق .

(٦) الحيك : مفردا حبيكة ، وهي ما يرى على الماء من طرائق إذا مرت به الريح . والسعار : في الأصل حر النار ، ثم استعاره لشدة الموج .

- ٧ بَايَةَ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةَ الدِّيكِ الْغُرَابُ  
٨ وَأُرْسِلَتْ الْحَمَامَةُ بَعْدَ مَسِيحٍ تَدِلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ  
٩ تَلْمَسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَغَايَتُهَا مِنَ الْمَاءِ الْعُيَابُ  
١٠ بَخَاءَتِ بَعْدَمَا رَكَضَتْ بِقَطْفِ عَلَيْهِ النَّشَاطُ وَالطَّيْنُ الْكُبَابُ  
١١ فَلَمَّا قَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَلُوقًا كَمَا عَقَدَ السَّخَابُ  
١٢ إِذَا مَاتَتْ تُورَثُهُ بَنِيهَا وَإِنْ تُقْتَلُ فَلَيْسَ لَهَا اسْتِغْلَابُ  
١٣ كَذَى الْأَفْقَى تَرْبِيَهَا لِسَدِيهِ وَذَى الْجِنِّيَّ أَرْسَلَهَا تُسَابُ

(٧) الآية : العلامة . ويقول ألاحظ : « في كثير من الروايات من أحاديث العرب أن الديك كان نديماً للغراب ، وأنهما شربا الخمر عند الخمار ، ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شربا ، وذهبن الديك ، نفاس به ، فيقبحوسا » . ومعنى خاص غدر .

(٨) تدل على المهالك : أى تنبئها عليها . وفي رواية أخرى « تزل » أى تزلزل .

(٩) عياب الماء : أوله ومعظمه ، والمعنى أنها إذا بلغت أول الماء بلغت بذلك الشاطئ . واليايسة وهو ما تبحث عنه . والتمس الشيء وتلبسه : مله . والعين هنا : الناحية ، وأراد بها ناحية لأماء فيها .

(١٠) ركض الطائر : أسرع في طيرانه ، والقطف : ما قطف من ثمار وسواها . والنشاط : الطين الأسود المنقش . والكباب : الطين اللازب .

(١١) قرسوا الآيات : تذبذبوا منها وتأكدوا . والسخاب : القلادة .

(١٢) الاستغلاب : الاختلاس .

(١٣) ذو الأفقى : لعله يريد به آدم عليه السلام . وربها : ربها . والأفقى : الحية التى كلم لبليلس آدم من جوفها . وذو الجنى : إبليس . وسابت الحية وانسابت : جرت ، وأراد بذلك زحفها على الأرض . يشير إلى أسطورة الحية التى مسخت على صورتها بعد أن كانت فى هيئة الجمل عقاباً لها على استجابتها لإبليس .

- ١٤ فلاربُ المنيّة يَأْمَنُهَا      ولا الجَنَى أَصْبَحَ يُسْتَتَابُ  
 ١٥ بِإِذْنِ اللَّهِ فَاشْتَدَّتْ قَوَاهِمُ      عَلَى مَلَكَائِنَ وَهِيَ لَهُمْ وَثَابُ  
 ١٦ وَفِيهَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَوْمٌ      مَلَائِكُ ذُلُّوا وَهُمْ صِعَابُ

\* \* \*

(١٥) الوثاب : الفراش ، وهي هنا المقامد ، يعني أن السماء مقامد لللائكة .

\* \* \*

نبيل راغب

( ٢ )

## صُورٌ مِنَ الْقَصَصِ الدِّينِيِّ

\* \* \*

في هذه القصيدة يقدم أمية بن أبي الصلت مفهومه للخلق ممزوجاً بطلاقة من القصص الديني كقصصة فرعون وقصة ثمود . ويبدو أن القصيدة كانت في الأصل طويلة ، وضاعت ، ولم تصل إلينا منها إلا هذه القطع المنفرقة .  
المجيدُ لله :

- |   |   |  |
|---|---|--|
| ١ | تَجِدُّوا اللَّهَ فَهُوَ لِلْجِدِّ أَهْلٌ       | رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْعَى قَدِيرًا |
| ٢ | ذَلِكَ الْمُنْشَى الْجِمَارَةَ وَالْمَوْ        | تَى وَأَحْيَاهُمْ وَكَانَ قَدِيرًا       |
| ٣ | بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ | سَ وَسَوَى فَوْقَ السَّمَاءِ سِيرًا      |
| ٤ | شَرَجَعًا لَا يَنَالُهُ بَصَرُ الْعَيْنِ        | بِنَ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكَةَ صُورًا |
| ٥ | هُوَ أَبَدَى مِنْ كُلِّ مَا يَأْتُرُ النَّاسَ   | مَنْ أَمَائِيلَ بِأَقْيَاسٍ سُقُورًا     |
| ٦ | خَلَقَ النَّخْلَ مُصْعِدَاتٍ تَرَاهَا           | تَقْصِفُ الْيَابَسَاتِ وَالْيَخْضُورَا   |

- (١) المجيد هنا : الثناء والتعظيم ، ومجده : غلبه وأثني عليه .  
(٢) المنشى : الخلق أو البعث . وأحياهم : الضمير للوق . والمعنى إما أنه أحياهم قبل موتهم ، وإما أنه سيحييهم بعد موتهم ، وبذلك يكون قد عبر بالماضي عن المستقبل .  
(٣) البناء الأعلى : السماء . وسبق الناس : تقدمهم فلم يستطيعوا بناء ما يجاريه ارتفاعاً ، والسير : العرش ، يريد عرش الله .  
(٤) الشرجع : العلى المنيف ، يريد مربر العرش . والصور : مقردها أصور ، وهو المسائل العتيق .  
(٥) أثر الحديث يأثره ( بضم الناء وكسرهما ) : نقله وحدث به . والأمائيل : مقردها أمثولة ، وهو ما يتمثل به من الأقوال السائرة بين الناس . وسقورا : ظاهرة لا يحجب عليها .  
(٦) مصعدات : مرتفعات . وتقصف : هنا : تلى . واليخضور : الأخضر .



- ٧ والتماسيح والثيايل والإيب (٢) لى شتى والريم واليعفور  
 ٨ وصوارا من النواشط عينا ونعاما خواضبا وحيرا  
 ٩ وأسودا عواديا وقبولا وذئابا والوحش والخزيرا  
 ١٠ وديوكا تدعو الغراب يصلح وإوزين أخرجت وصقورا  
 غرق فرعون :

- ١١ ولفرعون إذ تشاق له الماء ، فهلا لله كان شكورا  
 ١٢ قال : إني أنا المجير على النسا س ولا رب لى على مجيرا  
 ١٣ فمجاه الإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا  
 ١٤ سلب الذكر فى الحياة جزاء وأراه العذاب والتدميرا  
 ١٥ وتداعى عليهم البحر حتى صار موجاً وراءه مستطيرا

(٧) الثيايل : مفردا ثيئل ، وهو الذكر المسن من الوحول . والإيب : مفردا أيل ( بفتح فكسر وتشديد ) ، وهو ذكر الأوعال . والريم والريم : الظبي الخالص البياض . واليعفور ، ( بفتح الياء وضمة ) : الظبي الذى لوته كآون العفر ، وهو التراب .  
 (٨) الصوار ( بكسر الصاد وضمة ) : القطيع من البقر الوحشى . والنواشط : التى تخرج من أرض إلى أرض للرعى ، والعين : مفردا عينا ، وهى الواسعة العين ، يريد البقر الوحشى . والخواضب : مفردا خاضب ، وهو من النعام ما كان آخر الساقين .  
 (٩) الإوزين : مفردا إوزة وهو من قاذر الجمع . وأشار فى صدر البيت الى أسطورة شرب الديك والغراب عند الخمار .

- (١١) تشاق : أنشق واقترع . ولفرعون : متعلقان بمحذوف : « انظر لفرعون » .  
 (١٢) الدرجات : مفردا درجة : وهى المنزلة . وناميات : عاليات .  
 (١٤) الذكر : المراد به الذكر الحسن . والضمير فى « لم يكن » لله تعالى .  
 (١٥) تداعى عليهم : أقبل من كل جانب كأنما يدعو بعضه بعضا . والضمير فى « عليهم » يعود على فرعون وجنوده . والمستطير : المنتشر .

١٦ فدما الله دعوة لايها بعد طغيانه فصار مشيرا  
تيه بني اسرائيل :

١٧ فرأى الله أنهم يمضج لا يذى مزرع ولا معمورا

١٨ فسأها عليهم غاديات ومري مرنهم خلأيا وخورا

١٩ عسلا ناطفا وماء فراتا وحلييا ذا بهجة مثمورا

آل فرعون :

٢٠ أرسل الذر والجراد عليهم وسدينا فاهلكتهم ومورا

٢١ ذكر الذر إنه يفعل الشر وإن الجراد كان شورا

٢٢ ركبت بيضة البيات عليهم لم يحسوا منها سواها نذيرا

(١٦) لايها : لا يظفر من دعوته بخير . والمشير : الملوح باليد .

(١٧) المضج : مكان الضياع ، وأراد به الصعراء التي تاهوا فيها . والمزرع : مصدر ممي من زرع ؛ أى ليس بلى زرع والمعمور : الأهل بالسكان . والضمير في « أنهم » يعود على بني إسرائيل .  
(١٨) نسأها : الها . للسحاب أر النجوم ، أى ساقها عليهم . والغاديات : مفردا غادية ، وهى السحابة . ومري الناقة : مسح ضرعها لتدر . والمزن : مفردا مزنة ، وهى السحابة ذات المطر .  
والخلأيا : مفردا خلأية ، وهى الناقة التى خلأت للحلب لكرمها وغرارة لبها . والخوارة : الناقة أو الشاة الغزيرة اللبن .

(١٩) الشير والثيرة : اللبن الذى ظهر زبده وتحبيب ، ومنه « المثلثور » بنفس المعنى ، الناطف : القاطر . والفرات : أشد الماء عذرية .

(٢٠) السنين : مفردا سنة ، وهى عند الإطلاق السنة المجدية . والمور : التراب تثيره الرياح .  
وضمير الجمع فى البيت يعود على آل فرعون .

(٢١) الثبور : الهلاك .

(٢٢) البيضة هنا : الشدة . والبيات : الامم من قولهم بيت القوم ، اذا أوقع بهم ليلا وأخذهم بفتنة .

## نُموذُ والنَّاقَة :

- ٢٣ كَنُموذ التي تَفَتَّكَت اللَّدي      من عَيْتاً وأُمَّ سَقَبٍ عَقِيْرا  
 ٢٤ نَاقَةٌ لِلإِلَهِ تَسْرَحُ في الأَر      ض وتَنَابُ حَولَ ماءٍ مَدِيْرا  
 ٢٥ فَأَتَاهَا أَحْيِمِرُّ كَأَنَّهُ السَّهْم      سَمَ بِعَقَبٍ فَقَالَ كَوْنِي عَقِيْرا  
 ٢٦ فَأَبَتْ الْعُرْقُوبَ وَالسَّاقَ مِنْهَا      وَمَضَى فِي صَحِيْمِهِ مَكْسُورا  
 ٢٧ فَرَأَى السَّقَبُ أُمَّه فَارْقَنَتْهُ      بَعْدَ إِنْ حَنِيتْ وَظَنُّوْرا  
 ٢٨ فَأَتَى صَخْرَةً قَامَ عَلَيْهَا      صَعَقَةً فِي السَّمَاءِ تَعْلُو الصُّخُورا  
 ٢٩ فَرَقَا رَغْوَةً فَكَانَتْ عَلَيْهِم      رَغْوَةُ السَّقَبِ دُمُورًا تَدْمِيْرا

(٢٣) تَفَتَّكَتْ هُنَا بِمَعْنَى فَتَكَتْ . وَالْعَقَى . بِمَجَاوِزَةِ الْحَدِّ فِي التَّكْبَرِ وَالْمَعْصِيَةِ . وَالسَّقَبُ : وَلَدُ النَّاقَةِ .

(٢٤) مَرَحَتِ الْمَاشِيَةَ : خَرَجَتْ إِلَى الْمَرْعى . وَتَنَابَهَ : تَقَصَّدَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . وَالْمَدِيرُ : الْمُدَوَّرُ ، وَهُوَ الْحَوْضُ يَسُدُّ مَا بَيْنَ بَجَارَتِهِ بِالطَّيْنِ .

(٢٥) أَحْيِمِرُّ : تَصْغِيرُ أَحْمَرَ ، وَهُوَ لَقَبُ قَدَارِ بْنِ سَالَفٍ حَافِرِ النَّاقَةِ . كَأَنَّهُ السَّهْمُ : أَيُّ سَرِيعٍ كَالسَّهْمِ . وَالْعَضْبُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ .

(٢٦) بَنَتْ وَأَبَتْ : قَطَعَهُ قِطَاعًا مُسْتَأْصِلًا . وَالْعُرْقُوبُ : مَنْ رَجَلَ الْهَدَابَةِ بِمَنْزِلَةِ الرِّكْبَةِ فِي يَدَيْهَا ، وَهُوَ الْعَضْبُ الَّذِي يَضُمُّ مَلْتَقَى الرَّظْفَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ . وَالصَّيْمُ : الْعَظْمُ الَّذِي يَدُ قِوَامِ الْمَضْوِ ، كَصَيْمِ الْوُظُفِ وَصَيْمِ السَّاقِ .

(٢٧) الْإِلَافُ كَالْأَلْفَةِ : الصَّدَاقَةُ وَالْمُؤَانَسَةُ . وَنَاقَةُ حَنِيةً : حَانِيَةً ، وَهِيَ الْبُرَّةُ بِوَلَدِهَا . وَالظَّنُّورُ : النَّاقَةُ الْمُلَازِمَةُ لَوَلَدِهَا .

(٢٨) قَامَ : وَقَفَ . الصَّعَقَةُ : الصَّاعَتَةُ .

(٢٩) رَغَا الْبَعِيرُ : صَوْتٌ ، وَالرَّغْوَةُ : الْمَرَّةُ مِنَ الرِّقَاءِ .

٣٠. فَأَصِيدُوا إِلَّا الذَّرِيعَةَ فَاتَتْ      مِنْ جَوَارِيهِمْ وَكَانَتْ جُرُورًا  
 ٣١. سِنْفَةً أُرْسِلَتْ تُخَبِّرُ عَنْهُمْ      أَهْلَ قَرْجٍ بِهَا قَدَ امْسَوْا تُغَوِّرًا  
 ٣٢. فَسَقَوْهَا بَعْدَ الْحَدِيثِ فَاتَتْ      فَاتَمَى رِيْهَا فَوَافَتْ حَفِيرًا

\* \* \*

- (٣٠) فاتت : نجت . والجورر ، هنا : المعاندة ، من قولهم يحمل جرور ، وهو الذي لا يتقاد ولا يكاد يتبع صاحبه . والذريعة : امرأة من ثمود يقال إنها هي التي نجت من العذاب الذي نزل بها .  
 (٣١) السنفه : وعاء كل ثمر ، وأراد ذلك على التشبيه . وقرج : سوق وادي القرى ، وقبل هذه القرية كان هلاك عاد . وثغورا : متفرقين جافلين .  
 (٣٢) الحفير : القبر . يشير هنا إلى نهاية الذريعة بعد نجاتها من العذاب ، إذ يقال إنها سقيت بعد أن حدثوها بأخبار العذاب شرابا مسموما فأتت .

\* \* \*

نبيل راغب

( ٣ )

## أصحاب الفيل

\* \* \*

في هذه القصيدة يبلور أمية بن أبي الصلت مفهومه للخلق والكون، ويتحدث عن قدرة الله كما رأى مثلاً لها في قصة أصحاب الفيل :

- ١ إِنْ آيَاتِ رَبِّنَا قِيبَاتٌ      مَا يُمَارِى فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
- ٢ خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلٌّ      مُسْتَيْنٍ حِسَابُهُ مَقْدُورٌ
- ٣ ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبُّ رَحِيمٍ      بِمَهَابَةٍ شَاعَهَا مَلْمُوسُ
- ٤ حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُغَمَّسِ حَتَّى      ظِلٌّ يَجْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورٌ
- ٥ لَازِمًا حَلَقَةَ الْجِرَانِ كَمَا قُطِّعَتْ (٢)      رَمَنَ صَخْرٍ كَبِيبٍ مَحْدُورٌ

(١) الثَّابِتُ : المضيء . ويمارى : يجادل أو يشك .

(٢) المستين : الواضح الظاهر . المقدور : المقدّر المحسوب بحساب دقيق .

(٣) المهابة : الشمس . والمنشور : المنتشر .

(٤) المغمس : موضع في طريق الطائف قرب عرفات ربض فيه الفيل حين جاء به أبرهة ، ومات فيه أبو رغال ، وقبره يرجع هناك ، وكان أبو رغال دليل صاحب الفيل إلى مكة . وحبا : برك فلم يتحرك . والعقر : أن تقطع إحدى قوائم البعير قبل تحرره كيلا يشرد عند النحر .

(٥) الجران : باطن العقب ، فإذا برك البعير ومدى عنقه على الأرض ، قيل ألقى جرانه بالأرض . وفطر : ألقى من علو على قطره ، أى جانبه . وكبكب : جبل بمكة خلف عرفات . والمحدور : الذى ألقى من علو إلى أسفل ، وأراد « حجرا محدورا » فأقام الصفة مكان الموصوف بعد حذفه .

- ٦ حوله مِنْ ملوك كندة أبطأ لَمَلَايِثُ فِي الحُرُوبِ صُقُورُ  
٧ خَلَفُوهُ ثُمَّ ابْدَعُوا جَمِيعًا كُلَّهُمْ عَظُمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ  
٨ كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفِيَّةِ بُورُ

\*\*\*

- (٦) الملاييت : الأشداء ، مفرد ما ملات ( يفتح الميم ) أو ملوت ( بكسرهما ) .  
(٧) ابْدَعُوا : تفرقوا . وفي رواية أخرى « غادره وقد تولوا مراما » .  
(٨) البور : الفاسد الحال الذي لا خير فيه . وفي رواية أخرى « زور » ، والزور : الكذب أو الباطل . ودين الحنيفية : دين إبراهيم عليه السلام .

\*\*\*

نبيل راغب

( ٤ )

## مَوْعِظَةٌ دِينِيَّةٌ

\* \* \*

في هذه القصيدة يبرز لنا أمية بن أبي الصلت مفهومه للحياة والموت والجنة والنار ، وفيها يركز على الجانب الأخلاقي والوعظي . وتتردد في بعض أبياتها بعض الصور والعبارات القرآنية ، وكأنها منقولة عن القرآن نقلا ، مما يرجح أن تكون هذه الأبيات منحولة على أمية بعد الإسلام .

- |  |   |
|--|---|
| ١ اقْتَرِبِ الْوَعْدُ ، وَالْقُلُوبُ إِلَى الدَّ | لَهُوْ ، وَحُبُّ الْحَيَاةِ سَائِقُهَا  |
| ٢ بَاتَتْ هُمُومِي تَسْرِي طَوَارِقُهَا          | أَكُفُّ عَيْنِي وَالدمْعُ سَائِقُهَا    |
| ٣ مِمَّا أَتَانِي مِنَ الْيَقِينِ وَلَمْ         | أُوتَ بَرَاءَةٌ يَقْصُ نَاطِقُهَا       |
| ٤ مَا رَغْبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ   | عَاشَتْ طَوِيلًا فَالْمَوْتُ لَاحِقُهَا |
| ٥ يَقُودُهَا قَائِدٌ إِلَيْهِ وَيَحْسُدُ         | دُودُهَا حَيْثَا إِلَيْهِ قَائِدُهَا    |
| ٦ قَدْ اثْبَتَتْ أَنَّهَا تَعُودُ كَمَا          | كَانَ بَدِيًّا بِالْأَمْسِ خَالِقُهَا   |
| ٧ وَأَنْتَ مَا جَمَعْتَ وَأَعْجَبَهَا            | مِنْ عَيْشِهَا مَرَّةً مُفَارِقُهَا     |

- (١) الوعد : يوم القيامة . و « إلى الله » : متعلقان بخبر محذوف ، والتقدير : والقلوب ماضية إلى الله . (٢) الطوارق : مفرد طاوقة ، وهي التي تأتي ليلا . (٣) اليقين : المراد به العلم بالبعث والحساب . والبراءة : المراد بها البراءة ، أي لم يعط براءة تخفف من همومه ، لأنه واحد من الناس ، وعليه ما عليهم يوم الحساب . (٤) قوله « كما كان بديا بالأمس خالقها » أي كما كان قد خلقها الله من قبل الموت . وفي القرآن الكريم « كما بدأكم تعودون » (الأعراف ٢٩) ، وفيه أيضا « كما بدأنا أول خلق نعيده » (الأنبياء ١٠٤) .

- ٨ يُوشِكُ مَنْ قَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ      فِي بَعْضِ غِرَاتِهِ يُوَاقِقُهَا  
 ٩ مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا      الْمَوْتُ كَأْسٌ وَالْمَرءُ ذَائِقُهَا  
 ١٠ تَعَاهَدْتُ هَذِهِ الْقُلُوبُ إِذَا      هَمَّتْ بِخَيْرٍ عَاقَتْ عَوَاقِفُهَا  
 ١١ وَصَدَّهَا لِلشَّعَاءِ عَنْ طَلَبِ الدِّ      جَنَّةِ دُنْيَا الْإِلَهِ مَا حَقَّقُهَا  
 ١٢ عَبْدٌ دَعَا نَفْسَهُ فَعَاتَبَهَا      يَعْلَمُ أَنَّ الْبَصِيرَ رَامِقُهَا  
 ١٣ أُمٌّ مَنْ تَلْغَى عَلَيْهِ وَاقِدَةُ الدِّ      سَارَ مُحِيطٌ بِهِمْ سَرَادِقُهَا  
 ١٤ أُمٌّ أُسْكِنَ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَ الدِّ      أَبْرَارُ مَصْفُوفَةٍ تَمَارِقُهَا  
 ١٥ لَا يَسْتَوِي الْمَسْتَرِلَانِ ثُمَّ وَلَا الدِّ      أَعْمَالُ لَا تَسْتَوِي طَرَائِقُهَا

(٨) « في بعض غراته » أى في بعض غفلاته هنا .

(٩) مات عبطة : مات شابا .

(١٠) تعاهدت : تحالفت وتعاهدت ، يريد أن ذلك أصبح عادة لها . وعاقبت عواقفها :  
 أى وفقت العقبات في طريقها .

(١١) بحق الشيء : أبطله وحجاه .

(١٢) الرامق : فاعل من رمقه ببصره ، إذا أتيه بصره ينظر إليه ويراقبه .

(١٣) المرادق : ما أحاط بالبناء ونحوه . وخبر « من » بخنوق ، والتقدير : أم من يهترق بالنار  
 ويحيط به العذاب كمن يسكن الجنة ؟ وفي القرآن الكريم « إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها »  
 (الكهف ٢٩) .

(١٤) النمرقة : الوسادة والجمع تمارق . وفي القرآن الكريم « وتمارق مصفوفة » (الغاشية ١٥) .

(١٥) المزلان : الجنة والنار . والطرائق : الطرق ، مفردا طريقة .



١٦ هما فريقان : فرقةٌ تدخلُ الـ جنةَ حَفَّتْ بِهِمْ حَدَائِقُهَا

١٧ وفرقةٌ منهمُ قدُ ادْخَلَتِ النَّارَ (م) سَارَ فِسَاءَتِهِمْ مَرَّافِقُهَا

\* \* \*

(١٦) حفت : أحاطت . وفي البيت — على هذه الرواية — كسر في الوزن ، وربما يصحح  
وزنه أن تستبدل بكلمة « هما » بكلمة « بل » .

(١٧) يروى البيهقي ١٦ ، ١٧ رواية أخرى :

هما فريقان : فائز دخل الـ الجنة حفت به حدائقها

وفرقة في الجحيم مع فرق الشبـ طائفت يشقى بها مرافقها

وهي رواية جيدة ، وإن يكن بها نفس الكسر العروضي .

\* \* \*

نبيل راغب

## القسم الثاني

### كتاب النشر



( ١ )

## الخطابة

\* \* \*

### ( أ ) الخطابة الاجتماعية

\* \* \*

( ١ ) إصلاح مَرْتَد الخَيْرِ بَيْنِ مُسَبِّحِ بْنِ الْحَارِثِ وَمِثْمِ بْنِ مَثُوبٍ :<sup>(\*)</sup>

كَانَ مَرْتَدُ الْخَيْرِ بْنِ يَنْكَفَ قَيْلًا ، وَكَانَ حَدِيًّا عَلَى عَشِيرَتِهِ ، مَحْبَا لِصِلَاحِهِمْ ،  
وَكَانَ مُسَبِّحُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَمِثْمُ بْنُ مَثُوبٍ بْنُ ذِي رُصَيْنٍ تَنَازَعَا الشَّرَفَ حَتَّى تَشَاحَنَا ،  
وَخِيفَ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ حَيِيهِمَا شَرٌّ ، فَيَتَفَانِي جَدُّمَا هُمَا ، فَبِعَثَ إِلَيْهِمَا مَرْتَدٌ ،  
فَأَحْضَرَهُمَا لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ لَهُمَا :

إِنَّ التَّخْبِطَ وَامْتِطَاءَ الْمَهْجَاجِ<sup>(٢)</sup> ، وَاسْتَحْقَابَ الْجَبَاجِ<sup>(٣)</sup> ، سَيَقْفُكَا عَلَى شَفَا هَوَاةٍ<sup>(٦)</sup> ،  
فِي تَوَرِّدِهَا بَوَارِ الْأَصِيلَةِ<sup>(٤)</sup> ، وَانْقِطَاعِ الْوَسِيلَةِ<sup>(٥)</sup> ، فَتَلَايَا أَمْرًا كَمَا قَبْلَ انْتِكَاثِ الْعَهْدِ ،  
وَالْمَحْلَالِ الْعَقْدِ<sup>(٧)</sup> ، وَتَشْنِثِ الْأُلْفَةِ ، وَتَبَايِنِ السُّهُمَةِ ، وَأَنْتَمَا فِي فُسْطَةٍ رَافِهِةٍ ، وَقَدَمِ

---

(\*) الأما إلى ١ / ٧٣ .

(١) الجلام : الأصل .

(٢) الهجاج : تمسك الإنسان برأيه والتعصب له .

(٣) استحقب الشيء أي جعله في حقيقته .

(٤) الأصيلة : الأصل .

(٥) التوردد : الإشراف على الماء .

(٦) السهبة : القرابة .

(٧) الانتكاث : الانقراض .

واطدة، والمودة مثرية، والبقياء معرضة<sup>(١)</sup>، فقد صرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب،  
 بمن عصى النصيح، وخالف الرشيد، وأصغى إلى التقاطع، ورأيت ما آلت إليه  
 عواقب سوء معيهم، وكيف كان صيور<sup>(٢)</sup> أمورهم، فتلافوا<sup>(٣)</sup> القرحة قبل تفاقم<sup>(٤)</sup>  
 الثأى، واستفحال الداء، وإعواز الدواء، فإنه إذا سفكت الدماء، استحكمت  
 الشحناء، وإذا استحكمت الشحناء تقصبت<sup>(٥)</sup> عرى الإبقاء، وشمل البلاء.

فقال سبيع بن الحارث :

أيها الملك، إن مداوة بني العسلات<sup>(٦)</sup>، لا تُبرئها الأسماء<sup>(٧)</sup>، ولا تشفيها الرقا،  
 ولا تستقل بها الكفافة، والحسد الكامن، هو الداء الباطن، وقد علم بنو أدينا  
 هؤلاء أنالهم رده<sup>(٨)</sup> إذا رهبوا، وغيت إذا أجذبوا، وعضد إذا حاربوا، ومفرع  
 إذا نكبوا، وأنا وإياهم كما قال الأول :

إذا ما علوا قالوا أبونا وأمننا وليس لهم عاين أم ولا أب

(١) معرضة : ممكنة ، أى أمكنت من ناحيتها .

(٢) صيور : عاقبة .

(٣) القرحة : الجرح .

(٤) الثأى : الإفساد والجراح والقتل ونحوه .

(٥) تقصبت : تقطعت .

(٦) العلة : القرحة ، وبني العلات هم بنو أمهات شتى من رجل واحد .

(٧) الأسماء : الأطباء جمع آس .

(٨) رده : عون وحماية .

فقال ميثم بن مثنوب :

أيها الملك ، إن من تقس على ابن أخيه الزحامة ، وجديه في المقامة <sup>(٢)</sup> ،  
واستكثر له قليل الكرامة ، كان قرفاً بالملامة <sup>(٣)</sup> ، ومؤنباً على ترك الاستقامة ، وإنا  
واقه ما نتعد لهم بيد إلا وقد نالهم من كفاؤها ، ولا ندكر لهم حسنة إلا وقد  
تطلع منا إليهم جزاؤها ، ولا يتفياً لهم علينا ظل نعمة إلا وقد قويلوا بشرها <sup>(٤)</sup> ،  
ونحن بنو خيل مكرم <sup>(٥)</sup> ، لم تقعد بنا الأمهات ولا بهم ، ولم تترعنا أعراق السوء  
ولا إياهم ، فعلام مط الخدود ، ونزر العيون <sup>(٦)</sup> والجخيف <sup>(٧)</sup> والتصغر ، والبأو  
والتكبر ؟ ألكثرة مدد ، أم لفضل جلد ، أم لطول معتقد <sup>(٨)</sup> ، وإنا وإياهم لكما  
قال الأول :

لا إبن عمك ، لا أفضلت في حسب عني ، ولا أنت ديان فتخزوني <sup>(٩)</sup>  
ومقاطع الأمور ثلاثة : حرب ميرة <sup>(١٠)</sup> ، أو سلم قرية ، أو مداجاة وغفيرة <sup>(١١)</sup> .

(١) جديه : عابه . (٢) المقامة : المجلس .

(٣) قرفاً : خليفاً . (٤) شرها : مثلها .

(٥) مكرم : سيد .

(٦) نزر العيون : النظر بمؤن العين .

(٧) الجخيف : التكبر وكذلك البأو .

(٨) اعتقد مالا أوضيعة : اقتناهما .

(٩) الديان : القائم بالأمر . تخزوني : تسوسني .

(١٠) ميرة : مهلكة .

(١١) مداجاة وغفيرة : مساترة وغفران .

فقال مرثد الخخير :

لَا تُنْشِطُوا عَقْلَ الشَّوَارِدِ ، وَلَا تُلْقُوا الْعُونَ الْقَوَاعِدَ ، وَلَا تُؤْرَثُوا نِيرَانَ  
الْأَحْقَادِ ، فِيهَا الْمُتَلَفَةُ الْمُسْتَاصِلَةُ ، وَالْجَائِحَةُ وَالْأَلِيلَةُ ، وَعَقُوبًا بِالْحِلْمِ ، أَبْلَادُ<sup>(٥)</sup>  
الْكَلَمِ ، وَأَنْيَبُوا إِلَى السَّبِيلِ الْأَرَشْدِ ، وَالْمَنْهَجِ الْأَقْصَدِ ، فَإِنْ الْحَرْبُ تُقْبِلُ بِزُرَيْجِ<sup>(٦)</sup>  
الْغُرُورِ ، وَتُذِرُ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ . ثم قال :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَقْوَامَ بِذُلٍّ نَصِيبُهُ      حَبِثَتْ بِهَا مِنْهُ سُلَيْبًا وَمَيْمًا  
وَقُلْتُ أَعْلَمُ أَنَّ التَّدَابُرَ غَادَرْتُ      عَوَاقِبُهُ لِلذَّلِّ وَالْقُلُّ جُرْهُمًا  
فَلَا تَقْدَحَا زَنْدَ الْعَقُوقِ وَأَبْقِيَا      عَلَى الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ أَنْ تَهْتَدَمَا  
وَلَا تَجْنِيَا حَرْبًا تَجْرُ عَلَيْكُمَا      عَوَاقِبُهَا يَوْمًا مِنَ الشَّرِّ أَشَامًا  
فَإِنْ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ      تَفُوقُهُمْ مِنْهَا الذُّفَافُ الْمُقَشَّمَا<sup>(٧)</sup>  
حَذَارٍ فَلَا تَسْتَنْبِثُوهَا ، فَإِنَّهَا      تَفَادِرُ ذَا الْأَنْفِ الْأَشْمُ مَكْشَمَا<sup>(٨)</sup>

(١) أنشط العقدة : حلها . والعقل : جمع عقال وهو الحبل .

(٢) العون : جمع حوان وهو الثيب . يقال للحرب حوان إذا كان قوتل فيها مرة بعد مرة .

(٣) تؤرثوا : تذكروا وتسلعوا .

(٤) الجائحة : المستأصلة ، الأليلة : النكل .

(٥) أبلاد : آثار جمع بلد .

(٦) الزريرج : السحاب الذي تسفره الرياح .

(٧) تفوقهم : تسقيهم الفواق : وهو ما بين الحلبتين . الزفاف : اللحم . المقشم : المخلوط .

(٨) لا تستنبثوها : لا تخرجوا نبيثتها وهو ما يخرج من البئر إذا حفرت . يريد : لا تثيروا

الحرب . مكشما : مقطوعا .

فقالا : لا ، أيها الملك ، بل تقبل نصحك ، ونطيع أمرك ، ونطفيء النائرة ،  
ونحل الضغائن ، ونثوب إلى السلم .

\* \* \*

( ٢ ) ما تخاطب به المنذر بن النعمان الأكبر وعامر بن جوين  
الطائي :

وقد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر جد النعمان بن المنذر ،  
وذلك بعد انقضاء ملك كندة ، ورجوع الملك إلى نخم ، وكان عامر بن جوين  
قد أجار امرأ القيس بن حُجْرًا أيام كان مقيمًا بأرض طيء بين الجبلين أجا وسلمى ،  
وقال قصيدته التي يقول فيها :

هنالك لا أُعطي مليكا ضلالةً ولا سوقةً حتى يثوب ابن مندله<sup>(١)</sup>  
وكان المنذر ضغنًا عليه ، فلما دخل عليه قال له : يا عام ، لساء مشوى آثويت<sup>(٢)</sup>  
ربك وثوبك ، حين حاولت إصبياء طلت<sup>(٣)</sup>ته ، ومخالفتك إلى هشيرة ، أما والله لو كنت  
كريمًا لآثويت<sup>(٤)</sup> مكرمًا موقرًا ، ولجاءت<sup>(٥)</sup>ته مسلمات . فقال له : آبيت<sup>(٦)</sup> اللعن ، لقد  
سلمت أبناء أدد إني لأعزها جارا ، وأكرمها جوارا ، وأمنعها دارا . ولقد أقام

(١) النائرة : العداوة والشحناء .

(٢) ابن مندله : رجل من سادات العرب ، يقال أنه استاق مال حبر بن الحارث والده امرئ  
القيس وأخذ امرأته « هند الهنود » وهرب بها إلى الشام ، غير أن حبرا استطاع أن يناله ويقتله  
ويقتل امرأته أيضا .

(٣) ثوى المكان وبه : نزل ، وأنواء : أضافه . والثوى هنا : الضيف .

(٤) الطلة : العجوز ، وصبا الرجل : مال إلى الجهل والفتوة ، وأصبته المرأة : والمراد حاولت  
رد هذه السالف إليه .

(٥) آبيت اللعن : تحية جماعية أى آبيت أن تأتي ما تظن به .

(٦) أبناء أدد : هم قبائل مذحج وطيء والأشعر .



واقرأ ، وزال شاكرا : فقال له المنذر : يا عام ، وإنك لتخال هُضَيَّياتَ أَجَا ذات  
 الْوَبَارِ ، وَأَفْنِيَاتِ سَلَمَى ذاتِ الْأَغْفَارِ ، مَا نَعَاتِكَ مِنَ الْمَجْرِ الْجَرَّارِ ، ذِي الْعَدَدِ  
 الْكُثَارِ وَالْحُصْنِ وَالْمَهَارِ ، وَالرِّمَاحِ الْجَرَّارِ ، وَكُلِّ مَاضِي الْغَرَارِ ، يَبِيدُ كُلَّ  
 مَسْعَرٍ كَرِيمٍ النَّجَارِ ؟ قَالَ عَامِرٌ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، إِنْ بَيْنَ تِلْكَ الْمُضَيَّياتِ  
 وَالرَّعَانِ ، وَالشَّعَابِ وَالْمُضْضِدَانِ ، لَفَتِيَانَا أَبْطَالَا ، وَكَهْمُولَا أَرْوَالَا ، يَضْرِبُونَ  
 الْقَوَانِسَ ، وَيَسْتَرْزِلُونَ الْفَوَارِسَ ، بِالرِّمَاحِ الْمَدَاعِيسَ ، لَمْ يَتَّبِعُوا الرِّعَاءَ ، وَلَمْ تُرَشِّحْهُمْ  
 الْإِمَاءَ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : يَا عَامِرُ ، لَوْ قَدْ تَجَاوَبْتَ الْخَيْلَ فِي تِلْكَ الشَّعَابِ صَهِيلَا ،  
 كَانَتْ الْأَصْوَاتُ قَعْقَعَةً وَصَلِيلَا ، وَفَقَّرَ الْمَوْتَ ، وَأَعْجَزَ الْقَوْتُ ، فَتَقَارَشَتْ

- ( ١ ) الْوَبَارُ : شجرة حامضة شائكة .
- ( ٢ ) الْأَغْفَارُ : جمع غفر ، والفقر بالتحريك : صفار الكلاب .
- ( ٣ ) الْمَجْرُ : الجيش العظيم .
- ( ٤ ) الْحُصْنُ : جمع حصان ، والمهر : جمع مهر وهو ولد الفرس .
- ( ٥ ) الْجَرَّارُ وَالْأَحْرَارُ : جمع حروم خيار كل شيء .
- ( ٦ ) الْغَرَارُ : حد الرمح والمهم والسيف .
- ( ٧ ) يُقَالُ : مَسْعَرٌ حَرْبٌ أَيْ مَوْقِدٌ نَارُهَا كَأَنَّهُ آلَةٌ لِإِيقَادِ الْحَرْبِ . وَالتَّجَارُ : الْأَصْلُ .
- ( ٨ ) الرِّعَانُ : جمع رعن ( كشمس ) وهو أنف يتقدم الجبل .
- ( ٩ ) الْمُضْضِدَانِ : جمع مصد وهو الهضبة العالية .
- ( ١٠ ) أَرْوَالُ : جمع زول وهو الشجاع .
- ( ١١ ) الْقَوَانِسُ : جمع قونس ( كجفجر ) والقونس والقونوس : أعلى بيضة الحديد .
- ( ١٢ ) الْمَدَاعِيسُ : جمع مدعس وهو الرمح الذي لا ينثني .
- ( ١٣ ) الرِّعَاءُ ، هُمُ الرِّعَاءُ : جمع راع .
- ( ١٤ ) التَّرَشِّيحُ : التَّزْيِينَةُ .
- ( ١٥ ) الْقَعْقَعَةُ : صَوْتُ السِّلَاحِ .
- ( ١٦ ) فَقَّرَ الْمَوْتَ قَاهُ : فَتَحَهُ .

(١) الرماح ، وحى السلاح ، لَتَسَاقَى قَوْمُكَ كَأَسَا لاصحو بعدها ، فقال : مهلا أبيت اللعن : إن شرابنا وبيل ، وَحَدَّثَنَا أَلَيْلٌ ، وَمَعَجَمَنَا صَلِيبٌ ، وَلِقَاءَنَا مَهِيْبٌ . فقال له : يا عام ، إنه لقليلٌ بقاء الصخرة الصَّراء ، على وَقَعِ المَلَاطِيسُ ، فقال : أبيت اللعن ، إن صَفَاتِنَا عِبْرُ المَرَادِيسِ ، فقال : لَا وَفِظَن قَوْمِكَ مِنْ سِتَةِ النَفَلَةِ ، ثُمَّ لَا عَقِيبَهُمْ بَعْدَهَا رَقْدَةٌ لَا يَهْبُ رَاقِدُهَا ، وَلَا يَسْتَبْقِظُ هَاجِدُهَا ، فقال له عامر : إِنْ الْبَنَى أَبَادَ عَمْرًا ، وَصَرَعَ شَجَرًا ، وَكَانَا أَعَزَّ مِنْكَ سُلْطَانًا ، وَأَعْظَمَ شَانًا ، وَإِنْ لَقِيتُنَا لَمْ تَلِقْ أَنْكَاسًا وَلَا أَغْسَاسًا ، فَهَبْشِ وَضَائِعَكَ وَصَنَائِعَكَ ، وَهَلُمَّ إِذَا بَدَا لَكَ ، فنحن الأئى قَسَطُوا عَلَى الْأَمْلَاقِ قَبْلَكَ . ثم أتى راحلته فركبها وأتسأ يقول :

( ١ ) تقارشت الرماح : تداخلت في الحرب .

( ٢ ) أيل : محدد ، ألله تأيلا ، حدده .

( ٣ ) المعجم : العود الصلب .

( ٤ ) الصخرة الصراء : السماء .

( ٥ ) الملطس : ( كنبر ) ، والملطاس : المول الغليظ لكسر الحجارة .

( ٦ ) الصفاة : الحجر الصلب الضخم . والمراديس : جمع مرداس وهو شئ صلب عريض تدك به الأرض . ومعنى العبارة أن صفاتنا تحتل ذلك المراديس فلا نخطم تحتها . كناية عن شدتهم وصلابتهم .

( ٧ ) عمرو : يقصد عمرو بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة .

( ٨ ) ججرين الحارث : والد امرئ القيس .

( ٩ ) الأنكاس : جمع نكس وهو الضعيف . والأغساس : جمع غس بالضم وهو الضعيف أيضا .

( ١٠ ) هبش : جمع . الوضائع : جمع وضيفة وهى أثقال القوم وما يأخذها السلطان من الخراج والعشور . والصنائع : جمع صنيعة ، يقال هو صنعة فلان إذا إصطنعه وأقبحه . والمعنى : فتجهز للحرب ، واجمع الأموال اللازمة لذلك ، واحشد رجالك المدربين على القتال .

(١)	تَزِيدُ عَلَى تَعْمِزِ الثَّقَافِ تَصْغَبَا	تَعْلَمُ - أَيْتَ اللُّعْنِ - أَنْ قَنَاتِنَا
(٢)	رَوَيْدُكَ بَرْقًا ، لَا أَبَا لَكَ ، خَلْبَا	أَتُوْعِدُنَا بِالْحَرْبِ ؟ أَمْكَ هَابِلُ
(٣)	وَحَامَتُ رِجَالُ الْغَوْثِ دُونِي تَحْدَبَا	إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيلُهُ بِالْقَنَا
(٤)	تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَنْحَرَجَ أَكْهَبَا	أَيْتُ الَّتِي تَهْوَى ، وَأَعْطَيْتُكَ الَّتِي
(٥)	رِجَالًا يُذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمُعْقَرَا	فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَارِنَا فَأَيْتُ تَعْتَرِفُ
(٦)	رَأَيْتُ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيفًا وَكَوْكَبَا	وَأِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَالِهِمْ
(٧)	وَمَلَّهَى بِأَكْنَافِ السَّيْدِيرِ وَمَشْرَبَا	وَذَكَّرَكَ الْعَيْشَ الرَّخِيَّ جَلَادَهُمْ
(٨)	تُحَكِّمُ فِيكَ الزَّاعِيَّ الْمُحْرَبَا	فَأَغْضِ عَلَى غَيْظٍ وَلَا تَرْمِ الَّتِي

\* \* \*

(٣) من خطب العرب أمام كسرى مفاخرين بأنفسهم وبألستهم :  
قال أكتهم بن صيفي :

إِنْ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءَ أَمَالِيهَا ، وَأَعْلَى الرِّجَالِ مَلُوكُهَا ، وَأَفْضَلَ الْمُلُوكِ أَعْمَهَا  
تَفْعًا ، وَخَيْرَ الْأَزْمَنَةِ أَخْصَبُهَا ، وَأَفْضَلَ الْخُطْبَاءِ أَصْدَقُهَا ، الصَّدْقُ مَنَاجَا ،

- (١) الثَّقَافُ : آلهة كانت تسمى بها الرماح .  
(٢) هَيْلَةُ أُمِّهِ : فَقْدَتُهُ . الْبَرْقُ الْخَلْبُ : الْمَطْمَعُ الْخَلْفُ .  
(٣) خَطَرُ الرَّجُلِ سَيْفُهُ وَرُمَحُهُ ، رَفَعَهُ مِرَّةً وَوَضَعَهُ أُخْرَى . وَجَدِيلَةُ الْغَوْثِ فِرْعَانُ مِنْ قَبِيلَةِ طِي .  
وَتَحْدَبُ عَلَيْهِ : تَمْطِفُ بِهِ .  
(٤) الْخُرْجُ ( كَسْبٌ ) لَوْنَانُ مِنْ بَيَاضٍ وَسَوَادٍ . وَالْكَهْمَةُ : الدَّهْمَةُ أَوِ السَّوَادُ .  
(٥) أَزْدَارُهُ : زَارُهُ . أَذَالَ التُّرْبَ : أَطَالَهُ . الْحَدِيدُ : الدَّرُوعُ . شَيْءٌ مُعْقَرٌ : أَيْ مُعْوَجٌ  
مُعَاوَفٌ ، يَرِيدُ أَنَّهَا دُرُوعٌ مُزْرُودَةٌ .  
(٦) الْكَوْكَبَةُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ أَوِ الْخَبْلُ .  
(٧) السَّيْدِيرُ وَالْخُورُوقُ : قَصْرَانِ بَنَاهُمَا الْمَلِكُ الذَّنْمَانُ الْأَكْبَرُ بِالْحَيْرَةِ ..  
(٨) الرَّجُ الزَّاعِي : هُوَ الَّذِي إِذَا هَزَّ كَانَ كَمَا بِهِ يَجْرِي بِعُضِّ الْيَرْتَنَةِ . وَالْمُحْرَبُ : الْمُحْدَدُ .

والكذب مهواة ، والشرب لحاجة <sup>(١)</sup> ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب  
وطيء ، آفة الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن  
الظن ورطة ، وسوء الظن عزيمة <sup>(٢)</sup> ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد  
الراعي ، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ،  
شر الملوك من خافه البريء ، المرء يعجز لا المحالة <sup>(٣)</sup> ، أفضل الأولاد البررة ، خير  
الأعوان من لم يرأ بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته ، يكفيك  
من الزاد ما بلغك المحل <sup>(٤)</sup> ، حسبك من شر مماسمه ، الصمت حكم وقليل فاعله ،  
البلاغة الإيجاز ، من شدد نقر ، ومن تراخى تألف .

فتعجب كسرى من كلامه وقال : ويحك يا أكرم ما أحكمك وأوثق كلامك !  
لولا وضعك كلامك في غير موضعه . قال أكرم : الصدق ينبي عنك لا الوعيد .  
قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكرم : رب قول ، أهدد  
من صول .

ثم قال حاجب بن زرارة التميمي :

وَرَى زَنْدُكَ <sup>(٥)</sup> ، وَعَلَتْ يَدُكَ ، وَهَيْبَ سُلْطَانِكَ ، إِنَّ الْعَرَبَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَطَتْ  
أَكْبَادَهَا ، وَاسْتَحْصَدَتْ مِرَّتَهَا <sup>(٦)</sup> ، وَمُنِعَتْ دِرَّتَهَا <sup>(٧)</sup> ، وَهِيَ لَكَ وَامِقَةٌ مَا تَأَلَّفَتْهَا ،

(١) الحاجة : تماحك التخصيص وتماديها .

(٢) الحالة : الحيلة .

(٣) الحكم : الحكمة (وآتياء الحكم صيبا) .

(٤) الموج : الزحمة ، والويل : العذاب .

(٥) ورى الزند : شروج النار منه ، وهو حيران يحك أحدهما بالآخر .

(٦) استحصد الحبل : استحكم شدة .

(٧) الدرة : اللين .

مُسْتَرَسِلَةً مَا لَا يَنْتَهَا ، سَامِعَةً مَا سَاحَتْهَا ، وَهِيَ الْعَلَقَمُ مَرَّارَةً ، وَالصَّبَابُ غَضَّاضَةٌ ،  
وَالْعَسَلُ حَلَاوَةٌ ، وَالْمَاءُ الزَّلَالُ سَلَاسَةٌ ، نَحْنُ وَفَوْدُهَا إِلَيْكَ ، وَالسِّتْمَةُ لَدَيْكَ ،  
ذِمَّتُنَا مَحْفُوظَةٌ ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُوعَةٌ ، وَعِشَائِرُنَا فِينَا سَامِعَةٌ مُطِيعَةٌ ، إِنْ نُوْبُ لَكَ  
عَامِلِينَ خَيْرًا ، فَلَكَ بِذَلِكَ عَمُومٌ مَحْمَدَيْنَا ، وَإِنْ نَذَمْ فَلَمْ يُخَصَّ بِالذَّمِّ دُونَهَا .

### وقال الحارث بن عباد البكري :

دَامَتْ لَكَ الْمَلِكَةُ بِاسْتِكَالٍ حَزِيلٍ حَظَهَا ، وَعُلُوِّ سَنَانِهَا ، مِنْ طَالٍ رِشَاؤُهُ كَثُرَ<sup>(١)</sup>  
مَتَحُهُ ، وَمِنْ ذَهَبٍ مَالُهُ قَلَّ مَتَحُهُ ، تَنَاقُلُ الْأَقَاوِيلِ يُعَرِّفُ اللَّبَّ ، وَهَذَا مَقَامُ<sup>(٢)</sup>  
سَيُوجِفُ بِمَا يَنْطِقُ بِهِ الرِّكْبُ ، وَتَعْرِفُ بِهِ كُنْهَ حَالِهِ الْعَجْمِ وَالْمَرْبِ ، وَنَحْنُ  
جِيرَانُكَ الْأَدْنَوْنَ ، وَأَعْوَانُكَ الْمَعِينُونَ ، خِيُولُنَا بَحْمَةٌ ، وَجِيُوشُنَا نَجْمَةٌ ، إِنْ  
اسْتَنْجَدْتَنَا فَنُغِيرُ رِبِضَ<sup>(٣)</sup> ، وَإِنْ اسْتَطَرَقْتَنَا فَنُغِيرُ جُهْضَ<sup>(٤)</sup> ، وَإِنْ طَلَبْتَنَا فَنُغِيرُ غَمَضَ<sup>(٥)</sup> ،  
لَا تَنْتَفِي لُدُغِيرٍ ، وَلَا تَنْتَكِرْ لُدُغِيرٍ ، رَمَاحُنَا طَوَالٌ ، وَأَعْمَارُنَا قِصَارٌ .

قال كسرى : أَنْفُسُ عَزِيزَةٍ ، وَأَمَةٌ ضَعِيفَةٌ . قال الحارث : أَيُّهَا الْمَلِكُ ،  
وَأَنَا يَكُونُ لَضَعِيفٍ عِزَّةٌ ، أَوْ لَضَعِيفٍ مِرَّةٌ .

(١) الصَّابُ : شَجَرٌ .

(٢) الرِّشَاءُ : الْحَبْلُ .

(٣) الْمَتَحُ : نَزْعُ الْمَاءِ مِنَ الْبَيْتِ .

(٤) وَجْفُ الْبَعِيرِ وَالْفَرَسِ إِذَا عَدَا ، وَأَوْجَفْتُهُ : أَعْدَيْتُهُ .

(٥) رَجُلٌ رِبِضٌ عَنْ الْحَاجَاتِ لَا يَهْتَضُ فِيهَا .

(٦) اسْتَطَرَقَهُ خِفْلًا : طَلَبَهُ مِنْهُ لِيَضْرِبَ فِي إِلَهٍ ، هَذَا هُوَ الْأَمَلُ ، وَالْمُرَادُ اسْتَعْنَتْ بِنَا .

(٧) أَجْهَضْتُ النَّاقَةَ وَالْمَرْأَةَ وَلَدَهَا : أَسْقَطْتُ نَاقِصَ الْخَلْقِ .

(٨) غَيْرُ غَمَضٍ : غَيْرُ نَاقِمِينَ مِنْ نَصْرَتِكَ .

قال كسرى : لو قُصِرَ عُمرُكَ ، لم تستول على لسانك نَفْسُكَ . قال الحارث :  
أيها الملك ، إن الفارس إذا حمل نَفْسَهُ على الكتيبة مُغَرَّرًا بِنَفْسِهِ على الموت ،  
فهى مَنِيَّةٌ استقبلها ، وِجَنَانٌ استدبرها ، والعرب تعلم أنى أجهت الحرب قُدَمًا ،  
وأحبسها وهى تَصَرَّفُ بها ، حتى إذا جاشت نَارُهَا ، وسَعَرَت لظاها ، وكشفت  
عن ساقها ، جعلتُ مقادها رَمْحى ، وبرقها سِيفى ، وورعدها زُمَيْرى ، ولم أقصّر  
عن خوض خَضَخَاضِهَا ، حتى أنغمس فى غَمَرَاتِ لَحِيحِهَا ، وأكون فلنكاً لفرسانى<sup>(١)</sup>  
إلى مَجْبُوحَةٍ كَبِشَها ، فاستَظَرَّها دَمًا ، وأترك حُمَاتِهَا جَزَرَ السَّيَاحِ وكلَّ نَسِيرٍ قَشَعَمَ<sup>(٢)</sup> .  
قال كسرى لمن حضره من العرب أكذلك هو ؟ قالوا : فعاله أنطق من  
لسانه . قال كسرى : ما رأيت كالיום وفدا أحشد ، ولا شهوداً أوفد .

وقال خالد بن جعفر الكلابى :

أحضر الله الملك إسماعداً ، وأرشده إرشاداً ، إن ليكل منطقُ فرصة ، ولكل حاجة  
غُصَّةٌ ، وعيُّ المنطق أشدُّ من عيِّ السُّكُوتِ ، وعِثَارُ القَوْلِ أنكَأ<sup>(٣)</sup> من عِثَارِ الوَعْثِ<sup>(٤)</sup> ،  
وما فرصة المنطق عندنا إلا بما تهوى ، وغُصَّةُ المنطق بما لا نهوى غير مُستَسَاغَةٍ ،  
وتركى ما أعلم من نفسى ، ويعلم من سمعى أننى له مطيق ، أحبُّ إلىَّ من تكلفى

(١) الخضخاض : نفض أسود وقيق تهأيه الإبل الحرب . والخضخاض : كثير الماء .

(٢) الكبش : سيد القوم وقائدهم .

(٣) جزرا : أى قطعا .

(٤) القشع : المسن .

(٥) نكأ المدرونكاه نكاية : قتل وجرح ، وأنكأ : أشد نكاية وفهرا .

(٦) الوعث : المكان السهل الدهس تنبيب فيه الأقدام .

ما اتَّخَوْفُ وَيَتَّخَوْفُ مِنِّي ، وقد أوفدنا إليك ملكنا النعمان ، وهو من خير الأعوان ،  
ونعم حاملُ المعروف والإحسان ، أنفسنا بالطاعة لك بآخعة<sup>(١)</sup> ، ورقابنا بالنصيحة  
خاضعة ، وأيدينا لك بالوفاء رهينة .

قال كسرى : نطقت بعقل ، وسمرت بفضل ، وطلوت بنبل .

وقال علقمة بن علاثة العامري :

نَهَجْتَ<sup>(٢)</sup> لَكَ سَبِيلُ الرِّشَادِ ، وَخَضَعْتَ لَكَ رِقَابُ الْعِبَادِ ، إِنْ لِلْأَقَاوِيلِ مَنَاجِحُ ،  
وَالْأَرَاءِ مَوَالِجُ ، وَلِلْعَوِيصِ مَخَارِجُ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ، وَأَفْضَلُ الطَّلَبِ أَنْجَحُهُ ،  
إِنَّا وَإِنْ كَانَتْ الْحُبَّةُ أَحْضَرْتَنَا ، وَالْوَفَادَةُ قَرَّبَتَنَا ، فَلَيْسَ مِنْ حَضَرَ مِنَّا بِأَفْضَلَ مِنْ  
عَرَبٍ عَنْكَ ، بَلْ لَوْ قِسَّتْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَعَلِمَتْ مِنْهُمْ مَا عَلِمْنَا ، لَوَجَدْتَ لَهُ  
فِي آيَاتِهِ دُنْيَا ، أُنْدَادًا وَأَكْفَاءَ ، كُلُّهُمْ إِلَى الْفَضْلِ مَلْسُوبٌ ، وَبِالشَّرَفِ وَالسُّؤْدُودِ  
مَوْصُوفٌ ، وَبِالرَّأْيِ الْفَاضِلِ وَالْأَدَبِ النَّافِذِ مَعْرُوفٌ ، يَمْحَى حِمَاهُ ، وَيُرْوَى نَدَامَاهُ ،  
وَيَنْزُدُ أَعْدَاهُ ، لَا تَجِدُ نَارَهُ ، وَلَا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارُهُ . أَيُّهَا الْمَلِكُ : مِنْ يَبْلُ الْعَرَبِ  
يَعْرِفُ فَضْلَهُمْ ، قَاصِّطِنَعَ الْعَرَبِ ، فَإِنَّهَا الْجِبَالُ الرُّوَاسِي عِزًّا ، وَالْبُحُورُ الزَّوَانِحُ  
طُمِيًّا ، وَالنَّجُومُ الزَّوَاهِرُ شَرَفًا ، وَالْحَصَى عَدَدًا ، فَإِنْ تَعَرَّفَ لَهُمْ فَضْلَهُمْ يُعْزُوكَ ،  
وَإِنْ تَسْتَصْرِخَهُمْ<sup>(٥)</sup> لَا يَخْذُلُوكَ .

(١) يخضع بالحق : أقربه وخضع له .

(٢) نهجت : وضعت .

(٣) موالج : مداخل جمع مولى .

(٤) طميا : طمى الماء بطمى طميا : علا .

(٥) تستصرخهم : تستنجد بهم .

قال كسرى ، وخشى أن يأتى منه كلام يحمله على السخط به : حسبك ، أبلغت وأحسنّت .

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

إنما المرء وأصغريه : قلبه ولسانيه ، فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجعة<sup>(١)</sup> الارتداد ، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة ، فأجبت طاعتنا بلفظك ، واكتنظم بادرنا بجلهك ، وألن لنا كنفك<sup>(٢)</sup> تسلس لك قيادنا ، فإنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع<sup>(٣)</sup> مناخير<sup>(٤)</sup> من أراد لنا قضمًا ، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضمًا .

\* \* \*

(٤) خطباء العرب تُعزى سلامة ذا فائس في ابن له مات :

خطبة الملبب بن صوف :

أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتُعطي لتأخذ ، وتجمع لتشتت ، وتُحلى ليتم ، وتزرع الأحران في القلوب ، بما تفجأ به من استرداد الموهوب ، وكل مصيبة تحطّاتك جلل<sup>(٥)</sup> ، ما لم تدن الأجل ، وتقطع الأمل . وإن حادنا ألم بك ، فاستبد بأفلك<sup>(٦)</sup> ، وصفح عن أكثرك ، لمن أجل النعم عليك ، وقد تناهت إليك

(١) النجعة : طلب الكلأ في موضعه .

(٢) اجتذب : اجتذب .

(٣) الرقس وانتشار الجرب في البدن . والتونيس : الإجراب .

(٤) الصفاة : الجبر الأملس .

(٥) مناخير : جمع منقار ، وهو حديدة كالقلم ينقر بها .

(٦) الجلل : العظام والحفير ، واللفظ هنا بالمعنى الثاني .

(٧) استبد : البدة بالضم : النصيب ، واستبد به : جعله نصيبه .



أنبياء من رُزِيَ فصَبِرَ وأُصِيبَ فَاغْتَفَرَ ، إذا كان شَوَى <sup>(١)</sup> فيما يَرْتَقِبُ وَيُحْدَرُ ،  
فاستشعر اليأس مما فات ، إذا كان ارتجاعه مُتَمَتِّعًا ، ومرامه مُسْتَضْعَفًا ، فلهيء  
ما ضُربت الأُمَى ، وفزع أولى الألباب إلى حسن العزاء .

### خطبة جَعَادَةَ بن أَفْلَح :

أيها الملك ، لا تُشْعِرْ قلبك الجزع على ما فات ، فَيَفْقُلَ ذَهْنُكَ عن الاستعداد .  
لما يَأْتِي ، وَنَاضِلُ عَوَارِضِ الْحَزَنِ بِالْأَنْفَةِ <sup>(٢)</sup> عَنْ مُضَاهَاةِ أَفْعَالِ أَهْلِ وَهَى الْعُقُولِ <sup>(٣)</sup> ،  
فإن العزاء لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ ، وَالْجَزَعَ لِرَبَّاتِ الْجِمَالِ <sup>(٤)</sup> ، ولو كان الجزع يَرُدُّ فائِئًا ،  
أَوْ يُحْيِي تَالِفًا ، لكان فعلا دينيًا ، فكيف وهو مُجَانِبٌ لِأَخْلَاقِ ذَوِي الْأَلْبَابِ .  
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عما يَتَهافت فيه الأرذلون ، وَصُنْ قَدْرَكَ عما يركبه  
المُخْسُوسُونَ ، وَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ طَعْمَكَ فِيمَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، ضِلَّةٌ كَأَحْلَامِ  
النِّسَامِ .

\* \* \*

(٥) أَكْتَمَ بن صَيْفِيٍّ يَعْزِيَّ ملك الحيرة عمرو بن هند عن أخيه :  
إن أهل هذه الدار سَفَرٌ لَا يَحْلُونَ عَقْدَ الرِّجَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا ، وَقَدْ أَتَاكَ مَا لَيْسَ  
بِمُرْدُودٍ عَنْكَ ، وَارْتَحَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ سَيُظْلَعَنَّ عَنْكَ <sup>(٥)</sup>

(١) الشوى : الهين اليسر ورذال المال .

(٢) مضاهاة : مشاكلة .

(٣) وهى : ضعف .

(٤) الجمال : جمع مجلّة ( بفتحين ) وهى القبة ، وموضع يزين بالسُتُور والثياب العروس .

(٥) يظلعن : يرحل .

ويدمك . واعلم أن الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة ، وشاهد عدل ، بفحك بنفسه ، وأبق لك وطيك حكته ، واليوم غنيمة ، وصديق أذاك ولم تأته ، طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته ، وغد لا تدرى من أهله ، وسيأتيك إن وجدك . فما أحسن الشكر للنعم ، والتسليم للقادر ، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها ؟ وأعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير مُعْطِيه ، وشر من الشر فاعله .

\* \* \*

(٦) خطبة أبي طالب في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة :

الحمد لله الذى جعلنا من زرع ابراهيم ، وذرية اسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما ، وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكماء على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أمى من لا يوازن به قى من قريش إلا رجح عليه : برا وقضلا ، وكرما وعقلا ، ومجدا ونُبلا ، وإن كان فى المال قُلٌّ ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسْتَرْجَعَة . وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعلى .

\* \* \*

(٧) خطبة هانىء بن قبيصة الشيباني يحرض قومه يوم ذى قار :  
يا معشر بكر ، هالك معذور ، خير من تاج قور ، إن الحذر لا يُنجى من القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدينية ، استقبال الموت خير من استدباره ، الطعن فى ثغر النحور ، أكرم منه فى الانتجاز والظهور ، يا آل بكر ، فاتلوا فما لنا يا من بد .

\* \* \*

## ( ب ) الخطابة الدينية وسجع الكهان

\* \* \*

( ١ ) قُسُّ بن ساعدة الإيادي يَحْطُبُ في سوق عُكَاظ :

أيها الناس : اسمعوا وَّعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو  
 آت آت ، ليلٌ داجٌ <sup>(١)</sup> ، ونهارٌ مساجٌ <sup>(٢)</sup> ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ ، ونجومٌ تزهرُ ، وبحارٌ  
 تزهرُ ، وجبالٌ مرساةٌ <sup>(٣)</sup> ، وأرضٌ مدحاةٌ ، وأنهارٌ مجراه ، إن في السماء لخبراً ،  
 وإن في الأرض لَعِبْراً ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا ، أم  
 تركوا فناموا ؟ يُقْسِمُ بالله قسٌ لا إثم فيه : إن الله ديناً هو أرضى له ، وأفضل  
 من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً .

\* \* \*

( ٢ ) الكاهن الخزاعي ينقر هاشم بن عبد مناف على أمية بن

عبد شمس :

ويلي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السَّقاية والرِّفاة ، فحسده  
 أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على رئاسته وإطعامه ، وكان ذا مال ، فتكلف  
 أن يصنع صنيعَ هاشم ، فمَجَزَ عنه ، فَشَمَّتْ به ناسٌ من قريش ، ففَضِبَ ونال  
 من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، ففكر هاشم ذلك لسنه وقدره ، فلم تدعه قريش

(١) داج : مظلم .

(٢) مساج : مضى ، متلاشى .

(٣) مدحوة : أى مبسوطة ، وإنما قال مدحاة لمرعاة السجع .

حتى نأفوه على نحسين ناقة سود الحديق ينحرها ببطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين ، قرضى بذلك أمية ، وجعللا بينهما الكاهن الخزاعي ومنزله بعسفان<sup>(١)</sup> ، وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهري ، وكانت ابنته عند أمية . فقال الكاهن : والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والقام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أول منه وآخر ، وأبو همهمة بذلك خابر .

فقضى لهاشم بالقلبة ، وأخذ هاشم الإبل ، فتنحروا وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين . فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

\* \* \*

( ٣ ) عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل عجر بن الحارث :

كان عجر بن الحارث ( أبو امرئ القيس ) ملك بني أسد ، وكان له عليهم إناوة كل سنة لما يحتاج إليه ، فبقى كذلك دهرا ، ثم بعث إليهم من يجي ذلك منهم ، وعجر يومئذ بتهامة ، فطردوا رسله وضربوهم ، فبلغ ذلك عجرا ، فسار إليهم ، فأخذ سرواتهم وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالعصا ( فسموا عبيد العصا ) وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وحبس جماعة من أشrafهم ، منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فقال شعرا يستعطفه فيه ، ومنه قوله :

أنت المليك عليهم . وهم العبيد إلى القيامة

فرق لهم وعفا عنهم ، وردهم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة ، تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي ، فقال لهم :

(١) موضع على مرحلتين من مكة .

يا عبادي ، قالوا : ليسك ربنا ، فقال : مَنِ الْمَلِكُ الصَّهْبُ<sup>(١)</sup> ، الغلابُ غير  
 المغْلَبِ ، في الإبل كأنها الرَّبِّ<sup>(٢)</sup> ، لا يُقْلِقُ رَأْسَهُ الصَّخَبُ ، هذا دمه يَنْثَعِبُ<sup>(٣)</sup> ،  
 وهو غدا أول من يُسْتَلَبُ . قالوا : ومن هو رَبَّنَا ؟ قال : لولا تَجْبِشُ<sup>(٤)</sup> نَفْسِ  
 جاشية ، لأخبرتكم أنه مُجْر ضاحية<sup>(٥)</sup> .  
 فركبوا كُلَّ صَعْبٍ وذاول ، حتى بلغوا عسكر مُجْر ، فهجموا عليه في قُبْتِهِ  
 فقتلوه .

\* \* \*

## ( ح ) الوصايا والأمثال

\* \* \*

### ( ١ ) وصية زهير بن جناب الكلبي لبنيه :

يا بَنِيَّ : قد كبرت سني ، وبلغت حَرَسًا<sup>(٦)</sup> من دهرى ، فأحكمتني التجارب ،  
 والأمور تجربة واختبار ، فاحفظوا عني ما أقول وعُوه ، إياكم والخدور عند  
 المصائب ، والتواكل عند التوائب ، فإن ذلك داعية للغم ، وشماتة للعدو ، وسوء  
 ظن بالرب . وإياكم أن تكونوا بالأحداث مُعْتَرِّين ، ولها آمين ، ومنها سائر ،  
 فإنه ما سخر قوم قط إلا ابتُلُوا ، ولكن توقّعوها ، فإنما الإنسان في الدنيا غرض<sup>(٧)</sup>  
 تعاوره الرماة ، فمُقَصِّر دونه ، ومُجَاوِز لموضعده ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثم لا بد  
 أنه مُصِيبُهُ .

\* \* \*

(١) الصلح : الشديد الصلب .

(٢) الرب : القطيع من بقر الوحش . (٣) ينثعب : يتفجر .

(٤) جاشت النفس وتجبشت : ارتفعت من حزن أو فزع .

(٥) ضاحية : حلانية .

(٦) الحرس من الدهر : الطويل . (٧) الغرض : الهدف .

## ( ٢ ) وصية حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري لبني بدر :

اسمعوا مني ما أوصيكم به : لا يتكل آخركم على أولكم ، فإنما يدرك الآخر ما أدركه الأول ، وأنكحوا الكفء الغريب ، فإنه عز حدث ، وإذا حضركم أمران فخذوا بخيرهما صدرا ، فإن كل مورد مغرور ، واصحبوا قومكم بأجل أخلاقكم ، ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه ، فإن الخلاف يزيى الرئيس المطاع ، وإذا حادثتم قاربوا<sup>(١)</sup> ثم قولوا الصدق ، فإنه لا خير في الكذب ، وصونوا الخيل فإنها حصون الرجال ، وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل ، وأعزوا الكبير الكبير ، فإنى بذلك كنت أغلب الناس ، ولا تغزوا إلا بالعيون ، ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح ، وأعطوا على حسب المال ، وأعجلوا الضيف بالقرى ، فإن خير أعجله ، واتقوا فضيحات البنى وفلتات المزاح ، ولا تجيروا على الملوك ، فإن أيديهم أطول من أيديكم .

\* \* \*

## ( ٣ ) وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس :

لما تحملت أم إياس إلى زوجها قالت لها أمها :

أى بُنية : إن الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للنافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزواج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

(١) ربيع الحبيل : فله من أربع طاقات ، والمعنى تمهلوا أو أحكموا القول .

أى بنيسة : إنك فارقت الجَوْ الذى منه نرجيت ، وخَلَقْتَ العُشَّ الذى فيه  
دَرَجَتِ ، إلى وَكِيرٍ لم تعرفه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فأصبح يملكه عليك رقيبا ومليكا ،  
فكونى له أمة يُكَنِّ لك عبدا وشيكا .

يا بنيسة : أحملى عنى عشر خصال تكن لك ذُنُرا وذِكْرا : الصَّحْبَةُ بالقناعة ،  
والمعاشرَةُ بحسن السمع والطاعة ، والتعهدُ لموقع عَيْنِه ، والتفَقُّدُ لموضع أنفه ، فلا  
تقع عَيْنُه منك على قبيح ، ولا يَشُمُّ منك إلا أَطْيَبَ ريح ، والكُفْلُ أحسنُ الحُسْنِ ،  
والماءُ أَطْيَبُ الطَّيْبِ المفقود ، والتعهدُ لوقت طعامه ، والهدْوَعُ عنه عند منامه ،  
فإن حرارة الجوع مَلْهِيَةٌ ، وتنغيصُ النوم مَغْضَبَةٌ ، والاحتفاظُ بينته وماله ،  
والإرعاءُ على نفسه وحشَمه وعياله ، فإن الاحتفاظَ بالمال حسن التقدير ، والإرعاءُ  
على العيال والحشم جميل حَسَن التدبير ، ولا تُفْشَى له سرا ، ولا تُعْصَى له أمرا ،  
فإنك إن أَفْشَيْتَ سره ، لم تأمِنِ قَدْرَه ، وإن عَصَيْتَ أمره ، أَوْغَرْتَ صدره ،  
ثم اتقى من ذلك الفَرْحَ إن كان تَرَحًّا ، والإِكْتِثَابَ عنده إن كان قِرْحًا ، فإن  
الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكونى أشد ما تكونين له  
إعظاما ، يكن أشد ما يكون لك إكراما ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن  
أطول ما تكونين له مُرَافَقَةً ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تُؤْثِرَ رضا  
على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أَحْبَبْتَ وكرهت ، والله يَخِيرُ لك .

\* \* \*

( ٤ ) وصية لأَكْثَم بن صيفى :

كتب النعمان بن حَمِيصَةَ البسارقى إلى أَكْثَم بن صيفى : « مثل لنا مثالا

نأخذ به » فقال :

قد حلبت الدهر <sup>(١)</sup>أشطره ، فعرفت حلوه ومره ، حين عرفت فذرفت ، إن  
أمامي ما لا أسامى . رب سامع بحبري لم يسمع بعذري . كل زمان لمن فيه .  
في كل يوم ما يُكره ، كل ذي نصرة سيخذل . تباروا فإن البرينمي عليه العدد .  
وكفوا ألسنتكم فإن مقل الرجل بين فكيه . إن قول الحق لم يدع لي صديقا .  
لا ينفع من الجزع التبيق ، ولا ينفع مما هو واقع التوقي . ستساق إلى ما أنت لاق .  
في طلب المعالي يكون العناء . الاقتصاد في السعي أبقى للجوام . من لم يأس على  
ما فاته ودع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قوت عينه . التقدّم قبل التندّم . أصبح  
عند رأس الأمر أحب إلى من أن أصبح عند ذنبه . لم يهلك من مالك ما وعظك .  
ويل لعالم أمر من جاهله . يتشابه الأمر إذا أقبل ، فإذا أدبر عرفه الكيس  
والأحمق . الوحشة ذهاب الأعلام . البطر عند الرجاء حرق والعجز عند البلاء آفن .  
لا تغضبوا من السير فرما جنى الكثير . لا تجيبوا فيما لم تسألوا عنه ، ولا تضحكوا  
مما لا يضحك منه . حيلة من لا حيلة له الصبر . كونوا جميعا فإن الجمع ظالم .  
تثبثوا ولا تسارعوا فإن أحمز الفريقين الركين . رب عجلة تمب ريشا . ادريعا  
الليل واتخذوه جلا ، فإن الليل أخفى للويل . ولا جماعة لمن اختلف . تشاءوا  
في الديار ولا تباغضوا ، فلانه من يجتمع يتقعقع <sup>(٢)</sup>عمده ، الزموا النساء المهابة .  
نعم لمو الغرة <sup>(٣)</sup>المقزل . إن تعيش ترما لم تره . قد أقر صامت . المكثار كطاب

(١) اللقطة شطران : قادمان وآخران ، فكل خلف من أخلفها شطره . والمعنى أنه اخذ

شطري الدهر خبره وشره .

(٢) تقعقع : اضطرب وتحرك .

(٣) الغرة : الشريفة .



تَيْل . من أَكْثَرَ اسْقَط . لا تجعلوا سِرّاً إلى أمة . لا تَفَرُّوا في القبائل فإن  
 الغريب بكل مكان مظلوم . عاقدوا الثروة وإياكم والوشايط<sup>(١)</sup> فإن مع القلة الذلة .  
 لو سئلت العارية قالت أبني لأهلي ذلاً . الرسول مبلغ غير مَلوم . من فسدت  
 بطانته غصّ بالماء . أساء سمعاً فأساء جابة . الدال على الخير كفاحله . إن المسألة  
 من أضعف المسكنة ، قد تجوع الحرة ولا تأكل بشديتها . لم يجسر سالك القصد ،  
 ولم يعم قاصد الحق . من شدد نقر ، ومن تراخى تألف . أوفى القول أوجزه .  
 أصوب الأمور ترك الفضول . التفرير مفتاح البؤس . التواني والعجز ينتجان  
 الهلكة ، لكل شيء ضراوة . أحوج الناس إلى الغنى من لا يصلحه إلا الغنى ،  
 وهم الملوك . حب المدح رأس الضياع . رضا الناس غاية لا تُبْلَغ .  
 لا تتركه سُخْط مَنْ رضاه الجور . معالجة العفاف مشقة فتعوز بالصبر .  
 اقصر لسانك على الخير وآخر الغضب فإن القدرة من ورائك . من قدر أزمع . أمر  
 أعمال المقتدرين الانتقام . جاز بالحسنة ولا تكافئ بالسئية . أغنى الناس عن  
 الحقد من عظم عن المجازاة . من حسد من دونه قلّ مضره ، من جعل لحسن الظنّ  
 نصيباً رَوَّح عن قلبه . عي الصمت أحمد من عي المنطق . الناس رجلان محترس  
 ومحترس منه . كثير النصيح يهجم على كثير الظنة . من ألح في المسألة أبرم . خير  
 السخاء ما وافق الحاجة . الصمت يُكسب المحبة . لن يغلب الكذب شيئاً إلا غلب  
 عليه الصدق . القلب قد يُتهم وإن صدق اللسان . الانقباض عن الناس مكسبة  
 للعداوة ، وتقريبهم مكسبة لقرين السوء ، فكُنْ من الناس بين القرب والبعد ،  
 فإن خير الأمور أوساؤها<sup>(٢)</sup> ، فسولة الوزراء أضّر من بُغض الأعداء . خير القراء

(١) الوشايط : يقال هم وشيطة في قومهم أى حشودهم .

(٢) فسلة فسولة أى رذل لامرودة له . والوزراء : جمع وزير وهو النصير والظهير .

المرأة الصالحة، وعند الخوف حُسن العمل . من لم يكن له من نفسه زاجر لم يكن له من غيره واعظ وتمكّن منه عدوه على أسوأ عمله . لن يهلك امرؤ حتى يَمَلُّ الناس عتيد فعله، ويشتدّ على قومه، ويعجب بما ظهر من مروءته، ويعتزُّ بقومه، والأمر يأتيه من فوقه . ليس للفتن من حسن الثناء نصيب، لا تَمَاء مع العدم . العيُّ أن تتكلم فوق ما تسدّ به حاجتك ، لا يذنب لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخوانه حاجة، أقل الناس راحة الحقوق . من تعمد الذنب لا تحمل رحمته دون عقوبته ، فإن الأدب رفق ، والرفق يُمن .

\* \* \*

( ٢ )

## الرسائل

\* \* \*

( ١ ) كتاب التحالف بين عبد المطلب بن هاشم وبين نخاعة :

باسمك اللهم ، هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجال عمر بن ربيعة من نخاعة : تحالفوا على التناصر والمواساة ، مابِلَ بِحَرْصِ صَوْفَةٍ<sup>(١)</sup> ، حلفا جامعا غير مُفَرَّق ، الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب ، وتعاهدوا وتعاهدوا أوكد عهد وأوثق عقد، لا يُنْقَض ولا يُنْكث ، ما أشرقت شمس على ثبير ، وحشّ بفلاة بعير ، وما أقام الأخشبان ، واعتمر بمكة إنسان ، حلف أبداً لطول أمد ، يزيده طلوع الشمس شداً ، وظلام الليل

(١) صوف البحر : نبات بحري على شكل الصوف وقد يقصد به الإسفنج .

(٢) الأخشبان : جبلان قربان من مكة .

مدا ، وأن عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال نخزامة متكاثرون متظاهرون متعاونون . فعلى عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب ، وعلى نخزامة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب ، أو حزن أو سهل ، وجعلوا الله على ذلك كفيلا ، وكفى بالله جميلا .

\* \* \*

## ( ٢ ) كتاب أكرم بن صيفي إلى طي :

روى أبو الفضل الميداني في مجمع الأمثال أن أكرم بن صيفي كتب إلى طي يقول :

أوصيكم بتقوى الله وصلته الرحم ، وإياكم ونكاح الحماء ، فإن نكاحها غررٌ وولدها ضياع ، وطيسكم بالخليل فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها ، فإن فيها ثمن الكريمة ورقوة الدم ، وبالبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير ، ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت . ولن يهلك امرؤ عرف قدره ، والعدم عدم العقل لا عدم المال ، ولرجل خير من ألف رجل . ومن عتب على الدهر طالت معتبته ، ومن رضى بالقسم طابت معيشته . وآفة الرأي الهوى ، والعادة أملك ، والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى . والدينيا دول : فما كان لك أذاك على ضيفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك ، والحسد داء ليس له دواء ، والشماتة تعقب ، ومن يريوما يربه . قيل الرماء ثمل الكناتن .

(١) يريد مهرها .

(٢) رقا الدم : جف وسكن . والرقوة كصبور : ما يوضع على الجرح ليتوقف من النزف .

(٣) القسم : القدر .

(٤) الرماء : مصدر راءى . والكناتن : جمع كنانة وهي جمعة السهام .

الندامة مع السَّفاهة . دُعاة العقل الحلم . خَيْرُ الْأُمُورِ مَغَبَّةُ الصَّبْرِ . بقاء المودة مدل  
 التعاهد . من يَزُرْ غِيًّا يَزِدْ حُبًّا . التَّغْرِيرُ مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ . من التَّوَانِي والعِجْزِ تَجِبَتْ  
 الْمَلَكَةُ . لكلِّ شَيْءٍ ضَرَاوَةٌ <sup>(١)</sup> فَضَرَّ لِسَانُكَ بِالْخَيْرِ . عِيُّ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنْ عِيِّ  
 الْمَنْطِقِ : الْحَزْمُ حِفْظُ مَا كُتِّفَتْ وَتَرْكُ مَا كُفِّيت . كَثِيرُ التَّنْصِيحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ  
 الظَّنَّةِ . مَنْ أَلْخَفَ فِي الْمَسْأَلَةِ ثَقُلَ . مَنْ سَأَلَ فَوْقَ حَقِّهِ اسْتَحَقَّ الْحَرَمَانَ . الرِّفْقُ يُنْمِئُ ،  
 وَالْحَرْقُ شَوْمٌ . خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ . خَيْرُ الْعَفْوِ مَا كَانَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ .

(١) الضراوة : التعود .

\* \* \*

سيد حنفى



## وَبَعْدُ

فهذه هي المجموعة الأولى من « الروائع » تقدّمها وتقدّم معها هذا التصوّر الجديد لحركة الشعر في العصر الجاهلي على امتداد عصور أدبية ثلاثة شهدت ثلاث مدارس فنية . ولسنا ندعى أننا وضعنا الصورة النهائية لحركة هذا الشعر ، أو أننا حدّدنا خطوات منهج مثالي لدراسة تطوره الفني ، وإنما كل ما تملكه أن نقول إنها محاولة ، وكلّ ما نتمناه أن نكون قد وُفّقنا فيها ، وأن نرى بعد ذلك دراسة للشعر الجاهلي على أساس هذا التصوّر الجديد .

ولم تبق لنا بعد ذلك إلا كلمتان : كلمة تصحيح ، وكلمة توضيح .

أما الكلمة الأولى فتصحيح لموضع الشاعر أبي ذؤاد الإبادي من شعراء عصر البسوس ، فوضعه الصحيح تاريخياً قبل امرئ القيس . والرواة يذكرون أن امرأ القيس كان يروي شعره ، ويتوكأ عليه ، وأنه أخذ عنه وصف الخيل . وهو — على كل حال — من شعراء عصر المنذرين ماء السماء أمير الحيرة ( ٥١٢ — ٥٥٤ ) ، والعدو التقليدي لإمارة كندة من عصر سُجّر أبي امرئ القيس .

وأما الكلمة الأخرى فتوضيح لموقفنا من النصوص الجاهلية للشعراء المخضرمين ، فقد رأينا أن نوجّها إلى المجموعة الثانية من هذه « الروائع » التي سنقردها للعصر الإسلامي الذي ينتهي — في تقسيمنا — بقيام الدولة الأموية ،

وذلك حتى لا تتوزع صورتهم الفنية بين المجموعتين ، ولا ينقطع خط حركتهم الفنية بينهما . ومن أجل ذلك لم تقف — مثلاً — عند لبس مع أنه من ألمع شعراء العصر الجاهلي ، ولا عند معلقته وهي من أروع قصائد الشعر الجاهلي .

والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

عن اللجنة  
يوسف خليف

# الفهرس

\* \* \*

صفحة

مقدمة

٥

٩

مدخل إلى الروائع : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي

القسم الأول

كتاب الشعر

٦٧

عصر البسوس

٦٩

المهازل

٧١

١) بكائية

٧٤

٢) الداهية

٧٧

٣) صور من التهديد

٨٥

جيلة البكرية

٨٧

بين شقي الرحي

٨٨

امرؤ القيس

٩٣

١) من المعلقة

٩٨

٢) صورة مثالية لجواد الصيد

١٠٧

٣) متع ما بعد الصبا

١١٥



صفحة	
١١٧	(٤) ذكريات بعيدة
١٢٦	(٥) الرحلة إلى قيصر
١٣٤	(٦) نهاية المطاف
١٣٧	عمرو بن قبيصة
١٣٩	(١) يوم الرحيل ورحلة الوداع
١٤٣	(٢) مجلس شراب ورحلة صيد
١٤٩	(٣) طعنة فير طائشة
١٥٢	(٤) المصير المحتوم
١٥٥	عبيد بن الأبرص
١٥٨	(١) من المعلقة
١٦٢	(٢) إنذار إلى امرئ القيس
١٦٦	(٣) إنذار إلى زوجته
١٧٢	علقمة بن عبدة
١٧٣	الميمية المختارة
١٨١	السموأل بن عادياء
١٨٣	مواطن الفخر
١٨٦	أبو دؤاد الإيادي
١٨٦	رحلة صيد
١٨٨	لقيط بن يعمر الإيادي
١٩٠	إنذار ونصح

١٩٥	المرقش الأكبر
١٩٨	صورة من الصحراء
٢٠١	المرقش الأصغر
٢٠٣	إلى فاطمة
٢٠٦	ثعلبة بن صمير
٢٠٧	( ١ ) رائية عمرة
٢١٠	( ٢ ) عتاد الحرب
٢١٣	المسيب بن علس
٢١٥	تيار الفرات
٢١٨	طرفة بن العبد
٢٢١	( ١ ) من المعلقة
٢٣٨	( ٢ ) رائية هر : العودة
٢٥٣	المنامس
٢٥٤	وصية
٢٥٦	الحارث بن حلزة
٢٥٧	من المعلقة
٢٦١	عمرو بن كلثوم
٢٦٣	من المعلقة : صوت قومي
٢٧٠	ذو الإصبع العدواني
٢٧٢	بين الفخر والتحدى

صفحة

عصر داحس والغبراء

٢٧٧

- |     |                       |
|-----|-----------------------|
| ٢٧٩ | الطفيل الغنوى         |
| ٢٨١ | منهج حياة             |
| ٢٨٤ | أوس بن حجر            |
| ٢٨٧ | (١) رثاء عظيم         |
| ٢٩٠ | (٢) ليلة ممطرة        |
| ٢٩٥ | (٣) منظر صيد          |
| ٣٠٦ | عنتر بن شداد          |
| ٣٠٨ | (١) من المعلقة        |
| ٣١٢ | (٢) عتاب ونفر         |
| ٣١٥ | (٣) بطولة فارس        |
| ٣١٩ | (٤) فروسية وحب        |
| ٣٢٢ | زهير بن أبى سلمى      |
| ٣٢٥ | (١) المعلقة           |
| ٣٣٢ | (٢) من مدائح هرم      |
| ٣٣٦ | (٣) من مدائح هرم أيضا |
| ٣٤٠ | (٤) من مدائح هرم أيضا |
| ٣٤٣ | (٥) هجائية            |

صفحة	
٢٤٧	المنقب العبدى
٣٥٠	( ١ ) مناجاة وعتاب
٣٥٣	( ٢ ) مناجاة ومدح
٣٥٨	عدى بن زيد
٣٦١	( ١ ) النخريّة المشهورة
٣٦٥	( ٢ ) تأملات في سجن النعمان
٣٧٠	( ٣ ) سهام الدهر
٣٧٢	( ٤ ) منهج المنايا
٣٧٤	المنخل الإشكرى
٣٧٥	يا هند
٣٧٨	النافقة الذبياني
٣٨٢	( ١ ) من المدح الحربى
٣٨٦	( ٢ ) المتجرّدة
٣٩٢	( ٣ ) المعلقة
٤٠٢	( ٤ ) اعتذارية
٤٠٤	( ٥ ) اعتذارية أخرى
٤٠٩	الأسود بن يعفر
٤١١	ذكريات وعزاء
٤١٥	سلامة بن جندل
٤١٦	أودى الشباب

صفحة	
٤٢٠	الأخنس بن شهاب
٤٢٢	صيادة مطلقة
٤٢٦	الشنفري
٤٢٩	(١) التائية المفضية
٤٣٤	(٢) المرقبة
٤٣٩	(٣) وصية الصملوك
٤٤١	تأبط شرا
٤٤٤	(١) القافية المفضية
٤٤٩	(٢) أليف الوحش
٤٥٢	(٣) رفيق الغول

### عصر ذى قار

٤٥٧

٤٥٩	دريد بن الصمة
٤٦٠	رثاء بطل
٤٦٥	ماعدة بن جؤية
٤٦٥	تأملات فى الشيب والموت
٤٦٩	عبد يغوث بن وقاص الحارثى
٤٧١	تجربة فاسية
٤٧٣	الحارث بن ولة الجرمى
٤٧٤	فرار وافتخار

٣٧٦	حاتم الطائي
٤٧٨	(١) رؤية حاتمية
٤٨٠	(٢) تأصيل الرؤية الحاتمية
٤٨٣	عروة بن الورد
٤٨٦	(١) صعلوك ٠٠ وصعلوك
٤٩١	(٢) حوار حول البخل والكرم
٤٩٤	(٣) دعوة نظرية وتطبيق عملي
٤٩٧	(٤) صور إنسانية من فلسفته
٥٠٤	(٥) تراث الصعلوك
٥٠٥	بشر بن أبي خازم
٥٠٦	موت بطل
٥٠٩	قيس بن الخطيم
٥١١	إدراك ثار
٥١٤	الحادرة
٥١٥	مثل عربية عليا
٥١٧	الأعشى
٥٢٢	(١) المعلقة
٥٣٢	(٢) لامية عكاظ
٥٤٤	(٣) صورة من غزلياته
٥٥٠	(٤) صورة من نحرياته
٥٥٥	(٥) نصرذى قار

صفحة	
٥٦٠	أمية بن أبي الصلت
٥٦٤	(١) الطوفان
٥٦٧	(٢) صور من القصص الديني
٥٧٢	(٣) أصحاب الفيل
٥٧٤	(٤) موعظة دينية

## القسم الثاني كتاب النثر

٥٧٧

٥٧٩	(١) الخطابة
٥٧٩	(١) الخطابة الاجتماعية
٥٧٩	(١) إصلاح مرثد الخير
٥٨٣	(٢) المنذر بن النعمان وعامر بن جوين
٥٨٦	(٣) من خطب العرب أمام كسرى
٥٩١	(٤) خطباء العرب تعزى سلامة ذا فائش
٥٩٢	(٥) أكرم بن صيفى يعزى عمرو بن هند
٥٩٣	(٦) خطبة أبي طالب فى زواج الرسول (ص)
٥٩٣	(٧) خطبة هانىء الشيبانى فى يوم ذى قار
٥٩٤	(ب) الخطابة الدينية وجميع الكهان
٥٩٤	(١) قس بن ساعدة فى سوق عكاظ
٥٩٤	(٢) الكاهن الخزاعى
٥٩٥	(٣) عوف بن ربيعة الأسدى

صفحة	
٥٩٦	( ح ) الوصايا والأمثال
٥٩٦	( ١ ) وصية زهير بن جناب الكلبي لابنيه
٥٩٧	( ٢ ) وصية حصن بن حذيفة لبنى بدر
٥٩٧	( ٣ ) وصية أمامة بنت الحارث لابنتها
٥٩٨	( ٤ ) وصية لأكرم بن صيفى
٦٠١	( ٢ ) الرسائل
٦٠١	( ١ ) كتاب التحالف بين عبد المطلب ونخزاعة
٦٠٢	( ٢ ) كتاب أكرم بن صيفى إلى طيء
٦٠٥	وبعد



---

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٣/٣٥٠٣

---

الترقيم الدولي 0-0185-01-977 ISBN

---

---

مطبعة دار الكتب ٣٠٠٠/١٩٨٢/٢٨٤٦

---



